

البداية والنهاية

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثالث عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسة)

فيها كانت وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى .
استهلت هذه السنة وهو في غاية الصحة والسلامة ، وخرج هو وأخوه العادل إلى الصيد شرق
دمشق ، وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه أنه بعد ما يفرغ من أمر الفرنج يسير هو إلى بلاد الروم ،
ويبعث أخاه إلى بغداد ، فإذا فرغا من شأنهما سارا جميعاً إلى بلاد آذربيجان ، بلاد المعجم ، فانه
ليس دونها أحد يمنع عنها ، فلما قدم الحجيج في يوم الاثنين حادى عشر صفر خرج السلطان
لتلقبهم ، وكان معه ابن أخيه سيف الاسلام ، صاحب البين ، فأكرمه والتزمه ، وعاد إلى القلعة فدخلها
من باب الجديد ، فكان ذلك آخر ما ركب في هذه الدنيا ، ثم إنه اعتراه حمى صفراوية ليلة السبت
سادس عشر صفر ، فلما أصبح دخل عليه القاضي الفاضل وابن شداد وابنه الأفضل ، فأخذ يشكو
إليهم كثرة قلقه البارحة ، وطالب له الحديث ، وطال مجلسهم عنده ، ثم تزايد به المرض واستمر ،
وقصده الأطباء في اليوم الرابع ، ثم اعتراه يمس وحصل له عرق شديد بحيث نفذ إلى الأرض ، ثم
قوى اليأس فأحضر الأمراء الأكابر فبويع لولده الأفضل نور الدين علي ، وكان نائباً على دمشق ،
وذلك عنده ما ظهرت تخايل الضعف الشديد ، وغيبوبة الدهن في بعض الأوقات ، وكان القين
يدخلون عليه في هذه الحال الفاضل وابن شداد وقاضي البلد ابن الزكي ، ثم اشتد به الحال ليلة
الأربعاء السابع والعشر من صفر ، واستدعى الشيخ أباجعفر إمام الكتلة ليبيت عنده فقرأ

القرآن ويلقنه الشهادة إذا جدد به الأمر ، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في الغمرات قرأاً (هو الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) فقال : وهو كذلك صحيح . فلما أذن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو في آخر رمق ، فلما قرأ القارئ (لا إله إلا هو عليه توكلت) تبسم وتهلل وجهه وأسلم روحه إلى ربه سبحانه ، ومات رحمه الله ، وأكرم مثواه ، وبجمل جنت الفردوس مآواه ، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة ، لأنه ولد بتكريت في شهر سنة ثنتين وثلاثين وخمسة مائة ، رحمه الله ، فقد كان ردماً للإسلام وحرزاً وكفهاً من كيد الكفرة الشام ، وذلك بتوفيق الله له ، وكان أهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه ، وود كل منهم لو فداه بأولاده وأحبابه وأصحابه ، وقد غلقت الأسواق واحتفظ على الحواصل ، ثم أخذوا في تجهيزه ، وحضر جميع أولاده وأهل ، وكان الذي تولى غسله خطيب البلد الفقيه الأولي ، وكان الذي أحضر الكفن ومؤنة التجهيز القاضي الفاضل من صلب ماله الخلال ، هذا وأولاده الكبار والصغار يتبنا كورينادون ، وأخذ الناس في العويل والالتحاب والدعاء له والابتغال ، ثم أبرز جسده في نشت في تابوت بعد صلاة الظهر ، وأم الناس عليه القاضي ابن الزكي ثم دفن في داره بالقلمة المنصورة ، ثم شرع ابنه في بناء تربة له ومدرسة لشافعية بالقرب من مسجد القدم ، لوصيته بذلك قديماً ، فلم يكل بناؤها ، وذلك حين قدم وله العز يزك كان محاصراً لأخيه الأفضل كما سيأتي بيانه ، في سنة تسعين وخمسة مائة ، ثم اشترى له الأفضل داراً شمال الكلاسة في وزان مازاده القاضي الفاضل في الكلاسة ، فجعلها تربة ، هطلت سحائب الرحمة عليها ، ووصلت ألطف الألفة إليها . وكان قله إليها في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين ، وصلى عليه تحت السر قاضي القضاة محمد بن علي القرابجي ابن الزكي ، عن إذن الأفضل ، ودخل في لحده وله الأفضل فدغته بنفسه ، وهو يومئذ سلطان الشام ، ويقال إنه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد ، وذلك عن أمر القاضي الفاضل ، وتناولوا بأنه يكون معه يوم القيامة يتوكأ عليه ، حتى يدخل الجنة إن شاء الله . ثم عمل عزاءه بالجامع الأموي ثلاثة أيام ، يحضره الخالص والعالم ، والرية والحكام ، وقد عمل الشعراء فيه مراعى كثيرة من أحسنها ما عملهم المالك الكاتب في آخر كتابه البرق السامي ، وهي مائتا بيت واثنتان ، وقد سردها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين ، منها قوله :

شمل الهدى والملك عم شتاته * والدهر ساء وأقلت حسناته
 أين الذي مذ لم يزل خشية * مرجوة رهباته وهباته ؟
 أين الذي كانت له طاعاتنا * مبنولة ولربه طاعاته ؟
 بالله أين الناصر الملك الذي * لله خالصة صفت نياته ؟
 أين الذي ما زال سلطاناتنا * يرجى نداءه وتقي سطواته ؟

أين الذي شرف الزمان بفضلہ • وصمت على الفضلاء تشريفاته ؟
 أين الذي عنت الفرنج لباسہ • ذلاً ، ومنها أدرکت ثاراته ؟
 أغلال أعناق العدا أسيافه • أطواق أجياد الوری مناته
 من لعلی من لندری من لهدی • يحمیه ؟ من لبأس من قنائل ؟
 طلب البقاء للملكه في آجل • إذ لم يثق ببقاء ملك عاجل
 بحر أعاد البر بحراً بره • وبسيفه فتحت بلاد الساحل
 من كان أهل الحق في أئلمه • وبمزه يردون أهل الباطل
 وفتوحه والقدس من أبكارها • أبقت له فضلاً بغير مساجل
 ما كنت أستسقي لغيرك وإبلا • ورأيت جودك غنجلاً لقوايل
 فسقاك رضوان الآله لا تفتی • لا أرتقى سقيا النعام الماطل
 ﴿ ذكر تركته وشي من ترجمته ﴾

قال العماد وغيره : لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم واحد - أي دينار واحد - سوريا
 وستة وثلاثين درهماً . وقال غيره : سبعة وأربعين درهماً ، ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا
 بستاناً ، ولا شيئاً من أنواع الأملاك . هذا وله من الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة ، وتوفي
 له في حياته غيرهم ، والذين تأخروا بعده ستة عشر ذكراً أكبرهم الملك الأفضل نور الدين علي ، ولد
 بمصر سنة خمس وستين ليلة عيد الفطر ، ثم العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ولد بمصر أيضاً في
 جمادى الأولى سنة سبع وستين ، ثم الظاهر مظفر الدين أبو المباس الخضر ، ولد بمصر في شعبان
 سنة ثمان وستين ، وهو شقيق الأفضل ، ثم الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي ، ولد بمصر في
 نصف رمضان سنة ثمان وستين ، ثم العزيز فتح الدين أبو يعقوب إسحاق ، ولد بدمشق في ربيع الأول
 سنة سبعين . ثم نجم الدين أبو الفتح مسعود ، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين وهو شقيق العزيز ، ثم
 الأغرشرف الدين أبو يوسف يعقوب ، ولد بمصر سنة فنتين وسبعين ، وهو شقيق العزيز أيضاً ، ثم الزاهر
 مجير الدين أبو سليمان داود ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين وهو شقيق الظاهر ، ثم أبو الفضل قطب
 الدين موسى ، وهو شقيق الأفضل ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين أيضاً ، ثم لقب بالمظفر أيضاً ، ثم
 الأشرف معز الدين أبو عبد الله محمد ، ولد بالشام سنة خمس وسبعين ، ثم الحسن ظهير الدين أبو
 المباس أحمد ولد بمصر سنة سبع وسبعين ، وهو شقيق الذي قبله ، ثم المعظم نغر الدين أبو منصور
 توران شاه ولد بمصر في ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، وتأخرت وفاته إلى سنة ثمان وخمسين وستائة ،
 ثم الجوال ركن الدين أبو سعيد أيوب ولد سنة ثمان وسبعين ، وهو شقيق للمعز ، ثم الغالب نصير

الدين أبو الفتح ملاك شاه ، ولد في رجب سنة ثمان وسبعين وهو شقيق العظيم ، ثم النصور أبو بكر أخو العظيم لأبويه ، ولد بجران بعد وفاة السلطان ، ثم عماد الدين شاذي لأُم ولد ، ونصير الدين مرهوان لأُم ولد أيضاً . وأما البت فهي مؤنة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن الأمداء أبي بكر ابن أبوب رحمهم الله تعالى .

وإنما لم يخلف أموالاً ولا أملاً كالجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم ، حتى إلى أعدائه ، وقد تقدم من ذلك ما يكفي ، وقد كان متقللاً في ملبسه ، ومأكله ومركبه ، وكان لا يلبس إلا القطن والسكتان والصوف ، ولا يعرف أنه تخطى إلى مكروه ، ولا سباً بدد أن أنعم الله عليه بالملك ، بل كان همه الأكبر ومقصده الأعظم نصرة الاسلام ، وكسر أعدائه القام ، وكان يعمل رأيه في ذلك وحده ، ومع من يتق به ليلاً ونهاراً ، وهذا مع ما لديه من الفضائل والفاضل ، والفوائد الفرائد ، في اللغة والأدب وأيام الناس ، حتى قيل إنه كان يحفظ الحاسة بينهما ، وكان مواظباً على الصلوات في أوقاتها في الجماعة ، يقال إنه لم تغته الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل ، حتى ولا في مرض موته ، كان يدخل الامام فيصلي به ، فكان يتجشم القيام مع ضعفه ، وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمنافرة ، ويشارك في ذلك مشاركة قريبة حسنة ، وإن لم يكن بالمبارة المصطلح عليها ، وكان قد جمع له القطب النيسابوري عقيدة فكان يحفظها ويحفظها من عقل من أولاده ، وكان يحب سماع القرآن والحديث والعلم ، ومواظب على سماع الحديث ، حتى أنه يسمع في بعض مصافحه جزء وهو بين الصفيين فكان يتجسس بذلك ويقول : هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً ، وكان ذلك بإشارة الهاد الكاتب . وكان رقيق القلب سريع الفهمة عند سماع الحديث ، وكان كثير التنظيم لشرائع الدين . كان قد صحب والده الظاهر وهو يحلب شاب يقال له الشهاب السهر وردى ، وكان يعرف الكيمياء وشيئاً من الشعبة والأبواب النيرنجيات ، فافتتن به ولد السلطان الظاهر ، وقر به وأحبه ، وخالف فيه حجة الشرع ، فكتب إليه أن يقتله لا محالة ، فصلبه عن أمر والده وشهره ، ويقال بل حبسه بين حيطين حتى مات كذا ، وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان من أشجع الناس وأقوام بدناً وقلباً ، مع ما كان يمتري جسمه من الأمراض والأسقام ، ولا سيما في حصار عكا ، فانه كان مع كثرة جوعهم وأمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة ، وقد بلغت جوعهم خمسمائة ألف مقاتل ، ويقال سبائة ألف ، وقتل منهم مائة ألف مقاتل .

ولما انفض الحروب وتسلوا عكا وقتلوا من كان بها من المسلمين وساروا برمتهم إلى القدس جعل يسارهم منزلة منزلة ، وجيوشهم أضاف أضاف من معه ، ومع هذا نصره الله وخلفه ، وسبقهم إلى القدس فصفاته وحامتهم ، ولم يزل يبعثه مقياً به يرهبهم ويرعبهم وينقلبهم ويسلبهم حتى تضرعوا إليه

وخضوا لديه ، ودخلوا عليه في الصلح ، وأن تضع الحرب أوزارها بينهم وبينه ، فأجابهم إلى ما سألوا على الوجه الذي أراد ، لا على ما يريدونه ، وكان ذلك من جملة الرحمة التي رحم الله بها المؤمنين ، فإنه ما اقتضت تلك السنون حتى ملك البلاد أخوه العادل فعز به المسلمون وذل به الكافرون ، وكان سخيًا جيبًا ضحوك الوجه كثير البشر ، لا يتضرع من خير يفعله ، شديد المصاراة على الخيرات والطاعات ، فرحه الله [وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة طرقًا صالحًا من سيرته وأيامه ، وعدله في سيرته وعلاقته ، وأحكامه .

فصل (١١)

(١) وكان قد قسم البلاد بين أولاده ، فالديار المصرية لولده العزيز عماد الدين أبي الفتح ، ودمشق وما حولها لولده الأفضل نور الدين علي ، وهو أكبر أولاده ، والمملكة الحلبية لولده الظاهر غازي غياث الدين ، ولأخيه العادل الكرك والشوبك وبلاد جعبر وبلدان كثيرة قاطع الفرات ، وحماه ومعاملة أخرى معها للملك المنصور ومحمد بن تقي الدين عمر بن أخى السلطان ، وحصص والرحبة وغيرها لأسد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، فنجم الدين أخى أبيه نجم الدين أيوب. واليمن بمعاقله ومخاليفه جميعه في قبضة السلطان ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين ابن أيوب ، أخى السلطان صلاح الدين ، وبلبك وأعمالها للأبجد بهرام شاه بن فروخ شاه ، وبصرى وأعمالها لظافر بن الناصر . ثم شرعت الأمور بعد موت صلاح الدين تضطرب وتختلف في جميع هذه الممالك ، حتى آل الأمر واستقرت الممالك واجتمعت الكلمة على الملك العادل أبي بكر صلاح الدين ، وصارت المملكة في أولاده كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى .

وفيها جدد الخليفة الناصر لدين الله خزانة كتب المدرسة النظامية ببغداد ، ونقل إليها ألوفاً من الكتب الحسنة المثمنة وفي الحرم منها جرت ببغداد كائنة غريبة وهى أن ابنة لرجل من التجار في الطحين عشقت غلاماً أمياً فلما علم أبوها بأمرها طرد الغلام من داره فواعدته البنت ذات ليلة أن يأتيها فنجاء إليها مخفياً فتركت في بعض الدار ، فلما جاء أبوها في أثناء الليل أمرته بقتل قتلته ، وأمرته بقتل أمها وهى حبلى ، وأعطته الجارية حلياً بقيمة ألفى دينار ، فأصبح أمره عند الشرطة فسك وقتل قبيحه الله ، وقد كان سيده من خيار الناس وأكثرم صدقة وبراً ، وكان شاباً وضى الوجه رحمه الله . وفيها درس بالمدرسة الجديدة عند قبر معروف الكرخي الشيخ أبو على التوابعي وحضر عنده القضاة والأعيان ، وعمل بها دعوة حافلة .

ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ﴾

ابن شاذي ، وقد تقدمت وفاته مبسوطة ،

﴿ والأمير بكتمر صاحب خلاط ﴾

قتل في هذه السنة ، وكان من خيار الملوك وأشجعهم وأحسنهم سيرة رحمه الله .

﴿ والآتابك عز الدين مسعود ﴾

ابن مودود بن زنكي ، صاحب الموصل نحواً من ثلاث عشرة سنة ، من خيار الملوك ، كان بنفسه نور الدين الشهيد معه ، ودفن بترابته عند مدرسة أنشأها بالموصل آتاه الله .

﴿ وجعفر بن محمد بن فطيرا ﴾

أبو الحسن أحد الكتاب بالعراق ، كان ينسب إلى القشيع ، وهنا كثير في أهل تلك البلاد لا أكثر الله منهم ، جاءه رجل ذات يوم فقال له رأيت البارحة أمير المؤمنين عليا في المنام ، فقال لي : اذهب إلى ابن فطيرا فقل له يعطيك عشرة دنانير ، فقال له ابن فطيرا . متى رأيته ؟ قال : أول الليل ، فقال ابن فطيرا وأنا رأيته آخر الليل فقال لي : إذا جاءك رجل من صفته كذا وكذا فطلب منك شيئا فلا تعطه ، فأدبر الرجل موليا فاستندله ووهبه شيئا ، ومن شعره فيما أورده ابن الساعي وقد تقدم ذلك لنيرة :

ولما سبرت الناس أطلب منهم * أخاتة عند اعتراض الشدائد

وفكرت في يوم سروري وشدي * وفاديت في الأحياء هل من مساعد؟

فلم أرفيا ساءى غير شامت * ولم أرفيا سرى غير حاسد

﴿ يحيى بن سعيد بن غزى ﴾

أبو المباس البصرى النجراي صاحب المقامات ، كان شاعراً أديباً فاضلاً بليغاً ، له اليد الطولى في القنة والنظم ، ومن شعره قوله :

فناء خود ينساب لطفاً * بلا عناء في كل أذن

ما رده قط لب سمع * ولا أتى زاراً بل بذن

﴿ السيدة زينة ﴾

بنت الامام المتقي لأمر الله ، أخت المستنجد وعمة المستضي ، كانت قد عمرت طويلاً ولها صدقت كثيرة دارة ، وقد تزوجها في وقت السلطان مسعود على صداق مائة ألف دينار ، فتوفي قبل أن يسخل بها ، وقد كانت كارهة لذلك ، فحصل مقصودها وطلبها .

{ الشيخة الصالحة فاطمة خاتون }

بنت محمد بن الحسن العميد ، كانت عابدة زاهدة ، عمرت مائة سنة وست سنين ، كان قد تزوجها في وقت أمير الجيوش مطر وهى بكر ، فبقيت عنده إلى أن توفى ولم تتزوج بعده ، بل اشتغلت بذكر الله عز وجل والعبادة ، رحما الله .

وفىها أنفذ الخليفة الناصر الساسى إلى الشيخ أبى الفرج بن الجوزى يطلب منه أن يزيد على أبيات عمى بن زيد المشهورة ما يناسبها من الشعر ، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات ، وهى هذه الأبيات :

أبها الشملت المعير بالله • رأأت المبرأ الموفور ؟
 أم لديك العهد الوثيق من ال • أليم ، بل أنت جاهل مفور
 من رأيت المتون خلعت أم من • ذاعليه من أن يضام خفير
 أين كسرى كسر الملوك أبو • ساسن أم أين قبله صابور ؟
 وبنوا الأصغر الملوك ملوك ال • وم لم يبق منهم مذكور
 وأخو الحضرة إذنباه وإذ • حجة فجي إليه والخابور
 شاده مرمرا وجهه كلسا • فطير في ذراه وكور
 لم تبه ريب المتون فزا • ل الملك عنه فياه مهجور
 وتذكر رب الخورنق إذ • أشرف يوما ولاهندي تكفير
 سره حاله وكثرة ما • بك والبحر ممرضا والسدير
 طاعوى قلبه وقال وما • غبطة حتى إلى المات يصير
 ثم بعد النعيم والملك والتهى وال • أمر وارثهم هناك قبور
 ثم أضحوا كأنهم أوردق جف • ت فآلوت بها العبا والهور
 غير أن الأيام تختص بالمر • وفيها المعرى المظلت والتفكير
 { ثم دخلت سنة تسعين وخمسة }

لما استقر الملك الأفضل بن صلاح الدين مكان أبيه بمعشق ، بث بهدايا سنية إلى باب الخليفة الناصر ، من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذى كان يحضر عليه الفزوات ، ومنها صليب الصليبيات الذى استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين ، وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلا مرصا بالجواهر النفيسة ، وأربع جوارى من بنات ملوك الفرنج ، وأنشأ له الماد الكاتب كتابا حافظا يذكر فيه التزوية بأبيه ، والسؤال من الخليفة أن يكون في الملك من بعده ، فأجيب إلى ذلك .

ولما كان شهر جادى الأولى قسم العزيز صاحب مصر إلى دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل

نخيم على الكسوة يوم السبت سادس جمادى ، وحاصر البلد ، فقامه أخوه ودافعه عنها ، فقطع الأنهار ونهبت الثمار ، واشتد الحال ، ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم للمادل عههما فأصلح بينهما ، ورد الأمر للأمة بعد الجين على أن يكون للمريز القدس وما جاور فلسطين من ناحيته أيضا ، وعلى أن يكون جبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب ، وأن يكون لعهما المادل أقطاعه الأول ببلاد مصر مضافا إلى ما بيده من الشام والجزيرة كحران والرها وجسر وما جاور ذلك ، فاقسموا على ذلك ، وتزوج المريز ابنة عمه المادل ، ومريض ثم عوفى وهو نخيم بمرج الصفر ، وخرجت الملوك لتنهتته بالمافية والتزويج والصلح ، ثم كرجا إلى مصر لطول شوقه إلى أهله وأولاده ، وكان الأفضل بعد موت أبيه قد أساء التدبير فأبعد أمراء أبيه وخواصه ، وقرب الأجانب وأقبل على شرب السكر والبهو والعب ، واستحوذ عليه وزره ضياء الدين ابن الأثير الجزري ، وهو الذي كان يحدهو إلى ذلك ، فثلف وأتلفه ، وأضل وأضله ، وزالت النعمة عنهما كما سيأتي .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين ملك غزنة وبين كفال الهند ، أقبلوا إليه في ألف ألف مقاتل ، ومعهم سبعمائة فيل منها فيل أبيض لم ير مثله ، فالتقوا فقتلوا قتالا شديدا لم ير مثله ، فهزمهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له الملاحون ، وقتل ملكهم واستحوذ على حواصله وحواصل بلاده وغنم فيلتهم ودخل بلد الملك الكبرى ، فحمل من خزائنه ذهباً وغيره على ألف وأربعمائة جمل ، ثم عاد إلى بلاده سالما منصورا .

وفيها ملك السلطان خوارزم شاه تكش - ويقال له ابن الأصابع - بلاد الري وغيرها ، واصطاح مع السلطان طغرل بك السلجوقي وكان قد تسلم بلاد الري وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وعظم شأنه ، ثم التقى هو والسلطان طغرل بك في ربيع الأول من ههه السنة . فقتل السلطان طغرل بك ، وأرسل رأسه إلى الخليفة ، فعلق على باب التوبة عدة أيام ، وأرسل الخليفة الخلع والتقاليد إلى السلطان خوارزم شاه ، وملك همدان وغيرها من البلاد المنقمة .

وفيها تم الخليفة على الشيخ أبي الفرج بن الجوزي وغضب عليه ، وفناه إلى واسط ، فكث بها خمسة أيام لم يأكل طعاما ، وأقام بها خمسة أهوام يخدم نفسه ويستقي لنفسه الماء ، وكان شيخا كبيرا قد بلغ ثمانين سنة ، وكان يتلو في كل يوم وليلة ختة . قال : ولم أقرأ يوسف لوجدى على وهى يوسف ، إلى أن فرج الله كما سيأتي إن شاء الله .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن إسماعيل بن يوسف ﴾

أبو الخير القزويني الشافعي المفسر ، قدم بغداد ووعظ بالنظامية ، وكان يذهب إلى قول الأشعري في الأصول ، وجلس في يوم عاشوراء قتيلا له : المن يزيد من معاوية ، فقال : ذاك إمام

مجتهد ، فرماه الناس بالآجر فاخفى ثم هرب إلى قزوين .

﴿ ابن الشاطبي ناظم الشاطبية ﴾

أبو القاسم بن قسيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعي الشاطبي الضري ، مصنف الشاطبية في القراءات السبع ، فلم يسبق إليها ولا يلحق فيها ، وفيها من الرموز كنوز لا يهتدى إليها إلا كل فاقده بصير ، هذا مع أنه ضري ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسة ، وبلده شاطبة - قرية شرقي الأندلس - كان قديرا ، وقد أريد أن يلى خطابة بلده فامتنع من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المنابر في وصف الملوك ، خرج الشاطبي إلى الحج فقدم الأيسكندرية سنة ثنتين وسبعين وخمسة ، وسمع على الساني وولاه القاضي الفاضل مشيخة الاقراء بمدرسته ، وزار القدس وصام به شهر رمضان ، ثم رجع إلى القاهرة ، فكانت وفاته بها في جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بالقرافة بالقرب من القربة الفاضلية ، وكان ديناً خاشعاً فاسكاً كثير الوفاء ، لا يتكلم فيها لا يمينه ، وكان يتمثل بكثير آهذه الأبيات ، وهي لنز في النش ، وهي لنفوره :

أنفرف شيئا في السماء يطير * إذا سار هاج الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكباً * وكل أمير يتلبه أمير
يبحث على التقوى ويكره قربه * وتتفر منه النفس وهو نذير
ولم يستر عن رغبة في زيارة * ولكن على الزور يزور
(ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسة)

فيها كانت وقعة الزلاقة ببلاد الأندلس شمال قرطبة ، بمرج الحديد ، كانت وقعة عظيمة نصر الله فيها الاسلام وخنل فيها عبدة الصليبي ، وذلك أن القيش ملك الفرنج ببلاد الأندلس ، ومقر ملكه بمدينة طليعالة ، كتب إلى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب يستنخيه ويستدعيه ويستحثه إليه ، ليكون من بعض من يخضع له في مثالبه وفي قتاله ، في كلام طويل فيه تأنيب وتهديد ووعيد شديد فكتب السلطان يعقوب بن يوسف في رأس كتابه فوق خطه (ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أفلة وهم صاغرون) ثم نهض من فوره في جنوده وعساكره ، حتى قطع الزقاق إلى الأندلس ، فالتقوا في المحل المذكور ، فكانت الفائرة أولا على المسلمين ، قتل منهم عشرون ألفا ، ثم كانت أخيراً على الكافرين فهزمهم الله وكسرم وخنلهم فأصبح كسرة ، وشر هزيمة وأشنها ، قتل منهم مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفا ، وأسر منهم ثلاثة عشر ألفا ، وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا ، من ذلك مائة ألف خيمة وثلاثة وأربعون خيمة ، ومن الخيل ستة وأربعون ألف فرس ، ومن البغال مائة ألف بطل ، ومن الحمر مثلها ومن السلاح التلم سبعون ألفا ،

ومن العدد شئ كثير ، ومالك عليهم من حصونهم شيئاً كثيراً ، وحاصر مدنتهم طيلة مدة ، ثم لم يفتحها فافضل عنها راجعا إلى بلاده . ولما حصل للفرنج ما حصل خلق لحية ، ورأسه ونكس صلبه وركب حماراً وحلف لا يركب فرساً ولا يتخذ بطعام ولا ينام مع امرأة حتى تنصره النصرانية ، ثم طاف على ملوك الفرنج فجمع من الجنود ما لا يملئه إلا الله عز وجل ، فاستد له السلطان يعقوب فالتقيا فقتلا قتالا عظيماً لم يسمع مثله ، فانهزم الفرنج أقبح من هزيمتهم الأولى ، وغنموا منهم نظير ما تقدم أو أكثر ، واستحوذ السلطان على كثير من معاملهم وقلاعهم ، وفيه الحد والمدة ، حتى قيل إنه بيع الأسير بدرهم ، والحصان بخمسة دراهم ، والحية بدرهم ، والليف بثمن ذلك . ثم قسم السلطان هذه الغنائم على الوجه الشرعي ، فاستغنى المجاهدون إلى الأبد ، ثم طلبت الفرنج من السلطان الأمان فهادتهم على وضع الحرب خمس سنين ، وإتمام حمله على ذلك أن رجلاً يقال له علي بن إسحاق التوزي الذي يقال له المسكلم ، ظهر ببلاد إفريقية فأحدث أمورا فظيعة في غيبة السلطان واشتغاله بقتال الفرنج مدة ثلاث سنين ، فأحدث هذا المارق التوزي بالبادية حوادث ، وعاث في الأرض فساداً ، وقتل خلقاً كثيراً ، وتعاك بلا .

وفي هذه السنة والتي قبلها استحوذ جيش الخليفة على بلاد الرى وأصبهان وهردان وخوزستان وغيرهما من البلاد ، وقوى جانب الخلافة على الملوك والمملاك . وفيها خرج المزي من مصر فاصدا دمشق ليأخذها من يد أخيه الأفضل ، وكان الأفضل قد قاب وأقلب وأقلع عما كان فيه من الشراب والاهو والعب ، وأقبل على الصيام والصلاة ، وشرع بكتابة مصحف بيده ، وحسنت طريقته ، فغيران وزيره الضيا الجزري يفسد عليه دولته ، ويكدر عليه صفوته ، فلما بلغ الأفضل إقبال أخيه نحوه سار سريماً إلى عمه المادل وهو يجمر فاستنجد به فصار معه وسبقه إلى دمشق ، وراح الأفضل أيضاً إلى أخيه الظاهر بحلب ، فساروا جميعاً نحو دمشق ، فلما سمع المزي بذلك وقد اقترب من دمشق ، كر راجعاً سريماً إلى مصر ، وركب وراءه المادل والأفضل ليأخذوا منه مصر ، وقد اتفقا على أن يكون ثلث مصر للمادل وثلثاها للأفضل ، ثم بدا للمادل في ذلك فأرسل للمزي يثبته ، وأقبل على الأفضل يشبطه ، وأقاما على بليس أياما حتى خرج إليهما القاضى الفاضل من جهة المزي ، فوقع الصلح على أن يرجع القدس ومعاملتها للأفضل ، ويستقر المادل مقباً بمصر على إقطاعه القديم ، فأقام المادل بها طمعاً فبهلوا رجوع المادل إلى دمشق بعدما خرج المزي لتوديعه ، وهى هدنة على قضاء وصلاح على دخن . وفيها توفي من الأعيان .

✽ علي بن حسان بن سافر ✽

أبو الحسن الكاتب البغدادي ، كان أديباً شاعراً . من شعره قوله :

فنى رقادى ومضى * برق بلمع ومضا * لاح كما سلت بدلا * أسود عضباً أيضاً

كانه الأشهب في • النعم إذا ما ركضا • يبدو كأنه غلاف الر • يح على جمر الغضا
فتحسب الرج أب • ما نظر أو غمضا^(١) • أو شلة النار علا • لميها وانخفضا
آه له من بارق • ضاء على ذات الأنا • أذكرني عهدا مضى • على النور وواضعا
فقال لي قلبي أتو • صي حاجتو أعرضا • يطلب من أمره • فديت ذلك المرضا
يا غرض القلب لقد • غادرت قلبي غرضا • لأسمهم كأنما • يرسلها صرف القضا
فبت لا أرتب في • أن رتادي قد قضى • حتى قضا الليل وكاد • الليل أن ينقرضا
وأقبل الصبح لاما • راف الدجا مبيضا • وسل في الشرق على الن • رب ضياء واقضى
(ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسة)

في رجب منها أقبل العزيز من مصر ومعه عمه العادل في عساكره، ودخلا دمشق قهرا، وأخرجوا منها الأفضل ووزيره الذي أساء تدبيره، وصلى العزيز عند تربة والده صلاح، وخطب له بدمشق، ودخل القلعة المنصورة في يوم وجلس في دار العدل للحكم والفصل، وكل هذا وأخوه الأفضل حاضر عنده في الخيمة، وأمر القاضي يحيى الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية إلى جانب تربة أبيه وكانت داراً للأمر عز الدين شامة، ثم استناب على دمشق عمه الملك العادل ورجع إلى مصر يوم الاثنين تاسع شوال، والسكة والخطبة بدمشق له، وصوّل الأفضل على صرخه، وهرب وزيره ابن الأثير الجزري إلى جزيرته، وقد أنلف نفسه وملكه، وملكه بجزيرته، وانتقل الأفضل إلى صرخه بأهله وأولاده، وأخيه قلب الدين.

وفي هذه السنة هبت ريح شديدة سوداء مدممة بأرض العراق ومعه رمل أحمر، حتى احتاج الناس إلى السرج بالتهار. وفيها ولي قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعد بن زيادة كتاب الانشاء ببغداد، وكان بليغا، وليس هو كالفاضل. وفيها درس مجير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك بالنظامية، وكان فاضلا مناضرا.

وفيها قتل رئيس الشافعية بأصبهان محمود بن عبد الحفيظ بن محمد بن ثابت الخميني قتله ملك الدين سنقر الطويل، وكان ذلك سبب زوال ملك أصفهان عن الديوان. وفيها مات الوزير وزير الخلافة.

(مؤيد الدين أبو الفضل)

محمد بن علي بن القصاب، وكان أبوه يبيع اللحم في بعض أسواق بغداد. فتقدم ابنه وساد أهل زمانه. توفي بهمدان وقد أناد رسائيق كثيرة من بلاد العراق وخراسان وغيرها، إلى ديوان الخلافة، وكان فاضلاً ذا همة وله صرامة وشعر جيد. وفيها توفي.

﴿ الفخر محمود بن علي ﴾

التوقي الشافعي ، قائما من الحج . والشاعر :

﴿ أبو التثائم محمد بن علي ﴾

ابن المعلم الحرثي من قري واسط ، عن إحدى وتسعين سنة ، وكان شاعراً فصيحاً ، وكان ابن الجوزي في مجالسه يستشهد بشئ من لطائف أشعاره ، وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الحسن المليح . وفيها توفي .

﴿ القتيبي أبو الحسن علي بن سعيد ﴾

ابن الحسن البغدادي المعروف بابن العريف ، ويلقب بالبيع الفاسد ، كان حنبلياً ثم اشتغل شافئياً على أبي التثائم بن فضلان ، وهو الذي لقبه بذلك لكثرة تكراره على هذه المسألة بين الشافعية والحنفية ، ويقال إنه صار يمد هذا كله إلى مذهب الامامية فأنه أعلم . وفيه توفي

﴿ الشيخ أبو شعاع ﴾

محمد بن علي بن ميثاق بن المهدي الفرضي الحاسب المؤرخ البغدادي ، قدم دمشق وامتدح السكندی أبو الهيثم زيد بن الحسن قال :

يا زيد زادك ربى من مواهبه * نسأ يقصر عن إدراكها الأمل

لا بدل الله حالاً قد حياك بها * ما دار بين النجاة الحال والبذل

النحو أنت أحق السالين به * أليس بإمكانك فيه يضرب المثل

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسة ﴾

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل إلى ابن الزكي يخبره فيه « أن ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارض فيه ظلمات متكاثرة ، وبروق خاطفة ، ورياح عاصفة ، قوى الجوهها واشتد هبوبها قد أثبت لها أعنة مطلقات ، وارتفعت لها صفقات ، فرجفت لها الجدران واصططقت ، وتلاقت على بعدها واعتنقت ، وثار السماء والأرض مجالجا ، حتى قيل إن هذه على هذه قد انطبقت ، ولا يحسب إلا أن جهنم قد سال منها واد ، وعدا منها عاد ، وزاد عصف الريح إلى أن أطفأ سرج النجوم ، ومزقت أديم السماء ، وبحث ما فوق من الرقوم ، فكنا كالآل تمالى (يمحسون أصابعهم في آذانهم من الصواعق) ويردون أيديهم على أعينهم من البوارق ، لا عاصم يخطف الأبصار ، ولا ملجأ من الخطب إلا ما قبل الاستغفار . وفر الناس نساء ورجالا وأطفالا ، وفروا من دورهم خفا وخفلا ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فاعتصموا بالمساجد الجملة ، وأذعنوا للنازلة بأعناق خاضعة ، برؤوس عانية ، ونفوس عن الأهل والمال والحالية ، ينظرون من طرف خفي ، ويتوقعون أى خطب جلي ،

قد انقطعت من الحياة علقهم ، وعبرت عن النجاة طرقهم ، ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون ، وقاموا على صلاتهم وودوا لو كانوا من الذين عليها دائمون ، إلى أن أذن بالركود ، وأسعف المجاهدون بالمجود ، فأصبح كل مسلم على ريقه ، وبنه سلامة طريقه ، وبرى أنه قد بحث بعد النضجة ، وأفاق بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد رد له الكرة ، وأحياء بعد أن كاد يأخذ على غرة ، ووردت الأخبار بأنها قد كسرت المراكب في البحار ، والأشجار في القفار ، وأتلفت خلقا كثيرا من السفار ، ومنهم من فرغ ليلته الفرار . إلى أن قال « ولا يحسب المجلس أنى أرسلت القلم محمرا والعلم مجحوا ، فالأمر أعظم ، ولكن الله سلم ، ونرجو أن الله قد أيقظنا بما به وعظنا ، ونهنا بما فيه ولهنا ، فما من عباده إلا من رأى القيامة عيانا ، ولم يلتمس عليها من بعد ذلك برهانا ، إلا أهل بلدنا فاقص الأولون مثلها في المثالات ، ولا سبقت لها سابقة في المضلات ، والحمد لله الذي من فضله قد جعلنا نخبه عنها ، ولا يخبى عنا ، ونسأل الله أن يصرف عنا غرض الحرس والنور ، ولا يجعلنا من أهل الهلاك والثبور » .

وفيها كتب القاضي الفاضل من مصر إلى الملك المادل بدمشق يحثه على قتال الفرنج ، ويشكره على ما هو بصده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الاسلام ، فن ذلك قوله في بعض تلك الكتب « هذه الأوقات التي أنتم فيها عرائس الأعمار ، وهذه النفقات التي تجري على أيديكم مهور الحور في دار القرار ، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه ، فتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل إليه ، وسواد المجاج في هذه المواقف يباطن ما سودته القلوب من الصحائف ، فما أسعد تلك الوقفات وما أعود بالطمأنينة تلك الرجعات » . وكتب أيضا « أدام الله ذلك الاسم تاجا على مفارق المنابر والطروس ، وحياه لهدنيا وما فيها من الأجساد والنفوس ، وعرف المملوك من الأمر الذي اقتضته المشاهدة ، وجرت به العافية في سرور ، ولا يزيد على سببه الحال بقوله :

ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمداً ليلس سائر

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا سبق إليه ، ومن قلم من الاصبح ظفراً قد جلب إلى الجسد ضعه فغماً ، ودفع عنه ضرراً ، وتجنب المكره ليس بضائر إذا كان ما جلبيه سببا إلى الحمود ، وآخر سنوه أول كل غزوه ، فلا يسأم مولانا نية الرباط وفضلها ، وتجنب الكلف وحملها ، فهو إذا صرف وجهه إلى وجه واحد وهو وجه الله ، صرف الوجوه إليه كلها (والذين جاهدوا فينا لتهديهم سبلنا وإن الله لم يحسنين الله) .

وفي هذه السنة اقتضت مدة الهدنة التي كان عقدتها الملك صلاح الدين للفرنج فأقبلوا بحمد وحديدهم ، فتلقاهم الملك المادل بمرج عكا فكسرم وغنمهم ، وفتح باب عنوة لله الحمد والمنة . وقد كانوا كتبوا إلى ملك الألمان يستنصونه لفتح بيت المقدس فقد الله هلاكه سرى ما ، وأخذت الفرنج

في هذه السنة يبروت من نائبها عز الدين شامة من غير قتال ولا نزاع ، ولهذا قال بعض الشعراء في الأمير شامة سلم الحصن ما عليك ملامه * ما يلام الذي يروم السلامة

فتمطى الحصون من غير حرب * سنة منها يبروت شامة

ومات فيها ملك الفرنج كندهرى ، سقط من شاهر قنات ، فبقيت الفرنج كالنم بلا راعي ، حتى ملكوا عليهم صاحب قبرس وزوجوه بالملكة امرأة كندهرى ، وجرت خطوب كثيرة بينهم وبين العادل ، ففى كلها يستظهر عليهم ويكسرهم ، ويقتل خلقا من مقاتلتهم ، ولم يزالوا كذلك معه حتى طلبوا الصلح والمهادنة ، فمات على ذلك في السنة الآتية .

وفىها توفى ملك اليمن . ﴿ سيف الاسلام طفتكين ﴾

أخو السلطان صلاح الدين ، وكان قد جمع أموالا جزيلة جدا ، وكان يسبك الذهب مثل الطواحين ويدخره كذلك ، وقام فى الملك بعده ولده إسماعيل ، وكان أهوج قليل التدبير ، فحمله جهله على أن ادعى أنه قرشى أموى ، وتلقب بالمهادى ، فكتب إليه عمه العادل ينهيه عن ذلك ويهدده بسبب ذلك ، فلم يقبل منه ولا التفث إليه ، بل تمادى وأساء التدبير إلى الأمراء والرعية ، فقتل وتولى بعده مملوك من ممالك أبيه . وفىها توفى :

﴿ الأمير الكبير أبو الهيجاء السمين الكردي ﴾

كان من أكابر أمراء صلاح الدين ، وهو الذى كان نائباً على عكا ، وخرج منها قبل أخذ الأفرنج ، ثم دخلها بعده المشطوب ، فأخذت منه ، واستنابه صلاح الدين على القدس ، ثم لما أخذها العزيز عزل عنها فطلب إلى بغداد فأكرم إكراما زائدا ، وأرسله الخليفة مقدما على المسافر إلى همدان ، فأتى هناك . وفىها توفى .

﴿ قاضى بغداد أبو طالب على بن على بن هبة الله بن محمد ﴾

البخارى ، سمع الحديث على أبي الوقت وغيره ، ووقفه على أبي القاسم بن فضالان ، وتولى نيابة الحكم ببغداد ، ثم استقل بالنصب وأضيف إليه فى وقت نيابة الوزارة ، ثم عزل عن القضاء ثم أعيد ومات وهو حاكم ، نسأل الله العافية ، وكان فاضلا بارعا من بيت فقه وعدالة وله شعر :

تنج عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده

كفا بك من عدوك كل كيد * إذا كاد العدو ولم تكمه

وفىها توفى ﴿ السيد الشريف قتيب الطالبيين ببغداد ﴾

أبو محمد الحسن بن على بن حمزة بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن على بن يحيى بن الحسين بن يزيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب العلوى الحسينى المعروف بابن الاقلىسى ،

الكوفي مولها ومنشأ ، كان شاعرا مطبقا ، امتدح الخلفاء والوزراء وهو من بيت مشهور بالأدب
والرياسة والمروءة ، قدم بغداد فامتدح المتقي والمستنجد وابنه المستضيء وابنه الناصر ، فولاه النقابة
كان شيخا مهيبا ، جاوز الثمانين ، وقد أورد له ابن الساعي قصائد كثيرة منها :

اصبر على كيد الزما * ن فا يدوم على طريقة
سبق القضاء فكأن به * راض ولا تطلب حقيقة
كم قد تغلب مرة * وأراك من سعة وضيقه
ما زال في أولاده * يجري على هذى الطريقة

وفيهما توفيت (الست عذراء بفت شاعنهاه)

ابن أيوب ، ودفنت بمدرستها داخل باب النصر ، والست خاتون والهة الملك العادل ، ودفنت
بدارها بدمشق المجاورة لدار أسد الدين شيركوه .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة ﴾

فيها جاءت الفرنج جوعها وأقبلوا غاصروا تينين ، فاستدعى العادل بنى أخيه لقتالهم ، فجاءه
العزيز بن معمر ، والأفضل من صرخند ، فأقلت الفرنج من الحصن وبلغتهم موت ملك الألمان
فطالبوا من العادل الهدنة والأمان ، فهادتهم ورجعت الملوكة إلى أماكنها ، وقد عظم المظالم عيسى بن
العادل في هذه المرة ، واستتابه أبوه على دمشق ، وصار إلى ملكه بالجزيرة ، فأحسن فيهم السيرة ،
وكان قد توفي في هذه السنة السلطان صاحب سنجار وغيرها من المدائن الكبار ، وهو عماد الدين
زنكي بن مودود بن زنكي الأتابكي ، كان من خيار الملوكة وأحسنهم شكلا وسيرة ، وأجودهم طوية
وسريرة ، غير أنه كان يبخل ، وكان شديد الحية للهامة ، ولا سيما الخنفيه ، وقد ابقى لهم مدرسة
بسنجار ، وشروط لهم طعاما يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم ، وهذا نظر حسن ، والفقير أولى بهذه
الحسنة من الغني ، لاشتغل الفقير بشكواه ومطالبته عن الفكر فيما يقينه ، فعبدى على أولاده ابن عمه
صاحب الموصل ، فأخذ الملك منهم ، فاستنذت بنوه بالملك العادل ، فرد فيهم الملك ودرأ عنهم الضيم ،
واستقرت المملكة لولده قطب الدين محمد ، ثم سار الملك إلى ماردين غاصرها في شهر رمضان ،
فأسنولى دلى رينها وماملها ، وأعجزته قائلها ، فطاف عليها ومشى ، وما ظن أحد أنه تملكها ، لأن
ذلك لم يكن مشيوتا ولا مقادرا .

وفيها ملكت الخزر مدينة باغ وكسروا انطايا وقهرهم ، وأرسل الخليفة إليهم أن يمتنعوا خوارجهم
شاه من دخول العراق ، فانه كان يروم أن يخطب له بغداد . وفيها حاصر خوارجهم شاه مدينة بخارى
فتمحها بعد مدة ، وقد كانت امتنعت عليه دهرا ونعزم انطايا ، فقهرهم جميعا وأخذها عنوة ، وعفا

عن أهلها وصفتح ، وقد كانوا ألبسوا كلياً أعور قباء وسموه خوارزم شاه ، ورموه في النجيق إلى
الخورازمية ، وقالوا هذا ملك ، وكان خوارزم شاه أعور ، فلما قدر عليهم عفا عنهم ، جزاه الله خيراً .
وفيها توفي من الأعيان .

(الروام بن زيادة)

كاتب الانشاء بباب الخلافة ، وهو أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن علي بن زيادة ، انتهت
إليه رئاسة الرسائل والانشاء والبلاغة والفصاحة في زمانه بالمراق ، وله علوم كثيرة غير ذلك من الفقه
على مذهب الشافعي ، أخذ عن ابن فضال ، وله معرفة جيدة بالأصلين الحساب والاقعة ، وله شعر جيد
وقد ولي عدة مناصب كان مشكوراً في جميعها ، ومن مستجاد شعره قوله :

لا تحقرن عدواً تزدريه فكم • قد أنس الدهر جد الجلباب
فهذه الشمس يروها الكسوف لها • على جلالها بالرأس والذنب
وله :
باضطراب الزمان ترتفع الاء • نزال فيه حتى يعم البلاء
وكذا الماء راكد فاذا • حرك ثارت من قعره الاقواء
وله أيضاً :
قد سلوت الدنيا ولم يسلمها • من علفت في آمله والأراجي
فاذا ما صرفت وجهي عنها • ففتحتني في بجرها المعراج
يستضيئون بي وأهلك وحدي • فكأنني خبلة في سراج

توفي في ذي الحجة وله ثقتان وسبعون سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن عند موسى بن
جعفر .

(القاضي أبو الحسن علي بن رجاء بن زهير)

ابن علي البطائحي ، قدم بغداد فتفقه بها وسمع الحديث وأقام برجة مالك بن طوق مدة يشتغل
على أبي عبد الله بن النبيه الفرضي ، ثم ولي قضاء المراق مدة ، وكان أديباً ، وقد سمع من شيخه أبي
عبد الله بن النبيه يشهد لنفسه معارفاً للحري يرى في بيتيه الفدين زعم أنهما لا يميزون ثالثهما ، وهما
قوله

سم صممة يحمده آثارها • وأشكر لمن أعطاه ولمصممة
والمكرهما استطعت لآثاته • لتفتني السؤدد والمكرمة

قال ابن النبيه :

ما الأمة الوكلاء بين الوري • أحسن من حر أي ملامه
فه إذا استجدت عن قول لا • ظلم لا يملأ منها فله

(الأمير عز الدين حرديل)

كان من أكابر الأمراء في أيام نور الدين ، وكان ممن شرك في قتل شاور ، وحظي عند صلاح
الدين ، وقد استنابه على القدس حين اقتنصها ، وكان يستعده لهبهات الكبار فيسدها بنفسه

وشجاعته ، ولما ولي الأفضل عزله عن القدس فترك بلاد الشام وانتقل إلى الموصل ، فأتى بها في هذه السنة .

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسة)

« فيها كانت وفاة العزيز صاحب مصر »

وذلك أنه خرج إلى الصيد فكانت ليلة الأحد العشرين من المحرم ، ساق خلف ذئب فكباه فرسه فسقط عنه فأتى بعد أيام ، ودفن بداره ، ثم حول إلى عند تربة الشافعي ، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة ، ويقال : إنه كان قد عزم في هذه السنة على إخراج الخنابلة من بلادهم ، ويكتب إلى بقية إخوته بإخراجهم من البلاد ، وشاع ذلك عنه وذاع ، وسمع ذلك منه وصرح به ، وكل ذلك من فعله وخطأه وعشراته من الجهمية ، وقلة علمه بالحديث ، فلما وقع منه هذا ونوى هذه النية التيسية الفاسدة أهلكه الله ودمره سريعاً ، وعظم قدر الخنابلة بين الخلق بمصر والشام عند الخاص والعام . وقيل : إن بعض صالحهم دعا عليه ، فإما هو إلا أن خرج إلى الصيد فكان هلاكه سريعاً ، وكتب الفاضل كتاب التتمة بالعزيز لعنه العادل ، وهو محاصر ماردين ومعه الماسكر ، وولده محمد الكامل ، وهو نائبه على بلاد الجزيرة المقاربة لبلاد الحيرة ، وصورة الكتاب « أدام الله سلطان مولانا الملك العادل ، وبارك في عمره وأعلى أمره بأمره ، وأعز نصر الاسلام بنصره ، وفدت الأنفس فسه الكربة وأصر الله العظام بنعمه فيه العظيمة ، وأحياء الله حياة طيبة هو والاسلام في مواقيت الفتوح الجسيمة وينقلب عنها بالأمور المسلحة والعواقب السليمة ، ولا قص له رجالاً ولا أعدمه نفساً ولا ولها ، ولا قصر له ذيلاً ولا يداً ، ولا أسخن له عينا ولا كبداً ، ولا كدر له خاطراً ولا مورداً ، ولما قدر الله ما قدر من موت الملك العزيز كانت حياته مكسرة عليه منقصة مهمة ، فلما حضر أجله كانت بشية المصائب عظيمة ، وطالمة المكروه أليمة ، وإذا محاسن الوجه بليت تفي الثرى عن وجهه الحسن ، وكانت مدة مرضه بعد عودته من الغيوم أسبوعين ، وكانت في الساعة السابعة من ليلة الأحد والعشرين من المحرم ، والمملوك في حال تسليطها مجموع بين مرض القلب والجسد ، ووجع أطراف وعلة كبد ، وقد فجع بهذا المولى والمهد بالهذه غير بعيد ، والآسى عليه في كل يوم جديد . ولما توفي العزيز خلف من الولد عشرة ذكور ، فمهد أمراؤه فملكوا عليهم ولهم محمد ، ولقبوه بالنصور ، وجمهور الأمراء في الباطن مائلون إلى تملك العادل ، ولكنهم يستبدون مكانه ، فأرسلوا إلى الأفضل وهو بصرخد فأحضروه على البريد سريعاً ، فلما حضر عندهم منع ردفهم ووجدوا الكلمة مختلفة عليه ، ولم يتم له ما صار إليه ، وخامر عليه أكبر الأمراء الناصرية ، وخرجوا من مصر فأقاموا ببيت المقدس وأرسلوا يستحثون الجيوش المادية ، فأقر ابن أخيه على السلطنة وتوه باسمه على السكة والخطبة في سائر بلاد مصر ، لكن استفاد الأفضل في سفرته أنه أخذ جيشاً كثيفاً من المصريين ، وأقبل بهم ليسترد

دمشق في غيبة عمه . وذلك بإشارة أخيه صاحب حلب ، وملك حصص أسد الدين ، فلما انتهى إليها ونزل حولها قطع أنهارها وحفر أشجارها ، وأكل ثمارها ، ونزل بمخيمه على مسجد القدم ، وجاء إليه أخوه الظاهر وابن عمه الأسد الكسبر وجيش حماء ، فكثروا جيشه وقوى بأسه ، وقد دخل جيشه إلى البلد ، ووثقوا بشماره فلم يتابعهم من العامة أحد ، وأقبل المائل من ماردین بساكره وقد التفت عليه أمراء أخيه وطائفة بنى أخيه ، وأمدوا كل مصر بأكثره ، وسبق الأفضل إلى دمشق بيومين فخصنها وحفظها ، وقد استناب على ماردین ولده محمداً الكامل . ولما دخل دمشق خامر إليه أكثر الأمراء من المصريين وغيرهم ، ووضف أمر الأفضل ويثس من برم وخيرم ، فأقام محاصر البلد بمن معه حتى انسلك الحول ثم انفصل الحال في أول السنة الآتية على ما سيأتى .

وفيهما شرع في بناء سور بغداد بالأجر والكلس ، وفرق على الأمراء وكلت عمارته بعد هذه السنة ، فأمنت بغداد من الترق والحصار ، ولم يكن لها سور قبل ذلك .

وفيهما توفي (السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف)

ابن عبد المؤمن ، صاحب المغرب والأندلس بمدينته ، وكان قد بنى عندها مدينة مليحة سهاها المهدية ، وقد كان ديناً حسن السيرة صحيح السيرة ، وكان مالكي المذهب ، ثم صار ظاهراً حزمياً ثم مال إلى مذهب الشافعي ، واستغنى في بعض بلاده منهم قضاء ، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، وكان كثير الجهاد رحمه الله ، وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس ، وكان قريباً إلى المرأة والضميف رحمه الله (وهو الذي كتب إليه صلاح الدين يستجده على الفرج فلما لم يجاوبه بأمر المؤمنين غضب من ذلك ولم يجبه إلى ما طلب منه ، وقام بالملك بعده ولده محمد فصار كبيرة والده ، ورجع إليه كثير من البلدان التي كانت قد عصت على أبيه ، ثم من بعد ذلك تفرقت بهم الأهواء وباد هذا البيت بعد الملك يعقوب .

وفيهما ادعى رجل أعجمي بدمشق أنه عيسى بن مريم ، فأمر الأمير صارم الدين برغش نائب القلعة ، بصلبه عند حمام الهاد الكاتب ، خارج باب الفرج مقابل الطلحون التي بين البابين ، وقد باد هذا الحمام قديماً ، وبعد صلبه بيومين ثارت القلعة على الزوافض وعمدوا إلى قبر رجل منهم بباب الصنير يقال له وثب فنبشوه وصلبوه مع كلين ، وذلك في ربيع الآخر منها .

وفيهما وقعت فتنة كبيرة ببلاد خراسان ، وكان سببها أن نحر الدين محمد بن عمر الرازي وفد إلى الملك غياث الدين النورى صاحب غزنة ، فأكرمه وبنى له مدرسة بهراء ، وكان أكثر التوروية كرامة فأبغضوا الرازي وأحروا إيماده عن الملك ، فجمعوا له جماعة من الفقهاء الحنفية والكرامية وخلعوا من الشافعية ، وحضر ابن القنوة وكان شيخاً معظماً في الناس ، وهو على مذهب ابن كرام وابن الميهم

فتناظر هو والرازي ، وخرجا من المناظرة إلى السب والشتم ، فلما كان من القصد اجتمع الناس في المسجد الجامع ، وطام واعظ فتكلم فقال في خطبته : أيها الناس ، إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله ﷺ ، وأما علم ارسطاطاليس وكفریات ابن سینا وفلسفة الفارابی وما تلبس به الرازي فإنا لا نعلمها ولا نقول بها ، وإنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، ولأى شيء يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الاسلام ينب عن دين الله وسنة رسوله ، على لسان متكلم ليس معه على ما يقول دليل . قال فبكى الناس وضجوا وبكت الكرامية واستغاثوا ، وأعطتهم على ذلك قوم من خواص الناس ، وأنهبوا إلى الملك صورة ما وقع ، فأمر بإخراج الرازي من بلاده ، وعاد إلى هراءه ، فلهذا أشرب قلب الرازي بنض الكرامية ، وصار يلهج بهم في كلامه في كل موطن ومكان .

وفيها رضى الخليفة عن أبي الفرج ابن الجوزي شيخ الوعاظ ، وقد كان أخرجه من بغداد إلى واسط فأقام بها خمس سنين ، فانتفع به أهلها واشتغلوا عليه واستفادوا منه ، فلما عاد إلى بغداد خلع عليه الخليفة وأذن له في الوعظ على عادته عند القربة الشريفة المجاورة لقبر معروف ، فكثر الجمع جدا وحضر الخليفة وأشد يوسئد فيما يخاطب به الخليفة :

لا تعطش الروض الذي بليتته • بصوب إنمامك قد روضا
لا تبر عودا أنت قد رضته • حلى لباقى المجد أن ينقضا
إن كان لي ذنب قد جنبته • فاستأف العفوه هب لي الرضا
قد كنت أرجوك لنيل المنى • فالיום لا أطلب إلا الرضا

ومما أنشده يوسئد :

شقيننا بالنوى زما فلما • تلاقينا كأنما ما شقيننا
سخطنا عند ما جئت اليبالي • وما زالت بنا حتى رضينا
ومن لم يجي بعد الموت يوما • فإنا بعد ما متنا حيننا

وفي هذه السنة استمدى الخليفة الناصر قاضي الموصل ضياء الدين ابن الشهرزوري فولاه قضاء قضاء بغداد . وفيها وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الله المنصبي ، وذلك أنه كان يتكلم في مقصورة الخنا بة بالجامع الأموي ، قد ذكر يوما شيئا من العقائد ، فاجتمع القاضى ابن الزكي وضياء الدين الخطيب الدولى بالسلطان المظلم ، والأمير صارم الدين برغش ، فقدمه مجلسا فيها يتملق بمسألة الاستواء على العرش والتزول والحرف والصوت ، فوافق النجم الحنبلى بقية الفقهاء واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه ، واجتمع بقية الفقهاء عليه ، وأزيموه بإزاعات شنيعة لم يلتزمها ، حتى قال له الأمير برغش كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق ؟ قال : نعم ،

فغضب الأمير وأمر بتفنيه من البلد ، فاستنظره ثلاثة أيام فأنظره ، وأرسل يرغش الأسارى من التلمعة فكسروا منبر الحناطية وتسلطت يومئذ صلاة الظهر في محراب الحناطية ، وأخرجت الخزانين والصناديق التي كانت هناك ، وجرت خبطة شديدة ، فمؤذنه من التفتن ما ظهر منها وما بطن ، وكان عقد المجلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي الحجة ، فارتحل المحافظ عبد الفتى إلى بعلبك ثم سار إلى مصر فأواه المحدثون ، فحنوا عليه وأكرموه .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الأمير مجاهد الدين قايماز الرومى ﴾

قائب الموصل المستولى على مملكته أليم ابن استاذ نور الدين أرسلان ، وكان عاقلاً ذكياً بهيماً حنفياً ، وقيل شافعياً ، يحفظ شيئاً كثيراً من التواريخ والحكايات ، وقد أبقي عدة جوامع ومدارس وربط وخانات ، وله صدقات كثيرة دارة ، قال ابن الأثير : وقد كان من محاسن الدنيا .

﴿ أبو الحسن محمد بن جعفر ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الملبس الهاشمي ، قاضى القضاء ببغداد ، بعد ابن النجارى ، كان شافعياً تفقه على أبي الحسن بن اطل وغيره ، وقد ولى القضاء والخطابة بمكة ، وأصله منها ، ولكن ارتحل إلى بغداد فقال منها ما قال من الدنيا ، وآكل به الأمر إلى ما آكل ، ثم إنه عزل عن القضاء بسبب محضر رقم خطه عليه ، وكان فيما قيل مزوراً عليه . فافقه أعلم ، فجلس في منزله حتى مات .

﴿ الشيخ جمال الدين أبو القاسم ﴾

يحيى بن على بن الفضل بن بركة بن فضال ، شيخ الشافعية ببغداد ، تفقه أولاً على سعيد بن محمد الزار مدرس النظامية ، ثم ارتحل إلى خراسان فأخذ عن الشيخ محمد الزبيدى تلميذ الغزالي وعاد إلى بغداد وقد اقتبس علم المناظرة والأصولين ، وساد أهل بغداد وانتفع به الطلبة والعقهاء ، وبقيت له مدرسة فدرس بها وبعده صيته ، وكثرت تلاميذه ، وكان كثير التلاوة وسامع الحديث ، وكان شيخاً حسناً لطيفاً نظيفاً يؤمن شعره :

وإذا أردت منازل الأشراف • فليك بالاسماف والانصاف

وإذا بنا بلغ عليك غفله • والهر فهو له مكاف كلف

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسة ﴾

استهل هذه السنة والملك الأفضل بالجيش المصرى محاصر دمشق لعمه المادل ، وقد قطع عنها الأنهار والميرة ، فلا خبز ولا ماء إلا قليلاً ، وقد تطلول الحال ، وقد خندقوا من أرض القوان إلى الله خندقاً ثلثاً يصل إليهم جيش دمشق ، وجاء فصل الشتاء وكثرت الأمطار والأحوال . فلما دخل شهر صفر قدم الملك الكامل محمد بن المادل على أبيه بمخلق من التركمان ، وعساكر من بلاد

الجزيرة والرها وحران ، فند ذلك انصرف المسافر المصري ، وتفرقوا أيدي سبا ، فرجع الظاهر إلى حلب والأسد إلى حصص ، والأفضل إلى مصر ، وسلم المادل من كيد الأعدى ، بعد ما كان قد عزم على تسليم البلد . وصارت الأمراء الناصرية خلف الأفضل لينعموه من الدخول إلى القاهرة ، وكاتبوا المادل أن يسرع السير إليهم ، قهض إليهم سريعاً فدخل الأفضل مصر وتحصن بقلعة الجبل ، وقد اعتراه الضعف والفتل ، ونزل المادل على البركة وأخذ ملك مصر ونزل إليه ابن أخيه الأفضل خاضعاً ذليلاً ، فأقطعه بلادا من الجزيرة ، وفاء من الشام لسوء السيرة ، ودخل المادل القلعة وأعاد القضاء إلى صدر الدين عبد الملك بن دريس المارداني الكردي ، وأبقى الخطبة والسكة باسم ابن أخيه المنصور ، والمادل مستقل بالأموار ، واستوزر صاحب صفى الدين بن شكر لصرامته وشهامته ، وسيداته وديانته ، وكتب المادل إلى ولده الكامل يستدعيه من بلاد الجزيرة ليجلسه على مصر ، قدم عليه فأكرمه واحترمه وعاقبه والتزمه ، وأحضر الملك القضاء واستغنى في صحة مملكة ابن أخيه المنصور بن العزيز ، وكان ابن عشر سنين ، فأفتوا بأن ولايته لا تصح لأنه متولى عليه ، فند ذلك طلب الأمراء ودعاهم إلى مبايعته فامتنعوا فأرغبههم وأرهبهم ، وقال فيها قال : قد سمعتم ما أفتى به العلماء ، وقد علمتم أن نفور المسلمين لا يحفظها الأطفال الصغار ، وإنما يحفظها الملوك الكبار ، فأذعنوا عند ذلك وبايعوه ، ثم من بعده لولده الكامل ، فخطب الخطباء بذلك بعد الخليفة لهما ، وضربت السكة باسمها ، واستقرت دمشق باسم المظفر عيسى بن المادل ، ومصر باسم الكامل .

وفي شوال رجع إلى دمشق الأمير ملك الدين أبو منصور سليمان بن مسرور بن جلوك ، وهو آخر الملك المادل لأمه ، وهو واقف الفلكية داخل باب الفراديس ، وبها قبره ، فأقام بها محترماً معظماً إلى أن توفي في هذه السنة . وفيها وفي التي يسدها كان بغير مصر غلاء شديد ، فهلك بسببه الفتي والفقير ، وهرب الناس منها نحو الشام فلم يصل إليها إلا القليل ، وتحفظهم الفرنج من الطرقات وغروهم من أنفسهم واغتالروهم بالقليل من الأقوات ، وأما بلاد العراق فانه كان مرخصاً . قال ابن الساعي : وفي هذه السنة باض ديك ييخداد فسألت جماعة عن ذلك فأخبروني به .
ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ السلطان علاء الدين خوارزم شاه ﴾

ابن تكتش بن ألب رسلان من ولد طاهر بن الحسين ، وهو صاحب خوارزم وبعض بلاد خراسان والري وغيرها من الأقاليم المتتمة ، وهو الذي قطع دولة السلاجقة ، كان علاءاً حسن السيرة له معرفة جيدة بالموسيقى ، حسن المعاشرة ، قتها على منعب أبي خيفة ، ويعرف الأصول ، وبنى

للحنفية مدرسة عظيمة ، ودفن بقرية بناها بخوارزم ، وقام في الملك من بعده وله علاه الدين محمد ، وكان قبل ذلك يلقب بقطب الدين . وفيها قتل وزير السلطان خوارزم شاه المذكور .

(نظام الدين مسعود بن علي)

وكان حسن السيرة ، شافى المذهب ، له مدرسة عظيمة بخوارزم ، وجامع هائل ، وبني بمر وجامعاً عظيماً للشافعية ، فحسنتهم الحنابلة^(١) وشيخهم بها يقال له شيخ الاسلام ، فيقال إنهم أحرقوه وهذا إنما يحمل عليه قلة الدين والعقل ، فأغرمهم السلطان خوارزم شاه ما غرم الوزير علي بنائه . وفيها توفي الشيخ المسند الممر ورحلة الوقت .

(أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب)

ابن صدقة بن الغضن بن كليب الحرائي الأصل البغدادى المولود بالبهار والوفاء ، من ست وتسعين سنة ، سمع الكثير وأسمع ، وفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، وكان من أعيان التجار وفوى الثروة

(الفقيه محمد الدين)

أبو محمد بن طاهر بن نصر بن جميل ، مدرس القنس أول من درس بالصلاحية ، وهو والده الفقيه ابن جميل الدين ، كانوا بالمدرسة الجاروخية ، ثم صاروا إلى المهادية والقماعية في أيامنا هذه ، ثم ماتوا ولم يبق إلا شرحهم .

(الأمير صارم الدين قايماز)

ابن عبد الله النجى ، كان من أكابر الدولة الصلاحية ، كان عند صلاح الدين بمنزلة الاستاذ ، وهو الذى تسلم القصر حين مات العاضد ، فحصل له أموال جزيلة جداً ، وكان كثير الصدقات والأوقاف ، تصدق في يوم بسبعة آلاف دينار عينا ، وهو واقف المدرسة القيازية ، شرق القلعة ، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير ، وله بها حرام ، فاشترى ذلك الملك الأشرف فيما بعد وبنها دار حديث ، وأغرب الحرام وبناه مسكناً للشيخ المدرس بها . ولما توفي قياز ودفن في قبره نبشت دورته وحواصله ، وكان متبهاً بمال جزيل ، فتحصل ما جمع من ذلك مائة ألف دينار وكان يظن أن عنده أكثر من ذلك ، وكان يدفن أمواله في الخراب من أراضي ضياعه وقرياه ، ساعه الله .

(الأمير لؤلؤ)

أحد المحجabin البليار المصرية ، كان من أكابر الأمراء في أيام صلاح الدين ، وهو الذى كان متسلماً الأسطول في البحر ، فكم من شجاع قد أسر ، وكم من مركب قد كسر ، وقد كان مع كثرة جهاده دار (١) له الحنفية فانه ليس بمر وحنابلة والله سبحانه أعلم . ولكن ابن الأثير قد وافق المؤلف .

الصدقات ، كثير النعمات في كل يوم ، وقع غلام بمصر فتصدق باثني عشر ألفاً رغيف ، لاثنى عشر ألف فوس .

(الشيخ شهاب الدين الطوسي)

أحد مشايخ الشافعية بدير مصر ، شيخ المدرسة المنسوبة إلى تقي الدين شاهنشاه بن أبوب ، التي يقال لها منازل اليرز ، وهو من أصحاب محمد بن يحيى تلميذ النزالي ، كان له قدر وميزة عند ملوك مصر ، يأمرهم بالبروف وينهاهم عن المنكر ، توفي في هذه السنة ، فازدحم الناس على جنازته ، وتأسفوا عليه .

(الشيخ ظهير الدين عبد السلام الفارسي)

شيخ الشافعية بمحلب ، أخذ الفقه عن محمد بن يحيى تلميذ النزالي ، وتعلم الفرائض ، ورحل إلى مصر وعرض عليه أن يدرس بترية الشافعي فلم يقبل ، فرجع إلى حلب فأقام بها إلى أن مات .

(الشيخ العلامة بدر الدين ابن عسكر)

رئيس الحنفية بدمشق ، قال أبو شامة : ويرف بابن القادة .

(الشاعر أبو الحسن) علي بن نصر بن عقيل بن أحمد بن دادي ، قدم دمشق في سنة خمس وتسعين وخمسة ، وممدودان شعر له فيه درحسان ، وقد تصدى لمصح الملك الأنجده صاحب بعلبك وله :

وما الناس إلا كلل الحظ ناقص * وآخر منهم ناقص الحظ كلل

وإني لمر من خيار أفعى * وإن لم يكن عندي من المال كلل

وفيها توفي القاضي الفاضل ، الامام العلامة شيخ الفصحاء والبلغاء .

(أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف)

أبي المجد علي بن الحسن بن البيهقي المولى الأجل القاضي الفاضل ، كان أبوه قاضياً باستقلال فأرسل ولده في الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية ، فاشتغل بها بكتابة الانشاء على أبي الفتح قادوس وغيره ، فساد أهل البلاد حتى بغداد ، ولم يكن له في زمانه نظير ، ولا فية بعده إلى وقتنا هذا مثيل ، ولما استقر الملك صلاح الدين بمصر جعله كاتبه وصاحبه ووزيره وجليسه وأمينه ، وكان أعز عليه من أهله وأولاده ، وتساعدا حتى فتح الأقاليم والبلاد ، هنا بحسبه وسنانه ، وهذا بقله ولسانه وبيانه وقد كان الفاضل من كثرة أمواله كثير الصدقات والصلوات والصيام والعبادة ، وكان يراظ كل يوم وليلة على ختمة كلمة ، مع ما يزيد عليها من نافعة ، رحيم القلب حسن السيرة ، طاهر القلب والسريرة له مدرسة بدير مصر على الشافعية والمالكية ، وأوقف على تخليص الأسارى من يدي النصارى ، وقد اتقن من الكتب نحواً من مائة ألف كتاب ، وهذا شيء لم يفرح به أحد من الوزراء والالمام ولا الملوك ، وله في سنة ثنتين وخمسة ، توفي يوم دخل الماعل إلى قصر مصر بمدرسته فجأة يوم

الثلاثاء سالحس ربيع الآخر ، واحتفل الناس بمجنزته ، وزار قبره في اليوم الثاني الملك العادل ، وتأسف عليه ، ثم استوزر العادل صفى الدين بن شكر ، فلما سمع الفاضل بذلك دعا الله أن لا يحميه إلى هذه الدولة لما بينهما من المنافسة ، فلت ولم ينله أحد بضم ولا أذى ، ولا رأى في الدولة من هو أكبر منه ، وقد رآه الشراء بأشعار حسنة ، منها قول القاضي هبة الله بن سناء الملك :

عبد الرحيم على البرية رحمة • أمنت بصحتها حول عقابها
يا سائل عنه وعن أسبابه • نال السماء فله عن أسبابها
وأنته خاطبة إليه وزارة • ولطال ما أعييت على خطابها
وأنت سعادته إلى أبوابه • لا كالذي يسمى إلى أبوابها
تمنو الملوك لوجهه بوجهها • لا بل تساق لبابه برطبها
شغل الملوك بما يزول وضه • مشغولة بالذكر في محرابها
في الصوم والصلوات أنسب نفسه • وضأن راحته على إقامتها
وتسجل الاقلاع عن لذاته • ثقة بحسن مآلها ومآبها
فلتفخر الدنيا بسائس ملكها • منه ودارس عليها وكتابها
صوامها قوامها علامها • عملها بذالها وهابها

والمجب أن الفاضل مع براعته ليس له قصيدة طويلة ، وإنما له ما بين البيت والبيتين في أثناء رسائله وغيرها شيء كثير جدا ، فن ذلك قوله :

سقم بسداء الجليل تكمأ • وما مثلكم فيمن يحدث أويحيى
وكلن غنى أن أسأبكم به • ولكن يلت قبلي فتهيج لي البكا
وله : ولي صاحب ما خفت من جور حادث • من الدهر إلا كلن لي من ورائه
إذا عصفى صرف الزمان فأننى • برأيت أسطو عليه ورائه
وله في بدو أمره :

أرى الكتاب كلهم جميعا • بأرزاق تمهم سنينا
ومال بينهم رزق كافي • خلقت من الكرام الكاتيينا
وله في النحلة والزقطة :

ومردين قيلولوا في مجلس • منماها لأذاها الأقوام
هنا يهود بمكس ما يأتي به • هنا فيحمد ذا وذلك يلام
بنا على حال تسر الموى • لكنه لا يمكن الشرح
وله :

برأينا الليل وقتلنا له • إن غبت عنا هم الصبح
وأرسلت جارية من جوارى الملك العزيز إلى الملك العزيز رزاً من ذهب مغلف بمنبر أسود ،
فسأل الملك الفاضل عن معنى ما أراحت بإرساله فأنشأ يقول :

أهدت لك المنبر في وسطه • زر من المنبر رقيق العمام
فالزر في المنبر منهاها • زرهكنا غنغنيا في الظلام

قال ابن خلكان : وقد اختلف في لقبه فقيل عى الدين وقيل مجير الدين ، وحكى عن حمارة
الجبني أنه كان يذكر جميل وأن العادل بل الصالح هو الذى استقدمه من الاسكندرية ، وقد كان
ممدودا في حسنة . وقد بسط ابن خلكان ترجمته بنحو ما ذكرنا ، وفي هذه زيادة كثيرة والله أعلم
﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسة ﴾

فيها اشتد الفلاء بأرض مصر جدا ، فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والأغنياء ، ثم أعقبه
فناء عظيم ، حتى حكى الشيخ أبو شامة في القليل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة
نحواً من مائتى ألف ، وعشرين ألف ميت ، وأكلت الكلاب والمبيلات فيها بمصر ، وأكل من
الصغار والأطفال خلق كثير ، يشوى الصغير والهاء ويأكلانه ، وكثر هذا في الناس جدا حتى صار
لا يشكر بينهم ، فلما فرغت الأطفال والمبيلات غلب القوى الضعيف فقبحه وأكله ، وكان الرجل
يحتال على التقير فيأتى به ليطعمه أو ليطعمه شيئا ، ثم يذبحه ويأكله ، وكان أحدم يذبح امرأته ويأكلها
وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى ، بل يمدح بعضهم بعضاً ، ووجد عند بعضهم أربعائة رأس
وهلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى ، فكأنوا يذبحون ويؤكلون ، كان الرجل
يستدعى الطبيب ثم يذبحه ويأكله ، وقد استدعى رجل طبيباً حاذقاً وكان الرجل موسراً من أهل
المال ، فذهب للطبيب معه على وجل وخوف ، فجعل الرجل يتصدق على من لقبه في الطريق ويذكر
الله ويسبحه ، ويكثر من ذلك ، فارتاب به الطبيب وفخيل منه ، ومع هذا حمله الطعم على الاستمرار
معه حتى دخل داره ، فإذا هي خربة فارتاب الطبيب أيضاً فخرج صاحبه فقال له : ومع هذا البطء
جئت لنا بعيد ، فلما سمعها الطبيب هرب ففرجا خلفه سراها فما خلاص إلا يمد جهده ومثر .

وفيها وقع وباء شديد ببلاد دعتزة بين الحجاز واليمن ، وكأثروا عشرين قرية ، قبالت منها ثمانى
عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نكر ، وبقيت أنصامهم وأموالهم لا تطفى لها ، ولا يستطيع أحد أن
يسكن تلك القرى ولا يدخلها ، بل كان من اقترب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته ،
نحو بالله من أباس الله وعذابه ، وغضبه وعقابه ، أما للترينان الباقيتان فهما لم يمت منهما أحد
ولا عندهم شعور بما جرى أهل من حولهم ، بل هم على حالهم لم يتقدم منهم أحد فسيبجان الحكيم العليم .

واختفى باليمن في هذه السنة كائنة غريبة جدا ، وهي أن رجلا يقال له عبد الله بن حمزة العلوي كان قد تغلب على كثير من بلاد اليمن ، وجمع نحواً من اثني عشر ألف فارس ، ومن الرجالة جمعا كثيرا ، وخافه ملك اليمن إسماعيل بن طفتكين بن أيوب ، وغلب على ظنه زوال ملكه على يدي هذا الرجل ، وأيقن بالملك لضعفه عن مقاومته ، واختلاف أمراءه منه في المشورة ، فأرسل الله صاعقة قزلت عليهم فلم يبق منهم أحد سوى طائفة من الخيالة والرجالة ، اختلف جيشه فيما بينهم ففشيهم المعز قتل منهم ستة آلاف ، واستقر في ملكه آمنا .

وفيها تكاتب الاخوان الأفضل من سرخند والظاهر من حلب على أن يجتمعا على حصار دمشق وينزعاها من المظفر بن العادل ، وتكون للأفضل ، ثم يسيرا إلى مصر فيأخذها من العادل وابنه الكامل الذين قضا العهد وأبطلا خطبة المنصور ، ونكثا الموائيق ، فإذا أخذنا مصر كانت للأفضل وتصير دمشق مضافة إلى الظاهر مع حلب ، فلما بلغ العادل ما تملاّح عليه أرسل جيشا مددا لابنه المظفر عيسى إلى دمشق ، فوصلوا إليها قبل وصول الظاهر وأخيه إليها ، وكان وصولهما إليها في ذى القعدة من ناحية بعلبك ، قزلا على مسجد القدم واشتد الحصار لبك ، وتسلف كثير من الجيش من ناحية خان القدم ، ولم يبق إلا فتح البك ، لولا هجوم الليل ، ثم إن الظاهر بدله في كون دمشق للأفضل فرأى أن تكون له أولا ، ثم إذا تحت مصر تسلمها الأفضل ، فأرسل إليه في ذلك فلم يقبل الأفضل ، فاختلعا وقررت كلمتهما ، وتنازعا الملك بدمشق ، ففرقت الأمراء عنهما ، وكتب العادل في الصلح فأرسل يجيب إلى ما سألا وزاد في إقطاعها شيئا من بلاد الجزيرة ، وبعض معاملة المرة . وقررت المسألة عن دمشق في محرم سنة ثمان وتسعين ، وصار كل منهما إلى ما تسلم من البلاد التي أقطعا ، وجرى خطوط يطول شرحها ، وقد كان الظاهر وأخوه كتبوا إلى صاحب الموصل نور الدين أرسلان الأتابكي أن يحاصر مدن الجزيرة التي مع عهدهما العادل ، فركب في جيشه وأرسل إلى ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار ، واجتمع متهما صاحب ماردين الذي كان العادل قد حاصره وضيق عليه مدة طويلة ، فقصصت المسألة حرا ، وبها الفاتح بن العادل ، فحاصروه مدة ، ثم لما بلغهم وقوع الصلح عدلوا إلى المصلحة ، وذلك بعد طلب الفاتح ذلك منهم ، وتهدت الأمور واستقرت على ما كانت عليه .

وفيها ملك غيث الدين وأخوه شهاب الدين التورين جميع ما كان ملك خوارزم شاه من البهتان والحوصل والأموال ، وجرى لهم خطوط طويلة جدا . وفيها كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق ، وكان جبهورها وعظمها بالشام تهمت منها دور كثيرة ، وتغربت محال كثيرة ، وخسف قرية من أرض بصرى ، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء

كثير، وأخر بتجمل كثير من طرابلس وصور وعكا ونا بلس ، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامرة ومات بها وبقراها ثلاثون ألفاً تحت الردم ، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بدمشق بجماعها ، وأربع عشرة شرافة منه ، وغالب الكلاسة والملاستان النوري ، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون وسقط غالب قلعة ببلبك مع وثافة بنياتها ، وانفرد البحر إلى قبرص وقد حنق بالمرأكب منه إلى ساحله ، وتمدى إلى ناحية الشرق فسقط بسبب ذلك دور كثيرة ، ومات أمم لا يحصون ولا يمدون حتى قال صاحب مرآة الزمان : إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزال نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان قتلاً تميتها ، وقيل إن أحداً لم يخلص من مات فيها والله سبحانه أعلم .

وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ عبد الرحمن بن علي ﴾

ابن محمد بن علي بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي — نسبة إلى فريضة نهر البصرة — ابن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي ، القريش التميمي البغدادى الحنبلى ، أحد أفراد العلماء ، برز في علوم كثيرة ، واغترد بها عن غيره ، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف ، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد ، وغرر في الوعظ القوي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله ، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيمه وتفوذ وعظه وقوصه على المائات البديسة ، وقريبه الأشياء الفريضة فيما يشاهد من الأمور الحسية ، بمباراة وجيزة مريضة الفهم والادراك ، بحيث يجمع المائات الكثيرة في الكلمة اليسيرة ، وهذا وله في العلوم كلها اليد الطولى ، والمشاركت في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من الفقه والنحو ، وله من المصنفات في ذلك ما يضيئ هذا المكان عن تعدادها ، وحصر أفرادها ، منها كتابه في التفسير المشهور بزاد المسير ، وله تفسير أبسط منه ولكنه ليس بمشهور ، وله جامع المسانيد استوعب به غالب مستند أحمد ومحيى البخارى ومسلم وجامع الترمذى ، وله كتاب المنتظم في تاريخ الأمم من العرب والعجم في عشرين مجلداً ، قد أوردنا في كتابنا هذا كثيراً منه من حوادثه وتراجمه ، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخاً ، وما أحقه بقول الشاعر :

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً • حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

وله مقامات وخطب ، وله الأحاديث الموضوعة ، وله الملل المنتهية في الأحاديث الزاهية ، وغير ذلك . وله سنة عشر وخمسة ، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين ، وكان أهله قهاراً في النحس ، فلما ترمع جامت به عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ ، فزعم الشيخ وقرأ عليه وسمع عليه

الحديث وثقته بإبن الزاغوني ، وحفظ الوعظ ووعظ وهو ابن عشرين سنة أو دونها ، وأخذ الفقه عن أبي منصور الجوالقي ، وكان وهو صبي ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة ، ولا يخرج من بيته إلا الجمعة ، وكان لا يلعب مع الصبيان ، وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمرأء والعلماء والقراء ، ومن سائر صنوف بني آدم يؤاقل ما كان يجتمع في مجلس وعظه عشرة آلاف ، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون ، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظماً ونثراً ، وبالجملة كان أستاذاً فرداً في الوعظ وغيره ، وقد كان فيه بهاء وترفع في نفسه وإعجاب وصحو بنفسه أكثر من مقامه ، وذلك ظاهر في كلامه في نثره وفظه ، فمن ذلك قوله :

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا • وأكابد التهج السير الأطولا
تجري بي الآمال في حلياته • جرى السعيد مدى ما أملأ
أففى بي التوفيق فيه إلى القى • أعبأ سوى توصلًا وتغفلا
لو كان هذا العلم شخصاً ملحقاً • وسأته هل زار مثلي ؟ قال : لا
ومن شعره وقيل هو لنهره :

إذا قنعت بميسور من القوت • بقيت في الناس حراً غير ممقوت
يا قوت بوي إنأما در حلقك لي • فلست آسى على در ويقوت

وله من النظم والنثر شيء كثير جداً ، وله كتاب سماه لقط الجمان في كل مكان ، ومن لطائف كلامه قوله في الحديث « أعمار أمي ما بين الستين إلى السبعين » إنما طالت أعمار من قبلنا لطول البداية ، فلما شارب الركب به الإقامة قيل لهم حثوا المولى ، وقال له رجل أعبأ أفضل ؟ أجلس أسبح أو أستغفر ؟ فقال الثوب الوسخ أحوج إلى البخور . وسئل عمر أوصى وهو في السياق قال : هذا طين سطحه في كانون . والتفت إلى ناحية الخليفة المستنصر وهو في الوعظ قال : يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك ، وإن سكوت خفت عليك ، وإن قول القائل لك اتق الله خير لك من قوله لكم إنكم أهل بيت مغفور لكم ، كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغت عن عمل لي أنه ظلم فلم أغيره ، فأنا الظالم ، يا أمير المؤمنين . وكان يوسف لا يشبع في زمن التقط حتى لا ينسى الجائع ، وكان عمر يضرب بطنه علم الرماة ويقول قرقرا ولا تفرقا ، والله لا ذاق عمر سمناً ولا سمناً حتى ينضب الناس . قال فبكي المستنصر . وتصدق بحال كثير ، وأطلق الحاييس وكسى خلقاً من القراء . وله ابن الجوزي في حدود سنة عشر وخمسة كما هتم ، وكانت وفاته ليلة الجمعة بين العاشرين الثاني عشر من رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبع وثمانون سنة ، وحملت جنازته على رؤس الناس ، وكان الجمع كثيراً جداً ، ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الامام أحمد ، وكان يوماً

مشهوداً ، حتى قيل : إنه أضر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة الحر ، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذه الآيات :

يا كثير الضو لن • كثرت الذنوب لديه • جارك المذنب يرجو الله • فح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء • غنيف إحسان إليه

وقد كان له من الأولاد الذكور ثلاثة: عبد المزيـ - وهو أ كبرم - ملت شالما في حياة والده في سنة أربع وخسين ، ثم أبو القاسم علي ، وقد كان عاقا لوالده إلبا عليه في زمن الحنة وغيرها ، وقد تسلط على كتبه في غيبته بواسط فياعها بأخض الثمن ، ثم محي الدين يوسف ، وكان أعجب أولاده وأصغرهم ولد سنة ثمانين ووعظ بعد أبيه ، واشتغل وحرر وأهقن وساد أقرانه ، ثم باشر حسة بغداد ، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملك بأطراف البلاد ، ولا سيبا بنى أربب بالشام ، وقد حصل منهم من الأموال والكرامات ما ابتقى به المدرسة الجوزية بالنشابين بدمشق ، وما أوقف عليها ، ثم حصل له من سائر الملوك أموالا جزيلة ، ثم صار أستاذ دار الخليفة المستنصر في سنة أربعين وسبعمائة ، واستمر مباشرها إلى أن قتل مع الخليفة عام هارون تركي بن جنكيزخان ، وكان لأبي الفرج عدة بنات منهن رابعة أم سبطه أبي المظفر بن مزعل صاحب مرآة الزمان ، وهي من أجمع التواريخ وأكثرها فائدة ، وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات فأثنى عليه وشكر تصانيفه وعلومه .

﴿ إلماد الكتاب الأصبهاني ﴾

محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن الله - بتشديد اللام وضما - ، المعروف بإلماد الكتاب الأصبهاني ، صاحب المصنفات والرسائل ، وهو قرين القاضي الفاضل ، واشتهر في زمنه ، ومن أشهر في زمن الفاضل فهو فاضل ، ولد بأصبهان في سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وقدم بغداد فاشتغل بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن الرزاز مدرس النظمية ، وسمع الحديث ثم رحل إلى الشام فخطب عند الملك نور الدين محمود بن زنكي ، وكتب بين يديه وولاه المدرسة التي أنشأها داخل باب الفرج التي يقال لها الميادية ، فبسة إلى سكنه بها وإقامته فيها ، وتدرسه بها ، لأنه أنه أنشأها وإنما أنشأها نور الدين محمود ، ولم يكن هو أول من درس بها ، بل قد سبقه إلى تدريسها غير واحد ، كما تقدم في ترجمة نور الدين ، ثم صار إلماد كاتبا في الدولة الصلاحية وكان الفاضل يثني عليه ويشكره ، قالوا : وكان منطوقه يتره جود وقرة ، وقريحته في غاية الجودة والحدة ، وقد قال القاضي الفاضل لأصحابه يوماً : قولوا فتكلموا وشبهوه في هذه الصفة بصفات فلم يقلها القاضي ، وقال : هو كالزناد ظاهره يرد وداخله نار ، وله من المصنفات الجريئة جريدة النصر في شراء مصر والفتح القديسي ، والبرق السامي وغير ذلك من المصنفات المسجدة ، والمبارات المتنوعة

والتصايد المطولة . توفي في مستهل رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بمقابر الصوفية .

٨ (الأمير بهاء الدين قراقوش)

الفعل الخصى ، أحد كبار كتاب أمراء الدولة الصلاحية ، كان شهيداً شجاعاً فائقاً ، تسلم القصر لما مات الماضد وعمر سور القاهرة محيطاً على مصر أيضاً ، وانتهى إلى القسم وهو المكان الذي اقتسمت فيه الصحابة ما غنموا من الديار المصرية ، وبنى قلعة الجبل ، وكان صلاح الدين سله عكالي عمر فيها أما كن كثيرة فوق الحصار وهو بها ، فلما خرج البديل منها كان هو من جملة من خرج ، ثم دخلها ابن المشطوب . وقد ذكر أنه أسر فاقنقى نفسه بمشرة آلاف دينار ، وعاد إلى صلاح الدين ففرح به فرحاً شديداً ، ولما توفي في هذه السنة احتاط العادل على تركته وصارت أقطاعه وأملاكه للملك الكامل محمد بن المادلي . قال ابن خلكان : وقد نسب إليه أحكام مجيبة ، حتى صنف بعضهم جزءاً لطيفاً سماه كتاب الفاشوش في أحكام قراقوش ، فذكر أشياء كثيرة جداً ، وأغلبها موضوعة عليه ، فإن الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه ، فكيف يعتمد على من يهينه الثابة والله أعلم .

(مكلبة بن عبد الله المستعدي)

كان تركياً عابداً زاهداً ، سمع المؤذن وقت السحر وهو يشد على المنارة :

يا رجال الليل جنوا • رب صوت لا يد

ما يقوم الليل إلا • من له عزم وجد

فبكى مكلبة وقال للمؤذن يا مؤذن زدنى ، قال :

قد مضى الليل وولى • وحيي قد فخلا

فصرخ مكلبة صرخة كان فيها حنقه ، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابه فأسيد منهم

من وصل إلى نفسه رحمه الله تعالى .

(أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع)

المركسي ببغداد ، ويعرف بابن قطة ، كان يدور في أسواق بغداد بالتهار يشد كلن وكان والموالي ، ويسحر الناس في ليالي رمضان ، وكان مطبوعاً غريفاً خليفاً ، وكان أخوه الشيخ عبد الله الزاهد من أكابر الصالحين ، له زاوية ببغداد يزار فيها ، وكان له أتباع ومريدون ، ولا يدخر شيئاً يحصل له من الفتح ، تصدق في ليلة بألف دينار وأصحابه صيام لم يدخر منها شيئاً لمشائهم ، وزوجته أم الخليفة بجارية من خواصها وجهزتها بمشرة آلاف دينار إليه فاحال الحول وبعدهم من ذلك شيء سوى هاون ، فوقف سائل يباهي بالطلب فأخرج إليه الهاون قال : خذ هذا وكل به ثلاثين يوماً ، ولا تسأل الناس ولا تشنع على الله عز وجل . هذا الرجل من خيار الصالحين ، والمقصود أنه قال لأخيه أبي

منصور : ويحك أنت تدمر في الأسواق وتنشد الأشعار وأخوك من قد عرف ؟ فأنشأ يقول في جواب ذلك بيتين مواليا من شعره على البسطة :

قد خلب من شبه الجزعة إلى درة • وقلص قعبة إلى مستحبة حرة

أنا متنى وأخى زاهد إلى صرة • في الهد يرى ذى حلو تودى مره

وقد جرى عنده مرة ذكر قتل عثمان وعلى حاضر ، فأنشأ يقول كلن وكلن ، ومن قتل في جواره مثل ابن عفان فاعتنر ، يجب عليه أن يقبل في الشام عن يريده ، فأرادت الروافض قتله فاتفق أنه بعض القبائل يسحر الناس في رمضان إذ مر بدار الخليفة فمطس الخليفة في الطارقة فشمته أبو منصور هذا من الطريق ، فأرسل إليه مائة دينار ، ورسم بحمايته من الروافض ، إلى أن مات في هذه السنة رحمه الله . وفيها توفي مسند الشام .

(أبو طاهر بكركت بن إبراهيم بن طاهر)

الخشوعي ، شارك ابن عساكر في كثير من مشيخته ، وطالت حياته بعد وفاته بسبع وعشرين سنة فألحق فيها الأحفاد بالأجداد .

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسة)

فيها شرع الشيخ أبو عمر محمد بن قدامة بالي المدرسة بسفح قايسون ، في بناء المسجد الجامع بالسفح ، فاتفق عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الناصي ، حتى بلغ البناء مقدار ثمانية فنفذ ما عنده ، وما كان معه من المال ، فأرسل الملك المظفر كوكري بن زين الدين صاحب إربل مالا جزيلا ليتمه به ، فكل وأرسل ألف دينار ليساق بها إليه الماء من بردى ، فلم يمكن من ذلك الملك المظفر صاحب دمشق ، واعتذر بأن هذا فرش قبور كثيرة للمسلمين ، فصنع له بئر وبئر يدور ، ووقف عليه وقفاً فلك . وفيها كانت حروب كثيرة وخطوب طويلة بين الخوارزمية والتمورية ببلاد المشرق بسطها ابن الأثير واختصرها ابن كثير . وفيها درس بالنظامية مجد الدين يحيى بن الربيع وخلع عليه خلة سنية سوداء وطرحه كحل ، وحضر عنده العلماء والأعيان . وفيها تولى القضاء ببغداد أبو الحسن علي بن سليمان الجبلي وخلع عليه أيضاً .

وفيها توفي من الأعيان (القاضي ابن الزكي)

محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد العزيز أبو المعالي القرشي ، محيي الدين قاضي قضاة دمشق وكل منها كلن فاضيا أبوه وجهه وأبوجه يحيى بن علي ، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم ، وكان هوجو الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه ، وقد ترجمه ابن عساكر في التاريخ ولم يزد على القرشي . قال الشيخ أبو شامة : ولو كان أموياً عثمانياً كآبرهمون لذكر ذلك ابن عساكر ، إذ كلن فيه شرف لجه

وخاليه محمد وسلطان ، فلو كان ذلك صحيحاً لما خفي على ابن عساكر ، اشتغل ابن الزكي على القاضي شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون ، وناب عنه في الحكم ، وهو أول من ترك النيابة ، وهو أول من خطب بالقدس لما فتح كما قدم ، ثم تولى قضاء دمشق وأضيف إليه قضاء حلب أيضاً ، وكان فاضلاً أوقف الجامع ، وعزل عنها قبل وفاته بشهور ، وولها شمس الدين بن العيش ضامناً ، وقد كان ابن الزكي ينهى الطلبة عن الاشتغال بالنطق وعلم الكلام ، ويمزق كتب من كان عنده شيء من ذلك بالمدرسة النورية ، وكان يحفظ العقيدة المسماة بالمصباح الفزائي ، ويحفظها أولاده أيضاً ، وكان له درس في التفسير يذكره بالكلاسة ، تجاه تربة صلاح الدين ، ووقع بينه وبين الاسماعيلية فأرادوا قتله فأخذ له باباً من داره إلى الجامع ليخرج منه إلى الصلاة ، ثم إنه خوطب في عقده ، فكان يمتريه شبه الصرع إلى أن توفي في شبان من هذه السنة ، ودفن بتربته بسفح قايسون ويقال إن الحافظ عبد النبي دعا عليه فحصل له هذا الأداء المضال ، ومات ، وكذلك الخطيب الهولمي توفي فيها وهما الإندان ظاماً على الحافظ عبد النبي فاما في هذه السنة ، فكانت عبرة لنيرهما .

﴿ الخطيب الهولمي ﴾

ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين التلملي الهولمي ، نسبة إلى قرية بالموصل ، يقال لها الهولمية ، ولد بها في سنة ثمان عشرة وخمسةائة ، وتفقّه ببغداد على منهج الشافعي وسمع الحديث فسمع الترمذي على أبي الفتح الكروجي ، والنسائي على أبي الحسن علي بن أحمد البردي ثم قدم دمشق فولى بها الخطابة وتدرّس الفزائية ، وكان زاهداً متورعاً حسن الطريقة مهيباً في الحق ، توفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الأول ، ودفن بقبرة بلب الصنير عند قبور الشهداء ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، وتولى بعده الخطابة ولد أخيه محمد بن أبي الفضل بن زيد سبعمائة وثلاثين سنة ، وقبل ولده جمال الدين محمد . وقد كان ابن الزكي ولى ولده الزكي فصل صلاة واحدة فقتل جمال الدين بالأمر علم الدين أخى العادل ، فولاه إيلها فبقى فيها إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

﴿ الشيخ علي بن علي بن عليش ﴾

الحني المأيد الزاهد ، كان مقبلاً شرق الكلاسة ، وكانت له أحوال وكرامات ، نقلها الشيخ علم الدين السخاوي عنه ، ساقها أبو شامة عنه .

﴿ للصدر أبو التناهد حماد بن هبة الله ﴾

ابن حماد الحرائي ، التاجر ، وله سنة إحدى عشرة عام نور الدين الشهيد ، وسمع الحديث ببغداد ومصر وغيرها من البلاد ، وتوفي في ذى الحجة ، ومن شعره قوله :
تنقل المرء في الآفاق يكسبه * علمنا لم يكن منها بيلته

أما ترى البيدق الشطرنج أكبه * حسن التنقل حسنا فوق زيتته

﴿ يغشابت عبد الله ﴾

الست الجليلة

عتيقة المستضيء ، كانت من أكبر حظايله ، ثم صارت بعده من أكثر الناس صدقة وبراً وإحساناً إلى العلماء والفقراء ، لها عند تربتها ببغداد تربة مروفة الكرخى صدقات وبر .

﴿ ابن المحاسب الشاعر أبو السكر ﴾

محمود بن سليمان بن سعيد الموصلى يعرف بابن المحاسب ، تفقه ببغداد ثم سافر إلى البلاد وصحب ابن الشهر زورى وقسم ماله ، فلما ولي قضاء بغداد ولاء نظر أوكاف النظامية ، وكان يقول الشعر ، وله أشعار في الحر لا خير فيها تركها تنزهها عن ذلك ، وتقنوا لها .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة ﴾

قال سبط ابن الجوزى في مرآته : في ليلة السبت سلخ الحرم هاجت النجوم في السماء وماجت شرقاً وغرباً ، وتطارت كليراد المنشرة بمنا وشيلاً ، قال : ولم ير مثل هذا الا في عام المبعث ، وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين . وفيها شرع بعمارة سوق قلعة دمشق وابتدئ ببرج الزاوية الغربية القبلىة المجاور لباب النصر . وفيها أرسل الخليفة الناصر انطلق وسراويلات الفتوة إلى الملك العادل وبنيه . وفيها بعث الملك العادل ولده موسى الأشرف لمحاصرة ماردين ، وساعده جيش منجبار والموصل ثم وقع الصلح على يدى الظاهر ، على أن يجعل صاحب ماردين في كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وأن تكون السكة والخليفة للعادل ، وأنه متى طلبه بمحيث يحضر إليه . وفيها كل بناء وباطل المورياتية ، وولى الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد الشهر زورى ، ومعه جماعة من الصوفية ، ورتب لهم من المعلوم والجراية ما يفتنى لثلمهم . وفيها احتج الملك العادل على محمد بن الملك العزيز وإخوته وسيرهم إلى الرها خوفاً من آفاتهم بمصر . وفيها استنحوت الكرج على مدينة دوين قتلوا أهلها ونهبوها ، وهى من بلاد آذربيجان ، لاشتغال ملكها بالفسق وشرب الخمر قبحه الله ، ففتحك الكفرة في رقاب المسلمين بسببه ، وذلك كله غل في عنقه يوم القيامة .

﴿ الملك غياث الدين الغورى أخو شهاب الدين ﴾

وفيها توفى

تمام الملك بعده ولده محمود ، وتلقب بلقب أبيه ، وكان غياث الدين عاقلاً حازماً شجاعاً ، لم تمكر له راية مع كثرة حروبه ، وكان شافى المنهب ، ابقى مدرسة هائلة لشافعية ، وكانت سيرته حسنة في غاية الجودة . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ الأمير علم الدين أبو منصور ^(١) ﴾

سليمان بن شيرازة بن جندر أخو الملك العادل لأبيه ، في قاسع عشر من المحرم ، ودفن بداره التى

(١) فى النجوم الزاهرة : سليمان بن جندر .

خطها مدرسة في داخل بلب الفراديس في محلة الافتراس ، ووقف عليها الحام بكلمها تقبل الله منه

﴿ القاضي الضياء الشهرزوري ﴾

أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصل ، قاضي قضاء بغداد ، وهو ابن أخي قاضي قضاء دمشق كمال الدين الشهرزوري ، أيام نور الدين . ولما توفي سنة ست وسبعين في أيام صلاح الدين أوصى لولده أخيه هذا بالقضاء فوليه ، ثم عزل عنه بآمر أبي عسرون ، وعوض بالسفارة إلى الملك ، ثم تولى قضاء بلدة الموصل ، ثم استدعي إلى بغداد فوليه سنتين وأربعة أشهر ، ثم استقال الخليفة فلم يقبله لحظوته عنده ، فاستشفع في زوجته ست الملك على أم الخليفة ، وكان لها مكانة عندها ، فأجيب إلى ذلك فصار إلى قضاء حمه لمحبة ليها ، وكان يعاب عليه ذلك ، وكانت لديه فضائل وله أشعار رائعة ، توفي في حمه في نصف رجب منها .

﴿ عبد الله بن علي بن نصر بن حمزة ﴾

أبو بكر البندادي المعروف بابن الرستانية ، أحد الفضلاء المشهورين . سمع الحديث وجمعه ، وكان طبيباً منجماً يعرف علوم الأوائل وأيام الناس ، وصنف ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ، ورتبه على ثلاثمائة وستين كتاباً إلا أنه لم يشهر ، وجمع سيرة ابن هبيرة ، وقد كان يزعم أنه من سلالة الصديق فتكلموا فيه بسبب ذلك . وأنشد بعضهم :

دع الأنساب لا تعرض لتيب • فان المجن من ولد الصميم

لقد أصبحت من تيم دعيا • كدعوى حيص يهص إلى تيم

﴿ ابن النجا الواعظ ﴾

علي بن إبراهيم بن فحازين الدين أبو الحسن الحمصي ، الواعظ الخليلي ، قدم بغداد فتفقه بها . وسمع الحديث ثم رجع إلى بلده دمشق ، ثم عاد إليها رسولاً من جهة نور الدين في سنة أربع وستين ، وحدث بها ، ثم كانت له حظوة عند صلاح الدين ، وهو الذي تم على عمارة المني وذويه فصلبوا ، وكانت له مكانة بمصر ، وقد تكلم يوم الجمعة التي خطب فيها بالقدس بمد الفراغ من الجمعة ، وكان وقتاً مشهوداً ، وكان يعيش عيشاً أطيب من عيش الملك في الأطعمة والملابس ، وكان عنده أكثر من عشرين سرية من أحسن النساء ، كل واحدة بألف دينار ، فكان يطوف عليهن ويتشاهن . وبعد هذا كله مات فقيراً لم يخلف كفاً ، وقد أنشد وهو على منبره للوزير طلائع بن زريك :

مشيك قد قضى شرح الشلب • وحل الباز في وكر النراب

تمام ومقله الحدان يقتل • وما ناب التواب عنك ناب

فكيف بقاه عمرك وهو كنز • وقد أخفت منه بلا حساب ؟

الشيخ أبو البركات (محمد بن أحمد بن سعيد التكريتي) يعرف بالزويد ، كان أديباً شاعراً . وعما نظمه في الوجيه النحوي حين كان حنبلياً فانتقل حنفياً ، ثم صار شافعيًا ، نظم ذلك في حلقة النحو بالنظامية قال :

ألا مبلغنا عنى الوجيه رسالة * وإن كان لا نجدى لديه الرسائل
تمنعت لثمنان بعد ابن حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت قول الشافعي ديانة * ولكنها تهوى القدى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * إلى مالك فانظر إلى ما أنت قائل ؟

(الست الجليلة زمرد خاتون)

أم الخليفة الناصر لدين الله زوجة المستنصر ، كانت سالحة عابدة كثيرة البر والاحسان والصلات والأوقاف ، وقد بنت لها تربة إلى جانب قبر معروف ، وكانت جنازتها مشهورة جداً ، واستمر النزاه بسببها شهراً ، عاشت في خلافة ولها أربعة وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة الأوامر .

وفيهما كان مولد الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، وقد ترجم نفسه عند ذكر مولده في هذه السنة في القيل ترجمة مطولة ، فينقل إلى سنة وفاته ، وذكر بدو أمره ، واشتغاله ومصنفاته وشيئا كثيراً من شعاره ، وما روى له من المنازل المبشرة . وفيها كان ابتداء ملك جنكيز خان ملك التتار ، عليه من الله ما يستحقه ، وهو صاحب الباسق وضها ليتحاكوا إليها - يعني للتتار ومن معهم من أمراء الترك - ممن ينتفى حكم الجاهلية - وهو والد تولى ، وجد هولاكو بن تولى - القى قتل الخليفة المستعصم وأهل بغداد في سنة ست وخمسين وستائة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في موضعه . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(سنة ستائة من الهجرة النبوية)

في هذه السنة كانت الفرنج قد جمعوا خلقاً منهم ليستعيدوا بيت المقدس من أيدي المسلمين ، فأشغلهم الله عن ذلك بقتال الروم ، وذلك أنهم اجتازوا في طريقهم بالقسطنطينية فوجدوا ملوكها قد اختلفوا فيما بينهم ، فحاصروها حتى فتحوها قسراً ، وأباحوها ثلاثة أيام قتلاً وأسراً ، وأحرقوا أكثر من ربهما ، وما أصبح أحد من الروم في هذه الأيام الثلاثة إلا قتيلاً أو قتيلاً أو مكيولاً أو أسيراً ، ولجأ عامة من بقى منها إلى كنيسة العظمى المسماة بياصوفيا ، قصددم الفرنج فخرج إليهم القيسون بالأكجيل لينسولوا إليهم ويتلوا ما فيها عليهم ، فالتفتوا إلى شيء من ذلك ، بل قتلهم أجمعين أكتمين أبصمين . وأخفوا ما كان في الكنيسة من الخلى والأذهاب والأموال التي لا تحصى ولا

تد ، وأخفوا ما كان على الصليبان والحيطان ، والجد لله الرحيم الرحمن ، اقضى ما شاء كان ، ثم اقترح ملوك الفرنج وكانوا ثلاثة وهم دوق البنادقة ، وكان شيخاً أعشى يقاد فرسه ، ومر كس الأفرنيس وكندا بلند ، وكان أكثرهم عدداً وعدداً . فخرجت القرعة له ثلاث مرات ، ففوزه ملك القسطنطينية وأخذ المللكان الآخران بعض البلاد ، وتحول الملك من الروم إلى الفرنج بالقسطنطينية في هذه السنة ولم يبق بأيدي الروم هناك إلا ما وراء الخليج ، استحوذ عليه رجل من الروم يقال له تسكرى ، ولم يزل مالكا لتلك الناحية حتى توفي . ثم إن الفرنج قصدوا بلاد الشام وقد تقووا بملكهم القسطنطينية فنزحوا عكا وأغاروا على كثير من بلاد الاسلام من ناحية النور وتلك الأراضي ، فقتلوا وسبوا ، فقبض إليهم العادل وكان يمشق ، واستدعى الجيوش المصرية والشرقية ونازلهم بالقرب من عكا ، فكان بينهم قتال شديد وحصل عظيم ، ثم وقع الصلح بينهم والمدة وأطلق لهم شيئاً من البلاد فأنه وإنا إليه راجعون .

وفيهما جرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والتورية بالمشرق يطول ذكرها . وفيها تحارب صاحب الموصل نور الدين وصاحب سنجار قطب الدين وساعد الأشرف بن العادل القطب ، ثم اصطالحوا وتزوج الأشرف أخت نور الدين ، وهي الأتابكية بنت عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي ، واهنة الأتابكية التي بالسفح ، وبها تربتها . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والجزيرة وقبرص وغيرها من البلاد . قاله ابن الأثير في كتابه . وفيها قتل رجل من التجار يقال له محمود بن محمد الحميري على بعض بلاد حضرموت ظفار وغيرها ، واستمرت أيامه إلى سنة تسع عشرة وسبائة وما بعدها .

وفي جمادى الأولى منها عقد مجلس لقاضي القضاة ينفذاد وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن سليمان الجليلي بدار الوزير ، وثبت عليه محضر بأنه يتناول الرشاق في ذلك المجلس فسق ونزعت الطرحة عن رأسه ، وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

وفيهما كانت وفاة الملك ركن الدين بن قلع أرسلان ، كان ينسب إلى اعتقاد الفلاسفة ، وكان كهفاً لمن ينسب إلى ذلك ، وملجأ لهم ، وظهر منه قبل موته نهج عظيم ، وذلك أنه حاصر أخاه شقيقه - وكان صاحب أنكرية ، وتسمى أيضاً أقرة - مدة سنتين حتى ضيق عليه الأقوات بها فسلها إليه قسراً ، على أن يعطيه بعض البلاد . فلما تمكن منه ومن أولاده أرسل إليهم من قتلهم غداً وأخذ يمهدهم ومكرهم فلم ينظر بعد ذلك إلا خمسة أيام فضر به الله تعالى بالقولنج سبعة أيام ومات (فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منتظرين) وقام بالملك من بعده ولده أفلح أرسلان ، وكان صغيراً فبقي ستواحدة ، ثم نزع منه الملك وصار إلى عمه كنخسرو . وفيها قتل خلق كثير من الباطنية بواسطة . قال ابن

الأمير : في رجب منها اجتمع جماعة من الصوفية برباط ببغداد في سماع فأنشدتم ، وهو الجمال الحلي :

أعاذتني أقصرى • كنى بمشبي عفل
شباب كأن لم يكن • ومشيبي كأن لم يزل
وبنى ليال الوسا • ل أوآخرها والأول
وصفرة لون الحجب • ب عند استماع الغزل
لئن عاد عني لكم • حلالى اليتيم واتصل
فلست أبلى بما قالنى • ولست أبلى بأهل ومل

قال فتحرك الصوفية على المادة فتواجد من بينهم رجل يقال له أحد الرازي غفر منشياً عليه ،
فحركوه فاذا هو ميت . قال : وكان رجلاً صالحاً ، وقال ابن الساعى كان شيخاً صالحاً صاحب الصدر
عبد الرحيم شيخ الشيوخ فشهد الناس جنازته ، ودفن بباب إبرز .
وفيهاتوفى من الأعيان . (أبو القاسم بهاء الدين)

الحافظ ابن الحافظ أبو القاسم علي بن هبة الله بن عساكر ، كان مولده في سنة سبع وعشرين
 وخمسة ، أممه أبوه الكثير ، وشارك أباه في أكثر مشايخه ، وكتب تاريخ أبيه مرتين بخطه ،
 وكتب الكثير وأسمع وصنف كتباً عدة ، وخلف أباه في إسماع الحديث بالجامع الأموى ، ودار
 الحديث النورية . مات يوم الخميس ثامن صفر ودفن بمد مصر على أبيه بمقابر باب الصغير شرق
 قبور الصحابة خارج الحظيرة .

(الحافظ عبد الفتى المقدسى)

ابن عبد الواحد بن علي بن سرور الحافظ أبو محمد المقدسى ، صاحب التصانيف المشهورة بمن
 ذلك الكمال في أسماء الرجال ، والأحكام الكبرى والعنرى وغير ذلك ، ولقب بمجما عيل في ربيع
 الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسة ، وهو أسن من عمه الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن
 قدامة المقدسى ، والشيخ أبى عمر ، بأربعة أشهر ، وكان قدومهما مع أهلها من بيت المقدس إلى
 مسجد أبى صالح ، خارج باب شرق أولاً ، ثم انتقلوا إلى السفح فزفت محلة الصالحية بهم ، فقبل
 لها الصالحية ، فسكنوا الدبر ، وقرأ الحافظ عبد الفتى القرآن وسمع الحديث وأرتحل هو والموفق إلى
 بغداد سنة ستين وخمسة ، فأقرهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة ، وكان لا يترك أحداً ينزل
 عنده ، ولكن ترمس فيهما الخير والنجابة والصلاح فأكرمهما وأصحهما ، ثم توفى بمد مقدمهما بتخصين
 لية رحمه الله ، وكان ميل عبد الفتى إلى الحديث وأسماء الرجال ، وميل الموفق إلى الفقه واشتغلا على
 الشيخ أبى الفرج ابن الجوزى ، وعلى الشيخ أبى الفتح ابن المنى ، ثم قسما حشوق بمد أربع سنين

فدخل عبد الغنى إلى مصر واسكندرية ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم ارتحل إلى الجزيرة وبنداد ، ثم رحل إلى أصبهان فسمع بها الكثير ، ووقف على مصنف للحافظ أبي نعيم في أسماء الصحابة ، قلت : وهو عندى بخط أبي نعيم . فأخذ فى مناقشته فى أما كن من الكتاب فى مادة وتعيين موصفاً ، فغضب بنو الخنبدى من ذلك ، فبعضوه وأخرجوه منها مخفياً فى إزار . ولما دخل فى طريقه إلى الموصل سمع كتاب المقبلى فى الجرح والتعديل ، فنار عليه الخفية بسبب أبي حنيفة ، فخرج منها أيضاً خائفاً يترقب ، فلما ورد دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة برواق الخنابلة من جامع دمشق ، فاجتمع الناس عليه وإليه ، وكان رقيق القلب سريع اللمعة ، فحصل له قبول من الناس جداً ، فغسه بنو الزكي والدولى وكبار العماشة من الشافعية وبعض الخنابلة ، وجهازوا الناصح الخنبلى ، فتكلم تحت قبة النسر ، وأمروه أن يجبر بصوته مهما أمكنه ، حتى يشوش عليه ، فحول عبد الغنى ميعاده إلى بعد العصر فذكر يوماً عقيدته على الكرسي فنار عليه القاضي ابن الزكي ، وضياء الدين الدولى ، وعقدوا له مجلساً فى القلعة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين . وتكلموا معه فى مسألة الملو وسألة التزول ، ومسألة الحرف والصوت ، وطال الكلام وظهر عليهم بالحجة ، فقال له برغش نائب القلعة : كل هؤلاء على الضلالة وأنت على الحق ؟ [قال نعم] فغضب برغش من ذلك وأمره بالخروج من البلد ، فارتحل بعد ثلاث إلى بعلبك ، ثم إلى القاهرة ، فأياه الطحانيون فكان يقرأ الحديث بها فنار عليه الفقهاء بمصر أيضاً وكتبوا إلى الوزير صفى الدين بن شكر فأقر بنفيه إلى المغرب فات قبل وصول الكتاب يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وله سبع وخمسون سنة ، ودفن بالقاهرة عند الشيخ أبي عمرو بن مرزوق رحمهما الله . قال السبط : كان عبد الغنى ورعاً زاهداً عابداً ، يصل كل يوم ثلاثمائة ركعة كورد الامام أحمد ، ويقوم الليل ويصوم عامة السنة ، وكان كريماً جواداً لا يسخر شيئاً ، ويتصدق على الأراذل والأيتام حيث لا يراه أحد ، وكان يرفع ثوبه ويؤثر بطن الحديد ، وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء وكان أوحده زمانه فى علم الحديث والحفظ . قلت : وقد هذب شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى كتابه الكمال فى أسماء الرجال . رجال الكتب الستة . بهتديبه ائدى استدرك عليه فيه أما كن كثيرة ، فمحواً من ألف موضع ، وذلك الامام المزى ائدى لا يمارى ولا يجارى ، وكتابه التهذيب لم يسبق إلى مثله ، ولا يلحق فى شكله فرحمهما الله ، فلقد كانا تالرين فى زمانهما فى أسماء الرجال حفظاً وإتقاناً وسعاً وإسماً وسرداً للفتون وأسماء الرجال ، والحاصل لا يفلح ولا ينال مثلاً طاملاً .

قال ابن الأثير : وفيها توفى . (أبو الفتح أسعد بن محمود السجلى)

صاحب تمة التمة أسعد بن أبي الفضل بن محمود بن خلف السجلى الفقيه الشافعى الأصهبانى

الواعظ منتخب الدين ، سمع الحديث وثققه وبرع وصنف تمة التتمة لأبي سعد المروى ، كان زاهدا عابدا ، وله شرح مشكلات الوسيط والوجيز ، توفي في صفر سنة ستائة .

(البناتى الشاعر)

أبو عبد الله محمد بن المهنا الشاعر المروف بالبناتى ، مدح الخلفاء والوزراء وغيرهم ، ومدح وكبر وعلت سنه ، وكان رقيق الشعر طريفة قال :

ظلمنا ترى مغرما فى الحب تزجره • وغيره بالهوى أمسيت تنكره
يا عاذل الصب لو عانيت قاتله • لو جنة وعفار كنت تمفره
أفدى الذى يبحر عينه يلفنى • إذا تصدى لقتلى كيف أسهره
يستمتع الليل فى نوم وأسهره • إلى الصباح ويفساق وأذكره
(أبو سعيد الحسن بن خلدة)

ابن المبارك النعمانى الماردانى الملقب بالوحيد ، اشتغل فى حدائقه بلم الأوائى وأهنته وكانت له يد طولى فى الشعر الرائق ، فمن ذلك قوله قاتله الله .

أفانى كئيب أنشأته أفاكل • حوت أبحرا من فيضها ينفق البحر
فوا عجبا أنى التوت فوق طرسه • وما عودت بالقبض أنفله المشر
وله أيضا • لقد أثرت صدغله فى لون خده • ولاحا كفى من وراء زجاج
ترى مسكرا ألروى فى الريح مذنبت • كطائفة تسى ليوم هياج
أم الصبح بالليل اليهم موشح • حكى آبنوسا فى صحيفة عاج
لقد غار صدغله على ورد خده • فسيحه من شره بسياج
الطاووسى صاحب الطريقة .

(العراقى محمد بن العراقى)

ركن الدين أبو الفضل القزوينى ، ثم الحمداوى ، المروف بالطاوسى ، كان بارعا فى علم الخلاف والجلد والمناظرة ، أخذ علم ذلك عن رضى الدين التيسابورى الحنفى ، وصنف فى ذلك ثلاث تماليق قال ابن خلكن : أحسن الوسطى ، وكانت إليه الرحلة يمدان ، وقد بنى له بعض الخجبة بها مدرسة تعرف بالمحجية ، ويقال إنه منسوب إلى طاووس بن كيسان التامى فله أعلم .

(ثم دخلت سنة إحدى وستائة)

فيها عزل الخليفة وله محمد الملقب بالظاهر عن ولاية المهدي بما خطب له سبعة عشرة سنة ، وولى المهدي وله الآخر عليا ، فلت على عن قريب فساد الأمر إلى الظاهر ، فبريع له بالخلعة

بعد أبيه الناصر كما سيأتي في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

وفيها وقع حريق عظيم بدار الخلافة في خزائن السلاح ، فاحترق من ذلك شيء كثير من السلاح والامتنة والمساكن ما يقارب قيمته أربعة آلاف ألف دينار ، وشاع خبر هذا الحريق في الناس ، فأرسلت الملوك من سائر الأقطار هدايا أسلحة إلى الخليفة عوضاً عن ذلك وفوقه من ذلك شيئاً كثيراً .

وفيها عانت الكرج بيلاد المسلمين قتلوا خلقاً ، وأسروا آخرين . وفيها وقعت الحرب بين أمير مكة قتادة الحسيني ، وبين أمير المدينة سالم بن قاسم الحسيني ، وكان قتادة قد قصد المدينة فحصر سالماً فيها ، فركب إليه سالم بعد ما صلى عند الحجر فاستنصر الله عليه ، ثم برز إليه فكسره وساق وراءه إلى مكة فحصره بها ، ثم إن قتادة أرسل إلى أمراء سالم فأقدم عليه ففكر سالم راجعاً إلى المدينة سالماً .

وفيها ملك فيلث الدين كنجشري بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج بلاد الروم واستلبها من ابن أخيه ، واستقر هو بها وعظم شأنه وقويت شوكته ، وكثرت عساكره وأطاعه الأمراء وأصحاب الأطراف ، وخطب له الأفضل بن صلاح الدين بسميساط ، وسار إلى خدمته . واتفق في همدانسة أن رجلاً ينفذ نزل إلى دجلة يسبح فيها وأعطى ثيابه لثلاثة ففرق في الماء فوجد في ورقة بعمائه هذه

الآيات : يا أيها الناس كن لي أمل * قصر بي عن بلوغه الأجل

فليتق الله ربه رجل * أمكنه في حياته العمل

ما أنا وحدي بفناء بيت * يرى كل إلى مثله سينتقل

وفيها توفي من الأعيان . (أبو الحسن علي بن عنتربن ثابت الحلي)

المعروف بشميم ، كان شيخاً أديباً لغزياً شاعراً جمع من شعره حماسة كان يفضلها على حماسة أبي تمام ، وله خمريات يزعم أنها أفضل من التي لأبي نواس . قال أبو شلمة في القليل : كان قليل الدين ذا حماسة ورفاعة وخلاعة ، وله حماسة ورسائل . قال ابن السامى : قدم بغداد فأخذ النحو من ابن الخشاب ، حصل منه طرفاً صالحاً ومن الفقه وأشمل العرب ، ثم أقام بالموصل حتى توفي بها . ومن شعره :

لا تسرحن الطرف في مقل المها * فصولح الآجال في الآمال

كم نظرة أردت وما أخرت * يد كم قبلت أوان قتال

سمنت وما صححت بقسليمة * وأغلغل التحية فقه المحتال

وله في التنجيس :

ليت من طول ياك * أم نواه وثوابه * جبل العود إلى الزود * وأمن بعض ثوابه

أترى بطنى الله • رترى مسك ترابه • وأرائى نور عيني • موطنلى ونرى به
وله أيضاً فى الخبر وغيره :

﴿ أبو نصر محمد بن سعد الله ^(١) ﴾

ابن نصر بن سعيد الأرقطى ، كان سخيّاً بهياً واعظاً حنبليّاً فاضلاً شاعراً مجيداً وله :

فنى الفتى إن أصلحت أحوالها • كان إلى نيل المتى أقوى لها

وإن تراها سعدت أقوالها • كان على حل المتى أقوى لها

فإن تبدت حال من لها لها • فى قبره عند البلى لها لها

﴿ أبو العباس أحمد بن مسعود ﴾

ابن محمد القزطلى الخزرجى ، كان إماماً فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو والفقه

والمرضى والطب ، وله تصانيف حسان ، وشعر رائق منه قوله :

وفى الوجنت ما فى الروض لكن • لرونق زهرها معنى عجيب

وأعجب ما التعجب منه • أنى لتيار نحمه عصب ^(٢)

﴿ أبو الفداء إسماعيل بن برنيس السنجارى ﴾

مولى صاحبها عماد الدين زكى بن مودود ، وكان جندياً حسن الصورة مليح النظم كثير الأدب
ومن شعره ما كتب به إلى الأشرف موسى بن الماثل يزيه فى أخ له اسمه يوسف :

دموع الممالى والمكارم أقرت • وربيع المتى قاع لفتك ضعف

غدا الجود والمر فى الحدايا • غدا نوى فى ذلك اللحد يوسف

مضى خطفت يد النية روحه • وقد كان للأرواح بالبيض يتخطف

سقت ليل إلى الدهر كأس حملها • وكان بسق الموت فى الحرب يعرف

فوا حسرتاً لو ينفع الموت حسرة • ووا أسفاً لو كان يجدى التأسف

وكان على الارزاء قضى قوية • ولكنها عن حل ذال الزه نصف

﴿ أبو الفضل بن الياس بن جامع الأربلى ﴾

فقيه بالنظامية وسمع الحديث ، وصنف التاريخ وغيره ، وتفرّد بحسن كتابة الشروط ، وله

فضل ونظم ، فمن شعره :

أمرض قلبي ، ما لهجرك آخر ؟ • ومسرطرقى ، هل خيالك زائر ؟

وهستعذب التذبيب جوراً يصده • أملاك فى شرع الحجة زاجر ؟

هنيئاً لك القلب الذى قد وقتته • على ذكر أيامى وأنت مسافر ؟

(١) فى النجوم الزاهرة : محمد بن أحمد بن حماد أبو عبد الله (٢) كذا فى الأصل والبيت مضطرب فليحرق

فلا طارق الحزن المبرح خاطري • ليمدك حتى يجمع الشمل قادر
 فان مت فالتسليم منى عليكم • يباودكم ما كبر الله ذاكر
 ﴿ أبو السادات الخليلي ﴾

التاجر البشدادي الرافضي ، كان في كل جمعة يلبس لأمة الحرب ويقف خلف باب داره ،
 والباب يحاف عليه ، والناس في صلاة الجمعة ، وهو ينتظر أن يخرج صاحب الزمان من سرداب
 سامرا - يعني محمد بن الحسن العسكري - ليبل ب سيفه في الناس نصرة للمهدي .

﴿ أبو غالب بن كنونة اليهودي ﴾

الكاتب ، كان يزور على خط ابن مقلة من قوة خطه ، توفي لنفسه الله بملطورة واسط ، ذكره
 ابن الساعي : في تاريخه .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وستائة ﴾

فيها وقعت حرب عظيمة بين شهاب الدين محمد بن سام الفوري ، صاحب غزنة ، وبين بني
 بوكر أصحاب الجبل الجودي ، وكانوا قد ارتدوا عن الاسلام هاتلم وكسرم وغنم منهم شيئا كثيرا
 لا يمد ولا يوصف ، فأتبهم بعضهم حتى قتله غيلة في ليلة مستهل شعبان منها بعد المشاء ، وكان رحمه الله
 من أجود الملوك سيرة وأعظمهم وأثبتهم في الحرب ، ولما قتل كان في صحبته نفر الدين الرازي ، وكان
 يجاس فودظ بمحضرة الملك ويمظه ، وكان السلطان يبكي حين يقول في آخر مجلسه يا سلطان سلطانتك
 لا يبقى ، ولا يبقى الرازي أيضاً وإن مردنا جميعا إلى الله ، وحين قتل السلطان اتهم الرازي بمض
 الخصاصية بقتله ، فخاف من ذلك والتجأ إلى الوزير مؤيد الملك بن خواجا ، فسيره إلى حيث يأمن
 وتملك غزنة بعده أحد عماليكه فاج الدهر ، وجرت بعد ذلك خطوط يطول ذكرها ، قد استقصاها
 ابن الأثير وابن الساعي .

وفيها أغارت الكرج على بلاد المسلمين فوصلوا إلى أخلاط قتلوا وسبوا وقتلهم المقاتلة والمامة .
 وفيها سار صاحب إردل مظفر الدين كوكري وصحبته صاحب مراغة لقتال ملك أذربيجان ، وهو أبو
 بكر بن البهلول ، وذلك لنكوله عن قتال الكرج وإقباله على السركيلان ونهاراً ، فلم يقدروا عليه ، ثم
 إنه تزوج في هذه السنة بنت ملك الكرج ، فأنكف شرم عنه . قال ابن الأثير : وكان كما يقال
 أحمد سيفه وصل أيره . وفيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي ناصر العلوي الحسني وخلع
 عليه بالوزارة وضربت الطبول بين يديه وعلى بابيه في أوقات الصلوات . وفيها أغار صاحب بلاد
 الأرمن وهو ابن لاون على بلاد حلب قتل ومسي ونهب ، فخرج إليه الملك الظاهر غازي بن الناصر
 فهرب ابن لاون بين يديه ، فهم الظاهر قلعة كان قد بناها ودكها إلى الأرض . وفي شعبان منها

خدمت القنطرة الرومانية عند الباب الشرقى ، وفشرت حجارتها ليلط بها الجامع الأموى بسفارة الوزير صفى الدين بن شكر ، وزير المال ، وكل تبليطه فى سنة أربع وسبعمائة .

وقبها توفى من الأعيان . (شرف الدين أبو الحسن)

على بن محمد بن على جمال الاسلام الشهير زورى ، بمدينة حمص ، وقد كن أخرج إليها من دمشق ، وكان قبل ذلك مدرساً بالأمينية والحلقة بالجامع فجماء البرادة ، وكان لديه علم جيد بالذهب والخلاف .

(التقي عيسى بن يوسف)

ابن أحمد العراقى الضرير ، مدرس الأمينية أيضاً ، كان يسكن المنارة النورية ، وكان عنده شاب يخفمه ويقود به فسلم الشيخ دراهم قائم هذا الشاب بها فلم يثبت له عنده شيئاً ، واتهم الشيخ عيسى هذا بأنه يلوط به ، ولم يكن يظن الناس أن عنده من المال شيء ، فضاغ المال واتهم عرضه ، فأصبح يوم الجمعة السابع من ذى القعدة مشنوقاً بيته بالمأذنة النورية ، فامتنع الناس من الصلاة عليه لكونه قتل نفسه ، فقدم الشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن عساكر فصلى عليه ، قائم به بعض الناس قال أبو شامة : وإنما حمل على ما فعله ذهاب ماله والوقوع فى عرضه ، قال وقد جرى لى أخت هذه القضية فقصنى الله سبحانه فضله ، قال وقد درس بعده فى الأمينية الجمال المصرى وكيل بيت المال

(أبو القنائم المراكيسلار البغدادى)

كان يخضع مع عز الدين نجاش السراى ، وحصل أموالاً جزيلة ، كان كلاً تهاى له مال اشترى به ملكاً وكتبه باسم صاحب له يعتمد عليه ، فلما حضرته الوفاة أوصى ذلك الرجل أن يتولى أولاده ويتفق عليهم من ميراثه مما ترك لهم ، فرض الموصى إليه بعد قليل فاستدعى الشهود ليشهدم على نفسه أن ما فى يده لورثة أبى القنائم ، فتبادى وورثته بإحضار الشهود وطولوا عليه وأخذته سكتة فمات فاستولى وورثته على تلك الأموال والأملوك ، ولم يقضوا أولاد أبى القنائم منها شيئاً مما ترك لهم .

(أبو الحسن على بن سعاد الفارسى)

تفقه ببغداد وأعاد بالنظامية وقلب فى تدريسها واستقل بتدريس المدرسة التى أنشأها أم الخليفة وأز يد على نيابة القضاء عن أبى طالب البخارى فامتنع فأكرم به فباشره قليلاً ، ثم دخل يوماً إلى مسجد فلبس على رأسه مئزر صوف ، وأمر الوكلاء والملاوذة أن ينصرفوا عنه ، وأشهد على نفسه بزمها عن نيابة القضاء ، واستمر على الاطاعة والتدريس رحمه الله . وفى يوم الجمعة العشرين من ربيع

(الخاتون)

الأول توفيت

أم السلطان الملك المعظم عيسى بن المادل ، فدفنت بالقبة بالمدرسة العظيمة بسفح قايسون .

﴿ الأمير مجير الدين طاشتكين المستعجلى ﴾

أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان ، كان شيعياً خيراً حسن السيرة كثير العبادة ، غالباً في التشيع ، توفي بقتل ثاني جمادى الآخرة وحمل نأوته إلى الكوفة فدفن بمشهد على لوصيته بذلك ، هكذا ترجمه ابن السامى في تاريخه ، وذكر أبو شامة في القليل أنه طاشتكين بن عبد الله المتوفى أمير الحاج ، حج بالناس سنا وعشرين سنة ، كان يكون في الحجاز كأنه ملك ، وقد رماه الوزير ابن يونس بأنه يكتب صلاح الدين فخبه الخليفة ، ثم تبين له بطلان ما ذكر عنه فأطلقه وأعطاه خوزستان ثم أعاده إلى إمرة الحج ، وكانت الحلة الشيعية إقطاعه ، وكان شجاعاً جواداً سمحاً قليل الكلام ، يمضى عليه الأسبوع لا يتكلم فيه بكلمة ، وكان فيه حلم واحتمال ، استغاث به رجل على بعض نوابه فلم يرد عليه ، فقال له الرجل المستغيث : أحمار أنت ؟ فقال : لا . وفيه يقول ابن النعماني .

وأمر على البلاد مولى • لا يجيب الشاكي بنير السكوت
كلما زاد رضة حطنا الا • بتفيله إلى البهوت

وقد سرق فراشه حياجه له فأرادوا أن يستقروه عليها ، وكان قد رآه الأمير طاشتكين حين أخفها فقال : لا تماقوا أحداً ، قد أخفها من لا يردها ، ورآه حين أخفها من لا ينم عليه ، وقد كان بلغ من العمر تسعين سنة ، واتفق أنه استأجر أرضاً مدة ثلاثمائة سنة للوقف ، قال فيه بعض المضحكين : هذا لا يوقن بالموث ، عمره تسعون سنة واستأجر أرضاً ثلاثمائة سنة ، فاستضحك القوم والله سبحانه وتعالى أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستائة ﴾

فيها جرت أمور طويلة بالمشرق بين النورية والخورزمية ، وملكهم خوارزم شاه بن تكش ببلاد العالمتان . وفيها ولي الخليفة القضاء بيقداد لبيد الله بن ادهامقاني . وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، بسبب فسقه وجوره ، وأحرقت كتبه وأمواله قبل ذلك لما فيها من كتب الفلاسفة ، وعلم الأوتل ، وأصبح يستعطي بين الناس ، وهذا بخطيئة قبله على أبي الفرج ابن الجوزي ، فانه هو الذي كان وشى به إلى الوزير ابن النصاب حتى أحرقت بعض كتب ابن الجوزي ، وختم على بيتها ، ونفى إلى واسط خمس سنين ، والناس يقولون : في الله كناية وفي القرآن ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، والصوفية يقولون : الطريق يأخذ . والأطباء يقولون الطبيعة مكافئة . وفيها نازلت الفرنج حصص قناتلهم ملكها أمد الدين شيركوه ، وأعانه بالمدد الملك الظاهر صاحب حلب فكف الله شرهم . وفيها اجتمع شالان ^(١) يبنناد على الحر

(١) أحدهما أبو القاسم أحمد بن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ، داعب ابن الأمير أصبه . وكان شاباً جليلاً فرماه بسكين قتله : فسله الخليفة إلى أولاد ابن أصبه قتلوه . (النجوم ج ٦ ص ١٩٢)

فصرب أحدهما الآخر بسكين قتله وهرب ، فأخذ قتل فوجد معه رقعة فيها بيتان من نظمه أمر أن تجمل بين أكتافه :

قدمت على الكريم بغير زاد • من الأعمال بالقلب السليم
وسوء الظن أن تمتد زاداً • إذا كان القدم على كريم
وفيها توفي من الأعيان .

عبد الرحمن بن الحسين بن النعمان النبلي ، الملقب بالقاضي شريح لذلكه وفضله وبرعته وعقله وكمال أخلاقه ، ولي قضاء بلعه ثم قدم بغداد فندب إلى المناصب الكبار فأبها ، خلف عليه الأمير طاشككين أن يعمل عنده في الكتابة فخمه عشرين سنة ، ثم وصى به الوزير ابن مهدي إلى المهدي فحبسه في دار طاشككين إلى أن مات في هذه السنة ، ثم إن الوزير الواشي عما قريب حبس بها أيضاً ، وهذا مما نحن فيه من قوله : كاتدين تمان .

﴿ عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر ﴾

كان ثقة عابداً زاهداً ورعاً ، لم يكن في أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني خير منه ، لم يدخل فيها دخلاً فيه من المناصب والولايات ، بل كان متقللاً من الدنيا مقبلاً على أمر الآخرة ، وقد جمع الكثير وجمع عليه أيضاً .

﴿ أبو الحزم مكي بن زين ﴾

ابن شبة بن صالح الماسكيني ، من أعمال سنجار ، ثم الموصل النحوي ، قدم بغداد وأخذ على ابن الخشاب وابن القصار ، والكمال الأنباري ، وقدم الشام فانتفع به خلق كثير منهم الشيخ علم الدين السخاوي وغيره وكان ضريباً ، وكان يتمصب لأبي الملاء المعري لما بينهما من القدر المشترك في الأدب والعلم ، ومن شعره :

إذا احتاج النوال إلى شفيح • فلا قبله نصبح قرير عين
إذا عيف النوال لفرد من • فأولى أن يملأ لمتين
ومن شعره أيضاً :

فنى فداء لا غيد غنيج • قال لنا الحق حين ودعنا
من ود شيتنا من جبه طمعاً • في قلبه للوداع ودعنا

﴿ إقبال الخادم ﴾

جمال الدين أحد خدام صلاح الدين ، واقف الاقباليين الشافعية والحنفية ، وكانت دارين فجعلها مدرستين ، ووقف عليهما وقفاً كبيراً للشافعية والصنيرة للحنفية ، وعليها ثلث الوقف . توفي بالقنس

رحمة الله . (ثم دخلت سنة أربع وستة)

فيها رجع الحجاج إلى العراق وهم يدعون الله ويشكون إليه ما لقوا من صدر جهان البخارى الخنى ، الذى كان قدم بندگان رسالة فاحتفل به الخليفة ، وخرج إلى الحج في هذه السنة ، فضيقت على الناس في المياه والميرة ، قلت بسبب ذلك سنة آلاف من حجاج العراق ، وكان فيما ذكرنا يأمر غلمانهم فقتلوا إلى المناهل فيحجزون على المياه ويأخذون الماء فيرشونه حول خيمته في قيط الحجاز ويسقونه للبقولات التى كانت تحمل معه في ترابها ، ويمتنون منه الناس وابن السبيل ، الآمين البيت الحرام يمتنعون فضلاً من رحمة ورضوانا ، فلما رجع مع الناس لنته العامة ولم يحتفل به الخاصة ولا أكرمته الخليفة ولا أرسل إليه أحداً ، وخرج من بندگان العامة من ورائه يرجونه ويلمونوه ، وساء الناس صدر جهنم ، فمرد بالله من الخذلان ، ونسأله أن يزيدنا شقة ورحمة لعباده ، فانه إنما يرحم من عباده الرحاء . وفيها قبض الخليفة على وزيره ابن مهدي العلوي ، وذلك أنه نسب إليه أنه يروم الخلافة ، وقيل غير ذلك من الأسباب ، والمقصود أنه حبس بدار طاشكين حتى مات بها ، وكان جباراً عنيداً ، حتى قال بعضهم فيه :

خليلي قولاً للخليفة وانصحا • توقوقيت السوء ما أنت صانع
وزبرك هنا بين أمرين فيها • صنيتك ياخير البرية ضائع
فان كان حقاً من سلامة حيدر • فهنا وزير في الخلافة طالع
ولان كان فيما يدعى غير صادق • فاضيع ما كانت لديه الصنائع

وقيل : إنه كان عفيفاً عن الأموال حسن السيرة جيد المباشرة فله أعلم بحاله . وفي رمضان منها رتب الخليفة عشرين داراً للضيافة يقطر فيها الصائمون من الفقراء ، يطبخ لهم في كل يوم فيها طعام كثير ويحمل إليها أيضاً من الخبز النقي والحلواء شئ كثير ، وهذا للصنيع يشبه ما كانت قريش تفعله من الرقادة في زمن الحج ، وكان يتولى ذلك همه أبو طالب ، كما كان العباس يتولى السقاية ، وقد كانت فهم للسفارة والقواء والندوة له ، كما تقدم بيان ذلك في مواضعه ، وقد صارت هذه المناصب كلها على أمم الأحوال في الخلفاء العباسيين . وفيها أرسل الخليفة للشيخ شهاب الدين الشهرزورى وفي محبته منقر الساجدار إلى الملك المادل بالخلمة السنية ، وفيها الطوق والسواران ، وإلى جميع أولاده بالخلمع أيضاً . وفيها ملك الأوحدين المادل صاحب ميافرقين مدينة خلاط بعد قتل صاحبها شرف الدين بكتمر ، وكان شاباً جميل الصورة جداً ، قتله بعض عماليكهم ^(١) ثم قتل القاتل أيضاً ، فخلا البلد عن ملك فأخذها الأوحدين المادل .

وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكش بلاد ما وراء النهر بمحروب طويلة . اتفق له في بعض

المواقف أمر عجيب ، وهو أن المسلمين انهزموا عن خوارزم شاه وبقى معه عصابة قليلة من أصحابه ، قتل منهم كفار الخطا من قتلوا ، وأسروا خلقا منهم ، وكان السلطان خوارزم شاه في جملة من أسروا ، أسره رجل وهو لا يشعر به ولا يدري أنه الملك ، وأسره معه أميراً يقال له مسعود ، فلما وقع ذلك وتراجعت المساكن الإسلامية إلى مقرها قدودا السلطان فاختبطوا فيها بينهم واختلطوا اختلافاً كثيراً وانزعجت خراسان بكاملها ، ومن الناس من حلف أن السلطان قد قتل ، وأما ما كان من أمر السلطان وذلك الأمير قال الأمير للسلطان : من المصلحة أن تترك اسم الملك عنك في هذه الحالة ، وتظهر أنك غلام لي ، قبل منه ما قال وأشار به ، ثم جعل الملك يخدم ذلك الأمير بلبسه ثيابه ويتقيه الماء ويضع له الطعام ويضعه بين يديه ، ولا يألو جهداً في خدمته ، قال الذي أسرهما : إني أرى هذا يخدمك فمن أنت ؟ قال : أنا مسعود الأمير ، وهذا غلامي ، قال : والله لو علم الأمراء أنني قد أسرت أميراً وأطلقتني لأطلقتك ، فقال له : إني إنما أخشى على أهلي ، فأنهم يظنون أنني قد قتلت ويقيمون المآثم ، فان رأيت أن تضاديني على مال وترسل من يقبضه منهم فعلت خيراً ، قال : نعم ، فبين رجلا من أصحابه فقال له الأمير مسعود : إن أهلي لا يعرفون هذا ولكن إن رأيت أن أرسل معه غلامي هذا فعلت ليشرم بجياني فأنهم يعرفونه ، ثم يسى في تحصيل المال ، فقال : نعم ، فجهز مهاباً من يحفظهما إلى مدينة خوارزم شاه . فلما دنوا من مدينة خوارزم سبق الملك إليها . فلما رآه الناس فرحوا به فرحاً شديداً ، ودقت البشار في سائر بلاد ، وعاد الملك إلى نصابه ، واستقر السور بابابه ، وأصلح ما كان وحى من مملكته بسبب ما اشتهر من قتله ، وحاصر هراة وأخذها عنوة . وأما الذي كان قد أسره فانه قال يوماً للأمير مسعود الذي يتوجه لي وينهون به أن خوارزم شاه قد قتل ، قال : لا ، هو الذي كان في أسرك ، فقال له : فهلا أعلمتني به حتى كنت أردته موقراً مغظماً ؟ قال : خفتك عليه ، فقال : سر بنا إليه ، فساروا إليه فأكرمها إكراماً زائداً ، وأحسن إليهما . وأما غدر صاحب سمرقند فانه قتل كل من كان في أسره من الخوارزمية ، حتى كان الرجل يقطع قلعتين ويمضي في السوق كما تملق الأغنام ، وعزم على قتل زوجته بنت خوارزم شاه ثم رجع عن قتلها وجلسها في قاعة وضيق عليها ، فلما بلغ الخبر إلى خوارزم شاه سار إليه في الجنود فنارزه وحاصر سمرقند فأخذها قهراً وقتل من أهلها نحواً من مائتي ألف ، وأنزل الملك من القلعة وقتله صبراً بين يديه ، ولم يترك له نسلاً ولا حقياً ، واستحوذ خوارزم شاه على تلك الممالك التي هنالك ، وتحارب الخطا وملك التتار كشلى خان المتأخم للملكة الصين ، فكتب ملك الخطا لخوارزم شاه يستنجد على التتار ويقول : متى غلبونا خلعوا إلى بلادك ، وكنا وكنا . وكتب التتار إليه أيضاً يستنصره على الخطا ويقولون : هؤلاء أعداؤنا وأعداؤك ، فكن معنا عليهم ، فكتب إلى

كل من الفريقين يطيب قلبه ، وحضر الوقعة بينهم وهو متحيز عن الفريقين ، وكانت الدائرة على الخطأ ، فهلكوا إلا القليل منهم ، وغدر التتار ما كانوا عاهدوا عليه خوارزم شاه ، فوقت بينهم الوحشة الأكيدة ، وتواعدوا للقتال ، وخلف منهم خوارزم شاه وخرب بلاداً كثيرة متاخمة لبلاد كشلي خان خوفاً عليها أن يملكها ، ثم إن جنكيز خان خرج على كشلي خان ، فاشتغل بمحاربته عن محاربة خوارزم شاه ، ثم إنه وقع من الأمور الغريبة ما سنده كره إن شاء الله تعالى .

وفيها كثرت غارات الفرنج من طرابلس على نواحي حصص ، فضعف صاحبها أسد الدين شيركوه عن مقاومتهم ، فبعث إليه الظاهر صاحب حلب عسكراً قواه بهم على الفرنج ، وخرج العادل من مصر في المساكر الاسلانية ، وأرسل إلى جيوش الجزيرة فوافوه على عكا فحاصروها ، لأن القياصرة أخفوا من أسطول المسلمين قطعاً فيها جماعة من المسلمين ، فطلب صاحب عكا الأمان والصالح على أن يرد الأسارى ، فأجابه إلى ذلك ، وسار العادل فتزل على بحيرة قنس قريباً من حصص ، ثم سار إلى بلاد طرابلس ، فأقام اثني عشر يوماً يقتل ويأسر وينقم ، حتى جنح الفرنج إلى المهالبة ، ثم عاد إلى دمشق .

وفيها ملك صاحب آذربيجان الأمير نصير الدين أبو بكر بن البهلول مدينة مراغة فظفوها عن ملك قاهر ، لأن ملكها مات وقام بالملك بعده ولده صغير ، فدير أمره خادم له . وفي غرة ذي القعدة شهد محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي عند قاضي القضاة أبي القاسم بن ابيمانقي ، قبله وولاه حبة جاني بغداد ، وخلع عليه خلعة سفية سوداء بطرحة كحلية ، وبعد عشرة أيام جلس للوعظ مكان أبيه أبي الفرج بياب درب الشريف ، وحضر عنده خلق كثير . وبعد أربعة أيام من يومئذ درس بمشهد أبي حنيفة ضياء الدين أحمد بن مسعود الركاسي الجنتي ، وحضر عنده الأعيان والأكابر وفي رمضان منها وصلت الرسل من الخليفة إلى العادل بالخلع ، فلبس هو وولده المعظم والأشرف ووزيره صفى الدين بن شكر ، وغير واحد من الأمراء ، ودخلوا القلعة وقت صلاة الظهر من باب الحديد ، وقرأوا للتقليد الوزير وهو قائم ، وكان يوماً مشهوداً . وفيها درس شرف الدين عبد الله ابن زين القضاة عبد الرحمن بالمدرسة الرواحية بدمشق . وفيها انتقل الشيخ الخليل بن البقداي من الحنبلية إلى مذهب الشافعية ، ودرس بمدرسة أم الخليفة ، وحضر عنده الأكابر من سائر المذاهب .

وفيها توفي من الأعيان (الأمير بيلمين بن عبد الله)

أحد أمراء الخليفة الناصر ، كان من سادات الأمراء عقلاً وعفة وزراعة ، سقا بعض الكتاب من النصراري مما فلت . وكان اسم ابي سقا ابن ساوا ، فسلمه الخليفة إلى غلمان بيلمين فشنع فيه ابن مهدي الوزير وقال : إن النصراري قد بنفوا فيه خمسين ألف دينار ، فكتب الخليفة على رأس الورقة

إن الأسود أسود الثياب همتها * يوم الكربة في السلوب لا السلب
فقتله غلمان بفيادين قتلوه وحرقوه ، وقضى الخليفة بعد ذلك على الوزير ابن مهدي كما تقدم

﴿ حنبل بن عبد الله ﴾

ابن الفرج بن سعادة الرضاقي الحنبلي ، المكبر بجامع المهدي ، راوى مستند أحد عن ابن الحصين
عن ابن المنهب عن أبي مالك عن عبد الله عن أبيه ، عمر تسعين سنة وخرج من بغداد فأسمعه
باربل ، واستقدمه ملوك دمشق إليها فسمع الناس بها عليه السند ، وكان المعظم يكرمه ويأكل عنده
على السباط من الطيبات ، فتصيبه النخمة كثيراً ، لأنه كان قهراً ضيق الامعاء من قلة الأكل ، خشن
الميش ببغداد ، وكان الكندي إذا دخل على المعظم يسأل عن حنبل فيقول المعظم هو منخوم ،
فيقول أطعمه المدس فيضحك المعظم ، ثم أعطاه المعظم مالا جزيلاً ورده إلى بغداد فتوفي بها ، وكان
مولده سنة عشر وخمسةائة ، وكان معه ابن طبرزد ، فتأخرت وفاته عنه إلى سنة سبع وستمائة .

﴿ عبد الرحمن بن عيسى ﴾

ابن أبي الحسن المروزي الواعظ البغدادي ، سمع من ابن أبي الوقت وغيره ، واشتغل على ابن
الجوزي بالوعظ ، ثم حدثه نفسه بمضاهاته وشتمت نفسه ، واجتمع عليه طائفة من أهل باب النصيرة
ثم تزوج في آخر عمره وقد قارب السبعين ، فأغسل في يوم بارد فانتفخ ذكره فأت في هذه السنة .

﴿ الأمير زين الدين قراجا الصلاحي ﴾

صاحب صرخد ، كانت له دار عند باب الصفير عند قناة الزلاقة ، وترته بالسفح في قبة على
جادة الطريق عند ترربة ابن تميرك ، وأقر المادل ولله يعقوب على صرخد .

﴿ عبد العزيز الطليبي ﴾

توفي فجأة ، وهو والده سعد الدين الطليبي الأشرفي ، وفيه يقول ابن عتير :

فرارى ولا خلف الخطيب جماعة * وموت ولا عبد العزيز طيب

﴿ العفيف بن الدحي ﴾

وفيها توفي

إمام مقصورة الحنفية الفرية بجامع بني أمية .

﴿ أبو محمد جعفر بن محمد ﴾

ابن محمود بن هبة الله بن أحمد بن يوسف الأربلي ، كان فاضلاً في علوم كثيرة في الفقه على
مذهب الشافعي ، والحساب والفرائض والهندسة والأدب والنحو ، وما يتماق بالعلوم القرآن العزيز
وغير ذلك . ومن شعره :

لا يدفع المرء ما يأتي به القدر * وفي الخطوب إذا فكرت معتبر

فليس ينجى من الأقدار إن نزلت * رأى وحزم ولا خوف ولا حذر
فاستعمل الصبر في كل الأمور ولا * تخرج لشيء ففتحي صبرك الظفر
كم مسنا عصر فصرفه لا * آله عنا وولى بعده يسر
لا يئس المرء من روح الآله فإ * يئس منه إلا عصبة كفروا
إني لأعلم أن الدهر ذو دول * وأن يومه ذا أمن وذا خطر
(ثم دخلت سنة خمس وسبائة)

في محرمها كل بناء دار الضيافة ببغداد التي أنشأها الناصر لدين الله بالجانب الغربي منها للحجاج
والمرارة لهم الضيافة ما داموا نازلين بها ، فإذا أراد أحدكم السفر منها زود وكسى وأعطى بعد ذلك
ديناراً ، جزاء الله خيراً . وفيها عاد أبو الخطاب ابن دحية الكلبي من رحلته الرقاية فاجتاز بالشام
فاجتمع في مجلس الوزير الصقي هو والشيخ تاج الدين أبو البين الكندي شيخ الفقه والحديث ،
فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى [قول] إبراهيم عليه السلام * إنما كنت
خليلاً من وراء وراء * ففتح الفظتين ، قال الكندي من وراء وراء بضمهما ، قال ابن دحية
لوزير ابن شكر : من هذا ؟ قال : هذا أبو البين الكندي ، فقال منه ابن دحية ، وكان جريشاً ، قال
الكندي : هو من كلب بفتح كاف يفتح الكلب . قال أبو شامة : وكنا الفظتين محكية ، وحكي فيها
الجر أيضاً . وفيها عاد نضر الدين ابن تيمية خطيب من حران من الحج إلى بغداد وجلس بباب بدر
لوعظ ، مكان محيي الدين يوسف بن الجوزي ، قال في كلامه ذلك :

وابن البون إذا ما لُزَّ في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

كأنه يمرض بابن الجوزي يوسف ، لكونه شاباً ابن خمس وعشرين سنة والله أعلم .

وفي يوم الجمعة فاسع محرم دخل مملوك أفرنجي من باب مقصورة جامع دمشق وهو سكران وفي
يده سيف مسلول ، والناس جلوس ينتظرون صلاة الفجر ، قال على الناس يضربهم بسيفه قتل
اثنين أو ثلاثة ، وضرب المنبر بسيفه فانكسر سيفه فأخذوا ودع المارستان ، وشنق في يومه ذلك على
جسر البادين .

وفيها عاد الشيخ شهاب الدين السهروردي من دمشق بهدايا الملك العادل فتلقاء الجيش ومعه
أموال كثيرة أيضاً لنفسه ، وكان قبل ذلك قهراً زاهداً ، فلما عاد منع من الوعظ وأخذت منه الزبط
التي يباشرها ، ووصل إلى ما بيده من الأموال ، فشرع في تفريقها على الفقراء والمساكين ، فاستغنى
منه خلق كثير ، قال المحيي ابن الجوزي في مجلس وعظه : لا حاجة بالرجل بأخذ أموالاً من غير حقها
ويصرفها إلى من يستحقها ، ولو ترك على ما كان كان تركها أولى به من تناولها ، وإما أراد أن ترتفع

منزلته بينها . ويؤيد على حاله كما كان مباشرة لما بلغها ، فليحذر العبد الدنيا فاتها خداعة غرارة تسترق
فحول العلماء والعباد ، وقد وقع ابن الجوزي فيما بعد فيما وقع فيه السهروردي وأعظم . وفيها قصدت
الفتح حصص وعبروا على العاصي يمسرعدوة ، فلما عرف بهم العساكر ركبوا في آثارهم فهربوا منهم
قتلوا خلقا كثيرا منهم وغنم المسلمون منهم غنيمة جيدة والله الحمد .

وفيها قتل صاحب الجزيرة ، وكان من أسوأ الناس سيرة وأخبثهم سريرة ، وهو الملك صنجر
شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الآلبكي ، ابن عم نور الدين صاحب الموصل ، وكان
الذي تولى قتله ولده غازي ، وصل إليه حتى دخل عليه وهو في الغلاء سكران ، فضربه بسكين أربع
عشرة ضربة ، ثم ذبحه ، وذلك كله ليأخذ الملك من بعده غرمة الله إياه ، فبويع بالملك لأخيه محمود
وأخذ غازي القاتل قتله من يومه ، فسلمه الله الملك والحياة ، ولكن أراح الله المسلمين من ظلم
أبيه وغشه وقسوته .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار ﴾

ابن علي الواسطي المعروف بابن السنداي ، آخر من روى السند عن أحمد بن الحسين ،
وكان من بيت فقه وقضاء وديانة ، وكان ثقة عدلا متورعا في النقل ، وما أشده من حفظه :
ولو أن ليل مطلع الشمس دونها • وكانت من وراء الشمس حين تقيب
لحدثت فضي بانتظار نوالها • وقال المني لي : إنها لقريب

﴿ قاضي القضاة بمصر ﴾

صدر الدين عبد الملك بن دريس المارداني الكردي والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستائة ﴾

في الحرم وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، ومعه
هدايا كثيرة ، وتناظر هو وشيخ النظمية مجد الدين يحيى بن الربيع في مسألة وجوب الزكاة في مال
اليتم والمجنون ، وأخذ الحنفى يستدل على عدم وجوبها ، فاعترض عليه الشافعي فأجاد كل منهما في
الذي أوردته ، ثم خلع على الحنفى وأصحابه بسبب الرسالة ، وكانت المناظرة بمحضرة نائب الوزير ابن
شكر . وفي يوم السبت خلص جمادى الآخرة وصل الجلال يونس بن بردان المصري رئيس الشافعية
بدمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، فتلقيه الجيش مع حاجب الحجاب ، ودخل معه ابن أخي
صاحب إربل مظفر الدين كوكري ، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل والسؤال في الرضا
عنه ، فأجيب إلى ذلك . وفيها ملك العادل الخاور وفصيين وحاصر مدينة سنجار مدة فلم يظفر بها
ثم صالح صاحبها ورجع عنها .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ القاضى الأسعد بن ممان ﴾

أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا الأسعد بن ممان بن أبي قدامة ابن أبي مليح المصرى الكاتب الشاعر ، أسلم فى الدولة الصلاحية ، وتولى نظار الدواوين بمصر مدة قال ابن خلكان : وله فضائل عديدة ، ومصنفات كثيرة ، ونظم سيرة صلاح الدين وكليلة ودمنة ، وله ديوان شعر . ولما تولى الوزير ابن شكر هرب منه إلى حلب فالت بها وله ثنتان وستون سنة . فن شعره فى تقييل زاره بمعشق :

حكى نهرين وما فى الأثر * ض من يحكيهما أبدا

حكى فى خلقه تورا * أراد وفى أخلاقه بردا

﴿ أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل ﴾

ابن عبد الرحمن بن عبد السلام اللعاني ، أحد الأعيان من الخفية ببغداد ، سمع الحديث ودرس بجامعة السلطان ، وكان معتزليا فى الأصول ، بارعا فى الفروع ، اشتغل على أبيه وعمه ، وأثنى الخلاف وعلم المناظرة ، وقارب التسعين .

﴿ أبو عبد الله محمد بن الحسن ﴾

المعروف بابن الخراساني ، الحديث الناسخ ، كتب كثيرا من الحديث وجمع خطبا له ولغيره

وخطه جيد مشهور ﴿ أبو المواهب متوق بن منيع ﴾

ابن مواهب الخطيب البغدادي ، قرأ النحو واللغة على ابن الخطيب ، وجمع خطبا كان يطلب منها ، وكان شيخا فاضلا له ديوان شعر ، فنه قوله :

ولا ترجو الصداقة من عدو * يمدى نفسه سرا وجبرا

فلو أجدت مودته انتفاعا * لكان النفع منه إليه أجرا

﴿ ابن خروف ﴾

شارح سيبويه ، على بن محمد بن يوسف أبو الحسن ابن خروف الأنديلسى النحوى شرح سيبويه ، وقدمه إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار ، وشرح جمل الزجاجى ، وكان يقتل فى البلاد ولا يسكن إلا فى الخانات ، ولم يتزوج ولا تسرى ، ولما لك علة تغلب على طابع الأراذل ، وقد تغير عقله فى آخر عمره ، فكان يمشى فى الأسواق مكشوف الرأس ، توفى عن خمس وعثمانين سنة .

﴿ أبو على يحيى بن الربيع ﴾

ابن سليمان بن حرار الواسطى البغدادي ، اشتغل بالنظم على فضلان وأعاد عنه ، وسافر إلى محمد بن يحيى فأخذ عنه طريقته فى الخلاف ، ثم عاد إلى بغداد ثم صار مدرسا بالظلمية وناظرا

على أوقافها ، وقد سمع الحديث وكان لديه علوم كثيرة ، ومعرفة حسنة بالذهب ، وله تفسير في أربع مجلدات كان يدرس منه ، واختصر تاريخ الخطيب والذيل عليه لابن السهماني وقارب الثمانين .

﴿ ابن الأثير صاحب الأصول والنهاية ﴾

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد مجيد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي ، المعروف بابن الأثير ، وهو أخو الوزير وزير الأفضل ضياء الدين نصر الله ، وأخو الحافظ عز الدين أبي الحسن علي صاحب الكامل في التاريخ ، وله أبو السعادات هذا في إحدى الأربعين سنة أربع وأربعين وخمسة ، وسمع الحديث الكثير وقرأ القرآن وأتقن علومه وحررها ، وكان مقامه بالموصل ، وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة ، منها جامع الأصول الستة الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي ، ولم يذكر ابن ماجه فيه ، وله كتاب للنهاية في غريب الحديث وله شرح مسند الشافعي والتفسير في أربع مجلدات ، وغير ذلك في فنون شتى ، وكان مظهراً عند ملوك الموصل ، فلما آل الملك إلى نور الدين أرسلان شاه ، أرسل إليه ملوكه لؤلؤ أن يستوزره فأبى فركب السلطان إليه فامتنع أيضاً وقال له : قد كبرت سنّي واشتهرت بفشر العلم ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشي من السف والظلم ، ولا يليق بي ذلك ، فأعفاه . قال أبو السعادات : كنت أقرأ علم العربية على سعيد بن الدهان ، وكان يأمرني بصنعة الشعر فكنت لا أقدر عليه ، فلما توفي الشيخ رأيته في بعض الليالي ، فأمرني بذلك ، فقلت له : ضع لي مثالا أعمل عليه فقال :

حب العلا مدعنا إن فاكك الظفر * قهلت أنا : وخذ خذ التري والليل ممتكر

فالمر في صهوات الليل مركزه * والمجد ينتجه الامراء والسهر

قال : أحسنت ، ثم استيقظت فأتممت عليها نحواً من عشرين بيتاً . كانت وفاته في سلخ ذي الحجة عن ثنتين وستين سنة ، وقد ترجمه أخوه في الذيل فقال : كان علماً في عدة علوم منها الفقه وعلم الأصول والنحو والحديث والفقه ، وتصانيفه مشهورة في التفسير والحديث والفقه والحساب وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة ، وكان مثقلاً يضرب به المثل ذا دين متين ، ولزم طريقة مستقيمة رحمه الله ، فلقد كان من محاسن الزمان . قال ابن الأثير وفيها توفي .

﴿ المجد المطرزي النحوي الخوارزمي ﴾

كان إماماً في النحو له فيه تصانيف حسنة ،

قال أبو شامة . وفيها توفي : ﴿ الملك المنشي ﴾

فتح الدين عمر بن الملك النادل ، ودفن في تربة أخيه العظيم بسفح قايسون . والملك المؤيد .

(مسعود بن صلاح الدين)

بمدرسة رأس العين فحمل إلى حلب فدفن بها . وفيها توفي .

﴿ الفخر الرازي ﴾

المتكلم صاحب التيسير والتصانيف ، يعرف بابن خطيب الرى ، واسمه محمد بن عمر بن الحسين ابن على القرشى النخعي البكرى ، أبو المالح وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ، وقاله ابن خطيب الرى ، أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبرى والصغرى نحو من مائتي مصنف ، منها التفسير الحافل والمطالب المالية ، والمباحث الشرقية ، والأربعين ، وله أصول الفقه والحصول وغيره ، وصنف ترجمة الشافعى في مجلد مفيد ، وفيه غرائب لا يوافق عليها ، وينسب إليه أشياء عجيبة ، وقد ترجمته في طبقات الشافعية ، وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم ، وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى ، وملك من الذهب الدين ثمانين ألف دينار ، وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والآلات والملابس ، وكان له خمسون مملوكاً من الترك ، وكان يحضر في مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمرأ والقراء والعامة ، وكانت له عبادات وأوراد ، وقد وقع بينه وبين الكرامية في أوقات وكان يمتصهم ويبعضونه ويبالغون في الخط عليه ، ويبالغ هو أيضاً في ذمهم . وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما تقدم ، وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول : من ثم منذهب العجائز كان هو الفانز ، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه . وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في القيل في ترجمته : كان يمتز وينال من الكرامية ويتلون منه سباً وتكفيراً بالكبائر ، وقيل إنهم وضوا عليه من سقاء سما فأت ففروا بموته ، وكانوا يرمونه بالمعاصي مع الممالك وغيرهم ، قال : وكانت وفاته في ذى الحجة ، ولا كلام في فضله ولا فيما كان يتعامله ، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتبع فيها أساطع زائداً ، وليس ذلك من صفة العلماء ، ولهذا وأمثاله كثرت الشناعات عليه ، وقامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله : قال محمد البادى ، يعنى العبرى يريد به النبي ﷺ ، نسبة إلى البادية . وقال محمد الرازى يعنى نفسه ، ومنها أنه كان يقرر الشبهة من جهة الخصوم بمبارات كثيرة ويجيب عن ذلك بأدنى إشارة وغير ذلك ، قال وبلغنى أنه خلف من الذهب الدين مائتى ألف دينار غير ما كان يملكه من الدواب والخيال والعقار والآلات ، وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار ، وكان ابنه الأكبر قد تجند وخدم السلطان محمد بن تكش . وقال ابن الأثير في الكامل : وفيها توفي فخر الدين الرازى محمد بن عمر بن خطيب الرى الفقيه الشافعى صاحب التصانيف المشهورة والفقه الأصول ، كان إمام الدين فى عصره ،

بلغنى أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسة مئة ومن شعره قوله :

إليك إله الخلق وجبى ووجبى * وأنت الذى أدعوه فى السر والجهز
وأنت غياى عند كل ملة * وأنت ملائى فى حياتى وفى قبرى
ذكره ابن الساعى عن ياقوت الحموى عن ابن لفخر الدين عنه وبه قال :

تنة أبواب السعادة للخلق * بذكر جلال الواحد الأحد الحق
مدبر كل الممكنات بأسرها * ومبدعها بالعدل والتصد والصدق
أجل جلال الله عن شبه خلقه * وأنصرهنا الدين فى الغرب والشرق
إله عظيم الفضل والعدل والى * هو المرشد المتروى هو المسمد المتقى
ومما كان يفشده :

وأرواحنا فى وحشة من جسوننا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جئنا فيه قيل وظالوا

ثم يقول : لقد اخترت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا ولا تشفى
عليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ فى الاتيأت (الرحمن على العرش استوى) (إليه
يصعد الكلم الطيب) وفى التنى (ليس كنهه شئ) (هل تعلم له سميا) .
(ثم دخلت سنة سبع وستائة)

ذكر الشيخ أبو شامة أن فى هذه السنة تمالأت ملوك الجزيرة : صاحب الموصل وصاحب سنجار
وصاحب إربل والظاهر صاحب حلب وملك الروم ، على مخالفة العادل ومنايذته ومقاتلته واصطلام
الملك من يده ، وأن تكون الخطبة للملك كنجر بن قليج أرسلان صاحب الروم ، وأرسلوا إلى
الكرج ليقدموا الحصار خلاط ، وفيها الملك الأوحى بن العادل ، ووعدهم النصر والمعونة عليه .
قلت : وهذا بنى وعدوان ينهى الله عنه ، فأقبلت الكرج بملكهم إيوانى فحاصروا خلاط فضلق بهم
الأوحى فرعا وقال : هذا يوم عصيب ، قد رآه تعالى أن فى يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر
اشتد حصارهم للبلد وأقبل ملكهم إيوانى وهو راكب على جواده وهو سكران فقط به جواده فى
بعض الحفر التى قد أعنت مكيمة حول البلد ، فبادر إليه رجال البلد فأخذوه أسيرا حقيرا ، فأسقط فى
أيدى الكرج ، فلما أوقف بين يدى الأوحى أطلقه ومن عليه وأحسن إليه ، وغداه على مائتى ألف
دينار وألنى أسير من المسلمين ، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لبلاد الأوحى ، وأن يزوج
ابنته من أخيه الأشرف موسى ، وأن يكون عونا له على من يحارب به ، فأجابه إلى ذلك كله فأخذت منه
الايمن بذلك وبث الأوحى إلى أبيه يستأذنه فى ذلك كله وأبوه نازل بظاهر حراب فى أشد حدة

عما قد دامه من هذا الأمر الفظيع ، فبينما هو كذلك إذ أتاه هذا الخبر والأمر المائل من الله العزيز الحكيم ، لا من حولهم ولا من قوتهم ، ولا كان في باطنهم ، فكاد ينهل من شدة الفرح والسرور ، ثم أجاز جميع ما شرطه والده ، وطارأت الأخبار بما وقع بين الملوك فغضوا وذوا عند ذلك ، وأرسل كل منهم يعتذر عما نسب إليه ويحجل على غيره ، وقبل منهم اعتذاراتهم وصالحهم صلحاً أكيداً واستقبل الملك عصراً جديداً ، ووفى ملك الكرج الأودح بجميع ما شرطه عليه ، وتزوج الأشراف ابنته . ومن غريب ما ذكره أبو شامة في هذه الكاتبة أن قيس الملك كان ينظر في النجوم فقال للملك قبل ذلك بيوم : أعلم أنك تدخل غداً إلى قلعة خلاط ولكن بزي غير ذلك أذن العصر ، فوافق دخوله إليها أسيراً أذن العصر . (ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين)

أرسل الملك نور الدين شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل يخطف ابنة السلطان الملك السادل ، وأرسل وكيله لقبول المقد على ثلاثين ألف دينار ، فاتفق موت نور الدين ووكيله سائر في أثناء الطريق ، ففقد المقد بعد وفاته ، وقد أتى عليه ابن الأثير في كتابه كثيراً وشكر منه ومن عدله وشهامته وهو أعلم به من غيره ، وذكر أن مدة ملكه سبع عشرة سنة وإحدى عشر شهراً ، وأما أبو المظفر السبط فانه قال كان جباراً غللاً بخيلاً سافكاً للدماء فانه أعلم به . وقام بالملك بعده القاهر عز الدين مسعود ، وجعل تدبير مملكته إلى غلامه بدر الدين لؤلؤ الذي صار الملك إليه فيما بعد .

قال أبو شامة : وفي سابع شوال شرع في عمارة المصلى ، وبنى له أربع جدر مشرفة ، وجعل له أبواباً صوفاً لمكانته من الميار ونزول القوافل ، وجعل في قبلته محراباً من حجارة ومنبراً من حجارة وعقدت فوق ذلك قبة . ثم في سنة ثلاث عشرة عمل في قبلته رواقاً وعمل له منبر من خشب ورتب له خطيب وإمام راتبان ، ومات المادل ولم يتم الرواق الثاني منه ، وذلك كله على يد الوزير الصفي ابن شكر . قال وفي ثاني شوال منها جددت أبواب الجامع الأموي من ناحية باب البرية بالنحاس الأصفر ، وركبت في أماكنها . وفي شوال أيضاً شرع في إصلاح القنطرة والشاذروان والبركة وعمل عندها مسجد ، وجعل له إمام راتب ، وأول من تولاه رجل يقال له النفيس المصري ، وكان يقال له بوق الجامع لطيب صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضرب المصنوع فيجتمع عليه الناس الكثيرون . وفي ذي الحجة منها توجهت مراكب من عكا إلى البحر إلى ثغر دمياط وفيها ملك قبرص المسي إلان فنخل الثمر ليلاً فأغار على بعض البلاد فقتل وسبي وكر راجساً فركب مراكبه ولم يتركه الطلب ، وقد ختمت له مثلها قبل هذه ، وهذا شيء لم يتفق لغيره لئله الله .

وفيها عاتت الفرنج بنواحي القدس فبرز إليهم الملك المظلم ، وجلس الشيخ قيس الدين أبو

المظفر بن قرعل الحنفي وهو سبط ابن الجوزي ابن ابنته رابعة ، وهو صاحب مرآة الزمان ، وكان فاضلا في علوم كثيرة ، حسن الشكل طيب الصوت ، وكان يتكلم في الوعظ جيدا وتعبه العامة على صيت جده ، وقد رحل من بغداد فترزل دمشق وأكرمه ملوكها ، وولى التدريس بها ، وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد على بن الحسين زين العابدين إلى السارية التي يجلس عندها الوعاظ في زمانها هذا ، فكان يكثر الجمع عنده حتى يكتووا من باب الناطقانيين إلى باب المشهد إلى باب الساعات ، الجلوس غير الوقوف ، فحز وجهه في بعض الأيام ثلاثين ألفا من الرجال والنساء ، وكان الناس يبيتون ليلة السبت في الجامع ويدعون البساتين ، يبيتون في قراءة ختات وأذكار ليحصل لهم أما كن من شدة الزحام ، فاذا فرغ من وعظه خرجوا إلى أما كنهم وليس لهم كلام إلا قبالا قال يومهم ذلك أجمع ، يقولون قال الشيخ وسمنا من الشيخ فيحبهم ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوي ، وكان يحضر عنده الأكبر ، حتى الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي ، كان يجلس في القبة التي عند باب المشهد هو وإلى البلد المتمد وإلى البرابن عميرك وغيرهم . والمقصود أنه لما جلس يوم السبت خامس ربيع الأول كما ذكرنا حث الناس على الجهاد وأمر بإحضار ما كان يحصل عنده من شعور الثنايين ، وقد عمل منه شكالات تحمل الرجال ، فلما رآها الناس ضجروا ضجة واحدة وبكوا بكاء كثيرا وقطعوا من شعورهم نحوها ، فلما انقضى المجلس ونزل عن المنبر فشقاه الوالي مبادر الهين المستند بن إبراهيم ، وكان من خيار الناس ، فثنى بين يديه إلى باب الناطقانيين يعضده حتى ركب فرسه والناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فخرج من باب الفرج وبات بالصلى ثم ركب من الفد في الناس إلى الكسوة ومعه خلأق كثير ون خرجوا بنية الجهاد إلى بلاد القدس ، وكان من جملة من معه ثلاثمائة من جهة زملكا بالمدالك كثيرة التامة ، قال : فجئنا عقبة أفيق والطير لا يتجاسر أن يطير من خوف الفرنج ، فلما وصلنا نابلس تلقانا المعظم ، قال ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك ، فلما رأى الشكالات من شعور الثنايين جل قبلها وجرعها على عفيه ووجهه ويكي ، وعمل أبو المظفر ميمادا بنابلس وحث على الجهاد وكان يوما مشهودا ، ثم سار هو ومن معه ومحبته المعظم نحو الفرنج فتسلوا خلفا وخرخوا أما كن كثيرة ، وغنموا وعدوا ساليين ، وشرع المعظم في تحصين جبل الطور وبني قلعة فيه ليكون إلبا على الفرنج ، ففرم أموالا كثيرة في ذلك ، فبست الفرنج إلى العادل يطلبون منه الأمان والمصالحة ، فهاذهم وبطلت تلك العمارة وضاع ما كان المعظم فرم عليها والله أعلم .

(الشيخ أبو عمر)

وفيها توفي من الأعيان

باني المدرسة بسفح قايسون لقراءه المشتغلين في القرآن رحمه الله ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة

الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي ، باني المدرسة التي بالسفح يقرأ بها القرآن العزيز ، وهو أخو الشيخ
 موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، وكان أبو عمر أسن منه ، لأنه ولد سنة ثمان وعشرين
 وخمسة بقرية السوايا ، وقيل بجماعيل ، والشيخ أبو عمر ربي الشيخ موفق الدين وأحسن إليه
 وزوجه ، وكان يقوم بمصالحه ، فلما قسوا من الأرض المقدسة نزلوا بمسجد أبي صالح خارج باب شرق
 ثم انتقلوا منه إلى السفح ، وليس به من العمارة شيء سوى دير الحوراني ، قال قليل لنا الصالحين
 نسبة إلى مسجد أبي صالح لا أنا صالحون ، وصحبت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا ،
 قرأ الشيخ أبو عمر القرآن على رواية أبي عمرو ، وحفظ مختصر الخرق في الفقه ، ثم إن أخاه موفق
 شرحه فيما بعد فكتب شرحه بيده ، وكتب تفسير البغوي والحلية لأبي نعم والاية لابن إبطه ، وكتب
 مصاحف كثيرة بيده الناس ولا هله بلا أجرة ، وكان كثير العبادة والزهادة والتجهد ، ويصوم الدهر
 وكان لا يزال متبها ، وكان يقرأ كل يوم سبعا بين الظهر والعصر ويصل الضحى ثمان ركعات يقرأ
 فيهن ألف مرة قل هو الله أحد ، وكان يزور مشارة الدم في كل يوم اثنين وخميس ، ويجمع في طريقه
 الشيخ فيعطيه الأرامل والمساكين ، ومهما تها له من قنوح وغيره يؤخر به أهله والمساكين ، وكان
 متقلبا في اللبس وربما مضت عليه سعة لا يلبس فيها سراويل ولا قميصا ، وكان يقطع من علمته
 قطعا يتصدق بها أو في تكبيل كفن ميت ، وكان هو وأخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغني وأخوه
 الشيخ العماد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج ، وقد حضروا معه
 فتح القدس والسواحل وغيرها ، وجاء الملك العادل يوما إلى خنهم أي خنهم لزيارة أبي عمر وهو قائم
 يصلي ، فما قطع صلاته ولا أوجز فيها ، فجلس للسلطان واستمر أبو عمر في صلاته ولم يلتفت إليه حتى
 قضى صلاته رحمه الله . والشيخ أبو عمر هو الذي شرع في بناء المسجد الجامع أولا بمال رجل فاضل ،
 فنفذ ما عنده وقد ارتفع البناء ثمانية فمئت صاحب إربل الملك المظفر كوكري مالا فكل به ، وولى
 خطابته الشيخ أبو عمر ، فكان يخطب به وعليه لبسه الضعيف وعليه أنوار الخشية والتقوى والخوف
 من الله عز وجل ، والمسك كيف خباة ظهر عليك وبان ، وكان المنبر الذي فيه يومئذ ثلاث مراقي
 والرابطة للجلوس ، كما كان المنبر النبوي ، وقد حكى أبو المظفر أنه حضر يوما عنده الجمعة وكان الشيخ
 عبد الله البوتاني حاضرا الجمعة أيضا عنده ، فلما انتهى في خطبته إلى الدعاء للسلطان قال : اللهم أصلح
 عبدك الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، فلما قال ذلك نهض الشيخ عبد الله البوتاني وأخذ
 فمليه وخرج من الجامع وترك صلاة الجمعة ، فلما فرغنا ذهبنا إلى البوتاني فقلنا له : ماذا قمنا
 عليه في قوله ؟ فقال يقول لهذا الظالم العادل ؟ لا صليت معه ، قال فبينما نحن في الحديث إذ أقبل
 الشيخ أبو عمر ومعه رغيف وخيارتان فكسر ذلك الرغيف وقال الصلاة ، ثم قال قال النبي ﷺ

« بشت في زمن الملك العادل كسرى » فتبسم الشيخ عبدالله البوتاني ومد يده فأكل فلما فرغوا قام الشيخ أبو عمر فذهب فلما ذهب قال لي البوتاني يا سيدنا ماذا إلا رجل صالح .

قال أبو شامة كان البوتاني من الصالحين الكبار ، وقد رأيتُه وكانت وفاته بعد أبي عمر بمسنتين فلم يسلمح الشيخ أباً عمر في تساهله مع ورعه ، ولعله كان مسافراً والمسافر لا جمعة عليه ، وعزير الشيخ أبي عمر أن هذا قد جرى مجرى الأعلام العادل الكامل الأشرف ونحوه ، كما يقال سلم وغنام ومسعود ومحمود ، وقد يكون ذلك على الضد والعكس في هذه الأسماء ، فلا يكون سالماً ولا غانماً ولا مسعوداً ولا محموداً ، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم ، والتجار وغيرهم ، كما يقال قمس الدين و بدر الدين وعز الدين ونواج الدين ونحو ذلك قد يكون ممكوماً على الضد والاختلاف ومثله الشافعي والحنبلي وغيرهم ، وقد تكون أفعاله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك ، وكذلك العادل يستحل إطلاقه على المشترك والله أعلم . قلت : هذا الحديث الذي احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له ، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة ، وهجياً له ولأبي المنظر ثم لأبي شامة في قبول مثل هذا وأخذه منه مسلماً إليه فيه والله أعلم .

ثم شرع أبو المنظر في ذكر فضائل أبي عمر ومناقبه وكراماته وما رآه هو وغيره من أحواله الصالحة . قال : وكان على مذهب السلف الصالح صمناً وهدياً ، وكان حسن العقيدة متمسكاً بالكتاب والسنة والآثار المروية بجرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وكان ينهى عن محبة المتبذعين ويأمر بصحبة الصالحين الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وربما أنشدني لنفسه في ذلك :

أوصيكم بالقول في القرآن • بقول أهل الحق والاختيار
ليس بمخلوق ولا بفنان • لكن كلام الملك الهادي
آياته مشرقة الماني • منلوة لله باللسان
محفوفة في الصدر والجنان • مكتوبة في الصحف بالبيان
والقول في الصفات إخواني • كلمات والملم مع البيان
إمراهما من غير ما كفران • من غير تشبيه ولا عطلان

قال وأنشدني لنفسه :

ألم يك ملهاة عن الهوى أنقى • بدلى شيب الرأس والضعف والألم
ألم لي انطلب القى لو بكيته • حياتي حتى يغب القمع لم ألم
قال ومريض أياماً فلم يترك شيئاً مما كان يسهله من الأوراد ، حتى كانت وفاته وقت السحر في ليلة

الثلاثة التاسع والعشرين من ربيع الأول فدخل في الدبر وحل إلى مقبرته في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والخدام والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان الحر شديداً فأظلمت الناس سحابة من الحر ، كان يسمع منها كدوى النحل ، وكان الناس يتجهون أكتافهم ويمت ثيابهم بالغالى الغالى ، ورواه الشراء بجرائى حسنة ، ورؤيت له منامات سالحة رحمه الله . وترك من الأولاد ثلاثة ذكور : عمر ، وبه كان يكنى ، والشرف عبد الله وهو الذى ولي الخطابة بعد أبيه ، وهو والد المرز أحمـد . وعبد الرحمن . ولما توفى الشرف عبد الله صارت الخطابة لأخيه شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر ، وكان من أولاد أبيه المذكور ، فهو له أولاد المذكور ، وترك من الأنثى بنتاً كما قال الله تعالى (مسلّات ومُملت قانتات قابلات عابدات ساجدات ثيبات وأبكارا) قال وقبره في طريق مفارقة الجوع في الزقاق المقابل لدبر الحورائى رحمه الله وإياها .

(ابن طبرزد شيخ الحديث)

عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بأبى حفص بن طبرزد البغدادي الهراقرزى ، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة ، سمع الكثير وأسمع ، وكان خليفاً ظريفاً ملجناً ، وكان يؤدب الصبيان بدارالقرى قدم مع حنبل بن عبد الله الكبير إلى دمشق فسمع أهلها عليها ، وحصل لهما أموال وعادا إلى بغداد فمات حنبل سنة ثلاث وتأخروا إلى هذه السنة [في تاسع شهر رجب] فمات وله سبع وتسعون سنة ، وترك مالا جيداً ولم يكن له وارث إلا بيت المال ، ودفن بباب حرب .

(السلطان الملك الناصر أوسلان شاه)

نور الدين صاحب الموصل ، وهو ابن أخى نور الدين الشهيد ، وقد ذكرنا بعض سيرته في الحوادث ، كان شافئى المذهب ، ولم يكن بينهم شافئى سواه ، وبنى لشافعية مدرسة كبيرة بالموصل وبها تربته ، توفى في صفر ليلة الأحد من هذه السنة .

(ابن مكينة عبد الوهاب بن على)

ضياء الدين المعروف بابن مكينة الصوفى ، كان يمد من الأبدال ، سمع الحديث الكثير وأسمعه ببلاد شتى ، ولد في سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وكان صاحباً لأبى الفرج ابن الجوزى ملازماً لجلسه وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً لكثرة الخلق ولكثرة ما كان فيه من انفاضة والعاملة رحمه الله .

(مظفر بن ساسير)

الواعظ الصوفى البغدادي ، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وسمع الحديث ، وكان يخطب في الأعزمية والمساجد والقرى ، وكان ظريفاً مطبوعاً قام إليه إنسان فقال له فيما بينه وبينه : أنا مريض جائع ، فقال : أحمد ربك فقد عوفيت . واجتاز مرة على قصاب يبيع لحماً ضعيفاً وهو يقول أين من

حلف لا يئبن ، فقال له حتى نحتنه . قال : وعملت مرة مجلساً يبعثوا فجعل هذا يقول عندي الشيخ نصفية وهذا يقول عندي الشيخ نصفية وهذا يقول مثله حتى عدوا نحواً من حسين نصفية ، قتل في نضى : استغثت اليلة فأرجع إلى البلد تاجراً ، فلما أصبحت إذا صبرة من شمير في المسجد فتيل لي هذه النصافي التي ذكر الجماعة ، وإذا هي بكيلة يسمونها نصفية مثل الزبدية ، وعملت مرة مجلساً يباصرنا فجاءوا لي شيئاً لا أدرى ما هو ، فلما أصبحنا إذا شيء من صوف الجواميس وقرورها ، فقام رجل ينادى عليكم عندكم في قرون الشيخ وصوفه ، قتل لا حاجة لي بهذا وأنتم في حل منه . ذكره أبو شامة

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة)

استهلت والمادل مقيم على الطور لعمارة حصنه ، وجاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن عبد المؤمن قد كسر الفرنج ببطليطة كسرة عظيمة ، وربما فتح البلد عنوة وقتل منهم خلقاً كثيراً . وفيها كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة ، هدمت منها دوراً كثيرة ، وكذلك بالكرك والشوبك هدمت من قلعتهما أبراجاً ، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم ، ورؤى دخان تازل من السماء فيما بين المغرب والشاء عند قبر عائكة غربي دمشق . وفيها أظهرت الباطنية الاسلام وأقامت الحدود على من تعاطى الحرام ، وبنوا الجوامع والمساجد ، وكتبوا إلى إخوانهم بالشام بمضات وأمانها بذلك ، وكتب زعيمهم جلال الدين إلى الخليفة يملئه بذلك ، وقدمت أمة منهم إلى بغداد لأجل الحج فآكرموا وعظموا بسبب ذلك ، ولكن لما كانوا بمرقات ظفر واحد منهم على قريب لأمير مكة قتادة الحسيني قتلته غلاتاً أنه قتادة فثار فتنة بين سودان مكة وركب العراق ، ونهب الركب وقتل منهم خلق كثير . وفيها اشترى الملك الأشرف جوصق الرئيس من التهرب من ابن عم الظاهر حضر بن صلاح الدين وبناه بناء حسناً ، وهو المسمى بزماننا بالدهشة . وفيها توفي من الأعيان .

(الشيخ عماد الدين)

محمد بن يونس الفقيه الشافعي الموصلي صاحب التصانيف والفنون الكثيرة ، كان رئيس الشافعية بالموصل ، وبعث رسولا إلى بغداد بعد موت نور الدين أرسلان ، وكان عنده وسوسة كثيرة في الطهارة ، وكان يعامل في الأموال بمسألة العينة كما قيل تصفون البعض من شرابكم وتستر بطون الجمال بأحاملها ، ولو عكس الأمر لمكان خيراً له ، فلقبه يوماً قضيض البان الموكه فقال له : يا شيخ بلني عنك أنك تسفل العضو من أعضائك بإبريق من الماء فلم لا تسفل القمعة التي تأكلها لتستظف قلبك وباطنك ؟ فهم الشيخ ما أراد فترك ذلك . توفي بالموصل في رجب عن ثلاث وسبعين سنة .

(ابن حمدون تاج الدين)

أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، كان فاضلاً جليلاً ، اعتنى بجميع

الكتب المنسوبة وغيرها ، وولاه الخليفة المارستان المصنعي ، توفي بالمداين وحل إلى مقابر قریش
فدفن بها ﴿ صاحب الروم خسر وشاه ﴾

ابن قلعج أرسلان ، مات فيها وقام بالملك بعده ولده كيكيارس ، فلما توفي في سنة خمس عشرة
ملك أخوه كيقياذ صارم الدين رغش المادلي نائب القلعة بدمشق ، مات في صفر ودفن بقرنته غري
الجامع المظفرى ، وهذا الرجل هو الذى نفي الحافظ عبد الغنى المقدسى إلى مصر وبين يديه كان عقد
المجلس ، وكان في جملة من قام عليه ابن الزكي والخطيب الدولى ، وقد توفوا أر بعثهم وغيرهم ممن قام
عليه واجتمعوا عند ربهم الحكم العدل سبحانه .

٢٠ ﴿ الأمير نغر الدين سرکس ﴾

و يقال له جهارکس أحد أمراء الدولة الصلاحية وإليه تنسب قباب سرکس بالسفح فجاء تربة
خاتون وبها قبره . قال ابن خلكان : هذا هو الذى بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة إليه
وبنى في أعلاها مسجداً مملقاً وربما ، وقد ذكر جماعة من التجار أنهم لم يروا لها نظيراً في البلدان
في حسنها وعظمتها وإحكام بنائها . قال : وجها ركس بمعنى أربعة أنف . قلت : وقد كان نائباً
للمادل على بانياس وثنين وهو بين ، فلما توفي ترك ولداً صغيراً فأقره المادل على ما كان يليه أبوه وجعل
له مدبراً وهو الأمير صارم الدين قطلبا التنيسى ، ثم استقل بها بعد موت الصبي إلى سنة خمس عشرة
﴿ الشيخ الكبير المعمر الرحلة أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح ﴾

منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل القراوى النيسابورى ، سمع أباه وجد أبيه
وغيرهما ، وعنه ابن الصلاح وغيره ، توفي بنيسابور في شعبان في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة

﴿ قاسم الدين التركمانى ﴾

المقبى والده وإلى البلد ، كانت وفاته في شوال منها والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستائة ﴾

فبها اجتمع المادل وأولاده الكامل والمظلم والفائز بدمياط من بلاد مصر في مقاتلة الفرنج
فاغتنم غيبتهم سلمة الجبلى أحد أكابر الأمراء ، وكانت يده قلعة عجلون وكوكب فسار مسرعاً إلى
دمشق ليستلم البلدين ، فأرسل المادل في إثره ولده المظلم فسبقه إلى القدس وحل عليه فرسم عليه
في كنيمة صهيون ، وكان شيخاً كبيراً قد أصابه النقرس ، فشرع يده إلى الطاعة بالملاطفة فلم ينفع فيه
فاستولى على حواصله وأمواله وأرسله إلى قلعة الكرك فاعتقله بها ، وكان قيمة ما أخذه منه
قریباً من ألف ألف دينار ، من ذلك داره وحمله داخل باب السلامة ، وداره هي التي جعلها
البحراني مدرسة للشافعية ، وغرب حصن كوكب وقلعت حواصله إلى حصن الطور الذى استجده

المادل وولده المعظم . وفيها عزل الوزير ابن شكر واحتيط على أمواله ونفى إلى الشرق ، وهو الذي كان قد كتب إلى الأمير المصرية بنفى الخافظ عبد الغنى منها بعد نفيه من الشام ، فكتب أن ينفى إلى المغرب ، فتوفي الخافظ عبد الغنى رحمه الله قبل أن يصل الكتاب ، وكتب الله عز وجل بنفى الوزير إلى الشرق محل الزلازل والفتن والشر ، ونفاه عن الأرض المقدسة جزاء وفاقا . ولما استولى صاحب قبرص على مدينة أنطاكية حصل بسببه شر عظيم وتمكن من الغارات على بلاد المسلمين ، لا سيما على التراكين الذين حول أنطاكية ، قتل منهم خلقا كثيرا وغنم من أغنامهم شيئا كثيرا ، فقدر الله عز وجل أن أمكنهم منه في بعض الأودية فقتلوه وطاقوا برأسه في تلك البلاد ، ثم أرسلوا رأسه إلى الملك السادل إلى مصر فطيف به هنالك ، وهو الذي أغار على بلاد مصر من ثغر دمياط مرتين قتل وسبي وهجز عنه الملوك .

وفي ربيع الأول منها توفي الملك الأوحده .

(نعيم الدين أريب)

ابن المادل صاحب خلاط ، يقال إنه كان قد سفك الدماء وأساء السيرة قصف الله عمره ، وولياها بعده أخوه الملك الأشرف موسى ، وكان محمود السيرة جيدة السريرة فأحسن إلى أهلها فأحبوه كثيرا . وفيها توفي من الأعيان .

(نقيه الحرم الشريف بمكة)

محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف البجلي ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القنصلي المقرئ الحديث ، كتب كثيرا وجمع الكثير ودفن بمقابر الصوفية .

(أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي)

من أهل مرو ، له كتب المحصل في شرح المفصل للزحشرى في النحو . كان فقه عالما سمع الحديث توفي فيها عن ثنتين وقسمين سنة .

(الشيخ الصالح الزاهد المابدي)

أبو البقاء محمود بن عثمان بن مكارم النعماني الحنبلي ، كان له عبادات ومجاهدات وسياحات ، وبنى رباطا بياض الأزح يأوي إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم ، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم ، وقد سمع الحديث وقرأ القرآن ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . توفي وقد جاوز الثمانين .

(ثم دخلت سنة خمس وستة)

فيها أمر المادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أفواه الطرق إلى الجامع لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانة للمسلمين عن الأذى بهم ، ولئلا يضيئوا على المارين إلى الصلاة . وفيها ولد الملك

العزيز لظاهر غازي صاحب حلب، وهو والده الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصريتين داخل دمشق، إحداهما داخل باب الفزاديس، والأخرى بالسفح ذات الحائط المائل والمارة المتينة، التي قيل إنه لا يوجد مثلاً إلا قليلاً، وهو الذي أسره التتار الذين مع هلاكهم ملك التتار. وفيها قدم بالفيل من مصر فحل هدية إلى صاحب الكرج فتعجب الناس منه جداً، ومن يدعي خلقه. وفيها قدم الملك الظاهر خضربن السلطان صلاح الدين من حلب قاصدا الحج، فتلقيه الناس وأكرمه ابن عمه المظفر، فلما لم يبق بينه وبين مكة إلا مراحل يسيرة تلتقه حاشية الكامل صاحب مصر وصدوه عن دخول مكة، وقالوا إنما جئت لأخذ العين، فقال لهم قيدي وذروني أقضى المناسك، فقالوا: ليس معنا مرسوم وإنما أمرنا بردك وصدك، فهم طائفة من الناس بقتلهم تخاف من وقوع فتنة فتعال من حجه ورجع إلى الشام، وتألف الناس على ما قبل به وتباركوا ما ودعهم، فقبل الله منه. وفيها وصل كتاب من بعض قههاف الخنقية بخراسان إلى الشيخ تاج الدين أبو العباس الكندي يخبر به أن السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش تنكر في ثلاثة نفر من أصحابه، ودخل بلاد التتر ليكشف أخبارهم بنفسه، فأنكرهم فقبضوا عليهم فضربوا منهم اثنين حتى ماتوا ولم يقرأ بما جاؤا فيه واستوثقوا من الملك وصاحبه الآخر أسرا، فلما كان في بعض البياض هربا ورجع السلطان إلى ملكه وهذه المرة غير نوبة أسره في المركة مع ابن مسعود الأمير.

وفيها ظهرت بلاطة وهم يمجرون في خندق حلب فوجد تحتها من الذهب خمسة وسبعون رطلا، ومن الفضة خمسة وعشرون بالطل الحلبي.

وفيها توفي من الأعيان.

(شيخ الخنقية)

مدرس مشهد أبي حنيفة ببنفاد، الشيخ أبو الفضل أحمد بن مسعود بن علي الرضائي، وكان إليه المظالم، ودفن بالشهد المذكور.

(والشيخ أبو محمد بن إسماعيل)

ابن علي بن الحسين بن محمد بن الحنبلي، يعرف بابن المشطة، ويقال له الفخر غلام ابن المني، له تلمذة في الخلاف وله حلقة بجميع الخليفة، وكان على النظر في قرابة الخليفة، ثم عزله فلم يبقه بينه وبينه لا شيء. له إلى أن مات رحمه الله، وكان ولده محمد مديرا شيطانا مريدا كثير الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياء الأمر بالباطل، قطع لسانه وحسب إلى أن مات.

(والوزير محمد بن أبي المال)

صميد بن علي بن أحمد بن حديد، من سلافة الصغاني قطبة بن عمر بن حديد الأنصاري، ولي الوزارة لناصر في سنة أربع وخمسين، ثم عزله عن سفارة ابن مهدي فهرب إلى مراغة، ثم عاد

بعد موت ابن مهدي فأقام بينداد معظماً محترماً ، وكان كثير الصدقات والاحسان إلى الناس إلى أن مات رحمه الله ﴿ وسنجر بن عبد الله الناصري ﴾

الخليفتي ، كانت له أموال كثيرة وأملاك وإقطاعات متسمة ، وكان مع ذلك بخيلاً ذليلاً ساقط النفس ، اتفق أنه خرج أمير الحاج في سنة تسع وثمانين وخمائة ، فاعترضه بعض الأعراب في غمر يسير ، ومع سنجر خمائة فارس ، فدخله القتل من الأعرابي ، فطلب منه الأعرابي خمسين ألف دينار فجباها سنجر من الحجيج ودفعها إليه ، فلما عاد إلى بينداد أخذ الخليفة منه خمسين ألف دينار ودفعها إلى أصحابها وعزله وولى طلائع مكنه .

﴿ قاضي السلامة ﴾

ظهر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ، القبة الشافعي الأديب ، ذكره الهادي في الجريدة وابن خلكان في الوفيات ، وأثنى عليه وأنشد من شعره ، في شيخه له زاوية ، وفي أصحابه يقال له مكي :

ألا قل لمكي قول النصوص • وحق النصيحة أن تستمع
معي مع الناس في دينهم • بأن القنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير • ويرقص في الجمع حتى يقع
ولو كان طاولي الحشا جائلاً • لما دار من طرب واستمع
وقالوا : سكرنا بحب الاله • وما أسكر القوم إلا الفقع
كذلك الجهر إذا أخصبت • يهيجها رجاها والشعب
ترام يمزوا لحام إذا • ترتم حادهم بالبيع
فيصرخ هنا وهنا يئن • ويبس لوتلين ما انصبغ

﴿ وتاج الأمانه ﴾

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر من بيت الحديث والرواية ، وهو أكبر من إخوته زين الغفر والأمانه ، مع عيه الحفاظ أبي القاسم والصائين ، وكان صديقاً للكندي توفي يوم الأحد ثاني رجب ودفن قبلي محراب مسجد القدم .

﴿ والنسابة الكلبي ﴾

كان يقال له تاج البلى الحسيني ، اجتمع بأمد بآبن حمية ، وكان ينسب إلى حمية الكلبي ، وحمية الكلبي لم يقب ، فرماه ابن حمية بالكذب في مسائله الموصلة . قال ابن الأثير : وفي الحرم منها توفي

(المنهب الطيب المشهور)

وهو علي بن أحمد بن مقبل الموصلی ، سمع الحديث وكان أعلم أهل زمانه بالطب ، وله فيه تصنيف حسن ، وكان كثير الصدقة حسن الأخلاق .

(الجزولي صاحب المقدمة المسماة بالقانون)

وهو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي - بطن من البربر - ثم البردكيني النحوي المصري ، مصنف المقدمة المشهورة البديعة ، شرحها هو وتلامذته ، وكانهم يترقبون بتقصيرهم عن فهم مراده في أماكن كثيرة منها ، قدم مصر وأخذ عن ابن بري ، ثم عاد إلى بلاده وولى خطابة مراکش ، توفي في هذه السنة وقيل قبلها فله أعلم .

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة وصمائة)

فيها أرسل الملك خوارزم شاه أميراً من أخصاء أمراءه عنده ، وكان قبل ذلك سيروانياً فصار أميراً خاصاً ، فيمضيه في جيش فتفتح له كرمان وتكران وإلى حدود بلاد السند ، وخطب له بتلك البلاد ، وكان خوارزم شاه لا يصف إلا بنواحي سمرقند خوفاً من التتار وكشلى خان أن يشبوا على أطراف تلك البلاد التي تناخهم . قال أبو شامة : وفيها شرع في تبليط داخل الجامع الأموي وبدأوا من ناحية السبع الكبير ، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حرا وجورا ، فاستراح الناس في تبليطه . وفيها وسع الخندق مما يلي القيازية فأخربت دور كثيرة وحمل قاعاز وقرن كان هناك وقعا على دار الحديث النورية . وفيها بنى المظفر الفنديق المنسوب إليه بناحية قبر عائكة ظاهر باب الجابية . وفيها أخذ المظفر قلعة صرخند من ابن قراجا وعوضه عنها وسلها إلى مملوكه عز الدين أيك المظفر ، فثبتت في يده إلى أن انتزعها منه نجم الدين أيوب سنة أربع وأربعين . وفيها حج الملك المظفر ابن العادل ركب من الكرك على الملقب في إحدى عشر ذي القعدة ومعه ابن موسك ومملوك أبيه وعز الدين أستاذ داره وخلق ، فسار على طريق تبوك والعلا . وبنى البركة المنسوبة إليه ، ومصانع أخرى . فلما قدم المدينة النبوية تلقاه صاحبها سالم وسلم إليه مغانيحها وخدمه خدمة تامة ، وأما صاحب مكة فتادة فلم يرفع به رأساً ، ولمنا لما قضى نسكه ، وكان ظرونا ، وأنفق في الجوارين ما حله إليهم من الصدقات وكرّاجاً استصحب معه سالماً صاحب المدينة وتشكى إلى أبيه عند رأس الماء ما لقيه من صاحب مكة ، فأرسل العادل ، مع سالم جيشاً يطردون صاحب مكة ، فلما انتهوا إليها هرب منهم في الأودية والجبال والبراري ، وقد أضر المظفر في حجة هذه آثاراً حسنة بطريق الحجاز

أنابه الله ،

وفيها تملل أهل دمشق في القراطيس السود العادلية ثم بطلت بعد ذلك ودفنت . وفيها مات

صاحب الدين وتولاها سليمان بن شاعنشه بن قتي الدين عمر بن شاعنشه بن أيوب بإتفاق الأمراء عليه ، فأرسل العادل إلى ولده الكامل أن يرسل إليها ولده أضييس ، فأرسله فتملكها فظلم بها وقتل وغشم ، وقتل من الأشراف نحواً من ثمانمائة ، وأما من عدام فكثير ، وكان من أجبر الملوك وأكثرم فسقا وأقلمهم حياءً ودنياً ، وقد ذكروا عنه ما تحشرونه الأبدان وتكره القلوب ، نسأل الله العافية وفيها توفي من الأعيان ﴿ إبراهيم بن علي ﴾

ابن محمد بن بكر وس الفقيه الحنبل ، أفق وتاخر وعدل عند الحكماء ، ثم انسلخ من هذا كله وصار شرطياً بباب النوى يضرب الناس ويؤذيهم غاية الأذى ، ثم بعد ذلك ضرب إلى أن مات وألقي في دجلة وفرح الناس بموته ، وقد كان أبوه رجلاً صالحاً .

﴿ الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ﴾

ابن الشيخ عبد القادر ، كان أبوه صالحاً وكان هو متبهماً بالفلسفة ومخالطة النجوم ، ووجد عنده كتب في ذلك ، وقد ولي عدة ولايات ، وفيه وفي أمثاله يقال : نعم الجلود ولكن بقس ما نسلوا . رأى عليه أبوه يوماً ثوباً بخارياً فقال : سمعنا بالبخاري ومسلم ، وأما بخاري وكافر فهذا شيء عجيب ، وقد كان مصاحباً لأبي القاسم ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وكان الآخر مديراً فاسقاً ، وكانا يجتمعان على الشراب والمردان قبحهما الله .

﴿ أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك ﴾

اليزار المعروف بابن الأخضر البغدادي المحدث الكثير الحافظ المصنف الحرر ، له كتب مفيدة متقنة ، وكان من الصالحين ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً رحمه الله .

﴿ الحافظ أبو الحسن علي بن الأتجب ﴾

أبي المكارم المفضل [بن أبي الحسن علي بن أبي الفيث مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن] القضي المقدسي ، ثم الاسكندراني المالكي ، مع السلفي وعبد الرحيم المنقري وكان مدرسا لهالكياً بالأسكندرية ، وثائب الحكم بها . ومن شعره قوله :

أياض بلأثور عن خير مرسل • وأصحابه والتائبين تمسكي
عساكي إذا بالنت في نشر دينه • بما طلب من عرف له أن تمسكي
وخافى غدا يوم الحساب جهنما • إذا لفتت نيرانها أن تمسكي
توفي بالقاهرة في هذه السنة قاله ابن خلكان .

﴿ ثم دخلت سنة ألفي عشرة وستائة ﴾

فيها شرع في بناء المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق ، وفيها عزل القاضي ابن الزكي وفوض الحكم

إلى القاضي جمال الدين بن الخرساني ، وهو ابن ثمانين أو تسعين سنة ، فحكم بالعدل وقضى بالحق ، ويقال إنه كان يحكم بالمدرسة الجاهدية قريبا من النورية عند باب القواسين . وفيها أبطل العادل ضلع الحر والقيان جزاء الله خيرا ، فزال بزوال ذلك عن الناس ومنهم شر كثير . وفيها حاصر الأمير قتادة أمير مكة المدينة ومن بها وقطع نخلا كثيرا ، قتاله أهلها فكر خائبا خلسا حسيرا ، وكان صاحب المدينة بالشام يطلب من العادل نجدة على أمير مكة ، فأرسل معه جيشا فأسرع في الأوبة فأت في أثناء الطريق ، فاجتمع الجيش على ابن أخيه جواز شيئا كثيرا ، وهرب قتادة إلى اليبغ فساروا إليه فحاصروه بها وضيقوا عليه . وفيها أغارت الفرنج على بلاد الاسماعيلية قتلوا ونهبوا . وفيها أخذ ملك الروم كيكلار مدينة أنطاكية من أيدي الفرنج ثم أخفها منه ابن لاون ملك الأرمن ، ثم منه إيريس طرابلس . وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكمش مدينة غزنة بغير قتال .

وفيها كانت وفاة ولي العهد أبي الحسن على بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، ولما توفي حزن الخليفة عليه حزنا عظيما ، وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صداقاته وإحسانه إلى الناس ، حتى قيل إنه لم يبق بيت ببغداد إلا حزنوا عليه ، وكان يوم جنازته يوما مشهودا ونح أهل البلد عليه ليلا ونهارا ، ودفن عند جدته بالقرب من قبر معروف ، توفي يوم الجمعة العشر من ذي القعدة وصلى عليه بعد صلاة العصر ، وفي هذا اليوم قدم بغداد برأس منكلى ألقى كان قد عصى على الخليفة وعلى أستاذه ، فطيف به ولم يتم فرجه ذلك اليوم لموت ولده وولي عهده ، والدنيا لا تسر بقدر ماتصر ، وترك ولدين أحدهما المؤيد أبو عبد الله الحسين ، والموفق أبو الفضل يحيى .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ الحافظ عبدالقاهر الراوى ﴾

ابن عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الحافظ المحدث المخرج المفيد الحر المتقن البارع المصنف ، كان مولى لبعض الموصلة ، وقيل لبعض الجوابين ، اشتغل بدار الحديث بالوصل ، ثم انتقل إلى حران ، وقد رحل إلى بلدان شتى ، وسمع الكثير من المشايخ ، وأقام بجران إلى أن توفي بها ، وكان مولده في سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، كان دينيا صالحا رحمه الله .

﴿ الوجيه الأحمى ﴾

أبو بكر المبارك بن سعيد بن الهان النحوى الواسطى الملقب بالوجيه ، ولد برامط وقدم بغداد فاشتغل بعلم العربية ، فأحسن ذلك وحفظ شيئا كثيرا من أشعار العرب ، وسمع الحديث وكان حنبليًا ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم صار شافعيًا ، وولى تدريس النحو بالنظمية ، وفيه يقول الشاعر :

فن مبلغ عنى الوجيه رسالة • وإن كان لا نجدى إليه الرسائل

تغذيت للثمان بمدائن حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكل
وما أخت رأى الشافعي ديانة * ولكننا نهوى القى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * إلى مالك فانظر إلى ما أنت قائل

وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والأمثال والملح ، ويعرف العربية والتركية والعجمية
والرومية والحبشية والإنجية ، وكانت له يد طولى فى نظم الشعر . فمن ذلك قوله :

ولو وقفت فى لجة البحر قطرة * من الزمن يوماً ثم شاء لما زها
ولو ملك الدنيا فأضحى ملوكها * عبيداً لله فى الشرق والغرب مازها

وله فى التنجيس :

أطلت ملاهى فى اجتنابى لمشر * طغام لثام جودهم غير مرتجى
حوا ملهم والدين والعرض منهم * مباح ، فما يخشون من عاب أو هجا
إذا شرع الأجواد فى الجود منهجاً * لهم شرعوا فى البخل سبعين منهجا

وله مدائح حسنة وأشعار رائعة ومعاني فائقة ، وربما عارض شعر البحرى بما يقاربه ويدانيه ،
قالوا وكان الوجه لا يفض قط ، قراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا ، فجاء إليه
فسأله عن مسألة فى العربية فأجابها بالجواب ، فقال له السائل : أخطأت أيها الشيخ ، فأعاد عليه
الجواب بعبارة أخرى ، فقال : كذبت وما أراك إلا قد نسيت النحو ، فقال الوجه : أيها الرجل فلعلك
لم تفهم ما أقول لك ، فقال بلى ولكنك تخطئ فى الجواب ، فقال له قل أنت ما عندك لنستفيد منك ،
فأغلظ له السائل فى القول فتبسم ضاحكا وقال له : إن كنت راхنت فقد غلبت ، وإلما مثلك
مثل البعوضة - يعنى الناموسة - سقطت على ظهر الفيل ، فلما أرادت أن تطير قالت له استمسك
فانى أحب أن أطير ، فقال لها الفيل : ما أحسست بك حين سقطت ، فما أحتاج أن أستمسك إذا
طرت ، كانت وفاته رحمه الله فى شعبان منها ودفن بالوردية .

(أبو محمد عبد العزيز بن أبي المالى)

ابن غنية المعروف بابن منينا ، ولد سنة خمس عشرة وخمسة مائة وسمع الكثير وأمهه ، توفى فى
ذى الحجة منها عن سبع وتسعين سنة .

(الشيخ الفقيه كمال الدين مودود)

ابن الشافعى كان يقرئ بالجامع الأموى الفقه وشرح التنبيه للطلبة ، ويتأى عليهم
حتى يفتهموا احتسابا تجاه المقصورة . ودفن بمقابر باب الصغير شمالى قبور الشهداء وعلى قبره شعر ذكره
أبو شامة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستائة ﴾

قال أبو شامة : فيها أحضرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قبة النسر ، طول كل واحد اثنا عشر وثلاثون ذراعاً بالنجار . وفيها شرع في تجديد خندق باب السر المقابل لدار العلم المتينة إلى جانب بانياس . قلت : هي التي يقال لها اليوم اصطبل السلطان ، وقد قتل السلطان بنفسه التراب وعماله يحمل بين يديه على قريوس السروج الثقاف من التراب فيفرغونها في الميدان الأخضر ، وكذلك أخوه الصالح وعماله يعمل هذا يوماً وهذا يوماً . وفيها وقعت فتنة بين أهل الشاغور وأهل القبية فاقبلوا بالرحبة والصيارف ، فركب الجيش إليهم ملبسين وجاء المعظم بنفسه فشكل رؤسهم وجسهم . وفيها رتب بالمصل خطيب مستقل ، وأول من بشره الصدر معيد القلعة ، ثم خطب به بعد يهاه الدين بن أبي اليسر ، ثم بنو حسان وإلى الآن .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ الملك الظاهر أبو منصور ﴾

غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان من خيار الملوك وأسد ميرة ، ولكن كان فيه عسف ويماقب على القنب اليسير كثيراً ، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء ، أقام في الملك ثلاثين سنة وحضر كثيراً من الغزوات مع أبيه ، وكان ذكياً له رأي جيد وعيادة سديدة وفطنة حسنة ، بلغ أربعاً وأربعين سنة ، وجعل الملك من بعده لولده العزيز غياث الدين محمد ، وكان حينئذ ابن ثلاث سنين ، وكان له أولاد كبار ولكن ابنه هذا الصغير اتقى عهد إليه كان من بنت عمه العادل وأخواله الأشرف والمعظم والكامل ، وجده وأخواله لا يئازعونه ، ولو عهد لغيره من أولاده لأخذوا الملك منه ، وهكذا وقع سواء ، بايع له جده العادل وأخواله ، وهم المعظم ينتقض ذلك ، وأخذ الملك منه فلم ينتفح له ذلك ، وقام بتدبير ملكه الطواشي شهاب الدين طنبرك الرومي الأبيض ، وكان ديناً عاقلاً .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ زيد بن الحسن ﴾

ابن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة الشيخ الإمام وحيد عصره تاج الدين أبو الحسن الكندي ، ولد ببغداد ونشأ بها واشتغل وحصل ، ثم قدم دمشق فأقام بها وفق أهل زمانه شرفاً وغرباً في الفقه والنحو وغير ذلك من فنون العلم ، وعلو الاستاد وحسن الطريقة والسيرة وحسن العقيدة ، واتسع به علم زمانه وأثنوا عليه وخضعوا له . وكان حنبلياً ثم صار حنفياً . ولد في الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسةائة ، قرأ القرآن بالرواية وعمره عشرين سنين ، وجمع الكثير من الحديث العالي على الشيوخ الثقات ، وعنى به وقلم العربية والفقه واشتهر بذلك ، ثم دخل الشام في سنة ثلاث وستين وخمسةائة ، ثم سكن مصر واجتمع بالتأخرى الفاضل ، ثم انتقل إلى دمشق فسكن بدار

المعجم منها وحظى عند الملوك والوزراء والأشراف ، وتردد إليه العلماء والملوك وأبنائهم ، كان الأفضل ابن صلاح الدين وهو صاحب دمشق يتردد إليه إلى منزله ، وكذلك أخوه الحسن والمظفر ملك دمشق ، كان يتزل إليه إلى درب المعجم يقرأ عليه في المفصل للزخشرى ، وكان المعظم يعطى لمن حفظ المفصل ثلاثين دينارا جائزة ، وكان يحضر مجلسه بدرج المعجم جميع المصدرين بالجمع ، كالشيخ علم الدين السخاوى و يحيى بن معطى الوجيه اللوى ، والفخر التركى وغيرهم ، وكان القاضي الفاضل يثنى عليه . قال السخاوى : كان عنده من العلوم ما لا يوجد عند غيره . ومن العجب أن سيويه قد شرح عليه كتابه وكان اسمه عمرو ، واسمه زيد . قلت في ذلك :

لم يكن في عهد عمرو مثله • وكذا الكندى في آخر عصر

فهما زيد وعمرو إتما • بنى النحو على زيد وعمرو

قال أبو شامة : وهذا كما قال فيه ابن الأدهان المذكور في سنة ثنتين وتسعين وخمسة :

يا زيد زادك ربى من مواهبه • نماء يقصر عن إدراكها الأمل

النحو أنت أحق المالمين به • أليس بإمكانك فيه يضرب المثل

وقد مدحه السخاوى بقصيدة حسنة ، وأثنى عليه أبو المظفر سبط ابن الجوزى ، وقال قرأت عليه وكان حسن العقيدة طريف الخلق لا يسأم الانسان من مجالسته ، وله النوادر العجيبة والخط المليح والشعر الزائق ، وله ديوان شعر كبير ، وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شوال منها وله ثلاث وتسعون سنة وشهر وسبعة عشر يوماً ، وصلى عليه بجامع دمشق ثم حل إلى الصليبية فدفن بها ، وكان قد وقف كتبه - وكانت نفيسة - وهي سبعمائة وإحدى وستون مجلداً ، على منتهى نجيب الدين ياقوت ، ثم على العلماء في الحديث والفقه والفقه وغير ذلك ، وجعلت في خزانة كبيرة في مقصورة ابن سنان الحلبية المجاورة لشهد على بن زين العابدين ، ثم إن هذه الكتب فترقت وبيع كثير منها ولم يبق بالخرانة المشار إليها إلا القليل الرث ، وهي بمقصورة الحلبية ، وكانت قدما يقال لما مقصورة ابن سنان ، وقد ترك نعمة وافرة وأموالاً جزيلة ، وعمالك متعددة من الترك الحسان ، وقد كان رقيق الحاشية حسن الأخلاق يعامل الطلبة معاملة حسنة من القيام والتنظيم ، فلما كبر ترك القيام لهم وأنشأ يقول :

ترك قياى الصديق يزورنى • ولا ذنب لى إلا الاطالة فى عرى

فان بلنوا من عشر تسعين نصفها • تبين فى ترك القيام لهم عذرى

وعما مدح فيه الملك المظفر شاهنشاه ما ذكره ابن السامى فى تاريخه :

وصال النوائى كان أورى وأرجا • وعصر التندائى كان أبهى وأبهجا

ليالى كان العمر أحسن شائع • تولى وكان الهوى أوضح منها
 بدا الشيب فأنجابت طماعية الصبا • وقبح لى ما كان يستحسن الحبا
 بلهنية ولت كان لم أكن بها • أجلي بها وجه النعم مسرجا
 ولا اختلت في برد الشلب ججرا • ذبولى إعجابا به وتبرجا
 أطرك غيداء الماعطف طفلة • وأغيد مرسول المرافف أدعجا
 قضت ليالىها بطيب كأنه • لنقصيره منها مختلف العجا
 فان أمس مكروب الفؤاد حزينة • أعقر من در الصباية منها
 وحيدا على ألى بفضل متيم • صروعا بأعداء الفضائل مزججا
 فيارب ديني قد سررت وسرتى • وأبهجت بالصالحات وأبهجا
 ويلرب تاد قد شهدت وماجد • شهدت دعوته فتلجلجا (١)
 صدعت بفضل قصه فتركته • وفى قلبه شجر وفى حلقه شجا
 كأن ثنائى فى سامع حسدى • وقد ضم أبكار المعاني وأدرجا
 حسام تقى الدين فى كل مارق • يقدر إلى الأرض الكلى المديجا
 وقال يمدح أخاه مزار الدين فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب :

حل أنت راحم عبدة ومده • ويجير صب عند ما منه وهى
 هيات برحم قاتل مقتوله • وسنانة فى القلب غير منه
 مذبل من ذاك للفرام فانى • مذ حل بى مرض الهوى لم أه
 إلى بليت بحب أغيد ساحر • بلحائله رخص البنان بزعمه
 أبني شفاء تملنى من واله • ومتى يرق مدال لده
 كم آهة لى فى هوا وآهة • لو كان ينفعنى عليه تأوى
 ومآرب فى وصله لو أنها • تفضى لكنت عند ميسه الشى
 يا مفردا بالحسن إنك منته • فيه كما أنا فى الصباية منته
 قد لام فيك مباشر كى أنتهى • بالوم عن حب الحياة وأنتهى
 أبكى لديه فان أحس بلوعة • وتشقى أرمى بطرف مقه
 يا من مجلسه وحالى عنده • حيران بين تفكر وتمكنه
 ضدان قد نجما بلفظ واحد • لى فى هوا بمنين موجه

(١) كذا بالأصل والبيت غير مستقيم .

أو لست رب فضائل لوحز أد • نلها وما أزهى بها غيرى زهى
والقى أنشه فاج الدين الكندى فى قتل عماره البنى حين كان مالا الكفرة والمحمدين على قتل
الملك صلاح الدين ، وأرادوا عودة دولة الفاطميين فظهر على أمره فصلب مع من صلب فى سنة
تسع وتسعين وخمسة.

عمارة فى الاسلام أبدى خيانة • وحالف فيها ييمة وصليبا
فأدى شريك الشريك فى بعض أحد • وأصبح فى حب الصليب صليبا
وكان طبيب الملقى إن عجمته • نجده عودا فى التفلق صليبا^(١)
وله • محبنا الدهر أليما حسانا • نوم بين فى اقدات عوما
وكانت بعد ما ولت كأتى • لى قصاتها حلا وتوما
أفخ بى المشيب فلا يراح • وإن أوسمه عتبا ولوما
نزىل لا يزال على التأتى • يسوق إلى الردى يوما فيوما
وكنت أعد لى علما ضاما • فصرت أعد لى يوما فيوما
(المر محمد بن الحافظ عبد الله المقدسى)

والد سنة ست وستين وخمسة وأسمه والده الكثير ورحل بنفسه إلى بغداد وقرأ بها مسند أحد
وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وكان من أصحاب المظلم ، وكان صالحا دينيا ورعا حافظا رحمه الله
ورحم أباه (أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك)
الخلاخل البغدادى ، مع الكثير ، وكان يتردد فى الرصيلة بين الخليفة والملك الأشرف ابن المادل
وكان عاقلا دينيا ثقة صدوقا . (الشريف أبو جعفر)

يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي العلوى الحسينى ، قبيب الطالبين بالبصرة بعد
أبيه ، كان شيخا أدبيا فاضلا طالما بنون كثيرة لا سيما علم الأنساب وأيام العرب وأشعارها ، يحفظ
كثيرا منها ، وكان من جلساء الخليفة الناصر ، ومن لطيف شعره قوله :

لهنك سمع لا يلائم المنزل • وقلب قريح لا يعل ولا يسلو
كان على الحب أحمى فريضة • فليس قلبي غيره أبدا شغل
وإلى لأهوى الهجر ما كلن أصله • دلالات ولا الهجر ما عنب الوصل
وأما إذا كان الصدود ملاقة • فأيسر ما م الحبيب به القتل
(أبو علي مزيد بن علي)

ابن مزيد المروف بابن الخشكرى الشاعر المشهور ، من أهل النعمانية جمع لنفسه ديوانا أورد
له ابن السامى قطعة من شعره فن ذلك قوله :

سألتك يوم النوى نظرة • فلم تسمحي فز لا سلم
فأعجب كيف تقولين لا • ووجهك قد خط فيه نم
أما التون يا منه حجب • أما العين أما الميم فم
(أبو الفضل رشوان بن منصور)

ابن رشوان الكردي المروفي بالثقف ولد بأربل وخدم جنديا وكان أديبا شاعرا خدع مع الملك
العادل ، ومن شعره قوله :

سلى عنى الصوارم والرماحا • وخيلا تسبق الموج الرياحا
وأسدأ حبيسا ممر العوالي • إذا ما الأسد حاولت الكفاحا
فأني ثابت عقلا ولياً • إذا ما صالغ في الحرب صاحا
وأورد مهجتي لجيج المنيا • إذا ما جت ولم أخف الجراحا
وكم ليل سهرت وبت فيه • أراعى النجم أرتعب الصباحا
وكم في فغد فرسى ونضوى • بقائلة المجير غدا وراحا
لبيك في السجاجة ما ألقى • وأثبت في الكريهة لا براحا
(محمد بن يحيى)

ابن هبة الله أبو نصر النحاس الواسطي كتب إلى السبط من شعره :

وقائلة لما عمرت وصار لي • ثمانون عاما عش كنا وادق واسلم
ودم وانتش روح الحياة فانه • لا طيب من بيت بصمة مظلم
قلت لما عندي لديك عهد • بيت زهير فاعلى وتعلمي
سمنت تكاليف الحياة ومن يش • ثمانين حولا لا محالة يسأم
(ثم دخلت سنة أربع عشرة وستمائة)

في ثالث الحرم منها كل تبليط داخل الجامع الأموي وجاء المتمد مبارز الدين إبراهيم المتولي
بمشق ، فوضع آخر بلاطة منه بيده عند باب الزيارة فرحاً بذلك . وفيها زادت دجلة ببناد زيادة
عظيمة وارفع الماء حتى سالوى القبور إلا مقدار أربعين ، ثم طفع الماء من فوقه وأيض الناس بالملكة
واستمر ذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، ثم من الله فتناقص الماء وذهبت الزيادة ، وقد بقيت
بناد نلولا وتهدمت أكثر البنايات . وفيها درس بالنظامية محمد بن يحيى بن فضلان وحضر عنده
التقضا والأعيان . وفيها صدر الصدر بن حمويه رسولا من العادل إلى الخليفة . وفيها قدم ولده الفخر
ابن الكامل إلى المظلم يطلب منه ابنته على ابنه أقيس صاحب اليمن ، فقد المقدم بمشق على

صداق هائل . وفيها قدم السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكتش من همدان قاصدا إلى بغداد في أر بعثة ألف مقاتل ، وقيل في ستائة ألف ، واستمد له الخليفة واستخدم الجيوش وأرسل إلى الخليفة يطلب منه أن يكون بين يديه على قاعدة من هدمه من الملوك السلاجقة ، وأن يخطب له ببغداد ، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك ، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهر وردي ، فلما وصل شاهد عنده من العظمة وكثرة الملوك بين يديه وهو جالس في حركة من ذهب على سربر ساج ، وعليه قباء بخاري ما يساوي خمسة دراهم ، وعلى رأسه جليلة ما تساوي درهما ، فلم عليه فلم يرد عليه من الكبر ولم يأذن له في الجلوس ، فقام إلى جانب السرير وأخذ في خطبة هائلة فذكر فيها فضل بني العباس وشرفهم ، وأورد حديثا في التهي عن أذام والترجمان يمد على الملك ، فقال الملك أما ما ذكرت من فضل الخليفة فانه ليس كذلك ، ولكن إذا قدمت بغداد أقمت من يكون بهذه الصفة ، وأما ما ذكرت من التهي عن أذام فاني لم أؤذ منهم أحدا ولكن الخليفة في سجنونه منهم طائفة كثيرة يتنازلون في السجون ، فهو اقوى أذى بني العباس ، ثم تركه ولم يرد عليه جوابا بعد ذلك ، وانصرف السهر وردي راجعا ، وأرسل الله تعالى على الملك وجنده ثلجا عظيما ثلاثة أيام حتى طم الحزاكي واخليم ، ووصل إلى قريب رؤس الأعلام ، وتقطعت أيدي رجال وأرجلهم ، ومهم من البلاد مالا يحصى ولا يوصف ، فقدم الله خائبين والحمد لله رب العالمين .

وفيها انقضت الهدنة التي كانت بين المادل والفرنج واتفق قدوم المادل من مصر فاجتمع هو وابنه المعظم بييسان ، فركبت الفرنج من عسكا ومجنبتهم ملوك السواحل كلهم وساقوا كلهم قاصدين معانصة المادل ، فلما أحس بهم فرمنهم لكثرة جيوشهم وقلة من معه ، فقال ابنه المعظم إلى أين يا أبة ؟ فاستنم بالمجيبه فقال له أنقضت الشام بمالكك وتركك أبناء الناس ، ثم توجه المادل إلى دمشق وكتب إلى واليها المعتمد ليحصنها من الفرنج وينقل إليها من الثلات من داريا إلى القلعة ، ويرسل الماء على أراضي داريا وقصر حبلج والشاغور ، ففرغ الناس من ذلك واجتلبوا إلى الله بالسماء وكثر الضجيج بلبلع ، وأقبل السلطان قتل مرج الصفر وأرسل إلى ملوك الشرق ليقدموا لقتال الفرنج ، فكان أول من قدم صاحب حص أسد الدين ، فقتله الناس فسنل من باب الفرج وجاء فلم على ست الشام بدارها عند المارستان ، ثم عاد إلى داره ، ولما قدم أسد الدين سرى عن الناس فلما أصبح توجه نحو المادل إلى مرج الصفر . وأما الفرنج فاتهم قدموا بييسان قهبا ما كان بها من الثلات والذواب ، وقتلوا وسبوا شيئا كثيرا ، ثم عاثوا في الأرض فسادا يقتلون وينهبون وبأسرون ما بين بييسان إلى بانياس ، وخرجوا إلى أراضي الجولان إلى توى وغيرها ، وسار الملك المعظم قتل على عبة الدين بين القدس ولبلس خوفا على القدس منهم ، فانه هو الأهم الأكبر ، ثم جاصر الفرنج

حصن الطور حصاراً هائلاً ومانع عنه الذين به من الأبطال ممانعة هائلة ، ثم كر الفرنج راجعين إلى عكا ومعهم الأسارى من المسلمين ، وجاء الملك المظفر إلى الطور فخلع على الأمراء الذين به وطيب نفوسهم ، ثم اتفق هو وأبوه على هدمه كما سيأتي .

وفيها توفي من الأعيان . (الشيخ الامام العلامة الشيخ الهادي)

أخو الحافظ عبد القفي ، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، الشيخ الهادي أصغر من أخيه الحافظ عبد القفي بستين ، وقدم مع الجماعة إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسة ، ودخل بغداد مرتين وسمع الحديث وكان عابداً زاهداً ورعاً كثير الصيام ، يصوم ويوماً يفطر يوماً ، وكان قتيها مفتياً ، وله كتب الفروع وصنف أحكاماً ولم يتبه ، وكان يؤم بمحراب الخنايلة مع الشيخ الموفق ، وإنما كانوا يصلون بغير محراب ، ثم وضع المحراب في سنة سبع عشرة وستائة ، وكان أيضاً يؤم بالناس لقضاء التوائت ، وهو أول من فصل ذلك . صلى المغرب ذات ليلة وكان صائماً ثم رجع إلى منزله بدمشق فأفطر ثم مات فجأة ، فصلى عليه بالجامع الأموي ، صلى عليه الشيخ الموفق عند مصلاه ، ثم صدوا به إلى السفح ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً من كثرة الناس . قال سبط ابن الجوزي كان الخلق من الكهف إلى مفارة الهم إلى المنطور لو بدر السمسم ما وقع إلا على رؤس الناس ، قال فلما رجعت تلك الليلة فكرت فيه وفي جنازته وكثرة من شهدا وقلت : هذا كان رجلاً صالحاً ولعله أن يكون نظر إلى ربه حين وضع في قبره ، ومر بذنبي أبيات الثوري التي أنشدها بعد موته في المنام :

نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي • هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواماً إذا أظلم الهجى • بعبرة مشتاق وقلب عبيد

فدونك فاختر أي قصر أردته • وزرني فاني عنك غير بعيد

ثم قلت أرجو أن يكون الهادي ربه كما رآه الثوري ، فمنت فقرأت الشيخ الهادي في المنام عليه حلة خضراء وعلامة خضراء ، وهو في مكان متسع كأنه روضة ، وهو برق في درج متسعة ، قلت يا عماد الدين كيف بت فاني والله مفكر فيك ؟ فنظر إلى وتيسر على علاته التي كنت أعرف فيها في الدنيا ثم قال :

رأيت إلى حين أنزلت حفرتي • وفارقت أصحابي وأهلي وجيرتي

وقال جزيت الخير عني فاني • رضيت فها عفى لديك ورحمتي

دأبت زماناً تأمل العفو والرضا • فوقيت نيراناً ولقيت جنتي

قال فاقبته وأنا منعو وكتبت الآيات والله أعلم .

(القاضي جمال الدين ابن الحرساني)

عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل أبو القاسم الأنصاري ابن الحرساني قضى القضاء بدمشق

وله سنة عشرين وخمسة ، وكان أبوه من أهل حرستان ، فنزل داخل باب توما وأم بمسجد الزينبي ونشأ وله هذا نشأة حسنة سمع الحديث الكثير وشارك الحافظ ابن عساكر في كثير من شيوخه ، وكان يجلس للاصابع بمقصورة الخضر ، وعندها كان يصلي دائماً لا تخوته الجماعة بالجامع ، وكان منزله بالمجورية ودرس بالمجاهدية وعمر دهرًا طويلاً على هذا التقدم الصالح والله أعلم . وثاب في الحكم عن ابن أبي عسرون ، ثم ترك ذلك وازم بينه وصلاته بالجامع ، ثم عزل العادل القاضي ابن الزكي وألزم هذا بالقضاء وله ثنتان وتسعون سنة وأعطاه تدريس الميزية . وأخذ التقوية أيضاً من ابن الزكي وولاه نجر الدين ابن عساكر . قال ابن عبيد السلام ما رأيت أحداً أهقه من ابن المرساني ، كان يحفظ الوسيط للفرزالي . وذكر غير واحد أنه كان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان ابنه عماد الدين يخطب بجامع دمشق ، وولى مشيخة الاشرفية بنوب عنه ، وكان القاضي جمال الدين يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية وأرسل إليه السلطان طراحة ومسندة لأجل أنه شيخ كبير ، وكان ابنه يجلس بين يديه ، فإذا قام أبوه جلس في مكانه ، ثم إنه عزل ابنه عن نيابته لشيء بلغه عنه ، واستناب شمس الدين بن الشيرازي ، وكان يجلس بجماه في شرق الايوان ، واستناب منه شمس الدين ابن سنا المولوة ، واستناب شرف الدين ابن الموصل الحنفي ، فكان يجلس في محراب المدرسة ، واستمر حاكماً سنتين وأربعة أشهر ، ثم مات يوم السبت رابع الحجة وله من العمر خمس وتسعون سنة ، وصلى عليه بجامع دمشق ثم دفن بسفح قايسون

(الامير بدر الدين محمد بن أبي القاسم)

المسكاري بالي المدرسة التي بالقدس ، كان من خيار الامراء ، وكان يتمنى الشهادة دائماً فقتله الفرنج بمحسن الطور ، ودفن بالقدس بقرية عاملها وهو يزار إلى الآن رحمه الله

(الشجاع محمود المروفي باب الجامع)

كان من اصدقاء العادل يضحكه ، فصل أموالاً جزية منهم ، كانت داره داخل باب الفرنج فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية ، ووقفت عليها أوقافاً دارة

(الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة)

شيخة المملكت بدمشق ، تلقب بدهن الورد ، بنت نورجيان ، وهي آخر بناته وفاة وجلت أموالها وقفا على تربة أختها بنت النصبية المشهورة

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة)

استهلت والعدل بمرج الصفر لمنجزة الفرنج وأمر وله المعظم بتخريب حصن الطور فأخربه وقتل ما فيه من آلات الحرب وغيرها إلى البلدان خوفاً من الفرنج . وفي ربيع الاول نزلت الفرنج على

دمياط وأخفوا برج السلسلة في جادى الاول ، وكان حصناً منيعاً ، وهو قتل بلاد مصر . وفيها التقي العظيم والفرنج على القيمين فكسروهم وقتل منهم خلقاً وأسر من الداوية مائة فأدخلهم إلى القنس منسكة أعلامهم . وفيها جرت خطوب كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها أولاد قرا أرسلان واحداً بعد واحد ، وقتل ملوك أبيهم بدر الدين لؤلؤ على الأمور واثقأ علم . وفيها أقبل ملك الروم كيكايس منجر يريد أخذ مملكة حلب ، وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب عيبساط ، فصده عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه وردّه خائباً . وفيها تملك الأشرف مدينة منجلا مضطاً إلى ما يبيده من الممالك .

وفيها توفي السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، فأخذت الفرنج دمياط ثم ركبوا وقصدوا بلاد مصر من ثمر دمياط فحاصروه مدة أربعة شهور ، والملك الكامل يقاتلهم ويمنعهم ، فتملكوا برج السلسلة وهو كالقفل على ديار مصر ، وصفته في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ، ومنه إلى دمياط ، وهو على شاطئ البحر وحافة سلسلة منه إلى الجانب الآخر ، وعليه الجسر وسلسلة أخرى لمنع دخول المراكب من البحر إلى النيل ، فلا يمكن الدخول ، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمصر الصفر تأوه لذلك تأوهاً شديداً ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وبلادها ، ومرض من ساعته مرض الموت لأمر يريده الله عز وجل ، فلما كان يوم الجمعة سابع جادى الآخرة توفي بقرية غالقين ، فجاءه والده العظيم مسرعاً فجمع حواصله وأرسله في محفة ومعه خادم بصفة أن السلطان مريض ، وكلما جاء أحد من الأمراء ليسلم عليه بلنهم الطواشي عنه ، أى أنه ضعيف ، عن الرد عليهم ، فلما انتهى به إلى القلعة دفن بها مدة ثم حوّل إلى تربته بالمادلية الكبيرة ، وقد كان الملك سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شاذى من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، ديناً عاقلاً صبوراً وقوراً ، أبطل المحرمات والنجور والمعارف من مملكته كلها وقد كانت ممتدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همدان كلها ، أخذها بعد أخيه صلاح الدين سوى حلب فانه أقرها بيد ابن أخيه الظاهر غازى لأنه تزوج ابنته صفية الست خاتون . وكان العادل حليفاً صفوحاً صبوراً على الأذى كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه حضر معه مواضعه كلها أو أكثرها في مقاتلة الفرنج ، وكانت له في ذلك اليد البيضاء ، وكان ماسك اليد وقد أفق في عام الفداء بمصر أموالاً كثيرة على الفقراء وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئاً كثيراً جداً ، ثم إنه كفن في العام الثانى من بعد عام الفداء في الفناء مائة ألف إنسان من الثراء والفقراء ، وكان كثير الصدقة في أيام مرضه حتى كان يخلع جميع ما عليه ويتصدق به ويعركوبه ، وكان كثير الاعمال متمماً بصحة وعافية مع كثرة صيامه ، كان يأكل في اليوم الواحد أكلات جيدة ، ثم بعد

هذا يأكل عند الزوم رطلاً بالدمشق من الحلوى السكرية اليابسة ، وكان يمتريه مرض في أفه في زمن
الورد وكان لا يقدر على الاقامة بدمشق حتى يفرغ زمن الورد ، فكان يضربه الوطاق بمرج الصفر
ثم يدخل البلد بعد ذلك . توفي عن خمس وسبعين سنة ، وكان له من الأولاد جماعة : محمد الكامل
صاحب مصر ، وعيسى المظلم صاحب دمشق ، وموسى الأشرف صاحب الجزيرة ، وخلط وحران
وغير ذلك ، والأوحد أبوب مات قبله ، والقائر إبراهيم ، والمظفر غازي صاحب الرها ، والعز بن عثمان
والأبجد حسن وهما شقيقا المظلم ، والمقيت محمود ، والحافظ أرسلان صاحب جعبر ، والصالح
إسماعيل ، والقاهر إسحاق ، وبجير الدين يعقوب ، وقطب الدين أحمد ، وخليل وكان أصغرهم ، وتوفي الدين
عباس وكان آخرهم وفاة ، بقي إلى سنة ستين وسبعمائة ، وكان له بنات أشهرهن الست صفية خاتون
زوجة الظاهر غازي صاحب حلب وأم الملك العزيز والد الناصر يوسف الذي ملك دمشق ، وإليه
نسب الناصر يتان إحداهما بدمشق والأخرى بالسفح وهو الذي قتله هلاكو كما سيأتي .

﴿ صفة أخذ الفرنج دمياط ﴾

لما اشتهر الخبير بموت العادل ووصل إلى ابنه الكامل وهو بشرف دمياط مرابط الفرنج ، أضعف
ذلك أعضاء المسلمين وقتلوا ، ثم بلغ الكامل خبر آخر أن الأمير ابن المشطوب وكان أكبر أمير
بمصر ، قد أراد أن يبايع القائر عوضاً عن الكامل ، فساق وحده جريدة فدخل مصر ليستدرك
هذا الخطب الجسيم ، فلما قدمه الجيش من بينهم انحل نظامهم واعتقدوا أنه قد حدث أمر أكبر
من موت العادل ، فركبوا وراموه فدخلت الفرنج بأمان إلى الميادين المصرية ، واستحوذوا على معسكر
الكامل وأقامه ، فوقع خبط عظيم جداً ، وذلك تقدير العزيز المليم ، فلما دخل الكامل مصر لم يقع
بما ظنه شيء ، وإنما هي خديعة من الفرنج ، وهرب منه ابن المشطوب إلى الشام ، ثم ركب من فوره
في الجيش إلى الفرنج فإذا الأمر قد تزايد ، وتمكنوا من البلدان وقتلوا خلقاً وغنموا كثيراً ، وعانت
الأعراب التي هناك على أموال الناس ، فكانوا أضرب عليهم من الفرنج ، قتل الكامل تجاه الفرنج
يعانفهم عن دخولهم إلى القاهرة بعد أن كان يعانفهم عن دخول الثغر ، وكتب إلى إخوانه يستحثهم
ويستجدهم ويقول الوحا الوحا العجل العجل ، أدركوا المسلمين قبل تلك الفرنج جميع أرض مصر .
فأقبلت السراكر الإسلامية إليه من كل مكان ، وكان أول من قدم عليه أخوه الأشرف بيض الله
وجهه ، ثم للمظلم وكان من أمرهم مع الفرنج ما سنذكره بعد هذه السنة .

وفيهما ولي حبة بغداد صاحب محبي الدين يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي ، وهو مع ذلك
يعمل بمبدأ الوعظ على قاعدة أبيه ، وشكر في مباشرته للحسبة . وفيها فوض إلى المظلم النظر في
القربة البدرية تجاه الشبيلية عند الجسر الذي على ثور ، ويقال له جسر كميل ، وهي منسوبة إلى

حسن بن الهادية ، كان هو وإخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي ، وقد جعلت في حدود الأرمين وسنائة جامعا بخطب فيه يوم الجمعة . وفيها أرسل السلطان علاء الدين محمد بن تكش إلى الملك المادل وهو غنيم بمرج الصفر رسولا ، فرد إليه مع الرسول خطيب دمشق جمال الدين محمد بن عبد الملك الهولوى ، واستنصب عنه في الخطابة الشيخ الموفق عمر بن يوسف خطيب بيت الأبار ، فأقام بالمرزية يباشر عنه ، حتى قدم وقد مات المادل .

وفيها توفى الملك القاهر صاحب الموصل . فأقيم ابنه الصغير مكانه . ثم قتل ونشقت فحمل البيت الأتابكي ، وتقلب على الأمور بدر الدين لؤلؤ غلام أبيه . وفيها كان عود الوزير صفى الدين عبد الله ابن علي بن شكر من بلاد الشرق بعد موت المادل ، فصل فيه علم الدين مقالة بالغ في مدحه فيها ، وقد ذكروا أنه كان متواسما يحب الفقراء والفقهاء ، ويسلم على الناس إذا اجتازهم وهو راكب في أبهة وزارته ، ثم إنه نكب في هذه السنة ، وذلك أن الكامل هو الذى كان سبب طرده وإبعاده كتب إلى أخيه المعظم فيه ، فاحتاط على أمواله وحواصله ، وعزل ابنه عن النظر من الدواوين ، وقد كان يتوب عن أبيه في مدة غيبته . وفي رجب منها أعاد المعظم ضمان القيان والخجور والمغنيات وغير ذلك من الفواحش والمنكرات التي كان أبوه قد أبطلها ، بحيث إنه لم يكن أحد يتجاسر أن ينقل مله كف خير إلى دمشق إلا بلحجة الخفية ، فجزى الله المادل خيرا ، ولا جزى المعظم خيرا على ما فعل ، واعتذر المعظم في ذلك بأنه إنما صنع هذا المنكر لقلّة الأموال على الجند ، واحتياجهم إلى النفقات في قتال الفرنج . وهذا من جهل وقلة دينه وعدم معرفته بالأمور ، فإن هذا الصنيع يبدل عليهم الأعداء وينصرهم عليهم ، ويتمكن منهم الهاء ويقيط الجند عن القتال ، فيولون بسببه الأديار ، وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويبدل الدول ، كما في الأثر « إذا عصاى من يعرفى سلطت عليه من لا يعرفى » . وهذا ظاهر لا يخفى على فطن .

ومن توفى فيها من الأعيان . (القاضي شرف الدين)

أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى الفخفى الضرير البندادى ، كان ينسب إلى علم الأوائل ، ولكنه كان يقتصر بمذهب الظاهرية ، قال فيه ابن الساعى : البندادى المذهب ، المرى أديا واعتقادا ، ومن شعره :

إلى الله أشكو ما ألاق • غداة عدوا على هوج التناق

سألنكم بمن زم المطايا • أسر بكم أسر من التناق ؟

وهل ذل أشد من التناقى • وهل عيش أهد من التناق ؟

فأخى قضاة بنداد .

﴿عماد الدين أبو القاسم﴾

عبد الله بن الحسين بن الهاماني الحنفي ، سمع الحديث وثقه على من ذهب إلى حنيفة ، وولى القضاء ببنداد مرتين نحواً من أربع ^(١) عشرة سنة ، وكان مشكوراً والسيرة عارفاً بالحساب والفرائض وقسمة التركات

﴿أبو اليمن نجاح بن عبد الله الحبشي﴾

السوداني نعيم الدين مولى الخليفة الناصر ، كان يسمى سليمان دار الخلافة ، وكان لا يفارق الخليفة ، فلما مات وجد عليه الخليفة وجداً كثيراً ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، كان بين يدي نفسه مائة بقرة وألف شاة وأحمال من التمر والخبز والماورد ، وقد صلى عليه الخليفة بنفسه تحت الناج ، وتصدق عنه بمشقة آلاف دينار على المشاهد ، ومثلها على المجاورين بالمحرمين ، وأعتق مماليكه ووقف عنه خمسمائة مجله . ﴿أبو المظفر محمد بن علوان﴾

ابن مهلب بن علي بن مهلب الموصل ، وثقه بالنظامية وسمع الحديث ، ثم عاد إلى الموصل فساد أهل زمانه بها ، وتقدم في الفتوى والتدريس بـ مدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها ، وكان صالحاً ديناً .

﴿أبو الطيب رزق الله بن يحيى﴾

ابن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سليمان بن رزق الله بن غانم بن غنام النأخدي المحدث الجوال الرحال الثقة الحافظ الأديب الشاعر ، أبو العباس أحمد بن يرتكش بن عبد الله الهادي ، كان من أمراء سنجار ، وكان أبوه من موالى الملك عماد الدين زنكي صاحبها ، وكان أحد هذا دينا شاعراً ذاملاً جزيل ، وأملاك كثيرة ، وقد احتاط على أمواله قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي وأودعه سجناً ففسى فيه ومات كذا ، ومن شعره :

قول وقد ودعها ودموعها • على خدعها من خشية البين تلتقي

مضى أكثر العمر الذي كان ظفراً • رويدك فاعمل صالحاً في الذي بقي

﴿ثم دخلت سنتت عشرة وسبعمائة﴾

فيها أمر الشيخ محيي الدين بن الجوزي بحسب ببنداد بإزالة المنكر وكسر الملامى عكس ما أمر به المظلم ، وكان أمره في ذلك في أول هذه السنة وفه الحد والملة .

﴿ظهر جنكزخان وعبور التتار نهر جيحون﴾

وفيها عبرت التتار نهر جيحون بحبة ملكهم جنكزخان من بلادهم ، وكانوا يسكنون جبال طمناج من أرض الصين ولعنهم مخالفة لفتنة سائر التتار ، وهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال ، وسبب دخولهم نهر جيحون أن جنكزخان بحث فجاراً له ومعهم أسوال كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه ينتقمون له (١) في المصرية : نحواً من سبع عشرة سنة .

ثيلاً لكسوة ، فكتب نائبها إلى خوارزم شاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال ، فأرسل إليه بأن يقتلهم ، يأخذ ما معهم ، فضل ذلك ، فلما بلغ جنكزخان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه ، ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلا جيدا ، فلما تهدهد أشار من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم ، فسار إليهم وهم في شغل شاغل بقتال كشيلى خان ، قهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وأطفالهم ، فأقبلوا إليه محروبين فاقبلوا منه أربعة أيام قتالا لم يسمع بمثل ، أولئك يقاتلون عن حريمهم والمسلمون عن أنفسهم ، يعلمون أنهم متى ولوا استأصروهم ، قتل من الفريقين خلق كثير ، حتى أن الخيول كانت تزلق في الدماء ، وكان جملة من قتل من المسلمين نحو من عشرين ألفا ، ومن التتار أضاعف ذلك ، ثم نحاجز الفريقان وولى كل منهم إلى بلاده ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى وسمرقند فحصرها وبالغ في كثرة من ترك فيها من المقاتلة ، ورجع إلى بلاده ليجهز الجيوش الكثيرة ، قصص التتار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل فحاصرها جنكزخان ثلاثة أيام ، فطلب منه أهلها الأمان فأنهم ودخلها فأحسن السيرة فيهم مكرما وخديمة ، وامتنت عليه القلعة فحاصرها واستعمل أهل البلد في طم خندقها وكانت التتار يأتون بالنار والرمات فيطرحونها في الخندق يطموته بها فتصحرها قسرا في عشرة أيام ، قتل من كان بها . ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها وأهلها لجنده فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلم إلا الله عز وجل ، وأسروا القديرة والنساء ، وفضلوا ممن الفواحش بمحضرة أهليهن ، فن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل ، ومنهم من أسرف نهب بأنواع العذاب ، وكثر البكاء والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال ، ثم ألقت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها احترقت حتى صارت بلاق خاوية على عروشها ، ثم كروا راجعين عنها قاصدين سمرقند ، وكان من أمرهم ما سذكروه في السنة الآتية .

وفي مستهل هذه السنة خرب سور بيت المقدس بحره الله بذكره ، أمر بذلك المنظم خوطان استيلاء الفرنج عليه بمداورة من أشار بذلك ، فان الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه ، فشرع في تخريب السور في أول يوم المحرم فهرب منه أهل خوطان من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلا أو نهاراً ، وتركوا أموالهم وأثامهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق ، حتى قيل إنه يبع القنطار الزيت بشرة دراهم والرجل التحلى بنصف درهم . وضع الناس وأهبلوا إلى الله عند الصخرة وفي الأقصى ، وهى أيضاً قلعة شماء من المنظم ، مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضى ، فقال بعضهم يهجو المنظم بذلك .

في رجب حلال الحيات • وأخرب القدس في المحرم

وفى استحوذت الفرنج على مدينة دمياط ودخلوها بالأمان فهدروا بأهلها وقتلوا رجالها وسبوا

نسائها وأطفالها ، وغرروا بالنساء وبثنوا بمنزلة الجامع والربات ورؤس القتلى إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة . وفيها غضب المظلم على القاضي زكي الدين بن الزكي ، وسببه أن عنه ست الشام بنت أيوب مرضت في دارها التي جعلتها بسدا مدرسة فأرسلت إلى القاضي لتوصي إليه ، فذهب إليها بشهود معه فكتب الوصية كما قالت ، فقال المظلم يذهب إلى عمي بدون إذن ، ويسمع هو والشهود كلامها ؟ وافق أن القاضي طلب من جاني العريضة حسابها وضربه بين يديه بالقارع ، وكان المظلم ينفذ هذا القاضي من أيام أبيه ، فعند ذلك أرسل المظلم إلى القاضي ببقعة فيها قباء وكلوثة ، القباء أبيض والكلوثة صفراء . وقيل بل كانا حمراوين مدرنين ، وحلف الرسول عن السلطان ليلبسهما ويحكم بين الخصوم فيهما ، وكان من لطف الله أن جاءت الرسالة بهذا وهو في دهليز داره التي يبواب البريد ، وهو منتصب للحكم ، فلم يستطع إلا أن يلبسهما وحكم فيهما ، ثم دخل داره واستقبل مرضى موته ، وكانت وفاته في صفر من السنة الآتية بسدا ، وكان الشرف بن عنين الزرعي الشاعر قد أظهر النسك والتعب ، ويقال : إنه اعتكف بالجامع أيضاً فأرسل إليه المظلم بخرم وزرد ليشتغل بهما . فكتب إليه ابن عنين :

يا أيها الملك المظلم سنة • أحدثتها تبقى على الآباد
تجبري الملوك على طريقك بسدا • خلغ القضاء ونجمة الزهاد

وهذا من أقبح ما يكون أيضاً ، وقد كان نواب ابن الزكي أربعة : خمس الدين بن الشيرازي إمام مشهود على ، كان يحكم بالمشهد بالشبك ، ورجا برز إلى طرف الرواق تجاه البلاطة السوداء . وخمس الدين ابن سني الدولة ، كان يحكم في الشباك الذي في الكلاسة تجاه تربة صلاح الدين عند الفزالية ، وكان الدين المصري وكيل بيت المال كان يحكم في الشباك الكلاسي بمشهد عثان ، وشرف الدين الموصل الحنفي كان يحكم بالمدرسة الطرخانية بجيرون والله تعالى أعلم .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ ست الشام ﴾

واقعة المدرستين الإيرانية والجوانية المت الجليلة المصونة خاتون ست الشام بنت أيوب بن شادي ، أخت الملوك وعمة أولادهم ، وأم الملوك ، كان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا ، منهم شقيقها المظلم توران شاه بن أيوب صاحب اليمن ، وهو مدفون عندها في القبر القبلي من الثلاثة ، وفي الأوسط منها زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي صاحب حمص ، وكانت قد تزوجته بعد أبي ابنها حسام الدين عمر بن لاجين ، وهي وابنتها حسام الدين عمر في القبر الثالث ، وهو الذي على مكان الدرس ، ويقال لقربة والمدرسة الحسنية نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين عمر بن لاجين ، وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين ، وكانت ست الشام

من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمحاويج ، وكانت تعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك وتفرقه على الناس ، وكانت وقتها يوم الجمعة آخر التهادر السادس عشر من ذي القعدة من هذه السنة في دارها التي جعلتها مدرسة ، وهي عند المارستان وهي الشامية الجوانية ، وهلت منها إلى تربتها بالشامية البرانية ، وكانت جنازتها حافلة رحماً الله .

﴿ أبو البقاء صاحب الاعراب والالباب ﴾

عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، الشيخ أبو البقاء الكبير الضري النحوي الحنبلي صاحب إعراب القرآن العزيز وكنى البلب في النحو ، وله حواش على المقامات ومفضل الزغشري ودويان المتني وغير ذلك ، وله في الحساب وغيره ، وكان صالحاً ديناً ، مات وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وكان إماماً في القنة فيها مناظراً عارفاً بالأصلين والفقهاء ، وحكى القاضي ابن خلكان عنه أنه ذكر في شرح المقامات أن عنقاء مغرب كانت تأتي إلى جبل شامق عند أصحاب الرس ، فربما اختلطت ببعض أولادهم فشكوها إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فهلكت . قال : وكان وجهها كوجه الانسان وفيها شبه من كل طائر ، وذكر الزغشري في كتابه ربيع الأبرار أنها كانت في زمن موسى لما أُرِيمة أنجعة من كل جانب ، ووجه كوجه الانسان ، وفيها شبه كثير من سائر الحيوان ، وأنها تأخرت إلى زمن خالد بن سنان البعسي التي كان في الفترة فدعا عليها فهلكت والله أعلم . وذكر ابن خلكان أن المزمع الفاطمي جرى إليه بطائر غريب الشكل من الصيد يقال له عنقاء مغرب . قلت : وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة ، وكان صالحاً ولم يكن نبينا لقول رسول الله ﷺ « أنا أولى الناس ببيسى بن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » وقد تقدم ذلك .

﴿ الحافظ عماد الدين أبو القاسم ﴾

على ابن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر دمشق ، سمع الكثير ورحل فأت ببنداد في هذه السنة ، ومن لطيف شعره قوله في المروحة

ومروحة تروح كل م • ثلاثة أشهر لا بد منها
حزيران وتموز وآب • وفي أيلول يقف الله عنها

﴿ ابن الهادي ﴾ الشاعر وقد أورد له ابن الساعي جملةً سالحة من شعره (وأبو سعيد بن الوزان الهادي) وكان أحد المبدلين ببنداد وسمع البخاري من أبي الوقت (وأبو سعيد محمد بن محمود) بن عبد الرحمن المروزي الأصل المبدلي الموالي البندادي المنشأ والوفاة ، كان حسن الشكل كامل الأوصاف له خط حسن ويعرف فتوحاً كثيرة من المعلوم ، شافى المنهوب ، يتكلم في مسائل الخلاف حسن الأخلاق ومن شعره قوله :

أرى قسم الأرزاق أعجب قسمه • قلى دعة ومكدي قلى كد
وأحق ذو مال وأحق مدم • وعقل بلا حظ وعقل له حد
يم النى والقر ذال الجبل والحجا • ولله من قبل الأمور من بعد
(أبو زكريا يحيى بن القاسم)

ابن الفرج بن درع بن الخضر الشافى شيخ تاج الدين التكريتى قاضيا، ثم درس بنظامية بغداد، وكان متقنا لعلوم كثيرة منها التفسير والفقه والأدب والنحو واللغة، وله المصنفات فى ذلك كله وجمع لنفسه تاريخاً حسناً. ومن شعره قوله:

لا بد للمرء من ضيق ومن سمة • ومن سرور برافيه ومن حزن
والله يطلب منه شكر نعمته • مادام فيها لو يبنى الصبر فى المحن
فكن مع الله فى الحالين ممتنقا • فرضيك هذين فى سروي علقن
فما على شدة يبقى الزمان يكن • ولا على نعمة تبقى على الزمن
وله أيضا: إن كان قاضى الهوى على ولى • ملجأ فى الحكم من على ولى
يا يوسفى الجمال عندك لم • تبقى لى حيلة من الحيل
إن كان قد التقيص من دبر • فليك قد الفؤاد من قبل

(صاحب الجواهر)

الشيخ الامام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن نجم بن سلس بن نزار بن هشار بن عبد الله بن محمد بن سلس الجندى المالكى الفقيه، مصنف كتاب الجواهر الثمينة فى مذهب عالم المدينة، وهو من أكثر الكتب فوائد فى الفروع، رتبته على طريقة الوجيز لفرز الى. قال ابن خلكان: وفيه دلالة على غزارة علمه وفضله والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده، وكان مدرسا بمصر ومات بمبساط رحمه الله، والله سبحانه أعلم.

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وستائة)

فى هذه السنة عم البلاد وعظم الغزاء بمجنكز خان المسمى بتوحيين لمة الله تعالى، ومن معه من التتار قبهم الله أجمعين، واستفحل أمرهم واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأعمالها، فلكوا فى سنة واحدة وهى هذه السنة سائر الملك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر، وقهر واجبع الطوائف التى بتلك النواحي الخوارزمية والتفجاق والكرج واللان والخرور وغيرهم، وقتلوا فى هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم فى بلدان متعددة كبارا لا يحصى ولا يوصف، وبالجملة فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاومة

والرجال ، وكثيراً من النساء والأطفال ، وأتلفوا ما فيه بالتهب إن احتاجوا إليه ، وبالحريق إن لم يحتاجوا إليه ، حتى أنهم كانوا يجمعون الحرب الكثير القى يسجرون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه ، ويحرقون المنازل وما عجزوا عن تحريقه يحرقوه ، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع ، وكثراً يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم ، وإن لم ينصحوا في القتال قتلهم . وقد بسط ابن الأثير في كتابه خبرهم في هذه السنة بسطاً حسناً مفصلاً ، وقسم على ذلك كلاماً هاملاً في تعظيم هذا الخطب السبب ، قال فنقول : هنا فصل يتضمن ذكر الحادثة العظيمة والمصيبة الكبرى التي عصمت الديار والأيام عن مثلها ، عمت الخلائق ونصت المسلمين ، فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يداينها ، ومن أعظم ما يذكر من الحوادث ما ضل بخت نصر بيني إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس ، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاحين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس ، وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا ، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني إسرائيل ، ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتبقى الدنيا إلا بأجوج وأجوج ، وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه وبهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال ، وشقوا بطون الحوامس وقتلوا الأجنة ، فأن الله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب استبدته الريح ، فإن قوما خرجوا من أطراف الصين قصدوا بلاد تركستان مثل كشغر وبلاساغون ، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارا وغيرهما ، فيملكونها ويضلون بأهلها ما نذكروه ، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيغزغون منها ملكاً وتخربوا وقتلوا ونهبوا ، ثم يجاوزونها إلى الري وهمدان وبلخايل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية ويخربونه ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلا الشريد النادر في أقل من سنة ، هذا ما لم يسمع بمثله ، ثم سلخوا إلى دربند شروان فملكوا مدته ولم يسلم غير قلعة التي بها ملكهم ، وعبروا عندها إلى بلد اللان الكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة ، فأوسوم قتلوا ونهبوا وتخربوا ، ثم قصدوا بلاد قنجا ومن أكثر الترك عدداً قتلوا كل من وقف لهم وهرب الباقون إلى النياض وملكوا عليهم بلادهم ، وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان قتلوا فيها مثل أفعال هؤلاء وأشد ، هذا ما لم يطرُق إلا سماع منه ، فإن الاسكندر القتي اعنق للمورخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في سنة واحدة ، إنما ملكها في نحو عشر سنين ، ولم يقتل أحداً بل رضى من الناس بالطاعة هؤلاء قد

ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطليه وأحسنه عمارة وأكثره أهلا وأعد لهم أخلاقا وسيرة في نحو سنة ، ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطرقوها بقاء إلا هو خائف مقرب وصولم ، ومع ذلك يستجدون للشمس إذا طلعت ، ولا يجرمون شيئا ، ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والنباتات لمنهم الله تعالى . قال : وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع لأن السلطان خوارزم شاه عمداً كلن قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمور ، فلما انهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم وساقوا وراءه فهرب فلا يدري أين ذهب ، وهلك في بعض جزائر البحر ، خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها ليقتضى الله أمرا كلن مفضولا ، وإلى الله ترجع الأمور . ثم شرع في تفصيل ما ذكره مجلدا ، فذكر أولا ما قدمنا ذكره في العام الماضي من بحث جنكزخان أولئك التجار بحال له ليأتونه بشمته كسوة ولياسا ، وأخذ خوارزم شاه تلك الأموال فغنى عليه جنكزخان وأرسل يهدده فصار إليه خوارزم شاه بنفسه وجنوده فوجد للتار مشغولين بقتل كشي خان ، قهق أقاتلم وفساهم وأطفالم فرجموا وقد اتصروا على عودهم ، وازدادوا حنقا وغيظا ، فتواقصواهم وإياه وابن جنكزخان ثلاثة أيام فقتل من الفريقين خاق كثير ، ثم تهاجروا ورجع خوارزم شاه إلى أطراف بلاده فخصنها ثم كر راجعا إلى مفره وعملكته بمدينة خوارزم شاه ، فأقبل جنكزخان فحصر بخارا كما ذكرنا فافتتحها صلحا وغدر بأهلها حتى افتتح قلعتها فحرقها وقتل الجميع ، وأخذ الأموال وسبي النساء والأطفال وخرب الدور والمحال ، وقد كان بها عشرون ألف مقاتل ، فلم يبق منهم شيئا ، ثم سار إلى مفرق فحاصرها في أول الحرم من هذه السنة وبها خمسون ألف مقاتل من الجند فسكروا وبرز إليهم سبعون ألفا من العامة فقتل الجميع في ساعة واحدة وألقى إليه الخمسون ألف السلم فسلمهم سلاحهم وما يمتنعون به ، وقتلهم في ذلك اليوم واستباح البلد فقتل الجميع وأخذ الأموال وسبي القرية وحرقه وتركه بلائع ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون ، وأقام لعنه الله هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فأرسل سرية إلى بلاد خراسان ونسبها للتار المترية ، وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه ، وكانوا عشرين ألفا قال اطلبوه فأدركوه ولو تلقى بالساء فصاروا وراءه فأدركوه وبينهم وبينه نهري جحون وهو آمن بسببه ، فلم يبعدوا سنا فاصلوا لهم أحواضا يحملون عليها الأسلحة ويرسل أحدهم فرسه يأخذ بذنبها فتجبره الفرس بالماء وهو يمر الحوض الذي فيه سلاحه ، حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر ، فلم يشربهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه فهرب منهم إلى نيسابور ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يملونه يجمع لهم فصار كلنا أتى بلداً ليجتمع فيه عساكره له يدركونه فهرب منهم ، حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت فيها وفاته ، وقيل إنه لا يعرف بمدركوبه في البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يدري أين ذهب ، ولا إلى أي مفر هرب ، وملك التار حواصله فوجدوا في خزائنه عشرة آلاف

ألف دينار ، وألف حل من الأطلس وغيره وعشرون ألف فرس وبغل ، ومن الغلمان والجواري
والخيل شيئا كثيرا ، وكان له عشرة آلاف مملوك كل واحد مثل ملك ، فتمزق ذلك كله ، وقد كان
خوارزم شاه قتيلا حنفيًا فاضلا له مشاركت في فنون من العلم ، يفهم جيدا ، وملك بلادا مقسمة وممالك
متعددة إحدى وعشرين سنة وشهورا ، ولم يكن بعد ملوك بني سلجوق أكثر حرمة منه ولا أعظم
ملكاه منه ، لأنه إنما كانت همة في الملك لا في القنات والشهوات ، ولذلك قهر الملوك بتلك الأراضي
وأحل بالخطأ بأسا شديدا ، حتى لم يبق ببلاد خراسان وما وراء النهر وعراق العجم وغيرها من الممالك
سلطان سواء ، وجميع البلاد تحت أيدي نوابه . ثم ساروا إلى مازندران وقلاعها من أمنع القلاع بحيث
إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسعين من أيام سليمان بن عبد الملك ، ففتحها هولاء في أسير مدة
ونهبوا ما فيها وقتلوا أهلها كلهم وسبوا وأحرقوا ، ثم ترحلوا عنها نحو الرى فوجدوا في الطريق أم
خوارزم شاه ومعه أموال عظيمة جدا ، فأخذوها وفيها كل غريب ونفيس مما لم يشاهد مثله من الجواهر
وغيرها ، ثم قصدوا الرى فدخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلهم وسبوا وأسروا ، ثم ساروا إلى
همدان فلكوها ثم إلى زنجان فقتلوا وسبوا ، ثم قصدوا قزوین قتيبوا وقتلوا من أهلها نحو من أربعين
ألفا ، ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أذربك بن البهلوان على مال حله إليهم لشئ بهما
هو فيه من السكر وارثكلب السيئات والانهماك على الشهوات ، فتركوه وساروا إلى موغان فقاتلهم
الكرج في عشرة آلاف مقاتل فلم يقفوا بين أيديهم طرفه عين حتى انهزمت الكرج فأقبلوا إليهم
بخدم وحديد ، فكسرتهم التتار وقمة ثانية أقبح هزيمة وأشنها . وهنا قال ابن الأثير : وقد جرى
لهؤلاء التتار ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه : طائفة تخرج من حدود الصين لاتنقضى عليهم
سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همدان
وتألفه لا أشك أن من يحيى بدنا إذا بعد المهد ويرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعد ،
والحق يبين ، فحق استبعد ذلك فلينظر أننا مسطورا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا هذه في
وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة ، قد استوى في معرفتها العالم والجاهل لشهرتها ، يسر الله للمسلمين
والاسلام من يحفظهم ويحفظهم ، فلقد دفعوا من العدو إلى أمر عظيم ، ومن الملوك المسلمين إلى ما لا تمتدى
همة بطنه وفرجه ، وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه . قال : واقضت هذه السنة وهم في بلاد
الكرج ، فلما رأوا منهم ممانعة ومقابلة يطول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم ، وكذلك كانت طاعتهم
فساروا إلى تبريز فصالحهم أهلها على مال . ثم ساروا إلى مراغة فحصرها ونصبوا عليها المجانيق وتقصروا
بالأسارى من المسلمين ، وعلى اليد امرأة - ولئن ضلح قوم ولوا أمرهم امرأة - ففتحوا البلد بعد أيام
وقتلوا من أهلها خلقا لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، وغنموا منه شيئا كثيرا ، وسبوا وأسروا على

عادتهم لئلا يمتنعهم الله لئلا يمتنعهم فارجعهم ، وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى انه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلد وبه مائة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه ، وما زال يقتلهم واحدا بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه ، ونهب ذلك الدرب وحده . ودخلت امرأة منهم في زى رجل [بيتا] قتلته كل من في ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسير معها أنها امرأة قتلها لئلا يمتنعهم الله ، ثم قصدوا مدينة إربل فضيق المسلمون لذلك ذروا أهل تلك النواحي هذا أمر عصب ، وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول إني قد جهزت عسكريا فكونوا معي لقتال هؤلاء التتار ، فأرسل الأشرف ينتدز إلى الخليفة بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب ما قدمه المسلمين هناك من الفرج ، وأخذم دمياط الذي قد أشرفوا بأخذم لها على أخذ الديار المصرية طاعة ، وكان أخوه العظيم قد قدم على والي حران يستجده لأخيهما الكامل ليتعاجزا والفرنج بدمياط وهو على أجرة السير إلى الديار المصرية ، فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على المسارك التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل ، فلم يقدم عليه منهم ثمانمائة فارس ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا ، فأنه الله وإنا إليه راجعون ، ولكن الله سلم بأن صرف همه التتار إلى ناحية همدان فصالحهم أهلها وترك عديم التتار شحنة ، ثم اتفقوا على قتل شحنتهم فرجعوا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسرا وقتلوا أهلها عن آخرهم ، ثم ساروا إلى أذربيجان ففتحوا أريدليل ثم تبريز ثم إلى يلقان قتلوا من أهلها خلقا كثيرا ووجعا غفيرا ، وحرقوها وكأوا يفترون بالنساء ثم يقتلونهم ويشقون بطونهم عن الأجانب ثم عادوا إلى بلاد الكرج وقد استمدت لهم الكرج فاقبلوا معهم فكسروهم أيضا كسرة عظيمة ، ثم فتحوا بلادا كثيرة يقتلون أهلها ويسبون نساءها ويأسرون من الرجال ما يقاتلون بهم الحصون ، ويميلونهم بين أيديهم رسا يقتلون بهم الرمي وغيره ، ومن سلم منهم قتلوه بعد انتهاء الحرب ، ثم ساروا إلى بلاد اللان والقبجاق فاقبلوا معهم قتالا عظيما فكسروهم وقصدوا أكبر مدائن القبجاق وهي مدينة سوداق وفيها من الأثمة والنياب والتجائر من البرطاسي والتندر والسنجلاب شيء كثير جدا ، ولجأت القبجاق إلى بلاد الروس وكانوا نصارى فاتفقوا معهم على قتل التتار فالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرة عظيمة جدا ، ثم ساروا نحو بلقار في حدود الشرين وستائة فرغوا من ذلك كله ورجعوا نحو ملكهم جنكزخان لئلا يمتنعهم الله وإياهم . هذا ما فعلته هذه السرية المغربية ، وكان جنكزخان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى كلانة وأخرى إلى فرغانة فلكوها ، وجهز جيشا آخر نحو خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها ، وكذلك صالحوا مدنا كثيرة أخرى ، حتى انتهوا إلى الطالقان فأعجزتهم قلعها وكانت حصينة فحاصروها ستة أشهر حتى عجزوا فكتبوا إلى جنكزخان قد قدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر

أخرى حتى فتحها قهراً ، ثم قتل كل من فيها وكل من في البلد بكامله خاصة وعامة ، ثم قصدوا مدينة
سرو مع جنكزخان قد عسكر بظاهرها نحو من مائتي ألف مقاتل من العرب وغيرهم فاقبلوا معه
قتالاً عظيماً حتى انكسر المسلمون فأتاه الله وإنا إليه راجعون ، ثم حصروا البلد خمسة أيام واستنزفوا
نابئها خديعة ثم غدروا به وبأهل البلد قتلوهم وغنموهم وسلبوهم وعاقبهم بأواع العذاب ، حتى إتهم
قتلوا في يوم واحد سبعمائة ألف إنسان ، ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها ما فعلوا بأهل مرو ، ثم
إلى طوس قتلوا وخرابوا مشهد على بن موسى الرضى سلام الله عليه وعلى آباءه ، وخرابوا تربة الرشيد
الخليفة فذكره خراباً ، ثم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم ثم عادوا إلى
ملكهم جنكزخان لعنه الله وإيلام ، وأرسل جنكزخان طائفة أخرى إلى مدينة خوارزم فحاصروها
حتى فتحوا البلد قهراً قتلوا من فيها قتلاً ذريعاً ، ونهبوها وسبوا أهلها وأرسلوا الجسر الذي يمنع
ماء جيحون منها ففرقت دورها وهلك جميع أهلها ثم عادوا إلى جنكزخان وهو غريم على الطالقان
فجهز منهم طائفة إلى غزنة فاقبلت معهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم جلال الدين كسرة
عظيمة ، واستنقذ منهم خلقاً من أسارى المسلمين ، ثم كتب إلى جنكزخان يطلب منه أن يبرز
بنفسه لقتاله ، فقصد جنكزخان فتواجهوا وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه ولم يبق بد من
القتال ، فاقبلوا ثلاثة أيام لم يهدد قبلها مثلها من قتالهم ، ثم ضعفت أصحاب جلال الدين ففتحوا
فركبوا بجر الهند فسارت التتار إلى غزنة فأغنوها بلا كلفة ولا عافاة ، كل هذا أو أكثره وقع
في هذه السنة .

وفيها أيضاً ترك الأشرف موسى بن المادل لأخيه شهاب الدين غازي ملك خلاط وميا فارقين
وبلاد أرمينية واعتاض عن ذلك بالرها وسروج ، وذلك لاشتغاله عن حفظ تلك النواحي بمساعدة
أخيه الكامل ونصرته على الفرنج لستم الله تعالى . وفي الحرم منها هبت رياح بينداد وجاءت بروق
وصحمت رعود شديدة وسقطت صاعقة بالجانب الغربي على المنارة المجاورة لعون ومعين فقلعتها ، ثم
أصلحت ، وغارت الصاعقة في الأرض . وفي هذه السنة نصب محراب الخبابة في الزواق الثالث
الغربي من جامع دمشق بعد ممانسة من بعض الناس لهم ، ولكن ساعدتهم بعض الأمراء في نصبه
لهم ، وهو الأمير ركن الدين المظفر ، وصلى فيه الشيخ موفق الدين بن قدامة . قلت : ثم رفع
في حدود سنة ثلاثين وسبعائة وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيارة ، كما عوض الخليفة عن
محرابهم الذي كان في الجانب الغربي من الجامع بالمحراب المجدد لهم شرق باب الزيارة ، حين جدد
الحائط الذي هو فيه في الأيام التنكزية ، على يدى ناظر الجامع تقي الدين ابن مراحل أتابه الله تعالى
كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . وفيها قتل صاحب سنجار أخاه فلكنها مستقلاً بها

الملك الأشرف بن العادل . وفيها تافق الأمير عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف وكان قد آواه وحفظه من أذى أخيه الكامل حين أراد أن يبايع الفاتر ، ثم إنه سعى في الأرض فساداً في بلاد الجزيرة فسجنه الأشرف حتى مات كذا وكذا وعذاباً . وفيها أوقع الكامل بالفرنج الذين على دمياط بأساً شديداً قتل منهم عشرة آلاف ، وأخذ منهم خيولهم وأموالهم وقه الحمد .

وفيها عزل المعظم المتمد مفخر الدين إبراهيم عن ولاية دمشق وولاه العزيز خليل ، ولما خرج الحاج إلى مكة شرفها الله تعالى كان أميرهم المتمد فحصل به خير كثير ، وذلك أنه كف عبيد مكة عن تهيب الحجاج بعد قتلهم أمير حاج العراقيين أقباش الناصري ، وكان من أكبر الأمور عند الخليفة الناصر وأخصهم عنده ، وذلك لأنه قدمه بمخلع للأمر حسين بن أبي عزيز قتادة بن إدريس ابن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني الزيدي بولايته لامرأة مكة بعد أبيه ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنازع في ذلك راجح وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال لا يتأمر عليها غيري ، فوفقت فتنة أفضى الحال إلى قتل أقباش غلطاً ، وقد كان قتادة من أكابر الأشراف الحسينيين الزيديين وكان عادلاً منصفاً منهما ، همة على عبيد مكة والمفسدين بها ، ثم عكس هذا السير فظلم وجدد المكوس ونهب الحاج غير مرة فسلط الله عليه ولله حسنا فقتله وقتل عمه وأخاه أيضاً ، فلما لم يميل الله حسناً أيضاً ، بل سلبه الملك وشرده في البلاد ، وقيل بل قتل كما ذكرنا ، وكان قتادة شيخاً طويلاً مهيباً لا يخاف من أحد من الخلفاء والملوك ، ويرى أنه أحق بالأمر من كل أحد ، وكان الخليفة يود لو حضر عنده فيكرمه ، وكان يأتي من ذلك ويمتنع عنه أشد الامتناع ، ولم يند إلى أحد قط ولا ذل لخليفة ولا ملك ، وكتب إليه الخليفة مرة يستدعيه فكتب إليه .

ولي كف ضرغام أذل يبطشها * وأشرى بها بين الوري وأبيع
تظل ملوك الأرض تلتهم ظهريها * وفي بطنها للسجدين ربيع
أجعلها تحت الرعي ثم أبنتي * خلاصاً لها إني إذا لربع
وما أنا إلا المسك في كل بقعة * يذوق وأما عندكم فيضيع
وقد بلغ من السنين سبعين سنة ، وقد ذكر ابن الأثير وفاته في سنة ثمانى عشرة فله أعلم .
(الملك الفاتر)
وفيها توفي من الأعيان :

غياث الدين إبراهيم بن العادل ، كان قد انتظم له الأمر في الملك بعد أبيه على الديار المصرية على يدى الأمير عماد الدين بن المشطوب ، لولا أن الكامل تدارك ذلك سريعاً ، ثم أرسله أخوه في هذه السنة إلى أخيهما الأشرف موسى يستعنه في سرعة السير إليهم بسبب الفرنج ، فأتى بين سنجلاب والموصل ، وقد ذكر أنه سمع فرد إلى سنجلاب فدفن بها رحمه الله تعالى .

﴿ شيخ الشيوخ صدر الدين ﴾

أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجويني ، من بيت رياسة وإمرة عند بني أيوب ، وقد كان صدر الدين هذا قهبا فاضلا ، درس بقرية الشافعي بمصر ، وبمشهد الحسين وولى مشيخة سعيد السمداء والنظر فيها ، وكانت له حرمة وافرة عند الملوك ، أرسله الكامل إلى الخليفة يستنصره على الفرنج فأتى بالموصل بالإسهال ، ودفن بها عند قصب البنان عن ثلاث وسبعين سنة .

﴿ صاحب حماء ﴾

الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وكان فاضلا له تاريخ في عشر مجلدات سباه المضار ، وكان شجاعا فارسا ، قتل بالملك بعده والده الناصر قلعج أرسلان ، ثم عزله عنها الكامل وحبسه حتى مات رحمه الله تعالى وولى أخاه المظفر بن المنصور

﴿ صاحب آمد ﴾

الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق ، وكان شجاعا محبا للعلماء ، وكان مصاحبا للأشرف موسى بن العادل يحميه إلى خدمته مراراً ، وملاك بمده ولده المسعود ، وكان بخيلا فاسقا ، فأخذ منه الكامل وحبسه بمصر ثم أطلقه فأخذ أمواله وسار إلى التتار ، فأخذته منه .

﴿ الشيخ عبد الله اليوناني ﴾

الملقب أسد الشام رحمه الله ورضي عنه من قرية بعلبك يقال لها يونين ، وكانت له زاوية يقصد فيها للزيارة ، وكان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والرياضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له حمة عالية في الزهد والورع ، بحيث إنه كان لا يقتني شيئا ولا يملك ملاولا ثيابا ، بل يلبس عارية ولا يتجاوز قيصا في الصيف وفروة فوقه في الشتاء ، وعلى رأسه قمحا من جلود المزم ، شمره إلى ظاهره ، وكان لا ينقطع عن غزاة من الغزوات ، ويرمي عن قوس زنته ثمانون رطلا ، وكان يجاور في بعض الأحيان بجبل لبنان ، ويأتي في الشتاء إلى عيون العسريا في سفح الجبل المطل على قرية دومة شرق دمشق ، لاجل سخونة الماء ، فيقصده الناس للزيارة هناك ، ويحيط به إلى دمشق فينزل بسفح قاسيون عند القادسية وكانت له أحوال ومكاشفات صالحة ، وكان يقال له أسد الشام ، حكى الشيخ أبو المظفر سبط ابن الجوزي عن القاضي جمال الدين يعقوب الحاكم بكرك البقاع أنه شاهد مرة الشيخ عبد الله وهو يتوضأ من نور عند الجسر الأبيض إذ مر نصراني ومعه حمل بطل خرا فثرت الدابة عند الجسر فسقط الحمل فأرأى الشيخ وقد فرغ من وضوئه ولا يعرفه ، واستامن به على رفع الحمل فاستدعى الشيخ فقال : تعال يا قهيه ، فتساعدنا على تحميل ذلك الحمل على الدابة وذهب النصراني فتمجبت من ذلك وتبعت الحمل وأنا ذاهب إلى المدينة ، فأنهى به إلى القبة فأورده إلى

الحار بها فإذا خل قال له الحار : ويحك هنا خل ، فقال النصراني أنا أعرف من أين أتيت ، ثم ربط الدابة في خان ورجع إلى الصالحية فسأل عن الشيخ فرفقه فجاء إليه فأسلم على يديه ، وله أحوال وكرامات كثيرة جدا ، وكان لا يقوم لاحد دخل عليه ويقول : إنما يقوم الناس لرب العالمين ، وكان الأجد إذا دخل عليه جلس بين يديه فيقول له : يا أجد فلت كذا وكذا ويأمره بما يأمره ، وينهاه عما ينهاه عنه ، وهو يحتل جميع ما يقوله له ، وما ذاك إلا لصدقه في زهده وورعه وطريقه ، وكان يقبل الفتوح ، وكان لا يدخر منه شيئا لنفسه ، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق الورزفره واستغف ويشرب فرفقه الماء البارد رحمه الله تعالى وأكرم مثواه ، وذكروا أنه كان يحجج في بعض السنين في الهواء ، وقد وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحى العباد ، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء ، وأول من يذكر عنه هذا حبيب العجبي ، وكان من أصحاب الحسن البصري ، ثم من بعده من الصالحين رحمهم الله أجمعين . فلما كان يوم جمعة من عشرين الحجة من هذه السنة صلى الصبح عبد الله اليوناني وصلاة الجمعة بجامع بعلبك ، وكان قد دخل الحمام يومئذ قبل الصلاة وهو صحيح ، فلما انصرف من الصلاة قال للشيخ داود المؤمن ، وكان يقبل الموتى ، انظر كيف تكون غدا ، ثم صعد الشيخ إلى زاويته فبات يذكر الله تعالى تلك الليلة ويتذكر أصحابه ، ومن أحسن إليه ولو بأدنى شيء ويدعو لهم ، فلما دخل وقت الصبح صلى بأصحابه ثم استند يذكر الله وفي يده سبحة ، فبات وهو كنفك جالس لم يسقط ، ولم تسقط السبحة من يده ، فلما انتهى الخبر إلى الملك الأجد صاحب بعلبك فجاء إليه فضائنه كنفك فقال لو بلينا عليه بنينا هكذا يشاهد الناس منه آية ، فقيل له : ليس هذا من السنة ، فحكي وكفن وصلى عليه ودفن تحت الورزة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالى ، رحمه الله ونور ضريحه . وكانت وفاته يوم السبت وقد جاوز ثمانين علما أكرمه الله تعالى ، وكان الشيخ محمد الفقيه اليوناني من جملة تلاميذه ، ومن يلوح به وهو جد هؤلاء المشايخ بمدينة بعلبك .

(أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أبي بكر)

المجلى الموصلى ، ويعرف بابن الجهنى ، شاب فاضل ولى كتابة الانشاء لبدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل ، ومن شره :

فنى فداء القى فكرت فيه وقد * غدوت أغرق في بحر من المعجب
يبدو بليل على صبح على قر * على قضيب على وم على كشب
(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستائة)

فيها استولت التتر على كثير من البلدان بكلادة وهندان وأردبيل وتبريز وكنجة ، وقتلوا أهاليها ونهبوا ما فيها ، واستأسروا ذرارها ، واقتربوا من بغداد فترجع الخليفة فلتك وحسن

بتعداد واستخدم الأجناد ، وقتئذ الناس في الصلوات والأوراد . وفيها قهروا السكرج واللان ، ثم قاتلوا التيجاق فسكرهم ، وكذلك الروس ، ونيهون ما قدروا عليه ، ثم قاتلهم وسبوا نساءهم وذرايرهم ، وفيها سار المعظم إلى أخيه الأشرف فاستمطه على أخيه الكامل ، وكان في نفسه موجبة عليه فأزالها وسارا جميعاً نحو الفيحار المصرية لملاونة الكامل عل الفرنج الذين قد أخذوا ثغر دمياط واستحكم أمرهم هناك من سنة أربع عشرة ، وعرض عليهم في بعض الأوقات أن يرد إليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل ويتركوا دمياط ، فامتنعوا من ذلك ولم يفعلوا ، فقدر الله تعالى أنهم ضاقت عليهم الأقوات فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذها الأسعول البحري وأرسلت المياه على أراضي دمياط من كل ناحية فلم يمكنهم بعد ذلك أن يتصرفوا في أنفسهم ، وحصرهم السلون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن ، ففند ذلك أنابوا إلى المصالحة بلا معاوضة ، فجاء مقدمهم إليه وعنده أخواه المعظم عيسى وموسى الأشرف ، وكانا قائمين بين يديه ، وكان يوما مشهودا ، فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد بيض الله وجهه ، وملوك الفرنج والسلاكر كلها وافقة بين يديه ، ومد سلطانا عظيما ، فاجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقام راجع الحلي الشاعر فأنشد :

هنيئا فان السعد راح غلها • وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حياتا إله الخلق فتحا بدا لنا • مينا وإنما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الدهر بمد قطوبه • وأصبح وجه للشرك الظلم أسودا
ولما طنى البحر الخضم بأهله الط • ثاة وأضحى بالمرائب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه • صقلا كما سل الحسام مجردا
فلم ينج إلا كل شلو مجدل • نوى منهم أو من تراه مقبدا
وقادى لسان الكون في الأرض رافعا • عقيرته في الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى إن عيسى وحزبه • وموسى جميعا يخفون محمدا

قال أبو شامة : وبلغني أنه أشار عند ذلك إلى المعظم عيسى والأشرف موسى والكامل محمد ، قال : وهذا من أحسن شيء اتفق ، وكان ذلك يوم الأربعاء التاسع عشر رجب من هذا السنة هو تراجت الفرنج إلى عكا وغيرها ، ورجع المعظم إلى الشام وأصطلح الأشرف والكامل على أخيهما المعظم . وفيها ولي الملك المعظم قضاء دمشق كال الدين المصري الذي كان ويكيل بيت المال بها ، وكان فاضلا بارعا يجلس في كل يوم جمعة قبل الصلاة بالمدايلة بمد فراغها لإثبات الحاضر ، ويحضر عنده في المدرسة جميع الشهود من كل المراكز حتى يقيس على الناس إثبات كتبهم في الساعة الواحدة ، جزاء الله خيرا .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ ياقوت الكاتب الموصل رحمه الله ﴾
 أمين الدين المشهور بطريقة ابن البواب . قال ابن الأثير : لم يكن في زمانه من يقاربه ،
 وكانت لديه فضائل جمة والناس متفقون على الثناء عليه ، وكان نعم الرجل . وقد قال فيه نجييب الدين
 الواسطي قصيدة بمدحه بها :

جلمع شارد العلوم ولولا • • • لكنت أم الفضائل ثكلى
 ذوبراع تخاف ريقته الأمد • • • د ، وتمنوه له الكتاب ذلا
 وإذا افتقر ثمره عن بياض • • • في سواد قاسم والبياض خجلا
 أنت بدر والكاتب ابن هلال • • • كآيبه لا تغر فيمن تولى
 إن يكن أولى فانك بالنفض • • • يل أولى قد سبقت وصلى

﴿ جلال الدين الحسن ﴾

من أولاد الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية ، وكان قد أظهر في قومه شمائر الاسلام ، وحفظ
 الحدود والمحرمات والقيام فيها بالأوامر الشرعية .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

شهاب الدين محمد بن خلف بن راجح المقدسي الحنبلي الزاهد العابد الناسك ، كان يقرأ على الناس
 يوم الجمعة الحديث النبوي وهو جالس على أسفل منبر الخطابة بالجامع الظفري ، وقد سمع الحديث
 الكثير ، ورحل وحفظ مقامات الحريري في خمسين ليلة ، وكانت له فنون كثيرة ، وكان طريقا
 مطبوعا رحمه الله ﴿ والخطيب موفق الدين ﴾

أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كلال المقدسي ، خطيب بيت الأبار ، وقد ناب
 في دمشق عن الخطيب جمال الدين الدولمي حين سار في الرسالة إلى خوارزم شاه ، حتى عاد .

﴿ الحديث البارع تقي الدين أبو طاهر ﴾

إسماعيل بن عبد الله بن عبد الحسن بن الأنماطي ، قرأ الحديث ورحل وكتبه ، وكان حسن الخط
 متقنا في علوم الحديث ، حافظا له ، وكان الشيخ تقي الدين ابن الصلاح يثني عليه ويمدحه ، وكانت
 له كتب بالبيت النوري من الكلاسة الذي كان لذلك الحسن بن صلاح الدين ، ثم أخذ من ابن
 الأنماطي وسلم إلى الشيخ عبد الصمد الهكافي ، واستمر يبد أمحابه بصدقه ، وكانت وفاته بدمشق
 ودفن بمقابر الموقية وصلى عليه بالجامع الشيخ موفق الدين ، ويطلب النصر الشيخ فخر الدين بن
 عساكر ، و بالمقبرة فاضى القضاة جمال الدين المصري رحمه الله تعالى .

﴿ أبو الفيث شبيب بن أبي طاهر بن كليب ﴾

ابن مقبل الضرير الفقيه الشافعي ، أظم ينفد إلى أن توفي ، وكانت لديه فضائل وله رسائل ، ومن شعره قوله :

إذا كنتم قلنس أهل سياسة • فسوسوا كرام الناس بالجود والبذل
وسوسوا لثام الناس بالقتل يصلحوا • عليه ، فإن اقل أصلح لئلا
﴿ أبو المزشر بن علي ﴾

ابن أبي جعفر بن كامل الخالصى المقرئ الضرير الفقيه الشافعي ، فقهه بالنظامية وسمع الحديث ورواه ، وأثشد عن الحسن بن عمرو الجلبى :

تخلم لي والغير بميدة • تغيل لي أن الفواد لك معنى
وتلجا كم قلبي على البمد بيننا • فأوحشتم لفظا وأنسم معنى
﴿ أبو سليمان داود بن إبراهيم ﴾

ابن مندار الجلبى ، أحد المعبدن بالمدرسة النظامية ، وما أنشده .

أيا جاسما أمسك عنانك مقصراً • فإن مطايا الهجر تكيو وتقصر
ستقرح منا أو تمض ندامة • إذا خان الزمان واقصر (١)
ويلقك وشد بمد غيك واعظ • ولكنه يلقك والأمر مدبر
﴿ أبو المظفر عبد الودود بن محمود بن المبارك ﴾

ابن علي بن المبارك بن الحسن الواسطى الأصل ، البغدادي الهار والمولد ، كال الدين المعروف والده بالمجيد ، فقهه على أبيه وقرأ عليه علم الكلام ، ودرس بمدرسته عند باب الأزج ، ووكله الخليفة الناصر واشتهر بالهيانة والأمانة ، ويشتر مناصب كباراً ، وحجج مراراً عديدة ، وكان متواضعاً حسن الأخلاق وكان يقول :

وما تركت ست وستون حجة • لنا حجة أن تركب الهجر مركبا
وكان ينشد العلم يأتي كل ذي خ • ض ويأتي على كل أبي
كللاء يتزل في الوها • دوليس يصمد في الروابي

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وستائة ﴾

فيها قتل تابوت العادل من القلعة إلى تربته العادلية الكبيرة ، فصلى عليه أولاً تحت النسر بالجامع الأموى ، ثم جازوا به إلى التربة المذكورة فدفن فيها ، ولم تكن المدرسة كملت بمد ، وقد تكمل بناؤها في هذه السنة أيضاً ، وذكر المدرس بها القاضى جمال الدين المصرى ، وحضر عنده السلطان

(١) كذا في الأصل والبيت مكسور .

المظلم فجلس في الصدر وعن شالاه القناصى وعن يمينه صدر الدين الحصري شيخ الحنفية ، وكان في المجلس الشيخ تقي الدين بن الصلاح إمام السلطان ، والشيخ سيف الدين الأسدي إلى جانب المدرس ، وإلى جانبه شمس الدين بن مناه الدولة ، ويليهِ النجم خليل قاضي السكر، وتحت الحصري شمس الدين بن الشيرازي ، وتحت محي الدين التركي ، وفيه خلق من الأعيان والأكابر ، وفيهم نغر الدين بن عساكر . وفيها أرسل الملك المظلم الصدر الكشفي^(١) محتسب دمشق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه يستعينه على أخويه الكامل والأشرف الذين قد تملا عليه ، فأجابه إلى ذلك بالسمع والطاعة ، ولما عاد الصدر المذكور أضاف إليه مشيخة الشيوخ . وحين في هذه السنة الملك مسعود بن أنيس بن الكامل صاحب البين فبعت منه أفعال ناقصة بالحرم من سكر ورشق حمام المسجد البندق من أعلا قبة زهم ، وكان إذا تلم في دار الامارة يضرب الطائفون بالمسي بأطراف السيوف لتلايشوشوا عليه وهو نوم سكر قبحه الله ، ولكن كان مع هذا كله مهيأً محترماً والبلاد به آمنة مطمئنة ، وقد كاد يرفع سنجق أبيه يوم عرفة على سنجق الخليفة فيجرى بسبب ذلك فتنة عظيمة ، وما مكن من طلوعه وصعوده إلى الجبل إلا في آخر النهار بعد جهد جهيد . وفيها كان بالشام جراد كثير أكل الزرع والثمار والأشجار . وفيها وقت حروب كثيرة بين القبيجاق والكرج ، وقتال كثير بسبب ضيق بلاد القبيجاق عليهم . وفيها ولي قضاء القضاة بيتداد أبو عبد الله محمد بن فلان . ولبس الخلمة في باب دار الوزارة مؤيد الدين محمد بن محمد القيمي بمحضرة الأعيان والكبراء ، وقرى تقليده بحضورهم وساقه ابن السامعي بحروقه

وعن توفى فيها من الأعيان (عبد القادر بن داود)

أبو محمد الواسطي الفقيه الشافعي الملقب بالحجب ، استقل بالنظامية دهرًا ، واشتغل بها ، وكان فاضلاً ديناً صالحاً ، وما أنشده من الشعر :

الفرقدان كلاهما شهدا له • والبدر ليلة تمه بسباهه
دنف إذا اعتبق الظلام تضرمت • نار الجوى في صدره وقواده
فجرت مدافع جفنه في خد • مثل المسيل يسيل من أطواره
شوقاً إلى مضنيه لم أر هكنا • مشتاق مضى جسمه يبعاده
ليت ألقى أضناه سحر جفونه • قبل المات يكون من عواده

(أبو طالب يحيى بن علي)

اليقوى الفقيه الشافعي أحد المعيد بن بيتداد ، كان شيخاً مليح الشبهة جميل الوجه ، كان يلى بعض الاوقاف ، وما أنشده بعض الفضلاء :

(١) هو صدر الدين أبو الحسن محمد بن أبي الفتح .

لحل تهامة وجبال أحد • وماء البحر ينقل بالزليل
وقل الصخر فوق الظاهر عريا • لأهون من بحالة التقليل
ولبعضهم أيضاً، وهو عما أنشده المذكور:

وإذا مضى للرء من أعوامه • خسون وهو إلى التقي لا ينجح
عكفت عليه الخزيات قهولها • حالفنا، فأقم كذا لا تبرح
وإذا رأى الشيطان غرة وجهه • حيا، وقال فديت من لا يفلح
اتفق أنه طولب بشيء من المال فلم يقدر عليه فاستعمل شيئاً من الأفيون المصرى فات من
يومه ودفن بالوردية. وفيها توفي.

(قطب الدين المعادل)

بالفيوم وقيل إلى القاهرة. وفيها توفي إمام الحنابلة بمكة.

(الشيخ نصر بن أبي الفرج)

المعروف بابن المصري، جاور بمكة مدة لم يسافر، ثم ساقته المنية إلى اليمن، فات بها في هذه
السنة. وقد سمع الحديث من جماعة من المشايخ.
وفيها في ربيع الأول توفي بدمشق الشهاب (عبد الكريم بن نجم النيلي) أخو البهاء والناصح،
وكان قتها مناظر آ بصيراً بالحكايات. وهو الذي أخرج مسجد الوزين يد الشيخ علم الدين السخاوي
رحمه الله تعالى بمنه وكرمه. (ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة)

فيها عاد الأشرف موسى بن المعادل من عند أخيه الكامل صاحب مصر. فلتقاه أخوه المعظم
وقد فهم أنهما تمالآ عليه، فبات ليلة بدمشق وسار من آخر الليل ولم يشعر أخوه بذلك، فسار إلى
بلاده فوجد أخاه الشهاب غازي الذي استنابه على خلاط وميلاقين وقد قروا رأسه وكتبه المعظم
صاحب إربل وحسنوا له مخالفة الأشرف، فكتب إليه الأشرف إنهاء عن ذلك فلم يقبل، فجمع
له العساكر ليقاته. وفيها سار أقيس الملك مسعود صاحب اليمن ابن الكامل من اليمن إلى مكة
شرفها الله تعالى فقاتله ابن قتادة يبطن مكة بين الصفا والمروة، فهزمه أقيس وشرده، واستقل
بمكة مع اليمن، وجرت أمور فظيمة وتشرذ حسن بن قتادة قاتل أبيه وعمه وأخيه في تلك
الشمل والأودية.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الامام.

(موفق الدين عبد الله بن أحمد)

ابن عدي بن قدامة بن مقدام بن نصر. شيخ الاسلام، مصنف التقي في المنهب، أبو عبد الله القسبي

إمام عالم بارع . لم يكن في عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أهقه منه ، وله بمجما عيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسة مائة ، وقدم مع أهله إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين ، وقرأ القرآن ومع الحديث الكثير ، ورجل مرتين إلى العراق إحداها في سنة إحدى وستين مع ابن عمه الحافظ عبد الغني ، والأخرى سنة سبع وستين ، وحج في سنة ثلاث وسبعين ، وفتحه ببغداد على مذهب الإمام أحمد ، وبرع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة ، مع زهد وعبادة وورع وتواضع وحسن أخلاق وجود وحياء وحسن سمع ونور وبهاء وكثرة تلاوة وصلاة وصيام وقيام وطريقة حسنة واتباع للسلف الصالح ، وكانت له أحوال ومكاشفات ، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى : إن لم تكن العلماء الملقون أولياء الله فلا أعلم لله وليا ، وكان يؤم الناس للصلاة في محراب الخنابلة هو والشيخ العماد ، فلما توفي العماد استقل هو بالوظيفة ، فان غلب صلى عنه أبو سليمان ابن الحافظ عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني ، وكان يتنقل بين المشايخ بالقرب من محرابه ، فلذا صلى المشاء انصرف إلى منزله بدرب الدوالي بالرصيف وأخذ معه من الفقراء من تيسر يأكلون معه من طعامه ، وكان منزله الأصلي بقاسيون فينصرف بعض الأيالي بعد المشاء إلى الجبل ، فاتفق في بعض الأيالي أن خلف رجل عمامته وكان فيها كاغد فيه رمل ، فقال له الشيخ : خذ الكاغد وألق البعلة ، فظن الرجل أن ذلك فتنة فأخذه وألقى البعلة . وهذا يدل على ذكاه مفرط واستخصار حسن في الساعة الراحة ، حتى خلص عمامته من يده بتلطف . وله مصنفات عديدة مشهورة ، منها المفتي في شرح مختصر الخرق في عشرة مجلدات ، والشافعي في مجلدين والمفتح للحفظ ، والروضة في أصول الفقه ، وغير ذلك من التصنيفات الفريدة ، وكانت وفاته في يوم عيد الفطر في هذه السنة ، وقد بلغ الثمانين ، وكان يوم سبت وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن بقرية المشهورة ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله تعالى ، وكان له أولاد ذكور وإناث ، فلما كان حيا ماتوا في حياته . ولم يقب منهم سوى ابنه عيسى ودفن ثم ماتا وانقطع نسله ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : قلت من خط الشيخ موفق رحمه الله تعالى :

لا تجلسن يارب من • يأتي عليك وصول داره
وتقول حاجاتي إليه • فيوقها إن لم أداره
واركز واقصد ربها • تهففي ورب الدار كاره

وما أنشده الشيخ موفق الدين لنفسه رحمه الله تعالى ورضي عنه قوله :

أبعد يياض الشمر أحر مسكنا • سوى القبر ، إلى إن ضلت لأحق
يجزني شيبى بأني ميت • وشيكا ، فينماني إلى ويصدق
يجرق عري كل يوم ويلة • فهل مستطاع رقع ما يتخرق

كأنى بجسمى فوق نشى ممدداً * فن ساكت أو معول يتحرك
إذا سئلوا عنى أجابوا وعولوا * وأدبهم تهل هذا الموفق
وقيت في صدى من الأرض ضيق * وأودعت لحداً فوقه الصخر مطبق
ويحشو على القرب أوثق صاحب * ويسلنى القبر من هو مشفق
فيارب كن لى مؤناً يوم وحشقى * فانى بما أنزلته لمصدق
وما ضرتنى أنى إلى الله صار * ومن هو من أهلى أبروأرق

نفر الدين ابن عساكر (عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر)

أبو منصور البغدادي شيخ الشافعية بها، وأمه اسمها أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر القنسية المروفي والد بها أبي البركت ابن المران، وهو الذي جدد مسجد القدم في سنة سبع عشر وخمسة مائة وبه قبره وقبرها، ودفن هناك طائفة كبيرة من العلماء، وهي أخت آمنة والدة القاضي محي الدين محمد بن علي بن الزكي، اشتغل الشيخ نضر الدين من صغره بالعلم الشريف على شيخه قطب الدين مسعود النيسابوري، فتزوج بابنته ودرس مكانه بالخارجية، وبها كان يسكن في إحدى القاعتين اللتين أنشأهما وبها توفي غربي الأيوان، ثم تولى تدريس الصلاحية الناصرية بالقنس الشريف، ثم ولاه المادل تدريس التقوية، وكان عنده أعيان الفضلاء، ثم فرغ فقام المجاورة في الجامع في البيت الصغير إلى جانب عراب الصحابة يخلو فيه للعبادة والمطالعة والفتاوى، وكانت تعد إليه من الأقطار، وكان كثير القدر حسن السمعة، وكان يجلس تحت النسر في كل اثنين وخميس مكان عمه لا سماع الحديث بعد العصر، فيقرأ عليه دلائل النبوة وغيره، وكان يحضر مشيخة دار الحديث النورية، ومشهد ابن عروة أول ما فتح، وقد استدعاه الملك العادل بعد ما عزل قاضيه ابن الزكي فأجلسه إلى جانبه وقت السباط، وسأل منه أن يلى القضاء بدمشق، فقال حتى أستخير الله تعالى، ثم امتنع من ذلك فشق على السلطان امتناعه، وم أن يؤذيه قليل له أحد الله القى فيه مثل هذا. ولما توفي العادل وأعاد ابنه المعظم الخور أنكر عليه الشيخ نضر الدين، فبق في نفسه منه، فانتزع منه تدريس التقوية، ولم يبق معه سوى الخارجية ودار الحديث النورية ومشهد ابن عروة، وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد العصر عاشر رجب من هذه السنة وله خمس وستون سنة، وصلى عليه بالجامع وكان يوماً مشهوداً، وحملت جنازته إلى مقابر الصوفية دفن في أولها قريباً من قبر شيخه قطب الدين مسعود بن عروة.

(سيف الدين محمد بن عروة الموصلي)

المنسوب إليه مشهد ابن عروة بالجامع الأموي، لأنه أول من فتحه، وقد كان مشحوناً بالحواصل الجامعية وبني فيه البركة ووقف فيه على الحديث درساً، ووقف خزائن كتب فيه، وكان

مقيا بالقدس الشريف ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم ، فانتقل إلى دمشق حين خرب
سور بيت المقدس إلى أن توفي بها ، وقبره عند قباب أنابك طنتكين قبلي المصل رحمه الله .

﴿ الشيخ أبو الحسن الروزبهاري ﴾

دفن بالمكان المنسوب إليه عند باب الفرائيس .

﴿ الشيخ عبد الرحمن البغلي ﴾

كان مقيا بالنارة الشرقية ، كان صالحا زاهدا ورعا وفيه مكارم أخلاق ، ودفن بمقابر الصوفية .

﴿ الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد ﴾

ابن حمزة التميمي ابن القلانسي ، أحد رؤساء دمشق وكبرائها ، وجده أبو يعلى حمزة له تاريخ
ذيل به على ابن عساكر ، وقد سمع عز الدين هذا الحديث من المحافظ أبي القاسم ابن عساكر
وغيره ، ولزم مجالسة الكندي وانتفع به .

﴿ الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة ﴾

محمد بن سليمان بن قنقش بن تركاشاه بن منصور السمرقندي ، وكان من أولاد الأمراء ، وولى
حاجب الحجاب بالديوان العزيز الخليفة ، وكان يكتب جيدا وله معرفة حسنة بعلوم كثيرة ، منها
الأدب وعلوم الرياضة ، وعمر دها ، وله حظ من نظم الشعر الحسن ومن شعره قوله :

سئمت تكاليف هذى الحياة • وكذا الصباح بها والمساء

وقد كنت كالطفل في عقله • قليل الصواب كثير المراء

أنام إذا كنت في مجلس • وأسر عند دخول القناه

وقصر خطوى قيد المشيب • وطال على ما عناني عناء

وغودرت كالفرخ في عشه • وخلفت حلى وراء وراء

وما جر ذلك غير البقاء • فكيف بدا سوء فعل البقاء

وله أيضاً ، وهو من شعره رحمه الله :

إلحى يا كثير المفو عفو • لما أسلفت في زمن الشباب

قد سوت في الالام وجها • ذليلا خاضعا لك في التراب

فبيضة يحسن المفو عفى • وساعنى وخفق من عناني

ولما توفي صلى عليه بالنظامية ودفن بالشونيزية ورآه بعضهم في المنام فقال ما فعل بك ربك ؟ فقال

نحاشيت القاء لسوء فعلى • وخوفا في المعاد من الندامة

فلما أن قدمت على إلحى • وحقق في الحساب على قلامه

وكان العدل أن أصلي ججيا • تمطف بالمكلم والكلام
 وقداني لسان العفو منه • ألا يا عبد يهنيك السلامه
 (أبو علي الحسن بن أبي المحاسن)

زهره بن علي بن زهره البلوي الحسيني الحلبي، تقيب الأشراف بها، كان لديه فضل وأدب وعلم
 بأخبار الناس والتواريخ والسير والحديث، ضابطا حافظا لقرآن المجيد، وله شعر جيد فنه قوله :

لقد رأيت المشوق وهو من ال • بهجر تقبو التواظر عنه
 أثر الدهر فيه آثار سوء • وأدالت يد الحوادث منه
 عاد مستذلا ومستقبلا • عزا بذل كأن لم يصنه
 (أبو علي يحيى بن المبارك)

ابن الجلاجلي من أبناء التجار، جمع الحديث وكان جميل الهيئة يسكن بدار الخلالة وكان عنده
 علم وله شعر حسن، فنه قوله :

خير إخوانك المشارك في المر • وأمين الشريك في الرأينا
 القى إن شهدت شرك في القو • م وإن غبت كان أذا وعينا
 مثل المقيق إن مسه النا • رجلاه الجلاء فازداد زينا
 وأخو السوء إن يقب عنك يد • نك وإن يحتضر يكن ذاك شينا
 جيبه غير فاصح ومنه أن • يصب الخليل إفكا ومينا
 فخش منه ولا تلهف عليه • إن غرماً له كنعك دينا
 (ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة)

فيها وصلت سرية من جهة جنكزخان غير الأولتين إلى الرى، وكانت قد عمرت قليلا
 قتلوا أهلها أيضاً، ثم صاروا إلى ساوة، ثم إلى قم ولسان، ولم تكونا طرقتا إلا هذه المرة، فضلوا بها
 مثل ما تقدم من القتل والسبي، ثم صاروا إلى همدان قتلوا أيضاً وسبوا، ثم صاروا إلى خلف
 انطوارزمية إلى أذربيجان فكسروهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا، فهربوا منهم إلى تبريز فلحقوهم وكتبوا
 إلى ابن البهلوان : إن كنت مصالحا لنا فابث لنا بطوارزمية وإلا فأنت مثلهم، قتل منهم خلقا
 وأرسل برؤسهم إليهم، مع تحف وهدايا كثيرة، هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف
 واطوارزمية وأصحاب البهلوان أضعاف أضعافهم، ولكن الله تعالى ألقى عليهم الخذلان والفشل،
 فأتاه وإياه راجعون .

وفيها ملك غيث الدين بن خوارزم شاه بلاد فارس مع ما في يده من مملكة أصفهان وحمدان

وفيه استعاد الملك الأشرف مدينة خلاط من أخيه شهاب الدين غازي ، وكان قد جعلها إليه مع جميع بلاد أرمينية وميا طارقين وجلي وجبل حور ، وجعله ولي عهده من بعده ، فلما عصى عليه وتشب دماغه بما كتب إليه المظلم من تحيينه له مخالفته ، فركب إليه وحاصره بمخلاط فسلمت إليه وامتنع أخوه في القلعة ، فلما كان الليل نزل إلى أخيه مستخراً قبل عنده ولم يعاقبه بل أقره على ميافارقين وحدها ، وكان صاحب إربل والمظلم متفقين مع الشهاب غازي على الأشرف ، فكتب الكامل إلى المظلم يتهده لئن ساعد على الأشرف ليأخذته وبلاده ، وكان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل مع الأشرف ، فركب إليه صاحب إربل لحاصره بسبب قلة جنده لأنه أرسلهم إلى الأشرف حين نازل خلاط ، فلما انفصلت الأمور على ما ذكرنا نعم صاحب إربل ، والمظلم بدمشق أيضاً .

وفيهما أرسل المظلم ولده الناصر داود إلى صاحب إربل يقويه على مخالفة الأشرف ، وأرسل صوفيا من الشميساطية يقال له الملقى إلى جلال الدين بن خوارزم شاه - وكان قد أخذ أذربيجان في هذه السنة وقوى جأشه - يتفق معه على أخيه الأشرف ، فوعده النصر والرفادة . وفيها قدم الملك مسعود أقيس ملك اليمن على أبيه الكامل بالدار المصرية ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف ، ومن ذلك مائتا خادم وثلاثة أفيلة هائلة ، وأحمال عود وند ومسك وعنبر ، وخرج أبوه الكامل لتلقيه ومن نية أقيس أن يزرع الشام من يد عمه المظلم . وفيها كل حمارة دار الحديث الكاملية بمصر ، وولي مشيختها الحافظ أبو الخطاب ابن دحية الكاظمي ، وكان مكثرأ كثر الفنون ، وعنده فوائد ومجائب رحمه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان (أحمد بن محمد)

ابن علي القادسي الضرير الحنبلي ، والاصحاب القليل على تاريخ ابن الجوزي ، وكان القادسي هذا يلازم حضور مجلس الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، ويذكر ما يسمعه من الفرائد ، ويقول والله إن ذا مليح ، فاستقرض منه الشيخ مرة عشرة دنانير فلم يعطه ، وصار يحضر ولا يتكلم ، فقال الشيخ مرة: هذا القادسي لا يقرضنا شيئا ولا يقول والله إن ذا مليح ؟ رحمه الله تعالى ، وقد طلب القادسي مرة إلى دار المستغنى ليعمل بالخليفة التراويح فقبل له والخليفة يسمع : ما مذهبك ؟ فقال حنبلي ، فقال له لا تصل بدار اختلاف وأنت حنبلي ، فقال أنا حنبلي ولا أصلي بكم ، قال الخليفة أتركوه لا يعمل بنا إلا هو (أبو الكرم المظفر بن المبارك)

ابن أحمد بن محمد البغدادى الحنفي شيخ مشهده أبي حنيفة وغيره ، ولى الحسبة بالمجانبة النجفي من بغداد ، وكان فاضلاً دينياً شاعراً ومن شعره :

فمن يجمل الصبر نفسك واغتنم • شريف الزايا لا يفتك ثوابها
وعش سالا والقول فيك مهذب • كريماً وقد هانت عليك صماها
وتتدرج الأيام والكل ذاهب • قليل ديفى عنها وعذابها
وما الدهر إلا مرٌّ يوم وليلة • وما العمر إلا طها وذهابها
وما الحزم إلا في إخاء عزيزة • وفيك المالى صفوها ولباؤها
ودع عنك أحلام الأمانى فاته • سيسفر يوما غيها وصوابها
(محمد بن أبي الفرج بن بركة)

الشيخ نغر الدين أبو المالى الموصل ، قدم بغداد واشتغل بالنظامية وأعاد بها ، وكانت له معرفة
بالقرارات ، وصنف كتابا في خارج الحروف ، وأسند الحديث وله شعر لطيف .

﴿ أبو بكر بن حلبة الموازينى البغدادى ﴾

كان فردا في علم الهندسة وصناعة الموازين يخترع أشياء عجبية ، من ذلك أنه قتب حبة خشخاش
سبعة قلوب وجعل في كل قتب شعرة ، وكان له حظوة عند الهولة .

﴿ أحمد بن جعفر بن أحمد ﴾

ابن محمد أبو العباس الديلمي البيه الواسطى ، شيخ أديب فاضل له نظم ونثر ، عارف بالأخبار
والسير ، وعنده كتب جيدة كثيرة ، وله شرح قصيدة لأبي اللؤلؤ المبرى في ثلاث مجلدات ، وقد
أورد له ابن السامى شعرا حسنا فصيحاً حلوا لذيذا في السمع لطيفا في القلب .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ﴾

فيها عاثت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مقهورين من
التتار إلى بلاد خوزستان ونواحى العراق ، فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه . وفيها استحوذ
جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثيرا من بلاد الكرج ، وكسر الكرج وهم في
سبعين ألف مقاتل ، قتل منهم عشرين ألفا من المقاتلة ، واستنفل أمره جبا وعظم شأنه ، وفتح
تفليس قتل منها ثلاثين ألفا . وزعم أبو شامة أنه قتل من الكرج سبعين ألفا في المركة ، وقتل
من تفليس تمام المائة ألف ، وقد اشتغل بهذه الفروقة عن قصد بغداد ، وذلك أنه لما حاصر دقوقا سبه
أهلها ففتحها قسراً وقتل من أهلها خلقا كثيرا ، وخرب سورها وعزم على قصد الخليفة ببغداد
لأنه فيما زعم عمل على أبيه حتى هلك ، واستولت التتار على البلاد ، وكتب إلى المظفر بن المعلى
يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك ، فامتنع المظفر من ذلك ، ولما علم الخليفة بقصد
جلال الدين بن خوارزم شاه بغداد ارتجع قلبه وحسن بغداد واستنخم الجيوش والأجناد ، وأفق

في الناس ألف ألف دينار ، وكان جلال الدين قد بث جيشاً إلى الكرج فكاتبوا إليه أن أدركنا قبل أن نهلك عن آخرنا ، وبنداد ما خوت ، فصار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا .

وفيها كان غلاء شديد بالمرق والشام بسبب قلة الأمطار وانتشار الجراد ، ثم أعقب ذلك فناء كثير بالمرق والشام أيضاً ، فمات بسببه خلق كثير في البلدان ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون .

﴿ وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر ﴾

لما كان يوم الأحد آخريوم من شهر رمضان المعظم من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو المباس أحمد بن المستضيء بأمر الله ، أبي المظفر يوسف بن المتقي لأمر الله ، أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله ، أبي عبد الله أحمد بن المتدي بأمر الله ، أبي القاسم عبد الله بن القادر محمد بن القائم بأمر الله ، أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، أبي المباس أحمد بن الموفق أبي أحمد بن محمد المتوكل أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، أبي المباس أحمد بن إسحاق بن المتندر بالله ، أبي الفضل جعفر بن المتضد بالله ، أبي المباس أحمد بن الموفق ، أبي أحمد بن محمد المتوكل على الله جعفر بن المنعم بالله ، أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن المباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي ، أمير المؤمنين ، ولد ببغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وبيع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين [وخمسمائة] ، وتوفي في هذه السنة وله من العمر تسع وستون سنة وشران وعشرون يوماً ، وكانت مدة خلافته سبعا وأربعين سنة إلا شهرا ، ولم يرق أحد من الخلفاء العباسيين قبله في الخلافة هذه المدة الطويلة ، ولم تطل مدة أحد من الخلفاء مطلقاً أكثر من المستنصر العبيدي ، أقام بمصر حاكماً ستين سنة ، وقد انتظم في نسبه أربعة عشر خليفة ، وولي عهد على ما رأيت ، وبقية الخلفاء العباسيين كلهم من أعمامه وبنى عمه .

وكان مرضه قد طال به وجهوره من عصار البول ، مع أنه كان يجلب له الماء من مراحل عن بنداد ليكون أصفى ، وشق ذكره مرات بسبب ذلك ، ولم ينع عنه هذا الحذر شيئاً ، وكان القى ولى غسله محي الدين ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، وصلى عليه ودفن في دار الخلافة ، ثم قتل إلى التراب من الرصافة في ثمانى ذى الحجة من هذه السنة ، وكان يوماً مشهوداً ، قال ابن الساعي : أما سيرته فقد تقدمت في الحوادث ، وأما ابن الأثير في كماله فانه قال : بقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عطلاً من الحركة بالكلية ، وقد ذهبت إحدى عينيه والأخرى يبصر بها إبصاراً ضيقاً ، وآخر الأمر أصابه دوستطارية عشرين يوماً ومات ، وزر له عدة وزراء ، وقد تقدم ذكرهم ، ولم يطلق في أيام مرضه ما كان أحد منه من الرسوم الجائرة ، وكان قبيح السيرة في رعيته ظالماً لهم ، غريب في أهل العراق وتفرق أهل في البلاد ، وأخذ أموالهم وأملأهم ، وكان يغفل الشيء وضده ، فمن ذلك أنه عمل دوراً

للانفطار في رمضان ودورا لضياقة الحجاج ، ثم أبطل ذلك ، وكان قد أسقط مكوساً ثم أعلاها وجعل
 جل همه في رعي البنق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوة . قال ابن الأثير : وإن كان ما ينسبه
 العجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطعم النصارى في البلاد وراسلهم فهو الطامة الكبرى التي يصغر
 عندها كل ذنب عظيم . قلت ، وقد ذكر عنه أشياء غريبة ، من ذلك أنه كان يقول للرسول الوافدين
 عليه فسلم في مكان كذا ، وسلم في الموضع الفلاني كذا ، حتى ظن بعض الناس أو أكثرهم أنه
 كان يكشف أو أن جنياً يأتيه بذلك ، والله أعلم .

(خلافة الظاهر بن الناصر)

لما توفي الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد إلى ابنه أبي نصر محمد هذا ولقبه بالظاهر ،
 وخطب له على المنابر ، ثم عزله عن ذلك بأخيه علي ، فتوفي في حياة أبيه سنة ثنتي عشرة ، فاحتاج إلى
 إعادة هذا لولاية العهد فخطب له فأبى ، فحين توفي بويغ بالخلافة ، وعمره يومئذ ثلثان وخمسون سنة ،
 فلم يل الخلافة من بني المباس أسن منه ، وكان عاقلاً وقوراً ديناً عادلاً محسناً ، رد مظالم كثيرة وأسقط
 مكوساً كان قد أحسنها أبوه ، وصار في الناس سيرة حسنة ، حتى قيل : إنه لم يكن يمدح من عبد العزيز
 أعدل منه لو طالت مدته ، لكنه لم يجل إلى الحول ، بل كانت مدته تسعة أشهر أسقط انخراج الماضي
 عن الأراضي التي قد تمطلت ، ووضع عن أهل بلدة واحدة وهي يقوبا سبعمائة ألف دينار كان أبوه
 قد زادها عليهم في انخراج ، وكانت صنجة المحزن تزيد على صنجة البلدة نصف دينار في كل مائة إذا
 قبضوا وإذا أقبضوا دفعوا بصنجة البلدة ، فكتب إلى الدروان (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على
 الناس يستوفون وإذا كالوا أو رزقوا يحسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم
 الناس لرب العالمين) فكتب إليه بعض الكتاب يقول : يا أمير المؤمنين إن تفاوت هذا عن العام
 الماضي خمسة وثلاثون ألفاً ، فأرسل ينكر عليه ويقول : هذا يترك وإن كان تفاوت ثلثمائة ألف
 وخمسين ألفاً ، رحمه الله . وأمر القاضي أن كل من ثبت له حق بطريق شرعي يوصل إليه بلا مراجعة ،
 وأقام في النظر على الأموال الجردة رجلاً صالحاً واستخلص على القضاء الشيخ العلامة عماد الدين أبا
 صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي في يوم الأربعاء بعام ثامن ذي الحجة فكان من
 خيار المسلمين ومن التفتاة العادلين ، رحمه الله أجمعين . ولما عرض عليه القضاء لم يقبله إلا بشرط
 أن يرث ذوى الأرحام ، قال : أعط كل ذي حق حقه وائق الله ولا تتق سواه ، وكان من عادة
 أبيه أن يرفع إليه حراس الدروب في كل صباح بما كان عندهم في الحال من الاجتاعات الصالحة
 والطالحة ، فلما ولي الظاهر أمر بقبيل ذلك كله وقال : أي قائدة في كشف أحوال الناس وهتك
 أستارهم ؟ قيل له : إن ترك ذلك يفسد الرعية ، قال نعم فدعوا له لم أن يصاحبهم ، وأطلق من كان

في السجن معتقلا على الأموال الديوانية ، ورد عليهم ما كان استخرج منهم قبل ذلك من المظالم وأرسل إلى القاضي بمشرة آلاف دينار يوفى بها ديون من في سجنه من المدنيين الذين لا يجيدون ولاء ، وفرق في الملاء بقية المائة ألف ، وقد لاهم بعض الناس في هذه التصرفات فقال : إنما فتحت الدكان بمد المصر ، فذروني أهل صالحا أفضل الخيرة ، فككم مقدار ما بقيت أعيش ١٢ ولم تزل هذه سيرته حتى توفي في العام الآتي كما سيأتي . ورخصت الأسعار في أيامه وقد كانت قبل ذلك في غاية الغلاء حتى أنه فيما حكى ابن الأثير أكلت السكلاب والسنانير بيلاذ الجزيرة والموصل ، فزال ذلك والحمد لله . وكان هذا الخليفة الظاهر حسن الشكل مليح الوجه أبيض مشربا حلو الشبائل شديد القوى .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أبو الحسن على الملقب بالملك الأفضل ﴾

نور الدين ابن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب ، كان ولي عهد أبيه ، وقد ملك دمشق بعده مدة سنتين ثم أخذها منه عمه المادل ، ثم كاد أن يملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز فأخذها منه عمه المادل أبو بكر ، ثم اقتصر على ملك صرخد فأخذها منه أيضا عمه المادل ، ثم آل به الحال أن ملك حمصا وبها توفي في هذه السنة ، وكان فاضلا شاعرا جيدا الكتابة ، ونقل إلى مدينة حلب فدفن بها بظاهرها . وقد ذكر ابن خلكان أنه كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يشكو إليه عمه أبا بكر وأخاه عثمان وكان الناصر شيعيا مثله :

مولاي إن أبا بكر وصاحبه • عثمان قد غصبا بالسيف حق على
وهو اتقى كان قبولاه والله • عليهما فاستقام الأمر حين ولي
غالفاه وحلا عقد بيته • والأمر بينهما والنص فيه جل
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي • من الأواخر مالاتي من الأول

﴿ الأمير سيف الدين علي ﴾

ابن الأمير علم الدين بن سليمان بن جندر ، كان من أكابر الأمراء بحلب ، وله الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين إحداها على الشافعية والأخرى على الحنفية ، وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات والتزوات رحمه الله .

﴿ الشيخ على الكردي ﴾

المولود المقيم بظاهر باب الجابية ، قال أبو شامة : وقد اختلفوا فيه فبعض القضاة يزعم أنه كان صاحب كرامات ، وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا ما رأه أحد يصلي ولا يصوم ولا لبس مداسا ، بل كان يدوس النجاسات ويدخل المسجد على حاله ، وقال آخرون كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه حكى السبط عن امرأة قالت جاء خبر موت أمي باللائقية أنها ماتت وقال لي بعضهم إنها لم تمت ،

قالت فررت به وهو قاعد عند المقابر فوقفت عنده فرفع رأسه وقال لي مانت مانت إيش تعملين ؟ فكان كما قال . وحكي لي عبد الله صاحبي قال صبحت يوماً وما كان معي شيء فاجترت به فدفعت لي نصف درهم وقال : يكفي هذا لخيرز والفت بدبس ، وقال لي يوماً على الخطيب جمال الدين المدولي فقال له يا شيخ على أكلت اليوم كم كيرات يا بسة وشربت عليها الماء فكفنتني ، فقال له الشيخ على الكردي وما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟ قال لا ، قال يا مسلمين من يفتح بكسرة يابسة يحبس نفسه في هذه المقصورة ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج

(الفخر ابن تيمية)

محمد بن أبي القاسم بن محمد الشيخ نفي الدين أبو عبد الله بن تيمية الحراني ، عالماً وخطيباً وواعظاً ، اشتهل على منبه الامام أحمد وبرع فيه وبرز وحصل وجمع تفسيراً حافلاً بمجلات كثيرة وله الخطب المشهورة المنسوبة إليه ، وم عم الشيخ محمد الدين صاحب المنتقى في الأحكام ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : سمعته يوم جمعة بعد الصلاة وهو يخطب الناس ينشد :

أحياناً قد ندرت مقلتي * ما تلتقي بالنوم أو نلتقي

رقصاً بقلب مفرغ واعطفوا * على سقام الجسد المحرق

كم تحطون بلبالي القنا * قد ذهب العمر ولم نلتقي

وقد ذكرنا أنه قسّم بغداد حاجباً بعد وفاة شيخه أبي الفرج ابن الجوزي ووعظ بها في مكان وعظه .

(الوزير بن شكر)

صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الخالق بن شكر ، ولد باليار المصرية بمدينة بين مصر واسكندرية سنة أربعين وخمسة ، ودفن بقرنته عند مدرسته بمصر ، وقد وزر الملك العادل وعمل أشياء في أيامه منها تبليط جامع دمشق وأحاط سور المصلى عليه ، وعمل النوازة ومسجدها وعماره جامع المزة ، وقد نكب وعزل سنة خمس عشرة وخمسة و بقي ممزولاً إلى هذه السنة فكانت فيها وفاته ، وقد كان مشكور السيرة ومنهم من يقول كان ظالماً والله أعلم

(أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر)

ابن إبراهيم بن علي المعروف بابن البندى الواعظ البندادي ، أخذ الفن عن شيخه أبي الفرج ابن الجوزي وسمع الحديث الكثير ، ومن شعره قوله في الزهد :

ما هذه الدنيا بدار مسرة * فتخوف مكرآلها وخداها

بيننا الفتي فيها يسر بنفسه * وبماله يستمتع استمتاعاً

حتى سقته من اللية شريرة * وحته فيه بعد ذاك رضاعاً

فندما بما كسبت يداه رهينة • لا يستطيع لما عرته دفعا
لو كان ينطق قال من تحت الثرى • فليحسن العمل الفنى ما ساطعا

(أبو الحسن على بن الحسن)

الرازى ثم البغدادى الواعظ ، عنده فضائل وله شعر حسن ، فنه قوله فى الزهد :
استمدى يافى لى الموت واسى • لى نىة طالحا زم المستعد
قد تبينت أنه لى لى • خلود ولا من الموت بد
إنما أنت مستمرة ماسو • ف تردى والعوارى ترد
أنت تسهين والحوادث لا • تسهوتلهم والناسا نىجد
لارى البقاء فى معدن المور • ت ولا أرضا بها لك ورد
أى ملك فى الأرض أم أى حظ • لارى مظه من الأرض لىجد
كيف يهوى امرؤ لىة أيا • م على الانفاس فىها تمد
﴿ ألىا السنجارى ﴾

أبو السادات : سعد بن محمد بن موسى العقبى الشافى الشاعر ، قال ابن خلكان : كان قفىا
وتكلم فى اختلاف إلا أنه غلب على الشعر ، فأجاد فى واشهر بنظمه وختم به المورك ، وأخفهم
الجوارز وطاف البلاد ، وله ديوان بالتربة الأشرفى بمشق ، ومن رقيق شعره ورائقه قوله :

وهواك ما خطر السو بىاله • ولأنت أعلم فى الترام بىاله
ومنى وشى واش إلك بأنه • سال هواك فذاك من عداله
أولىس لكلف المعنى شلعد • من حاله يفتىك عن نسا له
جندت ثوب مقامه وهتك سة • رغرامه وصمرت جبل وصاله

وهى قصيدة طوية امتدح فىها القاضى كل الدين الشهر زورى وله :

فله ألى على رامة • وطىب أوقافى على حاجر
تكاد لىسرة فى مرها • أولها يعتر بالآخر
وكانت وفاته فى هذه السنة عن تسعين سنة رحمه الله عنه وفضله .

﴿ عثمان بن عىسى ﴾

ابن درباس بن قسرين جهم بن عبدوس المدينى المراتى ضياء الدين أخو القاضى صدر الدين
عبد الملك حاكم الديار المصرية فى الدولة الصلاحية ، وضياء الدين هذا هو شارح المذهب إلى كتاب
الشهادات فى نحو من عشرين مجلدا ، وشرح القمع فى أصول الفقه والتنبيه للشيرازى ، وكان بارعا
علما بالمذهب رحمه الله .

(أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الرسوى)

البواريجي ثم البندادى ، شيخ فاضل له رواية ، وما أنشده :

ضيق المنوفى الضراعة أنا • لو قننا بقسنا لكفنا

مالنا فبعد العباد إذا كن • إلى الله صرنا وغنا

﴿ أبو الفضل عبد الرحيم بن نصر الله ﴾

ابن علي بن منصور بن الكيال الواسطى من بيت الفقه والقضاء ، وكان أحد المعدلين

ببنداد ومن شعره :

فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها • تسري ثم تبدى المساوي

ترك رواء فى القلب وزخرفا • وتسفر عن شواه طعيا

ومن ذلك قوله :

إن كنت بعد الطاعتين تسامحت • بالفحص أجفاني فما أجفاني

أو كنت من بعد الأحبة ظفرا • حسنا بأنساني فما أنساني

الهر مغفور له زلاته • إن عاد أوطاني على أوطاني

﴿ أبو علي الحسن بن علي ﴾

ابن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمار بن فخر بن وقاح الياصرى نسبة إلى عمار بن

يسر ، شيخ ببندادى فاضل ، له مصنفات فى التفسير والفرائض ، وله خطب ورسائل وأشعار حسنة

وكان مقبول الشهادة عند الحكماء .

(أبو بكر محمد بن يوسف بن الطباخ)

الواسطى البندادى الصوفى ، بشر بعض الولايات ببنداد ، وما أنشده :

ما وهب الله لأمري هبة • أحسن من عقله ومن أدبه

نما جمال الفتى فان قدما • فقدته للحياة أجل به

(ابن رونس شارح التنبيه)

أبو الفضل أحمد بن الشيخ كمال الدين أبى الفتح موسى بن رونس بن محمد بن منعة بن مالك بن

محمد بن محمد بن سعيد بن عاصم بن عابد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الأربلى الأصل ثم

الموصلى من بيت السلم والرياسة ، اشتغل على أبيه فى فتوته وعلموه فبرع وتقدم . وقد درس وشرح

التنبيه واختصر إحياء علوم الدين فتنزلى مرتين صغيرا وكبيرا وكان يدرس منه . قال ابن خلكان :

وقد ولى بأربل مدرسة الملك المظفر بعد موت والده فى سنة عشر ومائة ، وكنت أحضر عنده

وأنا صغير ولم أر أحدا يدرس مثله ، ثم صار إلى بلده سنة سبع عشرة ، ومات في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة عن سبع وأربعين سنة رحمه الله تعالى .

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستائة)

فيها اتقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج فكسروهم كسرة عظيمة ، وصعد إلى أكبر معاقبتهم تغليس ففتحها عنوة وقتل من فيها من الكفرة وسبي ذراريهم ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها ، واستقر ملكه عليها ، وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وهي بأيديهم إلى الآن حتى استغفها منهم جلال الدين هذا ، فكان فتحاً عظيماً لله المنة . وفيها سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف فلم يتمكن من أخذها وقاها أهلها قتالاً عظيماً فرجع عنهم بسبب اشتغاله بصحيان نائبه بمدينة كرمان وخلافه له ، فسار إليهم وتركهم . وفيها أصطح الملك الأشرف مع أخيه المعظم وسار إليه إلى دمشق ، وكان المعظم ممالئاً عليه مع جلال الدين وصاحب إربل وصاحب ماردين وصاحب الروم ، وكان مع الأشرف أخوه الكامل وصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ، ثم استمال أخاه المعظم إلى ناحيته بقوى جانبه . وفيها كان قتال كبير بين إبراهيم إسطاكية وبين الأرمن ، وجرت خطوب كثيرة بينهم . وفيها أوقع الملك جلال الدين بالتركيان الآوانية بأساً شديداً ، وكاثراً يقطعون الطرق على المسلمين .

وفيها قدم محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن الجوزي من بغداد في الرسلية إلى الملك المعظم بمشقة ، ومعه الخلع والتشريف لأولاد المادل من الخليفة الظاهر بأمر الله ، ومضمون الرسالة نبيه عن موالاة جلال الدين بن خوارزم شاه ، فانه خارجي من عزمه قتال الخليفة وأخذ بغداد منهم ، فأجاب به إلى ذلك وركب القناص محيي الدين بن الجوزي إلى الملك الكامل بالدير المصرية ، وكان ذلك أول قدومه إلى الشام ومصر ، وحصل له جوائز كثيرة من الملوكة ، منها كان بناء مدرسته الجوزية بالنشايين بدمشق . وفيها ولي تدريس الشبلية بالسفح شمس الدين محمد بن قزغلي سبط ابن الجوزي بمرسوم الملك المعظم ، وحضر عنده أول يوم القضاء والأعيان .

(وفاة الخليفة الظاهر وخلافة ابنه المستنصر)

كانت وفاة الخليفة رحمه الله يوم الجمعة نحيى الثالث عشر من رجب من هذه السنة ، أعقبت سنة ثلاث وعشرين وستائة ، ولم يعلم الناس بموته إلا بعد الصلاة ، فذاع له الخطباء يومئذ على المنابر على طاعتهم فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وعمره اثنتان وخمسون سنة ، وكان من أجود بني العباس وأحسنهم سيرة وسيرة ، وأكثرهم عطاء وأحسنهم منظرًا ورواء ، ولو طالبت مدته لصلحت الأمة صلاحاً كثيراً على يديه ، ولكن أحب الله تربيته وإزلافه له ، فاختار له ما عنده وأجزل له إحساناً

ورفعه ، وقد ذكرنا ما اعتمده في أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية ورد المظالم وإسقاط المكوس ، وتخفيف الخراج عن الناس ، وأداء الديون عن عجز عن أدائها ، والاحسان إلى العلماء والفقراء وتولية ذوى الفيانة والأمانة ، وقد كان كتب كتاباً لولادة الرعية فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، اعلموا أنه ليس إيماننا إيمالا ، ولا إغصاؤنا احتمالا ، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملا ، وقد غفرنا لكم ما سلف من إخراج البلاد وتشريد الرعايا وتضييع الشريعة ، وإظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي ، حيلة ومكيده ، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيقاف واستمرا كالأغراض انتهزتم فرصها مختلسة من رائن ليث يأسل ، وأنياب أسد مهيب ، تنفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناؤه وفتاته قسيليون رأيه إلى هواكم ، وتمزجون باطلكم بحقه ، فيطيعكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا ، وبقرمكم غنى ، وبباطلكم حقا ، وورقكم سلطانا يقبل الثمرة ، ولا يؤاخذ إلا من استمر ، ولا ينتقم إلا من استمر ، يأمركم بالعدل وهو بريدكم منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم ، يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسلك خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه ، وإلا هلكتم والسلام . » ووجد في داره رطاع غنموه لم يقتلها سترأ الناس ودرما عن أغراضهم رحمة الله ، وقد خلف من الأولاد عشرة ذكورا وإناثا ، منهم ابنه الأكبر أدي بويج له بالخلافة من بعده أبو جعفر المنصور ، ولقب بالمستنصر بالله ، وفصله الشيخ محمد الخياط الواعظ ، ودفن في دار الخلافة ، ثم قل إلى القرب من الرضاة .

﴿ خلافة المستنصر بالله العباسي ﴾

أمير المؤمنين أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد ، بويج بالخلافة يوم مات أبوه يوم جمعة ثالث عشر رجب من هذه السنة ، سنة ثلاث وعشرين وستائة ، استدعوا به من التاج فبايعه الخاصة والعامة من أهل العقد والحل ، وكان يوما مشهودا ، وكان عمره يومئذ خمسا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وأحد عشر يوما ، وكان من أحسن الناس شكلا وأبهام منظرا ، وهو كما قال الشاعر :

كَأَن أَتَرَيَا عُلِقْتَ فِي جَبِينِهِ * وَفِي خَدَيْهِ الشَّمْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْقَمَرُ

وفي نسبه الشريف خمسة عشر خليفة ، منهم خمسة من آباءه ولوا نسقا ، وتلقى هو الخلافة عنهم وراثة كبرا عن كبر ، وهذا شيء لم يتفق لأحد من الخلفاء قبله ، وسار في الناس كبيرة أبيه الظاهر في الجود وحسن السيرة والاحسان إلى الرعية ، وبنى المدرسة الكبيرة المستنصرية التي لم تبن مدرسة في الدنيا مثلها ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله ، واستمر أرباب الولايات الذين كانوا في عهد أبيه على ما كانوا عليه ، ولما كان يوم الجمعة المقبلة خطب للإمام المستنصر بالله على المنابر ونثر الذهب والفضة عند ذكر اسمه ، وكان يوما مشهودا ، وأنشد الشعراء والمدائح والمراثي ، وأطلقتهم

الخلع والجوارز ، وقدم رسول من صاحب الموصل يوم غرة شعبان من الوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن الأثير ، فيها التهنئة والتعزية بعبارة فصيحة بليغة .

ثم إن المستنصر بالله كان يراغب على حضور الجمعة راكبا ظاهراً قناساً ، وإتمامه خاضعاً وراكب داراً ، وخرج مرة وهو راكب فسمع ضجة عظيمة فقال : ما هذا ؟ قيل له التأذين ، فترجل عن مركوبه وسمى ماشياً ، ثم صار يمشي المشي إلى الجمعة رغبة في التواضع والتشوع ، ويجلس قريباً من الامام ويستمع الخطبة ، ثم أصلح له المطبق فكان يمشي فيه إلى الجمعة ، وركب في الثاني والعشرين من شعبان ركوباً ظاهراً قناساً علة ، ولما كانت أول ليلة من رمضان تصدق بصعدات كثيرة من المذيق والغنم والنفقات على العلماء والقراء والمحاويج ، إغاثة لهم على الصيام ، وتقوية لهم على القيام . وفي يوم السابع والعشرين من رمضان نقل تابوت الظاهر من دار الخلافة إلى التبريق الرصافة ، وكان يوماً مشهوداً ، وبث الخليفة المستنصر يوم العيد صدقات كثيرة وإنعاماً جزيلاً إلى الفقهاء والعرفية وأئمة المساجد ، على يدي محي الدين ابن الجوزي . وذكر ابن الأثير أنه كانت تزلزل عظمية في هذه السنة ، هدمت شيئاً كثيراً من القرى والقلاع ببلادهم ، وذكر أنه ذبح شاة ببلادهم فوجد لحماً مرا حتى رأسها وأكارعها [ومعالقها وجميع أجزائها] .

ومن توفي فيها من الأعيان بعد الخليفة الظاهر كما تقدم :

× (الجمال المصري) ×

يونس بن بدران بن فيروز جمال الدين المصري ، فاضل القضاء في هذا الحين ، اشتغل وحصل وبرع واختصر كتاب الأم للإمام الشافعي ، وله كتاب مطول في الفرائض ، وولى تدريس الأمانة بعد التقي صالح الضرب ، الذي قتل نفسه ، وولاه إياه الوزير صفى الدين بن شكر ، وكان متعتياً بأمره ثم ولى وكالة بيت المال بدمشق ، وترسل إلى الملوك والخلفاء عن صاحب دمشق ، ثم وولاه المظلم قضاء القضاة بدمشق بعد عزله الزكي ابن الزكي ، وولاه تدريس المالكية الكبيرة ، حين كل ينأوها فكان أول من درس بها وحضره الأعيان كما ذكرنا . وكان يقول أولاً درساً في التفسير حتى أكل التفسير إلى آخره ، ويقول درس الفقه بعد التفسير ، وكان يعتمد في أمر إثبات السجلات اعتماداً حسناً ، وهو أنه كان يجلس في كل يوم جمعة بكرة ويوم الثلاثاء ويستحضر عنده في إيوان المالكية جميع شهود البلد ، ومن كان له كتاب يثبت به حضر واستدعى شهوده فأدوا على الحاكم وثبت ذلك مريماً ، وكان يجلس كل يوم جمعة بعد العصر إلى الشباك الكمال بمشهد عتبان فيحكم حتى يصل المغرب ، وربما مكث حتى يصل العشاء أيضاً ، وكان كثير المذاكرة لطلب كثير الاشتغال حسن الطريقة ، لم ينعم عليه أنه أخذ شيئاً لأحد . قال أبو شامة : وإنما كان ينعم عليه أنه كان يشير على

بعض الورقة بمصلحة بيت المال ، وأنه استناب ولده التاج محمدا ولم يكن مرضى الطريقة ، وأما هو فكان عفيفا في نفسه زهافا مهيبا . قال أبو شامة : وكان يدعى أنه قرشي شيبي فتكلم الناس فيه بسبب ذلك ، وتولى القضاء بعده شمس الدين أحمد بن الخليل الجويني . قلت : وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بداره التي في رأس درب الريحان من ناحية الجامع ، ولترتبه شباك شرق المدرسة الصدرية اليوم ، وقد قال فيه ابن عنين وكان هجاء .

ما أقصر المصرى في ضله • إذ جعل التربة في داره

أراح للإحياء من رحمه • وأبعد الأموات من تارده

﴿ المعتمد والى دمشق ﴾

المبارز إبراهيم المروفي للمعتمد والى دمشق ، من خيار الولاة وأعظم وأحسنهم سيرة وأجودهم سريرة ، أصله من الموصل ، وقدم الشام نقيم فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب ، ثم استنابه البدر مودود أخو فروخ شاه ، وكان شحنة دمشق ، فميت سيرته في ذلك ، ثم صار هو شحنة دمشق أربعين سنة ، فمتر في أيامه عجائب وغرائب ، وكان كثير السر على ذوي الهيئات ، ولا سيما من كان من أبناء الناس وأهل البيوتات ، واتفق في أيامه أن رجلا حائكا كان له ولد صغير في آذانه خلق فدا عليه رجل من جيرانهم قتلته غيلة وأخذ ما عليه من الخلق ودفعه في بعض القفار ، فاشتكوا عليه فلم يقر ، فبكت والدته من ذلك وسألت زوجها أن يطلقها ، فطلقها فذهبت إلى ذلك الرجل وسأته أن ينزوها وأظهرت له أنها أحبتة قزوجها ، ومكنت عنده حيناً ، ثم سأته في بعض الأوقات عن ولدها احدى اشتكوا عليه بسببه فقال : نعم أنا قتلته . قالت أشهى أن ترى قبره حتى أنظر إليه ، فذهب بها إلى قبر خشنكاشة ففتحه فنظرت إلى ولدها فاستميرت وقد أخذت معها سكيناً أعنتها لهذا اليوم ، فضرته حتى قتلته ودفعته مع ولدها في ذلك القبر ، فجاء أهل المقبرة فحملوها إلى الوالي المعتمد هذا فسألها فذكرت له خبرها ، فاستحسن ذلك منها وأطلقها وأحسن إليها ، وحكى عنه السبط قال بينا أنا يوما خارج من باب الفرج وإذا برجل يحمل طبلوا هو سكران فأمرته بضرب الحد ، وأمرتهم فكسروا الطبل ، وإذا ذكره كبيرة جدا فشقوقها [فإذا فيها خر] وكان العادل قد منع أن يعصر خر ويحمل إلى دمشق شيء منه بالكلية ، فكان الناس يتحيلون بأنواع الحيل ولطائف المكر ، قال السبط فسأته من أين علمت أن في الطبل شيئا . قال رأيته يمشى ترجف سيقانه ففكرت أنه يحمل شيئا ثقيل في الطبل . وله من هذا الجنس غرائب ، وقد عزله المظفر وكان في نفسه منه وسجنه في القلعة نحو من خمس سنين ، وتلذى عليه في البلد فلم يجيء أحد ذكر أنه أخذ منه حبة خردل ، ولما مات رحمه الله دفن بترتبه المجاورة لمدرسة أبي عمر من شامها قبل السوق ، وله عند تربته مسجد

يعرف به رحمه الله . (واقف الشبلية التي بطريق الصالحية)

شبل الهولة كفلور الحساح نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين ، ولد ست الشام ، وهو الذي كان مستعناً على عمارة الشامية البرانية لمولاه ست الشام ، وهو الذي بنى الشبلية للحنفية والخاصة على الصوفية إلى جانبها ، وكانت منزله ، ووقف القناة والمصنع والسباط ، وفتح للناس طريقاً من عند المقبرة غربى الشامية البرانية إلى طريق عين الكرش ، ولم يكن الناس لهم طريق إلى الجبل من هناك ، إنما كانوا يسلكون من عند مسجد الصفي بالمقيبة ، وكانت وفاته في رجب ودفن إلى جانب مدرسته ، وقد سمع الحديث على الكندي وغيره رحمه الله تعالى

(واقف الرواحية بدمشق وحلب)

أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة ، كان أحد التجار ، وفي الثروة والمقدار ومن المدلين بدمشق ، وكان في غاية الطول والمرض ولا حية له ، وقد ابنتى المدرسة الرواحية داخل باب الفراديس ووقفها على الشافعية ، وفرض نظرها وتدريسها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهر زورى ، وله بحلب مدرسة أخرى مثلها ، وقد اقطع في آخر عمره في المدرسة التي بدمشق وكان يسكن البيت الذي في إيوانها من الشرق ، ورغب فيها بعد أن يدفن فيه إذا مات فلم يمكن من ذلك ، بل دفن بمقابر الصوفية ، وبعد وفاته شهد يحيى الدين ابن عربى الطائى الصوفى ، وتقى الدين خزعل النحوى المصرى ثم المقدسى إمام مشهد ، على شهداء على ابن رواحة بأنه عزل الشيخ تقي الدين عن هذه المدرسة ، فجرت خطوط طويلة ولم ينتظم ما راماه من الأمر ، ومات خزعل في هذه السنة أيضاً قبطل ما سلكوه . (أبو محمد محمود بن مودود بن محمود)

البلدجى الحنفى الموصل ، وله بها مدرسة تعرف به ، وكان من أبناء الترك ، وصار من مشايخ العلماء وله دين متين وشر حسن جيد ، فنه قوله :

من ادعى أن له حله • تخرجه عن منبج الشرع

فلا تكون له صاحباً • فاته خره بلا نفع

كانت وفاته بالموصل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله نحو من

ثمانين سنة . (ياقوت ويقال له يعقوب بن عبد الله)

نجيب الدين متولى الشيخ تاج الدين الكندى ، وقد وقف إليه الكتب التي بالخرانة بالزاوية الشرقية الشامية من جامع دمشق ، وكانت سبعة وأحدى وستين مجلداً ، ثم على وفاته من بعده ثم على العلماء فتمتحت هذه الكتب وبيع أكثرها ، وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشر جيد ، وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب ، ودفن بمقبرة الخيزران بالقرب من مشهد أبى خنيفة :

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستائة)

فيها كانت عامة أهل تليس الكرج فجاءوا إليهم فدخلوها قتلوا العامة والخاصة ، ونهبوا وسبوا وخربوا وأحرقوا ، وخرجوا على حية ، وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريعا ليديركم فلم يدركم . وفيها قتل الاسماعيلية أميرا كبيرا من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه ، فسار إلى بلادهم قتل منهم خلقا كثيرا ، وخرب مدينتهم وسي ذرايعهم ونهب أموالهم ، وقد كانوا يقبهم الله من أكبر العون على المسلمين ، لما قدم التتار إلى الناس ، وكانوا أضرب على الناس منهم .

وفيها تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة من التتار فجزمهم وأوسمهم قتلا وأسرا ، وساق وراءهم ألباناً قتلهم حتى وصل إلى الري فبلغه أن طائفة قد جاؤا لقصد فأنهم يقطعهم ، وكان من أمره وأمرهم ما سيأتي في سنة خمس وعشرين . وفيها دخلت عساكر الملك الأشرف بن المادل إلى أذربيجان فلكوا منها مدنا كثيرة وغنموا أموال الجزية ، وخرجوا معهم بزوجة جلال الدين بنت طغرل ، وكانت تبغضه وقماديه ، فأزولها مدينة خلط وسيأتي ما كان من خبرهم في السنة الآتية . وفيها قدم رسول الأنبياء ملك الفرنج في البحر إلى المعظم يطلب منه ما كان فتحه عنه السلطان الملك الناصر صلاح الدين من بلاد السواحل ، فأغظ لهم المعظم في الجواب وقال له : قل لصاحبك ما عندي إلا السيف والله أعلم . وفيها جهز الأشرف أخاه شهاب الدين غازي إلى الحج في محمل عظيم يحمل قفله ستائة جبل ، ومعه خمسون هجيناً ، على كل هجين مملوك ، فسار من ناحية الرماح وجاءته هدايا من الخليفة إلى أثناء الطريق ، وعاد على طريقه التي حج منها . وفيها ولي قضاء القضاة بينداد نجم الدين أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل الواسطي ، وخلع عليه كما هي عادة الحكام ، وكان يوماً مشهوداً . وفيها كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة وقيل الأحمر حتى حكي ابن الأثير أنه لم يذبح بمدينة الموصل في بعض الأيام سوى خروف واحد في زمن الربيع ، قال : وسقط فيها عشر أذار ثلج كثير بالجزيرة والعراق مرتين فأهلك الأزهار وغيرها ، قال : وهذا شيء لم يهده مثله ، والعجب كل العجب من العراق مع كثرة حره كيف وقع فيه مثل هذا .

(جنكيزخان)

ومن توفي فيها من الأعيان

السلطان الأعظم عند التتار والده ملوكهم اليوم ، ينتسبون إليه ومن عظم لقائهم إنما يريد هذا الملك وهو أقوى وضع لهم السياسة ^(١) التي يتحاكون إليها ، ويحكمون بها ، وأكثرها مخالفاً لشرائع الله تعالى وكتبته ، وهو شيء أقترحه من عند نفسه ، وتبعوه في ذلك ، وكانت تزعم أمه أنها حملته من شمع الشمس ، فلهذا لا يعرف له أب ، والظاهر أنه مجبول النسب ، وقد رأيت مجلهما جمه الوزير

(١) السياسة : مركبة من « سي » بمعنى ثلاثة . و « يا » بمعنى الترتيب ، ثم حرفها العرب فقالوا : سياسة .

ببنداد علاء الدين الجويني في ترجمته قد ذكر فيه سيرته ، وما كان يشتمل عليه من العقل السليم والكرم والشجاعة والتدبير الجيد للامك والاعلى ، والحروب ، قد ذكر أنه كان في ابتداء أمره خصيصاً عند الملك أربك خان ، وكان إذ ذاك شاباً حسناً وكان اسمه أولاً تخرجى ، ثم لما عظم معى نفسه جنكيزخان ، وكان هذا الملك قد قر به وأذناه ، فحسده عظماء الملك وشووا به إليه حتى أخرجوه عليه ، ولم يقتله ولم يجد له طريقاً في ذنب يتسلط عليه به ، فهو في ذلك إذ تغضب الملك على ملوكين صغيرين فهو يأمته ولباً إلى جنكيزخان فأكرمهما وأحسن إليهما فأخبراه بما يضره الملك أربك خان من قتله ، فأخذ حذره وتجنب بدولة واتبعه طوائف من التتار وصار كثير من أصحاب أربك خان ينفرون إليه ويهدون عليه فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكتهم وكثرت جنوده ، ثم حارب بعد ذلك أربك خان فظفر به وقتله واستحوذ على مملكته وملكه ، وانضاف إليه عدده وعدده ، وعظم أمره وبعد صيته وخضعت له قبائل الترك يبلاد طماج كلها حتى صار يركب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل ، وأكثر القبائل قبيلته التي هومنها يقال لهم قيان ، ثم أقرب القبائل إليه بدمم قبيلتان كبيرتا العدد وهما أزان وقتقوران وكان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم . قال الجويني : وكان يضرب الحلقة يكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر ثم تتضابق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شيء كثير لا يحصى كثرة ، ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك علاء الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان والعراق وأذربيجان وغير ذلك والأقاليم والممالك ، فقهره جنكيزخان وكسره وغلبه وسلبه ، واستحوذ على سائر بلاده بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث ، وكان ابتداء ملك جنكيزخان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستائة ، ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا ، فاستحوذ حيثنذ على الممالك بلا منازع ولا مانع ، وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستائة فجملوه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هناك وأما كتابه الياسا فانه يكتب في مجلدين بخط غليظ ، ويحمل على بعير عتدم ، وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلاً ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مراراً حتى يمي ويقع متشياً عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقى على لسانه حيثنذ ، فان كان هذا هكنا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها . وذكر الجويني أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد لعبادة فسمع قائلاً يقول له إننا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض قال الجويني فشأخ المغول يصعدون هذا يأخذونه مسلماً .

ثم ذكر الجويني تنبأ من الياسا من ذلك : أنه من زنا قتل ، محصنا كان أو غير محصن ، وكذلك من لاط قتل ، ومن تمسك الكذب قتل ، ومن سحر قتل ، ومن نجس قتل ، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعلن أحدهما قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل ، ومن أطمع أسيراً

أو سقاء أو كساء بنير إذن أهله قتل ، ومن وجد هارباً ولم يردده قتل ، ومن أطعم أسيراً أوردى إلى أحد شيئاً من الماء قتل ، بل ينالوه من يده إلى يده ، ومن أطعم أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً ولو كان المظوم أميراً لا أسيراً ، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل ، ومن ذبح حيواناً ذبح مثله بل يشق جوفه ويقتول قلبه يبيده يستخرجه من جوفه أولاً . وفي ذلك كله مخالفة للشرائع الله المتزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء ونهاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن نحاكم إلى اليأس وقسمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين . قال الله تعالى (أنحكم الجاهلية يبون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فبما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسلياً) صدق الله العظيم

ومن آدابهم : الطاعة للسلطان غاية الاستطاعة ، وأن يرضوا عليه أبكارهم الحسان ليختارنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء منهم ، ومن شأنهم أن يخاطبوا الملك باسمه ، ومن مرقوم يأكلون فيه أن يأكل معهم من غير استئذان ولا يتخطى موقد النار ولا طبق الطعام ، ولا يقف على أسكفة الخركاه ولا يفسلون ثيابهم حتى يبدو وسخها ، ولا يكافون الملاء من كل ما ذكر شيئاً من الجنايات ، ولا يترضون لمال ميت ، وقد ذكر علاء الدين الجويني طرقاً كثيراً من أخبار جنكيزخان ومكادهم كان يفعلها لسجيته وما أداه إليه عقله وإن كان مشركاً بالله كان يبيد معه غيره ، وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الله خلقهم ، ولكن كان البداية من خوارزم شاه ، فانه لما أرسل جنكيزخان تجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فأتوها إلى إيران قتلهم فأتبها من جهة خوارزم شاه ، وهو والده زوجة كشلي خان ، وأخذ جميع ما كان معهم فأرسل جنكيزخان إلى خوارزم شاه يستلمه هل وقع هذا الأمر عن رضى منه أو أنه لا يعلم به ، فأنكره وقال له فيما أرسل إليه : من المعبود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم ، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة ، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك قتلهم فأتبك ، فان كان أمراً أمرت به طلبنا بدمائهم ، وإلا فأنت تنكره وتقتص من أتبك . فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير ، وقد كان خرق وكبرت سنه ، وقد ورد الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » فلما بلغ ذلك جنكيزخان تجهز لقائه وأخذ بلاده ، فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أشبع ، فما ذكره الجويني أنه قدمه بعض الفلاحين بالصيد ثلاث بطيخات فلم يثق أن عند جنكيزخان أحد من الخزنارية ، فقال لزوجته خاتون أعطيه هذين القرطين الذين في أذنك ، وكان فيهما جوهرتان قيسستان جداً ، فشحت المرأة بهما

وقالت : أنظره إلى غد ، فقال إنه يبيت هذه الليلة مقلقل الخاطر ، وربما لا يжил له شيء بعد هذا ، وإن هذين لا يمكن أحدهما إذا اشتراها إلا جاء بهما إليك . فأنزعتهما فدفنتهما إلى الفلاح فطار عقله بهما وذهب بهما فباعهما لأحد التجار بألف دينار ، ولم يعرف قيمتهما ، فحملهما التاجر إلى الملك فردهما على زوجته ، ثم أنشد الجويني عند ذلك :

ومن قال إن البحر والقطر أشبهها * نداه قد أنثى على البحر والقطر

قالوا : واجتاز يوماً في سوق فرأى عند بقال عتايًا فأعجبه لونه ومالت غصه إليه فأمر الحاجب أن يشتري منه بيالس ، فاشترى الحاجب بربع بالس ، فلما وضعه بين يديه أعجبه وقال : هذا كله بيالس ؟ قال وبقي منه هذا - وأشار إلى ما بقي معه من المال - فغضب وقال : من يجد من يشتري منه مثل تمعوا له عشرة بالس . قالوا : وأهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب فاستحسنه جنكيزخان فوهن أمره عنده بعض خواصه وقال : خوند هذا زجاج لاقية له ، فقال : أليس قد حمله من بلاد بعيدة حتى وصل إلينا سالماً ؟ أعطوه مائتي بالس . قال : وقيل له إن في هذا المكان كنزاً عظيماً إن فتحته أخذت منه مالا جزيلاً ، قال الذي في أيدينا يكفيننا ، ودع هذا يفتحه الناس وياكلونه فهم أحق به منا ، ولم يترض له ^(١) قال واشتد عن رجل في بلاده يقول أنا أعرف موضع كنز ولا أقول إلا لقان ، وألح عليه الأمراء أن يلهمهم فلم يفعل ، فذكروا ذلك للقان فأحضره على خيل الأوثاق - يعني البريد - سريماً فلما حضر إلى بين يديه سأله عن الكنز فقال : إنما كنت أقول ذلك حيلة لأرى وجهك . فلما رأى تغير كلامه غضب وقال له : قد حصل لك ما قلت ، وردد إلى موضعه سالماً ولم يصبه شيئاً . قال : وأهدى له إنسان رمانة فكسرها وفرق حبها على الحاضرين وأمر له بعدد حبها بالس ثم أنشد :

فذلك تزدهم الوفود يبابه * مثل ازدهام الحب في الزمان

قال : وقدم عليه رجل كافر يقول رأيت في النوم جنكيزخان يقول قل لابني يقتل المسلمين ، قتال له هذا كذب ، وأمر بقتله ^(٢) . قال وأمر بقتل ثلاثة قد قصت إلياسا بقتلهم ، فإذا امرأة تبكي

(١) وجد بهامش التركية مانصه : « هذا منقول عن ابنه قان الذي قام مقامه ، ولعله هو الصحيح لأن قان هذا المنسوب إلى الكرم الجبلي العظيم والسخاء المفرط ، ويحكي عنه حكايات عظيمة في هذا الشأن . وأما أبوه جنكيزخان فإنه متوسط في الجود بل وفي سائر سماته وأخلاقه وأفعاله إلا في أمر سفك الدماء فبجه الله تعالى . » (٢) فيه تحليط والصحيح أن أعرايباً جاء إلى قان وقال له : رأيت في النوم أبوك جنكيزخان قال لي : قل لابني قان يقتل المسلمين ، وكان قان يميل إلى المسلمين ، مخالفاً لأهل بيته ، فسأل الرجل : هل تعرف اللغة المنولية ؟ قال : لا . قال الملك له : أنت كاذب لأن أبى ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المنولية ، فأمر بضرب عنقه وأراح المسلمين من كيده .

وتعلم : قال : ما هذه ؟ أحضرها ، قالت : هذا ابني يوهنا أخى ، وهنا زوجي ، قال اختاري واحداً منهم حتى أطلقك ، قالت : الزوج يجيئ مثله ، والابن كذلك ، والأخ لا عوض له ، فاستحسن ذلك منها وأطلق الثلاثة لها . قال : وكان يحب المصارعين وأهل الشطارة ، وقد اجتمع عنده منهم جماعة ، فذكر له إنسان يخرسان فأحضره فصرع جميع من عنده ، فأكرمه وأعطاه وأطلق له بقتان بنات الملوك حسنة . فكثت عنده مدة لا يتعرض لها ، فاتفق بجيبها إلى الادوا فجعل السلطان يمازجها ويقول : كيف رأيت المستعرب ؟ فذكرت له أنه لم يقر بها ، فتمجب من ذلك وأحضره فسأله عن ذلك فقال : ياخوند أنا إنما حظيت عندك بالشطارة ومتى قربتها قصت منزلي عندك ، قال لا بأس عليك وأحضر ابن عم له وكان مثله ، فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان : أفتا قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بمال جزيل .

قال : ولما أحضر أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الاقتراق ، وضرب لهم في ذلك الأمثال ، وأحضر بين يديه نشاباً وأخنسها أعطاه لواحد منهم فكسره ، ثم أحضر حزمة ودفنها إليهم مجموعة فلم يطبقوا كسرهما ، قال : هذا مثلكم إذا اجتمعتم وافترقتم ، وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلفتم ، قال : وكان له عدة أولاد ذكور وإناث منهم أربعة هم عظماء أولاده أكرم موسى وهريول وباتو وبركة وتركجار ، وكان كل منهم له وظيفة عنده . ثم تكلم الجويني على ملك ذريته إلى زمان هو لا كوخان ، وهو يقول في اسمه بأشده زاره هو لا كو ، وذكر ما وقع في زمانه من الأوابد والأموال المروقة المزعجة كما بسطناه في الحوادث والله أعلم .

(السلطان الملك المظفر)

عيسى بن السادل أبي بكر بن أيوب ، ملك دمشق والشام ، كانت وفاته يوم الجمعة سلخ ذي القعدة من هذه السنة ، وكان استقلاله بملك دمشق لما توفي أبوه سنة خمس عشرة ، وكان شجاعاً بأسلاً علماً فاضلاً ، اشتغل في الفقه على مذهب أبي حنيفة على الحصري مدرس النورية ^(١) ، وفي اللغة والنحو على التاج الكندي ، وكان محفوظه منفصل الزخشي ، وكان يميز من حفظه بثلاثين ديناراً وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة يشمل مصاحح الجوهري والجمهرة لابن دريد والتأنيدي للزهرى وغير ذلك ، وأمر أن ترتب له مسند الامام أحمد ، وكان يحب العلماء ويكرمهم ، ويحبهم في متابعة الخير ويقول أنا على عقيدة الطحاوي ، وأوصى عند وفاته أن لا يكفن إلا في البياض ، وأن يلحد له ويدفن في الصحراء ولا يبنى عليه ، وكان يقول : واقعة دمياط أذخرها عند الله تعالى وأرجو أن يرجعني بها . يعني أنه أبل بها بلاد حسنة . رحمه الله تعالى ، وقد جمع له بين الشجاعة والبراعة والعلم وحب أهله ، وكان يجيئ في كل جمعة إلى تربة والده فيجلس قليلاً ثم إذا ذكر المؤذنون يتطلق إلى تربة عمه صلاح الدين

(١) وهو مؤلف كتاب « السهم المصيب في الرد على الخطيب » ، في ذكره في تاريخ بغداد في ترجمة الامام أبي حنيفة رحمه الله .

فيصلي فيها الجمعة ، وكان قليل المتماثل ، يركب في بعض الأحيان وحده ثم يلبحه بعض غلمانه سوطا .
وقال فيه بعض أصحابه وهو محب الدين بن أبي السمود البغدادي .

لئن غودرت تلك المحاسن في الثرى • والى فإ وجدى عليك ببال
ومذغبت عني ما غفرت بصاحب • أخى حمة إلا خطرت ببال
وملك بعده دمشق وقله الناصر داود بن المظفر ، وإياه الأمراء .
(أبو الممالئ أسعد بن يحيى)

ابن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب الفقيه الشافعي البخاري ، شيخ أديب فاضل
خير ، له نظم ونثر عظيم ، وله نوادر حسنة وجاوز التسعين . قد استوزره صاحب حمة في وقت
وله شعر رائع أورد منه ابن الساعي قطعة جيدة . فمن ذلك قوله :

هواك ما خطر السلو بباله • ولأنت أعلم في الترام بحاله
فنى وثى واش إليك بشأنه • سائل هواك فذاك من أعداله
أو ليس لقدف المعنى شاهد • من حاله يفنيك عن تسآله
جددت توبعقله ، وهكت من • رغراره ، وصرمت حبل وصاله
بالمجائب من أسير دأبه • يفدى الطليق بنفسه وبماله
وله أيضاً : لام العوازل في هواك فأكثروا • هبها ميعاد السلو المحشر
جهلوا مكانك في القلوب وحولوا • لو أنهم وجدوا كوجدى أقصروا
صبراً على عذب الهوى وعذابه • وأخو الهوى أبدا يلام ويمر [١]

(أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد)

ابن أحمد بن حمدان الطائي المعروف بالصائغ ، أحد الميادين بالنظامية ، ودرس بالثقفية ، وكان
طارفاً بالذهب والفرائض والحساب ، صنف شرحاً لثنييه . ذكره ابن الساعي .

(أبو النجم محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي)

الفقيه الشافعي ، فقه على أبي القاسم بن فضال بن أحمد بالنظامية ودرس بفهرها ، وكان يشتغل
كل يوم عشرين درساً ، ليس له دأب إلا الاشتغال وتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً ، وكان يارعا كثير العلوم ،
قد أتمن المذهب والاختلاف ، وكان يقى في مسألة الملاقاة الثلاث واحدة فتفتق عليه فاضى التضاة
أبو القاسم عبد الله بن الحسين الهاماني ، فلم يسمع منه ، ثم أخرج إلى تكريت فأقام بها ، ثم استدعى
إلى بغداد ، فعاد إلى الاشتغال وأعاد فاضى التضاة نصر بن عبد الرزاق إلى إعادته بالنظامية ، وعاد
إلى ما كان عليه من الاشتغال والتتوى والوجاهة إلى أن توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى . وهذا

ذكره ابن السامى . (ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستائة)

فيها كانت حروب كثيرة بين جلال الدين والتتر ، كسروه غير مرة ، ثم بعد ذلك كله كسرم كسرة عظيمة ، وقتل منهم خلقا وأما لايحصون ، وكان هؤلاء التتر قد اغردوا وعصوا على جنكيزخان فكتب جنكيزخان إلى جلال الدين يقول له : إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعادناهم ، ولكن سترى مناما لا قبل لك به . وفيها قدمت طائفة كبيرة من الفرنج من ناحية مقلية قتلوا عكا وصور وحلوا على مدينة صيدا فانتزعوها من أيدي المؤمنين ، وعبروها وقويت شوكتهم ، وجاء الانبرور ملك الجزيرة القبرصية ثم سار قتل عكا تخاف المسلمون من شره والله المستعان . وركب الملك الكامل محمد بن العادل صاحب مصر إلى بيت المقدس الشريف فدخله ، ثم سار إلى نابلس تخاف الناصر داود بن المظلم من عمه الكامل ، فكتب إلى عمه الأشرف يقدم عليه جريده ، وكتب إلى أخيه الكامل يستعطفه ويكفه عن ابن أخيه ، فأجابه الكامل بأنى إنما جئت لحفظ بيت المقدس وصونه عن الفرنج الذين يريدون أخذه ، وحاشى لله أن أحاصر أخى أو ابن أخى ، وبعد أن جئت أنت إلى الشام فأنت تحفظها وأنا راجع إلى القلار المصرية ، غشى الأشرف وأهل دمشق إن رجع الكامل أن يمتد أطباع الفرنج إلى بيت المقدس ، فركب الأشرف إلى أخيه الكامل فقبضه عن الرجوع ، وأقاما جميعا هناك جزأهما الله خيرا ، يحوطان جنب القدس من الفرنج لنهم الله . واجتمع إلى الملك جماعة من ملوكهم ، كأخيه الأشرف وأخيهما الشهاب غازي بن العادل وأخيهما الصالح إسماعيل بن العادل ، وصاحب حصن أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين ، وغيرهم ، واعتقوا كلمهم على نزع الناصر داود عن ملك دمشق وتسليمها إلى الأشرف موسى . وفيها عزل الصدر التكريتي عن حبة دمشق ومشيخة الشيوخ وولى فيها اثنين غيره .

قال أبو شامة : وفى أوائل رجب توفى الشيخ الصالح الفقيه أبو الحسن على بن المراكشى المقم بالمدرسة المالكية ، ودفن بالمقبرة التى وقفها الزين خليل بن زوزان قبل مقابر الصوفية ، وكان أول من دفن بها رحمه الله تعالى .

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وستائة)

استهلت هذه السنة وملوك بنى أيوب مقترقون مختلفون ، قد صاروا أحزابا وفرقا ، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر ، وهو مقيم بتوابع القدس الشريف ، قويت نفوس الفرنج لنهم الله بكثرتهم من وفد إليهم من البحر ، وبموت المظلم واختلاف من بعده من الملوك ، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم ، فوقمت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده ، وتبقى بأيديهم بقية البلاد ، فقبلوا القدس الشريف ، وكان

المعظم قد هدم أسواره ، فظلم ذلك على المسلمين جدا وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم قدم الملك الكامل فحاصر دمشق وضيق على أهلها فقطع الاتهار ونهبت الحواصل وغلت الأسعار ، ولم يزل الجنود حولها حتى أخرج منها ابن أخيه صلاح الدين الملك الناصر داود بن المعظم ، على أن يقيم ملكاً بمدينة الكرك والشوبك وقابلس وبرما بين النور والبلقاء ويكون الأمير عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم صاحب صرخد ، ثم قايض الأشرف وأخاه الكامل فأخذ الأشرف دمشق وأعطى أخاه حران والزها والزقة ورأس العين وسروج ، ثم صار الكامل فحاصره وكان صاحبها الملك المنصور بن تقي الدين عمر قد توفى وعهد بالأمر من بعده إلى أكبر ولده المظفر محمد ، وهو زوج بنت الكامل ، فاستحوذ على حاة أخوه صلاح الدين فلقج أرسلان فحاصره الكامل حتى أنزله من قلعتها وسلمها إلى أخيه المظفر محمد ، ثم صار قسطنطين البلاد التي قايض بها عن دمشق من أخيه الملك الأشرف كما ذكرنا ، وكان الناس بدمشق قد اشتغلوا بعلم الأوائل في أيام الملك الناصر داود ، وكان يمالئ ذلك وقدما نسبة بعضهم إلى نوع من الانحلال فانه أعلم ، فنأدى الملك الأشرف بالبهتان أن لا يشتغل الناس بذلك وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقه ، وكان سيف الدين الأمدى مدرسا بالمزبزية فزله عنها وبقي ملازماً منزله حتى مات في سنة إحدى وثلاثين كما سيأتي .

وفيها كان الناصر داود قد أضاف إلى قاضي القضاة فحس الدين بن الخولي القاضي محيي الدين يحيى بن محمد بن علي بن الزكي ، فحكم أياما بالشباك ، شرقي باب الكلاسة ، ثم صار الحكم بداره ، مشاركة لابن الخولي .

وعن توفي فيها من الأعيان (الملك المسعود أقيس بن الكامل)

صاحب العين ، وقد ملك مكة سنة تسع عشرة فأحسن بها المدة ، ونفى الزيدية منها ، وأمنت الطرقات والحجاج ، ولكنه كان مسرفا على نفسه ، فيه عسف وظلم أيضا . وكانت وفاته بمكة ودفن بيلب الممل

(محمد السبق النجار)

كان بعده بعضهم من الأبدال ، قال أبو شامة : وهو الذي بنى المسجد غربى دار الزكاة عن يسار المار في الشارع من ماله ، ودفن بلبل . وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى

(أبو الحسن علي بن سالم)

ابن بزبك بن محمد بن مقلد العبادي الشاعر من المدينة ، قدم بغداد مراراً وامتنح المستظهر وغيره ، وكان غاضلا شاعراً يكثر التنزل

﴿أبو يوسف يعقوب بن صابر الحارثي﴾

ثم البندادى المتجنبتى ، كن فاضلا فى فنه ، وشاعرا مطبقاً لطيف الشعر حسن المعاني ، قد أورد له ابن الساعى قطعة صالحة ، ومن أحسن ما أورد له قصيدة فيها تمزية عظيمة لجميع الناس وهى :

هل لمن يربحى البقاء خلود * وسوى الله كل شئ يبيد
والقى كان من تراب وإن * عاش طويلا لقتراب يموت
فصير الأتلم طرا إلى ما * صار فيه آياؤهم والجلود
أين حواء أين آدم إذا * هم الخلد والنوى والخلود ؟
أين هابيل أين قابيل إذ * هذا لهذا معانده وحسود ؟
أين نوح ومن نجاهه بالقاء * لك والمالون طرا فقيد
أسلته الأيام كالطفل للهو * ت ولم يفت عمره الممدود
أين عاد ؟ بل أين جنة عاد * أم ترى أين صالح ونمود ؟
أين إبراهيم الذى شاد يد * ت الله فهو المظلم المقصود
حدوا يوسفأخاهم فكادو * هومات الحاسد والحسود
وسليمان فى النبوة والملك * قفى مثل ما قفى داود
فقدوا بعد ما أطيع لنا الخلد * ق وهذا له ألين الحديد
وابن عمران بعد آياته الت * ع وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح ابن مريم وهو روح ال * ه كانت تقضى عليه اليهود
وقضى سيد النبيين والمها * دى إلى الحق أحمد الحمود
وبنوه وآله الطاهرو * ن ازهر صلى عليهم الملبود
ونجوم السماء منتثرات * بعد حين وللهواء ركود
ولنا الهنيا التى توقد الص * ر خمود وللهاء جود
وكنا لثرى غداة يؤم الك * لس منها تزلزل وهمود
هذه الامهات تاروترب * وهواء وطب وماء برود
سوف يفتى كما فتينا فلا * يبق من الخلق والله ووليد
للاشق النوى من نوب الايا * م ينجر ولا السعيد الرشيد
ومتى سلت المنيا سيوتا * ظلوالى حصيدا والمبيد

ومن توفي فيها ﴿أبو الفتوح نصر بن علي البغدادي﴾

الغني الشافعي ويلقب بشهاب ، اشتغل في المنصب والخلاف ومن شره قوله :
جسي مئ غير أن الروح عندكم * فالجسم في غربة والروح في وطن
فليجيب الناس مئ أن لي بدنا * لا روح فيه ولي روح بلا بدن

﴿أبو الفضل جبرائيل بن منصور﴾

ابن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن بن غالب بن
الحسن بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر المعروف بابن زطينا البغدادي كاتب الديوان بها ،
أسلم - وكان نصرانيا - فحسن إسلامه ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة يومئذ قوله «خير أوتانك
ساعة صفت لله ، وخلصت من الفسكرة لغيره والرجاء لسواه ، وما دمت في خدمة السلطان فلا تغتر
بالزمان ، اكف كفاك واصرف طرفك وأكثر صومك وأقل تولك يؤمنك ، واشكر ربك بحمد أمرك .
وقال : زاد المسافر قدم على رحيله ، فأعد الزاد تبلغ بالمداد المراد . وقال : إلى متى تنادي في الغفلة
كأنك قد أمنت عواقب المهلة ، عمر اليومضي وعمر الشبيبة انقضى ، وما حصلت من ربك على ثقة
بالرضا ، وقد انتهى بك الأمر إلى سن التخاذل وزمن التكاسل ، وما حظيت بطائل . وقال :
روحك تخضع وعينك لا تنم ، وقلبك يمشح ونفسك تمشح ، وتظلم نفسك وأنت لها تنوجع ، وتظهر
الزهد في الدنيا وفي الحال تطمع ، وتطلب ما ليس لك بحق وما وجب عليك من الحق لا تدفع ، وتروم
فضل ربك وللماعون تمنع ، وتغيب نفسك الأملوه وهي عن اللهو لارجع ، وتوقف الغافلين بانذارك
وتتناوم عن سهمك ونهيج ، وتخص غيرك بخيرك ونفسك الفقيرة لا تنفع ، وتحموم على الحق وأنت
بالباطل مولع ، وتتمتر في المضائق وطرق النجاة مبيع ، وتهجم على القنوب وفي المجرمين تشفع
وتظهر القناعة بالقليل وبالكثر لا تشبع ، وتمر الهار الفانية ودارك الباقية خراب بلقع ، وتستوطن
في منزل رحيل كأنك إلى ربك لا ترجع ، وتظن أنك بلا رقيب وأعلمك إلى المراقب ترفع ، تدم
على الكبر وعن الصغر تتورع ، وتقول النفران وأنت عن القنوب لا تعلق ، وترى الأهوال
محيطه بك وأنت في ميدان اللهو ترتع ، وتستبجح أفعال الجهال وباب الجهل تهرع ، وقد آن لك أن
تأف من التعنيف وعن الهدايا تترفع ، وقد سار الخفون وتخلعت فإذا تتوقع .

وقد أورد ابن الساعي له شراً حسناً فنه :

إن سهرت عينك في طاعة * فذاك خير لك من نوم
أسكت قد طت بملاته * فاستدرك الغائت في اليوم
إن ربا هداك بمد ضلال * سبل الرشد مستحق للعبادة

فتبذ له تيج من عتقا • واستتم فضله بطول الزهاد
وله : إذا تفتت عن حرام • عوضت بالطيب الحلال
فانق تيج في الحرام حلا • فضلا من الله ذى الجلال

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسنة)

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأشرف موسى بن الماثل وبين جلال الدين بن خوارزم شاه ، وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خلط في الماضي وخربها وشرد أهلها ، وحارب به علاء الدين كيقياد ملك الروم وأرسل إلى الأشرف يستحثه على القدوم عليه ولو جريده وحده ، فقدم الأشرف في طائفة كبيرة من عسكر دمشق ، وانضاف إليهم عسكر بلاد الجزيرة ومن تبقى من عسكر خلط ، فكانوا خمسة آلاف مقاتل ، معهم العدة الكاملة ، والخيول الهائلة ، فالتقوا مع جلال الدين بأذر بيجان وهو في عشرين ألف مقاتل ، فلم يقد لهم ساعة واحدة ، ولا صبر فقهقروا ونهزم واتبعوه على الأثر ، ولم يزالوا في طلبهم إلى مدينة خوى وعاد الأشرف إلى مدينة خلط فوجدها خاوية على عر وشها ، فهداها [وأطعها] ثم تصالح مع جلال الدين وعاد إلى مستقر ملكه حرسها الله [^(١)] وفيها تسلم الأشرف قلعة ببلبك من الملك الامجد بهرام شاه بعد حصار طويل ، ثم استخلف على دمشق أخاه الصالح إسماعيل ، ثم سار إلى الأشرف بسبب أن جلال الدين الخوارزمي استحوذ على بلاد خلط وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهب أموالا كثيرة ، فالتقى معه الأشرف واقتتلوا قتالا عظيما فهزمه الأشرف هزيمة منكورة ، وهلك من الخوارزمية خلق كثير ، ودقت البشار في البلاد فرحا بنصرة الأشرف على الخوارزمية ، فاتهم كانوا لا يقنحون بلدا إلا قتلوا من فيه ونهبوا أموالهم ، فكسروا الله تعالى . وقد كان الأشرف رأى النبي ﷺ في المنام قبل الوقعة وهو يقول له : يا موسى أنت منصور عليهم ولما فرغ من كسرتهم عاد إلى بلاد خلط فرم شعنها وأصلح ما كان فسد منها . ولم يهج أحد من أهل الشام في هذه السنة ولا في التي قبلها ، وكنا فيما قبلها أيضا ، فهذه ثلاث سنين لم يسر من الشام أحد إلى الحج . وفيها أخفت الفرنج جزيرة سرورقة وقتلوا بها خلقا وأسروا آخرين ، قدموا بهم إلى الساحل فاستقبلهم المسلمون فأخبروا بما جرى عليهم من الفرنج .

ومن توفي فيها من الأعيان (زين الأمان الشيخ الصالح)

أبو البركات ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن حبة الله بن زين الأمان بن عساكر دمشق الشافعي ، سمع على عمه الحافظ أبي القاسم والصابغ وغير واحد ، وعمره وفرد بالرواية وجاء زالتانين

بنحو من ثلاث سنين ، وأقصد في آخر عمره فكان يحمل في حفة إلى الجامع ، وإلى دار الحديث التورية
لامباغ الحديث ، وانتفع به الناس مدة طويلة ، ولما توفى حضر الناس جنازته ودفن عند أخيه الشيخ
نفر الدين بن عساكر بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ يعزم المارديني ﴾

كان صالحا منقطعا محبا للعزلة عن الناس ، وكان مقبلا بزاوية التريية من الجامع ، وهي التي
يقال لها التزالية ، وتعرف بزاوية الدولى و بزاوية القطب التيسابورى ، وبزاوية الشيخ أبى نصر
المقدس ، قاله الشيخ شهاب الدين أبوشامة ، وكان يوم جنازته مشهودا ، ودفن بسفح قاسيون
رحمه الله تعالى وعفا عنه عنه وكرمه .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسنة ﴾

استهلت هذه السنة والملك الأشرف موسى بن العادل مقيم بالجزيرة مشغول فيها بإصلاح ما كان
جلال الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده ، وقد قدمت التنار في هذه السنة إلى الجزيرة وديار
بكر ضاثوا بالفساد بينا وشمالا ، فقتلوا ونهبوا وسبوا على عادتهم خنطهم الله تعالى . وفيها رتب إمام
بمشهد أبى بكر من جامع دمشق وصليت فيه للصلاوات الخمس . وفيها درس الشيخ تقي الدين بن
الصلاح الشهرزورى الشافعى في المدرسة الجوانية في جانب المارستان في جادى الأولى منها .
وفيها درس الناصر ابن الحنبلى بالصالحية بسفح قاسيون التي أنشأها الخاتون ربيعة خاتون بنت
أيوب أخت ست الشام .

وفيها حبس الملك الأشرف الشيخ على الحريرى بقلعة عزنا . وفيها كان غلاء شديد بديار
مصر وبلاد الشام وحلب والجزيرة بسبب قلة المياه السالوية والأرضية ، فكانت هذه السنة كما قال
الله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وقته من الأموال والأنفس والثمرات وبشر
الصابرين) إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (وذكر ابن الأثير كلاما طويلا
مضمونه خروج طائفة من التنار مرة أخرى من بلاد ما وراء النهر ، وكان سبب قدومهم هذه السنة
أن الاسماعيلية كتبوا إليهم يخبرونهم بضعف أمر جلال الدين بن خوارزم شاه : وأنه قد عادى
جميع الملوك حوله حتى الخليفة ، وأنه قد كسره الأشرف بن العادل مرتين ، وكان جلال الدين
قد ظهرت منه أفعال تقصه تدل على قلة عقله ، وذلك أنه توفى له غلام خصى يقال له قليج ، وكان
يحب ، فوجد عليه وجدا عظيما بحيث إنه أمر الأمراء أن يمشوا بجنازته فمشوا فراسخ ، وأمر أهل
البلد أن يخرجوا بمزمن وتمداد عليه فتواتى بعضهم في ذلك فهم يقتلهم حتى تشفع فيهم بعض الأمراء
ثم لم يسمح بدفن قليج فكان يحمل معه بمحفة ، وكما أحضر بين يديه طعام يقول اأكلوا هذا إلى قليج

فقال له بعضهم : أيها الملك إن قلعج قدمات ، فأمر بقتله قتل ، فكانوا بمدحك يقولون : قبله وهو يقبل الأرض ، ويقول هو الآن أصلح مما كان - يعني أنه مريض وليس بميت - فيجد الملك بذلك راحة من قلة عقله ودينه فحبسه الله . فلما جاءت التتار اشتغل بهم وأمر بدقن قلعج وهرب من بين أيديهم وامتلا قلبه خوفا منهم ، وكان كلما سار من قطر لحقوه إليه وخرى ما اجتازوا به من الأقاليم والبلدان حتى انتهوا إلى الجزيرة وجاوزوها إلى سنجار وما ردين وأمد ، يفسدون ما قدروا عليه قتل ونهباً وأسرا ، وتمزق شمل جلال الدين وفتق عنه جيشه ، فصاروا شذر مذر ، وبدلوا بالأمن خوفاً ، وبالمز دلا ، وبالاتباع فرقا ، فسيحان من بيده الملك لا إله إلا هو . واقطع خير جلال الدين فلا يدرى أين سلك ، ولا أين ذهب ، وتمكنت التتار من الناس في سائر البلاد لا يجحدون من نعمهم ولا من بردهم ، وألقى الله تعالى الوهن والضعف في قلوب الناس منهم ، كانوا كثيرا يقتلون الناس فيقول المسلم : لا بالله ، لا بالله ، فكانوا يلعبون على الخيل ويننون ويحسون الناس لا بالله لا بالله ، وهذه طامة عظيمة وداية كبرى ، فآله وإنا إليه راجعون .

وحج الناس في هذه السنة من الشام وكان عن حج فيها الشيخ تقي الدين أبو عمر بن الصلاح ، ثم لم يبع الناس بعد هذه السنة أيضاً لكثرة الحروب والخوف من التتار والغرج ، فآله وإنا إليه راجعون . وفيها تكامل بناء المدرسة التي يسوق المعجم ينفذ المسبوبة إلى إقبال الشراي ، وحضر المدرس بها ، وكان يوما مشهودا ، اجتمع فيه جميع المدرسين والمفتين ينفذ ، وعمل بصحنها قباب الخلوى تحمل منها إلى جميع المدارس والربط ، ورتب فيها خمسة وعشرين قفيا لهم الجوامك الإدارة في كل يوم ، والخلوى في أوقات المواسم ، والفواكه في زماها ، وخلع على المدرس والمبدين والفقهاء في ذلك اليوم ، وكان وقتا حسنا تقبل الله تعالى منه . وفيها سار الأشرف أبو العباس أحمد بن القاضي الفاضل في الرسالة عن الكامل محمد صاحب مصر إلى الخليفة المستنصر بالله ، فأكرم وأعيد معظا . وفيها دخل الملك المظفر أوسعيد كوكبرى بن زين الدين صاحب إربل إلى بغداد ولم يكن دخلها قط ، فقلقه الموكب وشافه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين ، وكان ذلك شرطا له غبطه به سائر ملوك الآفاق وسألو أن يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك ، فلم يمكنوا لحفظ الثغور ، ورجع إلى مملكته معظا مكروما . وعن توفى فيها من الأعيان ﴿ يحيى بن معطى بن عبد النور ﴾

التحوى صاحب الألفية وغيرها من المصنفات النحوية المفيدة ، ويلقب زين الدين ، أخذ عن الكندي وغيره ، ثم سافر إلى مصر فكانت وفاته بالقاهرة في مستهل ذي الحجة من هذه السنة ، وشهد جنازته الشيخ شهاب الدين أبوشامة ، وكان قد رحل إلى مصر في هذه السنة ، وحكى أن الملك الكامل شهد جنازته أيضاً ، وأنه دفن قريبا من قبر المزي بالقرافة في طريق الشافعي عن يسرة المار رحمة الله .

﴿الدخوار الطيب﴾

مذهب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد ، المروف بالدخوار شيخ الأطباء بدمشق ، وقد وقف داره بدمشق بالميد بالقرب من الصاغة المتينة على الأطباء بدمشق مدرسة لهم ، وكانت وفاته بصفر من هذه السنة ، ودفن بسفح قاسيون ، وعلى قبره قبة على أعمدة في أصل الجبل شرقي الركنية ، وقد ابتلى بسة أمراض متعاقبة ، منها ريح القوة ، وكان مولده سنة خمس وستين وخمسمائة وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . قال ابن الأثير : وفيها توفي .

﴿القاضي أبو غانم بن المديم﴾

الشيخ الصالح ، وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة ، من المالئين بعلومهم ، ولولاهما لكانت إنه لم يكن في زمانه أعبد منه لكان صادقاً ، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه ، فانه من جماعة شيوخنا ، سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برويته وكلامه ، قال : وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول توفي صديقنا .

﴿أبو القاسم عبد المجيد بن المعجمي الحلبي﴾

وهو وأهل بيته مقدموا السنة بحلب ، وكان رجلاً ذا مردة غزيرة ، وخلق حسن ، وحلم وافر ورئاسة كثيرة ، يحب إطعام الطعام ، وأحب الناس إليه من أكل من طعمه ويقبل يده ، وكان يلقي أضيافه بوجه منبسط ، ولا يمتد عن إيصال راحة وقضاء حاجة ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة . قلت وهذا آخر ما وجد من الكامل في التاريخ للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير رحمه الله تعالى .

﴿أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم﴾

ابن أبي السعادات بن كريم الموصلي ، أحد الفقهاء الحنفيين ، شرح قطعة كبيرة من القدوري ، وكتب الانشاء لصاحبها بدر الدين لؤلؤ ، ثم استقال من ذلك ، وكان فاضلاً شاعراً ، من شعره :

دعوه كما شاء الترام يكون • فلتس ولين خان اليهود أخون
ولينوا له في قولكم ما استنظم • عسى قلبه القاسي على يلين
وبنوا صلباتي إليه وكرروا • حديثي عليه فالحديث شجون
بنفسى الأولى باتوا عن المين حمة • وجههم في القلب ليس بين
وسلوا على العشاق يوم تحملوا • سيوطاً لها وظف الجفون جفون

﴿المجد البهنسي﴾

وزير الملك الأشرف ثم عزله وصادره ، ولما توفي دفن بترابته التي أنشأها بسفح قاسيون وجعل كنبه بها وقتها ، وأجرى عليها أوقافاً جيدة دارة رحمه الله تعالى .

﴿جمال الدولة﴾

خليل بن زوزان رئيس قصر حجاج ، كان كيسا ذا مروءة ، له صدقات كثيرة ، وله زيارة في مقابر الصوفية من ناحية القبلة ، ودفن بقرية عند مسجد قلوس رحمه الله تعالى .

﴿الملك الأجد﴾

واقف المدرسة الأجدية . وفيها كانت وفاة .

﴿بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه﴾

ابن أيوب صاحب بعلبك ، لم يزل بها حتى قدم الأشرف موسى بن المادل إلى دمشق فلحقها في سنة ست وعشرين ، فأنزع من يده بعلبك في سنة سبع وعشرين ، وأسكنه عنده بدمشق بدار أبيه ، فلما كان شهر شوال من هذه السنة عدا عليه مملوك من مماليكه تركي قتلته ليلا ، وكان قد اتهمه في صاحبة له وحبسه ، فغلب عليه في بعض الليالي قتلته وقتل المملوك بعده ، ودفن الأجد في تربته التي إلى جانب تربة أبيه في الشرق الشمالي رحمه الله تعالى ، وقد كان شاعرا فاضلا له ديوان شعر ، وقد أورد له ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الرائق الغائق ، وترجمته في طبقات الشافعية ، ولم يذكره أبو شامة في القليل ، وهذا عجيب منه ، وما أورد له ابن الساعي في شاب رآه يقطع قضبان بان فأنشأ على البديهة :

من لي بأعيف قال حين عنيته * في قطع كل قضيب بان رائق
نحكي شياظه الرشاد إذا اتقى * ريان بين جداول وحدائق
سرفت غصون البان لين شمائل * قطعتها والقطع حد السارق
ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى .

يؤرقني حنين وادكار * وقد خلت المراحل والليل
تتاهى الظاعنون ولي فواد * يسير مع الموادج حيث ساروا
حنين مثلما شاء التناثي * وشوق كلما بعد المزار
وليل بعد بينهم طويل * فأين مضت ليالي القصار ؟
وقد حكم السهاد على جنوني * تسأوى الليل عندى والتهار
سهادى بعد تأيهم كثير * ونوى بعد ما رحلوا فرار
فن ذا يستمر لنا عيونا * تلام وهل ترى عينا تمار
فلا ليلى له صبح منير * ولا وجدى يقال له عنار
وكم من قاتل والحي غاد * يحجب ظننه النقع المنار

وقوفك في الديار وأنت حي • وقد رحل الخليط عليك عار

وله دويبت :

كم ينهب هذا العمر في الخسران • ما أغفلني فيه وما أنساني

ضربت زماني كله في لب • يا عمر هل بمدك عمر ناتي

وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال :

كنت من ديني على وجل • زال عني ذلك الرجل

أمنت نفسي بواقها • عشت لملت لما رجل

رحمه الله وعقاعته . ﴿ جلال الدين تكش ﴾

وقيل محمود بن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش الخوارزمي ، وم من سلالة طاهر بن الحسين ، وتكش جدهم هو الذي أزال دولة السلجوقية . كانت التتار قد هزموه في البلاد فأتوا في بعض جزائر البحر ، ثم ساقوا وراء جلال الدين هذا حتى مرقوا عساكره شذروا وفرقوا عنه أيدي سبا ، وانفرد هو وحده فأتاه فلاح من قرية بأرض ميافارقين فأكرمه لما عليه من الجواهر الذهب ، وعلى فرسه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ملك الخوارزمية - وكانوا قد قتلوا الفلاح أخا - فأنزله وأظهر إكرامه ، فلما قام قتلته بنأس كانت عنده ، وأخذ ما عليه ، فبلغ الخبر إلى شهاب الدين غازي ابن الماحل صاحب ميافارقين فاستدعى بالفلاح فأخذ ما كان عليه من الجواهر ، وأخذ الفرس أيضاً ، وكان الأشرف يقول هو سد ما بيننا وبين التتار ، كما أن السد بيننا وبين بأجوج وأجوج .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة ﴾

فيها عزل القاضيان بمشق :شمس الخلوي وشمس الدين بن سفي الدولة ، وولى قضاء القضاء عباد الدين ابن الخروستاني ، ثم عزل في سنة إحدى وثلاثين وأعيد شمس الدين بن سفي الدولة كما سيأتي . وفيها سابع عشر شوال ما عزل الخليفة المستنصر وزيره مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم التقي ، وقبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه نغر الدين أحمد بن محمد التقي وأصحابهم وحبسوا ، واستوزر الخليفة مكانه أستاذ الفار شمس الدين أبا الأضر ، أحمد بن محمد بن الناقذ ، وخلع عليه خلمة سنية وفرح الناس بذلك . وفيه أقبلت طائفة من التتار فوصلوا إلى شيزور فندب الخليفة صاحب إربل مظفر الدين كوكبزي بن زين الدين ، وأضاف إليه عساكر من عنده ، فساروا نحوهم فهربت منهم للتتار وأقاموا في مقابلتهم مدة شهور ، ثم تعرض مظفر الدين وعاد إلى بلده إربل ، وتراجعت التتار إلى بلادها .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿الحافظ محمد بن عبد النبي﴾

ابن أبي بكر البغدادي ، أبو بكر بن قطة الحافظ الحديث الفاضل ، صاحب الكتاب النافع المسمى بالتقييد في تراجم رواة الكتب والمشاهير من الحديثين ، وكان أبوه قهراً منقطعاً في بعض مساجد بغداد ، يؤثر أصحابه بما يحصل له ، ونشأ وله هذا معنى بعلم الحديث وسماعه والرحلة فيه إلى الأفاق شرقاً وغرباً ، حتى برز فيه على الأقران ، وفاق أهل ذلك الزمان ، وللمنة تسم وسبعين وخمسة ، وتوفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

﴿الجلال عبد الله بن الحافظ عبد النبي المقدسي﴾

كان فاضلاً كريماً حياً ، سمع الكثير ، ثم خالط الملوك وأبناء الدنيا ، فتغيرت أحواله ومات ببستان ابن شكر عند الصالح إسماعيل بن المادل ، وهو الذي كفته ودفن بفتح قاسيون

﴿أبو علي الحسين بن أبي بكر المبارك﴾

ابن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مسلم الزبيدي ثم البغدادي ، كان شيخاً صالحاً حنفياً فاضلاً ذافنون كثيرة ، ومن ذلك علم الفرائض والمروض ، وله فيه أرجوزة حسنة ، انتخب منها ابن الساعي من كل بحر بيتين ، وسرد ذلك في تاريخه .

﴿أبو الفتح مسعود بن إسماعيل﴾

ابن علي بن موسى السلمسي ، قه أديب شاعر ، له تصانيف ، وقد شرح المقامات والجل في النحو ، وله خطب وأشعار حسنة رحمه الله تعالى .

﴿أبو بكر محمد بن عبد الوهاب﴾

ابن عبد الله الأنصاري نفي الدين ابن الشيرجي الحمقي ، أحد المبدلين بها ، وله سنة تسع وأربعين وخمسة ، وسمع الحديث وكان على ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب ، وفوت إليه أمر أوقافها . قال السبط : وكان ثقة أميناً كيساً متواضعاً . قال وقد وزر وله شرف الدين قناصرداود مدة يسيرة ، وكانت وفاة نفي الدين في يوم عيد الأضحى ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى وعفا عنه .

﴿حسام بن غزى﴾

ابن يونس حماد الدين أبو المنائب المحلى المصري ، ثم الحمقي ، كان شيخاً صالحاً فاضلاً قهياً شافياً حسن الحاضرة وله أشعار حسنة . قال أبو شامة : وله في معجم القوصي ترجمة حسنة ، وذكر أنه توفي عاشر ربيع الآخر ودفن بمقابر الصوفية . قال السبط : وكان مقبلاً بالمدرسة الأمينية ، وكان لا يأكل لأحد شيئاً ولا سلطان ، بل إذا حضر طعاماً كان معه في كة شيء يأكله ، وكان لا يزال معه ألف دينار على وسطه ، وحكي عنه قال : خلعت على الملك المادل ليلة طيلساناً فلما خرجت مشى بين يدي تعالط

يحسبني القاضي ، فلما وصلت باب البريد عند دار سيف خملت الطيلسان وجعلته في كفي وتباطأت في المشي ، فالتفت فلم ير وراءه أحدا ، فقال لي : أين القاضي ؟ فأشرت إلى ناحية النورية وقلت : ذهب إلى داره ، فلما أسرع إلى ناحية النورية هرولت إلى المدرسة الأيمية واسترحت منه . قال ابن الساعي كان مولده سنة ستين وخمسة ، وخلف أموالا كثيرة ورثها عصبته ، قال : وكانت له معرفة حسنة بالأخبار والتواريخ وأيام الناس ، مع دين وصلاح وورع ، وأورد له ابن الساعي قطعاً من شعره فن ذلك قوله :

قيل لي من هويت قد عبث الله • مرفى خديه . قلت ما ذاك عاره
حرمة الخلد أحرقت عنبر الخفا • ل فن ذاك الدخان عنفاره
وله شوق إليكم دون أشواقكم • لكن لا بد أن يشرح
لأنني عن قلبكم غائب • وأنتم في القلب لن تبرحوا
(أبو عبد الله محمد بن علي)

ابن محمد بن الجارود الماراني ، الفقيه الشافعي ، أحد الفضلاء ، ولى القضاء بإربل وكان ظريفاً خليفاً ، وكان من محاسن الأيام ، وله أشعار رائعة ومعان فائقة منها قوله :

مشيب أني وشباب رحل • أحل العناية حيث حل
وذنبك جم ، ألا فارجمي • وعودي قد حان وقت الأجل
ودينى الآء ولا تقصرى • ولا ينجد عنك طول الأمل
(أبو التناء محمود بن رالى)

ابن علي بن يحيى الطائي الرقي نزيل إربل ، وولى النظر بها للملك مظفر الدين ، وكان شيعياً أديباً فاضلاً ، ومن شعره قوله :

وأهيف ما أخطئ إلا قوامه • وما النصف إلا ما يثنيه لينه
وما الدمع إلا ما تحمل خصره • وما النبل إلا ما تريش جنونه
وما الحر إلا ما يروق قنوره • وما السحر إلا ما تكن عيونه
وما الحسن إلا كاه فن القى • إذا ما رآه لا يزيد جنونه
(ابن مطي النحوى يحيى)

ترجمه أبو شامة في السنة الماضية ، وهو أضيف لأنه شهد جنازته بمصر ، وأما ابن الساعي فانه ذكره في هذه السنة ، وقال إنه كان حطياً عند الكامل محمد صاحب مصر ، وإنه كان قد نظم أربوزة في القراءات السبع ، ونظم ألفاظ الجهرة ، وكان قد عزم على نظم صحاح الجوهري .

(ثم دخلت سنة ثلاثين وستمائة)

فيها بشر خطابة ببغداد ونقابة المباسين المدل مجد الدين أبو القاسم هبة الله بن المنصوري ،
 وخلع عليه خلة سنية ، وكان فاضلا قد صحب الفقراء والصوفية وترهب برهة من الزمان ، فلما دعى إلى
 هذا الأمر أجلب سرياً وأقبلت عليه الدنيا بزهرتها ، وخدمه النلمان الأتراك ، وليس لباس المترفين
 وقد عاتبه بعض تلامذته بقصيدة طويلة ، وعنفه على ما صار إليه ، وسردها ابن الساعي بطولها في
 تاريخه . وفيها صار القاضي محي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج في الرسليّة من الخليفة
 إلى الكامل صاحب مصر ، ومعه كتاب هائل فيه تقليده الملك ، وفيه أوامر كثيرة مليحة من إنشاء
 الوزير نصر الدين أحمد بن النقاد ، سرده ابن الساعي أيضاً بكلامه . وقد كان الكامل غنياً بظاهر
 آمد من أعمال الجزيرة ، قد افتتحها بعد حصار طويل وهو مسرور بما قال من ملكها . وفيها فتحت
 دار الضيافة ببغداد للحجيج حين قدموا من حجهم ، وأجريت عليهم النفقات والكساوى والصلوات
 وفيها سارت المسامكة المستنصرية بحبة الأمير سيف الدين أبي الفضائل إقبال الخاص المستنصري
 إلى مدينة إربل وأعمالها ، وذلك لمرض مالكها مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين ، وأنه ليس له
 من بعده من يملك البلاد ، فحين وصلها الجيش منه أهل البلد فحاصروه حتى افتتحوه عنوة في السابع
 عشر من شوال في هذه السنة ، وجاءت البشائر بذلك فضررت الطبول ببغداد بسبب ذلك ، وفرح
 أهلها ، وكتب التقليد عليها لإقبال المذكور ، فرتب فيها المناصب وسار فيها سيرة جيدة ، وامتدح
 الشعراء هذا الفتح من حيث هو ، وكذلك مدحوا فتحها لإقبال ، ومن أحسن ما قال بعضهم في ذلك
 يا يوم سابع عشر شوال الذي • رزق السعادة أولاً وأخيراً
 هنيئ في فتح إربل مثلما • هنيئ فيه وقد جلست وزيراً

يعنى أن الوزير نصير الدين بن الملقى ، قد كان وزر في مثل هذا اليوم من العام الماضي ، وفي
 مستهل رمضان من هذه السنة شرع في عمارة دار الحديث الأشرفية بدمشق ، وكانت قبل ذلك داراً
 للأمير قايمز وبها حمام فهدمت وبُنيت عوضها . وقد ذكر السبط في هذه السنة أن في ليلة النصف
 من شعبان فتحت دار الحديث الأشرفية المجاورة لقلعة دمشق ، وأمل بها الشيخ تقي الدين بن
 الصلاح الحديث ، وقف عليها الأشرف الأوقاف ، وجعل بها نعل النبي ﷺ . قال مجمع الأشرف
 صحيح البخاري في هذه السنة على الزبيدي ، قلت : وكذا سمعوا عليه بالهار وبالصالحية . قال : وفيها
 فتح الكامل آمد وحسن كيفاً ووجد عند صاحبها خمسمائة حرة لغراش فزده الأشرف غنائماً ألباً .
 وفيها قصد صاحب ماردين وبغيش بلاد الروم الجزيرة قتلوا وسبوا وفضلوا مالم يضلّه التنازع بالمسلمين .
 ومن توفى فيها من الأعيان في هذه السنة من المشاهير .

(أبو القاسم علي بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي)

كان شيخاً لطيفاً ظريفاً ، صمم الكثير وعمل صناعة الوعظ مدة ، ثم ترك ذلك ، وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الأخبار والنوادر والأشعار ، وله سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وكانت وفاته في هذه السنة وله تسع وسبعون سنة . وقد ذكر البسط وفاة .

(الوزير صفى الدين بن شكر)

في هذه السنة ، وأثنى عليه وعلى محبة العلم وأهله ، وأن له مصنفات من البصائر ، وأنه تفضب عليه العادل ثم رضاه الكامل وأصله إلى وزارته وحرمنه ، ودفع بغيره المشهورة بمصر ، وذكر أن أصله من قرية يقال لها ديمرة بمصر . (الملك ناصر الدين محمود)

ابن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن قطب الدين مودود بن حماد الدين بن زنگي بن آقسنقر صاحب الموصل ، كان مولده في سنة ثلاث عشرة وستائة ، وقبائله بدر الدين لؤلؤ صورة حتى تمكن أمره وقويت شوكته ، ثم حجر عليه فكان لا يصل إلى أحد من الجوارى ولا شيء من السراري ، حتى لا يعقب ، وضيق عليه في الطعام والشراب ، فلما توفي جده لأنه مظفر الدين كوكبرى صاحب إربل منه حيثئذ من الطعام والشراب ثلاث عشرة يوماً حتى مات كدماً وجوعاً وعطشاً رحمه الله ، وكان من أحسن الناس صورة ، وهو آخر ملوك الموصل من بيت الأتابكي .

(القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم)

أحد مشايخ الحنفية ، وله مصنفات في الفرائض وغيرها ، وهو ابن خلة القاضي شمس الدين ابن الشيرازي الشافعي ، وكلاهما كان ينوب عن ابن الزكي وابن الحرماني ، وكان يدرس بالطرخانية . وفيها سكنه ، فلما أرسل إليه المظفر أن يفتي ببلحة نبذ التمر وماء الزمان امتنع من ذلك وقال أنا على مذهب محمد بن الحسن في ذلك ، والرواية عن أبي حنيفة شاذة ، ولا يصح حديث ابن مسعود في ذلك . ولا الأثر عن عمر أيضاً . فغضب عليه المظفر وعزله عن التدريس وولاه لتعليمه الزين ابن الصال ، وأقام الشيخ بمنزله حتى مات .

قال أبو شامة : ومات في هذه السنة جماعة من المسلمين منهم المنيث بن المنيث بن العادل ، والمزني عثمان بن العادل ، ومظفر الدين صاحب إربل . قلت أما صاحب إربل فهو :

(الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى)

ابن زين الدين علي بن تيمكتكين أحد الأجياد والسادات الكبار والملوك الأجداد ، له آثار حسنة وقد عمر الجامع المظفري بفتح قاصيون ، وكان قدم ببيعة الله إليه من ماء بئر فتمه المظفر من ذلك ، واعتل بأنه قد يمر على مقابر المسلمين بالسفوح ، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول

ويحتفل به احتفالا هائلا ، وكان مع ذلك شهما شجاعا فاتكا بطلا عاقلا عالما عادلا رحمه الله وأكرم مثواه . وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلدا في المولد النبوي سماه التنوير في مولد البشير النذير ، فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالبت مدته في الملك في زمان الدولة الصلاحية ، وقد كان محاصر عكا وإلى هذه السنة محمود السيرة والسريرة ، قال السبط : حكى بعض من حضر سباط المظفر في بعض الموائد كان يمد في ذلك السباط خمسة آلاف رأس مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين ألف محن حلوى ، قال : وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويمد للصوفية سلعاً من الظفر إلى النجر ، ويرقص بنفسه معهم ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أى جهة على أى صفة ، وكانت صدقاته في جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما ، ويتفك من الفرج في كل سنة خلقاً من الأسارى ، حتى قيل إن جملة من استفك من أيديهم ستون ألف أسير ، قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب - وكان قد زوجه لإياها أخوها صلاح الدين ، لما كان معه على عكا - قالت : كان قيصه لا يساوى خمسة دراهم فماتت بذلك فقال : لبسى ثوباً بخمسة وأصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوباً مثناً وأدع الفقير المسكين ، وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار . وعلى الحرمين والمياه بدرب الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى صدقات السر ، رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته بقلمة لإبل ، وأوصى أن يحمل إلى مكة فلم يتفق فدفن بمشهد على .

(والملك العزيز بن عثمان بن المادل)

وهو شقيق المعظم ، كان صاحب بانياس وتمك الحصون التي هنالك ، وهو الذى بنى المعظمية ، وكان عاقلاً قليل الكلام مطيعاً لأخيه المعظم ، ودفن عنده . وكانت وفاته يوم الاثنين عاشر رمضان بيسنائه الناعمة من ليليا رحمه الله وعفا عنه .

(أبو الحسن محمد بن نصر الدين بن نصر)

ابن الحسين بن علي بن محمد بن غالب الأنصارى ، المعروف بابن عنين الشاعر . قال ابن الساعى أصله من الكوفة وولد بمشقوقشأبها ، وسافر عنها سنين ، فجاب الأقطار والبلاد شرقاً وغرباً ودخل الجزيرة وبلاد الروم والمراق وخراسان وما وراء النهر والهند واليمن والحجاز وبنجد ، ومدح أكثر أهل هذه البلاد ، وحصل أموالاً جزيلة ، وكان ظريفاً شاعراً مطيعاً مشهوراً ، حسن الاخلاق جميل الماشرة ، وقد رجع إلى بلده دمشق فكلن بها حتى مات هذه السنة في قول ابن الساعى ، وأما السبط وغيره فأخروا وفاته في سنة ثلاث وثلاثين ، وقد قيل إنه مات في سنة إحدى وثلاثين والله أعلم . والمشهور أن أصله من حوران مدينة زرع ، وكانت إمته بمشقوق الجزيرة قبل الجامع ،

وكان هجاء له قدرة على ذلك ، وصنف كتاباً سله مقراض الأعراض ، مشتمل على نحو من خمسمائة بيت ، قل من سلم من العماشقة من شره ، ولا الملك صلاح الدين ولا أخوه العادل ، وقد كان برز بترك الصلاة المكتوبة فافقه أعلم . وقد غناه الملك الناصر صلاح الدين إلى الهند فتمتدح ملوكها وحصل أموالاً جزيلة ، وصار إلى اليمن فيقال إنه وزر لبعض ملوكها ، ثم عاد في أيام العادل إلى دمشق ولما ملك المظلم استوزره فأساء السيرة واستقال هو من تلقاء نفسه فزله ، وكان قد كتب إلى العماشقة من بلاد الهند :

فلما أهدمت أنا قبة • لم يقترف ذنباً ولا سرقة
افترى المؤذن من بلادكم • إن كان ينفي كل من صدق
ومعاه هجاء الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى :

سلطاننا أخرج كتابه • ذو عرش ووزيره أحذب
والدولى الخطيب مستكف • وهو على قنبر بيضة يثب
ولابن باقا وعظ يشبهه الذ • لمس وعبد الطيف محتسب
وصاحب الامر خلقه شرس • وعارض الجيش ذاؤه محب
وقال في السلطان الملك العادل سيف الدين رحمه الله تعالى وعفا عنه .

إن سلطاننا اتقى نزيجه • واسع المال ضيق الاغناق
هو سيف كما يقال ولكن • طالع الرسوم والأرزاق

وقد حضر مرة مجلس الفخر الرازي بخراسان وهو على المنبر يخطب للناس ، فجاءت حامية خلفها جراح فألقت نفسها على الفخر الرازي كالستجيرة به ، فأنشأ ابن عنين يقول :

جاءت سلطان الزمان حملة • والموت يلعب من جناحي خالط
قوم لواء الجوع حق ظله • بازائه بقلب واجف
من أعلم الوراق أن محكم • حرم وأهلك ملجأ الخائف
(الشيخ شهاب الدين السهروردى)

صاحب عوارف المعارف ، عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن حمويه ، واسمه عبد الله البكرى البقنادى ، شهاب الدين أبو حفص السهروردى ، شيخ الصوفية ببغداد ، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين ، وتورد في الرسلية بين الخلفاء والملوك مراراً ، وحصلت له أموال جزيلة فزرقها بين الفقراء والمحتاجين ، وقد حج مرة وفي محبته خلق من الفقراء لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وكانت فيه مروءة وإفاعة للمهوفين ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وكان يخطب للناس

وعليه ثياب البتة ، قال مرة في معاده هذا البيت وكرره :

ما في الصالح آخر وجد تطارحه • إلا محب له في الركب محبوب

فقام شاب وكان في المجلس فأنشده :

كأنما يوسف في كل راحة • وفي كل بيت منه يتقرب

فصاح الشيخ ونزل عن المنبر وقصد الشاب ليمتنر إليه فلم يجده ووجد مكانه حفرة فيهادم كثير من كثرة ما كان يفحص برجليه عند إنشاد الشيخ البيت . وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة من أناشيده وأثنى عليه خيرا ، وأنه توفي في هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالى .

(ابن الأثير مصنف أسد الغابة والكمال)

هو الامام العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصل المعروف بابن الأثير مصنف كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة ، وكتاب الكامل في التاريخ وهو من أحسنها حوادث ، ابتدأه من المبتدأ إلى سنة ثمان وعشرين وسنة ، وقد كان يتردد إلى بغداد خصيصاً عند ملوك الموصل ، ووزر لبعضهم كما تقدم بيانه ، وأقام بها في آخر عمره موثقاً معظماً إلى أن توفي بها في شعبان في هذه السنة ، عن خمس وسبعين سنة رحمه الله . وأما أخوه أبو السعادات المبارك فهو مصنف كتاب جامع الأصول وغيره ، وأخوهما الوزير ضياء الدين أبو الفتح فسر الله كان وزيراً للملك الأفضل علي بن الناصر فأنح بيت المقدس ، صاحب دمشق كما تقدم ، وجزرتا بن عمر ، قيل إنها منسوبة إلى رجل يقال له عبد العزيز بن عمر ، من أهل برقيد ، وقيل بل هي منسوبة إلى ابني عمر ، وهما أوس وكلثم ابنا عمر بن أوس .

(ابن المستوفي الأربلي)

مبارك بن أحمد بن مبارك ابن موهوب بن غنيم بن غالب العلامة شرف الدين أبو البركات الغني الأربلي ، كان إماماً في علوم كثيرة كالحدِيث وأسماء الرجال والأدب والحساب ، وله مصنفات كثيرة وقصائل غزيرة ، وقد بسط ترجمته القفا في خمس الدين بن خلكان في الوفيات ، فأجاد وأعاد رحمه الله .

(ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسنة)

فيها كل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد ولم يبن مدرسة قبلها مثلها ، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون قفياً ، وأربعة مئذنين ، ومدرس لكل مذهب ، وشيخ حديث وقارئان وعشرة مستمعين ، وشيخ طب ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ، ومكتب للأيتام وقدر الجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وأقرة لكل واحد . ولما كان يوم الخميس خامس رجب حضرت الدروس بها وحضر الغلبة المستنصر بالله بنفسه الكريمة وأهل دولته من

الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفية والشعراء ، ولم يتخلف أحد من هؤلاء ، وعمل مسيطر عظيم بها أكل منه الحاضرون ، وحمل منه إلى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام ، وخلع على جميع المدرسين بها والحاضرين فيها ، وعلى جميع الهولة والفقهاء والمبشرين ، وكان يوماً مشهوداً ، وأنشئت الشعراء الخليفة المدائح الرائقة والتصانيد الفاتحة ، وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخه مطولاً مبسوطاً شافياً كافياً ، وقد تدرّس الشافعية بها الإمام محي الدين أبو عبد الله بن فضلان ، ولحقه نية الإمام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني ، ولحقه نية الإمام العالم محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، ودرس عنه يومئذ ابنه عبد الرحمن نيابة لنيته في بعض الرسائل إلى الملوك ، ودرس للمالكية يومئذ الشيخ الصالح العالم أبو الحسن المنبري المالكي نيابة أيضاً ، حتى يمين شيخ غيره ، ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلهما في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها . وكان المتولى لعمارة هذه المدرسة مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العاقبي الذي ورز بمد ذلك ، وقد كان إذ ذاك أستاذ دار الخلافة ، وخلع عليه يومئذ وعلى الوزير نصير الدين . ثم عزل مدرس الشافعية في رابع عشرين بقاض القضاة أبي المالح عبد الرحمن بن مقبل ، مضافاً إلى ما بيده من القضاة ، وذلك بعد وفاة محي الدين بن فضلان ، وقد ولي القضاة مدة ودرس بالنظامية وغيرها ، ثم عزل ثم رضى عنه ثم درس آخر وقت بالسقنصرية كما ذكرنا ، فلما توفى ولها بعده ابن مقبل رحمه الله تعالى .

وفيها عمر الأشرف مسجد جراح ظاهر باب الصغير . وفيها قدم رسول الأنبرو رملك الفرنج إلى الأشرف ومعه هدايا منها دب أبيض شعره مثل شعر الأسد ، وذكروا أنه يتزل إلى البحر فيخرج السمك فيأكله . وفيها طاروس أبيض أيضاً . وفيها كملت عمارة القيسارية التي هي قبل النحاسين ، وحول إليها سوق الصاغة وشتر سوق القوالب التي كان فيه الصاغة العتيقة عند الحدادين . وفيها جددت الدكاكين التي بالزيادة . قلت وقد جددت شرقي هذه الصاغة الجديدة قيساريتهان في زماننا ، وسكنها الصياغ ونجار الذهب ، وهما حستان وجميعهما وقف الجامع المعمر .
ومن توفى في هذه السنة من الأعيان .

(أبو الحسن علي بن أبي علي)

ابن محمد بن سالم الثعلبي ، الشيخ سيف الدين الآمدي ، ثم الحموي ثم القهشقي ، صاحب المصنفات في الأصول وغير ذلك ، من ذلك أبحاث الأفكار في الكلام ، ودقائق الخفائقي في الحكمة ، وأحكام الأحكام في أصول الفقه ، وكان حنبلي المنهج فصار شافياً أصولياً منطقياً جدلياً خلافاً ، وكان حسن الأخلاق سليم الصدر كثير البكاء رقيق القلب ، وقد تكلموا فيه بأشياء الله أعلم

بصحتها ، والذى يفتل على الظن أنه ليس لغالبا صححة ، وقد كانت ملوك بني أبوب كالمعظم والكامل
يكرمونه وإن كانوا لا يحبونه كثيرا ، وقد فرض إليه المعظم تدريس العززية ، فلما ولي الأشرف
دمشق عزله عنها وكادى بالمدرس أن لا يشتغل أحد بغير التفسير والحديث والفقه ، ومن اشتغل
بعلوم الأوائل فنيته ، فأقام الشيخ سيف الدين بمنزله إلى أن توفى بدمشق في هذه السنة في صفر ،
ودفن بترابته بسفح قاسيون . وذكر القاضي ابن خلكان أنه اشتغل ببغداد على أبي الفتح نصر بن
قتيان بن المنى الحبلى ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعى فأخذ عن ابن فضال وغيره ، وحفظ طريقة
الخلاف للشريف وزوائد طريقة أسعد الميهنى ، ثم انتقل إلى الشام واشتغل بعلوم المقول ، ثم إلى
البيمار المصرية فأعاد بمدرسة الشافعية بالقرافة الصنرى ، وتصدر بالجامع الظافرى ، واشتهر فضله
وانتشرت فضائله ، فحسده أقوام فسعوا فيه وكتبوا خطوطهم بآتهامه بمذهب الأوائل والتعطيل
والانحلال ، فطلبوا من بعضهم أن يواهم فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سميته • فالقوم أعداء له وخصوم

فانتقل سيف الدين إلى حماء ثم تحول إلى دمشق فدرس بالعززية ، ثم عزل عنها ولزم بيته إلى
أن مات في هذه السنة ، وله ثمانون علما رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(واقف الركنية الأمير الكبير ركن الدين منكورس الفلكى)

غلام فلك الدين أخى الملك المادل ، لأنه وقف الفلكية كما تقدم ، وكان هذا الرجل من خيار
الأمراء ، ينزل في كل ليلة وقت السحر إلى الجامع وحده بطوافه ويأظب على حضور الصلوات فيه
مع الجماعة ، وكان قليل الكلام كثير الصدقات ، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون ، ووقف
عليها أوقافا كثيرة وعمل عندها تربة ، وحين توفى بقرية حدود حل إليها رحمه الله تعالى .

(الشيخ الامام العالم رضى الدين)

أبو سليمان بن مظفر بن غنم الجبلى الشافعى ، أحد قهواء بغداد والمتين بها والمشفلين للطلبة
مدة طويلة ، له كتاب في المنهج نحو من خمسة عشر مجلدا ، يحكى فيه الوجوه القرية والاقوال المستترية
وكان لطيفا ظريفا ، توفى رحمه الله يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ببغداد .

(الشيخ طلى المصرى)

أقام مدة بالشام في زاوية له بدمشق ، وكان لطيفا كيسا زاهدا ، يتردد إليه الأكابر ودفن
بزوايته المذكورة رحمه الله تعالى .

(الشيخ عبد الله الأرمنى)

أحد العباد الزهاد الذين جابوا البلاد وسكنوا البرارى والجبال والوهاد ، واجتمعوا بالأقطاب

والإبدال والأوتاد، وعن كانت له الأحوال والمكشفات والمجاهدات والسياحات في سائر النواحي والجهات، وقد قرأ القرآن في بدايته وحفظ كتب القديري على منهج أبي حنيفة، ثم اشتغل بالعلمات والرياضات، ثم أتم آخر عمره بتمشيق حتى مات بها ودفن بسفح طاسيون، وقد حكى عنه أشياء حسنة منها أنه قال اجتزت مرة في السياحة ببيلة فطالبتني نفسي بسخولها فأليت أن لا أستطعم منها بطعام، ودخلتها فررت برجل غسال فنظر إلى شذرا نغت منه وخرجت من البلد هاربا، فلحقني ومعه طعام فقال: كل قد خرجت من البلد، فقلت له وأنت في هذا المقام وتفسل الثياب في الأسواق؟ فقال: لا ترفع رأسك ولا تنظر إلى شيء من عملك، وكن عبدا لله فان استعملك في الحش فارض به، ثم قال رحمه الله.

ولو قيل لي مت قلت ممما وطاعة • وقلت لداعي الموت أملا ومرحبا

وقال اجتزت مرة في سياحتي براهب في صومعة فقال لي: يا مسلم ما أقرب الطرق عندكم إلى الله عز وجل؟ قلت: مخالفة النفس، قال فرد رأسه إلى صومعته، فلما كنت بمكة زمن الحج إذا رجل يسلم على عند الكعبة فقلت من أنت؟ قال أنا الراهب، قلت: بم وصلت إلى هاهنا؟ قال بأقوى قلت. وفي رواية عرضت الاسلام على نفسي فأبت، فقلت أنه حق فأسلت وخالفتها، فأفزع وأتبع. وقال بينا أنا ذات يوم يجبل لبنان إذا حرامية الفرنج فأخونوني قيديوني وشدوا وثاقى فكنت عندهم في أضيق حال، فلما كان التهاشر برأ وتلموا، فبينما أنا ووثوق إذا حرامية المسلمين قد أقبلوا نحوم فأنبهتهم فلجأوا إلى مقارة هناك فسلموا من أولئك المسلمين، فقالوا: كيف فعلت هذا وقد كان خلاصك على أيديهم؟ قلت إنكم أطمعنوني فكان من حق الصعبة أن لا أعشكم، فمروضاعلي شيئا من متاع الدنيا فأبيت وأطلقوني. وحكي السبط قال: زرت مرة بيت المقدس وكنت قد أكملت جميعا ملحا، فلما جلست عنده أخذني عطش جدا وإلى جانبه إبريق فيه ماء بارد فجعلت أستحي منه، فقبضته إلى الإبريق وقد احمر وجهه وتولوني وقال خذ، كم تكاسر، فشربت. وذكر أنه لما ارتحل من بيت المقدس كان سورها بدم ثائما جديدا على عمارة الملك صلاح الدين قبل أن يخر به العظيم، فوقف لأصحابه يودعهم ونظر إلى السور، وقال: كأني بالماول وهي تعمل في هذا السور عما قريب، فقيل له ماول المسلمين أو الفرنج؟ فقال بل ماول المسلمين، فكان كما قال. وقد ذكرت له أحوال كثيرة حسنة، ويقال إن أصله أرمني وإنه أسلم على يدي الشيخ عبد الله اليوناني، وقيل بل أصله رومي من قونية، وأنه قدم على الشيخ عبد الله اليوناني وعليه برنس كبرانس الزهبان، فقال له أسلم فقال أسلمت لرب المالمين. وقد كانت أمه حاية امرأة الخليفة، وقد جرت له كائنة غريبة فسلمه الله بسبب ذلك، وعرفه الخليفة فأطلقه.

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ﴾

فيها خرب الملك الأشرف بن العادل خان الزنجباري الذي كان بالمقبية فيه خواطئ وخوادر ومنكرات متعددة ، فهدمه وأمر بهارة جامع مكانه سعى جامع التوبة ، قبل الله تعالى منه .

وفيها توفي القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شداد الحلبي ، أحد رؤسائها من بيت العلم والسيادة ، له علم بالتواريخ وأيام الناس وغير ذلك ، وقد سمع الكثير وحديث ، والشيخ شهاب الدين عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن الحلبي أيضاً ، كان قتيها زاهدا عابداً كانت له نحو من عشرين سرية ، وكان شيخنا يكثر من الجمع ، فاعتقه أمراض غثيفة فأنفقت مومات بمشقى ودفن بقاسيون ، وهو والده قطب الدين وتاج الدين ، والشيخ الامام العالم صائغ الدين أبو محمد عبد العزيز الجبلي الشافعي أحد الفقهاء المتهنئين بالمدرسة النظامية ببغداد ، وله شرح على التنبية للشيخ أبي إسحاق ، توفي في ربيع الأول رحمه الله تعالى . والشيخ الامام العالم الخطيب الأديب أبو محمد حمد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن مفتاح التميمي البغدادي ، الخطيب بها والمنقح لأهلها ، الفقيه الشافعي ، فقه ببغداد بالنظامية ، ثم عاد إلى بلده المشار إليها ، وقد صنف كتباً . وأنشد عنه ابن الساعي سماعاً منه :

روت في أحاديث النرام صبايقي • بإسنادها عن باقة العلم الفرد
وحديثي مر النسب عن الحلي • عن الفوح عن وادي النضاعين وبأجميد
بان غرامى والأسمى قد تلازما • فلن يبرحا حتى أوسد في لحدى

وقد أرخ أبو شامة في القيل وقفة للشهاب السهروردي صاحب عوارف المعارف في هذه السنة ، وذكر أن مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وأنه جاوز التسعين . وأما السبط فأنما أرخ وفاته في سنة ثلاثين كما تقدم .

﴿ قضى القضاء بمحلب ﴾

أبو المحسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي الموصل الشافعي ، كان رجلاً فاضلاً أديباً مرقماً ذا وجهة عند الملوك ، أقام بمحلب وولى القضاء بها ، وله تصانيف وشعر ، توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى .

﴿ ابن الفارض ﴾

فاظم الثائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد ، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ، الحنوي الأصل ، المصري المولد والمهار والوفاء ، وكان أبوه يكتب فروض النساء الرجال ، وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها ، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله القمي في ميزانه وحط عليه . مات في هذه السنة وقد قارب السبعين .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبائة ﴾

فيها قطع الكامل وأخوه الأشرف الفرات وأصلحا ما كان أفسده جيش الروم من بلادها ،
وغرب الكامل قلعة الزها وأحل بدنيسر بأساً شديداً ، وجاء كتاب بدر الدين صاحب الموصل بأن
الروم أقبلوا بمائة طلب كل طلب بمخمسة مائة فارس ، فرجع الملكان إلى دمشق سريعاً وعاد جيش الروم
إلى بلادها بالجزيرة وأعادوا الحصار كما كان ، ورجعت التنازعهم ذلك إلى بلادهم والله تعالى أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير ابن عنين الشاعر وقد هدمت ترجمته في سنة ثلاثين .

﴿ الحاجري الشاعر ﴾

صاحب الديوان المشهور ، وهو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمار تكين بن طاشتكين
الأر بلي شاعر مطبق ، ترجمه ابن خلكان وذكر أشياء من شعره كثيرة ، وذكر أنه كان صاحبهم
وأته كتب إلى أخيه ضياء الدين عيسى يستوحش منه :

الله يعلم ما أبقى سوى رفق • متى فراقك يا من قربه الأمل
فابست كتابك واستودعه تمزية • فربما مت شوقاً قبل ما يصل
وذكر له في الخال رحمه الله تعالى .

وهذه من شعره وجبينه • أمسى الوردى في ظلة وضياء
لا تنكروا لظلال الوردى في خده • كل الشقيق بنقطة سوداء

﴿ ابن دحية ﴾

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف بن قومس بن مزلال بن بلال بن
بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة الكلابي الحافظ ، شيخ الديار المصرية في الحديث ، وهو أول من
بشر مشيخة دار الحديث الكاملية بها ، قال السبط : وقد كان عني في طلب المسلمين والوقية
فيهم ، ويزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه ، وقد كان الكامل مقبلاً عليه ، فلما
انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانته ، توفي في ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرعة مصر ،
وقد قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : والشيخ السخاوي فيه أبيات حسنة . وقال القاضي ابن
خلكان بهد سيباق نسبه كما تقدم ، وذكر أنه كتبه من خطه ، قال وذكر أن أمه أمة الرحمن بنت
أبي عبد الله بن البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فلها كان يكتب بخطه النسبين ابن دحية
ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء متقناً للحديث
وما يتماق به ، عارفاً بالبحر والفتنة وأيام العرب وأشعارها ، اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل إلى الشام ثم

إلى العراق واجتاز ياربيل سنة أربع وسبعمائة ، فوجد ملكها العظيم مظفر الدين بن زين الدين يمتنى بالولاء النبوي ، فعمل له كتاب التنوير في مولد السراج المنير وقرأ عليه بنفسه ، فأجازه بألف دينار ، قال وقد سمعته على الملك العظيم في سنة مجالس في سنة ست وعشرين وسبعمائة . قلت وقد وقفت على هذا الكتاب وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة . قال ابن خلكان : وكان مولده في سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقيل ست أو تسع وأربعين وخمسمائة ، وتوفي في هذه السنة ، وكان أخوه أبو عمرو عثمان قد باشر بمدة دار الحديث الكملية بمصر ، وتوفي بعده بسنة . قلت : وقد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب ، وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم كيف رجلاه ، وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر ، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعننا عنه وكرمه .

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة)

فيها حاصرت التتار ياربيل بالمجانيق وحبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة قتلوا أهلها وسبوا ذراريهم ، وامتنعت عليهم القلعة مدة ، وفيها النائب من جهة الخليفة ، فدخل فصل الشتاء فأقلعوا عنها وانشروا إلى بلادهم ، وقيل إن الخليفة جهز لهم جيشاً فانهزم التتار . وفيها استخدم الصالح أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا الخوارزمية الذين تيقوا من جيش جلال الدين وأفضلوا عن الرومي ، قسى جاش الصالح أيوب . وفيها طلب الأشرف موسى بن الماثل من أخيه الكامل الزقة لتكون قوة له وعلفاً لهذابه إذا جاز الفرات مع أخيه في البواكير ، فقال الكامل : أما يكفيه أن معه دمشق مملكة بني أمية ؟ فأرسل الأشرف الأمير فلك الدين بن الماثل إلى الكامل في ذلك ، فأغلغله الجواب ، وقال : إيش يعمل بالملك ؟ يكفيه عشرة لغفاني وتعلمه لصناعتهم . فغضب الأشرف فلقق وبدت الوحشة بينهما ، وأرسل الأشرف إلى حماد وحلب وبلاد الشرق غالف أولئك الملوك على أخيه الكامل ، فظل طالع عمر الأشرف لأفقد الملك على أخيه ، وذلك لكثرة ميل الملوك إليه لكرمه وشجاعته وشح أخيه الكامل ، ولكنه أدركته منيته في أول السنة الفاضلة رحمه الله تعالى .

ومن توفي فيها من الأعيان (الملك العزيز الظاهر)

صاحب حلب محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن الملك الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف ، وهو وأبوه وابنه الناصر أمحلب ملك حلب من أيام الناصر ، وكانت أم العزيز الخاتون بنت الملك الماثل أبي بكر بن أيوب ، وكان حسن الصورة كريماً عفيفاً ، توفي وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وكان مدير دولته الطواشي شهاب الدين ، وكان من الأمراء رحمه الله

تعالى . وقام في الملك بعده وله الناصر صلاح الدين يوسف ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(صاحب الروم)

كقياد الملك علاء الدين صاحب بلاد الروم ، كان من أكابر الملوك وأحسنهم سيرة ، وقد تزوج العادل ابنته وأولدها ، وقد استولى على بلاد الجزيرة في وقت وأخذ أكثرها من يد الكامل محمد ، وكسر الخوارزمية مع الأشرف موسى ورحمهما الله .

(الناصح الحنبلي)

في ثالث الحرم توفي الشيخ فاضل الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الشيرازي ، وم ينتسبون إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وله الناصح سنة أربع وخمسين وخمسة ، وقرأ القرآن وسمع الحديث ، وكان يظ في بعض الأحيان . وقد ذكرنا قبل أنه وعظ في حياة الشيخ الحافظ عبد النبي ، وهو أول من درس بالصالحية التي بالجبل ، وله بنيت ، وله مصنفات . وقد اشتغل على ابن النبي البغدادي ، وكان فاضلاً صالحاً ، وكانت وفاته بالصالحية ودفن هناك رحمه الله .

(الكامل بن المهاجر)

التاجر كان كثير الصدقات والاحسان إلى الناس ، مات فجأة في جمادى الأولى بدمشق فدفن بقباسيون ، واستحوذ الأشرف على أمواله ، فبلغت التركة قريباً من ثلثمائة ألف دينار ، من ذلك سبعة فيها مائة حبة لؤلؤ ، كل واحدة مثل بيضة الحمامة .

(الشيخ الحافظ أبو عمرو عثمان بن دحية)

أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية ، كان قد ولي دار الحديث الكملية حين عزل أخوه عنها ، حتى توفي في عامه هذا ، وكان نادر في صناعة الحديث أيضاً رحمه الله تعالى .

(القاضي عبد الرحمن التكريتي)

الحاكم بالكرك ، ومدرس مدرسة الزيداني ، فلما أخفت أوطانها سار إلى القدس ثم إلى دمشق ، فكان ينوب بها عن القضاة ، وكان فاضلاً زهواً عفيفاً ديناراً رحمه الله تعالى ورضي عنه .

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسة)

فيها كانت وفاة الأشرف ثم أخوه الكامل ، أما الأشرف موسى بن العادل باق دار الحديث الأشرفية وجامع التوبة وجامع جراح ، فانه توفي في يوم الخميس رابع المحرم من هذه السنة ، بالقلمة المنصورة ، ودفن بها حتى تجيزت ثوبته التي بنيت له شمال الكلاسة ، ثم حول إليها رحمه الله تعالى ، في جمادى الأولى ، وقد كان ابتداء مرضه في رجب من السنة الماضية ، واختلفت عليه الأدواء حتى كان الجراحي يخرج الدظام من رأسه وهو يسبح الله عز وجل ، فلما كان آخر السنة تزايد به المرض

واعتراه إسهال مفرط فغارت قوته فشرع في التهيء لقائه الله عز وجل ، فأعتق مائتي غلام وجارية ،
ووقف دار فر وخشاه التي يقال لها دار السعادة ، و بستانه بالنيرب على أبيه ، وتصدق بأموال جزيلة ،
وأحضر له كفنا كان قد أعده من ملابس الفقراء والمشايع الذين لقيهم من الصالحين . وقد كان
رحمه الله تعالى شهيا شجاعا كريما جوادا لأهل العلم ، لاسيا أهل الحديث ، ومقر بيته الصالحة ، وقد
بنى لهم دار حديث بالسفح والبلدية الشافعية أخرى ، وجعل فيها نعل النبي ﷺ الذي ما زال
حريصا على طلبه من النظام ابن أبي الحديد الناجر ، وقد كان النظام ضيقا به فعزم الأشرف أن
يأخذ منه قطعة ، ثم ترك ذلك خوفا من أن ينهب بالكلية ، فقد الله موت ابن أبي الحديد بمسقى
فأوصى الملك الأشرف به ، فجعله الأشرف بدار الحديث ، ونقل إليها كتباً سنية نفيسة ، وبنى
جامع التوبة بالمقبية ، وقد كان خاتماً للنجارى فيه من المنكرات شيء كثير ، وبنى مسجد القصب
وجامع جراح ومسجد دار السعادة ، وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسة ، ونشأ بالقصب
الشريف بكفالة الأمير نجر الدين عثمان النجارى ، وكان أبوه يحبه ، وكفلك أخوه المظلم ثم
استنابه أبوه على مدن كثيرة بالجزيرة منها الرها وحران ، ثم أتت مملكته حين ملك خلاط ،
وكان من أصف الناس وأحسنهم سيرة وسريرة ، لا يعرف غير نسائه وسراريه ، مع أنه قد كان يمانى
الشراب ، وهذا من أعجب الأمور . حكى السبط عنه قال : كنت يوما بهذه المنطرة من خلاط إذ
دخل الخادم فقال : يا أباي امرأة تستأذن ، فدخلت فإذا صورة لم أر أحسن منها ، وإذا هي ابنة
الملك الذي كان بخلاط قبلى ، فذكرت أن الخالج على قد استحوذ على قرية لها ، وأنها قد احتاجت
إلى بيوت الكرى ، وأنها إنما تنقوت من عمل النقوش للنساء ، فأمرت برضيئتها إليها وأمرت لها
بدار تسكنها ، وقد كنت قمت لها حين دخلت وأجلستها بين يدي وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت
عنه ، ومعها عجوز ، فحين قضت شغلها قلت لها انتهى على اسم الله تعالى ، وقالت العجوز : ياخوند
إنما جاءت لتحظى بضممتك هذه العلية ، قلت : معاذ الله لا يكون هذا ، واستحضرت في ذمى ابنتي
ربما يصيبها نظير ما أصاب هذه ، قامت وهي تقول بالأرمنى : سترك الله مثل ما سترتنى ، وقلت لها :
مهيا كان من حاجة فأتيها إلى أقضها لك ، فدعت لى وانصرفت ، وقالت لى نضى : فى الحلال
مندوحة من الحرام ، فتزوجها ، وقلت : لا والله لا كان هذا أبداً ، أين الحياء والكرام والمرودة ؟ قال :
ومات مملوك من مملوكى وترك وفاقاً ليس يكون فى الناس بتلك البلاد أحسن شباباً ، ولا أحلى شكلاً
منه ، فأحببته وقربته ، وكان من لا يفهم أمرى يتهمى به ، فأفحق أنه عدا على إنسان فضر به
حتى قتله ، فاشتكى عليه إلى أولياء المقتول ، فقلت انبتوا أنه قتله ، فأبغضوا ذلك فاجفت عنه مملوكى
وأرادوا إرضامه بمشر ديت فلم يقبلوا ، ووقروا لى فى الطريق وقالوا قد أثبتنا أنه قتله ، فقلت

خزوه فقتلوه ، ولو طلبوا متى ملكي فداء له لفضته إليهم ، ولكن استجبت من الله أن أعارض شره يحفظ نفي رحمه الله تعالى وعفا عنه .

ولما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وسبعمائة نادى مناديه فيها أن لا يشتغل أحد من القهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه ، ومن اشتغل بالمنطق وعلوم الأوائل نفي من البلد . وكان البلدة في غاية الامن والعدل ، وكثرة الصدقات والخيرات ، كانت القلعة لا تغلق في ليالي رمضان كلها ، وصحون الخلاوات خارجة منها إلى الجامع والخوانق والربط ، والصلحية وإلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم ، وكان أكثر جلوسه بمسجد أبي الهرداء الذي جده وزخرفه بالقلعة ، وكان ميمون النقيبة ما كسرت له راية قط ، وقد استدعى الزبيدي من بغداد حتى جمع هو والناس عليه صحيح البخاري وغيره ، وكان له ميل إلى الحديث وأهله ، ولما توفي رحمه الله رآه بعض الناس وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين ، قال : ما هذا وقد كنت تقاتل الشراة في الدنيا ؟ قال ذاك البدن الذي كنا فضل به ذاك عندهم ، وهذه الروح التي كنا نجذب بها هؤلاء فهي معهم ، وقد صدق رحمه الله ، قال رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب » وقد كان أوصى بالملك من بعده لأخيه الصالح إسماعيل ، فلما توفي أخوه ركب في أجرة الملك ومشي الناس بين يديه ، وركب إلى جانبه صاحب حصن وعز الدين أيك المظلي حامل الغاشية على رأسه ، ثم إنه صادر جماعة من الدماشقة الذين قيل عنهم إتهم مع الكامل ، منهم العالم قناسيف وأولاد ابن مزهر وجسهم ببصري ، وأطلق الحريري من قلعة عزاز ، وشرط عليه أن لا يدخل دمشق ، ثم قدم الكامل من مصر وانضاف إليه الناصر داود صاحب الكرك و نابلس والقدس ، فحاصروا دمشق حصاراً شديداً ، وقد حصنها الصالح إسماعيل ، وقطع المياه ورد الكامل ماء بردى إلى ثورا ، وأحرقت القنينة وقصر حجاج ، فافتقر خلق كثير واحترق آخرون ، وجرت خطوبة طويلة ، ثم أكل الحال في آخر جمادى الأولى إلى أن سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل ، على أن له ببلبك وبصري ، وسكن الإصر ، وكان الصلح بينهما على يدي القاضي محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، اتفق أنه كان بدمشق قد قدم في رسالة من جهة الخليفة إلى دمشق فجاءه الله تعالى خيراً . ودخل الكامل دمشق وأطلق الفلك بن المسيري من سجن الحيات بالقلعة الذي كان أودعه فيه الأشرف ، ونقل الأشرف إلى تربته ، وأمر الكامل في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة أئمة الجامع أن لا يصلي أحد منهم المغرب سوى الامام الكبير ، لما كان يقع من التشويش والاختلاف بسبب اجتماعهم في وقت واحد ، ولتتم ماضل رحمه الله . وقد فعل هذا في زماننا في صلاة التراويح ، اجتمع الناس على طريه واحدهو الامام الكبير في المحراب المقسم عند المنبر ، ولم يبق به إمام يومئذ سوى القتي بالحلبية عند مشهد على

لو ترك لكان حسناً والله أعلم . (ذكر وفاة الملك الكامل)

محمد بن العادل رحمه الله تعالى . تلك الكامل مدة شهرين ثم أخذته أمراض مختلفة ، من ذلك سعال وإسهال ونزلة في حلقه ، وقرس في رجله ، فأتفق موته في بيت صغير من دار القصبية ، وهو البيت الذي توفي فيه عمه الملك الناصر صلاح الدين ، ولم يكن عند الكامل أحد عند موته من شدة هيئته ، بل دخلوا فوجدوه ميتاً رحمه الله تعالى . وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وكان أكبر أولاد العادل بعد مودود ، وإليه أوصى العادل لطفه بشأنه وكال عقله ، وتوفر معرفته ، وقد كان جيد الفهم يحب العلماء ، ويسألهم أسئلة مشككة ، وله كلام جيد على صحيح مسلم ، وكان ذكياً مهيئاً ذا بأس شديد ، عادل منصف له حرمة وافرة ، وسطوة قوية ، ملك مصر ثلاثين سنة ، وكانت الطرقات في زمانه آمنة ، والرعيا متناصفة ، لا يتجاسر أحد أن يظلم أحداً ، شق جاعة من الأجناد أخذوا شميراً لبعض الفلاحين بأرض آمد ، واشتكى إليه بعض الركبدارية أن أستاذهم استعمله ستة أشهر بلا أجر ، فأحضر الجندی وألبسه قباب الركبدارية ، وألبس الركبداري ثياب الجندی ، وأمر الجندی أن يخدم الركبدار ستة أشهر على هذه الهيئة ، ويحضر الركبدار الموكب والخدمة حتى ينقضي الأجل فتأدب الناس بذلك غاية الأدب . وكانت له اليد البيضاء في رد ثغر دمياط إلى المسلمين بعد أن استحوذ عليه الفرنج لنهم الله ، فرباطهم أربع سنين حتى استنقذ منهم ، وكان يوم أخذه له واسترجاه إليه يوماً مشهوداً ، كما ذكرنا مفصلاً رحمه الله تعالى . وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة ، ودفن بالقلمة حتى كملت تربته التي بالحائط الثاني من الجامع ذات الشباك الذي هناك قريباً من مقصورة ابن سنان ، وهي السكندرية التي عند الحلبية ، قل إليها ليلة الجمعة الحادي والعشرين من رمضان من هذه السنة ، ومن شعره يستحث أخاه الأشرف من بلاد الجزيرة حين كان محاصراً بدمياط :

يا مسعى إن كنت حقا مسعى * فأرحل بغير قيد وتوقف
واطو المنازل والديار ولا تنخ * إلا على باب الملك الأشرف
قبل يديه لأعمت وقل له * حتى يحسن تطف وتلطف
إن مات صنوك عن قريب تلقه * ما بين حد مهند ومنقف
أو تبط عن إنجاده فلقاؤه * يوم القيلة في عراض الموقف

(ذكر ما جرى بعده)

كان قد عهد لولده العادل وكان صغيراً بالديار المصرية ، وبالبلاد دمشقية ، ولولده الصالح أيوب ببلاد الجزيرة ، فأمنى الأمراء ذلك ، فأما دمشق فاختلف الأمراء بها في الملك الناصر داود بن

المعظم هو الملك الجواد مظفر الدين يوسف بن مودود بن الملك العادل، فكان ميل عماد الدين ابن الشيخ إلى الجواد، وآخرون إلى الناصر، وكان نازلاً بدار أسامة، فانتظم أمر الجواد وجاءت الرسالة إلى الناصر أن أخرج من البلد، فركب من دار أسامة والعملة وراءه إلى القلعة لا يشكون في ولايته الملك، فملك نحو القلعة فلما جاوز العمادة عطف برأس فرسه نحو باب الفرج، فصرخت العامة: لالالا، فسار حتى نزل القبابون عند وعاء برزة. فزعم بعض الأمراء الأشرفية على مسكه، فساق قبات بقصر أم حكيم، وساقوا وراءه فتقدم إلى مجلون فتحصن بها وأمن.

(وأما الجواد)

فانه ركب في أبهة الملك وأغنى الأموال والخلع على الأمراء قال السبط: فرق ستة آلاف ألف دينار وخمسة آلاف خلمة، وأعطى المكنوس والخوثر، ونفى الخواطي واستقر ملكه بدمشق، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون، ورحل الناصر داود من مجلون نحو غزة وبلاد الساحل فاستحوذ عاها، فركب الجواد في طلبه وسمه الماسك الشامية والمصرية، وقال للأشرفية كاتبه وأطعموه، فلما وصلت إليه كتبهم طمع في مواضعهم، فرجع في سبعة ركب إلى نابلس، فقصده الجواد وهو نازل على جيبين، والناصر على مسطبة، فهرب منه الناصر فاستحوذوا على حواصله وأقتله، فاستننوا بها وافترق بسببها قرراً مدقاً، ورجع الناصر إلى الكرك جريدة قد سلب أمواله وأقتله، وعاد الجواد إلى دمشق مؤيداً منصوراً.

وفيها اختلفت الخوارزمية على الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب كيفا، وتك النواحي، وعزموا على القبض عليه، فهرب منهم ونهبوا أمواله وأقتله، ولجأ إلى منجار فقصده بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليحاصره ويأخذه في قفص إلى الخليفة، وكان أهل تلك الناحية يكرهون مجاورته لتكبره وقوة سطوته، فلم يبق إلى أخذه إلا القليل، فكانت الخوارزمية واستنجد بهم ووعدهم بأشياء كثيرة، فقدموا إليه جرائد ليعتوه من البدر لؤلؤ، فلما أحس بهم لؤلؤ هرب منهم فاستحوذوا على أمواله وأقتله، فوجدوا فيها شيئاً كثيراً لا يحصى ولا يوصف، ورجع إلى بلد الموصل جريدة خائباً، وسلم الصالح أيوب مما كان فيه من الشدة.

ومن توفي فيها من الأعيان: (محمد بن زيد)

ابن ياسين الخطيب جمال الدين الدولى، نسبة إلى قرية بأصل الموصل، وقد ذكرنا ذلك عند ترجمة عمه عبد الملك بن ياسين الخطيب بدمشق أيضاً، وكان مدرساً بالقرالية مع الخطابة، وقد منعه المعظم في وقت عن الأفتاء، فأنابه السبط في ذلك، فاعتنق بأن شيوخ بلدهم الذين أشاروا عليه بذلك، لكثرة خطئه في فتاويه، وقد كان شديد المواظبة على الوظيفة حتى كاد أن لا يفارق بيت

الخطابة، ولم يمح قط مع أنه كانت له أموال جزيلة، وقف مدرسة بمحرون وسبعا في الجامع . ولما توفي ودفن بمدرسته التي بمحرون ولي الخطابة بعده أخ له وكان جاهلا ، ولم يستقر فيها وتولاها الكمال بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النصيبي ، وولى تدريس الفزالية الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام محمد بن هبة الله بن جميل ﴿

الشيخ أبو نصر بن الشيرازي ، ولد سنة تسع وأربعين وخمسة ، وسمع الكثير على الحافظ ابن عساكر وغيره ، واشتغل في الفقه وأفتى ودرس بالشامية البرانية ، وثاب في الحكم عدة سنين ، وكان قتيبا علما فاضلا ذكيا حسن الأخلاق عارفا بالأخبار وألم العرب والأشعار ، كريم الطباع حميد الآثار ، وكانت وفاته يوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

﴿ القاضي شمس الدين يحيى بن بركات ﴾

ابن هبة الله بن الحسن الدمشقي قاضيها بن سنا الدولة ، كان علما عفيفا فاضلا عادلا منصفًا زها كان الملك الأشرف يقول : ما ولي دمشق مثله ، وقد ولي الحكم ببلده المقدس وثاب بدمشق عن القضاة ، ثم استقل بالحكم ، وكانت وفاته يوم الأحد السادس ذي القعدة ، وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون ، وتأسف الناس عليه رحمه الله تعالى . وتوفي بعده .

﴿ الشيخ شمس الدين بن الحوي ﴾

القاضي زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي ، عرف بابن الاستاذ الحلبي قاضيها بعد بهاء الدين بن شداد ، وكان رئيسا علما عارفا فاضلا ، حسن الخلق والسمت ، وكان أبوه من الصالحين الكبار رحمهم الله تعالى .

﴿ الشيخ الصالح الممر ﴾

أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي ، ظهر سبأه من أبي الوقت في سنة خمس عشرة وستائة فأنال الناس عليه يسمون منه ، وتفرذ بالرواية عنه في الدنيا بعد الزبيدي وغيره ، توفي ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله تعالى .

الأمير الكبير المجاهد الم رابط ﴿ صارم الدين ﴾

خطلبا بن عبد الله مملوك شركس وقائبه بمده مع ولده على تتين وتلك الحصون ، وكان كثير الصدقات ، ودفن مع أستاذه بقباب شركس ، وهو الذي بناها بعد أستاذه ، وكان خيرا قليل الكلام كثير النزو ومربطاً مدة سنين رحمه الله تعالى وعفا عنه عنه وكرمه

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستائة ﴾

فيها قضى الملك الجواد على الصفي بن مرزوق وصادره بأربعمائة ألف دينار ، وجسه بقلمة

حمص ، فسكت ثلاث سنين لا يرى الضوء . وكان ابن مرزوق محسناً إلى الجواد قبل ذلك إحساناً كثيراً . وساطع الجواد خادماً لزوجته يقل له النصائح فصادر الدعا شقة وأخذ منهم نحواً من ستمائة ألف دينار ، وملك الأمير عماد الدين بن الشيخ الذي كان سبب تملكه دمشق ، ثم خاف من أخيه نغر الدين بن الشيخ الذي بديار مصر ، وقلق من ملك دمشق ، وقال إيش أعمل بالملك ؟ باز وكلب أحب إلى من هذا . ثم خرج إلى الصيد وكاتب الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ، فتقايضا من حصن كيفا وسنجار وما تبع ذلك إلى دمشق ، فلك الصالح دمشق ودخلها في مستهل جمادى الأولى من هذه السنة ، والجواد بين يديه بالغاشية ، وندم على ما كان منه ، فأراد أن يستدرك الفاتك فلم يتفق له ، وخرج من دمشق والناس يلعنونه بوجهه ، بسبب ما أسداه إليهم من المصادرات ، وأرسل إليه الصالح أيوب ليورد إلى الناس أموالهم فلم يلتفت إليه ، وسار وبقيت في ذمته . ولما استقر الصالح أيوب في ملك مصر كما سيأتي حبس الناصح الخادم ، فأت في أسوأ حالة ، من القلة والقليل ، جزاء وفاقا (وما ريك بظلام للمبيد)

وفيها ركب الصالح أيوب من دمشق في رمضان فاصدا الديار المصرية ليأخذها من أخيه العادل لصفه ، فقتل بنابلس واستولى عليها وأخرجها من يد الناصر داود ، وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ليقيم عليه ليكون في صحبته إلى الديار المصرية ، وكان قد جاء إليه إلى دمشق لييايمه فجعل يسوف به ويعمل عليه ويحالف الأمراء بدمشق ليكون ملكهم ، ولا يتجلبز أحد من الصالح أيوب لجبروته أن يتغيره بذلك ، واتفقت السنة وهو مقيم بنابلس يستدعى إليه وهو بماطله . ومن توفى فيها من الأعيان (جمال الدين الحصري الخنقي)

محمود بن أحمد العلامة شيخ الخنفية بدمشق ، ومدرس النورية ، أصله من قرية يقال لها حصير من معاملة بخاري ، تفقه بها وسمع الحديث الكثير ، وصار إلى دمشق فأنهت إليه رياضة الخنفية بها ، لا سيما في أيام المظلم ، كان قرأ عليه الجامع الكبير ، وله عليه شرح ، وكان يحترموا ويظلموا ويكرهوا ، وكان رحمه الله عزيز الهممة كثير الصدقات ، عاقلاً زهواً عفيفاً ، توفى يوم الأحد ثامن صفر ودفن بمقابر الصوفية بتممه الله برحمته . توفى وله تسعون سنة ، وأول درسه بالنورية في سنة إحدى عشر وستمائة ، بعد الشرف داود الذي تولاهما بعد البرهان مسعود ، وأول مدرستها رحمه الله تعالى الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين علي بن حويه ، كان صيباً في ولاية الجواد دمشق ثم سار إلى مصر ففلاهم صاحبها العادل بن الكامل بن العادل ، فقال الآن أرجع إلى دمشق وأمر الجواد بالسير إليك ، على أن تكون له اسكندرية عوض دمشق ، فان امتنع عزله عنها وكنت أنا نائبك فيها ، قتله أخوه نغر الدين بن الشيخ عن قتل على ذلك فلم يقبل ، ورجع إلى دمشق فقتله

الجواد إلى المصلى وأنزله عنده بالقلم بدار المسرة ، وخادعه عن نفسه ثم دس إليه من قتله جبهة في صورة مستغيب به ، واستحوذ على أمواله وحواصله ، وكانت له جنازة حافلة ، ودفن بقاسيون

﴿ الوزير جمال الدين علي بن حديد ﴾

وزر للأشرف واستوزره الصالح أيوب ألياً ، ثم مات عقب ذلك ، كان أصله من الرقة ، وكان له أملاك يسيرة يعيش منها ، ثم آل أمره أن وزر للأشرف بدمشق ، وقد هجاه بعضهم ، وكانت وفاته بالجواليق في جمادى الآخرة ، ودفن بمقابر الصوفية .

﴿ جعفر بن علي ﴾

ابن أبي البركت بن جعفر بن يحيى الممداني ، راوية السلفي ، قدم إلى دمشق بحبة الناصر داود ، وسمع عليه أهلها ، وكانت وفاته بها ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى ، وله تسعون سنة .

﴿ الحافظ الكبير زكي الدين ﴾

أبو عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشيلي ، أحد من اعتنى بصناعة الحديث وبرز فيه ، وأعاد الطلبة ، وكان شيخ الحديث بمشهد ابن مروة ، ثم سافر إلى حلب ، فتوفي بحمص في رابع عشر رمضان من هذه السنة ، وهو جد شيخنا الحافظ علم الدين بن القاسم بن محمد البرزالي ، مؤرخ دمشق الذي ذيل على الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، وقد ذيلت أنا على تاريخه بمون الله تعالى .
﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهل هذه السنة وسلطان دمشق نجم الدين الصالح أيوب بن الكامل خيم عند نابلس ، يستدعي عمه الصالح إسماعيل ليسير إلى الديار المصرية ، بسبب أختها من صاحبها المادل بن الكامل ، وقد أرسل الصالح إسماعيل ولده وابن ينمور إلى محبة الصالح أيوب ، فهما يتفقان الأموال في الأمراء ويخلفانهم على الصالح أيوب للصالح إسماعيل ، فلما تم الأمر وتمكن الصالح إسماعيل من مراده أرسل إلى الصالح أيوب يطلب منه ولده ليكون عوضه بيمليك ، ويسير هو إلى خدمته ، فأرسله إليه وهو لا يشتر بشئ مما وقع ، وكل ذلك عن ترتيب أبي الحسن غزال المتطبب وزير الصالح - وهو الأمين واقف أمينة بيمليك - فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر هجم الملك الصالح إسماعيل وفي محبته أسد الدين شيركوه صاحب حمص إلى دمشق ، فدخلها بقتة من باب الفراديس ، قتل الصالح إسماعيل بداره من دواب الثمارين ، ونزل صاحب حمص بداره ، وجاء نجم الدين بن سلامة فهنا الصالح إسماعيل ورفض بين يديه وهو يقول : إلى بيتك جئت . وأصبحوا غاصروا القلعة وبها المنيت عمر بن الصالح نجم الدين ، وذهبوا القلعة من ناحية باب الفرع ، وهتكوا حرماتها ودخلوها وتسلموها واعتقلوا المنيت في برج هنالك . قال أبو شامة : واحترقت دار الحديث وما هنالك من الخوانيت

والهدير حول القلعة. ولما وصل الخبر بما وقع إلى الصالح أيوب تفرق عنه أصحابه والأمراء خوفا على أرواحهم من الصالح إسماعيل، وبقى الصالح أيوب وحده بمعاييك وجاريته أم ولده خليل، وطمع فيه الفلاحون والغزاة، وأرسل الناصر داود صاحب الكرك إليه من أخذه من نابلس مهاجا على بغلة بلا مهماز ولا مقدمة، فاعتقله عنده سبعة أشهر، وأرسل المادل من مصر إلى الناصر يطلب منه أخاه الصالح أيوب ويعطيه مائة ألف دينار، فأجابته إلى ذلك، بل عكس ماطلب منه بإخراج الصالح من سجنه والإفراج عنه وإطلاقه من الحبس يركب ويتزل، فشد ذلك حاربت الملوك من دمشق ومصر وغيرهما الناصر داود، وبرز المادل من الهيكل المصرية إلى بلبس قاصدا قتال الناصر داود، فاضطرب الجيش عليه واختلعت الأرواح، وقيدوا المادل واعتقلوه في خركاه، وأرسلوا إلى الصالح أيوب يستدعونهم إليهم، فاعتنع الناصر داود من إرساله حتى اشترط عليه أن يأخذ له دمشق وحمص وحلب بلاد الجزيرة وبلاد ديار بكر ونصف مملكة مصر، ونصف ما في الخزائن من الحواصل والأموال والجواهر. قال الصالح أيوب: فأجبت إلى ذلك مكرها، ولا تقدر على ماشرط جميع ملوك الأرض، وسرنا فأخذته معي خائفا أن تكون هذه الكائنة من المصريين مكية، ولم يكن لي به حاجة، وذكر أنه كان يسكر ويخبط في الأمور ويخالف في الآراء السديدة. فلما وصل الصالح إلى المصريين ملكوه عليهم ودخل الهيكل المصرية سالما مؤيدا منصورا مظفرا عجبوا مسرورا، فأرسل إلى الناصر داود عشرين ألف دينار فردها عليه ولم يقبلها منه. واستقر ملكه بمصر. وأما الملك الجواد فإنه أساء السيرة في مناجل وصادر أهلها وعسفهم، فكانتوا بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل قصدهم - وقد خرج الجواد للصيد - فأخذ البلد بشير شي وصار الجواد إلى غانة، ثم باعها من الخليفة بعد ذلك.

وفي ربيع الأول درس القاضي الرفيع عبد العزيز بن عبد الواحد الجبلي بالشامية البرانية. وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر دلى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي خطابة جامع دمشق، وخطب الصالح إسماعيل لصاحب الروم بيد دمشق وغيرها، لأنه حالفه على الصالح أيوب. قال أبو شامة: وفي حزيران أيام المشرق جاء مطر عظيم هدم كثيرا من الحيطان وغيرها، وكنت يومئذ بالزرة.

ومن توفي فيها من الأعيان. (صاحب حمص)

الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي، وولد لإيها الملك الناصر صلاح الدين بعد موت أبيه سنة إحدى وخمسين، فكث فيها سبعا وخمسين سنة، وكان من أحسن الملوك سيرة، طهر بلاده من الخمر والمكوس والمنكرات، وهي في غاية الأمن والعدل، لا يجلس أحد من الفرنج ولا العرب يدخل بلاده إلا أهاته غاية الإحسان،

وكانت ملوك بني أيوب يتقونه لأنه يرى أنه أحق بالأمر منهم ، لأن جسده هو الذي فتح مصر ، وأول من ملك منهم ، وكانت وفاته رحمه الله بمحصر ، وعمل عزاءه بجماع دمشق عفا الله عنه .

(القاضي الحواري شمس الدين أحمد بن خليل)

ابن سعادة بن جعفر الحواري قاضي القضاة بدمشق يومئذ ، وكان عالماً بفنون كثيرة من الأصول والفروع وغير ذلك ، وكانت وفاته يوم السبت بعد الظهر السابع من شعبان ، وله خمس وخمسون سنة بالمدرسة المادلية ، وكان حسن الأخلاق جميل المباشرة ، وكان يقول لا أقدر على إيصال المناصب إلى مستحقها ، له مصنفات منها عروض قال فيه أبو شامة :

أحمد بن الخليل أرشده لا • له ما أرشده الخليل بن أحمد

ذلك مستخرج المروض وه • فذا مظهر السرمد والعود أحمد

وقد ولي القضاء بعد رفيع الدين عبد العزيز بن عيد الواحد بن إسماعيل بن عبد الهادي الحبلي مع تدريس المادلية ، وكان قاضياً يميل بك . فأخضره إلى دمشق الوزير أمين الدين الذي كان سارياً فأسلم ، ووزر لصالح إسماعيل ، واتفق هو وهذا القاضي على أكل أموال الناس بالباطل . قال أبو شامة : ظهر منه سوء سيرة وعسف وفق وجور ومصاحرة في الأموال . قلت : وقد ذكر غيره عنه أنه ربما حضر يوم الجمعة في المشهد الكعكي بالشباك وهو سكران ، وأن قتاي الخمر كانت تكون على بركة المادلية يوم السبت ، وكان يتمتع في التركل اعتياداً شيئاً جداً ، وقد علمه الله تعالى بنقيض مقصوده ، وأهلكه الله على يدي من كان سبب سعادته ، كما سيأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستائة ﴾

فيها سلم الصالح إسماعيل صاحب دمشق حصن سيف أربون لصاحب صيدا الفرنجي ، فاشتد الإنكار عليه بسبب ذلك من الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب البلد ، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية ، فاعتقلها مدة ثم أطلقها وألزمها منازلها ، وولى الخطابة وتدرس الفريزية لعماد الدين داود بن هر بن يوسف المتقدمي خطيب بيت الأبار ، ثم خرج الشيخان من دمشق قصد أبو عمرو الناصر داود بالكرك ، ودخل الشيخ عز الدين الهيار المصرية ، فتلقاء صاحبها أيوب بالاحترام والاكرام ، وولاه خطابة القاهرة وقضاء مصر ، واشتغل عليه أهلها فكان من أخذ عنه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى .

وفيها قدم رسول من ملك التتار تولى بن جنكيزخان إلى ملوك الاسلام يدعوهم إلى طاعته

و يأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم . وعنوان الكتاب : من تأتب رب السماء مسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب فان تأن . وكان الكتاب مع رجل مسلم من أهل أصبهان لطيف الأخلق ، فأول ما ورد على شهاب الدين غازي بن العادل بميا فارقين ، وقد أخبر بجانب في أرضهم غريبة ، منها أن في البلاد المتاخمة لحد أعيانهم في مناكبهم ، وأقاربهم في صدورهم ، يأكلون السمك وإذا رأوا أحدا من الناس هربوا . وذكر أن عندهم بزا يلبت الغنم يعيش انخروف منها شهرين وثلاثة ، ولا يقتاسل . ومن ذلك أن بما زندران عينا يطعم فيها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة ، فتقيم طول النهار فإذا غابت الشمس غابت في العين فلا ترى إلى مثل ذلك الوقت ، وأن بعض الملوك احتال ليمسكها بسلال ربطت فيها خنازير وقطعت تلك السلال ، ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلال وهي إلى الآن كذلك . قال أبو شامة : وفيها قلت المياه من السماء والأرض ، وفسد كثير من الزرع والخمار والله أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير .

﴿ يحيى الدين بن عربي ﴾

صاحب الفصوص وغيره ، محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة ، وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلدا ، فيها ما يقل وما لا يقل ، وما ينكر وما لا ينكر ، وما يعرف وما لا يعرف ، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح ، وله كتاب المبادلة ودويان شعر رائق ، وله مصنفات أخر كثيرة جدا ، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته ، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتغال وبه احتفال وجميع ما يقوله احتمال . قال أبو شامة : وله تصانيف كثيرة وعليه التصنيف سهل ، وله شعر حسن وكلام طويل على طريق التصوف ، وكانت له جنازة حسنة ، ودفن بمقبرة القاضى يحيى الدين بن الزكي بقاصيون ، وكانت جنازته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة . وقال ابن السبط كان يقول إنه يحفظ الأسم الأعظم ويقول إنه يعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ، وكان فاضلا في علم التصوف ، وله تصانيف كثيرة .

﴿ القاضى نجم الدين أبو المباس ﴾

أحمد بن محمد بن خاف بن راجح المقدسى الحنبلى الشافى ، المعروف بابن الحنبلى ، كان شيخا فاضلا دينيا بارعا في علم الخلاف ، ويحفظ الجمع بين الصحيحين للحميدى ، وكان متواضعا حسن الأخلاق ، قد طاف البلدان يطلب العلم ثم استقر بدمشق ودرس بالقدواية والصارمية والشامية الجوانية وأم الصالح ، وتاب في الحكم عن جماعة من القضاة إلى أن توفي بها ، وهو نائب الزعيم الحنبلى ، وكانت

وفاته يوم الجمعة سادس شوال ودفن بقاسيون .

﴿ ياقوت بن عبد الله أمين الدين الرومي ﴾

منسوب إلى بيت أتابك ، قدم ببلاد مع رسول صاحب الموصل لؤلؤ . قال ابن السامعي ، اجتمعت به وهو شاب أديب فاضل ، يكتب خطا حسنا في غاية الجودة ، وينظم شعرا جيدا ، ثم روى عنه شيئا من شعره . قال وتوفي في جمادى الآخرة محبوبا .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ﴾

فيها قصد الملك الجواد أن يدخل مصر ليكون في خدمة الصالح أيوب ، فلما وصل إلى الزمل توم منه الصالح أيوب وأرسل إليه كمال الدين ابن الشيخ ليقبض عليه ، فرجع الجواد فاستجار بالناصر داود ، وكان إذ ذاك بالقدس الشريف ، وبعث منه جيشا فالتقوا مع ابن الشيخ فكسروه وأمره فويحه الناصر داود ثم أطلقه ، وأقام الجواد في خدمة الناصر حتى توم منه فقيده وأرسله تحت الحوطة إلى ببلاد ، فأطلقه بطن من العرب عن قوة فلجأ إلى صاحب دمشق مدة ، ثم انتقل إلى الفرنج ، ثم عاد إلى دمشق فحبسه الصالح إسماعيل بمرتا إلى أن مات في سنة إحدى وأربعين كما سيأتي .

وفيها شرع الصالح أيوب في بناء المدارس بمصر ، وبنى قلعة بالجيزة غرم عليها شيئا كثيرا من بيت المال ، وأخذ أملاك الناس وخرب نيفا وثلاثين مسجدا ، وقطع ألف نخلة . ثم أخرجها الترك في سنة إحدى وخمسين كما سيأتي بيانه . وفيها ركب الملك المنصور بن إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص ومعه الحلبيون ، فأقتلوا مع الخوارزمية بأرض حران ، فكسروهم ومزقهم كل ممزق ، وعادوا منصورين إلى بلادهم ، فأصلح شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين مع الخوارزمية وآوامهم إلى بلده ليكونوا من حزبه . قال أبو شامة : وفيها كان دخول الشيخ عز الدين إلى الفيوم المصرية فأكرمه صاحبها وولاه الخطابة بالقلعة وقضاء القضاة بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين المرقع ثم عزل نفسه مرتين وأقطع في بيته رحمه الله تعالى .

قال : وفيها توفي الشمس بن الخباز النحوي الضرير في صابح رجب . والكمال بن يونس النقيبه في النصف من شعبان ، وكافا فاضلا بلهما في قهما . قلت : أما :

﴿ الشمس ابن الخباز ﴾

فهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور بن علي ، الضرير النحوي الموصل المروفي بابن الخباز ، اشتغل بعلم الرماية وحفظ المفصل والافضاح والتسكة والمروض والحسب ، وكان يحفظ الجمل في الفقه وغير ذلك ، وكان شافيا المذهب كثير التواضع والملاح ، وله أشعار جيدة ، وكانت وفاته عاشر رجب وله من العمر خمسون سنة رحمه الله تعالى . وأما :

﴿الكامل بن يونس﴾

فهو موسى بن يونس بن محمد بن نمرة بن مالك العقيلي ، أبو الفتح الموصل شيخ الشافعية بها ، ومدرس بمدة مدارس فيها ، وكانت له معرفة تامة بالأصول والفروع والمقولات والمنطق والحكمة ، ورحل إليه الطلبة من البلدان ، وبلغ ثمانياً وثمانين عاماً ، وله شعر حسن . فن ذلك ما انتدح به البدر لؤلؤ صاحب الموصل وهو قوله :

لئن زينت الدنيا بمالك أمرها • فملكة الدنيا بكم تتشرف

بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ • وسعك مشكور وحكك ينصف

كان مولده سنة إحدى وخمسين وخمسة ، وتوفي لئنصف من شعبان هذه السنة ، رحمه الله تعالى قال أبو شامة : وفيها توفي بدمشق :

﴿عبد الواحد الصوفي﴾

الذي كان قساراهباً في كنيسة حريم سبعين سنة ، أسلم قبل موته بأيام ، ثم توفي شيخاً كبيراً بعد أن أقام بمخافته السيمسالية أيلماً ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكانت له جنازة حافلة ، حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله تعالى .

﴿أبو الفضل أحمد بن اسفنديار﴾

ابن الموفق بن أبي علي البوسنجي الواعظ ، شيخ رباط الأرجوانية . قال ابن الساعي : كان جميل الصورة حسن الأخلاق كثير التودد والتواضع ، متكلماً منفهراً منطقياً حسن المذاكرة جيد الوعظ طيب الانشاد عذب اليراد ، له نظم حسن ، ثم ساق عنه قصيدة يمدح بها الخليفة المستنصر .

﴿أبو بكر محمد بن يحيى﴾

ابن المظفر بن علم بن نعيم المعروف بابن الحسر السلافي ، شيخ عالم فاضل ، كان حنبلياً ثم صار شافعيّاً ، ودرس بمدة مدارس ببغداد لشافعية ، وكان أحد المدعين بها ، تولى مباشرات كثيرة ، وكان قتيها أصولياً علماً باخلاف ، وتقدم بيلده وعظم كثيراً ، ثم استبان ابن فضلان بدار الحرم ، ثم صار من أمره أن درس بالنظامية وخلع عليه بيعة ، وحضر عنده الأعيان ، وما زال بها حتى توفي عن ثمانين سنة ، ودفن بيلاب حرب .

﴿قاضي القضاة ببغداد﴾

أبو المال عبد الرحمن بن مقبل بن علي الواسطي الشافعي ، اشتغل ببغداد وحصل وأعاد في بعض المدارس ، ثم استناب قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر في أيام الخليفة الظاهر بن الناصر ، ثم ولي قضاء القضاة مستقلاً ، ثم ولي تدريس المستنصرية بعد

موت أول من درس بها محي الدين محمد بن فضال ، ثم عزل عن ذلك كله وعن مشيخة بعض الرباط .
ثم كانت وفاته في هذا العام ، وكان فاضلاً ديناً متواضعاً رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(ثم دخلت سنة أربعين وستائة)

فيها توفي الخليفة المستنصر بالله وخلافة والده المستنصر بالله ، فكانت وفاة الخليفة أمير المؤمنين
بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة ، وله من العمر إحدى وخمسون سنة ، وأربعة أشهر وسبعة أيام ،
وكم موته حتى كان إعطاء له على المنابر ذلك اليوم ، وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وعشرة
أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى القرب من الرصافة . وكان جميل
الصورة حسن السيرة جيد السيرة ، كثير الصدقات والبر والصلوات ، محسناً إلى الرعية بكل ما
يقدر عليه ، كان جده الناصر قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة ، فكان ينفق
على حاجتها ويقول : أترى أعيش حتى أملاًها ، وكان المستنصر ينفق على حاجتها ويقول أترى أعيش
حتى أنفقتها كلها . فكان ينفق الرباط والخانات والقنابر في الطرقات من سائر الجهات ، وقد عمل بكل
محلة من محال بغداد دار ضيافة للفقراء ، لا سيما في شهر رمضان ، وكان يتقصد الجوارى اللاتي قد
بلغن الأربعين فيشتريهن له فيمتنهن ويجهزهن ويزوجهن ، وفي كل وقت يبرز صلاته ألوف ممتدة
من الذهب ، تفرق في المحال ببغداد على ذوى الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم ، تقبل الله تعالى
منه وجزاء خيرا ، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، وجعل فيها دار حديث
وحماما ودار طب ، وجعل لمستحقها من الجوامك والأطعمة والحلاوات والفاكهة ما يحتاجون إليه في
أوقاته ، ووقف عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل إن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها .
ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير ، فكانت هذه المدرسة جمالا ببغداد وسائر
البلاد ، وقد احترق في أول هذه السنة المشهد الذي بإسارها المنسوب إلى علي الهادي والحسن
العسكري ، وقد كان بناء أرسلان البساسيري في أيام تغلبه على تلك النواحي ، في حدود سنة خمسين
وأربع مائة ، فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه ، وقد تكلمت الروافض في الاعتذار عن
حريق هذا المشهد بكلام طويل بارد لا حاصل له ، وصنفوا فيه أخبارا وأنشودوا أشعارا كثيرة لا معنى
لها ، وهو المشهد الذي يزعمون أنه يخرج منه المنتظر الذي لأحقية له ، فلا عين ولا أثر ، ولولم يكن لكان
أجدر ، وهو الحسن بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي
ابن محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بكر بلاء بن علي بن أبي طالب رضي الله
عنهم أجمعين ، وقبح من ينلو فهم وينقض بسبهم من هو أفضل منهم .

وكان المستنصر رحمه الله كرميا حليما رئيسا متودعا إلى الناس ، وكان جميل الصورة حسن الأخلاق

جهى المنظر ، عليه نور بيت النبوة رضى الله عنه وأرضاه . وحكى أنه اجتاز راكبا فى بعض أزقة بغداد قبل غروب الشمس من رمضان ، فرأى شيخا كبيرا ومعه إناء فيه طعام قد حمله من محلة إلى محلة أخرى ، فقال : أيها الشيخ لم لأخذت الطعام من محلتك ؟ أوأنت محتاج تأخذ من المحلتين ؟ فقال والله يا سيدى - ولم يعرف أنه الخليفة - ولكنى شيخ كبير ، وقد نزل فى الوقت وأنا أستعى من أهل محلى أن أراحهم وقت الطعام ، فيشمتونى من كل بيضى ، فأنا أذهب إلى غير محلى فأخذ الطعام وأتمين وقت كون الناس فى صلاة المغرب فأدخل الطعام إلى منزلى بحيث لا يراى أحد . فبكى الخليفة رحمه الله وأمر له بألف دينار ، فلما دفعت إليه فرح الشيخ فرحا شديدا حتى قيل إنه انشقق قلبه من شدة الفرح ، ولم يمش بعد ذلك إلا عشرين يوما ، ثم مات تخلف الألف دينار إلى الخليفة ، لأنه لم يترك دارنا . وقد أفتق منها دينارا واحدا ، فتمعجب الخليفة من ذلك وقال : شئ قد خرجنا عنه لا يمود إلينا ، تصدقوا بها على فقراء محلتنا ، فرحمه الله تعالى .

وقد خلف من الاولاد ثلاثة ، اثنان شقيقان وهما أمير المؤمنين المستعصم بالله القى ولى الخلافة بعده وأبو أحمد عبدالله ، والأمر أبو القاسم عبد العزيز وأختهما من أم أخرى كريمة صان الله حجابها . وقد رثاه الناس بأشعار كثيرة أورد منها ابن الساعى قطعة صالحة ، ولم يستوزر أحدا بل أقرأها الحسن محمد بن محمد القى على نيابة الوزارة ، ثم كان بعده نصر الدين أبو الأضر أحمد بن محمد الناقذ القى كان أستاذ دار الخلافة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

﴿ خلافة المستعصم بالله ﴾

أمير المؤمنين وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد ، وهو الخليفة الشهيد القى قتله التتار بأمر هلاكو ابن تولى ملك التتار بن جنكيزخان لعنهم الله ، فى سنة ست وخمسين وستائة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وهو أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله بن أمير المؤمنين المستعصم بالله أبى جعفر المنصور بن أمير المؤمنين الظاهر بالله أبى نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضى بالله أبى محمد الحسن بن أمير المؤمنين المستجد بالله أبى المظفر يوسف بن أمير المؤمنين المقتضى بالله أبى عبد الله محمد بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبى العباس أحمد بن الخليفة المقتدى بأمر الله أبى القاسم عبد الله وبقية نسبه إلى العباس فى ترجمة جده الناصر ، وهؤلاء الذين ذكرناهم كلهم ولى الخلافة يتلو بعضهم بعضاً ، ولم يفتق هذا لأحد قبل المستعصم ، أن فى نسبه ثمانية تسقاوا الخلافة لم يتخلطهم أحد ، وهو التاسع رحمه الله تعالى بهته .

لما توفى أبوه بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة أربعين وستائة استمدى هو من التاج يومئذ بعد الصلاة فبويع بالخلافة ، ولقب بالمستعصم ، وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وشهور ، وقد

أتقن في شبابه تلاوة القرآن حفظاً وتجييداً ، وأتقن العربية وانخط الحسن وغير ذلك من الفضائل على الشيخ فحس الدين أبي المظفر على بن محمد بن النيار أحد أئمة الشافعية في زمانه ، وقد أكرمه وأحسن إليه في خلافته ، وكان المستنعم على ما ذكر كثير التلاوة حسن الأداء طيب الصوت ، يظهر عليه خشوع وإتابة ، وقد نظر في شيء من التفسير وحل المشكلات ، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً مقتباً بأبيه المستنصر جهده وطاقته ، وقد مشت الأمور في أيامه على السداد والاستقامة بحمد الله ، وكان القائم بهذه البيعة المستنصية شرف الدين أبو الفضائل إقبال المستنصرى ، قباية أولاد بنو عمه وأهل من بني المباس ، ثم أعيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومن يمد من أولى الحل والمقد والماسة وغيرهم ، وكان يوماً مشهوراً وجملاً محموداً ورأياً سعيداً ، وأمر آجيداً ، وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار والبلدان والأقطار ، وخطب له في سائر البلدان ، والأقاليم والرساتيق ، وعلى سائر المنابر شرقاً وغرباً ، بمداً وقرناً ، كما كان أبوه وأجداده ، رحمهم الله أجمعين .

وفيها وقع من الحوادث أنه كان بالمرافق وباء شديد في آخر أيام المستنصر وغلا السكر والأدوية فتصدق الخليفة المستنصر بالله رحمه الله بسكر كثير على المرضى ، تقبل الله منه . وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان أذن الخليفة المستنعم بالله لأبي الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي - وكان شاباً طريفاً ضالاً - في الوعظ بباب البعريه ، فتكلم وأجاد وأعاد وامتدح الخليفة المستنعم بقصيدة طويلة فصيحة ، سردها ابن الساعي بكلاماً ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، والشبل في الخير مثل الأسد . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الحلبين وبين الخوارزمية ، ومع الخوارزمية شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ، فكسروهم الحلبيون كسرة عظيمة منكسة ، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً جداً ، ونهبت نصيبين مرة أخرى ، وهذه سابع عشرة مرة نهبت في هذه السنين ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وعاد الغازي إلى ميافارقين وتفرقت الخوارزمية يفسدون في الأرض محبة مقدمهم بركات خان ، لا يبارك الله فيه ، وقدم على الشهاب غازي منشور بمدينة خلاط فتسلمها وما فيها من الخواص . وفيها عزم الصالح أيوب صاحب مصر على دخول الشام فتقبل له إن العساكر مختلفة فجيز عسكراً إليها وأنقم هو بمصر يدبر مملكته .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ المستنصر بالله ﴾

أمير المؤمنين كاهنم . والحرمه المصورة الجلية .

﴿ خاتون بنت عز الدين مسعود ﴾

ابن مودود بن زنكي بن آقسنقر الاباكية واهنة المدرسة الاباكية بالصالحية ، وكانت زوجة

السلطان الملك الأشرف رحمه الله وفي ليلة وفاتها كانت وقفت مدرستها وتربها بالجبل قاله أبو شامة :
ودفنت بها رحمه الله تعالى وقيل منها .

(ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستائة)

فيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق ،
على أن يرد إليه ولده المنيث عمر بن الصالح أيوب المقتل في قلعة دمشق ، وتستقر دمشق في يد
الصالح إسماعيل ، فوقع الصلح على ذلك ، وخطب للصالح أيوب بدمشق ، تخاف الوزير أمين الدولة
أبو الحسن غزال السلطان ، وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر ، فقال لخدمته : لا ترد هذا
النلام لأبيه فخرج البلاد من يدك ، هذا خاتم سليمان بيدك البلاد ، فند ذلك أبطل ما كان وقع من
الصلح ورد النلام إلى القلعة ، وقطعت الخطبة للصالح أيوب ، ووقعت الوحشة بين الملكين ، وأرسل
الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستحضرهم لحصار دمشق فأتاه وإنا إليه راجعون . وكانت الخوارزمية قد
فتحوا في هذه السنة بلاد الروم وأخضوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين ، وكان قليل العقل يلعب
بالكلاب والسباع ، ويسلمها على الناس ، فاتفق أنه عضه سبع فأت فتغلبوا على البلاد حينئذ .
وفيها احتبط على أعوان القاضي الرفيع الجلي ، وضرب بعضهم بالمقارع ، وصودروا ورسم على
القاضي الرفيع بالمدرسة القديمة داخل باب الفارديس ، ثم أخرج ليلا وذهب به فسجن بمنارة أقمته من
نواحي البقاع ، ثم أقطع خبره . وذكر أبو شامة أنه توفي ، ومنهم من قال إنه ألقى من شاق ، ومنهم
من قال خنق ، وذلك كله بذي الحجة من هذه السنة . وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين منه قرئ
منشور ولاية القضاء بدمشق لحي الدين بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي ، بالشباك الكمال
من الجامع ، كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة . وزعم السبط أن عزله إنما كان في السنة
الآتية ، وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له : إنه قد أورد إلى خزانته من
الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس . فأنكر الصالح ذلك ، ورد عليه الجواب أنه لم يرد سوى
ألف ألف درهم ، فأرسل القاضي يقول فأتا أحاقق الوزير ، وكان الصالح لا يخالف الوزير ، فأشار
حينئذ على الصالح فزله لتبرأ ساحة السلطان من شناعات الناس ، فزله وكان من أمره ما كان .
وفوض أمر مدرسه إلى الشيخ تقي الدين ابن الصلاح فعين العادلية لجمال التفليس ، والمناووية
لحي الدين بن الزكي الذي ولي القضاء بعده ، والأمنية لابن عبد الكافي ، والشامية البرانية لتقي
الحوى ، وقيب القاضي الرفيع وأسقط عدالة شهوده ، قال السبط : أرسله الأمين مع جماعة على بطل
يا كلف لبعض النصارى إلى منفارة أقمته في جبل لبنان من ناحية الساحل ، فأقام بها أياما ثم أرسل
إليه عدلين من بلبك ليشهدا عليه ببيع أملاكه من أمين الدولة ، قد كرا أنها شاهداه وعليه

مخفية وقندورة ، وأنه استطعما شيئا من الزاد وذكر أن له ثلاثة أيام لم يأكل شيئا ، فأطعماه من زوايتهما وشهدا عليه وانصرفا ، ثم جاءه داود النصراني فقال له قم فقد أمرنا بملكك إلى بعلبك ، فأيقن بالملك حينئذ ، فقال دعوني أصلي ركعتين ، فقال له قم ، فقام يصلي فأطال الصلاة فرفسه النصراني فألقاه من رأس الجبل إلى أسفل الوادي اتقى هناك ، فما وصل حتى تقطع ، وحكى أنه تعلق ذيله بسن الجبل فما زال داود يرميه بالحجارة حتى ألقاه إلى أسفل الوادي ، وذلك عند السقيف المطل على نهر إبراهيم . قال السبط : وقد كان فاسد العقيدة دهريا مستهزئا بأمور الشرع ، فخرج إلى المجلس مسكرانا ويحضر إلى الجمعة كذلك ، وكانت داره كالحلقات . فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال : وأخذ الموفق الواسطي أحد أمنائه . وكان من أكبر البلايا - أخذ لنفسه من أموال الناس ستمائة ألف درهم ، فموجب عقوبة عظيمة حتى أخذت منه ، وقد كسرت ساقه ومات تحت الضرب ، فألقي في مقابر اليهود والنصارى ، وأكلته الكلاب .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ فحس الدين أبو الفتح ﴾

أسعد بن المنجي التنوخي الممرى الحنبلي ، قاضي حران قديما ، ثم قدم دمشق ودرس بالمسارية وتولى خدمات في الدولة المظمية ، وكانت له رواية عن ابن صابر والقاضيين الشيزوري وابن أبي عمرون ، وكانت وفاته في سابع وبيع الأول من هذه السنة رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الحافظ الصالح ﴾

تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفي ، كان يدرى الحديث وله به معرفة جيدة ، أتى عليه أبو شامة وصلى عليه بجامع دمشق ودفن بقاسيون رحمه الله .

﴿ واقف الكردسية ﴾

محمد بن عقيل بن كروس ، جمال الدين محاسب دمشق ، كان كياسا متواضعا ، توفي بدمشق في شوال ودفن بداره التي جعلها مدرسة ، وله دار حديث رحمه الله تعالى وعفا عنه .

﴿ الملك الجواد يونس بن عمود ﴾

ابن العادل أبي بكر بن أيوب الملك الجواد ، وكان أبوه أكبر أولاد العادل ، تقلبت به الأحوال وملك دمشق بعد عمه الكامل محمد بن العادل ، وكان في نفسه جيذا محبا للصالحين ، ولكن كان في بابه من يظلم الناس وينسب ذلك إليه ، فأبغضته العامة وسبوه وأجلبوه إلى أن قاىض بدمشق الملك الصالح أيوب بن الكامل إلى سنجار وحصن كيفا ، ثم لم يحفظهما بل خرجتا عن يده ، ثم أكل به الحال إلى أن سجنه الصالح إسماعيل بمحسن عزنا ، حتى كانت وفاته في هذه السنة ، ونقل في شوال إلى تربة المعظم بسفح قاسيون ، وكان عنده ابن يضور متقلبا نحوه الصالح إسماعيل إلى قلعة دمشق ، فلما

ملكها الصالح أيوب قله إلى الحيار المصرية وشقته مع الأمين غزال وزير الصالح إسماعيل ، على قلعة القاهرة ، جزاء على صنمها في حق الصالح أيوب رحمه الله تعالى . أما ابن ينفور فانه عمل عليه حتى حول ملك دمشق إلى الصالح إسماعيل ، وأما أمين الدولة فانه منع الصالح من تسليم ولده عمر إلى أبيه فانتقم منهما بهنا ، وهو ممنور بذلك

(مسعود بن أحمد بن مسعود)

ابن مازة الحارثي أحد الفقهاء الحنفية الفضلاء ، وله علم بالتفسير وعلم الحديث ، ولديه فضل غزير قدم بغداد بحجة رسول التتار الحج ، فحبس مدة ستين ثم أفرج عنه ، فخرج ثم عاد ، فقتل ببغداد في هذه السنة ، رحمه الله تعالى (أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسن)

ابن الحسين بن علي بن محمد البطرقي بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدي الحلبي ، ثم الواسطي ، ثم البغدادى ، الكاتب الشاعر الشعبي ، قبه الشيعة ، أقام بمشق مدة وامتنح كثير آمن الأمراء والملوك ، منهم الكامل صاحب مصر وغيره ، ثم عاد إلى بغداد فكان يشغل الشيعة في مذهبهم ، وكان فضلاً ذكياً جيد النظم والنثر ، لكنه مخذول محبوب عن الحق . وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من أشعاره الفدائية على غزارة مادته في العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة)

فيها استوزر الخليفة المستنعم بالله مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد الملقى المشؤم على نفسه ، وعلى أهل بغداد ، الذى لم يعصم المستنعم في وزارته ، فانه لم يكن وزير صدق ولا مرضى الطريقة ، فانه هو الذى أعلن على المسلمين في قضية هولاكو وجنوده قبه الله وإيام ، وقد كان ابن الملقى قبل هذه الوزارة أستاذ دار الخلافة ، فلما مات نصر الدين محمد بن الناصر استوزر ابن الملقى وجعل مكانه في الاستاذارية الشيخ محي الدين يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان من خيار الناس ، وهو واقف الجوزية التى بالقشايين بمشق قبل الله منه . وفيها جعل الشيخ شمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن التيامن مؤدب الخليفة شيخ الشيوخ ببغداد ، وخلع عليه ، ووكل الخليفة عبد الوهاب ابن المطهر وكالة مطلقة ، وخلع عليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر استقدمهم ليستجدهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق بمقرنوا على غرة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال والأقشاة والمساكن ، فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك ، والمنصور صاحب حمص ، مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتلاً شديداً ، فهزمتهم الخوارزمية كسرة منكزة فظيمة ، هزمت الفرنج بصلبائها وراياتها العالية ، على رؤس أطلاب المسلمين ، وكانت كؤوس الحر دائرة بين الجيوش فثبت كؤوس

الموتون عن كوثس الزرجون ، قتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألف ، وأسروا جماعة من ملوكهم وقبوسهم وأساقفتهم ، وخلقوا من أمراء المسلمين ، وبنوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر ، وكان يومئذ يوما مشهودا وأمرا محمودا ، وفقه الحمد . وقد قال بعض أمراء المسلمين قد علت أمانا وقفنا تحت صلبان الفرنج أنا لا نخلع . وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كان معهم شيئا كثيرا ، وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرها ، فحاصرها الصالح إسماعيل وخرب من حولها رباعا كثيرة ، وكسر جسر باب توما فصار النهر قتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة ، ففرق جميع ما كان بينهما من العمران ، واقتصر كثير من الناس ، فأنفق الله وإنا إليه راجعون .
ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الملك المنيث عمر بن الصالح أيوب ﴾

كان الصالح إسماعيل قد أسره وسجنه في برج قلعة دمشق ، حين أخفها في غيبة الصالح أيوب . فاجتهد أبوه بكل ممكن في خلاصه فلم يقدر ، وعارضه فيه أمين الدولة غزال المسلماني ، واقف المدرسة الأمينية التي يبعلبك ، فلم يرزل الشاب محبوسا في القلعة من سنة ثمان وثلاثين إلى ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر من هذه السنة ، فأصبح ميتا في محبسه غما وحزنا ، ويقال إنه قتل فأنفق الله . وكان من خيار أبناء الملوك ، وأحسنهم شكلا ، وأكملهم عقلا . ودفن عند جده الكامل في تربته شالي الجامع ، فاشتد حنق أبيه الصالح أيوب على صاحب دمشق . ومن توفي فيها شيخ الشيوخ بدمشق : ﴿ تاج الدين أبو عبد الله بن عمر بن حويه ﴾

أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين ، له كتاب في ثمانى مجلدات ، ذكر فيه أصول ، وله السياسة الملوكية صنفها لكامل محمد وغير ذلك ، وصمم الحديث وحفظ القرآن ، وكان قد بلغ الثمانين ، وقيل إنه لم يبلغها ، وقد سافر إلى بلاد المغرب في سنة ثلاث وتسعين ، واتصل بمراكش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، فأقام هناك إلى سنة ستائة ، قدم إلى ديار مصر وولى مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حويه رحمه الله تعالى .

﴿ الوزير نصر الدين أبو الأظهر ﴾

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد النافذ البغدادى وزير المستنصر ثم ابنه المستنصر ، كان من أبناء التجار ، ثم توصل إلى أن وزر لهدن الخليفتين ، وكان فاضلا بارعا حافظا للقرآن كثير التلاوة ، نشأ في حشمة باذخة ، ثم كان في وجاهة هائلة ، وقد أقصد في آخر أمره ، وهو مع هذا في غاية الاحترام والاكرام ، وله أشعار حسنة أورد منها ابن الساعي قطعة صالحة ، توفي في هذه السنة وقد جاوز الخمسين رحمه الله تعالى . ﴿ حبيب النقباء خطيب الخطباء ﴾

وكيل الخلفاء أبو طالب الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن معين بن هبة الله بن محمد بن علي

ابن الخليفة المهتدى بالله العباسي ، كان من سادات العباسيين وأئمة المسلمين ، وخطباء المؤمنين ، استمرت أحواله على السداد والصلاح ، لم ينقطع قط عن الخطابة ولم يمرض قط حتى كانت ليلة السبت الثامن والعشرين من هذه السنة ، قام في أثناء الليل لبضع حاجاته فسقط على أم رأسه ، فسقط من فيه دم كثير وسكت فلم ينطق كلمة واحدة يومه ذلك إلى الليل ، فأت وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى وعفا عنه عنه وكرمه .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستائة ﴾

وهي سنة الخوارزمية ، وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركت خان في حجة معين الدين ابن الشيخ ، فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح أبا الجيش صاحب دمشق ، وحرق قصر حجاج ، وحكر البلق ، وجامع جراح خارج باب الصغير ، ومساجد كثيرة ، ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ، ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضاً ، وترأى الفريقان وأرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق وأرسل يقول : اشتغاك بهذا أولى من اشتغاك بمحاصرة الملوك ، فأرسل إليه معين بنبر وجنك وغلاة حرير أحر وأصفر ، وأرسل يقول له : أما السجادة فاتها تصلح لي ، وأما أنت فهذا أولى بك . ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق ، وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل ، وأمتد الحريق في رفق الزمان إلى القعبية فأحرقت بأسرها ، وقطعت الأنهار وغلت الأسعار ، وأخيفت الطرق وجرى بدمشق أمور بشعة جدا ، لم يتم عليها قط ، وأمتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادى الأولى ، فأرسل أمين الدولة يطلب من ابن الشيخ شيئا من ملابسه ، فأرسل إليه بخرجية وعلمة وقيص ومنديل ، فليس ذلك الأمين وخرج إلى معين الدين ، فاجتمع به بعد العشاء طويلا ، ثم علا ثم خرج مرة أخرى فاتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب ، فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بلبك ودخل معين الدين ابن الشيخ قنزل في دار أسامة ، فولى وعزل وقطع ووصل ، وفرض قضاء القضاة إلى صدر الدين بن سفي الدولة ، وعزل القاضي محي الدين بن الزكي ، واستناب ابن سفي الدولة التتليسي الذي قاب لابن الزكي والفرز السنجاري ، وأرسل معين الدين ابن الشيخ أمين الدولة غزال ابن السلطان وزير الصالح إسماعيل تحت الحوطة إلى الفيلا المصرية .

وأما الخوارزمية فاتهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح ، فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وماروا نحو داريا قهوبها وساقوا نحو بلاد الشرق ، وكتبوا الصالح إسماعيل لحالفه على الصالح أيوب ، ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه ، وعلت الخوارزمية فحاصروا دمشق ، وجاء إليهم الصالح

إسماعيل من بعلبك فضايق الحال على الدماشقة ، فهدمت الأموال وغلت الأسعار جدا ، حتى إنه بلغ ثمن النراة ألف وسبائة ، وقطار الدقيق تسبائة ، والخبز كل وقتين إل أربع بدرهم ، ورطل اللحم بسبعة وييمت الأملاك بالدقيق ، وأكلت القطاط والكلاب والميتات والجيفات ، وتماوت الناس في الطرقات وعجز عن التنفيل والتكفين والاقبار ، فكاثروا يلقون موتاهم في الآبار ، حتى أتت المدينة وضجر الناس ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي هذه الأيام توفي الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، شيخ دار الحديث وغيرها من المدارس ، فأنخرج من باب الفرج إلا بعد جهد جهيد ، ودفن بالصوفية رحمه الله

قال ابن السبط : ومع هذا كانت الخمر دائرة والفسق ظاهراً ، والمكوس يحملها وذكر الشيخ شهاب الدين أن الأسعار غلت في هذه السنة جداً ، وهلك الصماليك بالطرقات ، كثروا يسألون لقمة ثم صاروا يسألون لبابة ثم تنازلوا إلى فلس يشترون به نخلة يبلونها أو يأكلونها ، كالجباج . قال : وأنا شاهدت ذلك . وذكر تفاصيل الأسعار وغلها في الأطلمة وغيرها ، ثم زال هذا كله في آخر السنة بعد عيد الأضحى والله الحمد .

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد مالوا عليه وصالحوه معه الصالح إسماعيل ، كاتب الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، فاستأله إليه وقوى جانب نائب دمشق معين الدين حسين ابن الشيخ ، ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة كما سيأتي في الوفيات . ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالة الصالح إسماعيل شرع في جمع الجيوش من الحلبيين والتركمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية ، وحصارهم إياها ، فبلغ ذلك الخوارزمية تخافوا من غائلة ذلك ، وقالوا دمشق مأفوت ، والمصالحة قتاله عند بلده ، فساروا إلى بحيرة حمص ، وأرسل الناصر دواد جيشه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية ، وساق جيش دمشق فأنضافوا إلى صاحب حمص ، والتفوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص ، وكان يوما مشهوداً ، قتل فيه عامة الخوارزمية وقتل ملكهم بركلخان ، وجنى برأسه على رمح ، ففرق شملهم وتمزقوا شفر منفر ، وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فقتلها الصالح أيوب ، وجاء إلى دمشق فتزل بيستان سامة خيمة للصالح أيوب ، ثم حدثته نفسه بأخنها فأتفق مرضه ، فأت رحمه الله في السنة الآتية بموت إلى حمص ، فكانت مدة ملكه بعد أبيه عشرين سنين ، وقام من بعده فيها ابنه الملك الأشرف مدة سنتين ، ثم أخذت منه على مسأني وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك وبصرى ، ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلدياوى إليه ولا أهل ولا ولد ولا مال ، بل أخذت جميع أمواله وقتلت عياله تحت الحوطة إلى الهير المصرية ، وسار هو فاستنجد بالملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب ، فأوآه وأكرمه واحترمه ، وقال

الابنك لؤلؤ الحلبي لابن أستاذ الناصر، وكان شاباً صغيراً : انظر إلى عاقبة الظلم . وأما الخوارزمية فاتهم ساروا إلى ناحية الكرك فأكرمهم الناصر داود صاحبها ، وأحسن إليهم وصاهرهم وأنزلهم بالصلت فأخذوا معها نابلس ، فأرسل إليهم الصالح أيوب جيشاً مع نغر الدين ابن الشيخ فسكرهم على الصلت وأجلام عن تلك البلاد ، وحاصر الناصر بالكرك وأهانته غاية الاهانة ، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية فدخل دمشق في أبهة عظيمة ، وأحسن إلى أهلها ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، وسار إلى بعلبك و إلى بصرى و إلى صرخد ، فقتلها من صاحبها عز الدين أيك المعظمي ، وعرضه عنها ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً . وهذا كله في السنة الآتية . وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله ، فسكرهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم ، وهزموا من بين أيديهم ، فلم يلحقوهم ولم يقيموم ، خوفاً من عاقلة مكرم ومعلما بقوله ﷺ « اتركوا الترك ما تركوكم » . وفي هذه السنة ظهر بيلاد خوزستان على شق جبل داخله من الابنية الغربية المعجبة ما يحار فيه الناظر ، وقد قيل إن ذلك من بناء الجن ، وأورد صفته ابن الساعي في تاريخه

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

(الشيخ تقي الدين ابن الصلاح)

عنان بن عبد الرحمن بن عنان الامام العلامة ، مفتي الشام ومحدثها ، الشهرزوري ثم القمطي ، جمع الحديث ببلاذ الشرق وتفتح هناك بالموصل وحلب وغيرها ، وكان أبوه مديراً بالأندية التي بحلب ، ووافها أسد الدين شيركوه ابن شاذي ، وقدم هو الشام وهو في عداد الفضلاء الكبار . وأقام بالقدس مدة ودرس بالصلاحية ، ثم تحول منه إلى دمشق ، ودرس بالرواحية ثم بدار الحديث الأشرفية ، وهو أول من وليها من شيوخ الحديث ، وهو الذي صنف كتاب وقها ، ثم بالشامية الجوانية ، وقد صنف كتباً كثيرة مفيدة في علوم الحديث والفقہ [وله] تعاليق حسنة على الوسيط وغيره من الفوائد التي برحل إليها . وكان ديناً زاهداً ورعاً ناسكاً ، على طريق السلف الصالح ، كما هو طريقة متأخرى أكثر الحديثين ، مع الفضيلة النامة في فنون كثيرة ، ولم يزل على طريقة جيدة حتى كانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرفية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين وستائة ، وصلى عليه بجامع دمشق وشيخه الناس إلى داخل باب الفرج ، ولم يمكنهم البروز لفأهمه لحصار الخوارزمية ، وما صحبه إلى جبانة الصوفية إلا نحو العشرة رحمه الله وتعمده برضوانه . وقد أنشئ عليه القاضى شمس الدين بن خلسكان ، وكان من شيوخه . قال السبط أنشدني الشيخ تقي الدين من لفظة رحمه الله :

احذر من الواوآت أربعة * فمن الخوف
واو الرصية والوديمة * والوكالة والوقوف

وحكى ابن خلكان عنه أنه قال : ألهمت في المنام هؤلاء الكلمات : ادفع المسألة ما وجدت
التحمل يمكنك فان لكل يوم رزقا جديدا ، والالطاح في الطلب يذهب البهاء ، وما أقرب الصنيع
من الملهوف ، وربما كان السر نوعا من آداب الله ، والمخطوط مراتب فلا تسجل على ثمرة قبل أن
تدرك فانك ستلتها في أوانها ، ولا تسجل في حوائجك فتضيق بها ذرعا ، وينشاك القنوط .

(ابن النجار الحافظ صاحب التاريخ)

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ابن النجار ، أبو عبد الله البغدادي الحافظ
الكبير ، سمع الكثير ورحل شرقا وغربا ، ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسة مائة ، وشرع في كتابة التاريخ
وعمره خمسة عشر سنة ، والقراءات وقرأ بنفسه على المشايخ كثيرا حتى حصل نحو من ثلاثة آلاف
شيخ ، من ذلك نحو من أربع مائة امرأة ، وتقرب ثمانيا وعشرين سنة ، ثم جاء إلى بغداد وقد جمع
أشياء كثيرة ، من ذلك القمر النير في المسند الكبير ، يذكر لكل محب ما روى . وكثر الأيام
في معرفة السنن والأحكام ، والختاف والمؤتلف ، والسابق واللاحق ، والمتفق والمفترق ، وكتب
الألقاب ، ونهج الاصابة في معرفة الصحابة ، والكافي في أسماء الرجال ، وغير ذلك مما لم يتم أكثره
وله كتاب القيل على تاريخ مدينة السلام ، في ستة عشر مجلدا كاملا ، وله أخبار مكة والمدينة وبيت
القدس ، وغرر الفوائد في خمس مجلدات ، وأشياء كثيرة جدا سردها ابن الساعي في ترجمته ،
وذكر أنه لما عاد إلى بغداد عرض عليه الاقامة في المدارس فأبى وقال : معي ما أستغني به عن ذلك
فاشترى جارية وأولدها وأقام برهة ينفق مدة على نفسه من كسبه ، ثم احتاج إلى أن نزل مجددا في
جماعة المحدثين بالمدرسة المستنصرية حين وضعت ، ثم مرض شهرين وأوصى إلى ابن الساعي في أمر
تركته وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس من شعبان من هذه السنة ، وله من العمر خمس وسبعون سنة
وصلى عليه بالمدرسة النظامية ، وشهد جنازته خلق كثير ، وكان ينادى حول جنازته هذا حافظ
حديث رسول الله ﷺ ، الذي كان ينفي الكفب عنه . ولم يترك وارثا ، وكانت تركته عشرين
دينارا وثياب بدته ، وأوصى أن يتصدق بها ، ووقف خزانتي من الكتب بالنظامية تساوي ألف
دينار ، فأنفى ذلك الخليفة المستعصم ، وقد أنفق عليه الناس وروثه بمرات كثيرة ، سردها ابن
الساعي في آخر ترجمته (الحافظ ضياء الدين المتقي)

ابن الحافظ محمد بن عبد الواحد ^(١) مع الحديث الكثير وكتب كثيرا وطوف وجمع وصنف

(١) يفيض بجميع الأصول .

وألف كتباً مفيدة حسنة كثيرة الفوائد ، من ذلك كتاب الأحكام ولم يشبهه ، وكتاب المختارة وفيه علوم حسنة حديثة ، وهي أجود من مستدرك الحاكم لو كمل ، وله فضائل الأعمال وغير ذلك من الكتب الحسنة الدالة على حفظه وإطلاعه وتضلعه من علوم الحديث متناً وإسناداً . وكان رحمه الله في غاية العبادة والزهادة والورع والخير ، وقد وقف كتباً كثيرة عظيمة نظراً إلى المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من المحدثين والفقهاء ، وقد وقفت عليها أوقاف أخرى كثيرة بعد ذلك .

(الشيخ علم الدين أبو الحسن السخاوي)

على بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد النقيب المهداني المصري ، ثم الحمصي شيخ القراء بدمشق ، ختم عليه ألوف من الناس ، وكان قد قرأ على الشاطبي وشرح قصيدته ، وله شرح المفصل وله تفاسير وتصانيف كثيرة ، ومدائح في رسول الله ﷺ ، وكانت له حلقة يجتمع دمشق ، وولى مشيخة الإقراء بقرية أم الصالح ، وبها كان مسكنه وبه توفي ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون . وذكر القاضى ابن خلكان أن موافق سنة ثمان وخمسين وخمسة و ذكر من شعره قوله :

قالوا غدا فأني ديار الحلي • وينزل الركب بمقتام
وكل من كان مطيعاً لهم • أصبح مسروراً بليقām
قلت فلي ذنب فما حيلتي • بأى وجه أتلقām
قالوا أليس المعنوم شأنهم • لا سيما عن ترجمām
(ربيعة خاتون بنت أيوب)

أخت السلطان صلاح الدين ، زوجها أخوها أولاً بالأمر سعد الدين مسعود بن معين الدين وتزوج هو بأخته عصبة الدين خاتون ، التي كانت زوجة الملك نور الدين واهبة الخاتونية الجوانية ، والمخاضة البرانية ، ثم لما مات الأمير سعد الدين زوجها من الملك مظفر الدين صاحب إربل ، فأقامت عنده بإربل أربعين سنة حتى مات ، ثم قسمت دمشق فسكنت بدار العقيق حتى كانت وفاتها في هذه السنة وقد جاوزت الثمانين ، ودفنت بقاسيون ، وكانت في خدمتها الشيخة الصالحة المائلة أمة العفيف بنت الناصح الحنبلي ، وكانت فاضلة ، ولها تصانيف ، وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الخنابلة ، ووقفت أمة العفيف على الخنابلة مدرسة أخرى وهي الآن شرق الرباط الناصري ، ثم لما ماتت الخاتون وقعت المائلة بالمصادرات وحسبت مائة ثم أخرج عنها وتزوجها الأشرف صاحب حمص ، وسافرت معه إلى الرحبة وتل راشد ، ثم توفيت في سنة ثلاث وخمسين ، ووجد لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة ، تقارب ستمائة ألف درهم ، وغير

الأملاك والأوقاف رحماً الله تعالى .

﴿ معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ ﴾

وزر الصالح نجم الدين أيوب ، أرسله إلى دمشق فحاصرها مع الخوارزمية أول مرة حتى أخذها من يد الصالح إسماعيل ، وأقام بها ثاقباً من جهة الصالح أيوب ، ثم ملأ الخوارزمية مع الصالح إسماعيل عليه فحصره بدمشق ، ثم كانت وفاته في العشر الآخر من رمضان هذه السنة ، عن ست وخمسين سنة ، فكانت مدة ولايته بدمشق أربعة أشهر ونصف . وصلى عليه بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين . وفيها كانت وفاة واقف القليجية لحنفية . وهو الأمير :

﴿ سيف الدين بن قليج ﴾

ودفن بقرية التي بمدرسته المذكورة ، التي كانت سكنه بدار فلوس قبيل الله تعالى منه . وخطيب الجبل شرف الدين عبد الله بن الشيخ أبي عمر رحمه الله . والسيف أحمد بن عيسى بن الامام موفق الدين بن قدامة . وفيها توفي إمام الكلاسة الشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أبي جعفر مسند وقته ، وشيخ الحديث في زمانه رواية وصلاً رحمه الله تعالى . والمحدثان الكبيران الحافظان المفيدان شرف الدين أحمد بن الجوهري وتاج الدين عبد الجليل الأبهري .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة ﴾

فيها كسر المنصور الخوارزمية عند بحيرة حمص واستقرت يد نواب الصالح أيوب على دمشق وبعلبك وبصرى ، ثم في جمادى الآخرة كسر نجر الدين بن الشيخ الخوارزمية على الصلت كسرة فرق بقية فحملهم ، ثم حاصر الناصر بالكرك ورجع عنه إلى دمشق . وقدم الصالح أيوب إلى دمشق في ذي القعدة فأحسن إلى أهلها وتسلم هذه المدن المذكورة ، وانزع صرخد من يد عز الدين أيك ، وعرضه عنها ، وأخذ الصلت من الناصر داود بن المظم وأخذ حصن الصبية من السعيد بن العزيز بن العادل ، وعظم شأنه جداً ، وزار في رجوعه بيت المقدس وتقدأحواله وأمر بإعادة أسواره أن تعمّر كما كانت في الدولة الناصرية ، فأحرق القدس ، وأن يصرف الخراج وما يتحصل من غلات بيت المقدس في ذلك ، وإن عاز شيئاً صرفه من عنده . وفيها قدمت الرسل من عند البابا الذي التنصاري يخبر بأنه قد أباح دم الأبدور ملك الفرنج لهماونه في قتل المسلمين ، وأرسل طائفة من عنده ليقنلوه ، فلما انتهوا إليه كان استمدحهم وأجلس ملوكاً على السرير فاعتقدوه الملك قنلوه ، فشد ذلك أخذهم الأبدور فصلهم على باب قصره بعد ما ذبحهم وسلخهم وحشوا جلودهم تيناً ، فلما بلغ ذلك البابا أرسل إليه جيشاً كثيفاً لقتله فأوقع الله الخلف بينهم بسبب ذلك ، وله الحد والمنة .

وفيها هبت ريح عاصفة شديدة بمكة في يوم الثلاثاء من عشر ربيع الآخر ، فألقت ستارة

الكعبة المشرفة ، وكانت قد عتقت ، فاتها من سنة أربعين لم تجد لدم الحجاج في تلك السنين من ناحية الخليفة ، فاسكنت الريح إلا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ، وكان هذا فألا على زوال دولة بني العباس ، ومنذراً بما سيقع بعد هذا من كاثمة التتار لنهم الله تعالى . فاستأذن نائب الجن عمر بن سول شيخ الحرم المكي في أن يكسو الكعبة ، فقال لا يكون هذا إلا من مال الخليفة ، ولم يكن عنده مال فافترض ثلثمائة دينار واشترى ثياب قطن وصنعها سواداً وركب عليها طرازاتها العتيقة وكسوها بالكعبة ومكثت الكعبة ليس عليها كسوة إحدى وعشرين ليلة . وفيها فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد الملقب بدار الوزارة ، وكانت في نهاية الحسن ، ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة شيء كثير ، وامتدحها الشعراء بأبيات وقصائد حسنا وفي أواخر ذي الحجة طهر الخليفة المستنصر بالله وفيه الأمير بن أبا العباس أحمد ، وأبا الفضائل عبد الرحمن ، وعملت ولأثم فيها كل أفراس ومسرة ، لا يسمع بمثلا من أزمان متطاولة ، وكان ذلك وداعا لمسرات بغداد وأهلها في ذلك الزمان .

وفيها احتاط الناصر داود صاحب الكرك على الأمير عماد الدين داود بن موسك بن حسكر ، وكان من خيار الأمراء الأجواد ، واصطفى أمواله كلها وسجنه عنده في الكرك ، فنفع فيه نحر الدين ابن الشيخ لما كان محاصره في الكرك فأطلقه ، فخرجت في حلقه جراحة فبطها فأت ودفن عند قبر جعفر والشهداء بموته رحمه الله تعالى .

وفيها توفي ملك الخوارزمية قبلًا بركت خان لما كسرت أصحابه عند بحيرة حصص كما تقدم ذكره
 ﴿ الملك المنصور ﴾

ناصر الدين إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حصص بدمشق ، بعد أن سلم بملك لصالح أيوب ، ونقل إلى حصص ، وكان نزوله أولاً ببستان سامة ، فلما مرض حمل إلى الدهشة ببستان الأشرف بالتبريد فأت فيه . وفيها توفي .

﴿ الصائغ محمد بن حسان ﴾

ابن رافع العامري الخطيب ، وكان كثير السماع مستمداً ، وكانت وفاته بقصر حجاج رحمه الله تعالى .
 ﴿ الفقيه العلامة محمد بن محمود بن عبد المنعم ﴾

الرامي الحنبلي وكان فاضلاً ذا فنون ، أتى عليه أبو شامة . قال : صحبته قد بما ولم يترك بعده بدمشق مثله في الخناقة ، وصلى عليه بمجامع دمشق ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

﴿ والضياء عبد الرحمن التتاري ﴾

المالكي القوي وظائف الشيخ أبي عمرو ابن الحلاج حين خرج من دمشق سنة ثمان

وثلاثين وجلس في حلقاته ودرس مكانه زاوية المالكية والفتية تاج الدين إسماعيل بن جميل بحلب ، وكان فاضلاً ديناً سليم الصدر رحمه الله .

﴿ تم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة ﴾

فيها كان عود السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل من الشام إلى الديار المصرية ، وزار في طريقه بيت المقدس وفرق في أهله أموالاً كثيرة ، وأمر بإعادة سورة كما كان في أيام عم أبيه الملك الناصر فتح القدس . ونزل الجيوش لحصار الفرنج ففتحت طبرية في عاشر صفر وفتحت عسقلان في أواخر جمادى الآخرة ، وفي رجب عزل الخطيب عماد الدين داود بن خطيب بيت الأبار عن الخطابة بجامع الأموي ، وتدرّس الغزالية ، وولى ذلك القاضي عماد الدين بن عبد الكريم بن الحرساني شيخ دار الحديث بعد ابن الصلاح . وفيها أرسل الصالح أيوب يطلب جماعة من أعيان المعاشقة اتهموا بملاحة الصالح إسماعيل ، منهم القاضي يحيى الدين بن الزكي ، وبنو صصري وابن الهادي الكاتب ، والحلي مملوك الصالح إسماعيل ، والشهاب غازي والي بصرى ، فلما وصلوا إلى مصر لم يكن إليهم شيء من العقوبات والاهانة ، بل خلع على بعضهم وتركوا باختيارهم مكرمين .

﴿ الحسين بن الحسين بن علي ﴾

ابن حمزة المولود الحسيني ، أبو عبد الله الأنصاري النقيب قطب الدين ، أصله من الكوفة وأقام ببغداد ، وولى النقابة ، ثم اعتقل بالكوفة ، وكان فاضلاً أديباً شاعراً مطبقاً ، أورد له ابن الساعي أشعاراً كثيرة رحمه الله .

﴿ الشلوين النحوي ﴾

هو عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي ، أبو علي الأنديلي الأشبيلي ، المعروف بالشلوين . وهو بلغة الأنديسين الأبيض الأشقر . قال ابن خلكان : ختم به أئمة النحو ، وكان فيه فضل ، وذكر له شعراً ومصنفات ، منها شرح الجزولية وكتاب التوطئة . وأرخ وفاته بهذه السنة . وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى وعفا عنه .

﴿ الشيخ علي المعروف بالحريري ﴾

أصله من قرية بسر شرق ذراع ، وأقام بدمشق مدة يعمل صنعة الحرير ، ثم ترك ذلك وأقبل يعمل الفقري على يد الشيخ علي المغربي ، وابتقى له زاوية على الشرف القبلي ، وهدرت منه أفصال أنكرها عليه الفقهاء ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، والشيخ أبي عمرو بن الحجاب شيخ المالكية وغيرهم ، فلما كانت الدولة الأشرفية حبس في قلعة عز لمدة ستين ثم أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق ، فلزم ببلده بسر مدة حتى كانت وفاته في

هذه السنة ، قال الشيخ شهاب الدين أبوشامة في القيل : وفي رمضان أيضاً توفي الشيخ على المعروف بالحري المقيم بقرية بسر في زاويته ، وكان يتردد إلى دمشق ، وتبعه طائفة من الفقراء وم المعروفون بأصحاب الحري أصحاب المناق الشرعية ، وباطمهم شر من ظاهرم ، إلا من رجع إلى الله منهم ، وكان عند هذا الحري من الاستهزاء بأمور الشرية والتهاون فيها من إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق وصاروا على زى أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع المنار ، يجمع مجلسه القنا الدائم والرقص والمردان ، وترك الانكار على أحد فيأضله ، وترك الصلوات وكثرت النغلات ، فأضل خلقا كثيرا وأفسد جا ففيرا ، ولقد أفتى في قتله مرارا جماعة من علماء الشرية ، ثم أراح الله تعالى منه . هذا لفظه بمر وفه .

(واقف العزية الأمير عز الدين أيك)

استاذ دار المعظم ، كان من العقلاء الأجواد الأبحاد ، استنابه المعظم على صرخد وظهرت منه نهضة وكفاية وسداد ، ووقف المزيين الجوانية والبرانية ، ولما أخذ منه الصالح أيوب صرخد عوضه عنها وأقام بدمشق ثم وشى عليه بأنه يكتب الصالح إسماعيل فاحتبط عليه وعلى أمواله وحواصله فرض وسقط إلى الأرض ، وقال : هنا آخر عهدي . ولم يتكلم حتى مات ودفن بباب النصر بمصر رحه الله تعالى ، ثم قل إلى تربته التي فوق الوراق . وإنما أرخ السبط وفاته في سنة سبع وأربعين فاهة أعلم .

(الشهاب غازي بن المادل)

صاحب ميا فارقين وخلط وغيرهما من البلدان ، كان من عقلاء بني أيوب وفضلائهم ، وأهل الأمانة منهم ، وما أنشد قوله :

ومن عجب الأليم أنك جالس * على الأرض في الدنيا وأنت تسير

فسيرك يا هنا كبير سفينة * يقوم جلوس والقولع تطير

(ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبائة)

فيها قدم السلطان الصالح نجم الدين من الديار المصرية إلى دمشق وجيز الجيوش والمجانيق إلى حصص ، لأنه كان صاحبها الملك الأشرف بن موسى بن المنصور بن أسد الدين قد قايس بها إلى تل ياشر لصاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز ، ولما علت الحلبيون بحروج الدماشقة برزوا أيضاً في جعل عظيم ليمتوا حصص منهم ، واتفق الشيخ نجم الدين الباذزاي مدرس النظامية ببغداد في رسالة فأصلح بين الفريقين ، ورد كلا من الفتين إلى مستقرها وقلع الهد . وفيها قتل عمك تركي شاب صبي لسيده على دفعه عنه لما أراد به من الفاحشة ، فصلب الفلام مسرأ ، وكان شابا حسنا جدا فتأسف الناس له لكونه صغيرا ومظلوما وحسنا ، ونظفوا فيه قصائد ، ومن نظم فيه الشيخ شهاب

الدين أبو شامة في القيل ، وقد أطال قصته جدا . وفيها سقطت قنطرة رومية قديمة البناء بسوق
الديق من دمشق ، عند قصر أم حكيم ، قههم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين ، ولكن
سقوطها نهرا . وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع حريق بالنارة الشرقية فأحرق
جميع حشوها ، وكانت سلامها سقالات من خشب ، وهلك للناس ودائع كثيرة كانت فيها ، وسلم
الله الجامع وله الحمد . وقدم السلطان بعد أيام إلى دمشق فأمر بإعادتها كما كانت ، قلت : ثم احترقت
وسقطت بالكلية بعد سنة أربعين وسبعمائة وأعيدت عمارتها أحسن مما كانت والله الحمد . وبقيت
احيئت المنارة البيضاء الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى عليه السلام عليها ، كما
سيأتي بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالى . ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضا في محفة
إلى الديار المصرية وهو قليل مدنف ، شغل ما هو فيه عن أمره بقتل أخيه المعادل أبي بكر بن الكامل
الذي كان صاحب الديار المصرية بعد أبيه ، وقد كان سجنه سنة استحوذ على مصر ، فلما كان في هذه
السنة في شوالها أمر بمخنفه نخفق بترية خمس الهولة ، فمات بعد ذلك إلى النصف من شعبان في العام
القبال في أسوأ حال ، وأشد مرض ، فسيحان من له الخلق والأمر .
وفيها كانت وفاة القاضي القضاة بالديار المصرية .

(فضل الدين الخوئي)

الحكيم النطق البارع في ذلك ، وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه قال أبو شامة : أتى عليه .
غير واحد . ﴿ علي بن يحيى جمال الدين أبو الحسن الحرشي ﴾
كان شابا فاضلا أديبا شاعرا ماهرا ، صنف كتبنا مختصرا وجزا جليما لفنون كثيرة في الرياضة
والعقل وذم الحرشي ، وهما تتأخر الأفسكار . قال فيه من الكمال المستفادة الحكيم : السلطان إمام
متبوع ، ودين مشروع ، فان ظلم جارت الحكام لظلمه ، وإن عدل لم يجز أحد في حكمه ، من مكنته
الله في أرضه وبلاده وأثمنه على خلقه وعباده ، وبسط يده وسلطانه ، ورفع محله ومكانه ، فحقيق
عليه أن يؤدي الأمانة ، ويخلص الديانة ، ويجعل السريرة ، ويحسن السيرة ، ويجعل العدل دأبه
المهود ، والأجر غرضه المقصود ، فالظلم يزل القدم ، ويزيل النعم ، ويجلب الفقر ، ويهلك الأمم .
وقال أيضا : معارضة العلييب توجب التمديب ، رب حيلة أنفع من قبيلة ، محين الغضب مهزول ،
والى الندم مهزول ، قلوب الحكام تستشف الأسرار من لحات الأبصار ، أرض من أخيك في
ولايتيه يشر ما كنت قهده في مودته ، التواضع من مصائد الشرف ، ما أحسن حسن الظن لولا أن
فيه العجز . ما أقيح سوء الظن لولا أن فيه الخزم . وذكر في غضون كلامه أن خادما لمبداه بن عمر
أذنب فأراد ابن عمر أن يماقيه على ذنبه فقال : يا سيدي أما لك ذنب تخاف من الله فيه ؟ قال بلى ،

قال بالذي أمهلك لما أمهلني ، ثم أذنب العبد ثانياً فأراد عقوبته فقال له مثل ذلك فمنا عنه ، ثم أذنب الثالثة فواقبه وهو لا يتكلم فقال له ابن عمر : مالك لم تقل مثل ما قلت في الأولين ؟ قال : يا سيدي حياء من حلكم مع تكرار جرمي . فبكى ابن عمر وقال : أنا أحق بالحياء من دني ، أنت حر لوجه الله تعالى . ومن شره يمدح الخليقة .

يا من إذا بخل السحاب بمائه * هطلت يداه على البرية عسجدا
جودت كسرى يا مبخل حاتم * ففتت بنو الآمال نحوك سجدا
وقد أورد له ابن الساعي أشعارا كثيرة حسنة رحمه الله تعالى .

(الشيخ أبو عمرو بن الحجاب)

المالكي عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الرويني ثم المصري ، العلامة أبو عمرو وشيخ المالكية كان أبوه صاحباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي ، واشتغل هو بالعلم قرأ القراءات وحرر النحو نحوياً بلغياً ، وفتحه وساد أهل عصره ، ثم كان رأساً في علوم كثيرة ، منها الأصول والفروع والعربية والتصريف والرموز والتفسير وغير ذلك . وقد كان استوطن دمشق في سنة سبع عشرة وستائة ، ودرس بها للمالكية بالجامع حتى كان خروجه بصحبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام في سنة ثمان وثلاثين ، فصارا إلى الديار المصرية حتى كانت وفاة الشيخ أبي عمرو في هذه السنة بالاسكندرية ، ودفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد . قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وكان من أذكي الأئمة قريحاً ، وكان ثقة حجة متواضعاً عفيفاً كثير الحياء منصفاً محباً للعلم وأهله ، ناشراً له محتملاً للأذى صبوراً على البؤى ، قدم دمشق مراراً آخرها سنة سبع عشرة ، فأقام بها مدرساً للمالكية وشيخاً للمستفيدين عليه في علمي القراءات والعربية ، وكان ركناً من أركان الدين في العلم والعمل ، بارعاً في العلوم متقناً لمذهب مالك بن أنس رحمه الله تعالى . وقد أتى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر أنه جاء إليه في أداء شهادة حين كان نائباً في الحكم بمصر وسأله عن مسألة اعترض الشرط على الشرط ، إذا قال إن أكلت إن شربت فأنت طالق ، لم يكن يقع الطلاق حين شربت أولاً ؟ وذكر أنه أجاب عن ذلك في تودة وسكون . قلت ومختصره في الفقهاء أحسن المختصرات ، انتظم فيه فوائد ابن شاش ، ومختصره في أصول الفقه ، استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي ، وقد من الله تعالى على يحفظه وجمعت كراريس في الكلام على ما أودعه فيه من الأحاديث النبوية ، ولفه الحمد . وله شرح المفصل والأمال في العربية والمقدمة المشهورة في النحو ، اختصر فيها مفصل الزنجشري وشرحها ، وقد شرحها غيره أيضاً ، وله التصريف وشرحه ، وله عروض على وزن الشالطية رحمه الله ورضي عنه .

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة)

فيها كانت وفاة الملك الصالح أيوب ، وقتل ابنه توران شاه وتولية المرزغ الدين أيك التركاني .
وفي ربيع المحرم يوم الاثنين توجه الملك الصالح من دمشق إلى القطار المصرية في حفة . قاله ابن السبط .
وكان قد نادى في دمشق : من له عندنا شيء فليأت ، فاجتمع خلق كثير بالقلعة ، فدفعت إليهم أموالهم
وفي عاشر صفر دخل إلى دمشق فاقبها الأمير جمال الدين بن يمنور من جهة الصالح أيوب فقتل
بدرج الشمارين داخل باب الجابية ، وفي جمادى الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين المحدثنة
وسط باب البريد ، وأمر أن لا يبق فيها دكان سوى ما في جانبيه إلى جانب الخياطين القبلي والشامي ،
وما في الوسط يهدم . قال أبو شامة : وقد كان العادل هدم ذلك ثم أعيد ثم هدمه ابن يمنور ، والمرجو
استمراره على هذه الصفة . وفيها توجه الناصر داود من الكرك إلى حلب فأرسل الصالح أيوب إلى
فأبيه بدمشق جمال الدين بن يمنور بجواب دار أسامة المنسوبة إلى الناصر بدمشق ، وبستانه الذي
بالقايون ، وهو بستان القصر ، وأن تغلق أشجاره ويحرق القصر ، وتسلم الصالح أيوب الكرك من
الأجد حسن بن الناصر ، وأخرج من كان بها من بيت المعظم ، واستحوذ على حواصلها وأموالها ،
فكان فيها من الذهب ألف ألف دينار ، وأقطع الصالح الأجد هذا إقطاعاً جيداً . وفيها طغى الماء
ببغداد حتى أتلغ شيئاً كثيراً من المحال والهدور الشهيرة ، وتمنعت الجمع في أكثر الجوامع بسبب
ذلك سوى ثلاث جوامع ، وقلت توابيت جماعة من الخلفاء إلى القرب من الرصافة خوفاً عليهم من
أن تفرق عجلهم ، منهم المقتصد بن الأمير أبي أحمد المتوكل ، وذلك بعد دفنه بنيف وخمسين سنة
وثلاثمائة سنة ، وكذا قل والده المكتفي وكذا المقتفي بن المقتدر بالله رحمهم الله تعالى . وفيها هجمت
للفرنج على دمياط فهرب من كان فيها من الجند والعاملة واستحوذ الفرنج على الثغر وقتلوا خلقاً كثيراً
من المسلمين ، وذلك في ربيع الأول منها ، فنصب السلطان الحشم تجاه العدو بجميع الجيش ، وشنق
خلقاً ممن هرب من الفرنج ، ولأهمهم على ترك المصاربة قليلاً ليرهبوا عدو الله وعدوم ، وقوى المرض
وتزايد بالسلطان جداً ، فلما كانت ليلة النصف من شعبان توفي إلى رحمة الله تعالى بالنسوة ،
فأخفت جاريته أم خليل المدعوة شجرة الدر موته ، وأظهرت أنه مريض مدنف لا يوصل إليه ،
وبقيت تعلم عنه بعلامته سواء . وأعلنت إلى أعيان الأمراء فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظم توران شاه
وهو بمصر كيفاً ، فأقدموه إليهم سريراً ، وذلك بلشارة أكابر الأمراء منهم نغر الدين ابن الشيخ ،
فلما قدم عليهم ملكوه عليهم وبايروه أجمعين ، فركب في عصائب الملك وقاتل الفرنج فكرم
وقتل منهم ثلاثين ألفاً وقله الحمد . وذلك في أول السنة الداخلة . ثم قتلوه بعد شهرين من ملكه ،
ضربه بعض الأمراء وهو عز الدين أيك التركاني ، فضربه في يده قطع بعض أصابعه فهرب إلى

قصر من خشب في الحميم فحاصروه فيه^١ وأحرقوه عليه ، فخرج من بابه مستجيراً برسول الخليفة فلم يقبلوا منه ، فهرب إلى النبل فأنفصر فيه ثم خرج قاتلاً سريراً شر قتله وداسوه بأرجلهم ودفن كالجيفة ، فأنافه وإنا إليه راجعون . وكان فيمن ضربه البندقاري على كتفه فخرج السيف من تحت إبطه الآخر وهو يستغيث فلا يفت .

ومن قتل في هذه السنة ﴿نغر الدين يوسف بن الشيخ بن حويه﴾

٣٠ وكان فاضلاً ديناً ميبياً وقورا خليفاً بالملك ، كانت الأمراء تعظمه جداً ، ولو دعاهم إلى مبايعته بعد الصالح لما اختلف عليه اثنان ، ولكنه كان لا يرى ذلك حياً لجانب بني أيوب ، قتلته القداوية من الفرنج شيداً قبل قدوم المعظم توران شاه إلى مصر ، في ذى القعدة ، ونهبت أمواله وحواصله وخيوله ، وخربت داره ولم يتركوا شيئاً من الأموال الثنية البشعة إلا صنوه به ، مع أن الدين تعاملوا ذلك من الأمراء كانوا معظدين له غاية التعظيم . ومن شعره :

عصيت هوى نفسى صغيراً فتدما • رميتى اليبالى بالمشيب وبالكبر

أطمت الهوى عكس القضية ليقى • خلقت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

﴿ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة﴾

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم توران شاه للفرنج على نهر دمياط ، قتل منهم ثلاثين ألفاً وقيل مائة ألف ، وغنموا شيئاً كثيراً وفه الحد . ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا ، وكان فيمن أسر ملك الفرنسيس وأخوه ، وأرسلت غفارة ملك الأفرنيس إلى دمشق فلبسها ثيابها في يوم الموكب ، وكانت من سقر لاط تحتها فروس منجل ، فأنشد في ذلك جماعة من الشعراء فرحاً بما وقع ، ودخل الفقراء كنيسة مريم فأقاموا بها فرحاً لما نصر الله تعالى على النصارى ، وكادوا أن يخرّبوها وكانت النصارى يبعليكن فرحوا حين أخذت النصارى دمياط ، فلما كانت هذه الكسرة عليهم سخعوا وجوه الصور ، فأرسل نائب البلد فجناهم وأمر اليهود فصغوم ، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم توران شاه ، ودفنوه إلى جانب النبل من الناحية الأخرى رحمه الله تعالى ورحم أسلافه بمنه وكرمه .

﴿تمليك الملك المنز عز الدين أيك التركاقي بمصر بعد بني أيوب ، وهذا أول دولة الأتراك﴾

لما قتل الأمراء البحرية وغيرهم من الصالحية ابن أستاذهم المعظم غياث الدين توران شاه بن الصالح أيوب بن الكامل بن العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب ، وكان ملكاً بعد أبيه بشهرين كما تقدم بيانه ، ولما انفصل أمره بالقتل غدوا فيما بينهم لأبأس لأبأس ، واستدعوا من بينهم الأمير عز الدين أيك التركاقي ، فلكوه عليهم وباعوه وبقوه بالملك المنز ، وركبوا إلى القاهرة ، ثم بعد خمسة أيام أقاموا

لهم صبيًا من بني أيوب ابن عشر سنين وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف ابن السمود إقسيص بن الكامل ، وجعلوا المزمز أتاكه فكانت السكة والخطبة بينهما ، وكانوا أمراء الشام بذلك ، فأتى لهم الأمر بالشام ، بل خرج عن أيديهم ولم تستقر لهم المملكة إلا على الديار المصرية ، وكل ذلك عن أمر الخاتون شجرة الدر أم خليل حظية الصالح أيوب ، فتزوجت بالمزمز ، وكانت الخطبة والسكة لها ، يدعى لها على المنابر أيام الجمع بمصر وأعمالها ، وكذا تضرب السكة باسمها أم خليل ، والعلامة على المنشورات والتوقيعات بخطها واسمها ، مدة ثلاثة أشهر قبل المزمز ، ثم آل أمرها إلى ملصنة كره من الهوان والقتل .

﴿ ذكر ملك الناصر بن المزي بن الظاهر صاحب حلب للمشرق رحمه الله تعالى ﴾

لما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء المعظم توران شاه بن الصالح أيوب ركب الحلبيون معهم ابن أستاذهم الناصر يوسف بن المزي بن محمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف فاتح بيت المقدس ، ومن كان عندهم من ملوك بني أيوب منهم الصالح إسماعيل بن العادل ، وكان أحق الموجودين بالملك ، من حيث السن والتمدد والحرمة والرياسة ، ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل ، والأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه ، ألقى كان صاحب حمص وغيرهم ، فجاءوا إلى دمشق فحاصروها فلما كوها مرياً ، ونهبت دارا بن ينفور وجلس في القلعة وتسلموا ما حولها كجملبك وبصري والصلت وصرخد ، وامتنعت عليهم الكرك والثوبك بالملك المنيث عمر بن العادل بن الكامل ، كان قد تغلب عليهما في هذه الفتنة حين قتل المعظم توران شاه ، فطلبه المصريون ليجلوه عليهم ثغاف مما حل بابني عمه ، فلم يذهب إليهم . ولما استقرت يد الحلبيين على دمشق وما حولها جلس الناصر في القلعة وطيب قلوب الناس ، ثم ركبوا إلى غزة ليسلموا الهيكل المصرية ، فبرز إليهم الجيش المصري فاقترنوا معهم أشد القتال ، فسكر المصريون أولاً بحيث إنه خطب لناصر في ذلك بها ، ثم كانت الهائرة على الشاميين فانهزموا وأسروا من أعيانهم خلقا كثيرا ، وعدم من الجيش الصالح إسماعيل رحمه الله تعالى ، وقد أنشد هنا الشيخ أبو شامة لبعضهم :

ضيع إسماعيل أموالنا • وخرب المنفى بلا معنى

وراح من جلق هذا جزاء • من أقر الناس وما استغنى

﴿ ذكر شيء من ترجمة الصالح إسماعيل « أبي الحسن واقف تربة الصالح » ﴾

وقد كان الصالح رحمه الله ملكا عاقلا حازماً تغلب به الأحوال أطوارا كثيرة ، وقد كان الأشرف أوصى له بمشق من بعده ، فلما شهروا تم اغترعها منه أخوه الكامل ، ثم ملكها من يد الصالح أيوب خديعة ومكرا ، فاستمر فيها أزيد من أربع سنين ، ثم استملاها منه الصالح أيوب

عام الخوارزمية سنة ثلاث وأربعين ، واستقرت بيده بلقاء بعلبك وبصرى ، ثم أخذنا منه كما ذكرنا ، ولم يبق له بلد يأوى إليه ، فلجأ إلى المملكة الحلبية في جوار الناصر يوسف صاحبها ، فلما كان في هذه السنة ما ذكرنا عدم باليل المصرية في المعركة فلا يدرى ما فعل به والله تعالى أعلم . وهو واقف الثروة والمدرسة ودار الحديث والأفراء بمشق رحمه الله بكرمه .
وعن توفى في هذه السنة من الأعيان .

﴿ الملك العظيم توران شاه بن الصالح أيوب ﴾

ابن السكامل ابن العادل ، كان أولا صاحب حصن كفا في حياة أبيه ، وكان أبوه يستدعيه في أيامه فلا يجيبه ، فلما توفى أبوه كما ذكرنا استدعاه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم فملكوه عليهم ، ثم قتلوه كما ذكرنا ، وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من الحرم ، وقد قيل إنه كان متخلفا لا يصلح للملك ، وقد روى أبوه في المنام بعد قتل ابنه وهو يقول :

قتلوه شر قتله • صار لعالم مثله

لم يراعوا فيه إلا • لأولاً من كان قبله

ستراهم عن قريب • لأقل الناس أكلة

فكان كما ذكرنا من اقتتل المصريين والشاميين . وعن عدم فيها بين الصفيين من أعيان الأمراء والمسلمين فنهزم الشمس لؤلؤ مدير عمالك الحلبيين ، وكان من خيار عباد الله الصالحين الآمرين بالمعروف وعن المنكر ناهين . وفيها كانت وفاة .

﴿ الخاتون ارغوانية ﴾

الحافظية سميت الحافظية عظمتها وتربيتها الحافظ ، صاحب قلعة جبهر ، وكانت امرأة عاقلة مدبرة عمرت دهرها ولها أموال جزيلة عظيمة ، وهي التي كانت تصلح الأطعمة للمفاتيح عمر بن الصالح أيوب ، فصادها الصالح إسماعيل فأخذ منها أربعائة صندوق من المال ، وقد وقفت دارها بمشق على خدامها ، واشترت بستان النجيب ياقوت الذي كان خادم الشيخ تاج الدين الكندي ، وجعلت فيه تربة ومسجدا ، ووقفت فيه عليها أوقافا كثيرة جيدة رحمه الله .

واقف الأمينية التي يملك . ﴿ أمين الدولة أبو الحسن غزال المتطبب ﴾

وزير الصالح إسماعيل أبي الجيش الذي كان مشؤما على نفسه ، وعلى سلطانه ، وسببا في زوال النعمة عنه وعن مخدميه ، وهذا هو وزير السوء ، وقد اتهمه السبط بأنه كان مستهترا بالدين ، وأنه لم يكن له في الحقيقة دين ، فأراح الله تعالى منه عامة المسلمين ، وكان قتله في هذه السنة لما عدم الصالح إسماعيل بيلار مصر ، عدم من عدم من الأمراء إليه وإلى ابن يصور فشنقوها وصلبوها على القلعة

بمصر متواحين . وقد وجد لأمين الدولة غزال هذا من الأموال والنحف والجواهر والأثاث ما يساوي ثلاثة آلاف ألف دينار ، وعشرة آلاف مجلد بخط مذهب وغير ذلك من الخطوط النفيسة الفاخرة .

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستائة)

فيها عاد الملك الناصر صاحب حلب إلى دمشق وقدمت عساكر المصريين فحكروا على بلاد السواحل إلى حد الشريعة ، فجهز لهم الملك الناصر جيشاً فطردوهم حتى ردوهم إلى الفيح المصرية ، وقصروهم عليها ، وتزوجت في هذه السنة أم خليل شجرة الدر بالملك المعز الدين أيبك التركماني ، بملوك زوجها الصالح أيوب . وفيها نقل قابوت الصالح أيوب إلى تربته بمدرسته ، ولبست الأتراك ثياب المزاء ، وتصدق أم خليل عنه بأموال جزيلة . وفيها خربت الترك دمايط وقتلوا الأهالي إلى مصر وأخلوا الجزيرة أيضاً خوفاً من عود الفرنج . وفيها كل شرح الكتاب المسمى بنهج البلاغة في عشرين مجلداً مما ألفه عبد الحميد بن داود بن هبة الله بن أبي الحميد المدائني ، الكاتب للوزير مؤيد الدين بن الملقى ، فأطلق له الوزير مائة دينار وخلمة وفرساً ، وامتنحه عبد الحميد بقصيدة ، لأنه كان شيعياً معتزلياً . وفي رمضان استدعى الشيخ سراج الدين عمر بن بركة النهر قلى مدرس النظامية ببغداد فولى قضاء القضاة ببغداد مع التدريس المذكور ، وخلع عليه . وفي شعبان ولى تاج الدين عبد الكريم بن الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي حسبة ببغداد بعد أخيه عبد الله القلى تركها زهداً عنها ، وخلع عليه بطرحة ، ووضع على رأسه غاشية ، وركب الحجاب في خدمته . وفي هذه السنة صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر ، وهذا اتفاق غريب . وفيها وصل إلى الخليفة كتاب من صاحب اليمن صلاح الدين بن يوسف بن عمر بن رسول يذكر فيه أن رجلاً باليمن خرج فادعى الخلافة ، وأنه أفند إليه جيشاً فكسروه وقتلوا خلقاً من أصحابه وأخذ منهم صنما وهرب هو بنفسه في شرفة من بقي من أصحابه . وفيها أرسل الخليفة إليه بالخلع والتقليد وفيها كانت وفاة .

(بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة الحميري)

خطيب القاهرة ، رحل في صفره إلى الرقاق فسمع بها وغيرها ، وكان فاضلاً قد أتم معرفة منسوب الشافعي رحمه الله تعالى ، وكان ديناً حسن الأخلاق واسع الصدر كثير الخير ، قل أن يقدم عليه أحد إلا أطعمه شيئاً ، وقد جمع الكثير على السلفي وغيره ، وأسمع الناس شيئاً كثيراً من مروياته ، وكانت وفاته في ذي الحجة من هذه السنة ، وله تسعون سنة ، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

ومن توفي فيها (أنقضى القضاء أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام)

ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم الهمداني الحنفي من بيت العلم والقضاء ، درس بمشهد أبي حنيفة وقلب عن قاضي القضاة ابن فضلان الشافعي ، ثم عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن

عبدالرزاق الحبلى ، ثم عن قاضى القضاة عبد الرحمن بن مقبل الواسطى ، ثم بعد وفاته فى سنة ثلاث وثلاثين استقل القاضى عبد الرحمن العماتى بولاية الحكم ببغداد ، ولقب أفضى القضاة ، ولم يخاطب بقاضى القضاة ، ودرس الحنفية بالمستنصرية فى سنة خمس وثلاثين ، وكان مشكور السيرة فى أحكامه وقضه وإبرامه . ولما توفى تولى بعده قضاء القضاة ببغداد شيخ النظامية سراج الدين النهر قلى رحمهما الله تعالى ونجاوز عنهما بمئة وكرمه آمين .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وسبعمائة هجرية ﴾

فيها وصلت للتتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما إلى هذه البلاد ، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخربوا فانا لله وإنا إليه راجعون . ووقفوا بسنجار يسرون بين حران ورأس العين ، فأخذوا منهم سبعمائة حمل سكر ومعمول من البيل المصرية ، وسبعمائة ألف دينار ، وكان عدة من قتلوا فى هذه السنة من أهل الجزيرة نحواً من عشرة آلاف قتيل ، وأمروا من الولهان والنساء ما يقارب ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال السبط : وفيها حج الناس من بغداد ، وكان لهم عشر سنين لم يحجوا من زمن المستنصر . وفيها وقع حريق يجلب احترق بسببه سبعمائة دار ، ويقال إن الفرنج لنهم الله ألقوه فيه قصدا . وفيها أعاد قاضى القضاة عمر بن على النهر قلى أمر المدرسة التجانية التى كان قد استحوز عليها طائفة من العوام ، وجعلوها كالتفيسارية يتناعون فيها مدة طويلة ، وهى مدرسة جيدة حسنة قريبة الشبه من النظامية ، وقد كان يأنبها يقال له تاج الملك ، وزير ملك شاه السلجوق ، وأول من درس بها الشيخ أبو بكر الشافعى .

﴿ جمال الدين بن مطروح ﴾

وفيها كانت وفاة

وقد كان فاضلاً رئيساً كيباً شاعراً من كبار المتصوفين ، ثم استنابه الملك الصالح أيوب فى وقت على دمشق فلبس لبس الجنيد . قال السبط : وكان لا يلىق فى ذلك . ومن شعره فى الناصر داود صاحب الكرك لما استعاد القدس من الفرنج حين سلمت إليهم فى سنة ست وثلاثين فى الدولة الكاملية فقال هذا الشاعر ، وهو ابن مطروح رحمه الله :

المسجد الأقصى له علة • سارت فصارت مثلاً ساراً

إذا غدا فكفر مستوطننا • أن يبعث الله له نصراً

فناصر طهره أولاً • وناصر طهره آخره

ولما عزله الصالح من النيابة أقام خللاً وكان كثير البر بالفقراء والمساكين ، وكانت وفاته بمصر وفيها توفى . ﴿ فمضى الدين محمد بن سعد المتوفى ﴾

الكاتب الحسن الخط ، كان كثير الأدب ، وسمع الحديث كثيراً ، وختم السلطان الصالح

إسماعيل والناصر داود ، وكان ديننا فاضلا شاعرا له قصيدة ينصح فيها السلطان الصالح إسماعيل وما يلتقيه الناس من وزيره وقاضيه وغيرها ، من حواشيه .

ويعين توفي فيها من الأعيان . ﴿ عبد العزيز بن علي ﴾

ابن عبد الجبار المغربي ، أبوه ولد ببغداد ، وسمع بها الحديث ، وعنى بطلب العلم وصنف كتابا في مجلدات على حروف المسجم في الحديث ، وحرر فيه حكاية مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ أبو عبد الله محمد بن غلام بن كريم ﴾

الأصبهاني ، قدم ببغداد وكان شاعرا فاضلا ، فقتله للشيخ شهاب الدين السهروردي ، وكان حسن الطريقة ، له يد في التفسير ، وله تفسير على طريقة التصوف ، وفيه لطافة ، ومن كلامه في الوعظ : العلم كالقوة في قضاء عظمتيه ، والقدرة كالعالم في كتب حكته ، الأصول فروع إذا تجمل جمال أوليته ، والفروع أصول إذا طلعت من مغرب نفى الوسائط فشمس آخريته ، أسرار الليل مسدولة ، وشعور الكواكب مشعولة ، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة ، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل معزولة ما هذه الوقفة والحبيب قد فتح الباب ؟ ما هذه الفترة والمولى قد خرق حاجب الحجاب ؟

وقوفى بأكناف العقيق عقوق • إذا لم أرد والدمع فيه عقيق

وإذا لم أمت شوقا إلى ساكني الحمى • فما أنا فيما أدعيه صدوق

أيأربع ليلى ما المحبون في الهوى • سواء ، ولا كل الشراب رحيق

ولا كل من تلقاه يلقاك قلبه • ولا كل من يحنو إليك مشوق

تكاثر المدعى على الحب فاستوى • أسير صبايلت الهوى وطلليق

أيها الأمنون ، هل فيكم من يصعد إلى السماء ؟ أيها المحبوسون في مطاعمهم ، هل فيكم سلم في الفهم يفهم رموز الوحوش والأطيار ؟ هل فيكم موسى الشوق يقول بلسان شوقه أرى أنظر إليك ، قد طال الانتظار ؟ ولما استسقى الناس قال بعد الاستسقاء : لما صعدت إلى الله عز وجل نفس المشتاق بكأت ألقى الآفاق ، وجادت بالقدرة موضة السحاب ، وامتنص لبن الرحمة وضيق التراب وخرج من أخلاف النعام نفاط الماء النقي ، فاهتزت به الملمدة ، وقرت عيون المدر ، وزينت الرياض بالنسيم الأخضر ، غير الصبح حبرها أحسن تجميل ، واغلق بأنملة الصبا أكام الأنوار ، وانفتحت بنفحات أنفاسه جيوب الأزهار ، ونطقت أجزاء الكائنات بلفظ صفاتها ، وعادات عبرها : أيها الثائمون تيقظوا ، أيها المبهمون تفرسوا (فانظر إلى آكل راحة الله كيف يجي الأرض بعد موتها إن ذلك لحجي الموتى إنه على كل شيء قدير) .

(أبو الفتح نصر الله بن هبة الله)

ابن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن حاقمة النعماني الكنتاني المصري ثم الهشقي كان من أخصاء الملك العظيم ، وولاه الناصر داود ، وقد سافر معه إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، وكان أديبا مليح الحاضرة رحمه الله تعالى . ومن شعره قوله :

ولما أبيت سادتي عن زيارتي * وعوضتوني بالبعد عن القرب
ولم تسمحوا بالوصل في حال يقظتي * ولم يصطبر عنكم لرقته قلبي
نصبت لصيد العليف جفني حباله * فأدركت خفض العيش بالنوم والنصب

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستائة)

فيها دخل الشيخ نجم الدين البادراني رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام ، وأصلح بين الجيشين ، وكانوا قد اشتد الحرب بينهم ونشبت ، وقد مالا الجيش المصري الفرغ وعدم أن يسلوا إليهم بيت المقدس إن نصرهم على المسلمين ، وجرت خطوب كثيرة ، فأصلح بينهم وخلص جماعة من بيوت الملوك من الهزار المصرية ، منهم أولاد الصالح إسماعيل ، وبنت الأشرف وغيرهم من أولاد صاحب حمص وغيرهم ، جزاء الله خيرا . وفيها فيما ذكر ابن الساعي كان رجل ببغداد على رأسه زيادي قابسي فزلق فتكسرت ووقف يبكي ، فتألم الناس له لفقره وحاجته ، وأنه لم يكن بمالك غيرها ، فأعطاه رجل من الحاضرين دينارا ، فلما أخذه نظر فيه طويلا ثم قال : والله هذا الدينار أعرفه ، وقد ذهب مني في جملة دنانير عام أول ، فشمته بعض الحاضرين فقال له ذلك الرجل : فما علامة ما قلت ؟ قال زنة هذا كذا وكذا ، وكان معه ثلاثة وعشرون دينارا ، فوزنوه فوجدوه كما ذكر ، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين دينارا ، وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه ، فتمعجب الناس لذلك . قال : ويقرب من هذا أن رجلا بمكة نزع ثيابه لينقل من ماء زمزم وأخرج من حوضه دملجا زنته خمسون مثقالا فوضه مع ثيابه ، فلما فرغ من اغتساله لبس ثيابه ونسى الدملج ومضى ، وصار إلى بغداد وبقي مدة سنتين بعد ذلك وأيس منه ، ولم يبق معه شيء إلا يسير فاشترى به زجاجا وقوارير لبيعها ويتكسب بها ، فبينما هو يطوف بها إذ زلق فسقطت القوارير فتكسرت فوقف يبكي واجتمع الناس عليه يتألمون له ، فقال في جملة كلامه والله يا جماعة لقد ذهب مني من مدة سنتين دملج من ذهب زنته خمسون دينارا ، ما ياليت لقد كنت أبيع هذه القوارير ، وما ذلك إلا لأن هذه كانت جميع ما أملك ، فقال له رجل من الجماعة : فأنا والله لقيت ذلك الدملج ، وأخرجه من حوضه فتمعجب الناس والحاضرون . والله أعلم بالصواب .

ومن توفي فيها من الأعيان ^(١).

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وسبائة ﴾

قال سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان : فيها وردت الأخبار من مكة شرفها الله تعالى بأن نارا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها بحيث إنه يطير شررها إلى البحر في الليل ، ويصعد منها دخان عظيم في أثناء النهار ، فاشكوا أنها النار التي ذكر النبي ﷺ أنها تظهر في آخر الزمان ، فتاب الناس وأقلموا عما كانوا عليه من الظالم والفساد ، وشرعوا في أفعال الخير والمصنات . وفيها قدم الفارس أقطاي من الصعيد ونهب أموال المسلمين وأسر بعضهم ، ومعه جماعة من البحرة المفسدين في الأرض ، وقد بنوا وطنوا وتجبروا ، ولا يلتفتون إلى الملك المزمع أليك التركاني ، ولا إلى زوجته شجرة الدر . فشاور المزمع زوجته شجرة الدر في قتل أقطاي ، فأذنت له ، فعمل عليه حتى قتله في هذه السنة بالقلمة المنصورة بمصر ، فاستراح المسلمون من شره . وفيها درس الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمدرسة الصالح أيوب بين القصرين . وفيها قدمت بنت ملك الروم في جميل عظيم وإطامات هائلة إلى دمشق زوجة لصاحبها الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر ، ووجرت أوقات حافلة بدمشق بسببها .

ومن توفي فيها من المشاهير ﴿ عبد الحميد بن عيسى ﴾

الشيخ فحس الدين بن الخضر وشافعي ، أحد مشاهير المتكلمين ، ومن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها ، ثم قدم الشام فلزم الملك الناصر داود بن المعظم وحظي عنده . قال أبو شامة : وكان شيخا مميهاً فاضلاً متواضعاً حسن الظاهر رحمه الله تعالى . قال السبط : وكان متواضعاً كياساً محضراً خيراً ، لم ينقل عنه أنه آذى أحداً فان قدر على نفع وإلا سكت ، توفي بدمشق ودفن بقاسيون على باب تربة الملك المعظم رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ محمد الدين بن تيمية صاحب الاحكام ﴾ [عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن علي بن تيمية الحراني الحنبلي ، جد الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، ولد في حدود سنة تسعين وخمسة مائة وتفتحه في صغره على عمه الخطيب نغر الدين ، وصمم الكثير ورحل إلى البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره ، ودرس وأقضى وانتفع به الطلبة ومات يوم الفطر بجرمان ^(٢) .

(١) يفاض بجميع الأصول وقال الذهبي . وفيها توفي أبو البقاء صالح بن شجاع بن محمد بن سيدم الملقب الخياط في الحرم . وسبط السلفي أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحرم المكي بن عبد الرحمن الطرابلسي الاسكندراني في شوال عن إحدى وعشرين سنة . وأبو محمد بن جيل البندنجي للبواب : آخر من روى عن عبد الحق اليوسفي .

(٢) يفاض بأصل التركية والمصرية . وكلت الترجمة من التجوم الزاهرة .

﴿ الشيخ كمال الدين بن طلحة ﴾

الذى ولى الخطابة بدمشق بعد الفولى ، ثم عزل وصار إلى الجزيرة فولى قضاء نصيبين ، ثم صار إلى حلب فتوفى بها فى هذه السنة . قال أبو شامة : وكان فاضلاً طاملاً طلب أن يلى الوزارة فامتنع من ذلك ، وكان هذا من التأييد رحمه الله تعالى .

﴿ السيد بن علان ﴾

آخر من روى عن الحافظ ابن عساكر شيئاً بدمشق .

﴿ الناصح فرج بن عبد الله الحبشى ﴾

كان كثير السماع مستنداً خيراً صالحاً مواظباً على سماع الحديث وإسماعه إلى أن مات بدار الحديث النورية بدمشق رحمه الله .

﴿ النصره بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ﴾

توفى بحلب فى هذه السنة . وآخرون رحمهم الله أجمعين .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائة ﴾

قال السبط فيها عاد الناصر داود من الأنبار إلى دمشق ، ثم عاد وحج من العراق وأصلح بين المراقين ، وأهل مكة ، ثم عاد معهم إلى الحلة . قال أبو شامة : وفيها فى ليلة الاثنين ثلث عشر صفر توفى بحلب الشيخ الفقيه .

﴿ ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم ﴾

وكان فاضلاً دينياً ، ومن شعره قوله رحمه الله تعالى .

من ادعى أن له حالة * فخرجه عن منهج الشرع

فلا تكون له صاحباً * فانه ضر بلا فنع

وهو واقف القوصية . ﴿ أبو العز ^(١) إسماعيل بن حلمد ﴾

ابن عبد الرحمن الأنصارى القوصى ، واقف داره بالقرب من الرحبة على أهل الحديث وبها قبره ، وكان مدرساً بحلقة جمال الاسلام تيماء البدارة ^(٢) ، فمقرت به ، وكان غزيراً مطبوعاً حسن الحاضرة ، وقد جمع له مسجماً حكى فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة . قال أبو شامة : وقد طالته بخطه فرأيت فيه أغاليط وأوهاماً فى أسماء الرجال وغيرها ، فمن ذلك أنه انتسب إلى سعد بن عبادته ابن دلم قال سعد بن عبادته بن الصامت وهذا خطأ ، وقال فى شدة خرقه التصوف فخلط وصحفاً حياً أبا محمد حسينا . قال أبو شامة : رأيت ذلك بخطه ، توفى يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول من

هذه السنة رحمه الله . وقد توفي الشريف المرتضى قبيب الأشراف بحلب ، وكانت وفاته بها ، رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستائة ﴾

فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاعت لها أعناق الأبل بيصرى ، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه ، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الامام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسى في كتابه القليل وشرحه ، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهلت معانيه ، وكيفية خروجها وأمرها ، وهذا محرر في كتاب : دلائل النبوة من السيرة النبوية ، في أوائل هذا الكتاب وفيه الحمد والمنة . وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال : وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام ، بفروج نازعهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكتبت الكتب في خامس رجب ، والنار بحالها ، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان ثم قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الأبل بيصرى » فأخبرني من أثق به عن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بقاء على ضوئها الكتب . قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي ، وكلنا في دار كل واحد مناسراج ، ولم يكن لها حر ولفح على عظمها ، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل . » قال أبو شامة : وهذه صورة ما وقت عليه من الكتب الواردة فيها .

« لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة ظهر بالمدينة النبوية دوى عظيم ، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ، ساعة بد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قرينة تبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات ، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظامسيل الماء ، وقد مدت مسيل شظا وما عاد يسيل ، والله لقد طلعتنا جماعة تبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانا ، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي ، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقعت بمد ما أشققتنا أن نجى . إلينا ، ورجعت تسيل في الشرق فخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة ، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه (إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جملة صفر) وقد أكلت الأرض ، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستائة والنار في زيادة ما تفتيرت ، وقد علقت إلى الحار في قرينة طريق

غير الحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل تبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج .
وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حر ، والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند
قرينة ، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أي شيء يتم بعد ذلك ، والله يجعل العاقبة إلى خير ،
فا أقدر أصف هذه النار .

قال أبو شامة : « وفي كتاب آخر : ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستة
ووقع في شرقي المدينة المشرقة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم : انفجرت من الأرض
وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ، ثم وقفت وعادت إلى الساعة ، ولا ندرى ماذا فعل ،
ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبيهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين إلى ربهم
تمال ، وهذه دلائل القيلة . »

قال « وفي كتاب آخر : لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة ، سنة أربع وخمسين وستة
وقع بالمدينة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة ، أقام على هذه الحالة يومين ، فلما كانت ليلة
الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلازل ، فلما كان يوم الجمعة خلص
الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله ﷺ ، وهي برأى
العين من المدينة ، تشاهدها وهي ترمى بشر كالتصحر ، كما قال الله تعالى ، وهي بموضع يقال له أحيلين^(١)
وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربع فراسخ ، وعرضه أربعة أميال ، وعمقه قامة
ونصف ، وهي تجري على وجه الأرض ويخرج منها أمها دوجبال صفار ، وتسير على وجه الأرض
وهو صخر ينوب حتى يبق مثل الآثك . فاذا جد صار أسود ، وقيل الجود لونه أحمر ، وقد حصل
بسبب هذه النار إقلاع عن المعاصي ، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات ، وخرج أمير المدينة عن
مظالم كثيرة إلى أهلها . »

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، « ومن كتاب خمس الدين بن سنان بن عبد الوهاب بن نجدة
الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث
بالمدينة بالثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشققتنا منها ، وباتت باقي تلك الليلة تزلزل كل يوم
ولية قدر عشر نوبات ، والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله ﷺ اضطرب لها المنبر
إلى أن أوجسنا منه [إذ سمعنا] صوتاً للعديد الذي فيه ، واضطربت قتاديل الحرم الشريف ، وتمت
الزلزلة إلى يوم الجمعة صبحي ، ولما دوى مثل دوى الرعد القاصف ، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة

(١) « في النسخة المصرية الراجلين » وفي النجوم الزهرة « أحيلين » وبها مشه : في تاريخ
مكة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة « أحيلين » .

في رأس أجيالين فار عظيمة مثل المدينة العظيمة ، وما بان لنا إلا ليله السبت وأشفقتنا منها وخفنا خوفا عظيما ، وطلعت إلى الأمير كلته وقلت له : قد أحاط بنا العذاب ، ارجع إلى الله تعالى ، فأعق كل ممالكهم ورد على جماعة أموالهم ، فلما فعل ذلك قلت احبط الساعة معنا إلى النبي ﷺ ، فهبط وبتنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ، وما بقي أحدنا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي ﷺ ، ثم سال منها نهر من ناري ، وأخذ في وادي أجيالين وسد الطريق ثم طلع إلى بحيرة الحاج وهو بحر ناري يجري ، وفوقه جمر يسير إلى أن طلعت الوادي وادي الشظا ، وما عاد يجيء في الوادي سيل قط لأنها حضرتها نحو ثمانين وثلاث علوها ، والله يا أخى إن عيشتنا اليوم مكدره والمدينة قد تاب جميع أهلها ، ولا بقي يسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب ، وتمت النار تسيل إلى أن سدت بعض طريق الحاج وبعض بحيرة الحاج ، وجاء في الوادي إلينا منها يسير^(١) وخفنا أنه يمحينا فاجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وقابوا عنده جميعهم ليلة الجمعة ، وأما قتيها اقدى مما يلينا فقد طغى بقدرة الله وأنها إلى الساعة وما قصت إلا ترى مثل الجبال حجارة ولها دوى ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب ، وما أقدر أصف لك عظمتها ولا ما فيها من الأهوال ، وأبصرها أهل ينبع ونديوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا إليها ، وما صبح يقدر يصفها من عظمتها ، وكتب الكتاب يوم خامس رجب ، وهي على حالها ، والناس منها خائفون ، والشمس والقمر من يوم ما طلعت ما يطمعان إلا كاسفين ، فسال الله العافية .

قال أبو شامة : وبأن عندنا أثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان ، وكنا حيارى من ذلك إيش هو ؟ إلى أن جاءنا هذا الخبر عن هذه النار .

قلت : وكان أبو شامة قد أروخ قبل مجيء الكتب بأمر هذه النار ، فقال : وفيها في ليلة الاثنين السامس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل ، وكان شديدا حمرة ثم انجلى ، وكسفت الشمس ، وفي هذه اجمرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أليما متغيرة اللون ضعيفة النور ، والله على كل شيء قدير ، ثم قال : واتضح بذلك ما صورده الشافى من اجتماع الكسوف والعيد ، واستبقه أهل النجامة .

ثم قال أبو شامة : «ومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه : وصل إلينا في جمادى الآخرة نجاة من البراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى فطخ الماء من أعلى أسوار بغداد إليها ، وغرق كثير منها ، ودخل الماء دار الخلافة وسط البلد ، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون دارا ، وانهدم مخزن الخليفة ، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير ، وأشرف الناس

على الهلاك وعادت السفن تمخل إلى وسط البلدة ، وتغرق أركة بنداد . قال وأما نحن فانه جرى عندنا أمر عظيم : لما كن بتارخ ليه الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها يومين ، عاد الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد ، فارتجج لها الناس كلهم ، وارتقبوا من مراقدم وضع الناس بالاستنفار إلى الله تعالى ، وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه ، وتمت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى الصبح ، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها وليلة الجمعة ، وصبح يوم الجمعة ارتججت الأرض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعضه ببعض ، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم ، وأشفق الناس من ذنوبهم ، وسكنت الزلّة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر ، ثم ظهرت عندنا بالحرة واداء قريظة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من الأرض ، فارتجج لها الناس روعة عظيمة ، ثم ظهر لمدخان عظيم في السماء ينمقد حتى يبق كالسحاب الأبيض ، فيصل إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة ، ثم ظهرت النار لها ألسن تصعد في الهواء إلى السماء حمراء كأنها القلعة ، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوى وإلى الحجرة الشريفة ، واستجار الناس بها وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رؤسهم وأقرأوا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا بنبيه عليه الصلاة والسلام ، وأتى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل ، وخرج النساء من البيوت والصبيان ، واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله ، وفطت حرة النار السماء كلها حتى بقى الناس في مثل ضوء القمر ، وبيت السماء كالملقة ، وأيقن الناس بالهلاك أو العذاب ، وبات الناس تلك الليلة بين مصل وقال لقرآن وراكم وساجد ، وداع إلى الله عز وجل ، ومننصل من ذنوبه ومستغفر وقائب ، ولزمت النار مكاتها وتناقص تضاعفها ذلك وليها ، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه ، فطرح المكس وأعتق عماليكه كلهم وعبيده ، ورد علينا كل ما لنا تحت يده ، وعلى غيرنا ، وبيت تلك النار على حالها تلهب التها ، وهى كالجبل العظيم [ارتفاعا و] كالمدينة عرضا ، يخرج منها حصي يصعد في السماء ويهوى فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترى كالرعد . وبيت كذلك أياما ثم سالت سيلانا إلى وادى أجلين تنحدر مع الوادى إلى الشظا ، حتى لحق سيلانها بالبحر بجرة الحاج ، والحجارة معها تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة الريض ، ثم سكنت ووقفت أياما ، ثم عادت ترى بحجارة خلفها وأمامها ، حتى بقت لها جبلين وما بقى يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياما ، ثم إنها عظمت وصناهها إلى الآن ، وهى تنقد كأعظم ما يكون ، ولها كل يوم صوت عظيم في آخر الليل إلى ضوة ، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال ، وإنما هذا طرف يكفى . والشمس والقمر كأنهما منكسفان إلى الآن . وكتب هذا الكتاب ولها شهر وهى في مكاتها ما تتقدم ولا تتأخر . وقد قال فيها بعضهم أبياتاً :

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا • لقد أحاطت بنا يارب بأساء
 تشكو إليك خطوباً لا تطلق لها • حملاً ونحن بها حقاً أحماء
 زلازل تنخس العم الصلاب لها • وكيف يقوى على الزلزال شاة
 أطم سباً يربج الأرض فانصدعت • عن منظر منه عين الشمس عشواء
 يجر من النار تجرى فوقه سفن • من المضارب لها في الأرض أرساء
 كأنما فوقه الأجيال طافية • موج عليه لفرط البهج وعشاء
 ترى لها شرراً كالمصر طائفة • كأنها دجة تنصب عطلاء
 تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت • دعباً وترعد مثل السف أفضاء
 منها تكاتف في الجو المخان إلى • أن علقت الشمس منه وهي دهاء
 قد أثرت سفة في البدر لفتحها • فليلة التم بمد النور ليلاء
 تحدث الثيرات السبع ألسنها • بما يلاقى بها تحت الثرى الماء
 وقد أحاط لظاهها بالبروج إلى • أن كاد يلحقها بالأرض إهواء
 فيالها آية من معجزات رسو • ل الله يعلها القوم الألباء
 فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت • منا القنوب وساء القلب أسواء
 فاصبر وهب وفضل وامح واعف وجد • واصنع فكل لفرط الجبل خطاء
 قوم يونس لما آمنوا كشف لا • مناب عنهم وعم القوم نعماء
 ونحن أمة هذا المصطفى ولنا • منه إلى عفوك المرجو دعاء
 هذا الرسول القى لولاه ماسلكت • محجة في سبيل الله يفضاء
 فارحم وصل على المختار ملخطبت • على علا منبر الأوراق ورقاء .

قلت : والحديث الوارد في أمر هذه النار يخرج في الصحيحين من طريق الزهري عن سميد بن
 المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز
 تضيء أعتاق الابل ببصرى » وهذا لفظ البخارى .

وقد وقع هذا في هذه السنة - أعنى سنة أربع وخمسين وستة - كما ذكرنا ، وقد أخبرني تاضي القضاة
 صدر الدين طي بن أبي القاسم التميمي الحنفى الحاكم بدمشق في بعض الأيام في المذاكرة ، وجرى ذكر
 هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال : سمعت رجلاً من الأعراب يخبر وهى
 ببصرى في تلك الغيالى أنهم رأوا أعتاق الابل في ضوء هذه النار التى ظهرت في أرض الحجاز .

قلت : وكان مولده في سنة ثنتين وأربعين وستة ، وكان والده مدرساً للحنفية ببصرى وكذلك

كان جده ، وهو قد درس بها أيضاً ثم انتقل إلى دمشق فدرس بالصادرية وبالعلمية ، ثم ولى قضاء القضاة الخفية ، وكان مشكور السيرة في الأحكام ، وقد كان عمره حين وقت هذه النار بالحجاز ثنتا عشرة سنة ، ومنه من يضبط ما يسمع من الخبر أن الأعرابي أخبر والده في تلك الليالي ، وصولات الله وسلامه على نبيه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

ومما نظمه بعض الشعراء في هذه النار الحجازية وغرق بغداد قوله :

سبحان من أصبحت مشيته • جارية في الورى بمقدار

أغرق بغداد بالمياه كما • أحرقت أرض الحجاز بالنار

قال أبو شامة : والصواب أن يقال :

في سنة أغرق العراق وقد • أحرقت أرض الحجاز بالنار

وقال ابن الساعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وسنة : في يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعنى من هذه السنة - كنت جالساً بين يدى الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول ﷺ صحبة قاصد يعرف بقياز العلوى الحسنى المسمى ، فتناوله الكتاب فقرأه وهو يتضمن أن مدينة الرسول ﷺ زلزلت يوم الثلاثاء الثانى جمادى الآخرة حتى أرمح القبر الشريف النبوى ، وسمع صراخ الحديد ، وتحركت السلاسل ، وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة ، وكانت ترى يزيد كأنه رؤس الجبال ، ودامت خمسة عشر يوماً . قال القاصد : وجئت ولم تنقطع بعد ، بل كانت على حالها ، وسأله إلى أى الجهات ترى ؟ قال : إلى جهة الشرق ، واجتازت عليها أنا ونجاة الجن ورمينا فيها سمعة فلم تحرقها ، بل كانت تحرق الحجارة وتذيقها . وأخرج قياز المذكور شيئاً من الصخر المحترق وهو كالفحم لونا وخفة . قال وذكر فى الكتاب وكان يخط قاضى المدينة أنهم لما زلزلوا دخلوا الحرم وكشفوا رؤسهم واستغفروا وأن ثائب المدينة أعتق جميع ممالئكه ، وخرج من جميع المظالم ، ولم يزالوا مستغفرين حتى سكنت الزلزلة ، إلا أن النار التى ظهرت لم تنقطع . وجاء القاصد المذكور ولها خمسة عشر يوماً وإلى الآن . قال ابن الساعي : وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الامام شيخ حرم المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، يقول : إن ههنا النار التى ظهرت بالحجاز آية عظيمة ، وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة ، فالسيد من انتهز الفرصة قبل الموت ، وتدارك أمره بإصلاح حاله مع الله عز وجل قبل الموت . وهذه النار فى أرض ذات حجر لا شجر فيها ولا نبات ، وهى تأكل كل بعضها بعضاً إن لم تجد ما تأكله ، وهى تحرق الحجارة وتذيقها ، حتى تمرد كالطين البلول ، ثم يضربه الهواء حتى يعود كنبث الحديد الذى يخرج من الكبر ، والله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للمالين ، بحمد وآله الطاهرين .

قال أبو شامة : وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق مسجد المدينة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، ابتداء حريقه من زاويته الغربية من الشمال ، وكان دخل أحد التومة إلى خزانة ثم ومعه نار فعلقت في الأبواب ثم ، واتصلت بالسقف بسرعة ، ثم دبت في السقوف ، وأخذت قبلة فأعجلت الناس عن قطعها ، فإكلن إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ، ووقعت بعض أساطينه وقاب رصاصها ، وكل ذلك قبل أن ينالم الناس ، واحترق سقف الحجر النبوية ووقع ما وقع منه في الحجر ، وبقى على حاله حتى شرع في عمارة سقفه وسقف المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وأصبح الناس فزلوا موضعا للصلاة ، وبعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الأكلت ، وكأنها كانت منفردة بما يقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره . هذا كلام الشيخ شهاب الدين أبي شامة . وقد قال أبو شامة : في القى وقع في هذه السنة وما بعدها شعرا وهو قوله :

بعد ست من المئين والحسد • بين لك أربع جرى في العام
نار أرض الحجاز مع حرق المس • حصد منه تفرق دار السلام
ثم أخذ التار بغداد في أو • ل عام ، من بعد ذلك وعام
لم يمن أهلها ولكفر أعوا • ن عليهم ، يا ضية الاسلام
واقضت دولة الظلالة منها • صار مستعصم بفهر اعتصام
نحنا على الحجاز ومصر • وسلاما على بلاد الشام
رب سلم وصن وعاف بقايا • المسكن ، إذا الجلال والاكرام

وفي هذه السنة كانت المدرسة الناصرية الجوانية داخل باب الفراءيس ، وحضر فيها المدرس واقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أوب بن شاذي فاتح بيت المقدس ، وحضر فيها قاضي البلد صر الدين ابن سناء الدولة ، وحضر عنده الأمراء والدولة والعلماء وجهور أهل الحل والمقد بمشق . وفيها أمر بممارسة الرباط الناصري بفتح قاسيون .
ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

(الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسن بن النحاس)

ترك الخلائق وأقبل على الزهادة والتلاوة والميابة والصيام المتتابع والاقطاع بمسجده بفتح قاسيون نحو من ثلاثين سنة ، وكان من خيار الناس . ولما توفي دفن عند مسجده بقرية مشهورة به ، وحمام ينسب إليه في مساريق الصلحية ، وقد أثنى عليه السبط ، وأرخا وفاته كاذ كرت .

(يوسف بن الأمير حسام الدين)

قزواغلى بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الخنبلى رحمه الله تعالى . الشيخ
شمس الدين .

أبو المظفر الخنفي البغدادي ثم القمشقي ، سبط ابن الجوزي ، أمه رابعة بنت الشيخ جمال
الدين أبي الفرج بن الجوزي الواعظ ، وقد كان حسن الصورة طيب الصوت حسن الوعظ كثير
الفضائل والمصنفات ، وله مرآة الزمان في عشرين مجلداً من أحسن التواريخ ، نظم فيه المنتظم لجلده
وزاد عليه وذيل إلى زمانه ، وهو من أبهج التواريخ ، قدم دمشق في حدود السبعمائة وحظى عند
ملوك بني أيوب ، وقدموه وأحسنوا إليه ، وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية
التي تقوم عندها الوعظ اليوم عند باب مشهد علي بن الحسين زين العابدين ، وقد كان الناس يبيتون
ليلة السبت بالجامع ، ويتكلمون البساتين في الصيف حتى يسمعوها مبعاده ، ثم يسرعون إلى بساتينهم
فيتنكرون ما قاله من القوائد والكلام الحسن ، على طريقة جده . وقد كان الشيخ تاج الدين
الكندي ، وغيره من المشايخ ، يحضرون عنده تحت قبة يزيد ، التي عند باب المشهد ، ويستحسنون
ما يقول . ودرس بالعزبة البرانية التي بناها الأمير عز الدين أيوب المظلي ، أستاذ دار المعظم ، وهو
واقف العزبة الجوانية التي بالكشك أيضاً ، وكانت قديماً تعرف بدور ابن منقذ . ودرس السبط
أيضاً بالشيلة التي بالجبل عند جسر كحيل ، وفوض إليه البعوية التي قبالتها ، فكانت سكنه ، وبها
توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وحضر جنازته سلطان البلد
الناصر ابن العزيز فن دونه . وقد أثنى عليه الشيخ شهاب الدين أبو شامة في علومه وفضائله ورياسته
وحسن وعظه وطيب صوته ونضارة وجهه ، وتواضعه وزهده وتودده ، لكنه قال : وقد كنت مريراً
ليلة وفاته فرأيت وفاته في المنام قبل اليقظة ، ورأيت في حالة منكورة ، ورآه غيري أيضاً ، فنسأل
الله العافية . ولم أقدر على حضور جنازته ، وكانت جنازته حافلة حضره السلاطون والناس ، ودفن
هناك . وقد كان فاضلاً عاظاً ظاهراً منقطعاً منكراً على أولياء الدول ما م عليه من المنكرات ،
وقد كان مقتصداً في لباسه مواظباً على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف ، متصفاً لأهل العلم
والفضل ، مبيناً لأولى الجهل ، وثاقاً للملوك وأرباب المناصب إليه زائرين وقاصدين ، وربي في طول
زمانه في حياة طيبة وجاه عريض عند الملوك والموافق نحو خمسين سنة ، وكان مجلس وعظه مطرباً ،
وصوته فيها يورده حسناً طيباً ، رحمه الله تعالى ورضي عنه . وقد سئل في يوم عشوراء زمن الملك الناصر
صاحب حلب أن يذكر قاتل شيتا من مقتل الحسين فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم ، ثم
وضع المنديل على وجهه وبكى شديداً ثم أنشأ يقول وهو يبكي :

ويل لمن شفاؤه خصاؤه • والصور في نشر الخلائق ينفع
لا بد أن ترد القيامة فاطم • وقصصها بدم الحسين ملطخ
ثم نزل عن المنبر وهو يبكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك رحمه الله .

(واقف مرستان الصالحية)

الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن يوسف ابن أبي الفوارس بن موسى القيصرى الكردى ،
أكبر أمراء القيمرية ، كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك ، ومن أكبر حسناته وقفه المارستان
الذى بسفح قاسيون ، وكانت وفاته ودفنه بالسفح في القبة التى تجاه المارستان المذكور ، وكان ذا مال
كثير وثروة رحمه الله .

(مجير الدين يعقوب بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب)

دفن عند والده بقرية العادلية .

(الأمير مظفر الدين إبراهيم)

ابن صاحب مصر عهد عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم واقف المزينتين [البرانية والجوانية] على
الحنفية ، ودفن عند والده بالتربة تحت القبة عند الوراقة رحمهما الله تعالى .

(الشيخ فحس الدين عبد الرحمن بن نوح)

المتسنى القبة الشافى مدرس الرواحية بمصر شيخه تقي الدين ابن الصلاح ، ودفن بالصوفية
أيضا ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله .

قال أبو شامة : وكثر فى هذه السنة موت النجاة . فلت خلق كثير بسبب ذلك ، ومن توفى فيها
زكى الدين أبو الغورية ^(١) أحد المعدلين بمحلق . و بدر الدين بن السنى أحد رؤسائها . وعز الدين
عبد العزيز بن أبى طالب بن عبد الغفار التماي أبى الحسين ، وهو سبط القاضي جمال الدين بن
الحمرستانى ، رحمهم الله تعالى وعفا عنهم أجمعين .

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسنة)

فيها أصبح الملك المعظم صاحب مصر عز الدين أيبك بداره ميتا وقد ولى الملك بمصر أستاذه
الصلاح نجم الدين أيوب بشهور . كان فيها ملك توران شاه المعظم بن الصالح ، ثم خلفته شجرة الدر
أم خليل مدة ثلاثة أشهر ثم أقيم هو فى الملك ، ومعه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقبس
ابن الكامل مدة ، ثم استقل بالملك بلا منازعة ، وكسر الناصر لما أراد أخذ البيار المصرية وقتل
الفارس إسطى فى سنة ثنتين وخمسين ، وخلف بمصر الأشرف واستقل بالملك وحده ، ثم تزوج بشجرة

الدر أم خليل . وكان كريما شجاعا حيا دينيا ، ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول ، وهو واقف المدرسة المزينة بمصر ومجازها من أحسن الأشياء ، وهي من داخل ليست بتلك الناقصة . وقد قال بعضهم : هذه مجاز لا حقيقة له . ولما قتل رحمه الله قاتلهم بمالكة زوجته أم خليل شجرة الدر به ، وقد كان عزم على تزوج ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ، فأمرت جوارها أن يسكنه لها فزالا تضر به ببقايتها والجوارى يركن في معاربه حتى ملت وهو كذلك ، ولما سمعوا بمالكة أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر سيف الدين قطز ، فقتلوهما وألقوها على مزبلة غير مستورة المورة ، بعد الحجاب المنيع والمقام الرفيع ، وقد علمت على الناشير والتواقيع ، وخطب الخطباء باسمها ، وضربت السكة برسمها ، فنهبت فلا تعرف بعد ذلك بمينها ولا رسمها (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتقر من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) وأقامت الأتراك بعد استاذم عز الدين أيبك التركمانى ، بإشارة أكبر مالكة الأمير سيف الدين قطز ، ولقد نور الدين عليا ولقبوه الملك المنصور ، وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه وجرت الأمور على ما يختاره برأيه ورسمه .

وفيهما كانت فتنة عظيمة يبشاد بين الرافضة وأهل السنة ، قهت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرابات الوزير ابن الملقى ، وكان ذلك من أقوى الأسباب في مما لآته لقتلار . وفيها دخلت القتراة الحيدرية الشام ، ومن شعارهم ليس الراحي والطراطير ويقصون لحام ويتركون شواربهم ، وهو خلاف السنة ، تركوها لتجانبه شيخهم حيدر حين أسره الملاحنة ققصوا لحينه وتركوا شواربه ، فقتلوا به في ذلك ، وهو مفلور مأجور . وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ، وليس لم في شيخهم قدوة . وقد بنيت لهم زاوية بظاهر دمشق قريبا من العونية . وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذى الحجة من هذه السنة المباركة عمل عزاء واقف البدارائية بها الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البدارائى البندادى مدرس النظامية ، ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة ، وإصلاح الأحوال الملهمة ، وقد كان فاضلا بارعا رئيسا وقررا متواضعا ، وقد ابقى بدمشق مدرسة حسنة مكان دار الأمير أسامة ، وشرط على القيم بها المزوبة وأن لا يكون للفقير في غيرها من المدارس ، وإتاما أراد بذلك توفر خاطر القوي ويوجه على طلب العلم ، ولكن حصل بفك خلل كثير وشر لبعضهم كبير وقد كان شيخنا الامام السلامة شيخ الشافعية بالشام وغيرها برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين الفزاري مدرس هذه المدرسة وابن مدرسا ، يذكر أنه لما حضر الوراق في أول يوم درس بها وحضر عنده السلطان الناصر ، قرأ كتاب الوقت وفيه ولا تدخلها امرأة . فقال السلطان ولا صبي ؟ فقال الوراق : يا مولانا السلطان ربنا ما يضرب بصاتين . فاذا ذكر هذه الحكاية تبسم

عندها رحمه الله تعالى . وكان هو أول من درس بها ثم ولده كمال الدين من بعده ، وجعل نظرها إلى وجه الدين بن سويد ، ثم صار في ذريته إلى الآن . وقد نظر فيه بعض الأوقات القاضي شمس الدين ابن الصائغ ثم انتزع منه حيث أثبت لهم النظر ، وقد أوقف البادراني على هذه الممرسة أوقافاً حسنة دارة ، وجعل فيها خزانة كتب حسنة نافذة ، وقد عاد إلى بغداد في هذه السنة فولى بها قضاء القضاة كرها منه ، فأقام فيه سبعة عشر يوماً ثم توفي إلى رحمة الله تعالى في مستهل ذي الحجة من هذه السنة . ودفن بالشوثرية رحمه الله تعالى .

وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت البادراني بأيام قلائل نزلت التتار على بغداد مقبلة للمكرم هولاء كمن تولى بن جنكيزخان عليهم لعائن الرحمن ، وكان افتتاحهم لها وجنائهم عليها في أول السنة الآتية على ماسياني بيانه وتفصيله - وبالله المستعان .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان البادراني واقف البادرانية التي يمشق كما تقدم بيانه رحمه الله تعالى .

(والشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي التهم)

البادراني بها في ثامن ربيع الأول ودفن فيها ، وكان شيخاً صالحاً مشغولاً بالحديث سماعاً وكتابة وإسماعاً ، إلى أن توفي وله نحو مائة سنة . قلت : وأكثر كتبه ومجلديه التي بخطه موقوفة بخرانة القاضي من الكلاسة ، وقد رأى في المنام رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله ما أنا رجل جيد ؟ قال : بلى أنت رجل جيد ، رحمه الله وأكرم مثواه .

(الشيخ شرف الدين)

محمد بن أبي الفضل المرسى ، وكان شيخاً فاضلاً متقناً للبحث كثير الحج ، له مكانة عند الأكابر ، وقد اقتنى كتباً كثيرة ، وكان أكثر مقامه بالحجاز ، وحيث حل عظمه رؤساء تلك البلدة وكان مقتصداً في أموره ، وكانت وفاته رحمه الله بالحققة بين الريش والداروم في منتصف ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله .

(المشد الشاعر الأمير سيف الدين)

على بن عمر بن قزل مشد الديوان بدمشق ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وقد رآه بعضهم بعد موته فسأله عن حاله فأشبهه :

قلت إلى رمس القبور وضيقها • وخوف ذنوبي أنها بي تشر
فصادفت رحماناً رموفاً وأثماً • حبابي بها سقيا لما كنت أحفر
ومن كان حسن الظن في حال موته • جيلاً ينفو الله فالمرء أجدر

﴿ بشارة بن عبد الله ﴾

الأرمي الأصل بدر الدين الكاتب مولى شبل الدولة المظفرى ، جمع الكندى وغيره ، وكان يكتب خطا جيدا ، وأستد إليه مولاة النظر فى أوقافه وجسده فى ذريته ، فهم إلى الآن ينظرون فى الشيلبيين ، وكانت وفاته فى النصف من رمضان من هذه السنة .

﴿ التفاضى تاج الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن تاضى القضاة جمال الدين المصرى نائب عن أبيه ودرس بالشامية ، وله شعر فنه قوله :

صيرت فى لفيه بالأم ثمام • عمدا ورشفت من ثنائه مدام

فأزور وقال أنت فى الله إمام • ريقى خرو عندك الحرحرام

﴿ الملك الناصر ﴾

داود بن المعظم عيسى بن العادل ، ملك دمشق بعد أبيه ، ثم انتزعت من يده وأخذها عنه الأشرف واقتصر على الكرك و نابلس ، ثم تنقلت به الأحوال وجرت له خطوب طوال حتى لم يبق معه شيء من الحال ، وأودع وديعة تقارب مائة ألف دينار عند الخليفة المستنصر فأكره لها ولم يردّها عليه ، وقد كان له فصاحة وشعر جيد ، ولديه فضائل جمة ، واشتغل فى علم الكلام على الشمس الخضر وشامى طليذ الفخر الرازى ، وكان يعرف علوم الأوائل جدا ، وحكوا عنه أشياء تدل إن صحّت على سوء عقيدته فأفقه أعلم . وذكر أنه حضر أول درس ذكر بالمستنصرية فى سنة ثنتين وثلاثين وستائة ، وأن الشعراء أنشدوا المستنصر مدائح كثيرة ، فقال بعضهم فى جملة قصيدة له :

لو كنت فى يوم السقيفة شاهدا • كنت المقدم والامام الأعظما

قال الناصر داود للشاعر : اسكت قد أخطأت ، قد كان جد أمير المؤمنين المباس شاهدا يومئذ ، ولم يكن المقدم ، وما الامام الأعظم إلا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، قال الخليفة : صدقت فكان هذا من أحسن ما قل عنه رحمه الله تعالى ، وقد تقاصر أمره إلى أن رسم عليه الناصر بن العزيز بقرية البويضا لعمه مجد الدين يعقوب حتى توفى بها فى هذه السنة ، فاجتمع الناس ببجنازته ، وحمل منها فصولا عليه ودفن عند والده بسفح قاسيون .

﴿ الملك المنز ﴾

عز الدين أيبك التركمانى ، أول ملوك الأتراك ، كان من أكبر عماليك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل ، وكان ديننا صينا عقيفا كريما ، مكث فى الملك نحو من صبيع سنين ثم قتلته زوجته شجرة الدر أم خليل عظام فى الملك من بعده واه نور الدين على ، ولقب بالملك المنصور ، وكان مديبر

مملكته مملوك أبيه سيف الدين قطز ، ثم عزله واستقل بالملك بعده نحو من سنة وتلقب بالظفر ، قدّم الله كسرة التتار على يديه بين جالوت . وقد بسطنا هنا كله في الحوادث فيما تقدم وما سيأتي .

﴿ شجرة الدر بنت عبد الله ﴾

أم خليل التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان ولداً منه خليل من أحسن الصور ، فأتى صغيراً ، وكانت تكون في خدمته لا تفارقه حضراً ولا سراً من شدة محبته لها وقد ملكت الديار المصرية بمقتل ابن زوجها المظفر توران شاه ، فكان يخطب لها وتضرب السكة باسمها وعلمت على النashير مدة ثلاثة أشهر ، ثم تملك المزكا ذكراً ، ثم تزوجها بعد تملكه الديار المصرية بسنوات ، ثم غارت عليه لما بلغها أنه يريد أن يتزوج بنت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ فتملت عليه حتى قتله كما تقدم ذكره ، فبأن عليها مماليكه الممزية فقتلها وألقوها على مزبلة ثلاثة أيام ، ثم نقلت إلى تربة لها بالقرب من قبر السيدة خديجة رحمها الله تعالى ، وكانت قوية النفس ، لما علمت أنه قد أحيط بها أثلقت شيئاً كثيراً من الجواهر النفيسة واللاآء المشتمة ، كسرت في الماوان لالها ولا تغيرها ، وكان وزيرها في دولتها صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليمان المعروف بابن حنا وهو أول مناصبه .

﴿ الشيخ الأسعد هبة الله بن صاعد ﴾

شرف الدين الفارسي خليفته قديماً الملك الفارسي السابق الدين إبراهيم بن الملك العادل ، وكان نصرانياً فأسلم ، وكان كثير الصدقات والبر والصلوات ، استوزره المزكا وكان خطيباً عنده جداً ، لا يفعل شيئاً إلا بعد مراجعته ومشاورته ، وكان قبله في الوزارة القاضي ^(١) تاج الدين ابن بنت الأعز ، وقبله القاضي بدر الدين السنجاري ، ثم صارت بعد ذلك كله إلى هذا الشيخ الأسعد المسلاني ، وقد كان الفارسي يكتبه المزكا بالملك ، ثم لما قتل المزكا أمين الأسعد حتى صار شقياً ، وأخذ الأمير سيف الدين قطز خطه بمائة ألف دينار ، وقد هجم بهاء الدين زهير بن علي ، قتل :

لمن الله صاعدا • وأباه ، فصاعدا

وبنيه فتازلا • واحداً ثم واحداً

ثم قتل بعد ذلك كله ودفن بالقرافة ، وقد رآه القاضي ناصر الدين ابن المنير ، وله فيه مدائح وأشعار حسنة فصيحة رائعة .

﴿ ابن أبي الحديد الشاعر العراقي ﴾

عبد الحديد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين أبو حليم بن أبي الحديد عز الدين المدائني ، الكاتب الشاعر المطبق الشيعي العالي ، له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلداً ، وله بالمداين سنة ست وثمانين وخمسمائة ، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بالديوان الخليفي ، وكان

حظياً عند الوزير ابن الملقى ، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشاكلة في التشيع والأدب والفضيلة ، وقد أورد له ابن الساعي أشياء كثيرة من مدائحه وأشماره الفاتحة الرائقة ، ولكن أكثر فضيلة وأدباً من أخيه أبي الممالى موفق الدين بن هبة الله ، وإن كان الآخر فضلاً بارعاً أيضاً ، وقد ماتا في هذه السنة رجبهما الله تعالى .

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وستائة)

[فيها أخت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة ، وانقضت دولة بني العباس منها]^(١)
استهل هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد محبة الأميرين الذين على مقدمة عساكر سلطان التتار ، هولاكو خان ، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدهم على البغادة وميرته وهداياه وفخمة ، وكل ذلك خوفاً على نفسه من التتار ، ومصالحة لهم بقبحهم الله تعالى ، وقد سترت بغداد ونصبت فيها المجانيق والرمادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئاً ، كما ورد في الآثره لن ينفى حذر عن قدر « وكما قال تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) وقال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وأحاطت التتار بدار الخلافة برشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصبحت جارية كانت تلمب بين يدي الخليفة وتضحك ، وكانت من جملة حطايه ، وكانت مولدة تسمى عرفة ، جامها سهم من بعض الشبابيك قتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة ، فارتجع الخليفة من ذلك وفزع فرعاً شديداً ، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فاذا عليه مكتوب إذا أراد الله إفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوى العقول عقولهم ، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت السائر على دار الخلافة - وكان قدوم هلاكو خان بجنوده كلها ، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل - إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة ، وهو شديد الحق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأفغنه وأضاه ، وهو أن هلاكو لما كان أول بروزه من همدان متوجهاً إلى المراق أشار الوزير ، مؤيد الدين محمد بن الملقى على الخليفة بأن يبعث إليه هدايا سنية ليكون ذلك مداراة له بما يريد من قصد بلادهم غفل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أريك وغيره ، وقالوا إن الوزير إنما يريد بهذا مصالحة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث بشئ يسير ، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها هلاكو خان ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، وسلبان شاه ، فلم يبعثهما إليه ولا بالابه حتى أزعج قدومه ، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة السكفرة الفالجرة الظالمة الناشمة ، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فاحاطوا ببغداد من ناحية الغربية والشرقية ، وجيوش

بنداد في غاية الثقة ونهاية الثقة ، لا يباينون عشرة آلاف فارس ، وهم وبقية الجيش ، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استمطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشراء قصائد يربون لهم ويمحزون على الاسلام وأهله ، وذلك كله عن أراء الوزير ابن الملقمى الرافضى ، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرايات الوزير ، فاشتد حقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الاسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذى لم يؤرخ أشنع منه منذ بنيت بغداد ، وإلى هذه الأوقات ، ولهذا كان أول من برز إلى التناحر هو ، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشده ، فاجتمع بالسلطان هلاكوخان لعنه الله ، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لنقم المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن يخرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هلاكوخان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مرابهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يديه هلاكوخان عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الاهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسى ، والوزير ابن الملقمى وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من القهقري والحلى والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملائكة من الرافضة وغيرهم من المناقبين على هلاكوخان أن لا يصلح الخليفة ، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصحة لا يستمر هذا إلا عاماً أو علمين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هلاكوخان أمر بقتله ، ويقال إن أذى أشار بقتله الوزير ابن الملقمى ، والمولى نصير الدين الطوسى ، وكان النصير عند هلاكوخان قد استصحبه في خدمته لما فزع قلاع الآبوت ، وانزعها من أيدي الاسماعيلية ، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكأوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر البيهقى ، وانتخب هلاكوخان النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هلاكوخان ونهبت من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً ، وهو في جوارق لتلايق على الأرض شيء من دمه ، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم ، وقيل بل خنق ، ويقال بل أغرق بالله أعلم ، فبادوا بأهله وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والعقد ببلادهم - وسأنتى ترجمة الخليفة في الوفيات - وماوا على البلد فقتلوا جميع من قعدوا عليه من الرجال والنساء والوهدان والشايخ والكهول والشبان ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش ، وقضى الوسخ ، وكثرت كذاك أليماً لا يظهرون ،

وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى انخفاقت وينفقون عليهم الأبواب ففتحتها التتار إما بالكسر وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعلى الأمكنة فيقتلونهم بالأسلحة ، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، فآثا لله وإنا إليه راجعون . وكذلك في المساجد والجامع والربط ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل القعة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن الملقى الرافضى وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً ، بنفوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلت أموالهم . وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس ، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة ، وكان الوزير ابن الملقى قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اصمهم من الديوان ، فكانت المعارك في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل ، منهم من الأمراء من هو كالملك الأكبر الأكر ، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف ، ثم كاتب التتار وأطعمهم في أخذ البلاد ، وسهل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال ، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية ، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين ، وأن يبيد العلويين والمعتبين ، والله غالب على أمره ، وقد رد كيدى بخره ، وأذله بعد العزة القمصاء ، وجهه حوشكشا لتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء ، واكتسب إثم من قتل يبنغاد من الرجال والنساء والأطفال ، فالحكم لله على الكبير رب الأرض والسما .

وقد جرى على بنى إسرائيل بيت المقدس قريب مما جرى على أهل بغداد كما قص الله تعالى علينا ذلك في كتابه العزيز ، حيث يقول (وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً) الآية . وقد قتل من بنى إسرائيل خلق من الصلحاء وأسر جماعة من أولاد الأنبياء ، وخرب بيت المقدس بعد ما كان معموراً بالعباد والزهاد والأخبار والأنبياء ، فصار خاويًا على عروشه وأهى البناء .

وقد اختلف الناس في كمية من قتل يبنغاد من المسلمين في هذه الوقعة . قيل ثمانمائة ألف ، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف ، وقيل بلغت القتل ألفى ألف نفس ، فآثا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله الذى العظيم . وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر الحرم ، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً ، وكان قتل الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعشرين قير ، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر ، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام ، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد ، وله خمس وعشرون سنة ، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة ، وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت

أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم ، وأسر من دار الخلافة من الأبكلام ما يقارب ألف بكر فيما قيل والله أعلم ، فأن الله وإنا إليه راجعون .

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان عدو الوزير ، وقتل أولاده الثلاثة : عبدالله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، وأكابر الدولة واحداً بعد واحد ، منهم الديودار الصغير مجاهد الدين أبيك ، وشهاب الدين سليمان شاه ، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد . وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بنى السباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الحلال ، تجاه المنطرة فيذبح كما تذبح الشاة ، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه . وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي بن النيار ، وقتل الخطباء والأئمة ، وحمله القرآن ، وقطعت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد ، وأراد الوزير ابن الملقى قبضه الله ولمنه أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرضى ، وأن يبنى لرافضة مدرسة هائلة فيشرون عليهم وعلمهم بها وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة ، وأتيه بولده فاجتمعوا والله أعلم باللهرك الأسفل من النار .

ولما افضى الأمر المقدر واقتضت الأربعم يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقنلى فى الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأتقنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى قمدى وسرى فى الهواء إلى بلاد الشام ، فأت خلق كثير من تغير الجو وفساد الرىح ، فاجتمع على الناس التلا والوباء والفناء والطمع والطاعون ، فأن الله وإنا إليه راجعون .

ولما نودى ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كل الطامير والقي والمقابر كأنهم الموتى إزانياشوا من قبورهم ، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد وله ولا الأخ أخه ، وأخذهم الوباء الشديد فنفثوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، واجتمعوا تحت الترى بأمر القى يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . وكان رحيل السلطان المسلط هولا كوخان عن بغداد فى جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه ، وفوض أمر بغداد إلى الأمير على بهادر ، ففوض إليه الشحنة بها وإلى الوزير ابن الملقى فلم يعمل الله ولا أمهله ، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر ، فى مستهل جمادى الآخرة عن ثلاث وستين سنة ، وكان عنده فضيلة فى الإنشاء ولديه فضيلة فى الأدب ، ولكنه كان شيعياً جليلاً رافضياً خبيثاً ، فأت جهداً وغماً وحزناً ونعماً ، إلى حيث أتت رحلها أم تقسم ، فولى بعده الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد ، فحلقه الله بأبيه فى بقية هذا العام ، والله الحمد والمنة .

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين اليوناني أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباه شديد ، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو ، فسد من كثرة القتل ببلاد العراق وانتشر حتى تعدى إلى بلاد الشام بالله أعلم .

وفي هذه السنة اقتتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المنيث عمر بن العادل الكبير ، وكان في حربه جماعة من أمراء البحرية ، منهم ركن الدين بيبرس البندقداري ، فكسرهم المصريون ونهبوا ما كان معهم من الأقال والأموال ، وأمرؤا جماعة من رموس الأمراء قتلوا صبوا ، وعادوا إلى الكرك في أسوأ حل وأشنعه ، وجملوا يفسدون في الأرض ويمشون في البلاد ، فأرسل الله الناصر صاحب دمشق فبعث جيشا ليكفهم عن ذلك ، فكسرهم البحرية واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتوا إليه وقطعوا أطناب خيمته التي هو فيها بإشارة ركن الدين بيبرس المذكور ، وجرت حر وب وخطوب يطول بسطها والله المستعان .
ومن توفي في هذه السنة من الأعيان .

(خليفة الوقت المستنعم بالله)

أمير المؤمنين آخر خلفاء بني العباس بالعراق رحمه الله ، وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستنصر بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتدي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الفخيرة أبي العباس محمد بن القاسم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتض بالله أبي العباس أحمد بن الأمير الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المنتعم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد أبي محمد هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد ابن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي البجلي ، مولده سنة تسع وستائة ، وبيع له بالخلافة في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين ، وكان مقتله في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ست وخسين وستائة ، فيكون عمره يوم قتل سبعا وأربعين سنة رحمه الله تعالى . وقد كان حسن الصورة جيد السيرة ، صحيح العقيدة مقتديا بأبيه المستنصر في الملة وكثرة الصدقات وإكرام العلماء والعباد ، وقد استجاز له الحافظ ابن النجار من جماعة من مشايخ خراسان منهم المؤيد الطوسي ، وأبو روح عبد العزيز بن محمد الهروي وأبو بكر القاسم بن عبد الله بن الصغار وغيرهم ، وحدث عنه جماعة منهم مؤدبه شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن النيار ، وأجازوه للإمام محي الدين ابن الجوزي ، ولشيخ نجم الدين البادراني ، وحدثا عنه بهذه الاجازة . وقد كان رحمه الله سنيا على طريقة السلف واعتقاد

الجماعة كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ وحجة لئال وجهه ، ومن جملة ذلك أنه استحل الزودية التي استودعه إليها الناصر داود بن المظفر وكانت قيمتها نحواً من مائة ألف دينار فاستبيع هذا من مثل الخليفة ، وهو مستبيع عن هو دونه بكثير ، بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، كما قال الله تعالى (ومنهم من إن تأمنه بدینار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) . قتله التتار مظلوماً مضطهداً في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة ، وله من العمر سنة وأربعون سنة وأربعة أشهر . وكانت مدة خلافته خمسة عشر سنة وعثمانية أشهر وأياماً ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، وبل بالرأفة تراه . وقد قتل بعده وهاء وأسر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه ، وشغل منصب الخلافة بعده ، ولم يبق في بني العباس من سده سده ، فكان آخر خلفاء من بني العباس الحاكين بالعدل بين الناس ، ومن يرتجى منهم النوال ويخشى العباس ، وختموا بعبد الله المستعصم كما فتحوا بعبد الله السفاح ، بويع له بالخلافة وظهر ملكه وأمره في سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، بعد انقضاء دولة بني أمية كما تقدم بيانه ، وآخرهم عبد الله المستعصم وقد زال ملكه وانقضت خلافته في هذا العام ، فجملة أيامهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ، وزال ملكهم عن المراق والحكم بالكلية مدة سنة وشهور في أيام البساسيري بعد الحسين وأربع مائة ، ثم عادت كما كانت . وقد بسطنا ذلك في موضعه في أيام القائم بأمر الله والله الحمد .

ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصا ، فانه خرج عن بني العباس بلاد المغرب ، ملكها في أوائل الأمر بعض بني أمية من بقى منهم من ذرية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ثم تغلب عليه الملوك بعددهور متطاولة كما ذكرنا ، وقارن بني العباس دولة المدعين أنهم من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب ، وما هنالك ، وبلاد الشام في بعض الأحيان والحرمين في أزمان طويلة [وكنك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر ، وتداولتها الملوك دولا بعد دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق ، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطاً في الحوادث والوفيات] ^(١)

واستمرت دولة الفاطميين قريباً من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد الذي مات بعد الستين وخمسمائة في الدولة الصلاحية الناصرية القنسية ، وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكاً متخلفاً ، ومدة ملكهم نحواً من ستة سبع وتسعين ومائتين إلى أن توفي العاضد سنة بضع وستين وخمسمائة ، والمعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله ﷺ كانت ثلاثين سنة كما نطق بها

الحديث الصحيح ، فكان فيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم ابنه الحسن بن علي ستة شهور حتى كملت الثلاثون كما قررنا ذلك في دلائل النبوة ، ثم كانت ملكا فكان أول ملوك الاسلام من بني أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، ثم ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية ابن يزيد بن معاوية ، واقرض هذا البطن المفتوح بمعاوية الخنجر بمعاوية ، ثم ملك مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، ثم ابنه عبد الملك ، ثم الوليد بن عبد الملك ، ثم أخوه سليمان ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ، ثم أخوه إبراهيم الناقص وهو ابن الوليد أيضا ، ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحمار ، وكان آخرهم ، فكان أولهم اسمه مروان وآخرهم اسمه مروان ، ثم اقرضوا من أولهم إلى آخرهم . وكان أول خلفاء بني العباس عبد الله السفاح ، وآخرهم عبد الله المستعصم . وكذلك أول خلفاء الفاطميين فالأول اسمه عبد الله العاضد ، وآخرهم عبد الله العاضد ، وهذا اتفاق غريب جدا قل من يقبض له ، والله سبحانه أعلم . وهذه أرجوزة لبعض الفضلاء ذكر فيها جميع الخلفاء :

الحمد لله العظيم عرشه • القاهر الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام والصور • وجلمع الأنعام فنشور
ثم الصلاة بدوام الأبد • على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الكرام • السادة الأئمة الأعلام
وبعد فان هذه أرجوزة • نظمها لطيفة وجيزة
نظمت فيها الراشدين الخلفاء • من قائم بعد النبي المصطفى
ومن تلام وعلم جرا • جعلتها تبصرة وذكرى
ليعلم العاقل ذو التصوير • كيف جرت حوادث الأمور
وكل ذي مقدرة وملك • معرضون لفناء الملك
وفي اختلاف الليل والنهار • تبصرة لكل ذي اعتبار
والملك الجبار في بلاده • يورثه من شاء من عباده
وكل مخلوق فلفناء • وكل ملك فإلى انتهاء
ولا يدوم غير ملك الباري • سبحانه من ملك قهار
منفرد بالز والبقاء • وما سواه فإلى انقضاء
أول من يبيع بالخلافة • بعد النبي ابن أبي قحافة

أعنى الامام الهادى الصديقا • ثم ارتقى من بعده الفاروقا
 ففتح البلاد والأمصارا • واستأصلت سيوفه الكفاروا
 وقام بالعدل قيلمًا يرضى • بنك جبار السما والأرض
 ورضى الناس بنى النورين • ثم على والد السبطين
 ثم أنت كتاب مع الحسن • كلدوا بأن يجدوا بها الفتن
 فأصلح الله على يديه • كما عزا نبينا إليه
 وجمع الناس على معاوية • ونقل القصة كل راويه
 فهدى الملك كما يريد • وقام فيه بعده يزيد
 ثم ابنه وكان برًا راشدا • أعنى أبا ليلى وكان زاهدا
 فترك الامرة لآعن غلبه • ولم يكن إليها منه طلبه
 وابن الزبير بالحجاز يد أب • فى طلب الملك وفيه ينصب
 وبالشأم بايعوا مروانا • بحكم من يقول كن فكانا
 ولم يدم فى الملك غير عام • وعاصفته أسهم الحمام
 واستوفى الملك لعبد الملك • ونار نجم سمده فى النكاح
 وكل من تازعه فى الملك • خر صريحا بسيوف الملك
 وقتل المصعب بالوراق • وسير الحجاج ذا الشقاق
 إلى الحجاز بسيوف النقم • وابن الزبير لا تكد بالحرم
 فجار بعد قتله بصلبه • ولم يخف فى أمره من ربه
 وعندما صفت له الأمور • قلبت بحسبه القهور
 ثم أتى من بعده الوليد • ثم سليمان الفقى الرشيد
 ثم استفاض فى الورى عدل عمر • تابع أمر ربه كما أمر
 وكان يدعى بأشجع القوم • وذى الصلاة والتقى والصوم
 فجاء بالعدل والاحسان • وكف أهل الظلم والظنانيان
 مقتديا بسنة الرسول • والراشدين من ذوى العقول
 فجرح الاسلام كأس قتله • ولم يروا مثلا له من بعده
 ثم يزيد بعده هشام • ثم الوليد فت منه الحمام
 ثم يزيد وهو يدعى النقصا • فجاءه رحامه معافى

ولم تطل مدة إبراهيم * وكان كل أمره سقيا
 وأسند الملك إلى مروانا * فكان من أموره ما كانا
 واقترض الملك على يديه * وحادث الدهر سطا عليه
 وقتله قد كن بالصعيد * ولم تغد كثرة العديد
 وكان فيه حنف آل الحكم * واستزعت عنهم ضرور النعم
 ثم أتى ملك بني العباس * لازال فينا ثابت الأساس
 وجاءت البيعة من أرض المعجم * وقطعت بينهم كل الأمم
 وكل من فازعهم من أمم * خر حريماً للدين والقم
 وقد ذكرت من تولى منهم * حين تولى القائم المستعصم
 أولهم ينمت بالسفاح * وبعده المنصور ذو الجناح
 ثم أتى من بعده المهدي * يتلوه موسى الهادي الصقي
 وجاء هارون الرشيد بعده * ثم الأمين حين ذاق قدومه
 وقام بعد قتله المأمون * وبعده المعتصم المكين
 واستخلف الواثق بعد المعتصم * ثم أخوه جعفر موفى القمم
 وأخلص النية في التوكل * فهدى العرش القديم الأول
 فأدحض البدعة في زمانه * وقامت السنة في أوانه
 ولم يبق فيها بدعة مضلة * وأليس المعتزلى ثوب ذله
 فرحة الله عليه أبدا * ما غار نجم في السماء أبدا
 وبعده استولى وقام المعتد * ومهد الملك وساس المقتصد
 وعندما استشهد قام المنتصر * والمستعين بعده كما ذكر
 وجاء بعد موته المعتز * والمهتدى للثزم الأعز
 والمكتفى في صف الملأ سطر * وبعده ساس الأمور القنبر
 واستولى الملك بمر القاهر * وبعده الراضى أخو الفاخر
 والمتقى من بعد ذا المستكنى * ثم المطيع مابه من خلف
 والطائع الطائع ثم القادر * والقائم الزاهد وهو الشاكر
 والمقتدى من بعده المستظهر * ثم أتى المسترشد الموقر
 وبعده الراشد ثم المتقى * وحين مات استجدوا يوسف

المستقى العادل في أهله * الصادق الصدوق في أقواله
والناصر الشهم الشديد الباس * ودام طول مكثه في الناس
ثم تلاء الظاهر الكريم * وعده كل به علم
ولم تفل أياه في الملكة * غير شهور واعترة الملكة
وعده كان إلى المستنصر * العادل البر الكريم الناصر
دام يسوس الناس سبع عشرة * وأشهرأ بعزمت بره
ثم توفي علم أربينا * وفي جادى صادق المنوفا
وبائع الخلائق المستعصا * صلى عليه ربنا وسما
فأرسل الرسل إلى الآفاق * يقضون بالبيعة والوفاق
وشرفوا بذكره المنابر * ونشروا في جوده المناخر
وسار في الآفاق حسن سيرته * وعده الزائد في رعيته
قال الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى : ثم قلت أنا بعد ذلك آياتنا :

ثم ابتلاه الله بالتنازع * أتباع جنكيزخان الجبار
صحيته ابن ابنه هولاء * فلم يكن من أمره فكله
فرزقوا جنوده وفعله * وقتلوه فضه وأهله
ودمروا بفساد والبلايا * وقتلوا الأحفاد والأجداد
واتهبوا المال مع الحریم * ولم يخافوا سطوة العظيم
وغرم إنظاره وحله * وما اقتضاه عدله وحكمه
وشغرت من بعده الخلافة * ولم يورخ مثلها من آفة
ثم أقام الملك أعنى الظاهر * خليفة أعنى به المستنصر
ثم ولي من بعده ذلك الحاكم * مسيح يبرس الامام العالم
ثم ابنه الخليفة المستنكى * وبمضى هذا القريب يكفى
ثم ولي من بعده جماعة * ما عندهم علم ولا بضاعة
ثم تولى وقتنا المعتضد * ولا يكاد الدهر مثله يجيد
في حسن خلق واعتقاد وحلى * وكيف لا وهو من السيم الأولى
سادوا البلاد والعباد فضلا * وسلاوا الأقطار حكما وعدلا
أولاد عم المصطفى محمد * وأفضل الخلق بلا تردد

صلى عليه الله ذوالجلال • ما دامت الأيام والأيال

﴿فصل﴾

والفالمطيون قليلوا المدة • لكنهم مدتهم في المدة
فلكروا بضاً وستين سنة • من مئمتين وكان كالسنة
والمدة أربع عشرة المهدى • والقائم المنصور المهدى
أعفى به المنز باقي القاهرة • ثم الميز الحاكم الكوافره
والظاهر المستنصر المستعلى • فالأمر الحافظ عنه سوء الفعل
والظافر القاتز ثم العاضد • آخرهم وما لهذا جاحد
أهلك بمد البضع والسفينا • من قبلها خمسمائة سفينا
وأسلمهم يهود ليسوا شرطاً • بفلك أفتى السادة الآتية
• أنصاردين الله من ذى الأمة •

﴿فصل﴾

وهكذا خلفاء بنى أمية • عندهم كمدة الرافضية
ولكن المدة كانت ناقصة • عن مائة من السنين خالصة
وكلهم قد كان قاصياً • إلا الامام عمر النقي
معاوية ثم ابنه يزيد • وابن ابنه معاوية السديد
مروان ثم ابن له عبد الملك • متابع لابن الزبير حتى هلك
ثم استقر بعده بالملك • في سائر الأرض بنير شك
ثم الوليد النجل باقى الجاهل • وليس مثله بشكله من جامع
ثم سليمان الجواد وعمر • ثم يزيد وهشام وغير
أمرى الوليد بن يزيد الفاسقا • ثم يزيد بن الوليد فاقها
يلقب الناقص وهو كادل • ثم إبراهيم وهو عاقل
ثم مروان الحمار الجمدى • آخرهم فاطمة بن عدى
والحمد لله على التمام • كذلك محمد على الانعام
ثم الصلاة مع تمام المدة • على النبي المصطفى محمد
 وآله وصحبه الأخيار • في سائر الأوقات والأعصار
وهذا الأيات نظم الكاتب • ثمانية تمة الناقب

ومن قتل مع الخليفة واقف الجوزية بمسقط أسنادر الخلافة يحيى الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن حماد بن أحمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن محمد بن أبي بكر الصديقي القرشي التميمي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي ، ولد في ذي القعدة سنة ثمانين وخمسمائة ، ونشأ شاعراً حسناً ، وحين توفي أبوه وعظ في موضعه فأحسن وأجاد وأفاد ، ثم لم يزل متقدماً في مناصب الدنيا ، فولى حسبة بغداد مع الوعظ الفائق والأشعار الحسنة ، ثم ولى تدريس الحنابلة بالمستصرية سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكانت له تداريس أخر ، ولى أسنادر الخلافة ، وكان رسولاً للملوك من بني أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء ، واقتصب ابنه عبد الرحمن مكانه للحسبة والوعظ ، ثم كانت الحسبة تنقل في بيته الثلاثة عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبد الكريم . وقد قتلوا معه في هذه السنة رحمه الله . ولحيى الدين هذا مصنف في مذهب أحمد ، وقد ذكره ابن الساعي أشعاراً حسنة يهتف بها الخليفة في المواسم والأعياد ، تدل على فضيلة وفصاحة ، وقد وقف الجوزية بمسقط وهي من أحسن المدارس ، قبل الله منه .

(الصرري المادح رحمه الله)

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن الممر عبد السلام الشيخ الامام العلامة البارع الفاضل في أنواع من العلوم ، جمال الدين أبو زكريا الصرري ، الفاضل المادح الحنبلي القنبر البغدادي ، منظم شعره في مدح رسول الله ﷺ ، ودروانه في ذلك مشهور معروف غير منكر ، ويقال إنه كان يحفظ صحاح الجوهرى بتمامه في اللفظ . وصحب الشيخ علي بن إدريس تلميذ الشيخ عبدالقادر ، وكان ذكياً يتوقد نوراً ، وكان ينظم على البديهة سريعاً أشياء حسنة فصيحة بليغة ، وقد نظم الكافي الذي ألفه موفق الدين بن قدامة ، وعنصر الخرق ، وأما مدائحه في رسول الله ﷺ فيقال إنها تبلغ عشرين مجلداً ، وما اشتهر عنه أنه مدح أحداً من المخلوقين من بني آدم إلا الأنبياء ، ولما دخل التتار إلى بغداد دعى إلى ذهابهم كرمون بن هلاكو فأبى أن يجيب إليه ، وأعد في داره حجارة فحين دخل عليه التتار دهمهم بذلك الأحجار فهشم منهم جماعة ، فلما خلصوا إليه قتل بكازره أهدم ، ثم قتلوه شهيداً رحمه الله تعالى ، وله من العمر ثمان وستون سنة . وقد أورد له قطب الدين اليوناني من دروانه قطعة صالحة في ترجمته في القيل ، استوعب حروف المعجم ، وذكر غير ذلك قصائد طويلاً كثيرة حسنة .

(البهاء زهير صاحب الديوان)

وهو زهير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسين بن جعفر المهلبى المتكى المصرى ، ولد بمكة ونشأ بقرص ، وأقام بالقاهرة ، الشاعر المطبق الجواد في حسن الخط له ديوان مشهور ، وقدم على السلطان

الصلح أيوب ، وكان غزير المروءة حسن التوسط في إيصال الخير إلى الناس ، ودفع الشر عنهم ، وقد أنقذ عليه ابن خلكان وقال أجازلى رواية ديوانه ، وقد بسط ترجمته القطب اليوناني .

﴿ الحافظ زكي الدين المنذرى ﴾

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد ، الأمام العلامة محمد أبو زكي الدين المنذرى الشافعى المصرى ، أصله من الشام وولد بمصر ، وكان شيخ الحديث بها مدة طويلة ، إليه الروادة والرحلة من ستين متطاوله ، وقيل إنه ولد بالشام سنة إحدى وعثمانين وخمسمائة ، ومع الكثير ورجل وطلب وعنى بهذا الشأن ، حتى فاق أهل زمانه فيه ، وصنف وخرج ، واختصر صحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وهو أحسن اختصاراً من الأول ، وله اليد الطولى فى الفقه والفقهاء والتاريخ ، وكان ثقة حجة متحرراً زاهداً ، توفى يوم السبت رابع ذى القعدة من هذه السنة بدار الحديث الكاملية بمصر . ودفن بالترافة رحمه الله تعالى .

﴿ النور أبو بكر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز ﴾

ابن عبد الرحيم بن رستم ^{الأخضرى} الشاعر المشهور الخليل ، كان القاضى صدر الدين بن سناء الدولة قد أجلسه مع الشهود تحت الساعات ، ثم استدعاه الناصر صاحب البلد فجعله من جلسائه وندمائيه ، وخلع عليه خلع الاجناد ، فأنسلخ من هذا الفن إلى غيره ، وجمع كتاباً سماه « الزرجون فى الاخلاعة والمجون » وذكر فيه أشياء كثيرة من النظم والنثر والخلاعة ، ومن شعره الذى لا يحمد :

لغة المر خمسة فاقنيها * من خيل غدا أديبا قنيها

فى نديم وقينة وحبيب * ومدام وسب من لام فيها

﴿ الوزير ابن الملقى الرافضى قبسه الله ﴾

محمد بن أحمد بن محمد بن على بن أبي طالب ، الوزير مؤيد الدين أبو طالب ابن الملقى ، وزير المستنصر البغدادي ، وخدمه فى زمان المستنصر أستاذ دار الاخلافة مدة طويلة ، ثم صار وزير المستنصر وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين ، مع أنه من الفضلاء فى الانشاء والأدب ، وكان رافضياً خبيثاً ردى الطوية على الاسلام وأهله ، وقد حصل له من التنظيم والوجاعة فى أيام المستنصر ما لم يحصل لغيره . من الوزراء ، ثم ملأ على الاسلام وأهله الكفار هولاء كوخان ، حتى قتل ما قتل بالاسلام وأهله مما تقدم ذكره ، ثم حصل له بعد ذلك من الاهانة والقتل على أيدي التتار الذين ملأهم وزال عنه ستر الله ، وذاق الخزي فى الحياة الدنيا ، ولذئاب الآخرة أشد وأبقى ، وقد رآته امرأة وهو فى القل والموان وهو راكب فى أيام التتار يرفوناً وهو مرمى عليه ، وسائق يسوق به ويضرب فرسه ، فوقتت إلى جانبه وقالت له : يا ابن الملقى هكنا كان بنو العباس يملكونك ؟ فوقتت كلمتها

في قلبه وانقطع في داره إلى أن مات كذا وغينة وضيقا ، وقلة وقلة ، في مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، ودفن في قبور الروافض ، وقد سمع بأذنيه ، ورأى بعينه من الاهانة من التناثر والمسلمين مالا يحمد ولا يوصف . وتولى بعده وله الخيثة الوزارة ، ثم أخذ الله أخذ القري وهي ظالمة سريعا ، وقد هجاه بعض الشعراء قتال فيه :

يا فرقة الاسلام نوحوا وانديوا • أسفا على ما حل بالمنعم

دست الوزارة كان قبل زمانه • لابن الفرات فصار لابن الملقى

(محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة)

فتح الدين أبو عبد الله بن العدل محتسب دمشق ، كان مشكورا حسن الطريقة ، وجده العدل نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن حيدرة ، وهو واقف المدرسة التي بالربداني في سنة تسعين وخمسة تقبل الله منه وجزاه خيرا .

(القرطبي صاحب المفهم في شرح مسلم)

أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه المحدث المدرس بالاسكندرية ، ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسة ، وسمع الكثير هناك ، واختصر الصحيحين ، وشرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم ، وفيه أشياء حسنة مفيدة محررة رحمة الله .

(الكمال إسحاق بن أحمد بن عثمان)

أحد مشايخ الشافعية ، أخذ عنه الشيخ محي الدين النووي وغيره ، وكان مدرسا بالرواحية ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة .

(الماد داود بن عمر بن يحيى بن عمر بن كافل)

أبو الممالى وأبو سليمان الزبيدي الملقب ثم النمشي خطيب بيت الأبار ، وقد خطب بالأموي ست سنين بعد ابن عبد السلام ، ودرس بالنزالية ، ثم عاد إلى بيت الأبار فأت بها .

(علي بن محمد بن الحسين) صدر الدين أبو الحسن بن النيار شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان أولا مؤيدا للامام المستنعم ، فلما صارت الخلافة إليه برهة من الدهور دفعه وعظمه وصارت له وجهة عنده ، وانضمت إليه أزمة الأمور ، ثم إنه ذبح بدار الخلافة كما ذبح الشاة على أيدي التناثر .

(الشيخ علي العابد الخباز)

كان له أصحاب وأتباع ببغداد ، وله زاوية يزار فيها ، قتلته التناثر وألقي على مزبلة بباب زاويته ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب من لحمه ، ويقال إنه أخير بنك عن نفسه في حال حياته .

(محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفرج أبو عبد الله الملقب)

خطيب براد ، سمع الكثير ، وعاش تسعين سنة ، وله في سنة ثلاث وخمسين فسمع الناس

عليه الكثير بمعشق ، ثم عادات يله براد في هذه السنة بوجه الله .

(البدر لؤلؤ صاحب الموصل)

الملقب بالملك الرحيم ، توفي في شعبان عن مائة سنة ^(١) وقد ملك الموصل نحو من خمسين سنة ، وكان ذاعقل ودعاء ومكر ، لم يزل يعمل على أولاد أستاذة حتى أبادهم ، وأزال الدولة الأتابكية عن الموصل ، ولما أفضل هولاء كوخان عن بغداد - بعد الوقعة النبطية المظلمة - سار إلى خدمته طاعة له ، وبه الهدايا والتحف ، فأكرمه واحترمه ، ورجع من عنده فكش بالموصل أياماً يسيرة ، ثم مات ودفن بمدرسته البدرية ، وتأصف الناس عليه لحسن سيرته وجودة مدخله ، وقد جمع له الشيخ عز الدين كتابه المسمى بالكتل في التاريخ فأجازه عليه وأحسن إليه ، وكان يعطى لبعض الشراء ألف دينار . وقام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل . وقد كان بدر الدين لؤلؤ هذا أرمينيا اشتراه رجل خياط ، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي ابن آقسنقر الأتابكي صاحب الموصل ، وكان مليح الصورة ، فخطى عنده وتقدم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرة عليه ، والوفود من سائر جهات ملوكهم إليه . ثم إنه قتل أولاد أستاذة فبيلة واحداً بعد واحد إلى أن لم يبق معه أحد منهم ، فاستقل هو بالملك ، وصفت له الأمور ، وكان يبعث في كل سنة إلى مشهد على قنديل ذهباً زنته ألف دينار ، وقد بلغ من العمر قريباً من تسعين سنة ، وكان شاباً حسن الشباب من نصارة وجهه ، وحسن شكله ، وكانت العامة تلقبه قضيب الذهب ، وكان ذاهمة عالية وداهية شديد المكر بعيد النور ، وبته إلى مشهد على بنفسك القنديل الذهب في كل سنة دليل على قلة عقله وتشييعه والله أعلم .

(الملك الناصر داود بن المظلم)

ترجمه الشيخ قطب الدين البونيني في تذييله على المرأة في هذه السنة ، وبسط ترجمته جداً وما جرى له من أول أمره إلى آخره . وقد ذكرنا ترجمته في الحوادث ، وأنه أودع الخليفة المستعصم في سنة سبع وأربعين وديعة قيمتها مائة ألف دينار فيجدها الخليفة ، ففكر وفوده إليه ، وتوسله بالناس في ردها إليه ، فلم يزد من ذلك شيئاً ، وتقدم أنه قال ذلك الشاعر الذي مدح الخليفة بقوله
لو كنت في يوم السقيفة حاضراً * كنت المقدم والامام الاوربا

فقال له الناصر داود : أخطأت فقد كان جده أمير المؤمنين المباس حاضراً يوم السقيفة ولم يكن المقدم ، وهو أفضل من أمير المؤمنين ، وإعما كل المقدم أبو بكر الصديق ، قال الخليفة صدق وخلع عليه ، ونفى ذلك الشاعر - وهو الوجيه الفزاري - إلى مصر ، وكانت وفاة الناصر داود بقرية البوينا مرما عليه وشهد جنازته صاحب دمشق .

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة)

استهل هذه السنة وليس للمسلمين خليفة ، وسليمان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن أبي الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين ، وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا نور الدين على بن المزمع أليك التركاني وبقية بالنصور ، وقد أرسل الملك الناصر هولاكوخان إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستدعيه إليه ، فأرسل إليه والده العزيز وهو صغير ومعه هدايا كثيرة ونحف ، فلم يحتفل به هولاكوخان بل غضب على أبيه إذ لم يقبل إليه ، وأخذ ابنه وقال أنا أسير إلى بلاده بنفسى ، فانزعج الناصر قلقا ، وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ليحصنهم بها وخاف أهل دمشق خوفا شديدا ، ولا سيما لما بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات ، سافر كثير منهم إلى مصر في زمن الشتاء ، فلت ناس كثير منهم ونهبوا ، فأنفقوا إنا إليه راجعون . وأقبل هولاكوخان فقصده الشام بمجنوده وعساكره ، وقد امتنعت عليه ميا طارفين مدة سنة ونصف ، فأرسل إليها والده أقموط فافتتحها قسرا وأرسل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن المالح فأرسله إلى أبيه وهو محاصر حلب فقتله بين يديه ، واستناب عليها بعض عماليك الأشرف ، وطيف برأس الكامل في البلاد ، ودخلوا برأسه إلى دمشق ، فنصب على باب الفرائيس البراني ، ثم دفن بمسجد الرأس داخل باب الفرائيس الجواني ، فنظم أبو شامة في ذلك قصيدة يذكر فيها فضله وجهاده ، وشبهه بالحسين في قتله مظلوما ، ودفن رأسه عند رأسه .

وفيها عمل الخواجه نصير [الدين الطوسي] الرصد بمدينة مراغة ، ونقل إليه شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد ، وعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ، ورتب لكل واحد في اليوم واليلة ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم . وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جراحة المعروف بابن المديم إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار ، وأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام ، وقد استولوا على بلاد الجزيرة وغيرها ، وقد جاز أقموط بن هولاكوخان الفرات وقرب من حلب ، فنشد ذلك عقدوا مجلسا بين يدي المنصور بن المزمع التركاني ، وحضر القاضي مصر بدر الدين السنجاري ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وخطبوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند ، وكانت العدة على ما يقوله ابن عبد السلام ، وكان حاصل كلامه أنه قال إذا لم يبق في بيت المال شيء ثم أفتقم أموال الخواص المنعبة وغيرها من النفضة والزينة ، وتسلوهم أنهم وللعدة في الملابس سوى آلات الحرب بحيث لم يبق للجند سوى فرسه التي يركبها ، سلخ للحاكم حينئذ أخذ شيء من أموال

الناس في دفع الاعداء عنهم ، لأنه إذا دم العدو البلاد ، وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأعضهم .

(ولاية الملك المظفر قطز)

وفيها قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذة نور الدين على الملقب بالنصور ، وذلك في غيبة أكثر الأمراء من ممالك أبيه وغيرهم في الصيد ، فلما مكه سيره مع أمه وابنيه وأخوته إلى بلاد الاشكرى ، وتسلطن هو وصي نفسه بالملك المظفر ، وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين ، فان الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وإن عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة إلى ابن المديم ، فانه قال لا بد للناس من سلطان ظاهر يقاتل عن المسلمين عدوم ، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة .

وفيها برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى وطاء ، برز في جحافل كثيرة من الجيش والمتطوعة والأعراب وغيرهم ، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المنول ارفض ذلك الجمع ، ولم يسر لا هو ولا هم ، فاما الله وإنا إليه راجعون .

وفيها توفي من الأعيان .

(واقف الصدريه صدر الدين أسعد بن المنجاء بن بركات بن مؤمل)

التنوشي المغربي ثم دمشق الخبزي أحد المعدلين ، ذوى الأموال ، والمروءات والصدقات الباردة الباردة ، وقف مدرسة للعبادة ، وقبره بها إلى جانب تربة القاضي المصري في رأس درب الرحمان من ناحية الجامع الأموى ، وقد ولى نظر الجامع مدة ، واستجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبل الجامع ، ونقل الصاغة إلى مكاتها الآن ، وقد كانت قبل ذلك في الصاغة العتيقة ، وجدد الفكاكين التي بين أعمدة الزبارة ، ونمر الجامع أموالاً جزيلة ، وكانت له صدقات كثيرة ، وذكر عنه أنه كان يعرف صنعة الكيمياء وأنه صح معه عمل الفضة ، وعندى أن هذا لا يصح ولا يصح عنه والله أعلم .

(الشيخ يوسف الاقيني)

كان يعرف بالاقيني لأنه كان يسكن قين حمام نور الدين الشهيد ، وكان يلبس ثياباً طويلاً نصف على الأرض ، ويبول في ثيابه ، ورأسه مكشوفة ، ويزعمون أن له أموالاً وكشوفاً كثيرة ، وكان كثير من العوام وغيرهم يستقذون صلاحه وولايته ، وذلك لأنهم لا يملكون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يملكون أن الكشف قد تصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، كالأهلبان وغيرهم ، وكالجهال وابن صياد وغيرهم ، فان الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الانسى ، ولا سيما من يكون مجنوناً أو غير نقي الثياب من النجاسة ، فلا بد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة ، فن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله فهو رجل صالح سواء كشف أو لم يكشف ، ومن لم يوافق فليس

رجل صالح سواء كاشف أم لا . قال الشافعي : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تفترؤا به حتى ترضوا أمره على الكتاب والسنة . ولما مات هذا الرجل دفن بقرية بسفح قاسيون وهي مشهورة به شرقاً ^(١) الرواحية ، وهي مزخرقة قد اعتنى بها بعض المومنين عن كل يستقدمه ، فزخرها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة ، وهذا كله من البيع ، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة ، وكان الشيخ إبراهيم بن سيمد جيعانة لا يتجاسر فيها بزعم أن يدخل البلد والقصبي حتى ، فيوم مات الاقبي دخلها ، وكانت المومنين معه فدخلوا دمشق وهم يصيحون ويصرخون أذن لنا في دخول البلد ، وهم أتباع كل فاعق لم يستضيئوا بنور العلم ، قليل لجيعانة : ما منكم من دخولها قبل اليوم ؟ فقال : كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رابضاً فيه فلا أستطيع الدخول ، وقد كان سكن الشافور ، وهذا كذب واحتيال ومكر وشبهة ، وقد دفن جيعانة عنده في تربته بالسفح والله أعلم بأحوال المباد . ﴿ الشمس على بن الشبي المحدث ﴾

تأب في الحسبة عن الصدر البكري ، وقرأ الكثير بنفسه ، وسمع وأسمع ، وكتب بخطه كثيرا .

﴿ أبو عبد الله الفاسي شارح الشاطبية ﴾

اشتهر بالكنية ، وقيل إن اسمه القاسم ، مات بحلب ، وكان علما فاضلا في العربية والقراءات وغير ذلك ، وقد أجاد في شرحه للشاطبية وأعاد ، واستحسنه الشيخ شهاب الدين أبو شامة شارحا أيضا . ﴿ النجم أخو البدر مفضل ﴾

وكان شيخ الفاضلية بالكلاسة ، وكان له إجازة من السلفي خطيب العقبة بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ودفن بباب الصغير على جده ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

﴿ سعد الدين محمد بن الشيخ يحيى الدين بن عربي ﴾

ذكره أبو شامة وأثنى عليه في فضيلته وأدبه وشره ، هذا إن لم يكن من أتباع أبيه ، وقد ذكر أبو شامة وفاة التلمذ داود في هذه السنة .

﴿ سيف الدين بن صيرة ﴾

متولى شرطة دمشق ، ذكر أبو شامة أنه حين مات جاءت حية فتمشت أخفاه ، وقيل : إنها التفت في أكنافه ، وأعجب الناس دفتها . قال وقيل : إنه كان نصيرا رافضيا خبيثا ممن خمره نساء الله السر والمافية ﴿ النجيب بن شميعة القمشي ﴾

أحد الشهود بها ، له سماع حديث ووقف داره بدمشق البانياس دار حديث ، وهي التي كان يسكنها شيخنا الحافظ المزي قبل انتقاله إلى دار الحديث الأشرقية ، قال أبو شامة وكان ابن شميعة

(١) في النسخة المصرية : تربة أبي عمرو القاسي .

وهو النجيب أبو الفتح نصر الله بن أبي طالب الشيباني مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك ،
وهو أحد الشهود المقدوح فيهم ، ولم يكن بأهل أن يؤخذ عنه ، قال وقد أجلسه أحد بن يحيى الملقب
بالصدر ابن سفي الدولة في حال ولايته القضاء بدمشق ، فأثمد فيه بعض الشعراء :

جلس الشعيمة الشقي ليشهدا • تبالكما ماذا عدا فيا بدا ؟

هل زلزل الزلزال ؟ أم قفخرج الله • جال أم عدم الرجال ذوو الهدى ؟

عجبا لخلول المقيدة جاهل • بالشرع قد أذنو له أن يقعدا

قال أبو شامة : في سنة سبع وخمسين وستائة مات شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علم
الأوائل ، وكان يسكن مدارس المسلمين ، وقد أفسد عقائد جماعة من الشبان المشتغلين فيها بلغنى ،
وكان أبوه يزعم أنه من تلامذة ابن خطيب الرأزي صاحب المصنفات . حية ولد حية .

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستائة)

استهلت هذه السنة بيوم الخميس وليس فلان خليفة ، ومك المراقين وخراسان وغيرها من
بلاد المشرق للسلطان هولاكو خان ملك التتار ، وسلطان ديار مصر الملك المنصور سيف الدين قطز ،
ملوك المزمز أيك التركاني ، وسلطان دمشق وحلب الملك المنصور بن العزيز بن الظاهر ، وبلاد الكرك
والشوبك للملك المنصور بن المادل بن الكامل بن المادل أبي بكر بن أيوب ، وهو حارب مع الناصر
صاحب دمشق على المصريين ، ومعهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وقد عزموا على قتال
المصريين وأخذ مصر منهم . وبينما الناس على هذه الحال وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام
إذ دخل جيش المغول محبة ملكهم هولاكو خان وجازوا الفرات على جور حملوها ، ووصلوا إلى
حلب في ثاني صفر من هذه السنة ، فحاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان ، ثم غدروا بأهلها وقتلوا
منهم خلقاً لا يحصى ، إلا الله عز وجل ، ونهبوا الأموال ، وسبوا النساء والأطفال ، وجرى عليهم
قريب مما جرى على أهل بغداد ، فجلسوا خلال الديار وجعلوا أعزة أهلها أذنة ، فأناقه وإنا إليه
راجون . وامتنعت عليهم القلعة شهراً ثم استلموها بالأمان ، وخرب أسوار البلد وأسوار القلعة
وبقيت حلب كأنها حار أجرب ، وكان نائبها الملك المنصور توران شاه بن صلاح الدين وكان عاقلاً
حازماً ، لكنه لم يواظف الجيش على القتال ، وكان أمراًه قدراً مقدوراً . وقد كان أرسل هولاكو يقول
لأهل حلب : نحن إنما جئنا لقتال الملك المنصور بدمشق ، فاجعلوا لنا عندكم شحنة ، فإن كانت النصره
لنا فالبلاد كلها في حكننا ، وإن كانت علينا فإن شتم قبلتم الشحنة وإن شتم أطلقتموه . فاجابوه
مالك عندنا إلا السيف ، فتعجب من ضعفهم وجوابهم ، فزحف حيثما إليهم وأحاط بالبلد ، وكان
ما كان بقدر الله سبحانه . ولما فتحت حلب أرسل صاحب حمه يفتاتها إلى هولاكو ، فاستجاب عليها

رجلا من المعجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسر وشاه ، غرّب أسوارها كدنيته حلب
(صفة أخذم دمشق وزوال ملكهم عنها سر يما)

أرسل هولاء وهو نازل على حلب جيشا مع أمير من كبار دولته يقال له كتيفاتوين ، فوردوا
دمشق في آخر صفر فأخذوها سر يما من غير مقاومة ولا مدافع ، بل تلقاهم بكبارها بالرحب والسعة ،
وقد كتب هولاء كراما لأهل البلد قري بالبيدان الأخضر ونودي به في البلد ، فأمن الناس على وجل
من الشر ، كما فعل بأهل حلب ، هذا والقلمة بمنحة مستورة ، وفي أعاليها المجانيق منصوبة والحال
شديدة ، فاحضرت التتار منجنيقا يحمل على عجل والخيول تجرها ، وهم راكون على الخيل وأسلحهم
على أبقار كثيرة ، فنصب المجانيق على القلعة من غربيها ، وخرّبوا حيطاتها كثيرة وأخذوا حجارتها
وردوا بها القلعة رميا متواترا كالطير المتدارك ، فهدموا كثيرا من أعاليها وشراقتها وتداعت للسقوط
فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار بالمصالحة ، فقتلها وخرّبوا كل بدنة فيها ، وأعلى بروجها ، وذلك
في نصف جادى الأولى من هذه السنة ، وقتلوا المتولى بها بدر الدين بن قراجا ، وحبسها جمال الدين
ابن الصير في الحبس ، وسلموا البلد والقلمة إلى أمير منهم يقال له ابل سيان ، وكان لعنه الله مظالم
النصارى ، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم ، فضلمهم جدا ، وزار كنائسهم ، فصارت لهم دولة وصولة
بسيبه ، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاء وأخذوا معهم هدايا وتحفا ، وقدموا من عنده ومهم
أمان فرمان من جهته ، ودخلوا من باب توما ومهم صليب منصوب يحملونه على رؤس الناس ، وهم
يتنادون بشعارهم ويقولون : ظهر الدين الصحيح دين المسيح . ويفنون دين الاسلام وأهله ، ومهم
أوائى فيها خرا لا يمر على باب مسجد لإرثوا عنده خرا ، وقام ملائكة خرا يرشون منها على
وجوه الناس وثيابهم ، وآسرون كل من يجتازون به في الآزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ، ودخلوا
من درب الحجر فوقوا عند رباط الشيخ أبى البيان ، ورشوا عنده خرا ، وكذلك على باب مسجد
درب الحجر الصغير والكبير ، واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الزيمان أو قريب منه ، فتكاثروا
عليهم المسلمون فردهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطلة السوق فمدح دين
النصارى ودم دين الاسلام وأهله ، فآذاه وإنا إليه راجعون . ثم دخلوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم
وكانت طمرة ولكن كان هذا سبب خرابها والله الحمد . وحكى الشيخ قطب الدين في ذيله على المرأة
أنهم ضربوا بالنقوس في كنيسة مريم فآذاه أعلم .

قال وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بخرم وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخرجوا كثيرا
من المساجد وقيرها ، ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والقهاء فدخلوا القلعة
يشكون هذا الحال إلى مقلها ابل سيان فأهينوا وطردوا ، وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم فآذاه

وإنا إليه راجعون . وهذا كان في أول هذه السنة وساطن الشام الناصر بن العزيز وهو مقيم في وطأة برزه ، ومعه جيوش كثيرة من الأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم ، وكان في جملة من معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية ، ولكن الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة ، لما يريد الله عز وجل . وقد عزمت طائفة من الأمراء على خلع الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر على ، فلما عرف الناصر ذلك هرب إلى القلعة وتفرقت الساكنة شذروا ففر وساق الأمير ركن الدين بيبرس في أصحابه إلى ناحية غزة ، فاستدعى الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه ، وأقطعته قليوب ، وأنزله بدار الوزارة وعظم شأنه لديه ، وإعما كان حنقه على يديه .

(وقت عين جالوت)

اتفق وقوع هذا كله في الشهر الأخير من رمضان من هذه السنة ، فامضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت الإشارة بنصرة المسلمين على التتار بين جالوت ، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فلقوا بالشام ما ذكرنا ، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة ، وقد عزموا على الدخول إلى مصر ، وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر ، وليته فعل ، وكان في محبته الملك المنصور صاحب حماة وخلق من الأمراء وأبناء الملوك ، وقد وصل إلى قطية وأكرم الملك المظفر قطز صاحب حماة ووعده ببلده ووفاه له ، ولم يدخل الملك الناصر مصر بل كر راجعاً إلى ناحية تيم بنى إسرائيل ، ودخل طلة من كان معه إلى مصر ، ولودخل كان أسرع عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لأجل المداوة فدخل إلى ناحية الكرك فحصن بها وليته استمر فيها ولكنه قلق فركب نحو البرية - وليته ذهب فيها - واستجار ببعض أمراء الأعراب ، فقصده التتار وأتلفوا ما هناك من الأموال وخربوا الديار وقتلوا الكبار والصغار وهجموا على الأعراب التي تنكث النواصي قتلوا منهم خلقاً وسبوا من قتلهم ونسأهم ، وقد اقتصر منهم العرب بعد ذلك ، فأغاروا على خيل جشارهم في نصف شيمان فساقوها بأسرها ، فسأقت وراهم التتار فلم يدركوا لهم الفيار ولا استردوا منهم فرساً ولا حماراً ، وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه عند بركة زيزى وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكوخان وهو نازل على حلب ، فآزالوا في أسرهم حتى قتلهم في السنة الآتية كما سند كره . والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام المحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تهديد ملكهم بالشام ، بالدرم قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ، فخرج في عساكره وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى انتهى إلى الشام وامتدته له عسكر المغول وعليهم كتبغاوين ، وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجير ابن الزكي ، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو

فأبى إلا أن يتجزه سريعاً ، فساروا إليه وسار المظفر إليهم ، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، فاقْتتلوا قتالاً عظيماً ، فكانت النصره لله الحمد للإسلام وأهله ، فزهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كيتباتوين وجاعة من بيته ، وقد قيل إن القتي قتل كيتباتوين الأمير جمال الدين آقوش الشمسى ، واتبهم الجيش الاسلامي يقتلونهم في كل موضع ، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حمه مع الملك المظفر قتالاً شديداً ، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب ، وكان أنابك المسكر ، وقد أسر من جماعة كيتباتوين الملك السعيد بن العزيز بن المادل فأمر المظفر بضرب عنقه ، واستأنم الأشراف صاحب حصص ، وكان مع التتار ، وقد جعله هولاء كوخان قائماً على الشام كله ، فأمنه الملك المظفر ورد إليه حصص ، وكذلك رد حمه إلى المنصور وزاده العمرة وغيرها ، وأطلق سلبية للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب ، واتبع الأمير بيبرس البندقدارى وجاعة من الشجعان التتار يقتلونهم في كل مكان ، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب ، وهرب من بدمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان ، فتبعهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم ، وجاءت بذلك البشارة لله الحمد على جبره إيام بلطفه فجاء بها دق البشائر من القلعة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً بؤايد الله الاسلام وأهله تأييداً وكبت الله النصرارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كلهم ، فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصرارى التي خرج منها الصليب فأنهبوها وأحرقوها وألقوا النار فيها حولها فاحترق دور كثيرة إلى النصرارى ، وملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، وأحرق بعض كنيسة اليعاقبة ، ومهت طائفة بنهب اليهود ، قليل لهم إنه لم يكن منهم من الطفيلان كما كن من عبدة الصليبان ، وقتلت العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مصانفاً للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف بن محمد السكنجى ، كان حيث الطرية مشرقاً مماثلها لهم على أموال المسلمين قبحة الله ، وقتلوا جماعة مثله من المنافقين قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وقد كن هولاء كوا أرسل تقليداً بولاية القضاء على جميع المائت : الشام والجزيرة ، والموصل وماردين ، والأكراد وغير ذلك ، فقاضى كمال الدين عمر بن بدار التقيلىسى . وقد كان نائب الحكم بدمشق عن القاضى صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله ابن سنى الدولة من مدة خمس عشرة سنة ، فحين وصل التقليد فى سلاص عشرين ربيع الأول قرى بالليدان الأخضر فاستقل بالحكم فى دمشق وقد كان فضلاً ، فسار القاضيان المعز ولان صدر الدين بن سنى الدولة وعيى الدين بن الزكى إلى خيمة هولاء كوخان إلى حلب ، فجمع ابن الزكى لابن سنى الدولة وبذل أموالاً جزيلة ، وتولى القضاء بدمشق ورجعا ، فأت ابن سنى الدولة بيمليك ، وقدم ابن الزكى على القضاء ومعه تقليده وخلمة مذهبة فلبسها وجلس فى خدمة أبل سنان تحت قبة الفرس عند الباب

الكبير هو بينهما اغتاتون زوجة ابل سنان حسرة من وجهها ، وقرى التقليد هناك والحالة كذلك ،
وحين ذكر اسم هولاء ذكر القهب والفضة فوق رؤس الناس ، فانه وإنا إليه راجعون ، قبح الله
ذلك القاضى والأمير والزوجة والسلطان . وذكر أبوشامة أن ابن الزكي استحوذ على مدارس كثيرة
في مدته هذه القصيرة ، فانه عزل قبل رأس الحول ، فأخذ في هذه المدة السنواروية والسلطانية
والفلكية والركنية والقيصرية والمزبزية مع المدرستين اللتين كانتا يبدان التقوية والمزبزية ، وأخذ لولاه
عيسى تدريس الامينية ومشيغة الشيوخ ، وأخذ أم الصالح لبعض أصحابه وهو البلاد المصرى ،
وأخذ الشامية البرانية لصالح له ، واستناب أخاه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن حبش
في القضاء وولاه الرواحية والشامية البرانية . قال أبوشامة : مع أن شرط واقفها أن لا يجمع بينها وبين
غيرها . ولما رجعت دمشق وغيرها إلى المسلمين ، سعى في القضاء وبذل أموالا ليسترفيه وفيها يديه
من المدراس ، فلم يستمر بل عزل بالقاضى نجم الدين أبى بكر بن صدر الدين بن سنى الفولة ، قرى
توقيمه بالقضاء يوم الجمعة بمداصلاتى الحادى والشرين من ذى القعدة عند الشباك السكالى من مشهد
عثمان من جامع دمشق . ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بين جالوت ساق وراهم ودخل
دمشق في أبهة عظيمة وفرح به الناس فرحاً شديداً ودعوا له دعاء كثيراً ، وأقر صاحب حصن الملك
الأشرف عليها هو كذلك المنصور صاحب حماء ، واسترد حلب من يد هولاء ، وعاد الحق إلى نصابه
ومهد القواعد ، وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ليظرد التتار عن
حلب ويقلها ووعده بفايتها ، فلما طردم عنها وأخرجهم منها وقلها السلون استناب عليها
غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل ، وكان ذلك سبب الوحشة التى وقعت بينهما
واقترضت قتل الملك المظفر قطز سريعاً ، وفه الأمر من قبل ومن بعد . فلما فرغ المظفر من الشام عزم
على الرجوع إلى مصر واستناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير والأمير مجير الدين
ابن الحسين بن آقشتر ، وعزل القاضى ابن الزكي عن قضاء دمشق ، وولى ابن سنى الفولة ثم رجع
إلى الفيح المصرية والمساكر الاسلامية في خدمته ، وحيون الأعيان تنظر إليه شراً من شدة هيئته
(ذكر سلطة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى)

وهو الأسد الضارى ، وذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد فاصدا مصر ، وصل إلى
ما بين التزالي والصلحية ، عدا عليه الأمراء قتلوه هناك ، وقد كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة في
الجماعة ، ولا يتماطى المسكر ولا شيئاً مما يتماطاه الملوك ، وكانت مدة ملكه من حين عزل ابن أستاذ
المنصور على بن المرز التركانى إلى هذه المدة ، وهى أواخر ذى القعدة فنجوا من سنة بركة الله وجزاءه عن
الاسلام وأهله خيراً . وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى قد اتفق مع جماعة من الأمراء

على قتله ، فلما وصل إلى هذه المنزلة ضرب دعليزه وسلق خلف أرنب ، وساق معه أولئك الأمراء
فشفع عنده دكين الدين بيبرس في شيء فشفعه ، فأخذ يديه ليقبلها فأمسكها وحمل عليه أولئك الأمراء
بالسيوف فضربوه بها ، وألقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى قتلوه رحمه الله ، ثم كروا راجعين
إلى الحميم وبأيديهم السيوف مصلية ، فأخبروا من هناك بالخبر ، فقال بعضهم من قتله ؟ قالوا : دكين
الدين بيبرس ، قالوا أنت قتله ؟ فقال نعم ، قالوا أنت الملك إذا ، وقيل لما قتل حار الأمراء بينهم
فيمن يولون الملك ، وصار كل واحد منهم يخشى غائلة ذلك ، وأن يصيبه ما أصاب غيره سرياً ،
فاقتتحت كلهم على أن يأبوا بيبرس البندقداري ، ولم يكن هو من أكابر المقدمين ، ولكن أرادوا
أن يجربوا فيه ، ولقبوه الملك الظاهر ، فجلس على سرير المملكة وحكمه ، ودقت البشار وضربت
الطبول والبوقات وصفرت الشفابة ، وزعقت الشاوشية بين يديه ، وكان يوما مشهودا وتوكل على الله
واستعان به ، ثم دخل مصر والمساكر في خدمته ، فدخل قلعة الجبل وجلس على كرسيها ، فحكم وعادل
وقطع ووصل وولى وعزل ، وكان شهبا شجاعا أقامه الله فتنس لشدة احتياجهم إليه في هذا الوقت
الشديد والأمر المسير ، وكان أول لقب نفسه بالملك الظاهر ، قال له الوزير : إن هذا القلق لا يفلح من
يلقب به . تلعب به الظاهر بن المتمد فلم تطل أيامه حتى خلع ومحلت عيناه ، ولقب به الظاهر صاحب
الموصل فسم فلت ، فعدل عنه حينئذ إلى الملك الظاهر ، ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة
من أكابر الأمراء حتى مهد الملك . وقد كان حولاً كوخان لما بلغه ما جرى على جيشه من المسلمين بين
جالات أرسل جماعة من جيشه الذين معه كثيرين ليستميدوا الشام من أيدي المسلمين ، فغلب بينهم
وبين ما يشتهون فرجوا إليه خائبين خاسرين ، وذلك أنه نهض إليهم الهزبر الكسار والسيوف البار
الملك الظاهر ، فقدم دمشق وأرسل المساكر في كل وجه لحفظ الثغور والمقاتل بالأسلحة ، فلم يقدر
التنار على الدنو إليه ، ووجدوا القوة قد تغيرت ، والسواعد قد شمعت ، وعناية الله بالشام وأهله
قد حصلت ، ورحمته بهم قد نزلت ، فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم ، وكروا راجعين
القهقري ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وقد كان الملك المظفر قتل رحمه الله استناب على
دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي أحد الأتراك ، فلما بلغه مقتل المظفر دخل القلعة ودعا لنفسه
وتسمى بالملك المجاهد ، فلما جاءت البيعة للملك الظاهر خطب له يوم الجمعة السادس من ذي الحجة
فدعا الخطيب أولاً للمجاهد ثم للظاهر قائماً وضربت السكة باسمهما مما ، ثم ارتفع للمجاهد هذا من
الدين كما سيأتي .

وقد اتفق في هذا العام أمور عجيبة ، وهي أن أول هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر ابن
العزیز ، ثم في النصف من صفر صارت لهولاً كملك التنار ، ثم في آخر رمضان صارت للمظفر قتل

ثم في أواخر القعدة صارت الظاهر بيبرس ، وقد شاركه في دمشق الملك المجاهد سنجر ، وكذلك كان القضاء في أولها بالشام لابن سني الدولة صدر الدين ، ثم صار للكمال عمر التغلبي من جهة هولاكو ثم لابن الزكي ثم لنجم الدين ابن سني الدولة . وكذلك كان خطيب جامع دمشق حماد الدين بن الحرساني من سنين متطاولة ، فزل في شوال منها بالمداد الاسمردي ، وكان صينا عارفا مجيدا ، ثم أعيد العاد الحرساني في أول ذي القعدة منها . فسيحان من بيده الأمور يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وفيها توفي من الأعيان .

(فاضى القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سني الدولة)

أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن محمد بن علي يحيى بن صدقة بن الخطاط ، فاضى القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سني الدولة للتغلي دمشقي الشافعي ، وسني الدولة الحسين بن يحيى المذكور كان قاضيا لبعض ملوك دمشق في حدود الخمائة ، وله أوقاف على ذريته . وابن الخطاط الشاعر صاحب الديوان وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي هو عم سني الدولة . ولد سني الدولة سنة تسع وخمسين وخمائة ، وسمع الخشوعي وابن طبرزد ، والكندى وغيرهم ، وحدث ودرس في عدة مدارس وأقضى ، وكان عارفا بالانساب مشكورا والسيرة ، ولكن أبو شامة ينال منه وينعه فله أعلم .

وقد ولي الحكم بدمشق استقلالاً سنة ثلاث وأربعين واستمر إلى مدة السنة وسافر حين عزل بالكمال التغلبي هو والقاضي يحيى الدين ابن الزكي ، وقد سافر هو وابن الزكي إلى هولاكو لما أخذ حاب فولى ابن الزكي القضاء ، واختار ابن سني الدولة بمليك قدمها وهو مريض فمات بها ودفن عند الشيخ عبد الله اليوناني ، وقد كان الملك الناصر يقضى عليه كما كان الملك الأشرف يقضى على والده هشم الدين . ولما استقر الملك الظاهر بيبرس ولي القضاء وقده نجم الدين ابن سني الدولة وهو الذي حدث في زمن الشمس بطالة الدروس لأنه كان له بستان بأرض السهم ، فكان يقضى عليه مغارقة الشمس ، والتزول إلى المدارس ، فبطل الناس هذه الأيام واتبعوه في ذلك ، والنفوس إنما تؤثر الراحة والبطالة ، ولا سيما أصحاب البساتين في أيام القواكة وكثرة الشبهوات في تلك الأيام ولا سيما القضاة .

(الملك السعيد صاحب ماردين)

وفيها توفي

نجم الدين بن ايل غازي بن النصور أرتقي بن أرسلان بن ايل غازي بن السني بن ترمش ابن ايل غازي بن اريش وكان شجاعا ملك يوما ، وقد وقع في قلعة توران شاه بن الملك صلاح الدين كان نائباً للملك الظاهر بن الميزن بن الظاهر بن الناصر صاحب دمشق على حلب ، وقد حصن

حلب من أيدي المغول مدة شهر ، ثم تسلمها بعد محاصرة شديدة صلحا . كانت وفاته في هذه السنة ودفن بدعليز داره . وفيها قتل :

﴿ الملك السعيد حسن بن عبد العزيز ﴾

ابن العادل أبي بكر بن أيوب ، كان صاحب الصبغة وبانياس بعد أبيه ، ثم أخذنا منه وجس بقلمه المنيعة ، فلما جاءت التتار كان معهم وردوا عليه بلاهه ، فلما كانت وقعة عين جالوت أتى به أسيرا إلى بين يدي المظفر قطز فضرب عنقه ، لأنه كان قد لبس سرقوج التتار وناصحهم على المسلمين .

﴿ عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر ﴾

ابن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، شرف الدين بن المعجى الحلبي الشافعي ، من بيت العلم والرئاسة بحلب ، درس بالظاهرية ووقف مدرسة بها ودفن بها ، توفي حين دخلت التتار حلب في صفر ، فذبوه وصبروا عليه ما بارد في الشتاء فقتلوه حتى مات رحمه الله تعالى .

﴿ الملك المظفر قطز بن عبد الله ﴾

سيف الدين التركي ، أخص ممالك الممراكاني ، أحد عماليك الصالح أيوب بن الكامل . لما قتل أستاذه الممراكاني في تولية ولده نور الدين المنصور على ، فقام مع بأسر التتار خائف أن تختلف السكامة لغير ابن أستاذه فزله ودعا إلى نفسه ، فبويغ في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وسبائة كما تقدم ، ثم سار إلى التتار فجعل الله على يديه نصرة الاسلام كما ذكرنا ، وقد كان شجاعا بطلا كثير الخير ، محبا للاسلام وأهله ، وكان الناس يحبونه ويدعون له كثيرا . ذكر عنه أنه لما كان يوم المعركة وبين جالوت قتل جواده ولم يجد أحدا في الساعة الراحنة من الوشاقية الذين معهم الجنائب ، فترجل وبقى واقفا على الأرض ثابتا ، والقتال عالج في المعركة ، وهو في موضع السلطان من القلب ، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه وحلف على السلطان ليركبها فامتنع وقال ذلك الأمير : ما كنت لأحرم المسلمين ضمك . ولم يزل كذلك حتى جاءته الوشاقية بالليل فركب ، فلامه بعض الأمراء وقال : ياخونك لم لا ركبتم فرس فلان ؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لتنتك وهلك الاسلام بسببك ، فقال : أما أنا فكنت أروح إلى الجنة ، وأما الاسلام فله رب لا يضيعه ، قد قتل فلان وفلان وفلان حتى عد خلقا من الملوك ، فأقام للاسلام من يحفظه غيرهم ، ولم يضيع الاسلام . رحمه الله وكان حين سار من مصر في خدمته خلق من كبار الأمراء البحرية وغيرهم ، ومنه المنصور صاحب حماه وجماعة من أبناء الملوك . فأرسل إلى صاحب حماه يقول له لا تتقي في مد سباط في هذه الأيام ، وليكن مع الجندي لحمه يأكلها ، والمجمل العجل ، وكان اجتماعه مع عدوه كما ذكرنا في العشر الأخير من رمضان يوم الجمعة ، وهذه بشارة عظيمة ، فان وقعة بدر كانت يوم الجمعة في رمضان ، وكان

فيها نصر الاسلام . ولما قدم دمشق في شوال أقام بها العمل ورتب الأمور ، وأرسل يبرس خلف التتار ليخرجهم ويعطوهم عن حلب ، ووعده ببناء بها قلعة لم يألف لها رأه من المصلحة ، فوقعت الوحشة بينهما بسبب ذلك ، فلما عاد إلى مصر تمالأ عليه الأمراء مع يبرس فقتلوه بين الترابي والصالحية ودفن بالقصر ، وكان قبره يزار ، فلما تمكن الظاهر من الملك بمث إلى قبره فقبضه عن الناس ، وكان لا يعرف بعد ذلك ، قتل يوم السبت سادس عشر من ذي القعدة رحمه الله .

وحكى الشيخ قطب الدين اليونيني في القليل على المرأة عن الشيخ علاء الدين بن غانم عن المولى تاج الدين أحمد بن الأثير كاتب السرف في أيام الناصر صاحب دمشق ، قال : لما كنا مع الناصر بوطاه برزه جاءت البريدية بخبر أن قطز قد تولى الملك بمصر ، فقرأت ذلك على السلطان ، فقال : أذهب إلى فلان وفلان فأخبرهم بهذا ، قال : فلما خرجت عنه لقيني بعض الأجناد فقال لي جاءكم الخبر من مصر بأن قطز قد تمكك ؟ قلت : ما عندي من هذا علم وما يدريك أنت بهذا ؟ فقال لي والله سيلي الملكة ويكسر التتار ، قلت من أين تعلم هذا ؟ فقال : كنت أخذه وهو صغير وكان عليه قل كثير فكنت أفليه وأهنيه وأذنه ، فقال لي يوما : ويك إيش تريد أعطيك إذا ملكك القطار المصرية ؟ قلت له أنت مجنون ؟ فقال لقد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال لي أنت تمكك القطار المصرية وتكسر التتار ، وقول رسول الله ﷺ حتى لا شك فيه ، قلت له حينئذ - وكان صادقاً - أريد منك إمرة خمسين فارساً ، فقال نعم أبشر . قال ابن الأثير : فلما قال لي هذا قلت له هنك كتب المصريين بأنه قد تولى السلطنة ، فقال والله ليكسرن التتار ، وكان كذلك ، ولما رجع الناصر إلى ناحية القطار المصرية وأراد دخولها ورجع عنها ودخلها أكثر الجيوش الشامية كان هذا الأمير الحماكي في جملة من دخلها ، فأعطاه المظفر إمرة خمسين فارساً ، ووفى له بالوعد ، وهو الأمير جمال الدين التركماني . قال ابن الأثير : فلقيني بمصر بعد أن تأمر فذكرني بما كان أخبرني عن المظفر ، فذكرته ثم كانت وقعة التتار على إثر ذلك فكسروهم وطردوهم عن البلاد ، وقد روى عنه أنه لما رأى عصابات التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه : لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفي الظلال وتهب الرياح ، ويدعوا لنا الخيلباء والناس في صلاتهم ، رحمه الله تعالى .

وفيها هلك كتبنا توين نائب هولاء على بلاد الشام لئله الله ، ومضى توين يعني أمير عشرة آلاف ، وكان هذا الخبيث قد فتح لآستانه هولاء كو من أقصى بلاد العجم إلى الشام ، وقد أدرك جنكيزخان جد هولاء ، وكان كتبنا هذا يعتمد في حروبه المسلمين أشياء لم يسبقه أحد إليها ، كان إذا فتح بلداً ساق مقاتلة هذا البلد إلى البلد الآخر حتى يلبه ، ويطلب من أهل ذلك البلد أن يؤوا هولاء إليهم ، فانضوا حصل مقصوده في تضيق الأطمه والأشربة عليهم ، فنقض مدة الحصار

عليه لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم ، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذي فتحه قبل ذلك ، فان حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك بهؤلاء حتى بقي تلك المقاتلة ، فان حصل الفتح وإلا قاتلهم بجيئده وأصحابه مع راحة أصحابه وتعب أهل البلد وضمهم حتى يمتهم سرياً . وكان يبعث إلى الحصن يقول : إزماءكم قد قل فخشى أن نأخذكم عنوة فنقتلكم عن آخركم ونسبي نساءكم وأولادكم فابقاؤكم بعد ذهاب مائكم ، فأتبعوا صلحاً قبل أن نأخذكم قسراً فيقولون له : إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماء . فيقول لأصدق حتى أبعث من عندي من يشرف عليه فان كان كثيراً انصرفت عنكم ، فيقولون : ابعث من يشرف عليه ، فيرسل رجالاً من جيشه معهم رماح بحفرة محشوة سم ، فإذا دخلوا الحصن الذي قد أعياه سألوا ذلك الماء بتلك الرماح على أنهم يعقشونه ويرفون قدره ، فيفتح ذلك السم ويستقر في ذلك الماء فيكون سبب هلاكهم وهم لا يشعرون لمنه الله لمنه تدخل معه قبره . وكان شيخاً كبيراً قد أسن وكان يميل إلى دين النصارى ولكن لا يمكنه انظر وج من حكم جنكيزخان في الياساق .

قال الشيخ قطب الدين اليوناني : وقد رأيته ببعلبك حين حاصر قلعتها ، وكان شيخاً حسناً له لحية طويلة مسترسلة قد صغرها مثل الدبوق ، وقارة يملقها من خلفه بأذنه ، وكان مهيباً شديداً السطوة ، قال وقد دخل الجامع فسمه المنارة ليتأمل القلعة منها ، ثم خرج من الباب الغربي فدخل دكاناً خراباً تقضى حاجته والناس ينظرون إليه وهو مكشوف العورة ، فلما فرغ من حاجته مسح بعض أصحابه بطنه ملبد مسحة واحدة . قال ولما بانته خروج المظفر بالساركر من مصر تلوم في أمره وحار ماذا يفعل ، ثم حملته نفسه الآية على لقائه ، وظن أنه منصور على جاري عادته ، فحمل يومئذ على الميسرة فكسرها ثم أيد الله المسلمين وثبتهم في المعركة فحملوا حملة صادقة على التتار فهزموهم هزيمة لا تحجب أبداً ، وقتل أميرهم كتيختاوين في المعركة وأسر ابنه ، وكان شاباً حسناً ، فأحضر بين يدي المظفر فقلز فقال له أهرب أبوك ؟ قال إنه لا يهرب ، فطلبوه فوجدوه بين القتلى ، فلما رآه ابنه صرخ وبكى ، فلما تحققه المظفر سجد لله تعالى ثم قال : أكلم طيباً . كان هذا سعادة التتار وبقته ذهب سدهم ، وهكذا كان قال ولم يفلحوا بعده أبداً ، وكان قتله يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، وكان الذي قتله الأمير آقوش الشمسى رحمه الله .

(الشيخ محمد الفقيه اليوناني)

الجنبل البعلبكي المحافظ ، هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال أحمد بن على ابن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق ، كنا قل هذه النسبة الشيخ قطب الدين اليوناني من خط أخيه الأكبر أبي الحسين على وأخبره أن والده قال له نحن من سلالة

جعفر الصادق ، قال وإنا قال له هذا عند الموت ليتخرج من قبول الصدقات .

أبو عبد الله بن أبي الحسين البيهقي الخنيزلي تقي الدين العتيق الخنيزلي الحافظ المفيد البارع المأيد الناسك ، ولد سنة ثنتين وسبعين وخمسة ، ومع الخشوعي وحنبل والكندى والحافظ عبد القتي وكان يثق عليه ، ووقفه على الموفق ، ولزم الشيخ عبد الله البيهقي فانتفع به ، وكان الشيخ عبد الله يثق عليه ويقدمه ويقندى به في الفتاوى ، وقد لبس الخرقة من شيخ شيخه عبد الله البطاشي ، وبرع في علم الحديث وحفظ الجمع بين الصحيحين بالفاء والواو ، وحفظ قطعة صالحة من مسند أحمد ، وكان يعرف العربية أخذها عن التاج الكندي ، وكتب مليحاً حسناً ، وكان الناس يلتفون بفتوته الكثيرة ، وبأخذون عنه الطرق الحسنة ، وقد حصلت له وجاهة عظيمة عند الملوك ، توفراً مرة عند الملك الأشرف بالقلمة حال سماع البخاري على الزبيدي ، فلما فرغ من الوضوء فضض السلطان تحفيقته وبسطها على الأرض ليلاً عليها ، وحلف السلطان له إنها طاهرة ولا بد أن يطاء رجله عليها فضل ذلك . وقدم للكمال على أخيه الأشرف دمشق فأنزله القلمة وتحويل الأشرف له دار السعادة وجعل يذكر للكمال محاسن الشيخ العتيق ، فقال للكمال : أحب أن أراه ، فأرسل إليه إلى بعلبك ببطاقة واستحضره فوصل إلى دار السعادة ، فنزل للكمال إليه وتجادوا وتذاكرا شيئاً من العلم ، فجزت مسألة القتل بالقتل ، وجرى ذكر حديث الجارية التي قتلها اليهودي فرض رأسها بين حجرين فأمر رسول الله ﷺ بقتله ، فقال للكمال : إنه لم يدعرف . فقال الشيخ العتيق في صحيح مسلم « فاعترف » ، فقال للكمال أنا اختصرت صحيح مسلم ولم أجدها فيه ، فأرسل للكمال فأحضر خمس مجلدات اختصاره لمسلم ، فأخذ للكمال مجلداً والأشرف آخر وحماد الدين بن موسك آخر وأخذ الشيخ العتيق مجلداً فأول ما فتحه وجد الحديث كما قال الشيخ العتيق ، فتعجب للكمال من استحضاره وسرعة كشفه ، وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية فأرسله الأشرف سريراً إلى بعلبك ، وقال للكمال : إنه لا يؤثر بملك شيئا ، فأرسل له للكمال ذهباً كثيراً ، قال وله قطب الدين : كان والدي يقبل بر الملوك ويقول أنا في بيت المال أكثر من هذا ، ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئا إلا أن يكون هدية مأكول ونحوه ، ويرسل إليهم من ذلك فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء .

وذكر أنه كثرة ما وأثرى ، وصار له سعة من المال كثيرة ، وذكر أنه أن الأشرف كتب له كتاباً بقرية يونين وأعطاه لحفي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة ، فلما شعر والدي بذلك أخذ الكتاب ومزقه وقال : أنا في غنية عن ذلك ، قال وكان والدي لا يقبل شيئا من الصدقة وزعم أنه من ذرية علي بن أبي طالب من جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن

على بن أبي طالب ، قال وقد كان قبل ذلك فقيراً لا شيء له ، وكان للشيخ عبد الله زوجة ولها ابنة جميلة ، وكان للشيخ يقول لها : زوجيها من الشيخ محمد ، فتقول إنه فقير وأنا أحب أن تكون ابنتي سميدة ، فيقول الشيخ عبد الله كآنى أنظر إليهما ليده وإيها في دار فيها بركة وله رزق كثير والمالوك يترددون إلى زيارته ، فزوجتها منه فكان الأمر كذلك ، وكانت أولى زوجاته رحمه الله تعالى .

وكانت المالوك كلهم يحترمونه ويعظمونه ويحيثون إلى مدينته ، بنو المادل وغيرهم ، وكذلك كان مشايخ الفقهاء كابن الصلاح ، وابن عبد السلام ، وابن الحاجب ، والحصرى ، وقميس الدين بن سنى الدولة ، وابن الجوزى ، وغيرهم يعظمونه ويرجعون إلى قوله لعله وعمله وديانته وأمانته . وقد ذكرت له أحوال ومكاشفات وكرامات كثيرة رحمه الله ، وزعم بعضهم أنه قلب منذ ثنتى عشرة سنة فأنه أعلم . وذكر الشيخ الفقيه قال عزمت مرة على الرحلة إلى حران ، وكان قد بلغنى أن رجلاً بها يعلم علم الفرائض جيداً ، فلما كانت الليلة التى أريد أن أسافر في صبيحتها جاءني رسالة الشيخ عبد الله اليونينى يرمز على إلى القدس الشريف ، وكآنى كرهت ذلك وفتحت المصحف فطلع قوله (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وم مهتدون) فخرجت معه إلى القدس فوجدت ذلك الرجل الحراني بالقدس الشريف ، فأخفت عنه علم الفرائض حتى خيل لى أنى صرت أبرع فيه منه . وقال الشيخ أبو شامة كان الشيخ الفقيه رجلاً ضحياً ، وحصل له قبول من الأمراء وغيرهم ، وكان يلبس قمباً صوفه إلى خارج كما كان شيخه الشيخ عبد الله اليونينى ، قال وقد صنف شيئاً فى المراج فردت عليه فى كتاب سميت به الواضح الجلى فى الرد على الخنبلى ، وذكر ولده قطب الدين أنه مات فى التاسع عشر من رمضان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

(محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر)

أبو عبد الله البيطار الأقال ، أصله من جبل بنى هلال ، وولد بقصر حجاج ، وكان مقياً بالشاغور وكان فيه صلاح ودين وإيتار للفقراء والمحتاجين والحائيس ، وكانت له حال غريبة لا يأكل لأحد شيئاً إلا بأجرة ، وكان أهل البلد يتراهم عليه لى كل لهم الأشياء المتنخرة الطيبة فيمتنع إلا بأجرة جيدة ، وكلما امتنع من ذلك حلى عند الناس وأحبوه ومالوا إليه ويأتونه بأشياء كثيرة من الحلوات والشواء وغير ذلك فيرد عليهم عوض ذلك أجرة جيدة مع ذلك ، وهذا فرييب جداً ، رحمه الله تعالى ورضى عنه بمنه وكرمه آمين .

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمائة)

استهلت بيوم الاثنين لآيام خلون من كآون الأول ، وليس للمسلمين خليفة وصاحب مكة أبو نجي بن أبى سعيد بن على بن قتادة الحنفى ، وعده إدرىس بن على شريكه ، وصاحب المدينة

الأمير عز الدين جاز بن شبيح الحسني ، وصاحب مصر والشام السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، وشريكه في دمشق و بعلبك والصببية و يافس الأمير علم الدين سنجر الملقب بالملك المجاهد ، وشريكه في حلب الأمير حسام الدين لاشين الجوكنداري العزبي ، والكرك والشوبك الملك المنيث فتح الدين عمر بن الملال بن سيف الدين أبي بكر الكامل محمد بن الملال الكبير سيف الدين أبي بكر بن أيوب . و حصن جبيون و بازريا في يد الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين مكروس ، وصاحب حمه الملك المنصور بن تقي الدين محمود ، وصاحب حصن الأشرف بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين الناصر ، وصاحب الموصل الملك الصالح بن البدر لؤلؤ ، وأخوه الملك المجاهد صاحب جزيرة ابن عمر ، وصاحب ماردين الملك السعيد نجم الدين أيل غازي بن أرتق ، وصاحب بلاد الروم ركن الدين قلق أرسلان بن كيخسرو السلجوقي ، وشريكه في الملك أخوه كيكاوس والبلاد بينهما نصفين ، وسائر بلاد المشرق بأيدي التتار أصحاب هولاء ، و بلاد اليمن تملكها غير واحد من الملوك ، وكذلك بلاد الجوكندى المغرب في كل قطر منها ملك .

وفي هذه السنة أغارت التتار على حلب فلقبهم صاحبها حسام الدين العزبي ، والمنصور صاحب حمه ، والأشرف صاحب حصن ، وكانت الوقعة شلى حصن قريبا من قبر خالد بن الوليد ، والتتار في سنة آلاف والمسلمون في ألف وأربعمائة فهزمهم الله عز وجل ، وقتل المسلمون أكثرهم فرجع التتار إلى حلب فحصرها أربعة أشهر وضيقوا عليها الأقوات ، وقتلوا من الثرباء خلقا صبورا ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون ، والجيشو القين كسروم على حصن مقيمون لم يرجعوا إلى حلب بل ساقوا إلى مصر ، فلقاهم الملك الظاهر في أبهة السلطنة وأحسن إليهم ، و بقيت حلب محاصرة لاناصر لها في هذه المدة ولكن سلم الله سبحانه وتعالى .

وفي يوم الاثنين سابع صفر ركب الظاهر في أبهة الملك ومشى الأمراء والجناد بين يديه ، وكان ذلك أول ركوبه واستمر بعد ذلك يتابع الركوب والعب بالكرة .

وفي سابع عشر صفر خرج الأمراء بدمشق على ملكها علم الدين سنجر قاتلوه فهزموه ، فدخل القلعة فحاصرونها فهرب منها إلى قلعة بعلبك ، وتسلم قلعة دمشق الأمير علم الدين أبيدكين البندقداري ، وكان مملوكا لجلال الدين يسور ثم الصالح أيوب بن الكامل وإليه ينسب الملك الظاهر ، فأرسله الظاهر ليتسلم دمشق من الحلبي علم الدين سنجر ، فأخفاها وسكن قلعتها نيابة عن الظاهر ، ثم حاصروا الحلبي بيمليك حتى أخذوه فأرسلوه إلى الظاهر على نخل إلى مصر ، فدخل عليه بلاصاته ثم أطلق له أشياء وأكرمه .

وفي يوم الاثنين ثامن ربيع الأول استوزر الظاهر بهاء الدين علي بن محمد المعروف بابن الحنا

وفي ربيع الآخر قبض الظاهر على جماعة من الأمراء بلغه عنهم أنهم يريدون الوثوب عليه وفيه أرسل إلى الشوك فقتلها من أيدي تواب المنيت صاحب الكرك ، وفيها جهز الظاهر جيشاً إلى حلب ليعردوا التتار عنها ، فلما وصل الجيش إلى غزة كتب الفرنج إلى التتار ينذرونهم ، فرحلوا عنها مسرعين واستولى على حلب جماعة من أهلها ، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم ، وقدم إليهم الجيش الظاهري فأزالوا ذلك كله ، وصادروا أهلها بألف ألف وسبعمائة ألف ، ثم قدم الأمير قحس الدين آقوش التركي من جهة الظاهر فاستلم البلد وقطع وصل وحكم وعمل .

وفي يوم الثلاثاء عشر جمادى الأولى بشر القضاء بمصر تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى الأعز أبو القاسم خلف بن رشيد الدين بن أبي التنايه محمود بن بدر الملائى ، وذلك بعد شروط ذكرها في الظاهر شديدة ، فمسل تحتها الملك الظاهر وعزل عن القضاء بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن على السنجارى ورسم عليه أيلماً ، ثم أفرج عنه .

✽ ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر ✽

وكان معتقلاً ببغداد فأطلق ، وكان مع جماعة الأعراب بأرض العراق ، ثم قصد الظاهر حين بلغه ملكه ، فقدم مصر محبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة ، منهم الأمير ناصر الدين مهنا فى فامن رجب ، فخرج السلطان ومعه الوزير والشهود والمؤذنون فتلقوه وكان يوماً مشهوداً ، وخرج أهل التوراة بتوراتهم ، والنصارى بأصحبيهم ، ودخل من باب النصر فى أبهة عظيمة ، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة بالإوان بقلمة الجبل ، والوزير والقاضى والأمراء على طبقاتهم ، وأثبت نسب الخليفة المذكور على الحاكم تاج الدين بن الاعز ، وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باقى المستنصرية ، وعم المستنصر ، وبيع بالخلافة بمصر بإيمه الملك الظاهر والقاضى والوزير والأمراء ، وركب فى دست الخلافة بغير مصر والأمراء بين يديه والناس حوله ، وشق القاهرة فى ثالث عشر رجب ، وهذا الخليفة هو الثامن والتلاتون من خلفاء بنى المباس بينو وبين المباس أربعة وعشرون أباء ، وكان أول من بإيمه القاضى تاج الدين لما ثبت نسبه ، ثم السلطان ثم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ثم الأمراء والدولة ، وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة وكان منصب الخلافة قد شغل منذ ثلاث سنين ونصف ، لأن المستنصر قتل فى أول سنة ست وخمسين وسبعمائة ، وبيع هذا فى يوم الاثنين فى ثالث عشر رجب من هذه السنة - أعنى سنة تسع وخمسين وسبعمائة - وكان أمراً وسياً شديد القوى على المهمة له شجاعة وإقدام ، وقد لقبوه بالمستنصر كما كان أخاه باقى المدرسة ، وهذا أمر لم يسبق إليه أن خليفتين أخوين يلقب كل منهما بالآخر ، ولما خلافة أخوين كهذين السلف وأخوه المنصور ، وكذا محمد بن على بن عبد الله بن المباس ، والمهادى

والرشيد ، والمسترشد والمقتنى ولها المستظهر ، وأما ثلاثة فلا ميم والمأمون والمعتمد أولاد الرشيد ، والمنتصر والمعتز والمطيع أولاد المقتدر ، وأما أربعة فأولاد عبد الملك بن مروان الوليد وسليمان ويزيد وهشام . وكانت مدة خلافته إلى أن قد كاسياتي خمسة أشهر وعشرين يوماً ، أقصر مدة من جميع خلفاء بني العباس ، وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً ، وإبراهيم بن يزيد الناقص سبعين يوماً ، وأخوه يزيد بن الوليد خمسة أشهر . وكانت مدة خلافة الحسن بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً . وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر وعشرة أيام ، وكان في خلفاء بني العباس من لم يستكمل سنة منهم المنتصر بن التوكل ستة أشهر ، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً ، وقد أنزل الخليفة هذا بقعة الجبل في برج هو وحشمه ، فلما كان يوم سابع رجب ركب في السواد وجاء إلى الجامع بالقلمة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ، ثم استفتح قرأ صدرًا من سورة الأنعام ثم صلى على النبي ﷺ ثم رضى عن الصحابة ودعا لسلطان الظاهر ، ثم نزل فصلى بالناس فاستحسنوا ذلك منه ، وكان وقتنا حسناً ويوما مشهوداً .

(تولية الخليفة المستنصر بالله الملك الظاهر السلطنة)

لما كان يوم الاثنين الرابع من شعبان ، ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء وأهل الحل والمقد إلى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة فجلسوا فيها ، فألبس الخليفة السلطان بيده خلعة سوداء ، وطوقا في عنقه ، وقيدا في رجليه وهما من ذهب ، وصعد حجر الدين إبراهيم بن لقمان وهو رئيس الكتاب منبراً قرأ على الناس تقليد السلطان ، وهو من إنشائه ويخط نفسه ، ثم ركب السلطان بهذه الأبهة والقييد في رجليه ، والطوق في عنقه ، والوزير بين يديه ، وعلى رأسه التقليد والأمراء والدولة في خدمته مشاة سوى الوزير ، فشق القاهرة وقد زينته له ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد ذكر الشيخ قطب الدين هذا التقليد بتمامه ، وهو مطول والله أعلم .

(ذكر ذهاب الخليفة إلى بغداد)

ثم إن الخليفة طلب من السلطان أن يجهزه إلى بغداد ، فرتب السلطان له جنداً هائلة وأقام له من كل ما ينبغي للخلفاء والملوك . ثم سار السلطان صحبته فاصدين دمشق ، وكان سبب خروج السلطان من مصر إلى الشام ، أن التركي كآتقدم كان قد استحوذ على حلب ، فأرسل إليه الأمير علم الدين سنجر الحلبي الذي كان قد قلب على دمشق فطرده عن حلب وتسلمها ، وأقام بها نائباً عن السلطان ، ثم لم يزل التركي حتى استمداها منه وأخرجها منها هارباً ، فاستجاب الظاهر على مصر عز الدين أيمن الحلبي وجعل تدبير المملكة إلى الوزير جهاد الدين بن الحنا ، وأخذ ولده نقر الدين

منه وزيراً وجعل تدبير السائر والجيش إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار ، ثم ساروا فدخلوا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة ، وكان يوماً مشهوداً ، وصلى الجمعة بجامع دمشق ، وكان دخول الخليفة من باب البريد ، ودخل السلطان من باب الزيادة . وكان يوماً مشهوداً أيضاً ، ثم جهز السلطان الخليفة إلى بغداد ومعه أولاد صاحب الموصل ، وأنفق عليه وعليهم وعلى من استقل معه من الجيش الذين يردون عنه ما لم يقدر الله من الذهب المين ألف ألف دينار ، وأطلق له وزاده فخر الله خيراً ، وقدم إليه صاحب حمص الملك الأشرف فخلع عليه وأطلق له وزاده تل باشا ، وقدم صاحب حملا منصور فخلع عليه وأطلق له وكتب له تقليداً بيلاده ، ثم جهز جيشاً محبة الأمير علاء الدين البندقدارى إلى حلب لمحاربة التركي المتغلب عليها الفسد فيها . وهذا كل ما بلغنا من وقائع هذه السنة ملخصاً

(ثم دخلت سنة ستين وسبعمائة)

في أوائل هذه السنة في ثالث الحرم قتل الخليفة المستنصر بالله الذى برع له في رجب في السنة الماضية بمصر ، وكان قتله بأرض الرقاق بعد ما هزم من كان معه من الجنود فاقاه الله وإنا إليه راجعون ، واستقل الملك الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور ، ولم يبق له منازع سوى التركي فانه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها وعصى عليه هناك . وفي اليوم الثالث من الحرم من هذه السنة خلع السلطان الملك الظاهر بيلاد مصر على جميع الأمراء والحاشية وعلى الوزير وعلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأزه وعزل عنها برهان الدين السنجارى ، وفي أواخر الحرم أعرس الأمير بدر الدين بيليك الخازندار على بنت الأمير لؤلؤ صاحب الموصل ، واحتفل الظاهر بهذا العرس احتفالاً بالفا قال ابن خلكان : وفي هذه السنة اصطاد بعض أمراء الظاهر بحدود حماة وحش فطبخوه فلم ينضج ولا أثر فيه كثرة الوقود ، ثم اقتعدوا جلده فاذا هو مرسوم على أذنه بهرام جور ، قال : وقد أحضروه إلى قراءته كذلك ، وهو يقضى أن لهذا الحمار قريباً من ثمانمائة سنة ، فان بهرام جور كان قبل المبعث بمدة متطولة ، وحرا وحش قميش دهرأ طويلاً ، قلت : يحتمل أن يكون هذا بهرام شاه الملك الأجد ، إذ يبعد بقاء مثل هذا بلا اصطلياد هذه المدة الطويلة ، ويكون الكاتب قد أخطأ فأراد كتابة بهرام شاه فكتب بهرام جور فحصل القيس من هذا والله أعلم .

(ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي)

في السابع والعشرين من ربيع الآخر دخل الخليفة أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي علي القنبي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الامام المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد من بلاد الشرق ومحبة جماعة من رؤوس تلك البلاد ، وقد شهد الواقعة محبة المستنصر ، وهرب هو في جماعة من الحركة فسلم ، فلما كان يوم دخوله تلقاه السلطان الظاهر وأظهر

السرو وله الاحتفال به ، وأثرت في البرج الكبير من قلعة الجبل ، وأجريت عليه الأرزاق الفارة والاحسان . وفي ربيع الآخر عزل الملك الظاهر الأمير جمال الدين آقوش النجبي عن استماريته واستبدل به غيره . وبعد ذلك أرسله نائباً على الشام كما سيأتي .

وفي يوم الثلاثاء ناسع رجب حضر السلطان الظاهر إلى دار العدل في عكاكة في بئر إلى بيت القاضي تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز فقام الناس إلا القاضي فإنه أشار عليه أن لا يقوم . وتداعبا وكان الحق مع السلطان وله بيعة عادلة ، فانزعجت البئر من يد الغريم وكان الغريم أحد الأمراء .

وفي شوال استناب للظاهر على حلب الأمير علاء الدين أيدكين الشهابي وحينئذ أنما عسكر سيس على القلعة من أرض حلب فركب إليهم الشهابي فكسروهم وأسر منهم جماعة فبعوهم إلى مصر قتلوا . وفيها استناب السلطان على دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجبي ، وكان من أكابر الأمراء وعزل عنها علاء الدين طبرس الوزيري وحمل إلى القاهرة .

وفي ذي القعدة خرج مرسوم السلطان إلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز أن يستناب من كل مذنب من المذاهب الثلاثة نائباً فاستناب من الخفية صدر الدين سليمان الخنفي ، ومن الخبايا شمس الدين محمد بن الشيخ العباد ، ومن المالكية شرف الدين عمر السبكي المالكي .

وفي ذي الحجة قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأنين فأكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة ، وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل ورتب لهم رواتب كافية .

وفيها أرسل هولاكو طائفة من جنده نحو عشرة آلاف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا ، وضائق بها الأقوات .

وفيها أرسل الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ إلى التركي يستنجد به عليه فهزمت التتار ثم ثبتوا والتقوا معه ، وإنما كان معه سبعمائة مقاتل فهزموه وجرحوه وعاد إلى البصرة وفارقه أكثر أصحابه فدخلوا الديار المصرية ، ثم دخل هو إلى الملك الظاهر فأنتم عليه وأحسن إليه وأقطعهم سبعين فارساً ، وأما التتار فاتهم عادوا إلى الموصل ولم يزالوا حتى استنزلوا صاحبها الملك الصالح إليهم وقادوا في البلد بالأمان حتى اطمأن الناس ثم مالوا عليهم فقتلهم تسعة أيام وقتلوا الملك الصالح إسماعيل وولده علاء الدين وخربا أسوار البلد وتركوها بلاقم ثم كروا راجعين قبهم الله .

وفيها وقع الخلف بين هولاكو وبين السلطان بركة خان ابن عمه ، وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيباً مما فتحه من البلاد وأخذ من الأموال والأسرار ، على ما جرت به عادة ملوكهم ، فقتل رسله فاشتد غضب بركة ، وكتب للظاهر لينتقم على هولاكو .

وفيها وقع غلاء شديد بالشام فبيع القمح الفاراة بأربعمائة والشعير بمائتين وخمسين ، واقحم

الطل بسة أو سبعة . وحصل في النصف من شعبان خوف شديد من التنازع فجهز كثير من الناس إلى مصر ، وبيعت الغلات حتى حواصل القلعة والأمراء ، ورسم أولياء الأمور على من له قدرة أن يسافر من دمشق إلى بلاد مصر ، وثقت رجعة عظيمة في الشام وفي بلاد الروم ، ويقال إنه حصل لبلاد التتر خوف شديد أيضاً ، فسيحان الفئال لما يريد ويده الأمر . وكان الأمر لأهل دمشق بالتحول منها إلى مصر نائبها الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى ، فأرسل السلطان إليه في ذي القعدة فأمكنه وعزله واستتب عليها بهاء الدين النعجي ، واستوزر بمشقة عز الدين بن وداعة . وفيها نزل ابن خلكان عن تدريس الركنية لأبي شامة وحضر عنده حين درس وأخذ في أول مختصر المزني .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ الخليفة المستنصر بن الظاهر بأمر الله العباسي ﴾

الذي يابيه الظاهر بمصر كما ذكرنا ، وكان قتله في ثالث الحرم من هذه السنة ، وكان شهيداً شجاعاً بطلاً فائقاً ، وقد أفضى الظاهر عليه حتى أظم له جيشاً بألف ألف دينار وأزيد ، وسار في خدمته ومعه خلق من أكابر الأمراء وأولاد صاحب الموصل ، وكان الملك الصالح إسماعيل بن الوفد الدين قمعوا على الظاهر فأرسله بحبة الخليفة ، فلما كانت الوقعة فقد المستنصر ورجع الصالح إلى بلاده فجاءته التنازع فحاصروه كما ذكرنا ، وقتلوه وخرّبوا بلاده وقتلوا أهلها ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون .

﴿ المز الضرب النحوى القوي ﴾

واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن نجما من أهل نصيبين ونشأ بأربل فاشتغل بعلوم كثيرة من علوم الأوائل ، وكان يشتغل عليه أهل القمة وغيرهم ، ونسب إلى الانحلال وقلة الدين ، وترك الصلوات ، وكان ذكياً ، وليس يذكى ، عالم اللسان جاهل القلب ، ذكى القول خبيث الفعل ، بوله شر أورد منه الشيخ قطب الدين قطعة في ترجمته ، وهو شبهه بأبي الملاء المرى قبهما الله .

﴿ ابن عبد السلام ﴾

عبد المزي بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المذهب ، الشيخ عز الدين بن عبد السلام أبو محمد السلي المشقى الشافعى شيخ المذهب ومفيد أهل ، وله مصنفات حسان ، منها التفسير ، واختصار النهاية ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وكتاب الصلاة والقنواوى الموصلية وغير ذلك . وله سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسة ، وسمع كثيرا واشتغل على غير الدين بن عساكر وغيره وبرع في المذهب ، وجمع علوما كثيرة ، وأخذ الطلبة ودرس بمدة مدارس بمشقة ، وولى خطابها ثم سافر إلى مصر ودرس بها وخطب وحكم ، وانتهت إليه رئاسة الشافعية ، وقصد بالفتاوى من الآفاق ، وكان لطيفاً ظريفاً يستشهد بالأشعار ، وكان سبب خروجه من الشام إنكاره على الصالح

إسماعيل تسليمه صند والتثيف إلى الفرنج ، وواقه الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي ، فأخرجها من يده فسار أبو عمرو إلى الناصر داود صاحب الكرك فأكرمه ، وسار ابن عبد السلام إلى الملك الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر فأكرمه وولاه قضاء مصر وخطابة الجامع العتيق ، ثم أنزعهما منه وأقره على تدريس الصالحية ، فلما حضره الموت أوصى بها لقاضي تاج الدين ابن بفت الاعز ، وتوفي في عاشر جمادى الأولى وقد نيف على الثمانين ، ودفن من الشد بسفح المقطم ، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير رحمه الله تعالى .

﴿ كمال الدين بن المديم الحنفي ﴾

عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل الحلبي الحنفي أبو القاسم بن المديم ، الأمير الوزير الرئيس الكبير ، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، سمع الحديث وحدث وفقه وأفتى ودرس وصنف ، وكان إماماً في فنون كثيرة ، وقد ترسل إلى الخلفاء والملوك مراراً عديدة ، وكان يكتب حسناً طريقة مشهورة ، وصنف حلب تاريخاً مفيداً قريباً في أربعين مجلداً ، وكان جيد المعرفة بالحديث ، حسن الظن بالفقراء والصالحين كثير الإحسان إليهم ، وقد أقام بدمشق في الدولة الناصرية المتأخرة ، توفي بمصر ودفن بسفح المقطم بعد ابن عبد السلام بعشرة أيام ، وقد أورد له قطب الدين أشعاراً حسنة .

﴿ يوسف بن يوسف بن سلامة ﴾

ابن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن عبد القافي الزينبي بن إبراهيم ابن عبد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، محبي الدين أبو المعز ، ويقال أبو الحسن المدحشي النيسابى الحوصلى المعروف بابن زبلاق الشاعر ، قتلته التتار لما أخفوا الموصل في هذه السنة من سبع وخمسين سنة ، ومن شعره قوله :

بمنت لنا من صحر مقتلك الوسا • سهادا يزود الكوى أن يألف الجفنا
وأبصر جسمي حسن خصرك ناعلا • فحاكاه لكن زاد في دقة المعنى
وأبرزت وجهي أنجيل الصبح طالماً • وملت بقدر علم الهيث النصن الدنا ؟
حكيت أخاك البدر ليلة تمه • سنا وسناه إذ تشابهتما سنا

وقال أيضاً وقد دعى إلى موضع ، فبعث يستنصر بهذين البيتين :

أنا في منزلي وقد وهب الـ • له تديما وقينة وعقارا
فأبسطوا المنذر في التأخر عنكم • شغل الحلى أهل أن يمارا

قال أبو شامة وفيها في ثلثي عشر جمادى الآخرة توفي .

(البدر المرائي الخلاق)

المرووف بالطويل ، وكان قليل الدين تاركا الصلاة مقتبطا بما كان فيه من معرفة الجبل والخلاف على اصطلاح المتأخرين ، وأضيا بما لا يفيد .

وفيهما توفي (محمد بن داود بن ياقوت الصاري)

المحدث . كتب كثيرا الطبقات وغيرها ، وكان دينيا خيرا يميز كتبه ويداوم على الاشتغال بسماع الحديث رحمه الله تعالى .

(ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة)

استهلت وساططان البلاد الشامية والمصرية للظاهر بيبرس ، وعلى الشام نائبه آقوش النجبي ، وقاضي دمشق ابن خلكن والوزير بها عز الدين بن وداعة ، وليس فلانس خليفة ، وإنما تضرب السكة باسم المستنصر الذي قتل .

(ذكر خلافه الحاكم بأمر الله أبي العباس)

أحمد بن الأمير أبي علي التقي ابن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبي منصور الفضل بن الإمام المستظهر بالله أحمد العباسي الماشي . لما كان ثلثي الحرم وهو يوم الخميس ، جالس السلطان الظاهر والأمراء في الأيوان الكبير بقلة الجبل ، وجاء الخليفة الحاكم بأمر الله راكبا حتى نزل عند الأيوان ، وقد بسط له إلى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسيبه ، ثم قرئ نسيبه على الناس ثم أقبل عليه الظاهر بيبرس فبايحه وبايحه الناس بدمه ، وكان يوما مشهودا . فلما كان يوم الجمعة ثمانية خصلب الخليفة بالناس قتال في خطبته والحمد لله الذي أقام آل العباس ركنا ظهيرا ، وجعل لهم من بعده سلطانا نصيرا ، أحمد على السراء والضراء ، وأستعينه على شكر ما أسبغ من النماء ، وأستعمره على دفع الأعداء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نعيم الاغتداء وأئمة الاقتداء ، لاسيما الأربعة ، وعلى العباس كلشف غم أبي السادة الخلفاء وعلى بقية الصداقة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أيها الناس اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الاسلام ، والجهاد محتوم على جميع الأتنام ، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد ، ولا سيبت الحرم إلا بانتهاك المحارم ، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب الجرائم ، فلو شاهدتم أعداء الاسلام لما دخلوا دار السلام ، واستقبلوا الدماء والاموال وقتلوا الرجال والأطفال ، وسبوا الصبيان والبنات ، وأيتوم من الآباء والأمهات ، وهتكوا حرم الخلافة والحريم ، وعلت الصيحات من هول ذلك اليوم الطويل ، فكم من شيخ خضبت شيبته

بدمائه ، وكم من طفل بكى فلم يرحم ليكنه ، فشرعوا عباد الله عن ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد واتفقوا الله ما استطعتم (واصعموا وأطيعوا وأتقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فلم يبق ممددة في القمود عن أعداء الدين ، والحملات عن المسلمين ، وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجل العالم العادل المجاهد المؤيد ركن الدنيا والدين ، قد قام بنصر الأمانة عند قلعة الأنصار ، وشرذ جيوش الكفر بعد أن جلسوا خلال الديار ، وأصبحت البيعة بهيمته منتظمة المقود ، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود ، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة ، وأخلصوا نيابكم تنصروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان تغفروا ، ولا يرو عكم ماجرى فالحرب سجال والعاقبة للفقين ، والله يومان والأجر للؤمنين ، جمع الله على الهدى أمركم ، وأعز بالإيمان نصركم ، وأستغفر الله لى ولسائر المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم . ثم خطب الثانية ونزل فضلى ،

وكتب يمينه إلى الآفاق ليخطب له وضربت السكة باسمه . قال أبو شامة : تخطب له بجامع دمشق وسائر الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرم من هذه السنة . وهذا الخليفة هو التاسع والثلاثون من خلفاء بنى العباس ، ولم يزل الخلافة من بنى العباس من ليس والده وجده خليفة بعد السفاح والمنصور سوى هذا ، فأما من ليس والده خليفة فكثير منهم المستعين أحمد بن محمد ابن المنصور ، والمنصور بن طاحنة بن المتوكل ، والقادر بن إسحاق بن القنطرة ، والمتنقى بن الفخيرة ابن القائم بأمر الله .

(ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبها)

ركب الظاهر من مصر في المساكر المنصورة قاصدا ناحية بلاد الكرك ، واستدعى صاحبها الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل ، فلما قدم عليه بعد جهد أرسله إلى مصر منتقلا فكان آخر العهد به ، وذلك أنه كاتب هولاء وحته على القدوم إلى الشام مرة أخرى ، وجاءته كتب التنازل بالثبات ونياحة البلاد ، وأنهم قادمون عليه عشرون ألفا لفتح الديار المصرية ، وأخرج السلطان فتاوى الفقهاء بقتله وعرض ذلك على ابن خلكان ، وكان قد استدعاه من دمشق ، وعلى جماعة من الأمراء ، ثم سار فقتل الكرك يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى ودخلها يومئذ في أبهة الملك ، ثم عاد إلى مصر مؤيدا منصورا .

وفيهما قدمت رسل يركه خان إلى الظاهر يقول له : قد علمت محبتي للإسلام ، وعلمت ما فعل هولاء كوك المسلمين ، فأركب أنت من ناحية حتى آتية أنا من ناحية حتى نصطله أو نخرجه من البلاد وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد ، فاستصوب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله وأكرهم . وفيها زلزلت الموصل زلزلة عظيمة ونهبت أكثر دورها ، وفي رمضان جهز الظاهر صنایع وأخشابا وآلات كثيرة لهارة مسجد رسول الله ﷺ بعد حريقه فطيف بتلك الأخشاب والآلات

بمصر فرحوا وتغلبوا لشأنها ، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية ، وفي شوال سار الظاهر إلى الاسكندرية ففطر في أحوالها وأمورها ، وعزل قاضيا وخطيبا ناصر الدين أحمد بن النير وولى غيره .

وفيها التقى بركة خان وهولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقتلوا فهزم الله هولاكو هزيمة عظيمة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقى وهرب هو في شرخرة يسيرة وفقه الحمد . ولما نظر بركة خان كثرة القتل قال يزع على أن يقتل المغول بعضهم بعضاً ولكن كيف الحيلة فيمن غير سنجنكيرخان ثم أغار بركة خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة خان ، وقد أعظم التركي بحلب خليفة آخر لقبه بالحاكم ، فلما اجتاز به المستنصر سار معه إلى العراق واتفعا على المصاحبة وإغاثا الحاكم المستنصر لكونه أكبر منه وفقه الحمد ، ولكن خرج عليهما طائفة من التتار فزقوا ثملهما وقتلوا خلقا من كل منهما ، وعدم المستنصر وهرب الحاكم مع الأعراب . وقد كان المستنصر هنا فتح بها نائفا كثيرة في مسيره من الشام إلى العراق ، ولما قاله بهادر على شحنة بغداد كره المستنصر وقتل أكثر أصحابه ، ولكن خرج كمين من التتار فنجدة فهرب الريان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر وثبت هو في طائفة من كمين الترك فقتل أكثرهم وقد هومن بينهم ، ونجا الحاكم في طائفة ، وكانت الوقعة في أول الحرم من سنة ستين وسبائة ، وهذا هو الذي أشبه الحسين بن علي في توغله في أرض العراق مع كثرة جنودها ، وكان الأولى له أن يستقر في بلاد الشام حتى تتمده له الأمور ويصفو الحال ، ولكن قدر الله وما شاء فصل . وجيز السلطان جيشاً آخر من دمشق إلى بلاد الفرنج فأغلروا وقتلوا وسبوا ورجسوا سالفين ، وطلبت الفرنج منه المصلحة فصالحهم مدة لاشتغاله بحلب وأعمالها ، وكان قد عزل في شوال قاضي مصر تاج الدين ابن بنت الأعز وولى عليها برهان الدين الخضر بن الحسين السنجاري ، وعزل قاضي دمشق نجم الدين أبي بكر بن صدر الدين أحمد ابن قيس الدين بن هبة الله بن سفي الدولة ، وولى عليها شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، وقد ناب في الحكم بالقاهرة مدة طويلة عن بدر الدين السنجاري ، وأضاف إليه مع القضاء فطر الأوقف ، والجامع والمدرستان ، وتدرّس سبع مدارس ، المادلية والنصرية والتندراوية والفلكية والركنية والاقبالية والبهنسية ، وقرى تقليده يوم عرفة يوم الجمعة بعد الصلاة بالشباك السكالي من جامع دمشق ، وسافر القاضى المزول مرثيا عليه . وقد تكلم فيه الشيخ أبو شامة وذكر أنه خان في وديعة ذهب جعلها قلوفا فقه أعلم ، وكانت مدة ولايته سنة وأشهر . وفي يوم العيد يوم السبت سافر السلطان إلى مصر ، وقد كان رسول الاسماعيلية قدم على السلطان بدمشق يتهددونه ويتوعدونه ، ويطلبون منه إقطاعات كثيرة ، فلم يزل السلطان يوقع بينهم حتى استأصل شأقتهم واستولى على بلادهم .

وفي السادس والعشرين من ربيع الأول عمل عزاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي فاتح بيت المقدس وكان عمل هذا العزاء بقلة الجبل بمصر ، بأمر السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك لما بلغتهم أن هولاء نكثوا التنازل عنه ، وقد كان في قبضته منذ مدة ، فلما بلغ هولاء أن أنصاه قد كسروا بعين جالوت طلبه إلى بين يديه وقال له : أنت أرسلت إلى الجيوش بمصر حتى جاءوا فاقفتموا مع المغول فكسروهم ثم أمر بقتله ، ويقال إنه اعتذر إليه وذكر له أن المصريين كانوا أعداءه وبينه وبينهم شتآن ، فأثله ولكنه انحطت رتبته عنده ، وقد كان مكرما في خدمته ، وقد وعده أنه إذا ملك مصر استنابه في الشام فلما كانت وقعة حصص في هذه السنة وقتل فيها أصحاب هولاء كوع مقدمهم بيسرة غضب وقال له أصحابك في العزيزية أمراء أبيك ، والناصرية من أصحابك قتلوا أصحابنا ، ثم أمر بقتله . وذكروا في كيفية قتله أنه رماه بالشباب وهو واقف بين يديه يسأله العفو فلم يصف عنه حتى قتله وقتل أخاه شقيقه الظاهر عليا ، وأطلق وليهما العزيز محمد بن الناصر وزبالة بن الظاهر ، وكافا صغيرين من أحسن أشكال بني آدم . فلما العزيز فاته مات هناك في أسر التتار ، وأما زبالة فاته نصار إلى مصر وكان أحسن من بها ، وكانت أمه أم ولد يقال لها وجه القمر ، فتزوجها بعض الأمراء بعد استنذاعها ، ويقال إن هولاء كولا أراد قتل الناصر أمر بأربع من الشجر متباعدات بعضها عن بعض ، فجعلت روسها بحبال ثم ربط الناصر في الأربعة بأربسته ثم أطلقت الحبال فرجعت كل واحدة إلى مركزها بعضو من أعضائه رحمه الله . وقد قيل إن ذلك كان في الخامس والعشرين من شوال في سنة ثمان وخمسين ، وكان مولده في سنة سبع وعشرين بحلب . ولما توفي أبوه سنة أربع وثلاثين بوجع بالسلطنة بحلب وعمره سبع سنين ، وقام بتدبير مملكته جماعة من عماليك أبيه ، وكان الأمر كله عن رأي جدته أم خاتون بنت العادل أبي بكر بن أيوب ، فلما توفيت في سنة أربع وستائة استقل الناصر بالملك ، وكان جيد السيرة في الرعية محبا إليهم ، كثير النعمات ، ولا سيما لما ملك دمشق وحلب وأعمالها وببلبك وحران وطائفة كبيرة من بلاد الجزيرة ، فيقال إن سلاله كان كل يوم يشتمل أربعمائة رأس غنم سوى الهجاج والأوز وأنواع الطير ، مطبوخا بأنواع الأطعمة والتفليات غير المشوى والمقلي ، وكان مجموع ما يفرم على السباط في كل يوم عشرين ألفا وعطمت يخرج من يديه كما هو كانه لم يؤكل منه شيء ، فيباع على باب القلعة بأرخص الأثمان حتى إن كثيرا من أرباب البيوت كانوا لا يطبخون في بيوتهم شيئا من الطير والأطعمة بل يشتررون برخص مالا يقدرون على مثله إلا بكلفة وفتنة كثيرة ، فيشتري أحدهم نصف درهم أو بدرهم مالا يقدر عليه إلا بخسارة كثيرة ، ولعله لا يقدر على مثله ، وكانت الأرزاق كثيرة دارة في زمانه وأيامه ، وقد كان خليما غلظيا حسن

الشكل أدياً يقول الشر المتوسط القوي بالنسبة إليه ، وقد أودله الشيخ قطب الدين في القيل
قطعة سالمة من شعره وهي راقعة لاهمة . قتل ببلاد المشرق ودفن هناك ، وقد كان أعدله تربة يربطه
الذي بناه بدمع قاصبون فلم يقدر دفنه بها ، والناصرية البرانية بالفتح من أغرب الأبنية وأحسنها
بنياناً من الموكد المحكم قبلي جامع الافرم ، وقد بنى بعدها عدة طويلة ، وكذلك الناصرية الجوانية
التي بناها داخل باب الفرديس هي من أحسن المدارس ، وبنى الخان الكبير تجاه الزنجباري وحوات
إليه دار العلم ، وقد كانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان اليوم رحمه الله .

وفيها توفي من الأعيان (أحمد بن محمد بن عبد الله)

ابن محمد بن يحيى بن سيد الناس أبو بكر البيمري الأندلسي الحافظ ولد سنة سبع وتسعين
وخمسة مئتين وممکن الكثير ، وحصل كتباً عظيمة ، وصنف أشياء حسنة ، وختم به الحفاظ في تلك البلاد ،
توفي بمدينة تونس في سابع عشرين رجب من هذه السنة .

ومن توفي فيها أيضاً (عبد الرزاق بن عبد الله)

ابن أبي بكر بن خلف عز الدين أبو محمد الرسفي المحدث الفسر ، سمع الكثير ، وحدث وكان
من الفضلاء والأدباء ، له مكانة عند البدر لؤلؤ صاحب الموصل ، وكان له منزلة أيضاً عند صاحب
سجنار ، وبها توفي في ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر وقد جاوز السبعين ، ومن شعره :

نعب الغراب فدلنا بنميه • أن الحبيب ذنا أو أن مفيه

ياسألني عن طيب عيشي بدم • جدلي بعيش ثم سل عن طيبه

(محمد بن أحمد بن عترة السلي الهشقي)

محسبها ، ومن عدولها وأعيانها ، وله بها أملاك وأوقاف ، توفي بإتقارة ودفن بالمعظم .

(علم الدين أبو القاسم بن أحمد)

ابن الموفق بن جعفر المرسى البورقي القنوي النحوي المقرئ ، شرح الشاطبية شرحاً مختصراً ،
وشرح المنفصل في عدة مجلدات ، وشرح الجزولية وقد اجتمع بمصنفها وسأله عن بعض مسائلها ،
وكان ذا فنون عديدة حسن الشكل مليح الوجه له هيئة حسنة وبزة وجمال ، وقد سمع الكندي
وفيه . (الشيخ أبو بكر الدينوري)

وهو ياتي الزاوية بالصالحية ، وكان له فيها جماعة مريدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة
رحمه الله (مولد الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ الاسلام)

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وفي هذه السنة ولد شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد بن
الشيخ شهاب الدين عبد الحلیم بن أبي القاسم بن تيمية الحراني بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول
من سنة إحدى وستين وسبعمائة .

﴿ الأمير الكبير مجير الدين ﴾

أبو الميجاء عيسى بن حنير الازكشى الكردى الأموى ، كان من أعيان الأمراء وشجعانهم ، وله يوم عين جالوت اليد البيضاء في كسر التتار ، ولما دخل الملك المظفر إلى دمشق بعد الرقعة جمعه مع الأمير علم الدين سنجر الحلبي قائما على دمشق مستشارا ومشتريكا في الرأى والمراسيم والتدبير ، وكان يجلس معه في دار العدل وله الاقطاع الكامل والرزق الواسع ، إلى أن توفى في هذه السنة . قال أبو شامة : ووالده الأمير حسام الدين توفى في جيش الملك الأشرف ببلاد الشرق هو والأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب . قلت ووالده الأمير عز الدين تولى هذه المدينة أعنى دمشق مدة ، وكان مشكور السيرة وإليه ينسب درب ابن سنون بالصافة المتينة ، فيقال درب ابن أبي الميجاء لأنه كان يسكنه وكان يعمل الولاية فيه فصرف به ، وبعد موته بقليل كان فيه نزولنا حين قدسنا من حوران وأنا صغير فغتمت فيه القرآن ، والله الحمد .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وسبعمائة ﴾

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله البلبلى ، والسلطان الظاهر بيبرس ، وقائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش التجيبى وقاضيه ابن خلكان .

وفيهما فى أولها كملت المدرسة الظاهرية التى بين القصرين ، ورتب لتدريس الشافعية بها القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين ، ولتدريس الحنفية محمد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر ابن المديم ، ولتشيخة الحديث بها الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الحافظ البعلبلى . وفيها عمر الظاهر بالقدس خاتا ووقف عليه أوقافا للنازليين به من إصلاح فسادهم وأكلهم وغير ذلك ، وبني به طاحونا وفرنا .

وفيها قدمت رسل بركة خان إلى الملك الظاهر ومعهم الأشرف ابن الشهاب غازى بن المادل ، ومعهم من الكتب والمشاغل ما فيه سرور للإسلام وأهل ممالك جهولا وأهل .

وفى جمادى الآخرة منها درس الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى بدار الحديث الأشرفية ، بعد وفاة عماد الدين بن الحرساقي ، وحضر عنده القاضي ابن خلكان وجماعة من القضاة والأعيان ، وذكر خطبة كتابه المبحث ، وأورد الحديث بسند موثقه وذكر فوائد كثيرة مستحسنة يؤتى به لا يستكثر ذلك عليه والله أعلم . وفيها قدم نصير الدين الطوسى إلى بغداد من جهة هولاكو ، فنظر فى الأوقاف وأحوال البلد ، وأخذ كتب كثيرة من سائر المدارس وحملها إلى رصده القى ببلد بمرافة ، ثم انحد إلى واسط والبصرة .

وفيهما كانت وفاة

(الملك الأشرف)

موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، كانوا ملوك حصص كبارا عن كبار إلى هذا الحين ، وقد كان من الكرماء الموصوفين ، وكبراء الأماشيقة المترفين ، متنفيا بالماكل والمشرب والملابس والمرآك وقضاء الشهوات والمآرب وكثرة التمتع بالمغاني والحبايب ، ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضغاث أحلام ، أو كظل زائل ، وبقيت تيمماته وعقوباته وحسابه وعاره . ولما توفى وجدت له حواصل من الجواهر النفيسة والأموال الكثيرة ، وصار ملكا إلى الدولة الظاهرية ، وتوفى معه في هذه السنة الأمير حسام الدين الجوكندار نائب حلب .

وفيهما كانت كسرة التنازع على حصص وقتل مقدمهم بيدر بقاء الله وقدره الحسن الجميل .
وفيهما توفى الرشيد المطار المحدث بمصر . وأتى حضر مسخرة الملك الأشرف موسى بن العادل والتاجر المشهور الحاج نصر بن دس وكان لازما لصلوات بالجامع ، وكان من ذوى اليسار والخير .
(الخطيب عماد الدين بن الحرساني)

عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن الحرساني ، كان خطيبا بدمشق وقاب في الحكم عن أبيه في الدولة الأشرفية ، بعد ابن الصلاح إلى أن توفى في دار الخطابة في التاسع عشر من جمادى الأولى ، وصلى عليه بالجامع ودفن عند أبيه بقاسيون ، وكانت جنازته حافلة ، وقد جاوز الثمانين بخمسة سنين ، وتولى بعده الخطابة والفرازية ولده محمد الدين ، وباشر مشيخة دار الحديث الشيخ شهاب الدين أبو شامة .

(عبي الدين محمد بن أحمد بن محمد)

ابن إبراهيم بن الحسين بن سراقه الحافظ المحدث الانصارى الشافعي أبو بكر المنزلي ، عالم فاضل دين أقام مجلب مدة ، ثم اجتاز بدمشق قاصداً مصر . وقد تولى دار الحديث الكاملية بعد زكي الدين عبد العظيم المنزلي ، وقد كان له سماع جيد ببغداد وغيرها من البلاد ، وقد جاوز السبعين .
(الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القباري الاسكندراني)

كان مقبلاً بدمشق له يقتات منه ويعمل فيه ويديره ، ويتودع جداً ويعطى الناس من ثماره . توفى في سادس شعبان بالاسكندرية وله خمس وسبعون سنة ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويردع الولاة عن الظلم فيسعون منه ويعطيونه لزمه ، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلمهم من طاقة المنزل وهم راوضون منه بفتح ، ومن غريب ما حكى عنه أنه باع دابة له من رجل ، فلما كان بعد أيام جاء الرجل الذي اشتراها فقال : يا سيدي إن الدابة التي اشتريتها منك لا تأكل عدى شيئاً ،

فنظر إليه الشيخ فقال له : ماذا قمتى من الاعياد ؟ فقال رطاس عند الوالى ، فقال له إن دابقتنا لا تأكل الحرام ، ودخل منزله فأعطاه دراهم وممها دراهم كثيرة قد اختلطت بها فلا تميز ، فاشترى الناس من الرطاس كل درهم ثلاثة لأجل البركة ، وأخذابته ، ولما توفى ترك من الأساس مايسوى خمسين درهما فبيع بمبلغ عشرين ألفا . قال أبو شامة : وفى الرابع والعشرين من ربيع الآخر توفى

(يحيى الدين عبد الله بن صفى الدين)

إبراهيم بن مرزوق بداره بدمشق المجاورة للمدرسة النورية رحمه الله تعالى . قلت داره هذه هي التي جمعت مدرسة للشافعية وقضا الأمير جمال الدين آقوش النجيبى التي يقال لها النجيبية قبل الله منه . وبها إقامتنا جعلها الله داراً نقيها دار القرار في الفوز العظيم . وقد كان أبو جمال الدين النجيبى وهو صفى الدين وزير الملك الأشرف ، وملك من الذهب ستائة ألف دينار خارجاً عن الأملاك والآثاث والبضائع ، وكانت وفاة أبيه بمصر سنة تسع وخمسين ، ودفن بقربه عند المقطم . قال أبو شامة : وجاء الخبير من مصر ب وفاة الفخر عثمان المصرى المعروف بمين غين . وفى ثمان عشر ذى الحجة توفى الشمس الوبار الموصل ، وكان قد حصل شيئاً من علم الأديب ، وخطب بجامع المرة مدة . فأشدنى لنفسه في الشيب وخضابه قوله :

و كنت وإيها مذ اخطط عارضى * كروحين في جسم وما قضت عيها

فلما ألقى الشيب يقطع بيننا * توهته سيفاً فألبسته غمدا

وفيهما استنصر الملك هولاكو خان الزين الحافظى وهوسليمان بن عامر القرباى المعروف بالزين الحافظى ، وقال له قد ثبت عندى خيانتك ، وقد كان هذا المتمر لما قسم التتار مع هولاكو دمشق وغيرها مالأ على المسلمين وأدام ودل على عوراتهم ، حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات والمثلاث (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً) ومن أعلن ظلالاً سلط عليه ، فإن الله ينتقم من الظالم بالظالم ثم ينتقم من الظالمين جميعاً ، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبائة ﴾

فيها جهز السلطان الظاهر عسكراً جاكنتفا إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبيرة ، فلما سمعوا بالماكر قد أقبلت ولوا مدبرين ، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة ، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد والخوف ، فمردت وأمنت .

وفيهما خرج الملك الظاهر في عساكره قصد بلاد الساحل لقتال الفرنج ففتح قيسارية في ثلاث ساعات من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى يوم نزوله عليها ، وتسلم قلعتها في يوم الخميس الآخر خامس عشره فهدمها وانتقل إلى غيرها ، ثم جاء الخبير بأنه فتح مدينة أرسوف وقتل من بها من

الفرنج وجامت البريدية بذلك . فدفعت البشار في بلاد المسلمين وفرحوا بذلك فرحاً شديداً . وفيها ورد خبر من بلاد المغرب بأنهم انتصروا على الفرنج وقتلوا منهم خمسة وأربعين ألفاً ، وأسروا عشرة آلاف ، واستخرجوا منهم ثنتين وأربعين بلعة منها برنس واشييلية وقربطية ومرسية ، وكانت النصره في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثنتين وستين .

وفي رمضان من هذه السنة شرع في تبليط باب البريد من باب الجامع إلى القنطرة التي عند المدرج وعمل في الصنف القليل منها بركة وشاذروان . وكان في مكاتها قناة من القنوات يفتتح الناس بها عند انقطاع نهر مائس فغيرت وعمل الشاذروان ، ثم غيرت وعمل مكاتها دكاكين .

وفيها استدعى الظاهر نائبه على دمشق الأمير آقوش ، فصار إليه سامعاً مطيعاً ، وثاب عنه الأمير علم الدين المحض حتى عاد مكراً موزراً .

وفيها ولي الظاهر قضاء من بقية المذاهب في مصر مستقلين بالحكم بولون من جبهتهم في البلدان أيضاً كما ولي الشافعي ، فتولى قضاء الشافعية التاج عبد الوهاب ابن بنت الأعرز ، والخنفية فحس الدين سليمان ، والمالكية فحس الدين السبكي ، والخنابلة فحس الدين محمد المنصفي ، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة بدار العدل ، وكان سبب ذلك كثرة توقف القاضي ابن بنت الأعرز في أمور تخالف مذهب الشافعي ، وتوافق غيره من المذاهب ، فأشار الأمير جمال الدين أيد قدي المرزى على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضياً مستقلاً يحكم بمقتضى مذهبه ، فأجاب به إلى ذلك ، وكان يحب رأيه ومشورته ، وبحث بأخشاب ودرصاص وآلات كثيرة لعمارة مسجد رسول الله ﷺ وأرسل منبراً فنصب هناك .

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر واتهم النصراني فماتهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة . وفيها جامت الأخبار بأن سلطان التتار هولاً كرهك إلى لعنة الله وغضبه في سابع ربيع الآخر يمرض الصرع بمدينة مراغة ، ودفن بقلمنة تلا وبنيت عليه قبة واجتمعت التتار على ولده أبنا ، فقصده الملك بركة خان فكسره وفرق جموعه ، ففرح الملك الظاهر بذلك ، وعزم على جمع المساكر ليأخذ بلاد العراق فلم يتمكن من ذلك لتفرق المساكر في الاقطاعات .

وفيها في ثاني عشر شوال سلطان الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأخذ له البيعة من الأمراء وأركبه ومشي الأمراء بين يديه ، وحل والده الظاهر الناشئة بنفسه والأمير بدر الدين بيسرى حامل الخبز ، والقاضي تاج الدين والوزير بهاء الدين ابن حناراً بكن بين يديه ، وأعيان الأمراء ركبان وقيتهم مشاة حتى شقوا القاهرة وهم كذلك .

وفي ذي القعدة ختن الظاهر ولده الملك السعيد المذكور ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء وكان يوماً مشهوداً .

وفيهما توفي

﴿ خالد بن يوسف بن سعد التابلسي ﴾

الشيخ زين الدين ابن الحافظ شيخ دار الحديث النورية بدمشق، كان علماً بصناعة الحديث حافظاً لآراء الرجال، وقد اشتغل عليه في ذلك الشيخ محيي الدين النواوي وغيره، وتولى بمهارة شيخاً دار الحديث النورية الشيخ تاج الدين الغزاري، كان الشيخ زين الدين حسن الأخلاق فكه النفس كثير المزاج على طريقة المحدثين، رحل إلى بغداد واشتغل بها، وسمع الحديث وكان فيه خير وصلاح وعبادة، وكانت جنازته حافلة ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله.

﴿ الشيخ أبو القاسم الحواري ﴾

هو أبو القاسم يوسف ابن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي الشيخ المشهور صاحب الزاوية بحواري، توفي ببلده، وكان خيراً صالحاً له أتباع وأصحاب يحبونه، وله مریدون كثير من قرايا حوران في الحل والنبينة وهم حنابلة لا يرون الضرب بالدفع بالكف، وهم أمثل من غيرهم.

﴿ القاضي بدر الدين الكردي السنجاري ﴾

الذي يشار القضاء بمصر مراراً توفي بالقاهرة. قال أبو شامة: وسيرته مروفة في أخذ الرشا من قضاة الاطراف والمتحايين إليه، إلا أنه كان جواداً كريماً صودر هو وأهله.

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة ﴾

استسلمت والخليفة الحاكم المملوك والسلطان الملك الظاهر وقضاة مصر أربعة. وفيها جبل بدمشق أربعة قضاة من كل مذهب قاض كما فعل بمصر عام أول، ونائب الشام آقوش النجبي، وكان قاضي قضاة الشافعية ابن خلكان، والحنفية قاضي الدين عبد الله بن محمد بن عطا، والحنابلة قاضي الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي عمر، والمالكية عبد السلام بن الزواوي، وقد امتنع من الولاية فألزم بها حتى قبل ثم عزل نفسه، ثم ألزم بها قبل بشرط أن لا يشار أو قاطع ولا يأخذ جامكية على أحكامه، وقال: نحن في كفاية فأعفى من ذلك أيضاً رحمه الله. وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الأول بمصر كما تقدم، واستمرت الأحوال على هذا المنوال.

وفيها كل عمارة الخوض الذي شرقي قناة باب البريد وعمل له شاذروان وقبة وأنايب يجرى منها الماء إلى جانب الدرج الشمالية.

وفيها نازل الظاهر صعد واستدعى بالمجنائيق من دمشق وأحاط بها ولم يزل حتى افتتحها، ونزل أهلها على حكمه، فسلم البلد في يوم الجمعة ثامن عشر شوال، وقتل المقاتلة ومسي القدرة، وقد افتتحها الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب في شوال أيضاً في أربع وعشرين وخمسة، ثم استعادها الفرنج فأنزلهما الظاهر منهم قهراً في هذه السنة وفقه الحد، وكان السلطان الظاهر في نفسه منهم شياً.

كثير ، فلما توجه إلى فتحها طلبوا الأمان ، فأجلس على سرير مملكته الأمير سيف الدين كرمون التتري ، وجاءت رسلهم فخلعوه وانصرفوا ولا يشعرون أن الذي أعطاهم اليهود بالأمان إنما هو الأمير الذي أجلسه على السرير والحرب خدعة ، فلما خرجت الاستنارية والداوية من القلعة وقد فملوا بالمسلمين الأفاعيل النتيجة . فأمكن الله منهم فأمر السلطان بضرب رقابهم عن آخرهم ، وجاءت البريدية إلى البلاد بذلك ، فدفقت البشائر وزيت البلاد ، ثم بث السرايا مينا وشمالا في بلاد الفرنج فاستولى المسلمون على حصون كثيرة تقارب عشرين حصنا ، وأسروا قريبا من ألف أسير ما بين امرأة وصبي ، وغنموا شيئا كثيرا .

وفيها قدم وفد الخليفة المستعصم بن المنتصر من الأسر واسمه علي ، فأكرم وأنزل بالدار الأسدية تجاه الزيزية ، وقد كان أسيرا في أيدي التتار ، فلما كسروا بركة خان تخلص من أيديهم وسار إلى دمشق ، ولما فتح السلطان صفدا أخبره بعض من كان فيها من أسرى المسلمين أن سيب أسروا أهل قرية فأرأوا كانوا يأخذونهم فيحملونهم إلى الفرنج فيبيعونهم منهم ، ففند ذلك ركب السلطان فاصدا فأرأوا وقع بهم بأسا شديدا وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأمر من أبنائهم ونسائهم أخفوا بنار المسلمين جزاء الله خيرا ، ثم أرسل السلطان جيشا هائلا إلى بلاد سيب ، فحاصروا خلال الفيلار وفتحوا سيب عنوة وأسروا ابن ملكها وقتلوا أخاه ونهبوها ، وقتلوا أهلها وأخذوا بنار الاسلام وأهلهم منهم ، وذلك أنهم كانوا أضربوا على المسلمين زمن التتار ، لما أخفوا مدينة حلب وغيرها أسروا من نساء المسلمين وأطفالهم خلقا كثيرا ، ثم كانوا بعد ذلك ينفرون على بلاد المسلمين في زمن هولاء فكتبه الله وأهانه على يدي أنصار الاسلام ، هو وأميره كتبوا ، وكان أخذ سيب يوم الثلاثاء العشرين من ذي القعدة من هذه السنة ، وجاءت الأخبار بذلك إلى البلاد وضربت البشائر ، وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة دخل السلطان وبين يديه ابن صاحب سيب وجماعة من ملوك الأرمن أسرى أذلاء صفرة ، والمساكر محبته وكان يوما مشهودا . ثم سار إلى مصر مؤيدا منصورا ، وطلب صاحب سيب أن ينادى وفده ، فقال السلطان لا تقاديه إلا بأسير لنا عند التتار يقال له سنقر الأشقر ، فذهب صاحب سيب إلى ملك التتار فقتل له وتمسكن وخضع له ، حتى أطلقه له ، فلما وصل سنقر الأشقر إلى السلطان أطلق ابن صاحب سيب .

وفيها عمر الظاهر الجسر المشهور بين قرارا ودامية ، تولى عمارته الأمير جمال الدين محمد بن بهادر وبهر الدين محمد بن رجال وإلى نابلس والأغوار ، ولما تم بنؤه اضطرب بعض أركانه فعلق السلطان من ذلك وأمر بتأكيده فلم يستطيعوا من قوة جرى الماء حينئذ ، فاتفق بأذن الله أن انفالت على الأنهر أكة من تلك التلحية ، فسكن الماء بمقدار أن أصلحو ما يريدون ، ثم عاد الماء كما كان

وذلك بقبسیر الله وعونه وعنايته العظيمة .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿أيدي غدي بن عبد الله﴾

الأثير جمال الدين المزري ، كان من أكابر الأمراء وأحطام عند الملك الظاهر ، لا يكاد الظاهر يخرج عن رأيه ، وهو الذي أشار عليه بولاية القضاة من كل مذهب قاض على سبيل الاستقلال وكان متواضعا لا يلبس محرما ، كريما وقورا رئيسا معظما في الدولة ، أصابته جراحة في حصار صند فلم يزل مريضا منها حتى مات ليلة عرفة ، ودفن بالرباط الناصري بسفح قاسيون من صلاحية دمشق رحمه الله . ﴿هولا كوخان بن تولى خان بن جنكيزخان﴾

ملك التتار بن ملك التتار ، وهو والد ملوكهم ، والمامة يقولون هولا وون مثل قلاوون ، وقد كان هولا كوخا ملكا جبارا فاجرا كافرا لعنه الله ، قتل من المسلمين شرقا وغربا مالا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسبجأزيه على ذلك شر الجزاء ، كان لا يتقيد بدين من الأديان ، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق ، وكان هو يتراعى على محبة المقلولات ، ولا يتصور منها شيئا ، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاعة ومكانة ، وإنما كانت همته في تدبير مملكته وتلك البلاد شيئا فشيئا ، حتى أباده الله في هذه السنة ، وقبل في سنة ثلاث وستين ، ودفن في مدينة تلا ، لارحه الله ، وقام في الملك من بعده ولده أبنا خان وكان أبنا أحد إخوة عشرة ذكور . والله سبحانه أعلم وهو حيننا ونعم الوكيل .

﴿ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمائة﴾

في يوم الأحد ثاني المحرم توجه الملك الظاهر من دمشق إلى الديار المصرية ومحبته السالك المنصورة ، وقد استولت الدولة الإسلامية على بلاد سيس بكلمها ، وعلى كثير من معقل الفرنج في هذه السنة ، وقد أرسل الصاكر بين يديه إلى غزة ، وعدل هو إلى ناحية الكرك لينظر في أحوالها ، فلما كان عند بركة زيزي تصيد هناك فسقط عن فرسه فانكسرت فخذه ، فأقام هناك أياما يتداوى حتى أمكنه أن يركب في الحفة ، وسار إلى مصر فبرأت رجله في أثناء الطريق فأمكنه الركوب وحده على الفرس . ودخل القاهرة في أبهة عظيمة ، ومجمل هائل ، وقد زينت البلد ، واحتفل الناس له احتفالا عظيما ، وفرحوا بقدمه وعاقبته فرحا كثيرا ، ثم في رجب منها رجع من القاهرة إلى صند ، وحفر خندقا حول قلعتها وعمل فيه بنفسه وأمرائه وجيشه وأغار على ناحية عكا ، قتل وأسر وغنم وسلم وضربت لذلك البشائر بدمشق . وفي ثاني عشر ربيع الأول صلى الظاهر بالجامع الأزهر الجمعة ، ولم يكن تمام به الجمعة من زمن المبيدين إلى هذا الحين ، مع أنه أول مسجد بني بالقاهرة ، بناء جوهر القائد وأقام فيه الجمعة ، فلما بنى الحاكم جامعهم حول الجمعة منه إليه ، وترك الأزهر لاجمة فيه

فصار في حكم بقية المساجد وشمث حاله وتغيرت أحواله ، فأمر السلطان بمارته وبياضه وإقامة الجمعة وأمر بماراة جامع الحسينية وكل في سنة سبع وستين كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

وفيها أمر الظاهر أن لا يبيت أحد من المجاورين بجامع دمشق فيه وأمر بإخراج الخزانين منه ، والمقاصير التي كانت فيه ، فكانت قريياً من ثلاثمائة ، ووجدوا فيها قوارير البول والفرش والسجاجيد الكثيرة ، فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين .

وفيها أمر السلطان بماراة أسوار صند وقلعتها ، وأن يكتب عليها (ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) . وفيها التقى أبنا ومنكو تمر الذي قام مقام بركة خان فكسره أبنا وغنم منه شيئا كثيراً .

وحكى ابن خلكان فيما قتل من خط الشيخ قطب الدين اليوناني قال : بلغنا أن رجلاً يدعى أبا سلامة ^(١) من ناحية بصرى ، كان فيه مجنون واستهتار ، فدكر عنده الاسواق وما فيه من الفضيلة ، فقال : والله لا أستاذك إلا في المخرج - يعني دبره - فأخضوا كما فوضه في مخرجه ثم أخرجه ، فحكك بعده تسعة أشهر [وهو يشكون من ألم البطن والمخرج] ^(٢) فوضع ولما على صفة الجرذان له أربعة قوائم ، ورأسه كرأس السمكة ، [وله أربعة أنياب بارزة ، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع] ^(٣) وله دبر كبير الأرنب . ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات ، قتلت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فأت ، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث ، وكان يقول هذا الحيوان قتلى وقطع ألساني ، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان ، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حياً ، ومنهم من رآه بعد موته . وعن توفى فيها من الأعيان .

(السلطان بركة خان بن تولى بن جنكيزخان)

وهو ابن عم هولاكو ، وقد أسلم بركة خان هذا ، وكان يجب الطاء والصالحين ومن أكبر حسناته كسره هولاكو وتفرق جنوده ، وكان ينصح الملك الظاهر ويعظم ويكرم رسله إليه ، ويطلق لهم شيئا كثيراً ، وقد قام في الملك بعده بعض أهل بيته وهو منكو تمر بن طغان بن بابو بن تولى بن جنكيزخان ، وكان على طريقته ومنواله والله الحمد .

(القاضي القضاة بالدار المصرية)

تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بصر بن بفت الاعز الشافعي ، كان ديناً عفيفاً زهواً لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يقبل شفاعة أحد ، وجمع له قضاء الديار المصرية بكلمها ، والخطابة ، والحسبة

(١) في شذرات الذهب : قرية يقال لها دير أبي سلامة . كان بها رجل من الرهبان فيه استهتار الخ

(٢) الزيادة من شذرات الذهب .

ومشيخة الشيوخ ، ونظر الأجيال ، وتدريس الشافعي والصالحية وإلمة الجامع ، وكان يمدح خمسة عشر وظيفة ، وباشر الوزارة في بعض الأوقات ، وكان السلطان يعظمه ، والوزير ابن حنا يخاف منه كثيرا ، وكان يحب أن ينسب إليه عند السلطان ويضمه فلا يستطيع ذلك ، وكان يشتهي أن يأتي داره ولوعائدا ، فرض في بعض الأحيان فجاء القاضي عائدا ، فقام إلى تلقية لوسط الدار ، فقال له القاضي : إنما جئت لمعادنك فإذا أنت سوى صحيح ، سلام عليكم ، فرجع ولم يجلس عنده . وكان مولده في سنة أربع وستائة ، وتولى بعده القضاء تقي الدين ابن رزين

﴿ واقف القيمرية الأمير الكبير ناصر الدين ﴾

أبو الممالى الحسين بن العزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردى ، كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك ، وهو الذي سلم الشام إلى الملك الناصر صاحب حلب ، حين قتل توران شاه بن الصالح أيوب بمصر ، وهو واقف المدرسة القيمرية عند مأذنة فيروز ، وعمل على بابها الساعات التي لم يسبق إلى مثله ، ولا عمل على شكلها ، يقال إنه غرم عليها أربعين ألف درهم .

﴿ الشيخ شهاب الدين أبو شامة ﴾

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسي الشيخ الامام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المروفي بأبي شامة شيخ دار الحديث الاشرفية ، ومدرس الزكية ، وصاحب المصنفات المدينة المفيدة ، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات كثيرة ، وله شرح الشاطبية ، وله الرد إلى الأمر الأول ، وله في المبعث وفي الأسراء ، وكتاب الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية ، وله القيل على ذلك ، وله غير ذلك من الفوائد الحسنات والفرائد التي هي كالقبيان . وله ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسة مائة ، وذكرك لنفسه ترجمة في هذه السنن في القيل ، وذكركم ربه ومفشاء ، وطلب العلم ، وسماحه الحديث ، وتفقه على الفخر بن عساكر وابن عبد السلام ، والسيف الأمدى ، والشيخ موفق الدين بن قدامة ، وما رآه له من المنازل الحسنة . وكان ذا فتون كثيرة ، أخبرني علم الدين البرزالي الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزاري ، أنه كان يقول : بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد ، وقد كان ينظم أشعارا في أوقات ، فيها ما هو مستعمل ، ومنها ما لا يستعمل ، فأخذ ينفر لنا وله . وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في نفسه وديانته ، وعفته وأمانته ، وكانت وفاته بسبب محنة ألجوا عليه ، وأرسلوا إليه من اغتاله وهو بمنزله بطواحين الأشنان ، وقد كان اتهم برأى ، الظاهر برأته منه بوقد قال جماعة من أهل الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوما ، ولم يزل يكتب في التاريخ حتى وصل إلى رجب من هذه السنة ، فذكر أنه أصيب بمحنة في منزله بطواحين الأشنان ، وكان الذين قتلوه جاموه قبل فضر به ليموت فلم يموت ، قيل له : ألا تشك في عليهم ، فلم يزل وأنشأ يقول :

قلت لمن قال ألا تشكي * ما قد جرى فهو عظيم جليل
يقض الله تعالى لنا * من يأخذ الحق ويشقى النليل
إذا توكلنا عليه كفى * تحببنا الله ونعم الوكيل

وكانهم عدلوا إليه مرة ثانية وهو في المنزل المذكور قتلوه بالكيفية في ليلة الثلاثاء تاسع عشر رمضان رحمه الله . ودفن من يومه بمقابر دار الفرديس ، وبشر بعده مشيخة دار الحديث الأشرفية الشيخ محيي الدين النووي . وفي هذه السنة كان مولد الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي ، وقد ذيل على تاريخ أبي شامة لأن مولده في سنة وفاته ، فحذا حذوه وسلك نهجه ، ورتب ترتيبه وهنّب تهذيبه . وهذا أيضاً ممن ينشد في ترجمته .

مازلت تكتب في التاريخ مجتهدا * حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً
ويناسب أن ينشد هنا :

إذا سيدنا خلا قام سيد * قول لما قال الكرام فعول

(ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمائة)

استبانت هذه السنة والحاكم المباسي خليفة ، ولسطان البلاد الملك الظاهر ، وفي أول جمادى الآخرة خرج السلطان من الديار المصرية بالساكر المنصورة ، فقتل على مدينة يافا بئنة فأخذها عنوة ، وسلم إليه أهلها قاضتها صلحاً فأجلاهم منها إلى عكا وخرب القلعة والمدينة وسار منها في رجب قادماً حصن الشقيف ، وفي بعض الطريق أخذ من بعض بريدية الفرنج كتاباً من أهل عكا إلى أهل الشقيف يملونهم قدوم السلطان عليهم ، ويأمرتهم بتحسين البلد والمبادرة إلى إصلاح أماركن يحشى على البلد منها . ففهم السلطان كيف يأخذ البلد وعرف من أين تؤكل الكتف ، واستدعى من فوره رجلاً من الفرنج فأمره أن يكتب ببلد كتاباً على ألسنتهم إلى أهل الشقيف ، يحضروا الملك من الوزير ، والوزير من الملك ، ويرى الخلف بين الدولة . فوصل إليهم فأوقع الله الخلف بينهم بحوله وقوته ، وجاء السلطان فحاصرم ورامهم بالمنجنيق فسلموه الحصن في التاسع والعشرين من رجب وأجلاهم إلى صور وبعث بالأفقال إلى دمشق ، ثم ركب جريدة فيمن نشط من الجيش فشن الغارة على طرابلس وأعمالها ، قهپ وقتل وأرعب وكر راجعاً مؤيداً منصوراً ، فقتل على حصن الأكراد لمحبتة في المرج ، فغل إليه أهل من الفرنج الاقامات فأبى أن يقبلها وقال أنتم قتلتم جندياً من جيشي وأريدته مائة ألف دينار ، ثم سار فقتل على حصن ، ثم منها إلى حماة ، ثم إلى طابية ثم سار منزلة أخرى ، ثم سار ليلاً وتقدم المسكر فلبسوا العدة وساق حتى أحاط بمدينة أنطاكية .

(فتح أنطاكية على يدى السلطان الملك الظاهر رحمه الله)

وهي مدينة عظيمة كثيرة الخمر ، يقال إن دور سورها اثنا عشر ميلاً ، وعددها وجها مائة وستة

وغلاقون برجاً ، وعدد شرافتها أربعة وعشرون ألف شرافة ، كان نزوله عليها في مستهل شهر رمضان ، فخرج إليه أهلها يطلبون منه الأمان ، وشرطوا له عليهم فأبى أن يجيبهم وردهم خائبين وصمم على حصارها ، ففتحها يوم السبت رابع عشر رمضان بحول الله وقوته وتأييده ونصره ، وغنم منها شيئاً كثيراً ، وأطلق للامراء أموالاً جزيلة ، ووجد من أسارى المسلمين من الحلبيين فيها خلقاً كثيراً ، كل هذا في مقدار أربعة أيام . وقد كان الأغريس صاحبها وصاحب طرابلس ، من أشد الناس أذية للمسلمين ، حين ملك التنار حلب وفر الناس منها ، فانتقم الله سبحانه منه بمن أقامه للإسلام فاصراً وفصليب دامناً كاسراً ، والله الحمد والمنة ، وجاءت البشارة بذلك مع البربريدية ، فجاءتها البشائر من القملة المنصورة ، وأرسل أهل بئراس حين سمعوا بقصد السلطان إليهم يطلبون منه أن يبعث إليهم من يتسلمها ، فأرسل إليهم أستاذ داره الأمير آقسنقر الفارثاني في ثالث عشر رمضان فقبلوها ، وتسلموا حصوناً كبيرة وقلاعاً كثيرة ، وعاد السلطان مؤيداً منصوراً ، فدخل دمشق في السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة في أبهة عظيمة وهيبة هائلة ، وقد زينت له البلد ودقت له البشائر فرحاً بنصرة الإسلام على الكفرة الطغام ، لكنه كان قد عزم على أخذ أراضى كثيرة من الترى والبساتين التي بأيدي ملاكها بزعم أنه قد كانت التنار استحوذوا عليها ثم استنفقها منهم ، وقد أنفاد بعض الفقهاء من الحنفية تفريراً على أن الكفار إذا أخذوا شيئاً من أموال المسلمين ملكوها ، فإذا استرجعت لم ترد إلى أصحابها ، وهذه المسألة مشهورة ولناس فيها قولان (أصحهما) قول الجمهور أنه يجب ردها إلى أصحابها لحديث المضياء فاقه رسول الله ﷺ ، حين استرجعها رسول الله ﷺ ، وقد كان أخذها المشركون ، واستدلوا بهذا وأمانته على أبي حنيفة ، وقال بعض العلماء إذا أخذ الكفار أموال المسلمين وأسلموا وهي في أيديهم استقرت على أملاكهم ، واستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام «وهل ترك لنا عقيل من رباع» وقد كان استحوذ على أملاك المسلمين الذين هاجروا وأسلم عقيل وهي في يده ، فلم تنتزع من يده ، وأما إذا انتزعت من أيديهم قبل ، فاتها ترد إلى أربابها لحديث المضياء ، والمقصود أن الظاهر عقد مجلساً اجتمع فيه القضاة والفقهاء من سائر المذاهب وتكلموا في ذلك وصمم السلطان على ذلك اعتماداً على ما بيده من الفتاوى ، وخاف الناس من غائلة ذلك فتوسط صاحب نجر الدين بن الوزير بهاء الدين بن احنا ، وكان قد درس بالشافعي بعد ابن بفت الأعز ، فقال ياخونند أهل البلد يصلحونك عن ذلك كله بألف ألف درهم ، تسقط كل سنة مائتي ألف درهم ، فأبى إلا أن تكون مبعجة بعد أيام ، وخرج متوجهاً إلى الديار المصرية ، وقد أجاب إلى تقييدها ، وجاءت البشارة بذلك ، ورسم أن يسجلوا من ذلك أربعة مائة ألف درهم ، وأن تصاد إليه الثلث التي كانوا قد احتاطوا عليها في زمن القسم والتمار ، وكانت هذه النعمة مما شغلت خواطر الناس على السلطان ولما استقر أمر أبيغا على التنار أمر باستمرار وزيره نصير الدين الطوسي ، واستقرب على بلاد الروم

البر وأتاه وأرفع قدره عنده جدا واستقل بتدبير تلك البلاد وعظم شأنه فيها .
وفيهما كتب صاحب اليمن إلى الظاهر بالخضوع والالتواء إلى جانبه وأن يخطف له يبلاد اليمن ،
وأرسل إليه هدايا وتحفًا كثيرة ، فأرسل إليه السلطان هدايا وعلما وسنجقا وتقليدا .

وفيهما رافع ضياء الدين بن الفقاعي لصاحب بهاء الدين بن الحنا عند الظاهر واستظهر عليه ابن
الحنا ، فسله الظاهر إليه ، فلم يزل يضربه بالقارح ويستخاص أمواله إلى أن مات ، فيقال إنه ضربه
قبل أن يموت سبعة عشر ألف مفرقة وسبعائة فاقه أعلم .

وفيهما عمل البر وأتاه ^(١) على قتل الملك علاء الدين صاحب قونية وأقام ولده غياث الدين مكانه
وهو ابن عشر سنين وتمكن البر وأتاه في البلاد والعباد وأطاعه جيش الروم .

وفيهما قتل الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ببغداد ابن الخشكري النعماني الشاعر ، وذلك
أنه اشتهر عنه أشياء عقلية ، منها أنه يستقد فضل شعره على القرآن المجيد ، واتفق أن الصاحب
انحدر إلى واسط فلما كان بالثمانية حضر ابن الخشكري عنده وأنشده قصيدة قد قالها فيه ، فبينما هو
ينشدها بين يديه إذ أذن المؤذن فامتنعته الصاحب ، فقال ابن الخشكري : لمولانا اصمع شيئا
جديدا ، وأعرض عن شيء له سنين ، فثبت عند الصاحب ما كان يقال عنده عنه ، ثم باسطه وأظهر
أنه لا ينكر عليه شيئا مما قال حتى استعلم ما عنده ، فإذا هو زنديق ، فلما ركب قال لانسان معه
استفرد في أثناء الطريق واقتله ، فسأيره ذلك الرجل حتى إذا انقطع عن الناس قال لجماعة معه : أنزلوه
عن فرسه كلداعب له ، فأنزلوه وهو يشتمهم ويلعنهم ، ثم قال انزعوا عنه ثيابه فسلبوها وهو
يخاصمهم ، ويقول إنكم أجلاف ، وإن هذا لعب بارد ، ثم قال : اضربوا عنقه ، فتقدم إليه أحدكم
فضربه بسيفه فأبان رأسه ،

وفيهما توفي ﴿ الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال ﴾

شيخ رباط المربانية ، كان صالحا ورعا زاهدا حكى عن نفسه قال : كنت بمصر فبلغني ما وقع
من القتل القريع ببغداد في فتنة التتار ، فأنكرت في قايي وقلت : يارب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن
لا ذنب له ؟ فرأيت في المنام رجلا وفي يده كتاب فأخذته فقرأته فإذا فيه هذه الأبيات فيها الانكار
على .

دع الاعتراض فما الامر لك • ولا الحكم في حركاتك تلك

ولا تسأل الله عن فعله • فن خاض لجة بحر هك

إليه تصير أمور العباد • دع الاعتراض فما أجمل لك

(١) كلمة فارسية معناها في الاصل الخالج . ثم أطلق في دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى
على الوزير الأكبر .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحافظ أبو إبراهيم إسحاق بن عبد الله ﴾
ابن عمر المعروف بابن قاضي العين ، عن ثمان وستين سنة ، ودفن بالشرف الأعلى ، وكان قد
تفرد بروايات جيدة وانتفع الناس به . وفيها ولد الشيخ شرف الدين عبد الله بن تيمية أخو الشيخ
تقي الدين ابن تيمية ، والخطيب القزويني .

﴿ ثم دخلت سنة صيع وستين وستائة ﴾

في صفر منها جدد السلطان الظاهر البيبة لولده من بعده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأحضر
الامراء كلهم والقضاة والاعيان وأركبه ومشى بين يديه ، وكتب له ابن لقمان تقيدا هاتلا بالملك من
بعد أبيه ، وأن يحكم عنه أيضا في حال حياته ، ثم ركب السلطان في عساكره في جمادى الآخرة
قاصدا الشام ، فلما دخل دمشق جاءت له رسالة من أبنائه ملك التتار معهم مكاتبات ومشافهات ، فمن جملة
المشافهات : أنت مملوك بميت بسبواس فكيف يصلحك لك أن تتخلف ملوك الأرض ؟ وأعلم أنك لو
صمدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلفت مني فأعمل لنفسك على مصلحة السلطان إنا فلما
يلتفت إلى ذلك ولا عده شيئا بل أجاب عنه أنهم جواب ، وقال لرسله : أعلموه أنني من ورائه بالمطالبة
ولا أزال حتى أنتزع منه جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة ، وسائر أقطار الأرض .
وفي جمادى الآخرة رسم السلطان الملك الظاهر بإقامة الحوز وتبديل المفسدات والمخاطي
بالبلاد كلها ، فتهبت المخاطي وسلبن جميع ما كن معهن حتى يتزوجن ، وكتب إلى جميع البلاد
بنذلك ، وأسقط المكوس التي كانت مرتبة على ذلك ، وعرض من كان محالا على ذلك بتبرها والله
الحمد والمنة . ثم عاد السلطان بمساكره إلى مصر ، فلما كان في أثناء الطريق عند خربة القصوص
تعرضت له امرأة قد كرت له أن ولدها دخل مدينة صور ، وأن صاحبها الفرنجي غدر به وقتله وأخذ
ماله ، فركب السلطان وشن الغارة على صور فأخذ منها شيئا كثيرا ، وقتل خلقا ، فأرسل إليه ملكها
ما سبب هذا ؟ فذكر له غدره ومكره بالتجار ثم قال السلطان لتقدم الجيوش : أومم الناس أنني مريض
وأنتي بالحفة وأحضر الأطباء واستوصف لي منهم ما يصلح لي رخص به كذا وكذا ، وإذا وصفا لك
فأحضر الأشربة إلى الحفة وأنتم سائرون . ثم ركب السلطان على البريد وساق مسرعا فكشف
أحوال ولده وكيف الامر بالديار المصرية بعده ، ثم عاد مسرعا إلى الجيش فجلس في الحفة وأظهر
عافيته وتبشروا بنفك . وهذه جراحة عظيمة ، وإقدام هائل .

وفيها حج السلطان الملك الظاهر وفي محبته الأمير بدر الدين الخزندار ، وقاضي القضاة صدر
الدين سليمان الحنفي ، ونفر الدين بن لقمان ، وتاج الدين بن الأمير ونحو من ثلاثمائة مملوك ، وأجناد
من الخلفة المنصورة ، فسار على طريق الكرك ونظر في أحوالهم ثم منها إلى المدينة النبوية ، فأحسن
إلى أهلها ونظر في أحوالها ، ثم منها إلى مكة فتصدق على المجاورين ثم وقف بمرقة وطاق طواف

الافاضة وفتحت له الكعبة فسلها بماء الورد وطيبها بيده ، ثم وقف بياب الكعبة فتناول أيدي الناس لينخلوا الكعبة وهو بينهم ، ثم رجع فرمى الجرات ثم تعجل التفر فساد على المدينة النبوية فزار القبر الشريف مرة ثانية على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله وأهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابة الكرام أجمعين إلى يوم الدين . ثم سار إلى الكرك فدخلها في التاسع والعشرين من ذي الحجة ، وأرسل البشير إلى دمشق بقدمه سالماً ، فخرج الأمير جمال الدين آقوش النجبي فأتى ليتلقى البشير في ثاني الحرم ، فإذا هو السلطان نفسه يسير في الميدان الأخضر ، وقد سبق الجميع ، فتعجب الناس من سرعة سيره وصبره وجلده ، ثم ساق من فوره حتى دخل حلب في سادس الحرم لينتقم أحوالها ، ثم عاد إلى حماة ثم رجع إلى دمشق ثم سار إلى مصر فدخلها يوم الثلاثاء ثالث صفر من السنة المقبلة رحمه الله .

وفي أواخر ذي الحجة هبت ريح شديدة أغرقت مائتي مركب في النيل ، وهلك فيها خلق كثير ، ووقع هناك طر شديد جدا ، وأصاب الشام من ذلك صاعقة أهلكت الثمار ، فأنقذ الله وإنا إليه راجعون . وفيها أوقع الله تعالى الخلف بين التتار من أصحاب إيفنا وأصحاب ابن منكوترا بن عمه وخرقوا واشتغلوا ببعضهم بعضاً ، والله الحمد . وفيها خرج أهل حران منها وقدموا الشام ، وكان فيهم شيخنا العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية صفة أبيه وعمره ست سنين ، وأخوه زين الدين عبدالرحمن وشرف الدين عبد الله ، وهما أصغر منه .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الأمير عز الدين أيمن بن عبد الله ﴾

الحلبي الصالح ، كان من أكابر الأمراء وأحطام عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر ، كان يستقيبه إذا غلب ، فلما كانت هذه السنة أخذه معه وكانت وفاته بقلعة دمشق ، ودفن بقرية بالقرب من اليفمورية ، وخلف أموالاً جزيلة ، وأوصى إلى السلطان في أولاده ، وحضر السلطان عزاءه بمجامع دمشق .

﴿ شرف الدين أبو الطاهر ﴾

محمد بن الحافظ أبي الخطيب عمر بن دحية المصري ، ولد سنة عشر وستائة وسمع أباه وجماعة ، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية مدة ، وحدث وكان فاضلاً .

﴿ القاضي تاج الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن وثاب بن رافع البجلي الحنفي ، درس وأفتى عن ابن عطاء بدمشق ، ومات بعد خروجه من الحمام على مسألب الحمام فجأة ودفن بقلاييون .

﴿ الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن ﴾

علي بن يوسف بن حيدرة الرحي شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرس الفخرارية عن وصية واقفها بذلك وله التقدمة في هذه الصناعة على أتراته من أهل زمانه ، ومن شعره قوله :

يساق بنو الدنيا إلى الخلف عنوة • ولا يشر الباقي بحالة من يعصى
كانهم الأنعام في جبل بعضها • بما تم من سفك الدماء على بعض

[الشيخ نصير الدين]

المبارك بن يحيى بن أبي الحسن أبي البركات بن الصباغ الشافى ، العلامة فى الفقه والحديث ،
درس وأفتى وصنف وانتفع به ، وعمر ثمانين سنة ، وكانت وفاته فى حادى عشرة جمادى الأولى
من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

[الشيخ أبو الحسن]

على بن عبد الله بن إبراهيم الكوفى المقرئ الملقب بسبيويه ، وكان فاضلاً بارعاً فى صناعة
النحو ، توفى بمارستان القاهرة فى هذه السنة عن سبع وستين سنة رحمه الله . ومن شعره :

عذبت قلبي بهجر منك متصل • يا من هواه ضمير غير منفصل
فما زادنى غير تأكيد صدك لى • فاعدوك من عطف إلى بطل^(١)

وفىها ولد شيخنا العلامة كمال الدين محمد بن على الأنصارى بن الزملكاني شيخ الشافعية .

ثم دخلت سنة ثمان وستين وستائة

فى ثانى المحرم منها دخل السلطان من الحجاز على المهجن فلم يرع الناس إلا وهو فى الميدان
الأخضر يسير ، ففرح الناس بذلك ، وأراح الناس من تلقيه بالمدايا والتحف ، وهذه كانت عادته ،
وقد عجب الناس من سرعة مسيره وعلو همته ، ثم سار إلى حلب ، ثم سار إلى مصر فدخلها فى
سادس الشهر مع الركب المصرى ، وكانت زوجته أم الملك السعيد فى الحجاز هذه السنة ، ثم خرج
فى ثالث عشر صفر هو وولده والأمراء إلى الاسكندرية فتعبد هناك ، وأطلق للأمراء الأموال
الكثيرة والخلع ، ورجع مؤيداً منصوراً .

وفى المحرم منها قتل صاحب مرا كش أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف الملقب
بالواثق ، قتله بنو مزين فى حرب كانت بينه وبينهم بالقرب من مرا كش . وفى ثالث عشر ربيع
الآخر منها وصل السلطان إلى دمشق فى طائفة من جيشه ، وقد لقوا فى الطريق مشقة كثيرة من
البرد والوحل ، فنجم على الزنبيقة وبلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا يقصد جيش المسلمين ،
فركب إليه سرى ما فوجده قريبا من عكا فدخلها خوفاً منه . وفى رجب تسلم نواب السلطان مصباغ
من الاماعيلية ، وهرب منها أمير الصارم مبارك بن الرضى ، فتجمل عليه صاحب حماد حتى أسره
وأرسله إلى السلطان فحبسه فى بعض الابرجة فى القاهرة . وفىها أرسل السلطان المهراب بنات إلى الحجرة

(١) زليخة من المصرية .

النبوية ، وأمر أن تنام حول القبر صيانة له ، وعمل لها أبواباً تفتح وتغلق من الديار المصرية ، فركب ذلك عليها . وفيها استفاضت الاخبار بقصد الفرنج بلاد الشام ، فجهز السلطان المساكين لقتالهم ، وهو مع ذلك مهم بالامكندرية خوفاً عليها ، وقد حصنها وعمل جسورة إليها إن دهمها العدو ، وأمر بقتل السكّالاب منها . وفيها انقضت دولة بني عبد المؤمن من بلاد المغرب ، وكان آخرهم إدريس بن عبد الله بن يوسف صاحب مراکش ، قتله بنو مرين في هذه السنة .
ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ صاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرزاق ﴾

ابن زيد بن مالك المصري المعروف بابن الزبيرى كان فاضلاً رئيساً ، وزر لملك المظفر قطز ثم لظاهر بيبرس في أول دولته ، ثم عزله وولى بهاء الدين ابن الحنا ، فلم يزل منزله حتى أدرسته منيته في الرابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة ، وله نظم جيد .

﴿ الشيخ موفق الدين ﴾

أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي الطليبي ، المعروف بابن أبي أصيبعة ، له تاريخ الأطباء في عشر مجلدات لطاف ، وهو وقف بمشهد ابن عروة بالأموى ، توفي بصرخد وقد جاوز التسعين .

﴿ الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الهام ﴾

ابن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير ، أبو العباس المقدسي النابلسي ، تفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، وله ستة خمس وسبعين وخمسة ، وقد جمع ورحل إلى بلدان شتى ، وكان فاضلاً يكتب سريراً ، حكى الشيخ علم الدين أنه كتب مختصر الخرق في ليلة واحدة ، وخطه حسن قوى ، وقد كتب تاريخ ابن عساكر مرتين ، واختصره لنفسه أيضاً ، وأضرب في آخر عمره أربع سنين ، وله شعر أورد منه قطب الدين في تذييله ، توفي بسفح قاسيون وبه دفن في بكرة الثلاثاء عاشر رجب ، وقد جاوز التسعين رحمه الله .

﴿ القاضي محيي الدين ابن الزكي ﴾

أبو الفضل محيي بن قاضي القضاة بهاء الدين أبي المال محمد بن علي بن محمد بن محيي بن علي بن عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد ابن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي بن الزكي ، تولى قضاء دمشق غير مرة ، وكذلك أبلّج من قبله ، كل قد وليها ، وقد جمع الحديث من حنبل وابن طبرزد والكندي وابن الحرستاني وجماعة ، وحدث ودرس في مدارس كثيرة ، وقد ولي قضاء الشام في المملوكية ^(١) فلم يجمد على ما ذكره أبو شامة ، توفي بمصر في الرابع عشر من رجب ، ودفن بالقلم وقد جاوز السبعين . وله

(١) في شذرات الذهب : ولاه هولاكو قضاء الشام .

شعر جيد قوى ، وحكى الشيخ قطب الدين فى ذلك بعد ما نسب كما ذكرنا عن والده القاضى بهاء الدين أنه كان يذهب إلى تفضيل على على عثمان مواقة لشيخه محى الدين ابن عربى ، ولنام رآه بجامع دمشق مرضاً عنه بسبب ما كان من بنى أمية إليه فى أيام صفين ، فأصبح فظم فى ذلك قصيدة يذكر فيها ماله إلى على ، وإن كان هو أموى :

أدين بما دان الوصى ولا أرى * سواء وإن كانت أمية محندى
ولو شهدت صفين خيلى لاعتزت * وشاء بنى حرب هنالك مشهدى
لكننت أسن البيض عنهم تراضياً * وأنعمهم نيل الخلافة باليد
ومن شعره :

قالوا ما فى جلق نزع * تسليك عن أنت به منرا
يا عاذلى دونك فى لحظة * سهماً وقد عارضه سطرا
﴿ صاحب نحر الدين ﴾

محمد بن صاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن الحنا المصرى ، كان وزير الصحبة ، وقد كان فاضلاً ، بنى رباطاً بالقرافة الكبرى ، ودرس بمدرسة والده بمصر ، وبالشافى بعد ابن بنت الأعز توفى بشيخان ودفن بسفح القطم ، وفوض السلطان وزارة الصحبة لولده تاج الدين .
(الشيخ أبو نصر بن أبى الحسن)

ابن الخراز الصوفى البغدادى الشاعر ، له ديوان حسن ، وكان جميل المباشرة حسن المداكرة ، دخل عليه بعض أصحابه فلم يقم له فأنشده قوله :

نهض القلب حين أقبلت ^{بجهد} إجلالاً لما فيه من صحيح الوداد
ونهوض القلوب بالود أولى * من نهوض الأجساد للأجساد
(ثم دخلت سنة تسع وستين وسبائة)

فى مستهل صفر منها ركب السلطان من الديار المصرية فى طائفة من العسكر إلى عسقلان فهزم ما بقى من سورها مما كان أهل فى الدولة الصلاحية ، ووجعها هدم كوزين فيها ألفاً دينار ففرقها على الأمراء . وجاءته البشارة وهو هنالك بأن منكوتر كسر جيش أيضاً ففرح بذلك ، ثم عاد إلى القاهرة . وفى ربيع الأول بلغ السلطان أن أهل عكا ضربوا رقاب من فى أيديهم من أسرى المسلمين صبرا يظهر عكا ، فأمر بن كان فى يده من أسرى أهل عكا فضربت رقابهم فى صبيحة واحدة ، وكانوا قريباً من مائتى أسير . وفيها كل جامع المنشية ^(١) وأقيمت فيه الجمعة فى الثانى والعشرين من ربيع الآخر . وفيها جرت حروب يطول ذكرها بين أهل تونس والفرنج ، ثم تصالحوا بعد ذلك

على الهدنة ووضع الحرب ، بعد ما قتل من الفريقين خلق لا يحصون .

وفي يوم الخميس ثامن رجب دخل الظاهر دمشق وفي صحبته ولده الملك السعيد وابن الحنا الوزير وجهور الجيش ثم خرجوا متفرقين وتواعدوا أن يلتقوا بالساحل ليشنوا الغارة على جيلة واللاذقية ومرقب وعرقا وما هنالك من البلاد ، فلما اجتمعوا فتحوا صافينا والمجبل ، ثم ساروا فنزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب ، وله ثلاثة أسوار ، فصبوا المنجنيقات فقتلوا قسرا يوم نصف شعبان ، فدخل الجيش ، وكان القدي يحاصره ولده السلطان الملك السعيد ، فأطلق السلطان أهله ومن عليهم وأجلاهم إلى طرابلس ، وتسلم القلعة بعد عشرة أيام من الفتح ، فأجلى أهلها أيضا وجعل كنيسة البلدة جامعاً ، وأقام فيه الجمعة ، وولى فيها نائباً وقاضياً وأمر بعلوة البلدة ، وبعث صاحب طرسوس بمغتنب بلده يطلب منه الصلح على أن يكون نصف مغل بلادة للسلطان ، وأن يكون له بها نائباً فأجابه إلى ذلك ، وكذلك فعل صاحب المرقب فصلحه أيضا على المناصفة ووضع الحرب عشر سنين . وبلغ السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد أن صاحب جزيرة قبرص قد ركب بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفاً من السلطان ، فأراد السلطان أن يفتح هذه الفرصة فبعث جيشا كثيفا في اثني عشرة شيف ليأخذوا جزيرة قبرص في غيبة صاحبها عنها ، فسارت المراكب مسرعة فلما قاربت المدينة جاهدتها ريح قاصف ففسد بعضها بعضا فانكسر فيها أربعة عشر مراكبا فإذن الله ففرق خلق وأمر الفرنج من الصنائع والرجال قريبا من ألف وثمانمائة إنسان ، فأنافه وإنا إليه راجعون . ثم سار السلطان فنصب المجانيق على حصن عكا فسأله أهلها الأمان على أن يخليهم فأجابهم إلى ذلك ، ودخل البلدة يوم عيد الفطر فقتله ، وكان الحصن شديد الضرر على المسلمين ، وهو واد بين جبليين ، ثم سار السلطان نحو طرابلس فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مراد السلطان في هذه الأرض ؟ فقال جئت لأرضي زروعكم وأخرب بلادكم ، ثم أعود إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه ويطلب منه المصالحة ووضع الحرب بينهم عشر سنين فأجابه إلى ذلك ، وأرسل إليه الاسماعيلية يستعطفونه على والدهم ، وكان مسجوناً بالقاهرة ، فقال : سلوا إلى العليقة وانزلوا تغذوا إقطاعت بالقاهرة ، وتسلوا أباكم . فلما نزلوا أمر بحبسهم بالقاهرة واستناب بحسن العليقة .

وفي يوم الأحد الثاني عشر من شوال جاء سيل عظيم إلى دمشق فأتلف شيئا كثيرا ، وغرق بسببه ناس كثير ، لاسيما الحجاج من الروم الذين كانوا نزولا بين التهرين ، أخذهم السيل وجماهم وأحلامه ، فهلكوا وغلقت أبواب البلدة ، ودخل الماء إلى البلدة من مراقي السور ، ومن باب الفرايدس فغرق خان ابن المقدم وأتلف شيئا كثيرا ، وكان ذلك في زمن الصيف في أيام الشمس ، ودخل السلطان إلى دمشق يوم الأربعاء خامس عشر شوال فعزل القاضي ابن خلكان ، وكان له في القضاء

عشر سنين ، وولى القاضى عز الدين بن الصائغ ، وخلع عليه ، وكان تقليده قد كتب بظاهر طرابلس بسفارة الوزير ابن الحنا ، فسار ابن خلكان فى ذى القعدة إلى مصر . وفى ثاقى عشر شوال دخل حصن الكردى شيخ السلطان الملك الظاهر وأصحابه إلى كنيسة اليهود فصلوا فيها وأزالوا ما فيها من شئ اليهود ، ومدوا فيها سباطا وعملوا سباطا ، وقوا على ذلك أياماً ، ثم أعيدت إلى اليهود ، ثم خرج السلطان إلى السواحل فافتتح بعضها وأشرف على عكا وتأملها ثم سار إلى القلار المصرية ، وكان مقدار غرمة فى هذه المدة وفى الفزوات قريبا من ثمانمائة ألف دينار ، وأخلفها الله عليه بكون وصوله إلى القاهرة يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة . وفى اليوم السابع عشر من وصوله أسكن على جماعة من الأمراء منهم الحلبي وغيره بلغة أنهم أرادوا مسكه على الشيف .

وفى اليوم السابع عشر من ذى الحجة أمر بارقة الخور من سائر بلادته وتهدد من يعصرها أو يتصرها بالقتل ، وأسقط ضمان ذلك ، وكان ذلك بالقاهرة وحدها كل يوم ضمانه ألف دينار ، ثم سارت البرد بفلق إلى الآفاق . وفيها قبض السلطان على العزيز بن المنيث صاحب الدرك ، وعلى جماعة من أصحابه كانوا عزموا على سلطنته .
ومن توفى فيها من الأعيان .

(الملك تقي الدين عباس بن الملك العادل)

أبى بكر بن أيوب بن شادى ، وهو آخر من بقى من أولاد العادل ، وقد سمع الحديث من الكندى وابن الحرستاني ، وكان عمره عند الملك لا يرفع عليه أحد فى المجالس والمواكب ، وكان لين الأخلاق حسن المشورة ، لا تمل بمجالسته . توفى يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الآخرة بدمرب الریحان ، ودفن بترتبه بسفح قاسيون .

(قاضى القضاة شرف الدين أبو حفص)

عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى السبكى المالكي ، ولد سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وسمع الحديث وثقه وأثني بالصلاحية ، وولى حبة القاهرة ثم ولى القضاء سنة ثلاث وستين ، لما دوا من كل منذهب قاضيا ، وقد امتنع أشد الامتناع ثم أجلب بعد إكراه بشرط أن لا يأخذ على القضاء جامكية ، وكان مشهوراً بالسلم والدين ، روى عنه القاضى بدر الدين ابن جماعة وغيره . توفى لحس بقين من ذى القعدة .

(الطواشى شجاع الدين مرشد المظفرى الجوى)

كان شجاعا بطلا من الأبطال الشجبان ، وكان له رأى سديد ، كان أستاذة لا يخالفه ، وكذلك الملك الظاهر ، توفى بمحماء ودفن بترتبه بالقرب من مدرسته بمحماء .

﴿ ابن سمين : عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ﴾

ابن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوتي ، نسبة إلى رقطة بلدة قريية من مرسية ، ولد سنة أربع عشرة وسبائة ، واشتغل بعلوم الأوائل والفلسفة ، فتولد له من ذلك نوع من الاحلاد ، وصف فيه ، وكان يعرف السيميا ، وكان يلبس بذلك على الأغنياء من الأمراء والأغنياء ، ويزعم أنه حال من أحوال القوم ، وله من المصنفات كتاب البصو ، وكتاب المو ، وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها ابن ميمى ، وجاور في بعض الأوقات بفناء حراء يرتجى فيما ينقل عنه أن يأتيه فيه وحى كما أتى النبي ﷺ ، بناء على ما يستفاد من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة ، وأنها قبض يفرض على العقل إذا صفا ، فاحصل له إلا الجزى في الدنيا والآخرة ، إن كان ملت على ذلك ، وقد كان إذا رأى الطافين حول البيت يقول عنهم : كأنهم الحجير حول المدار ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت ، فافهم بحكم فيه وفي أمثاله . وقد قلت عنه عظم من الأقوال والأفعال ، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين وسبائة من الهجرة ﴾

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الباسي ، وسلطان الاسلام الملك الظاهر . وفي يوم الأحد الرابع عشر من المحرم ركب السلطان إلى البحر لانتقاء الشواني التي عملت عوضا عما غرق بميزرة قبرص ، وهي أريون شيئا ، فركب في شينى منها ومعه الأمير بدر الدين ، فالت بهم فسقط الخزندار في البحر فخاص في الماء فألقى إنسان نفسه راء فأخذ بشره وأخذهم للفرق ، فقام السلطان على ذلك الرجل وأحسن إليه . وفي أواخر المحرم ركب السلطان في فرس يسمون الخاصكية ، والآراء من الهيار المصرية حتى قدم الكرك ، واستصحب قائمها معه إلى دمشق ، فدخلها في ثاني عشر صفر ، ومعه الأمير عز الدين أيمن نائب الكرك ، فولاء نيابة دمشق وعزل عنها جمال الدين آقوش النجيبى في رابع عشر صفر ، ثم خرج إلى حماة وعاد بعد عشرة أيام . وفي ربيع الأول وصلت الجفال من حلب وحماة وحمص إلى دمشق بسبب الخوف من التتار ، وجعل خلق كثير من أهل دمشق . وفي ربيع الآخر وصلت الساكر المصرية إلى حضرة السلطان إلى دمشق فصار بهم منها في سابع الشهر ، فاجتاز بحمادة واستصحب ملكها المنصور ، ثم سار إلى حلب فغيم بالبدان الأخضر بها ، وكان سبب ذلك أن عساكر الروم جموا نحو من عشرة آلاف فارس وبشوا طائفة منهم فأغاروا على عين تاب ، ووصلوا إلى نسطون وقصوا على طائفة من التركان بين حارم وإنطاكية فاستأصوم فلما سمع التتار بوصول السلطان ومعه الساكر المنصورة ارتدوا على أعقابهم راجعين ، وكان بلغه أن الفرنج أغاروا على بلاد قاقون ^(١) ونهبوا طائفة من التركان ، فقبض على الأمراء الذين هناك حيث لم يهتموا بحفظ البلاد وعادوا إلى الهيار المصرية .

وفي ثالث شعبان أمسك السلطان قاضي الخنابلة بمصر شمس الدين أحمد بن الهادي المصمسي ، وأخذ ما عنده من الودائع فأخذ زكاتها ورد بعضها إلى أوليائها ، واعتقله إلى شعبان من سنة ثنتين وسبعين ، وكان الذي وثق به رجل من أهل حران يقال له شبيب ، ثم تبين للسلطان نزاهة القاضي وبراهته فأعادته إلى منصبه في سنة ثنتين وسبعين ، وجاء السلطان في شعبان إلى أراضى عكا فأغار عليها فسأله صاحبها المهادنة فأجابته إلى ذلك فهداه عشرة سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشرة ساعات ، وعاد إلى دمشق فقرأ بدارالسعادة كتاب الصالح ، واستمر الحال على ذلك ثم عاد السلطان إلى بلاد الاسماعيلية فأخذ عاينها . قال قطب الدين : وفي جمادى الآخرة ولدت زرافة بقلمة الجبل ، وأرضعت من بقرة . قال وهذا شيء لم يهد مثله .

وفيهما توفي (الشيخ كمال الدين)

سلاَّب بن حسن بن عمر بن سعيد الأربلي الشافعي ، أحد مشايخ المذهب ، وقد اشتغل عليه الشيخ يحيى الدين النوروي بوقد اختصر البحر الروياني في مجلدات عديدة هي عندي بخطه . وكانت الفتيا تدور عليه بدمشق ، توفي في عشر السبعين ، ودفن بباب الصغير ، وكان مفيداً بالبادية من أيام الروافض ، لم يطلب زيادة على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة .

(وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب)

ابن سويد النكرتي التاجر الكبير بين التجار بن سويد ذو الأموال الكثيرة ، وكان معظماً عند الدولة ، ولا سيما عند الملك الظاهر ، كان يحمله ويكرمه لأنه كان قد أسدى إليه جيلاً في حال إمرته قبل أن يلى السلطنة ، ودفن برامله وتربته بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون ، وكانت كتب الخليفة ترد إليه في كل وقت ، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك ، حتى ملوك الفرنج في السواحل . وفي أيام التتار في أيام هولاكو ، وكان كثير الصدقات والبر .

(نجم الدين يحيى بن محمد بن عبد الواحد البهودي)

واقف البهودية التي عند حمام الفلك المبرر على الأطباء ، وفيه فضيلة بمرقة الطب ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق ، ودفن بقرية عند البهودية .

(الشيخ علي البكاء)

صاحب الزاوية بالقرب من بلد الخليل عليه السلام ، كان مشهوراً بالصالح والعبادة والاطعام لمن اجتاز به من المارة والزوار ، وكان الملك المنصور قلاوون يثق عليه ويقول : اجتمعت به وهو أمير وأنه كاشفه في أشياء وقت جميعها ، ومن جعلها أنه سيملك . قتل ذلك قطب الدين اليونيني ، وذكر أن سبب بكائه الكثير أنه محب رجلاً كانت له أحوال وكرامات ، وأنه خرج معه من بغداد

فأتوها في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة ، وأن ذلك الرجل قال له إني سأموت في الوقت الفلاني ، فأشهدني في ذلك الوقت في البلدة الفلاني . قال : فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السباق ، وقد استدار إلى جهة الشرق فحوّله إلى القبلة فاستدار إلى الشرق فحوّله أيضاً ففتح عينيه وقال : لا تنسب قاتلي لأموت إلا على هذه الجهة ، وجعل يشككم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فحُفنا به إلى دير هناك فوجدناهم في حزن عظيم ، قتلناهم : ما شأنكم ؟ فقالوا كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة ، فلما كان اليوم مات على الاسلام ، قتلناهم : خذوا هذا بدله وسلموا صاحبنا ، قال فولينا فسلمناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين ، وولوا ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصارى ، نال الله حسن الخاتمة . مات الشيخ على في رجب من هذه السنة .

(ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستة)

في خمس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهدها ، وركب في أواخر المحرم إلى القاهرة فأقام بها سنة ثم عاد فدخل دمشق في رابع صفر ، وفي المحرم منها وصل صاحب النوبة إلى عيذاب قهبط فجارها وقتل خلقا من أهلها ، منهم إوالي والقاضي ، فصار إليه الأمر علاء الدين أيد غدي الخزندار قتل خلقا من بلاده ونهب وحرق وهدم ودوخ البلاد ، وأخذ بالنار والله الحمد والمنة .

وفي ربيع الأول توفي الأمير سيف الدين محمد بن مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون ، ودفن في تربة والده في عشر السبعين ، وكان له في ملك صهيون وبزريه إحدى عشرة سنة ، وتسلمها بعده ولده سابق الدين ، وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور فأذن له ، فلما حضر أفضله خيزرا وبعث إلى البلدين نوابا من جيشه .

وفي خمس جمادى الآخرة وصل السلطان بمسكاه إلى الفرات لانه بلغه أن طائفة من التتار هلك بغاض إليهم الفرات بنفسه وجنده ، وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلق كثيرا ، وكان أول من اقتحم الفرات يمتد الأمير سيف الدين قلاوون و بدر الدين بيسرى وتبعهما السلطان ، ثم فعل بالتتار ما فعل ، ثم ساق إلى ناحية البيرة وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى ، فلما جمعوا بقومهم هربوا وتركوا أموالهم وأهملهم ، ودخل السلطان إلى البيرة في أبهة عظيمة وفرق في أهل أموالا كثيرة ، ثم عاد إلى دمشق في ثالث جمادى الآخرة ومعه الأسرى . وخرج منها في سابعه إلى الديار المصرية ، وخرج ولده الملك السعيد لتلقيه ودخلا إلى القاهرة ، وكان يوماً مشهوداً . وعما قاله القاضي شهاب الدين محمود الكاتب ، وأولاده يقال لهم بنو الشهاب محمود ، في خوض السلطان الفرات بالجيش : سر حيث شئت لك الميمن جار * واحكم فطوع مرادك الأقدار

لم يبق للمدين الذى أظهرته * ياركته عند الأعادى نار
لما تراقصت الرؤس تحركت * من مطربات قسيك الأوتار
خضت الفرات يسكر أفضى به * موج الفرات كما أتى الأمار
حلتك أمواج الفرات ومن رأى * بجراً سواك نقله الأنهار
وقطعت فرقا ولم يك طودها * إذ ذاك إلا جيشك الجرار

وقال بعض من شاهد ذلك :

ولما تراءينا الفرات بخيلنا * سكرناه منا بالقنا والصوارم
ولجنا فوقف التيار عن جريانه * إلى حين عدنا بالنقى والفتنام

وقال آخر ولا بأس به :

الملك الظاهر سلطانتنا * فغديه بالأموال والأهل
اتحتم الماء ليطفى به * حرارة القلب من المغل

وفى يوم الثلاثاء ثالث رجب خلع على جميع الأمراء من حاشيته ومقدمى الحلقة وأرباب الهدية وأعلى كل إنسان ما يليق به من الخليل والذهب والحوايص ، وكان مبلغ ما أفتق بذلك نحو ثلثمائة ألف دينار . وفى شعبان أرسل السلطان إلى منكوتر هدايا عظيمة ، وفى يوم الاثنين تالى عشر شوال استدعى السلطان شيخه الشيخ خضر الكردي إلى بين يديه إلى القلعة وحوقوق على أشياء كثيرة ارتكبها ، فأمر السلطان عند ذلك باعتقاله وحجسه ، ثم أمر باغتياله وكان آخر العهد به . وفى ذى القعدة ملئت الاسماعيلية ما كان بقى بأيديهم من الحصون وهى الكهف والتدموس والمنطقة ، وعوضوا عن ذلك باقطاعات ، ولم يبق بالشام شئ لهم من القلاع ، واستناب السلطان فيها . وفيها أمر السلطان بصارة جسورة فى السواحل ، وغرم عليها مالا كثيراً ، وحصل للناس بذلك وفق كبير . وعن توفى فيها من الأعيان (الشيخ تاج الدين أبو المظفر محمد بن أحمد)

ابن حمزة بن علي بن حبة الله بن الحوى ، التغلبى دمشق ، كان من أعيان أهل دمشق ، ولى نظر الأيتام والحسبة ، ثم وكالة بيت المال ، وسمع الكثير وخرج له ابن بليان مشيخة قرأها عليه الشيخ شرف الدين الترازى بالجامع ، فسمها جماعة من الأعيان والفضلاء رحمه الله .

(الخطيب غفر الله عن أبي محمد)

عبد القاهر بن عبد الغنى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحارثى الخطيب بهاء وبينه مرسوف بالعلم والخطابة والزينة ، ودفن بمقبرة الصوفية وقد قارب الستين رحمه الله . وقدم مع الحديث من جده غفر الله عن صاحب ديوان الخطيب المشهورة ، توفى بمخاضاته القصر ظاهر دمشق .

(الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني المدوني)

شيخ الملك الظاهر بيبرس ، كان حظيا عنده مكرما لديه ، له عنده المكانة الرفيعة ، كان السلطان ينزل بنفسه إلى زاويته التي بناها له في الحسينية ، في كل أسبوع مرة أو مرتين ، وبنى له عندها جامعا يحيط به الجمعة ، وكان يعطيه مالا كثيرا ، ويطلق له ما أراد ، ووقف على زاويته شيئا كثيرا جدا ، وكان معظما عند انخاص والعام بسبب حب السلطان وتمطيه له ، وكان يعارجه إذا جلس عنده ، وكان فيه خير ودين وصلاح ، وقد كاشف السلطان بأشياء كثيرة ، وقد دخل مرة كنيسة القمامة بالقدس فذبح قسيسها بيده ، ووهب ما فيها لأصحابه ، وكذلك فعل بالكنيسة التي بالاسكندرية وهي من أعظم كنائسهم ، نهبا وحولها مسجدا ومدرسة أنفق عليها أموالا كثيرة من بيت المال ، وسماها المدرسة انظرهراء ، وكذلك فعل بكنيسة اليهود بدمشق ، دخلها ونهب ما فيها من الآلات والأمتعة ، ومد فيها سباطا ، وانفذها مسجدا مدة ثم سوا إليه في ردها إليهم وإيقاعها عليهم ، ثم اتفق في هذه السنة أنه وقتت منه أشياء أنكرت عليه وحقق عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له منه ما أوجب سجنه ، ثم أمر بإعدامه وهلاكه ^(١) وكانت وفاته في هذه السنة ، ودفن بزاويته ساعه الله ، وقد كان السلطان يحبه حبة عظيمة حتى إنه سمى بعض أولاده خضرا مواثقة لاسمه ، وإليه تنسب القبة التي على الجبل غرب الرهوة التي يقال لها قبة الشيخ خضر .

(مصنف التمجيز)

العلامة تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن يونس بن محمد بن سعد بن مالك أبو القاسم الموصل ، من بيت الفقه والرياسة والتدريس ، وله سنة ثمان وتسعين وخمسةائة ، ومع واشتغل وحصل وصنف واختصر الوجيز من كتابه التمجيز ، واختصر المحصول ، وله طريقة في الخلاف أخذها عن ركن الدين الطائوسي ، وكان جده عماد الدين بن يونس شيخ المذهب في وقته كما تقدم .

(ثم دخلت سنة ائتين وسبعين ومائة)

في صفر منها قدم الظاهر إلى دمشق وقد بان له أن أبنائا وصل إلى بغداد فتصيد بثلث الناحية ، فأرسل إلى الساکر العمري أن يتأهبوا الحضور ، واستعد السلطان لذلك . وفي جادى الآخرة أحضر ملك الكرخ لبين يديه بدمشق ، وكان قد جاء متنكرا لزيارة بيت المقدس فظهر عليه فجعل إلى بين يديه فسجنه بالقلمة . وفيها كل بناء جادع دير للعائين ظاهر القاهرة ، وصلى فيه الجمعة . وفيها سار السلطان إلى القاهرة فدخلها في سابع رجب . وفي أواخر رمضان دخل الملك السعيد ابن الظاهر إلى دمشق في طائفة من الجيش ، فأقام بها شهرا ثم عاد . وفي يوم عيد القطر ختن السلطان ولفه خضرا ^(١) في شغرات القصب : أنه حبسه في القلمة وأجرى عليه المأكّل المتخثرة حتى مات في محرم سنة ٦٧١ وكذلك في النجوم الزاهرة . وفيها أن حبسه كان في شوال سنة ٦٧١

الذى سماه بسم شيخه ، وختن منه جماعة من أولاد الأمراء ، وكان وقتا هائلا . وفيها فوض ملك التتار إلى علاء الدين صاحب الديوان يبتدأ النظر في تسير وأعماله ، فسار إليها ليتصفح أحوالها فوجد بها شابا من أولاد التجار يقال له « دلي » قد قرأ القرآن وشيئا من الفقه والاشارات لابن سينا ، ونظر في النجوم ، ثم ادعى أنه عيسى ابن مريم ، وصدقه على ذلك جماعة من جهلة تلك الناحية ، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاة العصر وعشاء الآخرة ، فاستحضره وسأله عن ذلك فراء ذكيا ، إنما يضل ذلك عن قصد ، فأمر به قتل بين يديه جزاء الله خيرا ، وأمر العوام قهبا أنمنته وأمنته العوام ممن كان اتبعه . ومن توفى فيها من الأعيان .

(مؤيد الدين أبو الممالى الصدر الرئيس)

أسعد بن غالب المظفرى ابن الوزير مؤيد الدين أسعد بن حمزة بن أسعد بن على بن محمد التميمى ابن التتار ، جاوز التسعين وكان رئيسا كبيرا واسع النعمة ، لا يفغل أن يباشر شيئا من الوظائف وقد أزموه بعد ابن سويده مباشرة مصلح السلطان فباشرها بلا جامكية ، وكانت وفاته ببستانه ، ودفن بسفح قاسيون يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم . والده الصدر عز الدين حمزة رئيس الدين دمشق والقاهرة ، وخدم مؤيد الدين أسعد بن حمزة الكبير كن وزيراً لملك الأفضل على بن الناصر فأنقذ النفس ، كان رئيساً فاضلا له كتاب الوصية فى الأخلاق المرضية وغير ذلك ، وكانت له يد جيدة فى النظم ، فمن ذلك قوله :

يارب جدلى إذا ما ضنى جدى • برحة منك تتجنى من النار

أحسن جوارى إذا أمست جارك فى • لحدى فانك قد أوصيت بالجار

وأما والده حمزة بن أسعد بن على بن محمد التميمى فهو العميد ، وكان يكتب جيدا وصنف تاريخا فىا بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى سنة وفاته فى خمس وخمسة .

(الأمير الكبير فارس الدين أقطاي)

المستعرب أنابك الأمير المصرية ، كان أولا مملوكا لابن من ، ثم صار مملوكا لصلاح أوب فأمره ، ثم عظم شأنه فى دولة المظفر وصار أنابك الماسك ، فلما قتل امتدت أطماع الأمراء إلى المملكة فبايع أقطاي الملك الظاهر فقبه الجليش على ذلك ، وكان الظاهر يرفها له ولا يفساها ، ثم قبل وفاته بقليل أنهضم عند الظاهر ، ومات فى هذه السنة بالقاهرة .

(الشيخ عبد الله بن غانم)

ابن على بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسى ، له زاوية بنابلس ، وله أشعار رائعة ، وكلام قوى فى علم التصوف ، وقد طول اليونيقى ترجمته وأورد من أشعاره شيئا كثيرا .

(غنى القضاة كمال الدين)

أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر بن علي التغلبي الشافعي ، ولد بتغليس سنة إحدى وستائة ، وكان فاضلاً أصولياً مناضراً ، ولى نيابة الحكم مدة ثم استقل بالقضاء في دولة هلاوون - هولاكو - وكان عفيفاً زهياً لم يرد منصباً ولا تدرساً مع كثرة عياله وقلة ماله ، ولما انقضت أيامهم تفضب عليه بعض الناس ثم أئزم بالمسير إلى القاهرة ، فأقام بها يفيد الناس إلى أن توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بالقرافة الصغرى .

(إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن عبد الله)

التنوخى ، وتوخ من قضاة ، كان صدراً كبيراً ، وكتب الانشاء للناصر داود بن المظفر ، وتولى نظر المارستان النورى وغيره ، وكان مشكور السيرة ، وقد أئتمى عليه غير واحد ، وقد جاوز الثمانين ، ومن شعره قوله :

خاب رجاء امرئ له أمل • بغير رب السماء قد وصله
أيشتى غيره أخو همة • وهو يبطن الأحشاء قد كفله
وله أيضاً : خرس اللسان وكل ^{أوصافكم} • أوصافكم ماذا يقول وأنتم ما أنتم
الأمر أعظم من مقالة قائل • قد تله عقل أن يبر عنكم
المعجز والتقصير وصفى دائماً • والبر والاحسان يعرف منكم

(ابن مالك صاحب الألفية)

الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائى الحياثى النحوى ، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة ، منها الكافية الشافية وشرحها ، والتسهيل وشرحه ، والألفية التى شرحها ولده بدر الدين شرحاً مفيداً . ولد بجميان سنة ستائة وأقام بحلب مدة ، ثم بدمشق . وكان كثير الاجتماع بأبن خلكان وأئتمى عليه غير واحد ، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة ، وأجاز لشيوخنا علم الدين البرزالى . توفي ابن مالك بدمشق ليلة الأربعاء تانى عشر رمضان ، ودفن بقرية القاضى عز الدين بن الصائغ بقلسيون .

(النصير الطوسى)

محمد بن عبد الله الطوسى ، كان يقال له المولى نصير الدين ، ويقال الخواجا نصير الدين ، اشتغل في شبخته وحصل علم الأوائل جيداً ، وصنف في ذلك في علم الكلام ، وشرح الاشارات لابن سينا ، ووزر لأصحاب قلاع الأموت من الاسماعيلية ، ثم وزر لهولاكو ، وكان معه في واقعة بغداد ، ومن الناس من يزعم أنه أشل على هولاكو خان بقتل الخليفة بالله أعلم ، وعندى أن هذا لا يصدر

من عقل ولا فاضل . وقد ذكره بعض البلادة فأننى عليه ، وقال : كان عقلاً فاضلاً كريم الأخلاق ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله ، وهو الذى كان قد بنى الرصد بمرافة ، ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء وغيرهم من أنواع الفضلاء ، وبنى له فيه قبة عظيمة ، وجعل فيه كتباً كثيرة جداً ، توفى في بغداد فى ثمانى عشر ذى الحجة من هذه السنة ، وله خمس وسبعون سنة ، وله شعر جيد قوى وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدار بن على المصرى المستزلى الملقب ، فترع فيه عروق كثيرة منه ، حتى أفسد اعتقاده .

(الشيخ سالم البرقى)

صاحب الرباط بالقرافة الصغرى ، كان صالحاً متمبداً يقصد لزيارة والتبرك بدعائه ، وله اليوم أصحاب معروفون على طريقه .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة ﴾

فيها اطاع السلطان على ثلاثة عشر أميراً منهم قبحار الجوى ، وقد كانوا كاتبوا التتر يدعونهم إلى بلاد المسلمين ، وأنهم مهمهم على السلطان ، فأخذوا فأقروا بذلك ، وجاءت كتبهم مع البريدية وكان آخر العهد بهم . وفيها أقبل السلطان بالمسافر فدخل بلاد سيح يوم الاثنين الحادى والعشرين من رمضان ، قتلوا خلقاً لا يملهم إلا الله وغنموا شيئاً كثيراً من الأبقار والأغنام والأقتال والهدوب والأنعام ، فبيع ذلك بأرخص ثمن ، ثم عاد فدخل دمشق مؤيداً منصوراً فى شهر ذى الحجة فأقام بها حتى دخلت السنة . وفيها ثار على أهل الموصل رمل حتى عم الأفق وخرجوا من دورهم ينهلون إلى الله حتى كشف ذلك عنهم ، والله تعالى أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان (ابن عطاء الحنفى)

قاضى القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء بن جبير بن جابر بن وهيب الأذرى الحنفى ، ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، سمع الحديث وفتقه على مذهب أبى حنيفة ، وقاب فى الحكم عن الشافعى مدة ، ثم استقل بقضاء الحنفية أول ما ولى القضاة من المذاهب الأربعة ، ولما وقفت الحوطة على أملاك الناس أراد السلطان منه أن يحكم بها بتمتضى مذهبه ، فغضب من ذلك فقال : هذه أملاك بيد أصحابها ، وما يحل لسلطان أن يتعرض لها ثم نهض من المجلس فغضب ، فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً ، ثم سكن غضبه فكان يثنى عليه بعد ذلك ويمدحه ، ويقول : لا تثبتوا كتباً إلا عنه . كان ابن عطاء من العلماء الأخيار كثير التواضع قليل الرغبة فى الدنيا ، روى عنه ابن جماعة وأجاز لغير زالى . توفى يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى ، ودفن بالقرب من المعظمية بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

(يميند بن يميند بن يميند)

ابن طرابلس الفرنجى ، كان جده نائباً لبنت صيحل القى تلك طرابلس من ابن عمار فى حدود الخمسة ، وكانت بقيمة تسكن بعض جزائر البحر ، فتغلب هذا على البلد بعدداه عنه ، ثم استقل بها ولده ثم حفيد هذا ، وكان شكلاً مليحاً . قال قطب الدين اليونىنى : رأيته فى بلبك فى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة حين جاء مسلماً على كتبقاتوين ، ورام أن يطلب منه بلبك ، فشق ذلك على المسلمين . ولما توفى دفن فى كنيسة طرابلس ، ولما فتحها المسلمون فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة نبش الناس قبره وأخرجوه منه وألقوا عظامه على المزابل للكلاب .

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين وسبعمائة)

لما كان يوم الخميس ثامن جادى الأول نزل التار على البيرة فى ثلاثين ألف مقاتل ، خمسة عشر ألفاً من المغول ، وخمسة عشر ألفاً من الروم ، والمقدم على الجميع البرواناه بأمر أبنا ملك التار ومعهم جيش الموصل وجيش ماردىن والأكراد ، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً ، ونفجج أهل البيرة فى الليل فكبسوا عسكر التار وأحرقوا المنجنيقات ونهبوا شيئاً كثيراً ، ورجعوا إلى بيوتهم سالمين ، فأقام عليها الجيش مدة إلى تاسع عشر الشهر المذكور ، ثم رجعوا عنها فينظّم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . ولما بلغ السلطان نزول التار على البيرة أنفق فى الجيش سبعمائة ألف دينار ، ثم ركب سريعاً وفى محبته ولده السعيد ، فلما كان فى أثناء الطريق باقعه رحيل التار عنها فماد إلى دمشق ، ثم ركب فى رجب إلى القاهرة فدخلها فى ثامن عشر فوجد بها خمسة وعشرين رسولا من جهة ملوك الأرض ينتظرونه فتلقوه وحدنوه وقبواوا الأرض بين يديه ودخل القلعة فى أبهة عظيمة . ولما عاد البرواناه إلى بلاد الروم حلف الأمراء الكبار منهم شرف الدين مسعود وضياء الدين محمود أبنا الظاهرى ، وأمين الدين ميكائيل ، وحسام الدين ميجار ، وولده بهاء الدين ، على أن يكونوا من جهة السلطان الملك الظاهر وبنابنوا أبنا ، فخلعوا له على ذلك ، وكتب إلى الظاهر بذلك ، وأن يرسل إليه جيشاً ويحمل له ما كان يحمله إلى التار ، ويكون غياث الدين كنجرى على ما هو عليه ، يجلس على تخت مملكة الروم .

وفى هذه السنة استسقى أهل بغداد ثلاثة أيام فلم يسقوا . وفيها فى رمضان منها وجه رجل وأمرأة فى نهار رمضان على فاحشة الزنا ، فأمر علاء الدين صاحب الدوان برجمهما فرجما ، ولم يرجم ببغداد قبلها قط أحد منذ بنيت . وهذا غريب جداً . وفيها استسقى أهل دمشق أيضاً مرتين . فى أواخر رجب وأوائل شعبان . وكان ذلك فى آخر كانون الثانى . فلم يسقوا أيضاً . وفيها أرسل السلطان جيشاً إلى دقة فسكر جيش السودان وقتلوا منهم خلقاً وأسروا شيئاً كثيراً من السودان

بمئذ يبيع الرقيق الرأس منها بثلاثة دراهم ، ورهب ملكهم داوداه إلى صاحب التوبة فأرسله إلى الملك الظاهر محتاطاً عليه ، وقرر الملك الظاهر على أهل دققة جزية تحمل إليه في كل سنة . كل ذلك كان في شبان من هذه السنة .

وفيها عقد عقد الملك السعيد بن الظاهر على بنت الأمير سيف الدين قلاوون الأتني ، في الإيوان بمحضرة السلطان والدولة على صدق خمسة آلاف دينار ، فقبل منها ألفاً ديناراً ، وكان الذي كتبه وقرأه يحيى الدين بن عبد الظاهر ، فأعطى مائة دينار ، وخلع عليه . ثم ركب السلطان مسرعاً فوصل إلى حصن الكرك فجمع التبرية الذين به فإذا هم ستمائة نفر ، فأمر بشتنهم فشتع فيهم عنده فأطلقهم وأجلاهم منه إلى مصر ، وكان قد بلغه عنهم أنهم يريدون قتل من فيه وقيموا ملكاً عليهم ، وسلم الحصن إلى الطواشي فممس الدين رضوان السهيلي ، ثم عاد في بقية الشهر إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة ثامن عشر الشهر . وفيها كانت زلزلة بأخلاق واتصلت ببلاد بكر .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

الأديب تاج الدين أبو الشتاء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن علي التميمي الصرخذي الحنفي ، كان مشهوراً بالفتى والأدب ، والعمه والصلاح ، ونزاهة النفس ومكارم الأخلاق . ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الحديث وروى ، ودفن بمقابر الصوفية في ربيع الآخر منها ، وله ست وتسعون سنة رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام حماد الدين عبد العزيز بن محمد ﴾

ابن عبد القادر بن عبد الله بن خليل بن مقلد الأنصاري البمشقي ، المعروف بابن الصائغ ، كان مدرساً بالمندراوية وشاهداً بالخرزانة بالقلمة يعرف الحساب جيداً ، وله سماع ورواية ، ودفن بقمابين ﴿ ابن الساعي المؤرخ ﴾

تاج الدين بن المحتسب المروف بابن الساعي البندادي ، ولد سنة ثلاث وتسعين وسمع الحديث واعتنى بالتاريخ ، وجمع وصف ، ولم يكن بالحافظ ولا الضابط المتن . وقد أوصى إليه ابن التجار حين توفي ، وله تاريخ كبير عندي أكثره ، ومصنفات أخر مفيدة ، وآخر ما صنف كتاب في الزهاد ، كتب في حاشيته ذكر الدين عبد الله بن حبيب الكاتب :

ما زال تاج الدين طول المدى * من عمره يُمنق في السير
في طلب العلم وتدوينه * فضله فتح بلا ضمير
علا على بصانيفه * وهذه خاتمة الخبير

(ثم دخلت مئة خمس وسبعين ومائة)

في ثالث عشر المحرم منها دخل السلطان إلى دمشق وسبق المساكر إلى بلاد حلب ، فلبثت أياماً إلى أن أرسل بين يديه الأمير بدر الدين الاتابكي بألف فارس إلى البلستين ، فصادف بها جماعة من عسكر الروم فركبوا إليه وحملوا إليه الأفاعيت ، وطلب جماعة منهم أن يدخلوا بلاد الاسلام فأذن لهم ، فدخل طائفة منهم ييجار وابن الخطير ، فرسم لهم أن يدخلوا القاهرة فتلقاهم الملك السعيد ، ثم عاد السلطان من حلب إلى القاهرة فدخلها في ثاني عشر ربيع الآخر .

وفي خامس جمادى الأولى عمل السلطان عرس وله الملك السعيد على بنت قلاوون ، واحتفل السلطان به احتفالا عظيما ، وركب الجيش في الميدان خمسة أيام يلعبون ويتطاردون ، ويحمل بعضهم على بعض ، ثم خلع على الأمراء وأرباب المناصب ، وكل من بلغ ما تبلغ ألف وثلاثمائة خلمة بمصر ، وجاءت مراسيمه إلى الشام بالخلع على أهلها ، ومد السلطان ساطعا عظيما حضره الخواص والعام ، والشارد والوارد ، وحبس فيه رسل التتار ورسول الفرنج وعليهم كلهم الخلع المائة ، وكان وقتا مشهودا ، وحمل صاحب حمام هدايا عظيمة وركب إلى مصر لتهنئته . وفي حادي عشر شوال طيف بالمحمل بكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة ، وكان يوما مشهودا .

(وقعة البلستين وفتح قيسارية)

ركب السلطان من مصر في المساكر فدخل دمشق في سابع عشر شوال ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم صار حتى دخل حلب في مستهل ذي القعدة ، فأقام بها يوما ورسم لثائب حلب أن يقيم بسكر حلب على الفرات لحفظ المنائر ، وصار السلطان يقطع الدرب في نصف يوم ، ووقع منقر الأشقر في أثناء الطريق بثلاثة آلاف من المغول فهزمهم يوم الخميس فأسع ذى القعدة وصعد العسكر على الجبال فأشرفوا على وطأة البلستين فأروا التتار قد رتبوا عسكرهم وكانوا أحد عشر ألف مقاتل ، وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخازيرهم ، فلما تراى الجمعان حملت ميسرة التتار فصعدت سنانجق السلطان ، ودخلت طائفة منهم بينهم فشقوها ، وسأقت إلى المينة ، فلما رأى السلطان ذلك أورد المسلمين بنفسه ومن معه ، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد كادت أن تنحطم فأمر جماعة من الأمراء ببردائها ، ثم حل العسكر جميعه حملة واحدة على التتار فترجلوا إلى الأرض عن آخرهم ، وقتلوا المسلمين قتالا شديدا ، وصبر المسلمون صبرا عظيما ، فأنزله الله نصره على المسلمين ، فأحاطت بالتتار المساكر من كل جانب ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقتل من المسلمين أيضا جماعة ، وكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير ، وسيف الدين قبايز ، وسيف الدين بنجو الجانشين ، وعز الدين أيك التتقي ، وأسر جماعة من أمراء المغول ، ومن أمراء

ومن أمراء الروم ، وهرب الرواة فمجا بنفسه ، ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة ، وأعلم أمراء الروم ملكهم بكسرة التتار على البلستين ، وأشار عليهم بالمزعة فآهزموها وأخلوها ، فدخلها الملك الظاهر وصلى بها الجمعة سابع ذي القعدة ، وخطب له بها ، ثم كر راجعا مؤيدا منصوراً . وسارت البشائر إلى البلدان ففرح المؤمنون يومئذ بنصر الله . ولما بلغ خبر هذه الواقعة أيقنا جاء حتى وقف بنفسه وجيشه ، وشاهد مكان المعركة ومن فيها من قتل المتول ، فغاضه ذلك وأعظمه وحنق على الرواة إذ لم يعلمه بجيلة الحال ، وكان يظن أمر الملك الظاهر دون هذا كله ، واشتد غضبه على أهل قيسارية وأهل تلك الناحية ، وقتل منهم قريبا من مائتي ألف ، وقيل قتل منهم خمسمائة ألف من قيسارية وأرزن الروم ، وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين حبيب ، فآناه وإنا إليه راجعون .

ومن توفى فيها من الأعيان .

(الشيخ أبو الفضل ابن الشيخ عبيد بن عبد الخالق الدمشقي)

ودفن بالقرب من الشيخ أرسلان . قال الشيخ علم الدين : وكان يذكر أن موافه كان سنة

أربع وستين وخمسمائة (الطواشي بين الحبشي)

شيخ الخدم بالحرم الشريف ، كان ديناً عاقلاً عدلاً صادق الهجة ، مات في عشر السبعين رحمة الله

[الشيخ المحدث شمس الدين أبو العباس]

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصل ، ثم الدمشقي الصوفي ، جمع الكثير وكتب الكتب الكبار بخط رفيع جيد واضح ، جاوز السبعين [^(١)] ودفن بباب الفرديس .

(الشاعر شهاب الدين أبو المكارم)

محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشيباني التلمزي ، صاحب ديوان الشعر ، جاوز الثمانين ، مات بجماعة ، وكان الشعراء مقرين له مقربين بفضلهم وتقديرهم في هذا الفن . ومن شعره قوله :

لساني طرى منك يا غاية المنى * ومن ولى أتى خطيب وشاعر
فهذا لمنى حسن وجهك فاطم * وهنا لدمى في تيجيك كاحرناز

(القاضي شمس الدين)

علي بن محمود بن علي بن طعم الشيزوري الدمشقي ، مدرس القيمرية بشرط وأنها له ولقرينه [من بعده التدريس من أهل منهم ، فدرس بها إلى أن توفى في هذه السنة ، ودرس بعده ولده

(١) زيادة من نسخة أخرى بتركيا ومن النسخة المصرية أيضا .

صلاح الدين ، ثم ابن ابنه بدر ابن جماعة ، وطالت مدة حفيده . وقد ولى شمس الدين على نيابة ابن خلكان فى الولاية الأولى ، وكان قتيها جيداً قالاً للمذهب ، رحمه الله ^(١) وقد سافر مع ابن المديم لبغداد فسمع بها ودفن بتقابر الصوفية بالقرب من ابن الصلاح .

(الشيخ الصالح العالم الزاهد)

أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن سنجر الكنتاني الحموي له معرفة بالفتنة والحديث ، ولد سنة ست وتسعين بمحانة ، وتوفى بالقدس الشريف ودفن بمالاً ، وسمع من النضر ابن عساكر ، وروى عنه وله فاضل القضاة بدر الدين ابن جماعة .

(الشيخ الصالح جندل بن محمد المنيني)

كانت له عبادة وزهادة وأعمال صالحة ، وكان الناس يترددون إلى زيارته بمنين ، وكان يتكلم بكلام كثير لا يفهمه أحد من الحاضرين ، بألفاظ غريبة ، وحكى عنه الشيخ تاج الدين أنه سمعه يقول : ما تقرب أحد إلى الله بمثل القل له والتضرع إليه ، وسمعه يقول : الموله منى من طريق الله يستند أنه واصل ولو علم أنه منى رجع عما هوفيه ، لأن طريق القوم من أهل السلوك لا يشيت عليها إلا ذوو العقول الثابتة . وكان يقول : الساع وظيفة أهل البطالة . قال الشيخ تاج الدين : وكان الشيخ جندل من أهل الطريق وعلماء التحقيق . قال : وأخبرنى فى سنة إحدى وستين وسبائة أنه قد بلغ من العمر خمساً وتسعين سنة . قلت : على هذا فيكون قد جاوز المائة ، لأنه توفى فى رمضان من هذه السنة ، ودفن فى زاويته المشهورة بقرية منين ، وتردد الناس لقبره يصلون عليه من دمشق وأعمالها أياما كثيرة رحمه الله .

(محمد بن عبد الرحمن بن محمد)

الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن التوربة السلى الحنقى ، اشتغل على الصدر سليمان وابن عطاء وفى النحر على ابن مالك ، وحصل وبرع ونظم ونثر ، ودرس فى الشبلية والقصاصين ، وطلب لنيابة القضاء فامتنع ، وكتب الكتابة المنسوبة . رآه بعض أصحابه فى المنام بعد وفاته فقال : ما فعل الله بك ؟ فأنتأ يقول :

ما كان لى من شافع عنده * غير اعتقادى أنه واحد

وكانت وفاته فى جمادى الآخرة ودفن بظاهر دمشق رحمه الله .

(محمد بن عبد الوهاب بن منصور)

شمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلى تلميذ الشيخ محمد الدين ابن تيمية ، وهو أول من

(١) زيادة من نسخة تركية

حكم بالديار المصرية من الخنايلة ثيابة عن القاضي تاج الدين ابن بفت الأعز ، ثم ولى شمس الدين ابن الشيخ الهادي القضاء مستقلاً فاستجاب به ، ثم ترك ذلك ورجع إلى الشام يشتغل ويضئ إلى أن توفي وقد نيف على الستين رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وسئامة ﴾

ففيها كانت وفاة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك ، وأقام ولده ناصر الدين أبا الممالى محمد بركة خان الملقب السعيد من بعده ، وفاته الشيخ محيي الدين النووي إمام الشافعية فيها في اليوم السابع من المحرم منها ، ودخل السلطان الملك الظاهر من بلاد الروم وقد كسر التتار على البلستين ، ورجع مؤيداً منصوراً فدخل دمشق وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً ، فنزل بالقصر الأبلق الذي بناه غري دمشق بين الميدانين الأخضرين ، وتواترت الأخبار إليه بأن أبناء جاء إلى المعركة ونظر إليها وتأسف على من قتل من المنول وأمر بقتل الرواة وذكروا أنه قد عزم على قصد الشام ، فأمر السلطان بجميع الأمراء وضرب مشورة فاتفق مع الأمراء على ملاقاته حيث كان ، وتقديم بضرب الدهليز على القصر ، ثم جاء الخبر بأن أبناء قد رجع إلى بلاده فأمر برد الدهليز وأقام بالقصر الأبلق يجتمع عنده الأعيان والأمراء والدولة في أسرحال ، وأنعم بال . وأما أبناء فانه أمر بقتل الرواة . وكان قائمه على بلاد الروم . وكان اسمه معين الدين سليمان ابن علي بن محمد بن حسن ، وإتمام قتله لأنه اتهمه بعمالاته للملك الظاهر ، وزعم أنه هو الذي حسن له دخول بلاد الروم ، وكان الرواة شجاعاً حازماً كريماً جواداً ، وله ميل إلى الملك الظاهر ، وكان قد جاوز الحسين لما قتل .

ثم لما كان يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الملك الظاهر بهاء الدين عبد الملك بن السلطان المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب ، عن أربع وستين سنة ، وكان رجلاً جيداً سليم الصدر كريم الأخلاق ، لبن الكلمة كثير التواضع ، يعانى ملابس العرب ومراكبهم ، وكان مسطماً في الدولة شجاعاً مقداماً ، وقد روى عن ابن الأثير وأجاز هيرزالي . قال البرزالي ويقال إنه سم ، وذكر غيره أن السلطان الملك الظاهر سمه في كأس خمر ناوله إياه فشربه وقام السلطان إلى المرتفق ثم عاد وأخذ الساقى الكأس من يد الظاهر فلاًه وناوله السلطان الظاهر والساقى لا يشعر بشيء مما جرى ، وأنسى الله السلطان ذلك الكأس ، وأظن أنه غيره لأمر يريد الله ويقضيه ، وكان قد بقي في الكأس بقية كثيرة من ذلك السم ، فشرب الظاهر مائ الكأس ولم يشعر حتى شربه فاشتكى بطنه من ساعته ، ووجد الوهج والحرق الشديد من فوره ، وأما الظاهر فانه حمل إلى منزله وهو مغلوب فلت من ليله . وتعرض الظاهر من ذلك أليماً حتى كانت وفاته يوم الخميس بعد الظهر

في السابع والعشرين من المحرم بالتصير الأباقي ، وكان ذلك يوماً عظيماً على الأمراء ، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيديمر وكبار الأمراء والدولة ، فصلوا عليه سرا وجعلوه في تابوت ورفعوه إلى القلعة من السور وجعلوه في بيت من بيوت البحرية إلى أن نقل إلى تربته التي بناها والده له بعد موته ، وهي دار العتيق نجم العادلية الكبيرة ، ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة ، وكنم موته فلم يعلم جمهور الناس به حتى إذا كان العشر الأخير من ربيع الأول ، وجاءت البيعة لولده السعيد من مصر فحزن الناس عليه حزناً شديداً ، وترجوا عليه ترجماً كثيراً ، وجددت البيعة أيضاً بمشقة وجاء تقليد النيابة بالشام مجدداً إلى عز الدين أيديمر نائبها .

وقد كان الملك الظاهر شهياً شجاعاً على المهمة بعيد النور مقداماً جسوراً معنياً بأمر السلطنة ، يشفق على الاسلام ، متعلماً بالملك ، له قصد صالح في نصرة الاسلام وأهله ، وإقامة شمار الملك ، واستمرت أيامه من يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين إلى هذا الحين ، ففتح في هذه المدة فتوحات كثيرة قيسارية وأرسون وإفا والشقيف وإطاكية وبراض وطبرية والقصير وحسن الأكراد وحسن عكا والفرين وصابينا وغير ذلك من الحصون المنيعة التي كانت بأيدي الفرنج ، ولم يدع مع الاسماعيلية شيئاً من الحصون ، ونافى الفرنج على الرقب ، وبنى بلاد أنطرسوس ، وسار ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون ، وولى في نصيبه مما فاضهم عليه النواب والعمال وفتح قيسارية من بلاد الروم ، وأوقع بالروم والمنقول على البلستين بأساً لم يسمع بمثله من دهور متطاولة ، واستمد من صاحب سيس بلاداً كثيرة ، وجاس خلال ديارهم وحصونهم ، واسترد من أيدي المنفلين من المسلمين بعلبك وبصرى ومرخد وحصن وعجلون والصلت وتدمر والرحبة وقتل بشر وغيرها ، والكرك والشوبك ، وفتح بلاد النوبة بكاملها من بلاد السودان ، وانزع بلاداً من التتار كثيرة ، منها شير زور والبيدة ، واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة ، وعمر شيئاً كثيراً من الحصون والمناقل والجسور على الأنهار الكبار ، وبنى دار الذهب بقلعة الجبل ، وبنى قبة على اثني عشر عموداً ملونة مذهبة ، وصور فيها صور خاصيته وأشكالهم ، وحفر أنهاراً كثيرة وخلجات بيلاط مصر ، منها نهر السرحاس ، وبنى جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدد بناء مسجد رسول الله ﷺ حين احترق ، ووضع الدرازينات حول الحجرة الشريفة ، وعمل فيه منبراً وسقفة بالذهب ، وجدد المارستان بالمدينة ، وجدد قبر الخليل عليه السلام ، وزاد في زاوئنه وما يصرف إلى القمين ، وبنى على المكان المنسوب إلى قبر موسى عليه السلام قبة قبل أربحا ، وجدد بالقدس أشياء حسنة من ذلك قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة وغيرها ، وبنى بالقدس خاتماً ثانياً بما ملأ ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الناطقين من مصر ، وعمل فيه طاحونا وفرناً

وبستانا ، وجعل القواردين إليه أشياء تصرف إليهم في نفقة وإصلاح أمتهم رحمه الله . وبنى على قبر أبي عبيدة بالقرب من عنتا مشيدا ، ووقف عليه أشياء القواردين إليه ، وعمر جسر دامية ، وجدد قبر جعفر الطيار بناحية الكرك ، ووقف على الزائرين له شيئا كثيرا ، وجدد قلعة صفت وجامعها ، وجدد جامع الرملة وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد أخفئها وخربت جوامعها ومساجدها ، وبنى بحلب داراً هائلة ، وهدم القصر الأبقى والمدرة الظاهرية وغيرها ، وضرب الهرام والدنانير الجيدة الخالصة على التنصح والمعاملة الجيدة الجارية بين الناس ، فرحمه الله .

وله من الآثار الحسنة والأماكن مالم يبن في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب ، مع اشتغاله في الجهاد في سبيل الله واستخدم من الجيوش شيئا كثيراً ، ورد إليه نحو من ثلاثة آلاف من المتول فأنقطعهم وأمر كثيراً منهم ، وكان مقتصدا في ملبسه ومطعمه وكذلك جيشه ، وهو أقوى أنشأ الدولة الباسية بعد ثورها ، وبقى الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين ، وهو الذي أقام من كل مذهب قاضياً مستقلاً قاضى قضاء . وكان رحمه الله متيقظاً شجاعاً لا يقتصر عن الأعداء ليلاً ولا نهاراً ، بل هو مناجز لأعداء الاسلام وأهله ، ولم يشته واجتماع شمله . وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخر عونا ونصراً للاسلام وأهله ، وشجاً في حلق المارقين من الفرنج والتتار ، والمشركين . وأبطل الخور وفي الفساد من البلاد ، وكان لا يرى شيئا من الفساد والمفساد إلا سعى في إزالته بمجده وطاقته . وقد ذكرنا في سيرته ما أرشد إلى حسن طويته وسريته ، وقد جمع له كاتبه ابن عبدالظاهر سيرة مطولة ، وكذلك ابن شدداد أيضاً . وقد ترك من الأولاد عشرة ثلاثة ذكر وصبعة إناث ومات وعمره ما بين الخمسين إلى الستين ، وله أوقاف وصلات وصدقات ، قبل الله منه الحسنات ، وتجاوز له عن السيئات والله سبحانه أعلم .

وقام في الملك بعده ولده السعيد بمباية أبيه له في حال حياته ، وكان عمر السعيد يومئذ دون العشرين سنة ، وهو من أحسن الأشكال وأتم الرجال ، وفي صفر وصلت الهدايا من الفرس مع رسله إلى الديار المصرية فوجدوا السلطان قد مات ، وقد أقيم الملك السعيد ولده مكانه والدولة لم تتغير ، والفرقة بعده ما تترك ، ولكن البلاد قد قدت أسدها بل أسدها وأشدها ، بل الذي بلغ أشدها ، وإذا اغتاحت فترة من سور الاسلام سدها ، وكلما انحلت عقد من عرى المزامن شدها ، وكلما رامت فرقة مارقة من طوائف الظنم أن تلج إلى حومة الاسلام سدها ورددها ، فسلحه الله ، وبل بالرحمة نراه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه .

وكانت المعارك الشامية قد سارت إلى الديار المصرية ومعهم حفة يظهر أن السلطان بها مريض ، حتى وصلوا إلى القاهرة فجددوا البيعة للسعيد بعدما أظهر وأظهر موت الملك السعيد الذي هو

إن شاء الله شهيد . وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر خطب في جميع الجوامع بالدار المصرية
 للملك السعيد ، وصلى على والده الملك الظاهر واستلمت عنه بالعموم . وفي منتصف ربيع الأول
 ركب الملك السعيد بالصائب على عادته وبين يديه الجيش بكمله المصري والشامي ، حتى وصل
 إلى الجبل الأحمر وفرح الناس به فرحاً شديداً ، وعمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وعليه أبهة الملك
 ورياسة السلاطنة . وفي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت مدرسة الأمير شمس الدين آقسنقر
 الفارغانى بالقاهرة ، بحارة الوزيرية على مذهب أبى حنيفة . وعمل فيها مشيخة حديث وقارئ .
 وبعده يوم عقد عقد ابن الخليفة المستمك بالله ابن الحاكم بأمر الله ، على ابنة الخليفة المستنصر ابن
 الظاهر ، وحضر والده والسلاطان وجوه الناس . وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى شرع في بناء
 الدار التي تعرف بدار المتيق ، تجاه المادلية ، لتجمل مدرسة وتربة لذلك الظاهر ، ولم تكن قبل
 ذلك إلا داراً للمتيق ، وهي المجاورة لحلم المتيق ، وأسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة
 وأُسست المدرسة أيضاً .

وفي رمضان طامت صحابة عظيمة بمدينة صفت اع منها برق شديد ، وسلم منها لسان ناره وجمع منها
 صوت شديد هائل ، ووقع منها على منارة صاعقة شفتها من أعلاها إلى أسفلها شقايد مثل الكف فيه
 ومن توفى فيها من الأعيان البروانة في العشر الأول من المحرم . والملك الظاهر في العشر
 الأخير منه ، وقد تهم شيء من ترجمتهما .

﴿والأمير الكبير بدر الدين يلبك بن عبد الله﴾

انخرندار نائب الديار المصرية للملك الظاهر ، كان جواداً محسناً له إلام ومعرفة بأيام الناس ،
 والتواريخ ، وقد وقف درساً بالجامع الأزهر على الشافعية ، ويقال إنه سم فأت ، فلما مات انتفض
 بعده جبل الملك السعيد ، واضطربت أموره .

﴿وقاضى القضاة شمس الدين الحنبلى﴾

محمد ابن الشيخ العماد أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى ، أول من
 ولى قضاء قضاة الحنابلة بالديار المصرية ، مع الحديث خصوصاً على ابن طبرزد وغيره ، ورحل إلى
 بغداد واشتغل بالغة ، وفتح في علوم كثيرة ، وولى مشيخة سعيد السعداء ، وكان شيخاً مهيباً حسن
 الشبهة كثير التواضع والبر والصدقة ، وقد اشترط في قبول الولاية أن لا يكون له عليها جامكية
 ليقوم في الناس بالحق في حكمه ، وقد عزله الظاهر عن القضاء سنة سبعين واعتقله بسبب الودائع
 التي كانت عنده ، ثم أطلقه بعد سنتين فزعم منزله واستقر بتدريس الصلحية إلى أن توفى في أواخر
 المحرم ، ودفن عند عم الحافظ عبد الفتى بسفح جبل المقطم ، وقد أجاز له رزالي .

قال الحافظ البرزالي : وفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الأول ورد الخضر بجوت ستة أمراء من الديار المصرية : سنقر البندادي ، وبسطا البلهي النكري ، وبدر الدين الوزيري ، وسنقر الرومي ، وآق سنقر الفاروقي رحمهم الله .

[الشيخ خضر الكردي شيخ الملك الظاهر]

خضر بن أبي بكر بن موسى الكردي التهرواني العدوي ، ويقال إن أصله من قرية الحمدية من جزيرة ابن عمر ، كان ينسب إليه أحوال ومكاشفات ، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء ، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير إنه سبى الملك ، فلهذا كان الملك الظاهر يستنقده ويبالغ في إكرامه بعد أن ولي المملكة ، ويعظمه تعظيماً زائداً ، وينزل عنده إلى زاويته في الأسبوع مرة أو مرتين ، ويستصحبه معه في كثير من أسفاره ، ويلزمه ويحترمه ويستشير به فيشير عليه برأيه ومكاشفات صحيحة مطابقة ، إما رحمانية أو شيطانية ، أو حال أو سعادة ، ولكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء ، وكان لا ينجب منهن ، فوقع في الفتنة . وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس فلا يسلم الخاط لهم من الفتنة ، ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الأصحاب ، فلا يسلم العبد أليته منهن . فلما وقع ما وقع فيه حوَّق عند السلطان وتيسرى وقلالون والفراس إقطاي الأتابك ، فأعترف ، فهم يقتله فقال له : إنما بيني وبينك أيام قلائل ، فأمر بسجنه فسجن سنين عديدة من سنة إحدى وسبعين إلى سنة ست وسبعين ، وقدهم بالقدس كنيسة وذبح قيسها وعلمها زاوية وقد قدمنا ترجمته قبل ذلك فيما تقدم ، ثم لم يزل مسجوناً حتى مات في يوم الخميس سادس المحرم من هذه السنة ، فأخرج من القلعة وسلم إلى قرابته فدفن في تربة أنشأها في زاويته . مات وهو في عشر الستين ، وقد كان يكشف السلطان في أشياء ، وإليه تنسب قبة الشيخ خضر التي على الجبل غربى الروبة ، وله زاوية بالقدس الشريف ^(١)]

[الشيخ محي الدين النووي]

يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم ، محي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، وله بنو سنة إحدى وثلاثين وسبائة ، ونوى قرية من قرى حوران ، وقد قدم دمشق سنة تسع وأربعين ، وقد حفظ القرآن فشرع في قراءة التنبيه ، فيقال إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف ، وقرأ أربع المبادئ من المذهب في بقية السنة ، ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً ، فكان يقرأ في كل يوم اثنا عشر درساً على المشايخ ، ثم اعتنى بالتصنيف فجمع شيئاً كثيراً ، منها ما كلفه ومنها ما لم يكلفه ، فمما كل شرح لمسلم والروضة والمهاج

(١) سقط من النسخة المصرية وقد تقدمت هذه الترجمة في حوادث سنة ٦٧٢ .

والرياض والأذكار والتبليغ ، وتحرير التنبية وتصحيحه ، وتهذيب الأسماء والمقات ، وطبقات الفقهاء وغير ذلك . وما لم يتمه ولو كل لم يكن له نظير في باب : شرح المهذب الذي سماه المجموع ، وصل فيه إلى كتاب الربا ، فأبدع فيه وأجاد وأفاد ، وأحسن الانتقاد ، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره ، وحرر الحديث على ما ينبغي ، والغريب واللغة وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه ، وقد جعله تحفة على ما عن له ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه ، على أنه محتاج إلى أشياء كثيرة تزداد فيه وتضاف إليه ، وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتعري والانجراح عن الناس على جانب كبير ، لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره ، وكان يصوم الدهر ولا يجمع بين إدامين ، وكان غالب قوته بما يحمله إليه أبوه من نوى ، وقد باشر تدريس الاقبالية نيابة عن ابن خلكان ، وكذلك نائب في الفلكية والركنية ، وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ، وكان لا يضيع شيئاً من أوقاته ، وحج في مدة إقامته بدمشق ، وكان يأمر بالمرور وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم . توفي في ليلة أربع وعشرين من رجب من هذه السنة بربو ، ودفن هناك رحمه الله وعفا عنه .

(علي بن علي بن أسفنديار)

نجيب الدين الروافض بمجامع دمشق أيام السبوت في الأشهر الثلاثة ، وكان شيخ الخلقاء المجاهدية وبها توفي في هذه السنة ، وكان فاضلاً بارعاً ، وكان جده يكتب الانشاء للخليفة الناصر ، وأصلهم من بوشنج . ومن شعر نجيب الدين هذا قوله :

إذا زار بالجنان غيري فأننى • أزور مع الساعات ربك بالقلب
وما كل ثاء عن ديار بنازح • ولا كل دان في الحقيقة ذو قرب

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستائة)

كان أولها يوم الأربعاء وكان الخليفة الحاكم بأمر الله الملبس ، وسلطان البلاد شاماً ومصرًا وحلباً الملك السعيد . وفي أوائل المحرم اشتهر بدمشق ولاية ابن خلكان قضاء دمشق حودا على يده في أواخر ذي الحجة ، بعد عزل سبع سنين ، فاستنق القاضى عز الدين بن الصائغ من الحكم في سادس المحرم وخرج الناس لتلقى ابن خلكان ، فتم من وصل إلى الرملة وكان دخوله في يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، ففرج نائب السلطنة عز الدين أيمن بجميع الأمراء والمواكب لتلقيه ، وفرح الناس بذلك ، ومدحه الشعراء ، وأنشد الفقيه شمس الدين محمد بن جعفر :
لما تولى قضاء الشام حاكمه • قاضى القضاء أبو المباس ذو الكرم
من بعد سبع شداد قال خادمه • ذا العلم فيه يثاب الناس بالنعم
وقال سعد الله بن مروان الفاروق :

أذقت الشام سبع سنين جبلا • غداة هجرته هجرا جبلا
فلما زرت من أرض مصر • مدحت عليه من كفيك نيل

وقال آخر :

رأيت أهل الشام طرا • ما فيهم قط غير راض
نالم الظير بمد شر • فالوقت بسط بلا اقباض
وعوضوا فرحة يجرن • قد أنصف الدهر في التقاض
وسرم بمد طول غم • بدور قاضي وعزل قاضي
وكلهم شاكر وشاك • بحال مستقبل وماض

قال اليوناني : وفي يوم الأربعاء ثالث عشر صفر ذكر القدس بالظاهرة وحضر نائب السلطنة
أبدمر الظاهري وكان درساً حافلاً حضره القضاة ، وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين محمود
ابن القاري ، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفى ، ولم يكن بناء المدرسة كل . وفي
جمادى الاولى بأمر قضاء الحنفية صدر الدين سليمان المذكور عوضاً عن محمد الدين ابن المديم ،
بحكم وفاته ، ثم توفى صدر الدين سليمان المذكور في رمضان وتولى بعده القضاء حسام الدين أبو
النضال الحسن بن أوشروان الرازى الحنفى ، الذى كان قاضياً بمطية قبل ذلك . وفي العشر الأول
من ذى القعدة فتحت المدرسة النجبية وحضر تدريسها ابن خلكان بنفسه ، ثم نزل عنها لوفده كال
الدين موسى ، وفتحت الخاقاه النجبية ، وقد كانتا وأوقافهما تحت الحيطه إلى الآن .

وفي يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة دخل السلطان السعيد إلى دمشق وقد زينت له وعملت له
قباب ظاهرة وخرج أهل البلد لتلقيه وفرحوا به فرحاً عظيماً لمحبتهم والله ، وصلى عيد النحر بالميدان ،
وعمل الميدا القلمة المنصورة ، واستوزر بدمشق صاحب فتح الدين عبد الله بن القيسرائى ، وبالديار
المصرية بمد موت بهاء الدين بن الحنا صاحب برهان الدين بن الحضرن الحسن السنجارى ،
وفي العشر الأخير من ذى الحجة جهز السلطان العساكر إلى بلاد سويس بحجة الأمير سيف الدين
قلاوون الصالحى ، وأقام السلطان بدمشق فى طائفة يسيرة من الأمراء والخاصية والخواص ،
وجعل يكثر التردد إلى الزنقية وفى يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذى الحجة جلس السلطان
بدار العدل داخل باب النصر ، وأستقط ما كان حدهه والله على بساتين أهل دمشق ، فتضاعفت له
منهم الأدعية وأحبهه لذلك حباً شديداً ، فانه كان قد أجحف بكثير من أصحاب الأملاك ، وود
كثير منهم لو فخاص من ملكه جملة بسبب ما عليه . وفيها طلب من أهل دمشق خمسين ألف دينار
ضربت أجرة على أملاكهم مدة شهرين ، وجيبت منهم على القهر والسف .

ومن توفي فيها من الأعيان .

(آقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيب)

أبو سعيد الصلحي ، أعقته الملك نجم الدين أيوب الكامل ، وجعله من أكابر الأمراء ، وولاه أستاذ داريته ، وكان يتقن إليه ويعتمد عليه ، وكان مولده في سنة تسع أو عشر وستائة ، وولاه الملك الظاهر أيضاً أستاذ داريته ، ثم استنابه بالشام تسع سنين ، فأتخذ فيها المدرسة النجيبية ووقف عليها أوقافاً دارة واسعة ، لكن لم يقرر للمستحقين قدراً يناسب ملوقفه عليهم ، ثم عزله السلطان واستعده لمصر فأقام بها مدة بطالا ، ثم مرض بالعالج أربع سنين ، وقد عاده في بعضها الملك الظاهر ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرج الملوخية ، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بترتبه التي أنشأها بالقرافة الصغرى ، وقد كن بنى لنفسه تربة بالنجيبية ، وفتح لها شباكين إلى الطريق ، فلم يقدر دفنه بها . وكان كثير الصدقة محبا للعلماء محسنا إليهم ، حسن الاعتقاد . شافى المذهب ، متفاليا في السنة ومحبة الصحابة وبفض الرافض ، ومن جملة أوقافه الحسان البستان والاراضى التي أوقفها على الجسورة التي قبل جاسع كريم الدين البيوم ، وعلى ذلك أوقف كثيرة ، وجعل النظر في أوقافه لابن خلكان .

(أيدكين بن عبد الله)

الامير الكبير علاء الدين الشهابي ، واقف الخاقاه الشهابية ، داخل باب الفرج . كان من كبار الأمراء بدمشق ، وقد ولاه الظاهر بحلب مدة ، وكان من خيار الأمراء وشجعانهم ، وله حسن ظن بالفقراء والاحسان إليهم ، ودفن بتربة الشيخ عمار الرومي بسفح قاسيون ، في خامس عشر ربيع الأول ، وهو في عشر الحسين ، وواقاه داخل باب الفرج ، وكان لها شبك إلى الطريق . والشهابي نسبة إلى الطواشي شهاب الدين رشيد الكبير الصلحي .

(قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي المز)

ابن وهيب أبو الربيع الحنفي شيخ الحنفية في زمانه ، وعالمهم شرقا وغربا ، أقام بدمشق مدة بضي ويدرس ، ثم انتقل إلى هلب المصرية يدرس بالصالحية ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالظاهرية ، وولى القضاة بعد مجد الدين بن المديم ثلاثة أشهر ، ثم كانت وفاته ليلة الجمعة سادس شعبان ، ودفن في القند بعد الصلاة بداره بسفح قاسيون ، وله ثلاث وثمانون سنة ، ومن لطيف شعره في ملوك تزوج جارية للملك المظلم .

يلصحي قتالي وانظرا محبا • أتى به المهر فينا من محاببه

البدرا أصبح فوق الشمس منزلة • وما العلو عليها من مراتبه

أضحى يماثلها حسنا وشاركها • كفوا وسار إليها في مواكبه

فأشكل الفرق لولا وصى نعمة • بصدغه واخضرار فوق شاربه

(مله بن إبراهيم بن أبي بكر كمال الدين الممداني)

الأربلي الشافعي ، كان أدبيا فاضلا شاعرا ، له قدرة في تصنيف روييت ، وقد أنعم بالقاهرة حتى توفي في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد اجتمع مرة بالملك الصالح أيوب ، فجعل يشكلم في علم النجوم فأثبته على البديهة هذين البيتين :

دع النجوم لطرق يمش بها • وبالمزجعة فانهض أيها الملك

إن النبي وأصحاب النبي نهوا • عن النجوم وقد أبصرت مملوكوا

وكتب إلى صاحب له اسمه فحمس الدين يستزيره بعد رمه أصابه فبرأ منه :

يقول لي الكحال عينك قد هدئت • فلا تشغلن قلبي وطب بها نضا

ولي مدة يا فحمس لم أركم بها • وآية بره العين أن تبصر الشمس

(عبد الرحمن بن عبد الله)

ابن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عفان جمال الدين ابن الشيخ نجم الدين البادرائي البغدادى ثم القمشي ، درس بمدرسة أبيه من بعده حتى حين وفاته يوم الأربعاء سادس رجب ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان رئيسا حسن الأخلاق جاوز خمسين سنة .

(قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن بن جمال الدين)

عمر بن أحمد بن المديم ، الحلبي ، ثم القمشي الحنفي ، ولي قضاء الحنفية بعد ابن عطاء بدمشق ، وكان رئيسا ابن رئيس ، له إحسان وكرم أخلاق ، وقد ولي الخطابة بمجامع القاهرة الكبير ، وهو أول حنفي وليه ، توفي بجوارقه بدمشق في ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بالقربة التي أنشأها عند زاوية الحريري على الشرف القبلي غرب الزيتون

(الوزير ابن الحنا)

علي بن محمد بن سليم بن عبد الله صاحب بهاء الدين أبو الحسن بن الحنا الوزير المصري ، وزير الملك الظاهر وولده السعيد إلى أن توفي في سلخ ذى القعدة ، وهو جد جد ، وكان ذا رأي وعزم وتدبير ذا تمكن في الدولة الظاهرية ، لا تخفى الأمور إلا عن رأيه وأمره ، وله مكالم على الامراء وغيرهم ، وقد امتدحه الشراء ، وكان ابنه تاج الدين وزير الصحة ، وقد صودر في الدولة السعيدية .

(الشيخ محمد ابن الظهير القوي)

محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الأربلي الحنفي المعروف بابن

الظاهر ، وله باربل سنة ثنتين وسنائة ، ثم أقام بمشقى ودرس بالقائمازية وأقام بها حتى توفي بها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان بارعا في النحو واللغة ، وكانت له يد طويلة في النظم وله ديوان مشهور ، وشعر رائق ، فن شعره قوله :

كل حى إلى الممات مآبه * ومدى عمره سريع ذهابه
يجرب الدار وهى دار بقاء * ثم يبنى ما عما قريب خرابه
عجبا وهو فى التراب غريق * كيف يلبيه طليه وعلاجه ؟
كل يوم يزيد قصا وإن عم * ر حلت أوصاله أوصابه
والورى فى مراحل الدهر ركب * دائم السير لا يرجى إيايه
قتزود إن التقي خير زاد * ونصيب اليب منه لبابه
وأخواله من يقضى بصدق * شيبته فى صلاحه وشبابه
وأخو الجهل يستلذ هوى النف * س فيغدو شهدا لديه مصابه

وهى طويلة جدا قرية من مائة وخمسين بيتا ، وقد أورد الشيخ قطب الدين شيئا كثيرا من شعره الحسن الفائق الرائق . ﴿ ابن إسرائيل الحريرى ﴾

محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين نجم الدين أبو المال الشيباني القمشقى ، وله فى يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وسنائة ، وصحب الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور اليسرى الحريرى ، فى سنة ثمان عشرة ، وكان قد لبس الخرقة قبله من الشيخ شهاب الدين السهروردى ، وزعم أنه أجلس فى ثلاث خلوات ، وكان ابن إسرائيل يزعم أن أهله قدموا الشام مع خالد بن الوليد فاستوطنوا دمشق ، وكان أديبا فاضلا فى صناعة الشعر ، بارعا فى النظم ، ولكن فى كلامه ونظمه ما يشير به إلى نوع الحلول والانحدار على طريقة ابن عربى وابن الفارض وشيخه الحريرى ، والله أعلم بحاله وحقيقة أمره . توفي بمشقى ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر هذه السنة ، عن أربع وسبعين سنة ، ودفن بتربة الشيخ رسلان مه داخل القبة ، وكان الشيخ رسلان شيخ الشيخ على المغربي الذى تخرج على يديه الشيخ على الحريرى شيخ ابن إسرائيل ، فن شعره قوله :

لقد عادنى من لا عج الشوق عائد * فهل عهد ذات الخلال بالسفح عائد ؟
وهل ناراها بالأجرع الفرد تمتلى * لمنفرد شلب الهجى وهو شاهد ؟
نديمى من سمدى أدبرا حديثها * فذكرى هواها والمدامة واحد
منعمة الأطراف رقت محاسنا * حلى لى فى جها ما أكابد

فقد بر ما لانت عليه خاها • ولشمس ما جالت عليه القلائد
 وله : أيها المتغصن بالنوم السهر • ذاهلاً يسبح في بحر الفكر
 سلم الأمر إلى مالكة • واصطبر فالصبر عقبه الظفر
 لا تكونن آيساً من فرج • إنما الأيام تأتي بالبر
 كدر يحدث في وقت الصفا • وصق يحدث في وقت الكدر
 وإذا ما ساء دهر مرة ■ سر أهليه ومها ساء سر
 فاض عن ربك في أقناره • إنما أنت أسير فقير

وله قصيدة في مدح النبي ﷺ طويلة حسنة سمها الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني وأصحابه
 على الشيخ أحمد الاعقف عنه ، وأورد له الشيخ قطب الدين اليونيني أشعاراً كثيرة . فمنها قصيدته
 الدالية المطولة التي أولها :

والى من أهواء جهراً لموعدى • وأرغم عنالي عليه وحسدى
 وزار على شط الزار مطولا • على مغرم بالوصل لم يتعود
 فيا حسن ما أهدى ليعق جاله • وبأردما أهدى إلى قلبي العسدى
 وباصدق أحلامى يبشرى وصاله • وبأنيل آمالى وبأنجح مقصدى
 نبلى وجودى إذ نبلى لباطنى • بجهد سعيد أو بسعد مجهد
 لقد حق لى عشق الوجود وأهله • وقد علقت كفاى جماعى بوجدى
 ثم تنزل فأطال إلى أن قال :

فلما نبلى لى على كل شاهد ■ وسامرى بالرمز فى كل مشهد
 تجنبت تقييد الجلال ترصا • وطالمت أسرار الجلال المبدع
 وصار جماعى مطلقاً منه بدؤه • وحاشى لمنلى من سماع مقيد
 فى كل مشهود لقابى شاهد • وفى كل مسموع له لحن معبد
 ثم قال :

أراه بأوصاف الجلال جميعها • بنير اعتقاد لطلوع البعد
 فى كل هيفاء المماطف غادة • وفى كل مصقول السوائف أغيد
 وفى كل بدر لاج فى ليل شره ■ على كل غصن مأنس المطف أميد
 وعند اعتناقى كل قبة مهتف • ورشنى رضاباً كالرحيق المبرد
 وفى الهد واليقوت والطيب والحلا • على كل ساجى الطرف لمن القلند

وفي حلل الأنواب راقث لناظري • بزرجها من منهب ومورد
 وفي الراح والريحان والسمع والفنا • وفي سجع ترجيع الحمام المفرد
 وفي الدوح والأنهار والزهر والندى • وفي كل بستان وقصر مشيد
 وفي الروضة الفيحاء تحت عمامتها • يضاحك نور الشمس نوارها الندى
 وفي صفو رفراف القدير إذا حكى • وقد جسده الريح صفحة ميود
 وفي المهر والأفراح والغفلة التي • تمكن أهل الفرق من كل مقصد
 وعند اعتشار الشرب في كل مجلس • بهيج بأنواع الفكر المنضد
 وعند اجتباع الناس في كل جمعة • وعيد وإظهار الريش المجدد
 وفي لمان المشرفيات بالوغي • وفي ميل أعطاف القنا المتأود

المظاهر العلوية

وفي الاعوججات المتناق إذا انبرت • تسابق وفد الريح في كل مطرد
 وفي الشمس تمحكي وهي في برج نورها • لدى الأفق الشرقى مرآة عسجد
 وفي البدر بدر الأفق ليلة تمه • جلته سماء مثل صرح مجرد
 وفي آتيجم زانت دجاءها كأنها • تنار لآل في بساط زبرجد
 وفي النيشروى الأرض بمدمودها • قبال نداء منهم بمد منجد
 وفي البرق يبدو موهنا في سحابه • كباسم فخر أو حسام مجرد
 وفي حسن تميم الخطاب وسرعة الج • واب وفي انلط الأنيق المجرد

المظاهر المنوية

ثم قال :

وفي رقة الاشمار راقث لسمع • بدائها من مقصر ومقصد
 وفي عود عيد الوصل من بمد جفوة • وفي أمن أحشاء الطريد المشرذ
 وفي رحمة المعشوق شكوى محبه • وفي رقة الأنفاظ عند التودد
 وفي أرجميات الكريم إلى الندى • وفي عاطفات الغفو من كل سيد
 وحالة بسط المارقين وأنسهم • وتحريكهم عند السماع القيد
 وفي لطف آيات الكتاب التي بها • تنسم روح الوعد بمد التواعد

المظاهر الجلالية

ثم قال :

كذلك أوصاف الجلال مظاهر • أشاهده فيها بتير تردد
 ففي سطوة القاضي الجليل وسعته • وفي سطوة الملك الشديد المرد

وفي حدة الغضبان حالة طيشه * وفي نفخة القرم المهبب المسود
 وفي صولة الصبياء جاز مديرها * وفي يؤس أخلاق التنديم المربد
 وفي الحر والبرد الذين قهما الزمان * وفي لإسلام كل عهد
 وفي سر تسليط النفوس بشرها * على وتحسين التمدى لمتدى
 وفي عسر العادات يشر بالقضا * وتكحيل عين الشمس منه بأعمد
 وعند اصطدام الخليل في كل موقف * يستر فيه بالوشيج المنضد
 وفي شدة الليث الصؤول وبأسه * وشدة عيش بالسقام منكد
 وفي جفوة المحبوب بعد وصاله * وفي غدره من بعد وعد مؤكد
 وفي روعة البين المسى وموقفه * وداع لحران الجوانح مكد
 وفي فرقة الألف بعد اجتماعهم * وفي كل تشيت وشمل مبدد
 وفي كل دار أقترت بعد أنسها * وفي طلل بال ودارس معمد
 وفي هول أمواج البحار ووحشة لا * قفار وسيل بالمزاييب مزبد
 وعند قبامى بالفرائض كلها * وحالة تسليم لسر التنبه
 وعند خشوعى فى الصلاة لمزة لا * مناجى وفي الاطراق عند التهجد
 وحالة إهلال الحجيج بحجهم * وأعلمم للعيش فى كل ففد
 وفي عسر تخليص الحلال وفترة لا * حلال لقلب الناسك المتنبه

المظاهر الكالية

وفي ذكريات المناب وظلة لا * حجاب وقبض الناسك المتزهد
 ويبدو بأوصاف الكمال فلا أرى * برؤيته شينا قبيحا ولا ردى
 فكل مسيء لى إلى كمحسن * وكل مضل لى إلى إكرشد
 فلا فرق عندى بين أنس ووحشة * ونور وإظلام ومدن وبمد
 وسيان إضطارى وصوى وقترى * وجهدى ونوى وادعاء تهجدى
 أرى قارة فى حانة الحجر خالما * عنارى وطورا فى حنية مسجد
 تحيل لسرى بالحقيقة مشرب * فوقى ممزوج بكشف مسرد
 تميرت الاوطان بى وحققت * مظاهرها عندى بعينى ومشهدى
 وقلبى على الاشياء أجمع قلب * وشرى مقسوم على كل مورد
 فبشكل أوتان ودبر لراهب * وبيت لتيران وقبة معبدى

ومسرح غزلان وحانة قهوة • وروضة أزهار ومطلع أسعد
وأسرار عرمان ومفتاح حكمة • وأفلس وجدان وفيض تبلد
وجيش لفرغام وخدر لكاعب • وظلة جيران ونور لهتدى
تقابلت الاضداد عندى جميعها • لحنة مجهود ومنحة مجتدى
وأحكمت تقرير المراتب صورة • ومعنى ومن عين التفرد موردى
فما موطن إلا ولى فيه موقف • على قدم قامت بحق التفرد
فلا غرو وإن فت الاتم جميعهم • وقد علقت بحبل من حبال محمد
عليه صلاة الله تشفع دائما • بروح تحيات السلام المردد

﴿ ابن المود الراقص ﴾

أبو القاسم الحسين بن المود نجيب الدين الأسدى الحلى ، شيخ الشيعة وإمامهم وعالمهم في
أنفسهم ، كانت له فضيلة ومشاركة في علوم كثيرة ، وكان حسن المخاضرة والمعاشرة ، لطيف النادرة ،
وكان كثير التعمد بالليل ، وله شعر جيد . وله سنة إحدى وخمسين ، وتوفي في رمضان من هذه
السنة عن ست وتسعين سنة ، والله أعلم بأحوال عبادته وسرايرهم ونياتهم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ﴾

كان أولها يوم الأحد والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها ، وقد اتفق في هذه السنة
أمور عجيبة ، وذلك أنه وقع الخلف بين الممالك كلها ، اختلفت للتنازع فيما بينهم واقتتلوا قتل منهم خلق
كثير ، واختلفت الفرع في السواحل وصالح بعضهم على بعض وقتل بعضهم بعضا ، وكذلك الفرع
الدين في داخل البحور وجزائرها ، فاختلفوا واقتتلوا ، وقتلت قبائل الأعراب بعضها في بعض
قتالا شديدا ، وكذلك وقع الخلف بين المشير من الحوارنة وقامت الحرب بينهم على ساق ، وكذلك
وقع الخلف بين الأمراء الظاهرية بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لما بث الجيش
إلى سيس أقام يده يمشق وأخذ في القلوب والأيدي والانسباط مع الخاصكية ، وتمكنوا من الأمور ،
وبعد عنه الأمراء الكبار ، فضضبت طائفة منهم وتابنوه وطارقوه وأقاموا بطريق الساكر الدين توجهوا
إلى سيس وغيرهم ، فرجعت الساكر إليهم فلما اجتمعوا شتموا قلوبهم على الملك السعيد ، ووحشوا
خواطر الجيش عليه ، وقالوا الملك لا ينبغي له أن يلعب ويلهو ، وإماهة الملوك في العدل ومصالح
السليدين والقب عن حوزتهم ، كما كان أبوه . وصدقوا فيما قالوا ، فان لعب الملوك والأمراء وغيرهم دليل
على زوال النعم وخراب الملك ، وفساد الرعية . ثم راسله الجيش في إبعاد الخاصكية عنه ودنو ذوى
الاحلام والتي إلى به كما كان أبوه ، فلم يضل ، وذلك أنه كان لا يمكنه ذلك لقوة شوكة الخاصكية

وكنتمهم ، فركب الجيش وساروا قاصدين مرج الصفر ، ولم يمكنهم العبور على دمشق بل أخفوا من شرقها ، فلما اجتمعوا كلهم بمرج الصفر أرسل السلطان أمه إليهم فتلوها وقبلوا الأرض بين يديها ، فأخذت تتألفهم وتصلح الأمور ، فأجابوها واشتروا شروطاً على ولدها السلطان ، فلما رجعت إليه لم يلتزم بها ولم تمكنه خلاصته من ذلك ، فسارت المسافر إلى هيار المصرية ، فساق السلطان خلفهم ليتلافى الأمور قبل تفاقمها وانفراطها ، فلم يلحقهم وسبقوه إلى القاهرة ، وقد كان أرسل أولاده وأهله وقتله إلى الكرك فحصنهم فيها ، وركب في طائفة من الجيش الذين بقوا معه وانخلاصية إلى هيار المصرية ، فلما اقترب منها صدوه عنها وقتلوه وقتل من الفريقين نفر يسير ، فأخذ بعض الأمراء فشق به الصنوف وأدخله قلعة الجبل ليسكن الأمر ، فازادهم ذلك إلا نفوراً ، فحاصروا حينئذ القلعة وقطعوا عنها الماء ، وجرت خطوط طويلة وأحوال صعبة . ثم اتفق الحال بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي الصلحي - وهو المشار إليه حينئذ - أن يترك الملك السعيد الملك ويتعوض بالكرك والشوبك ، ويكون في محبته أخوه نجم الدين خضر ، وتكون المملكة إلى أخيه الصغير بدر الدين سلامش ، ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابك .

(ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سلامش)

لما اتفق الحال على ما ذكرنا نزل السلطان الملك السعيد من القلعة إلى دار العدل في سابع عشر الشهر ، وهو ربيع الآخر ، وحضر القضاة والهوالة من أولي الحل والعقد ، فخلع السعيد نفسه من السلطنة وأذهبهم على نفسه بذلك ، وبايعوا أخاه بدر الدين سلامش وكتب بالملك العادل ، وعمره يومئذ سبع سنين ، وجعلوا أتابك الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي الصلحي ، وخطب له الخطباء وسمحت السكة باسمهما ، وجعل لأخيه الكرك ولأخيه خضر الشوبك ، وكتب بذلك مكاتيب ، ووضع القضاة والمشتيون خطوطهم بذلك ، وجاءت البريدية إلى الشام بالتحليف لهم على ما حلف عليه المصريون . ومسك الأمير أيمنر نائب الشام الظاهري واعتقل بالقلعة عند قائمها ، وكان قائمها إذ ذاك علم الدين سنجر الهواداري ، وأحيط على أموال نائب الشام وحواسله ، وجاء على نيابة الشام الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في أجرة عظيمة ، وتحكم مكين ، فقلل بدار السعادة وعظمه الناس وعاملوه بمعاملة الملوك ، وعزل السلطان قضاة مصر الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي ، وولوا القضاء صدر الدين عمر بن القاضي تاج الدين بن بنت الاعز عوضاً عن الشافعي ، وهو تقي الدين بن رزين وقائمهم إنما عزله لأنه توفى في خلع الملك السعيد والله أعلم .

(ذكر يمة الملك المنصور قلاوون الصلحي)

لما كان يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رجب اجتمع الأمراء بقلعة الجبل من مصر وخلصوا

الملك المادل سلاش ابن الظاهر ، وأخرجوه من البين ، وإثما كانوا قد بايعوه صورة ليسكن الشر عند خلع الملك السعيد ، ثم اتفقوا على بيعة الملك المنصور وقلادون الصالحى ، ولقبوه الملك المنصور ، وجاءت البيعة إلى دمشق فوافق الأمراء وحلفوا ، وذكر أن الأمير فحس الدين سنقر الأشقر لم يحلف مع الناس ولم يرض بما وقع ، وكأنه داخله حسد من المنصور ، لأنه كان يرى أنه أعظم منه عند الظاهر . وخطب للمنصور على المنابر في الديار المصرية والشامية ، وضربت السكة باسمه ، وجرأت الأمور بمقتضى رأيه فزل وولى وغذت مراسيه في سائر البلاد بذلك ، فزل عن الوزارة برهان الدين السنجارى وولى مكانه نغر الدين ابن لقان كاتب السر ، وصاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية .

وفي يوم الخميس الحادى عشر من ذى القعدة من هذه السنة توفى الملك السعيد ابن الملك الظاهر بالكرك وسيأتى ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . وفيها حمل الأمير أيمن الذى كان نائب الشام في حفة لمرض لحقه إلى الديار المصرية ، فدخلها في أواخر ذى القعدة ، واعتقل بقلعة مصر .

(ذكر سلطنة سنقر الأشقر بدمشق)

لما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذى القعدة ركب الأمير فحس الدين سنقر الأشقر من دار السعادة بد صالة مصر وبين يديه جماعة من الأمراء والجنود مشاة ، وقصد باب القلعة الذى إلى المدينة ، فبهج منه ودخل القلعة واستدعى الأمراء فبايعوه على السلطنة ، ولقب بالملك الكامل ، وأقام بالقلعة وفادت المنادية بدمشق بذلك ، فلما أصبح يوم السبت استدعى بالقضاة والعلماء والأعيان ورؤساء البلدة إلى مسجد أبى المرداء بالقلعة ، وحلفهم وحلف له بقية الأمراء والسكر ، وأرسل المساكين إلى غرة لحفظ الأطراف وأخذ الثلث ، وأرسل الملك المنصور إلى الشوبك فقبلها نوابه ولم يمانعهم نعيم الدين خضر . وفيها جددت أربع أضلاع في قبة الفس من الناحية الغربية . وفيها عزل فتح الدين بن التيسرانى من الوزارة بدمشق ووليا تقي الدين بن توبة التكريتى .
ومن توفى فيها من الأعيان .

(عز الدين بن غاتم الواعظ)

عبد السلام بن أحمد بن غاتم بن على بن إبراهيم بن عساكر بن حسين عز الدين أحد الأنصارى المقدسى ، الواعظ المطبق الملقب الشاعر النصيح ، الذى نسج على منوال ابن الجوزى وأمثاله ، وقد أورد له قطب الدين أشياء حسنة كثيرة مليحة ، وكان له قبول عند الناس ، تكلم مرة تجاه الكعبة المعظمة ، وكان في الحضرة الشيخ تاج الدين بن الفزارى والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وابن المعجل من اليمن وغيرهم من العلماء والعباد ، فأجاد وأفاد وخطب فأبلغ وأحسن . قل هذا المجلس الشيخ تاج الدين بن الفزارى ، وأنه كان في سنة خمس وسبعين .

(الملك السعيد بن الملك الظاهر)

بركة خان ناصر الدين محمد بن بركة خان أبو المالئ ابن السلطان الملك الظاهر . ركن الدين بيبرس البندقدارى ، بايع له أبوه الأمراء في حياته ، فلما توفى أبوه بوجع له بالملك وله تسع عشرة سنة ، ومشيته له الأمور في أول الأمر على السعادة ، ثم إنه غلبت عليه الخساسة فجعل يلعب مهم في الميدان الأخضر فيما قيل أول هوى ، فرمى جات التوبة عليه فينزل لهم ، فأنكرت الأمراء الكبار ذلك وأغوا أن يكون ملكهم يلعب مع الظنن ، ويجعل نفسه كأحدهم ، فرأسوه في ذلك ليرجع مما هو عليه فلم يقبل ، فغلبوه كما ذكرنا ، وولوا السلطان الملك المنصور قلاوون في أواخر رجب كما تقدم . ثم كانت وفاته في هذه السنة بالكرك في يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة ، يقال إنه لم يمض الله أعلم ، وقد دفن أولا عند قبر جعفر وأصحابه الذين قتلوا بموته ، ثم نقل إلى دمشق فدفن في تربة أبيه سنة ثمانين وستائة ، وتلك الكرك بمصر أخوه نجم الدين خضر وتلقب بالملك المسعود ، فانتزعها المنصور من يده كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستائة)

كان أولها يوم الخميس ثالث إيلاء ، والخليفة الحاكم بأمر الله ملك مصر الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وبعض بلاد الشام أيضا ، وأما دمشق وأعمالها فتسلمها سنقر الأشقر ، وصاحب الكرك الملك المسعود بن الظاهر ، وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود ، والعراق وبلاد الجزيرة وخراسان والموصل وإربل وأذربيجان وبلاد بكر وخراسان وغير ذلك من البلاد بأيدي التتار ، وكذلك بلاد الروم في أيديهم أيضا ، ولكن فيها غياث الدين بن ركن الدين ، ولا حكم له سوى الاسم ، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر ، وصاحب الحرم الشريف نجم الدين بن أبى نعيم الحنفى ، وصاحب المدينة عز الدين جهاز بن شيبه الحسبى . ففي منهل السنة المذكورة ركب السلطان الملك الكامل سنقر الأشقر من القلعة إلى الميدان وبين يديه الأمراء ومقاموا الحلقة القضائية ، وعليهم الخلع والقضاة والاعيان ركاب معه ، فسير في الميدان ساعة ثم رجع إلى القلعة ، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ملك العرب ، وقبل الأرض بين يديه ، وجلس إلى جانبه وهو على السباط ، وقام له الكامل ، وكذلك جاء إلى خدمته ملك الأعراب بالحجاز ، وأمر الكامل سنقر أن تضاف البلاد الحلبية إلى ولاية القاضى شمس الدين بن خلكان ، وولاه تدريس الأمانة وانتزعها من ابن سنى الدولة .

ولما بلغ الملك المنصور بالدير المصرية ما كان من أمر سنقر الأشقر بالشام أرسل إليه جيشا كثيرا فهزموا عسكر سنقر الأشقر الذى كان قد أرسله إلى غزة ، وساقوم بين أيديهم حتى وصل جيش

المصريين إلى قريب دمشق ، فأمر الملك الكامل أن يضرب دعليزه بالجسورة ، وذلك في يوم الاربعاء ثاني عشر صفر ، ونهض بنفسه وبمن معه قتل هناك واستخدم خلقا كثيرا وأتفق أموالا جزيلة ، وانضاف إليه عرب الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، وشهاب الدين أحمد بن حجي ، وجاءته نجدة حلب ونجدة حماة ورجال كثيرة من رجال بعلبك ، فلما كان يوم الأحد السادس عشر من صفر أقبل الجيش المصري بحجة الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، فلما رآه الجمعان وتقابل الفريقان تقاطعا إلى الرابية في النهار ، قتل فخر كثير وثبت الملك الكامل سنقر الأشقر ثباتا جيدا ، ولكن خامر عليه الجيش فنهزم من صار إلى المصري ومنهم من انهزم في كل وجه ، وفترق عنه أصحابه فلم يسمع إلا الانهزام على طريق المرح في طائفة يسيرة ، في حجة عيسى بن مهنا ، فسار بهم إلى بركة الرجة فأنزلم في بيوت من شعر ، وأقام بهم وبدوا بهم مدة مقامهم عنده ، ثم بثت الأمراء الذين انهزموا عنه فأخذوا لهم أمانا من الأمير سنجر ، وقد نزل في ظاهر دمشق وهي مغلقة ، فراسل نائب القلعة ولم يزل به حتى فتح باب الفرج من آخر النهار ، وفتحت القلعة من داخل البلد فتسلها المنصور وأخرج عن الأمير ركن الدين بيبرس السجسي المروفي بالحاق ، والأمير لاجين حسام الدين المنصوري وغيرهم من الأمراء الذين كان قد اعتقلهم الأمير سنقر الأشقر ، وأرسل سنجر البريدية إلى الملك المنصور يملونه بصورة الحال ، وأرسل سنجر بثلاثة آلاف في طلب سنقر الأشقر .

وفي هذا اليوم جاء ابن خلكان ليسلم على الأمير سنجر الحلبي فاعتقله في علو الخاقاه التجيبية ، وعزله في يوم الخميس العشرين من صفر ، ورسم للقاضي نجم الدين بن سني الدولة بالقضاء فباشره ، ثم جاءت البريدية معهم كتاب من الملك المنصور قلاوون بالنسب على طوائف الناس ، والعفو عنه كلهم ، فتضاعفت له الادعية ، وجاء تقليد النيابة بالشام للأمير حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري ، فدخل معه علم الدين سنجر الحلبي فرثبه في دار السعادة ، وأمر سنجر القاضي ابن خلكان أن يتحول من المدرسة القاعدية الكبيرة ليسكنها نجم الدين بن سني الدولة ، وألح عليه في ذلك ، فاستدعى جمالا لينقل أهله وقهه عليها إلى الصلحية فجاء البريد بكتاب من السلطان فيه تقرير ابن خلكان على القضاء والعفو عنه وشكره والثناء عليه ، وذكر خدمته المنقعة ، ومعه خلة سنبلية له فلبسها وصلى بها الجمعة وسلم على الأمراء فأكرموه وعظموه وفرح الناس به وبما وقع من الصفح عنه .

وأما سنقر الأشقر فإنه لما خرجت المساكر في طلبه فارق الأمير عيسى بن مهنا وسار إلى السواحل فاستحذر منها على حصون كثيرة ، منها صهيون ، وقد كان بها أولاده وحواصله ، وحصن بلاطس وبرزية وعكا وجبله واللاذقية ، والأشقر بكاس وشيزر واستجاب فيها الأمير عز الدين ازدمر الحاج . فأرسل السلطان المنصور لحصار شيزر وطائفة من الجيش ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت

التنار لما هموا بتفريق كلمة المسلمين ، فأنجفل الناس من بين أيديهم من سائر البلاد إلى الشام ، ومن الشام إلى مصر ، فوصلت النار إلى حلب قتلوا خلقا كثيرا ، ونهبوا جيشا كبيرا ، وظنوا أن جيش سنقر الأشقر يكون معهم على المنصور ، فوجدوا الأمر بخلاف ذلك ، وذلك أن المنصور كتب إلى سنقر الأشقر . إن التنار قد أقبلوا إلى المسلمين ، والمصلحة أن تتفق عليهم لتلاييك المسلمون بيننا وبينهم ، وإذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا أحدا . فكتب إليه سنقر بالسمع والطاعة وبرز من حصنه نغم بجيشه ليكون على أهبة متى طلب أجاب ، ونزلت نوابه من حصونهم وقبوا مستعدين لقتال التنار ، وخرج الملك المنصور من مصر في أواخر جمادى الآخرة ومعه الساكر . وفي يوم الجمعة الثالث من جمادى الآخرة قرئ على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان أنه قد عهد إلى ولده علي ، ولقب بالملك الصالح ، فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريدية فأخبروا برجوع التنار من حلب إلى بلادهم ، وذلك لما بلغهم من اتفاق كلمة المسلمين ، ففرح المسلمون بذلك والله الحمد ، وعاد المنصور إلى مصر وكان قد وصل إلى غزة ، وأراد بذلك تخفيف الوطأة عن الشام فوصل إلى مصر في نصف شعبان . وفي جمادى الآخرة أعيد يرهان الدين السنجاري إلى وزارة مصر ورجع نغر الدين بن لقمان إلى كتابة الانشاء . وفي أواخر رمضان أعيد إلى القضاء ابن رزين وعزل ابن بنت الأعرز ، وأعيد القاضي نفيس الدين بن شكر المالكي ، ومعين الدين الحنفي ، وتولى قضاء الخبابة عز الدين المقدسي . وفي ذى الحجة جاء تقليد ابن خلكان بإضافة المعاملة الحلبية إليه يستنيب فيها من شاء من نوابه . وفي مستهل ذى الحجة خرج الملك المنصور من بلاد مصر بالساكر فأصدا الشام ، واستناب على مصر ولده الملك الصالح علي بن المنصور إلى حين رجوعه ، قال الشيخ قطب الدين : وفي يوم عرفة وقع بمصر برد كبار أتاف شيئا كثيرا من المنفلات ، ووقعت صاعقة بالاسكندرية وأخرى في يومها تحت الجبل الأحمر على صخرة فأحرقها ، فأخذ ذلك الحديد فسبك فخرج منه أواق بالرطل المصري . وجاء السلطان قتل بساكره تجاه عكا ، فخافت الفرنج منه خوفا شديدا وراسلوه في طلب تجديده المدة ، وجاء الأمير عيسى بن مهنا من بلاد العراق إلى خدمة المنصور ، وهو بهذه المترلة فقتله السلطان بجيشه وأكرمه واحترمه وطاعه بالصفح والنفو والاحسان ومن توفي فيها من الأعيان .

✽ الأمير الكبير جمال الدين آقوش الشمسي ✽

أحد أمراء الاسلام ، وهو الذي بشر قتل كتيبتاوين أحد مقدمي التنار ، وهو المطاع فيهم يوم عين جالوت ، وهو الذي مسك عز الدين أيمن الظاهري في حلب من السنة الماضية ، وكانت وفاته بها .

﴿ الشيخ الصالح داود بن حاتم ﴾

ابن عمر الحبال ، كان حنبلي المنصب له كرامات وأحوال صالحة ومكاشفات صادقة ، وأصل آيائه من حران ، وكانت إقامته ببعلبك ، وتوفي فيها رحمه الله عن ست وتسعين سنة ، وقد أثنى عليه الشيخ قطب الدين ابن الشيخ الفقيه البيهقي

﴿ الأمير الكبير ﴾

نور الدين علي بن عمر أبو الحسن الطوسي ، كان من أكابر الأمراء ، وقد نيف على تسعين سنة وكانت وفاته بسبب أنه وقع يوم مصاف سنقر الأشقر تحت منابك الخيل فكثب به ذلك متعرضاً إلى أن مات بعد شهرين ودفن بسفح قاسيون .

﴿ الجزار الشاعر ﴾

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي جمال الدين أبو الحسين المصري ، الشاعر المالحج ، المعروف بالجزار . مدح الملوك والوزراء والأمراء ، وكان ماجناً طريفاً حلو المناظرة ، وله في حدود مئاة بعدها بسنة أو ستين ، وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال من هذه السنة . ومن شعره :

أذكر كوني في من البرد م * ليس ينس في حشاي التهاب
ألبسني الأطماع وهما بها * جسي عار ولي فرى وثياب
كلما ازرق لون جسي من لا * برد تخيلت أنه سنجاب

وقال وقد تزوج أبوه بمجوزة

تزوج الشيخ أبي شيخة * ليس لما عقل ولا ذهن
كانها في فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن
وقال لي كم منها * قلت ليس في فيها من
لو أسفرت غرتها في الفجى * ما جسرت تبصرها الجن

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين ومئاة من الهجرة ﴾

استهلت والخليفة الحاكم و السلطان البلاد الملك المنصور قلاوون . وفي عشر المحرم انقضت الهدنة بين أهل عكا والمرقب والسلطان ، وكان نازلاً على الروحاء وقد قبض على جماعة من الأمراء ممن كان معه ، وهرب آخرون إلى قلعة صهيون إلى خيمة سنقر الأشقر ، ودخل المنصور إلى دمشق في التاسع عشر من المحرم فزل القلعة وقد زينت له البلد ، وفي التاسع والعشرين من المحرم أعاد القضاء إلى عز الدين بن الصائغ وعزل ابن خلكان . وفي أول صفر بشر قضاء الخنابة نجم الدين ابن الشيخ شمس بن أبي عمر ، وقد كان المنصب شاغراً منذ عزل والده فنه عن القضاء ، وتولى

قضاء حلب في هذا الشهر تاج الدين يحيى بن محمد بن إسماعيل الكردي ، وجلس الملك المنصور في دار العدل في هذا الشهر فحكم وأنصف المظلوم من الظالم ، وقدم عليه صاحب حملة قتلناه المنصور بنفسه في موكة ، ونزل بداره بباب الفرديس . وفي ربيع الأول وقع الصلح بين الملك المنصور قلاوون وبين سنقر الأشقر الملك الكامل على أن يسلم السلطان شيزر ويوضه عنها بانطاكية وكفر طاب وشفر بكاس وغير ذلك ، وعلى أن يقيم على ما يسده ستائة فارس ، وتحالفوا على ذلك ، ودقت البشائر لذلك ، وكذلك تصالح صاحب الكرك والملك المنصور خضر بن الظاهر على تقرير ما بيده وتودى بذلك في البلاد . وفي الشهر الأول من هذا الشهر ضمن الحر والزنا بدمشق ، وجعل عليه ديوان ومشد ، قام في إبطال ذلك جماعة من العلماء والصلحاء والمباد ، فأبطل بعد عشرين يوماً ، وأريق الحور وأقيمت الحدود وفقه الحمد والمنة .

وفي تاسع عشر ربيع الأول وصلت الخاتون بركة خان زوجة الملك الظاهر ومعهما ولدها السعيد قد قتلته من قرية المسجد بالقرب من الكرك لتدفنه عند أبيه بالتربة الظاهرية ، فرفع مجبال من السور ودفن عند والده الظاهر ، ونزلت أمه بدار صاحب حصص ، وهيئت لها الامانات ، وعمل عزاء ولدها يوم الحادى والعشرين من ربيع الآخر بالتربة المذكورة ، وحضر السلطان المنصور وأرباب الدولة والقراء والوعاظ .

وفي أواخر ربيع الآخر عزل التقي بن توبة التكريتي من الوزارة بدمشق وباشرها بمدة تاج الدين السهنورى ، وكتب السلطان المنصور إلى مصر وغيرها من البلاد يستدعى الجيوش لأجل اقتراب مجيئ التتار ، فدخل أحمد بن حجي ومعه بشر كثير من الأعراب ، وجاء صاحب الكرك الملك المسعود فحجته لسلطان يوم السبت الثانى عشر من جمادى الآخرة ، وقدم الناس عليه ووفدوا إليه من كل مكان ، وجاءته التركان والأعراب وغيرهم ، وكثرت الأراجيف بدمشق ، وكثرت المساكر بها وجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحي ، وتركوا الغلات والاموال خوفاً من أن يدهمهم العدو من التتار ، ووصات الترمحية منكوتمر بن هولوكو إلى عنتاب ، وصارت المساكر المنصورة إلى نواحي حلب يتبع بعضها بعضاً ، ومازالت التتار بالرحبة في أواخر جمادى الآخر جماعة من الأعراب ، وكان فيهم ملك التتار إبنغا غنيا ينظر ماذا يفعل أصحابه ، وكيف يقايلون أعداءه ، ثم خرج المنصور من دمشق وكان خروجه منها في أواخر جمادى وقتت الخطباء والأئمة للجوامع والمساجد في الصلوات وغيرها وجاء مرسوم من السلطان باستسلام أهل القمة من الدواوين والكتيبة . ومن لا يسلم يصلب ، فأسلخوا كوها ، وكأثروا يقولون أننا وحكم الحاكم بأسلامنا بعد أن عرض من امتنع منهم على الصلب بسوق الخليل ، وجعلت الجبال في أعناقهم ، فأجابوا والمالة هذه ، ولما انتهى الملك المنصور إلى حصص كتب

إلى الملك الكامل سنقر الأشقر يطلبه إليه نجدة فجاء إلى خدمته فأكرمه السلطان واحترمه ورتب له الاطعام ، وتكاملت الجيوش كلها في محبة الملك المنصور عازمين على لقاء العدو لاحتالة مخلصين في ذلك ، واجتمع الناس بمدخر وج الملك في جامع دمشق ووضعوا المصحف الثماني بين أيديهم ، وجعلوا يبتهلون إلى الله تعالى في نصرة الاسلام وأهله على الأعداء ، وخرجوا كذلك والمصحف على رؤسهم إلى المصلى يدعون ويبتهلون ويكون ، وأقبلت التتار قليلا قليلا فلما وصلوا حماة أحرقوا بستان الملك وقصره وما هناك من المساكن ، والسلطان المنصور غم بمحص في عساكر من الأتراك والتركان وغيرهم جعل كثير جدا ، وأقبلت التتار في مائة ألف مقاتل أو يزيدون ، فالتفت وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ وقعة حصص ﴾

لما كان يوم الخميس رابع عشر رجب التقى الجلمان وتواجه الخصمان عند طلوع الشمس وعسكر التتار في مائة ألف فارس ، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلا ، والجميع فيما بين مشهد خالد بن الوليد إلى الرستن ، فالتفتوا قتالا عظيما لم ير مثله من أعصار متطاولة ، فاستظهر التتار أول النهار ، وكسروا الميسرة واضطربت الميمنة أيضا والله المستعان . وكسر جناح القلب الأيسر وهبت السلطان ثباتا عظيما جدا في جماعة قليلة ، وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين ، والتتار في آثارهم حتى وصلوا وراهم إلى بحيرة حصص وصلوا حصص وهي منفلة الأبواب ، قتلوا خلقا من العامة وغيرهم بؤاشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك ، ثم إن أعيان الأمراء من الشجوان والفرسان تأمروا فيما بينهم مثل سنقر الأشقر وبيسرى وطيريس الوزيرى ويدر الدين أمير سلاح وائتمش السعدي وحسام الدين لاجين وحسام الدين طرغطاى وأبو يمدارى وأمنالهم ، لما رأوا ثبات السلطان ودوا إلى السلطان وحلوا حلات متعددة صادقة ، ولم يزالوا يتأبسون الحملة بعد الحملة حتى كسر الله بحوله وقوته التتار ، وجرح منكوتغر ، وجاءهم الأمير عيسى بن مهنا من ناحية العرض فصد التتار فاضربت الجيوش لصدمته ، وتمت الهزيمة والله الحمد ، وقتلوا من التتار مقتلة عظيمة جدا ، ورجعت من التتار القئين اتبعوا المهزمين من المسلمين فوجدوا أصحابهم قد كسروا ، والساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون ، والسلطان ثابت في مكانه تحت السنانجق ، والكوسل تضرب خلفه وما معه إلا ألف فارس ، فطعموا فيه قتائلهم ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه فلهتهم قتل أكثرهم ، وكان ذلك تمام النصر ، وكان انهزام التتار قبل التروب ، واقتربوا فرقتين أخفت فرقة منهم إلى ناحية سلمية والبرية ، والأخرى إلى ناحية حلب والفرات ، فأرسل السلطان في آثارهم من يقيمهم وجاءت البطاقة بالبشارة بما وقع من النصر إلى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب ، فدقت البشائر وزينت

البلد ، وأوقعت الشبوع وفرح الناس . فلما أصبح الناس يوم السبت أقبلت طائفة من المهزمين منهم بيليك الناصري والخالق وغيرهم ، فأخبروا الناس عما شهدوه من الهزيمة في أول الأمر ، ولم يكونوا شاهدوا بعد ذلك ، فبقى الناس في قلق عظيم ، وخوف شديد ، ونهياً ناس كثير الهرب ، فبينما الناس في ذلك إذ أقبلت البريدية فأخبروا الناس بصورة ما وقع في أول الأمر وآخره ، فتراجع الناس وفرحوا فرحاً شديداً وفقه الحمد والمنة .

ثم دخل السلطان إلى دمشق الثاني والعشرين من رجب ، وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شقف رؤس القتلى ، وكان يوماً مشهوداً ، ومع السلطان طائفة من أصحاب سنقر الأشقر منهم علم الدين اللويدارى ، فنزل السلطان بالقلمة مؤيداً منصوراً ، وقد كثرت له المحبة والأدعية وكان سنقر الأشقر ودع السلطان من حصص ورجع إلى صهيون ، وأما التترقاتهم انهزموا في أسوأ حال وأقسمه يتخلفون من كل جانب ، ويقتلون من كل فج ، حتى وصلوا إلى الفرات ففرق أكثرهم ، ونزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا آخرين ، والجيوش في آثارهم يطردونهم عن البلاد حتى أراح الله منهم الناس .

وقد استشهد في هذه الواقعة جماعة من سادات الأمراء منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين أزدهر جمدار ، وهو الذي جرح ملك التتاريو منذ منكوتمر ، فانه خاطر بنفسه وأوم أنه مقفز إليه وقلب رحمه حتى وصل إليه فطعنه فخرجه قتلوه رحمه الله ، ودفن بالقرب من مشهد خالد .

وخرج السلطان من دمشق قاصداً الديار المصرية يوم الاحد ثاني شعبان والناس يدعون له ، وخرج معه علم الدين اللويدارى ، ثم عاد من غزة وقد ولاء المشد في الشام والنظر في المصالح ، ودخل السلطان إلى مصر في ثاني عشر شعبان . وفي سابع شعبان ولي قضاء مصر والقاهرة قاضي وجيه الدين البهنسى الشافى ، وفي يوم الأحد سابع رمضان فتحت المدرسة الجهرية بدمشق في حياة مفتشها وواقفها الشيخ نجم الدين محمد بن عباس بن أبي المكارم التميمي الجهرى ، ودرس بها قاضي الحنفية حسام الدين الرازى . وفي بكرة يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان وقسم مأذنة مدرسة أبي عمر بقاسيون على المسجد المنيق فالت شخص واحد ، وسلم الله تعالى بقية الجماعة . وفي عشر رمضان وقع بدمشق تلج عظيم وبرد كثير مع هواء شديد ، بحيث إنه ارتفع عن الارض نحواً من ذراع ، وفست الخضر اوات ، وتغلغل على الناس مياش كثيرة . وفي شوال وصل صاحب سنجار إلى دمشق مقفراً من التتار داخل في طاعة السلطان بأهله وماله ، فقتله نائب البلد وأكرمه وصيره إلى مصر معزاً مكرماً .

وفي شوال عقد مجلس بسبب أهل القمة من الكتاب الذين كانوا قد أسلوا كرها وقد كتب

لهم جماعة من المعتنقين بأنهم كانوا مكرهين فلمهم الرجوع إلى دينهم ، وأثبت الاكراه بين يدي القاضي جمال الدين ابن أبي يعقوب المالكي ، فساد أكثرهم إلى دينهم وضربت عليهم الجزية كما كانوا ، سود الله وجوههم يوم يبيض وجوه وتسود وجوه . وقيل : إنهم غرموا مالا جزيلاً جملة مستكثرة على ذلك ، قبحهم الله .

وفي ذى القعدة قبض السلطان على أيتش السمدى وسجنه بقلعة الجبل ، وقبض نائبه بدمشق على سيف الدين بلبان الماروني وسجنه بقلعتها . وفي بكرة الخميس التاسع والعشرين من ذى القعدة ، وهو المأثر من آذار ، استسق الناس بالمصلى بدمشق فبقوا بعد عشرة أيام . وفي هذه السنة أخرج الملك المنصور جميع آل الملك الظاهر من النساء والولدان والخدام من الديار المصرية إلى الكرك ليكنوا في كنف الملك المسعود خضر بن الظاهر

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أبناء ملك التتار بن هولاً كوخان ﴾

ابن تولى بن جنكيزخان ، كان على الهمة بعيد النور له رأى وتدبير ، وبلغ من العمر خمسين سنة ، ومدة مملكته ثمان عشرة سنة ، ولم يكن بعد والده في التدبير والحزم مثله ، ولم تكن وقعة حص هذه برأيا ولا عن مشورته ، ولكن أخوه منكوتمر أحب ذلك فلم يخالفه . ورأيت في بعض تاريخ البغادة أن قدوم منكوتمر إلى الشام إنما كان عن مكانة سنقر الاشقر إليه فله أعلم . وقد جاءه بنا هذا بنفسه فتزل قريبا من الفرات ليرى ماذا يكون من الأمر ، فلما جرى عليهم ما جرى ساءه ذلك ومات غما وحزنا . توفي بين الميدين من هذه السنة ، وقام بالملك بعده ولده السلطان أحمد . وفيها توفي .

﴿ قاضي القضاة ﴾

نجيم الدين أبو بكر بن قاضي القضاة صدر الدين أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله ابن الحسن بن يحيى بن محمد بن علي الشافعي ابن سفي الدولة ، ولد سنة ست عشرة وسبعمائة ، وسمع الحديث وبرع في المنهج ، وطلب عن أبيه فشكرت سيرته ، واستقل بالقضاة في الدولة المظفرية فحمد أيضا ، وكان الشيخ شهاب الدين ينال منه ومن أبيه ، وقال البرزالي : كان شديدا في الأحكام متحررا ، وقد أزم بالمقام بمصر فدرس بجامع مصر ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالأمينية والركنية ، وأشر قضاء حلب ، وعاد إلى دمشق ، وولاه سنجر قضاء دمشق ، ثم عزل وابن خلكان كما تقدم ، ثم كانت وفاته يوم الثلاثاء من المحرم ، ودفن من القديوم بأسواق بقرية بعلبيون . وفي عشر المحرم توفي

﴿ قاضي القضاة صدر الدين عمر ﴾

ابن القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم الغلابي ابن بنت الأعز المصري ، كان فاضلا بارعا عارفا بالمنهج ، متحررا في الأحكام كآبئه ، ودفن بالقراة .

(الشيخ إبراهيم بن سعيد الشافورى)

المولود المعروف بالجميعة ، كان مشهوراً بدمشق ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على السنة
 العوام ومن لا يقتل ، ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ولا يصوم مع الناس ، ومع هذا كان كثير
 من العوام وغيرهم يستقونوه . توفى يوم الأحد سابع جمادى الأولى ودفن بتربة المولدين بسفح
 قاسيون عند الشيخ يوسف القمبى ، وقد توفى الشيخ يوسف قبله بمدة ، وكان الشيخ يوسف يسكن
 إقنين حمام نور الدين الشهيد بالزورين ، وكان يجلس على التنجاسات والقنصر ، وكان يلبس ثياباً
 بداوية فيجحف على التنجاسات فى الأزقة ، وكان له قبول من الناس ومحبة وطاعة ، وكان العوام يقولون
 فى محبته واعتقاده ، وكان لا يصلى ولا ينطق نجاسة ، ومن جاءه زائراً جلس عند باب الأقيين على النجاسة ،
 وكان العوام يذكرونه لمكاشفات وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهذيان كما
 يعتقدون ذلك فى غيره من المجانين والمولدين . ولما مات الشيخ يوسف القمبى خرج خلق فى جنازته
 من العوام وغيرهم ، وكانت جنازته حافلة بهم ، وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون ، وبين
 يديه غواض وغوش كثير وتهليل وأمور لا يحوز من فصل العوام ، حتى جاؤا به إلى تربة المولدين
 بقاسيون فدفنوه بها ، وقد اعتنى بعض العوام بقبره فعمل عليه حجارة منقوشة وعمل على قبره
 سفناً مرفصاً بالدهان وأنواعه ، وعمل عليه مقصورة وأبواباً ، وغالى فيه مفالة زائدة ، وسكت هو وجماعة
 مجاورون عنده مدة فى قراءة وتهليل ، ويطبخ لهم الطبخ فيأكلون ويشربون هناك . والقصود
 أن الشيخ إبراهيم الجميعة لما مات الشيخ يوسف الأقيين جاء من الشافورى إلى باب الصغير فى
 جماعة من أتباعه ، وهم فى صراح وضجة وغوش كثير ، وهم يقولون : أذن لنا فى دخول البلد أذن
 لنا فى دخول البلد ، يكررون ذلك ، فقبل له فى ذلك فقال : لى عشرون سنة ما دخلت داخل سور
 دمشق ، لأننى كنت كلما أتيت باباً من أبوابها أجد هنا السبع رابضاً بالباب فلا أستطيع المخول
 خوفاً منه ، فلما مات أذن لنا فى الدخول ، وهذا كله ترويج على العظام والعوام من المصنع الرطاع ،
 الذين هم أتباع كل فاقح . وقيل إن الشيخ يوسف كان يرسل إلى الجميعة بما يأتيه من الفتوح والله
 سبحانه أعلم بأحوال العباد ، وإليه المقلب والمآب ، وعليه الحساب .

وقد ذكرنا أنه استشهد فى وقعة حصص جماعة من الأمراء منهم الأمير عز الدين أزدمر
 السلحدارى عن نحو من ستين سنة ، وكان من خيار الأمراء وله همة عالية يفنى أن ينال بها مكاناً

(قاضى القضاة)

عالياً فى الجنة

تقى الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزق بن موسى العلورى الحموى الشافى ، وقد سنة
 ثلاث وسبائة ، وقد سمع الحديث وانتفع بالشيخ تقى الدين بن الصلاح ، وأم بدار الحديث مدة ،

ودرس بالشامية ، وولى وكالة بيت المال بدمشق ، ثم سار إلى مصر فدرس بها بمدة مدارس ، وولى الحكم بها ، وكان مشكوراً ، توفي ليلة الأحد ثالث رجب منها ، ودفن بالقلم .

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة توفي .

(الملك الأشرف)

مظفر الدين موسى بن الملك الزاهر محي الدين داود المجاهد بن أسد الدين شيركوه بن الناصر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذى ابن صاحب حصص ، ودفن بقريةهم بقاسيون .

وفي ذى القعدة توفي (الشيخ جمال الدين الاسكندرى)

الحاسب بدمشق ، وكان له مكتب نعت منارة كبر وز ، وقد انتفع به خلق كثير ، وكان شيخ الحسب في وقته رحمه الله (الشيخ علم الدين أبو الحسن)

محمد بن الامام أبى على الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رشيق الربى المالكي المصري ، ودفن بالقرافة ، وكانت له جنازة حافلة ، وقد كان قصباً مفتياً ، سمع الحديث وبلغ خمسا وثمانين سنة . وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى الحجة توفي .

(الصدر الكبير أبو القنائم المسلم)

محمد بن المسلم ، يكنى بن خاف بن غيلان ، القيسى الدمشقي ، مولده سنة أربع وتسعين ، وكان من الرؤساء الكبار ، وأهل البيوتات ، وقد ولى نظر الدواوين بدمشق وغير ذلك ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وكتابة الحديث ، وكان يكتب سرياً يكتب في اليوم الواحد ثلاث كرايس وقد أجمع مسند الامام أحمد ثلاث مرات ، وحدث بصحيح مسلم وجامع الترمذى وغير ذلك ، وسمع منه البرزالي والمزى وابن تيمية ، ودفن من يومه بسفح قاسيون عن ست وثمانين سنة ، رحمه الله جميعاً (الشيخ صفى الدين)

أبو القاسم بن محمد بن عثمان بن محمد التميمي الحنفي ، شيخ الحنفية ببصرى ، ومدرس الأمانة بها مدة سنين كثيرة ، كان بارعاً فاضلاً عالماً عابداً متقلاً عن الناس ، وهو والد قاضى القضاة صدر الدين على ، وقد عمر دهرًا طويلاً ، فانه ولد في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفي ليلة نصف شعبان من هذه السنة عن تسع وتسعين سنة رحمه الله .

(ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة)

استهلت والخليفة الحاكم بأمر الله والسلطان الملك المنصور قلاوون . وفيها أرسل ملك التتار أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم ، وجاء في الرسالة الشيخ قطب الدين الشيرازى أحد تلامذة النصير الطوسى ، فأجاب المنصور إلى ذلك وكتب المكاتبات إلى ملك

التتر بذلك . وفي مستهل صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين يسرى السعدى ، وعلى الأمير علاء الدين السعدى الشمسى أيضاً .

وفىها درس القضاى بدر الدين بن جماعة بالقيمرية ، والشيخ شمس الدين ابن الصفى الحريرى بالمرحانية ، وعلاء الدين بن الزملىكانى بالأمنية . وفى يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان وقع حريق بالبادين عظيم ، وحضر نائب السلطنة إذ ذاك الأمير حسام الدين لاجين السلحدار وجماعة كثيرة من الأمراء ، وكانت ليلة هائلة جداً وفى الله شرها ، واستدرك بعد ذلك أمرها القضاى نجم الدين بن النحاس ناظر الجامع ، فأصبح الأمر وسد وأعاد البناء أحسن مما كان والله الحمد للمنة . ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح بقية السلف ﴾

برهان الدين أبو إسحاق ابن الشيخ صفى الدين أبى الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى ابن الرضى الحنفى إمام المعزية بالكشك . وأسمع من جماعة منهم الكندى ابن الحرستانى ولكن لم يظهر سماعه منهما إلا بعد وفاته ، وقد أجاز له أبو نصر الصيدلاقى وعفيفة الفارغانى وابن الميدانى ، وكان رجلاً صالحاً محبباً لسماع الحديث ، كثير البر بالطلبة له ، وقد قرأ عليه الحافظ جمال الدين المزمى معجم الطبرانى الكبير ، وسمعه منه بقراءة الحافظ البرزالى وجماعة كثيرين . وكان مولده فى سنة تسع وتسعين [وخمسة] وتوفى يوم الأحد سابع صفر ، وهو اليوم الذى قدم فيه الحجاج إلى دمشق من الحجاز ، وكان هو معهم فأتى بعد استقراره بدمشق .

﴿ القضاى أمين الدين الأشرى ﴾

أبو العباس أحمد بن شمس الدين أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبي المعروف بالأشرى الشافى ، المحدث ، سمع الكثير وحصل ووقف أجزاء بدار الحديث الأشرية وكان الشيخ محى الدين النووى يثنى عليه ويرسل إليه الصبيان ليقروا عليه فى بيته لأمانته عنده ، وصيافته وديانته . ﴿ الشيخ برهان الدين أبو الثناء ﴾

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المراغى الشافى ، مدرس الفلكية ، كان فاضلاً بارعاً ، عرض عليه القضاء فلم يقبل ، توفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عن ست وسبعين سنة ، وسمع الحديث وأسمعه ، وحرس بعده بالفلكية القضاى بهاء الدين بن الزكى .

﴿ القضاى الامام العلامة شيخ القراء زين الدين ﴾

أبو محمد بن عبد السلام بن على بن عمر الزواوى المالكي ، فاضى قضاء المالكية بدمشق ، وهو أول من باشر القضاء بها ، وعزل نفسه عنها تورعاً وزهادة ، واستمر بها ولاية ثمان سنين ، ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن رجب منها عن ثلاث وثمانين سنة ، وقد سمع الحديث واشتغل على السنجارى

وابن الحاجب . ﴿ الشيخ صلاح الدين ﴾

محمد بن القاضي شمس الدين علي بن محمود بن علي الشهر زوري ، مدرس القنيرية وابن مدرسا ، توفي في أواخر رجب ، وتوفي أخوه شرف الدين بعده بشهر ، ودرس بالقنيرية بعد الصلاح المذكور القاضي بدر الدين ابن جماعة .

﴿ ابن خلكان قاضي القضاة ﴾

شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشافعي أحد الأئمة الفضلاء ، والسادة العلماء ، والصدور الرؤساء ، وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من سائر المذاهب ، فاشتغلوا بالأحكام بعد ما كانوا توأما له ، وقد كان المنصب بينه وبين ابن الصائغ دولا يميز هذا فارة ويولى هذا ، ويميز هذا ويولى هذا ، وقد درس ابن خلكان في عدة مدارس لم تجتمع لغيره ، ولم يبق معه في آخر وقت سوى الامينية ، ويعد ابنه كمال الدين موسى النجيبية . توفي ابن خلكان بالمدرسة النجيبية المذكورة بأوانها يوم السبت آخر النهار ، في السادس والعشرين من رجب ، ودفن من القديس بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة . وقد كان ينظم نظما حسنا راقعا ، وقد كانت محاضراته في غاية الحسن ، وله التاريخ المفيد الذي رسم بوفيات الاعيان من أبداع المصنفات ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة ﴾

فيها قدم الملك المنصور إلى دمشق في يوم الجمعة سابع رجب في أبهة عظيمة ، وكان يوما مشهودا وفيها ولي الخطابة بدمشق الشيخ عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي عوضا عن محي الدين ابن الحرستاني الذي توفي فيها كما سيأتي ، وخطب يوم الجمعة الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة وفي هذا اليوم قبل الصلاة احتبط على القاضي عز الدين بن الصائغ بالقلعة وأُثبت ابن المصري نائب الخنفي محضرا يتضمن أن عنده وديعة بمقدار ثمانية آلاف دينار ، من جهة ابن الاسكاف ، وكان الذي أثار ذلك شخص قدم من حلب يقال له تاج الدين بن السنجاري ، وولى القضاء بعده بهاء الدين يوسف بن محي الدين ابن الزكي ، وحكم يوم الاحد ثالث وعشرين رجب ومنع الناس من زيارة ابن الصائغ ، وسعى بمحض آخر أن عنده وديعة بقيمة خمسة وعشرين ألف دينار لصالح إسماعيل بن أسد الدين ، وقام في ذلك ابن الشاكري والجمال بن الحموي وآخرون ، وتسكلموا في قضية ثالثة ، ثم عقد له مجلس تاله فيه شدة شديدة ، وقصصوا عليه ثم أعيد إلى اعتقاله ، وقام في صفه نائب السلطنة حسام الدين لاجين ، وجماعة من الامراء ، فكلموا فيه السلطان فأطلقه وخرج إلى منزله ، وجاء الناس إلى تهنئته يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان ، وانتقل من

المعدلية إلى داره بدرب النقاشة ، وكان علة جلوسه في المسجد تجاه داره .

وفي رجب بإشراف دمشق جمال الدين بن مصري . وفي شعبان درس الخطيب جمال الدين ابن عبد الكافي بالنزالية عوضاً عن الخطيب ابن الحرساني ، وأخذ منه الدولية لجمال الدين بن النجار ، الذي كان وكيل بيت المال ، ثم أخذ شمس الدين الاربلي تدرّس النزالية من ابن عبد الكافي المذكور . وفي آخر شعبان بإشراف نيابة الحكم عن ابن الزكي شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي أحد أئمة الفضلاء ، وسادات العلماء المصنفين . ولما توفي أخوه شمس الدين محمد في شوال ولى مكانه تدرّس الشامية البرانية ، وأخذت منه المعدلية الصغيرة ، فدرس فيها القاضي نجم الدين أحمد بن مصري التنابخي في ذى القعدة ، وأخذت من شرف الدين أيضاً الرواحية فدرس فيها نجم الدين البيهقي نائب الحكم رحمه الله أجمعين .
ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل ﴾

محمد بن القاضي شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، صاحب الطريقة المنسوبة في الكتابة ، سمع الحديث وكان من رؤساء دمشق وأعيانها توفي في صفر منها .

﴿ شيخ الجبل الشيخ العلامة شيخ الاسلام ﴾

شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي ، أول من ولى قضاء الحنابلة بدمشق ، ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين ، وتدرّس الاشرقية بالجبل ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان من علماء الناس وأكثرهم ديانة وأمانة في عصره ، مع هدى وسمت صالح حسن ، وخشوع وقار . توفي ليلة الثلاثاء سابع ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، ودفن بقرية والده رحمه الله

﴿ ابن أبي جنوان ﴾

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن أبي جنوان الانصاري الدمشقي المحدث الفقيه الشافعي البارح في النحو والفقه ، سمعت شيخنا تقي الدين ابن تيمية وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول كل منهما للآخر : هذا الرجل قرأ مسند الامام أحمد وهما يسمعان فلم يضبط عليه لجنة متفقا عليها ، ونأهيك بهذين ثناء على هذا وهما

﴿ الخطيب محيي الدين ﴾

محيي بن الخطيب قاضي القضاة عماد الدين عبد الكريم بن قاضي القضاة جمال الدين بن الحرساني الشافعي خطيب دمشق ومدرس النزالية ، كان فاضلاً بارعاً أفقياً ودرس وولى الخطابة والنزالية بمدة

أبيه ، وحضر جنازته فأثب السلطنة وخلق كثير ، توفي في جمادى الآخرة عن ثمان وستين سنة ،
ودفن بقاسيون . وفي خلس رجب توفي .

(الأمير الكبير ملك عرب آل منرى)

أحمد بن حجي بمدينة بصرى ، وصلى عليه بدمشق صلاة للتائب .

(الشيخ الامام العالم شهاب الدين)

عبد الحلیم بن الشيخ الامام العلامة مجد الدين عبد الله بن عبد الله بن أبى القاسم ابن تيمية
الحرائى ، والده شيخنا العلامة العلم تقي الدين ابن تيمية ، مفتى الفرق ، الفارق بين الفرق ، كان له
فضيلة حسنة ، ولديه فضائل كثيرة ، وكان له كرمى بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه ،
وولى مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين ، وبها كان سكنه ، ثم درس ولده الشيخ تقي الدين
بها بعده في السنة الآتية كما سيأتى ، ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله .

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستائة)

في يوم الاثنين تافى الحرم منها درس الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن
عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحرائى بدار الحديث السكرية التى بالقصاعين ، وحضر عنده
فاضى القضاء بهاء الدين ابن الزكى الشافعى ، والشيخ تاج الدين الفزارى شيخ الشافعية ، والشيخ
زين الدين ابن المرحل ، وزين الدين بن المنجا الحنبلى ، وكان درسا هائلا ، وقد كتبه الشيخ تاج
الدين الفزارى بخطه لكثرة فوائده ، وكثرة ما استحسنه الحاضرون . وقد أطنب الحاضرون في
شكره على خدماته سنة وصغره ، فانه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وستين ، ثم جلس الشيخ
تقي الدين المذكور أيضا يوم الجمعة عشر صفر بالجامع الأموى بعد صلاة الجمعة على منبر قد عمى له
لتفسير القرآن العزيز ، فابتدأ من أوله في تفسيره ، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الوفير
من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة والزهادة والمباداة سارت بذكره الزكيان
في سائر الأقاليم والبلدان ، واستمر على ذلك مدة ستين متطاولة

وفها قسم السلطان إلى دمشق من مصر يوم السبت تافى عشر جمادى الآخرة ، فجاء صاحب
حياة الملك المنصور إلى خدمته فقلعه السلطان في موكب وأكرمه ، فلما كان ليلة الأربعاء اربع
والعشرين من شعبان وقع مطر عظيم بدمشق ، ورعد وبرق ، وجاء سيل عظيم جدا حتى كسر
أقفال باب الفراديس ، وارتفع الماء ارتفاعا كثيرا ، بحيث أغرق خلقا كثيرا ، وأخذ جمال الجيش
المصرى وأتاهم ، ففرج السلطان إلى الديار المصرية بعد ثلاثة أيام ، وتولى مشد الدواوين الأمير
شمس الدين سنقر عوضا عن اللهو يدرأى علم الدين سنقر . وفيها اختلف التتار فيما بينهم على ملكهم

السلطان أحمد فزله عنهم وقتلوه ، وملكوا عليهم السلطان أرغون بن أبنا ، ونادوا بذلك في جيشهم ، وتأطعت أحوالهم ، ومشت أمورهم على ذلك ، وبادت دولة السلطان أحمد . وتامت دولة أرغون بن أبنا .

ومن توفي فيها من الاعيان (الشيخ طالب الرافعي بقصر حجاج)
وله زاوية مشهورة به ، وكان يزور بعض المريدين فلات . وفيها مات
(القاضي الامام عز الدين أبو الفناخر)

محمد بن شرف الدين عبد القادر بن عفيف الدين عبد الخالق بن خليل الانصارى . الدمشقي
ولى القضاء بدمشق مرتين ، عزل ابن خلكان ، ثم عزل ابن خلكان به ثانية ، ثم عزل وسجن وولى
بعده بهاء الدين ابن الزكي ، وبقى ممزولا إلى أن توفي ببستانه في تاسع ربيع الأول ، وصلى عليه
بسوق الخليل ، ودفن بسفح قاصيون ، وكان مولده سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وكان مشكور السيرة ،
له عقل وتدبير واعتقاد كثير في الصالحين ، وقد سمع الحديث له ابن بلبان مشيخقرأها ابن جفوان
عليه ، ودرس بعده بالذروية الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن المرحل ، وكل بيت المال ،
ودرس ابنه محيى الدين أحمد بالمهادية وزاوية الكلاسة من جامع دمشق ، ثم توفي ابنه أحمد هذا
بعده في يوم الأربعاء ثامن رجب ، فدرس بالمهادية والمعافية الشيخ زين الدين بن الفارق شيخ
دار الحديث نيابة عن أولاد القاضي عز الدين بن الصائغ بدر الدين وعلاء الدين . وفيها توفي

(الملك السعيد فتح الدين)

عبد الملك بن الملك الصالح أبي الحسن إسماعيل ابن الملك العادل ، وهو والد الملك الكامل
ناصر الدين محمد ، في ليلة الاثنين ثالث رمضان ، ودفن من التند بقرية أم الصالح ، وكان من خيار
الأمراء محترما كبيرا رئيسا ، روى الموطأ عن يحيى بن بكير عن مكرم بن أبي الصقر ، وسمع
ابن أبي شيبة وغيره .

(القاضي نجم الدين عمر بن نصر بن منصور)

البياتي الشافعي ، توفي في شوال منها ، وكان فاضلا ، ولى قضاء زرع ثم قضاء حلب ، ثم
ناب في دمشق ودرس بالرواحية ولبشرها بعده شمس الدين عبد الرحمن بن نوح القنسى ، يوم عاشر
شوال . وفي هذا اليوم توفي بمحطة ملكها :

(الملك المنصور ناصر الدين)

محمد بن محمود بن عمر بن ملكشاه ، بن أيوب ، وللعنة ثلاثين وسبعمائة ، وتملك حملة سنة ثنتين
وأربعين ، وله عشر سنين ، فكش في الملك أزيد من أربعين سنة ، وكان له بروضات ، وقد

أعتق في بعض موته خلقاً من الأتباع ، وقام في الملك بعده وله الملك المظفر بتقليد الملك المنصور له بذلك .

﴿ القاضي جمال الدين أبو يعقوب ﴾

يوسف بن عبد الله بن عمر الرازي ، قاضي قضاة المالكية ، ومدرسه بعد القاضي زين الزواوي الذي عزل نفسه ، وقد كان ينوب عنه فاستقل بعده بالحكم ، توفي في الخامس من ذي القعدة وهو في طريق الحج ، وكان عالماً فاضلاً قليل التكليف والتكلف ، وقد شغل المنصب بعده ثلاث سنين ودرس بعده المالكية الشيخ جمال الدين الشريشي ، وبهذه أبو إسحاق الهروي ، وبهذه بدر الدين أبو بكر البريقي ، ثم لما وصل القاضي جمال الدين بن سليمان حاكماً درس بالمدارس والله سبحانه أعلم ﴿ ثم دخلت سنة أربع وعثمانين وسبعمائة ﴾

في أواخر المحرم قدم الملك المنصور إلى دمشق ومعه الجيوش وجاء إلى خدمته صاحب حامية الملك المظفر بن المنصور فنلقاه بجميع الجيوش ، وخاع عليه خلع الملوك ، ثم سافر السلطان بالسراير المصرية والشامية فنزل المرقب ففتح الله عليهم في يوم الجمعة ثامن عشر صفر ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق فدخلت البشارة وزينت البلد وفرح المسلمون بذلك ، لأن هذا الحصن كان مضرة على المسلمين ، ولم يتفق فتحه لأحد من ملوك الإسلام لا للملك صلاح الدين ، ولا للملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، وفتح حوله بانياس ومرقب وهي بلدة صغيرة إلى جانب البحر عند حصن منيع جداً لا يصل إليه سهم ولا حجر من جنينق ، فأرسل إلى صاحب طرابلس فهدمه قرباً إلى السلطان الملك المنصور ، واستنقذ المنصور خلقاً كثيراً من أسارى المسلمين ، الذين كانوا عند الفرنج ، وقتل الحمد . ثم عاد المنصور إلى دمشق ، ثم سافر بالسراير المصرية إلى القاهرة .

وفي أواخر جمادى الآخرة ولد للمنصور وله الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفيها عزل يحيى الدين ابن النحاس عن فطر الجامع ووليه عز الدين بن يحيى الدين بن الزكي ، وباشر ابن النحاس الوزارة عوضاً عن التقي توبة الشكري ، وطلب التقي توبة إلى الديار المصرية وأحيط على أمواله وأملأه ، وعزل سيف الدين طوغان عن ولاية المدينة ، وباشرها عز الدين بن أبي الهيجاء .
ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ الشيخ عز الدين محمد بن علي ﴾

ابن إبراهيم بن شداد ، توفي في صفر ، وكان فاضلاً مشهوراً ، له كتب سيرة الملك الظاهر ، وكان معنياً بالتاريخ .

﴿ البندقداري ﴾

أسناد الملك الظاهر بيبرس ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين البندقداري الصالح ، كان من خيار الأمراء ساعده الله . توفي في ربيع الآخر منها ، وقد كان الصالح نجم الدين صادر البندقداري هذا ،

وأخذ منه مملوكه يبرس فأضافه إليه لشهامته ونهضته ، فتقدم عنده على أستاذه وغيره .

﴿ الشيخ الصالح المأيد الزاهد ﴾

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إسماعيل الأحمسي ، كانت له جنازة هائلة ، ودفن بقايبون رحمه الله .
(ابن عامر المقرئ)

الذي يندب إليه الميعاد الكبير ، الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبي بكر النسولي الحنبلي ، سمع الحديث من الشيخ موفق الدين بن قدامة وغيره ، وكان يعمل الميعاد ليلة الأحد ، فإذا فرغوا من ذلك دعا بهم ثم وعظهم . توفي يوم الأربعاء حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بالقرب من تربة الشيخ عبد الله الأرمي .

﴿ القاضي عماد الدين ﴾

داود بن يحيى بن كامل القرشي النصروبي الحنفي ، مدرس النزية بالكشك ، وطلب في الحكم من مجد الدين بن المديم ، وسمع الحديث وتوفي ليلة النصف من شعبان ، وهو والد الشيخ نجم الدين النجاشي ، شيخ الحنفية ، وخطيب جامع تنكر .

﴿ الشيخ حسن الرومي ﴾

شيخ سعيد الدماء بالقاهرة . وقد ولها بعده شمس الدين الأحمسي .
سعيد . الشيخ رشيد الدين الحنفي مدرس الشبلية ، وله تصانيف مفيدة كثيرة ، ونظم حسن . فمن ذلك

قوله : قل لمن يحذر أن تمره • نكبات الدهر لا يفتي الحذر

أذهب الحزن اعتقادي • أن كل شيء بقضاء وقدر

ومن شعره قوله : المنيك الحد الذي أنت أهل • على نعم منها الهداية للحد

صحيحاً خلقت الجسم مني مسلماً • ولطفك بي ما زال مذ كنت في الهد

وكنيت بيتاً قد أحاط بي الردي • فأويت واستغنيت من كل ما بردي

وهبت لي القمل الذي يضيئه • إلى كل خير يهتدي طالب الرشد

وروقت للأسلام قلبي ومنطقي • فيا نعمة قد حل موقعها عندي

ولورمت جهدي أن أجازي فضيلة • فضلت جهالم يميز أطرافها جهدي

أست الذي أرجو حنانك عندما • يخلفني الأهلون وحدي في الحدي

فجلى بلطف منك يهدي سري • وقلبي ويديني إليك بلا يدي

توفي يوم السبت ثالث رمضان ، وصلى عليه المصطفى بالجمع المظفرى ، ودفن بالسفح .

﴿ أبو القاسم علي بن بليان بن عبد الله ﴾

الناصرى الحدث المفيد الماهر ، توفى يوم الخميس مستهل رمضان .

﴿ الأمير مجير الدين ﴾

محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن نجم الحوى الشاعر ، صاحب الديوان في الشعر ، فن شعره قوله : عايفت ورد الروض يلطم خده • ويقول قولاً في البنفسج يحنق^(١) لا تحربه وإن تضوع نشره • ما بينكم فهو الصدو الأزرق

﴿ الشيخ العارف شرف الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن الشيخ عثمان بن علي الرومي ، ودفن بترتيبهم بسفح قاسيون ، ومن عندهم خرج الشيخ جمال الدين محمد السواحى وحلق ودخل في ذى الجواثية وصار شيخهم ومقدمهم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثمانمائة ﴾

استهانت والخليفة الحاكم أبو العباس أحمد ، والسلطان الملك المنصور قلاوون ، وزوجه بالشام الأمير حسام الدين لاجين السلحدارى المنصورى ، والأمير بدر الدين الصوابى حصار ما بينة الكرك في أواخر السنة الماضية ، وقدم عليه من مصر عسكر محبة الأمير حسام الدين طرقاتى ، فاجتمعوا على حصار الكرك حتى أنزلوا منها صاحبها الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر ، فمستهل صفر ، وجاءت الإشارة بذلك إلى دمشق ، فدقت البشائر ثلاثة أيام ، وعاد طرقاتى بالملك خضر وأهل بيته إلى الديار المصرية ، كما فصل الملك الظاهر أبوه بالملك المنير عرب بن العادل ، كما تقدم ذلك . واستقلب في الكرك ثأباً عن أمر المنصور ، ورتب أمورها وأجلوا منها خلقاً من الكركيين ، واستخدموا بقلمة دمشق . ولما اقترب دخول آل الظاهر إلى القاهرة تلقاهم المنصور فأكرم لقيامهم وأحسن إلى الأخوين نجم الدين خضر ، وبدر الدين سلاش ، وجعلهما يركبان مع ابنه على والأشرف خليل ، وجعل عليهما عيوناً برصودون ما يضلان ، وأنزلا الهور بالقلمة وأجرى عليهم من الرواتب والتعقات ما يكفيهم وزيادة كثيرة ، وكتب الأمير بدر الدين بكتوت الملائكى وهو مجرد بمحضر إلى نائب دمشق لاجين ، أنه قد انقضت زوامة في يوم الخميس سابع صفر بأرض حمص ثم ارتفعت في السماء كهنة العمود والحلية العظيمة ، وجملت تحتطف الحجارة الكبار ، ثم قصدها في الجو كأنها سهام النشاب وحملت شيئاً كثيراً من الجبال بأحمالها ، والأنثى والغمام والحداب ، فتقد الناس من ذلك شيئاً كثيراً ، فأنافه وإنا إليه راجعون . وفي هذا اليوم وقع مطر عظيم في دمشق وجاء سبل كثير ولا سيما في الصالحية .

وفيها أعيد علم الدين الهويدارى إلى مشد الدواوين بدمشق ، والمصاحب تقي الدين بن توبة

(١) في النجوم الزاهرة والشنرات : ويقول وهو على البنفسج يحنق .

إلى الوزارة بدمشق . وفيها تولى قضاء المالكية بمصر زين الدين بن أبي مخلوف البريدى عوضاً عن القاضي تقي الدين برسان الذى توفى بها . وفيها درس بالزالية بدر الدين بن جماعة أنزاعاً من يد شمس الدين إمام الكلامة ، الذى كان ينوب عن شمس الدين الايكي ، والاىكي شيخ سعيد السعدا ، بأشرها شهراً ثم جاء مرسوم بعادتها إلى الايكي ، وأنه قد استغنى عنه جمال الدين الباجر تقي ، فبأشرها الباجر تقي في ثالث رجب .

ومن توفى فيها من الاعيان ﴿ أحمد بن شيبان ﴾

ابن تغلب الشيباني أحد مشايخ الحديث المستدين المعمرين بدمشق ، توفى بصفر عن ثمان وعشرين سنة ، ودفن بقاسيون .

﴿ الشيخ الامام العالم البارح ﴾

الشيخ جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن بجمان البكري الشريشي المالكي ، ولد بشرى سنة إحدى وستائة ، ورحل إلى العراق فسمع بها الحديث من الشايخ والقطبي وابن زوزرة وابن الاثير وغيرهم ، واشتغل وحصل وساد أهل زمانه ، ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية ، ثم أقام بالقدس شيخ الحرم ، ثم جاء إلى دمشق فولى مشيخة الحديث بترية أم الصالح ، ومشيخة الرباط الناصري بالفتح ، ومشيخة المالكية ، وعرض عليه القضاء فلم يقبل . توفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري بقاسيون ، ودفن بسفح قاسيون تجاه الناصرية وكانت جنازته حافلة جداً .

﴿ قاضي القضاة ﴾

يوسف ابن قاضي القضاة محي الدين أبي الفضل محي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي ابن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، القرشي البمشقي المعروف بابن الزكي الشافعي ، كان فاضلاً مبرزاً ، وهو آخر من ولي القضاة من بني الزكي إلى يومنا هذا ، ولد في سنة أربعين وستمائة ، توفى ليلة الاثنين حادى عشر ذى الحجة ، ودفن بقاسيون ، وتولى بعده ابن اخو شهاب الدين .

﴿ الشيخ مجد الدين ﴾

يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الله المصري ثم البمشقي الشافعي الكاتب المعروف بابن المهتار ، كان فاضلاً في الحديث والأدب ، يكتب كتابة حسنة جداً ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية ، وقد جمع الكثير وانتفع الناس به وبكتابته ، توفى عاشر ذى الحجة ودفن بباب الفراديس .

﴿ الشاعر الأديب ﴾

شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخنيسي ، كانت له مشاركة في علوم كثيرة ، ويد طولى في النظم الرائق ، الفائق جلوز الثمانين وقد تنازع هو ونجم الدين بن

إسرائيل في قصيدة بائية^(١) فتحاكا إلى ابن الفارض فأمرهما بنظم أبيات على وزنها فنظم كل منهما فالحسن ، ولكن لابن الغنيمي يد طولى عليه ، وكذلك فعل ابن خلكان ، وامتنع على وزنها بأبيات حسن ، وقد أطال ترجمته الجزري في كتابه ، وفيها كانت وفاة .

(الحاج شرف الدين^(٢))

ابن ميري ، والد الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله .

(يعقوب بن عبد الحق)

أبو يوسف المدني ساعطان بلاد المغرب ، خرج على الواثق بالله أبي دؤبوس فسلبه الملك بظاهر مراکش ، واستحوذ على بلاد الأندلس والجزيرة الخضراء ، في سنة ثمان وستين وسبعمائة ، واستمرت أيامه إلى محرم هذه السنة ، وزالت على يديه دولة الموحدين بها .

(البيضاوي صاحب التصانيف)

هو القاضي الامام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي ، فاضلها وعلمها وعالم أذربيجان وتلك النواحي ، مات بتبريز سنة خمس وثمانين وسبعمائة . ومن مصنفاته التهاج في أصول الفقه ، وهو مشهور ، وقد شرحه غير واحد ، وله شرح التلخيص في أربع مجلدات ، وله الفاية القصوى في دراية الفتوى ، وشرح المنتخب والكافية في المنطق ، وله الطوالع وشرح المحصول أيضا ، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة ، وقد أوصى إلى القطب الشيرازي أن يدفن بجانبه بتبريز والله سبحانه أعلم .

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وسبعمائة)

في أول المحرم ركبت الساكر محبة نائب الشام حسام الدين لاجين إلى محاصرة صهيون وحصن برزية ، فأنعمهم الأمير سيف الدين صقر الأشقر ، فلم يزالوا به حتى استنزروه وسلمهم البلاد ، وسار إلى خدمة الساعطان الملك المنصور ، فتلقا بالأكرام والاحترام ، وأعطاه تقية ألف فارس ، ولم يزل مظلما في الدولة المنصورية إلى آخرها ، وانقضت تلك الأحوال . وفي النصف من المحرم حكم القاضي جلال الدين الحنفي نيابة عن أبيه حسام الدين الرازي ، وفي الثالث عشر من ربيع الأول قدم القاضي شهاب الدين محمد بن القاضي قحس الدين بن الخليل الخولي من القاهرة على قضاء قضاء دمشق ، وقرئ تقليده يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر ، واستمر بربابة شرف الدين المنقسي وفي يوم الأحد ثلث شوال درس بالواحية الشيخ صفي الدين الهندي ، وحضر عنده القضاء والشيخ تاج الدين الفزاري ، وعلم الدين الدويداري ، وتولى قضاء قضاء القاهرة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الاعز ، عوضا عن برهان الدين الخضر السنجاري ، وقد كان ولها شهر آبدى ابن الخولي

(١) مطلعا : يطلبها ليس لي في غيره أرب • إليك أكل التقصى وانتهى الطلب

(٢) كانت وفاته في سنة ٦٨٢ .

فاجتمع حينئذ إلى ابن بنت الأعز بين القضاء كله بديار المصرية ، وذلك في أوائل صفر منها .
وفيهما استدعى سيف الدين السامري من دمشق إلى الديار المصرية ليشتري منه ربع جزر
ماء القدي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى ، فذكر لهم أنه وقفه ، وكان المتكلم في ذلك علم
الدين الشجاعى ، وكان ظالماً ، وكان قد استنابه الملك المنصور بديار مصر ، وجعل يتقرب إليه بتحصيل
الأموال ، ففقد لهم ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسى أن السامري اشترى هذا من بنت
الأشرف ، وهى غير رشيدة ، وأثبت سفنها على زين الدين بن مخلوف الجائر الجاهل ، وأبطل البيع
من أصله ، واسترجع على السامري بمثل مدة عشرين سنة مائتى ألف درهم ، وأخذوا منه حصص من
الزبقية قيمتها سبعين ألفاً وعشرة آلاف مكلة ، وتركوه فقيراً على برد الديار ، ثم أقيموا رشدها
واشترى منها تلك الحصص بما أرادوه ، ثم أرادوا أن يستدعوا بالمشافهة واحداً بعد واحد ،
ويصادرونهم ، وذلك أنه بلغهم أن من ظلم بالشام لا يفلح وأن من ظلم بمصر أفلح وطالت مدته ،
وكانوا يطلبونهم إلى مصر أرض الفراغة والظلم ، فيضلون معهم ما أرادوا .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الامام أبى العباس أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن
عبد الله بن أحمد الميمونى القيسى النورى المصرى ، ثم المالكى الشافى المعروف بالقسطلانى ،
شيخ دار الحديث السكلمية بالقاهرة ، ولد سنة أربع عشرة وسبعمائة ، ورجل إلى بندان فسمع الكثير
وحصل دلوماً ، وكان يفتى على مذهب الشافى ، وأقام بمكة مدة طويلة ثم صار إلى مصر فولى مشيخة
دار الحديث ، وكان حسن الأخلاق محبباً إلى الناس ، توفى فى آخر المحرم ودفن بالقرافة الكبرى ،
وله شعر حسن أورد منه ابن الجزرى قطعة صالحة .

﴿ عماد الدين ﴾

محمد بن العباس الدنيسرى الطيب الماهر ، والحقاق الشاعر ، خدم الاكابر والوزراء وعمر ثمانين
سنة وتوفى فى صفر من هذه السنة بدمشق .

﴿ قاضى القضاء ﴾

برهان الدين الخضر بن الحسين بن على السنجارى ، تولى الحكم بديار مصر غير مرة ، وولى
الوزارة أيضاً ، وكان رئيساً وقوراً أميناً ، وقد باشر القضاء بعده تقي الدين بن بنت الأعز .

﴿ شرف الدين سليمان بن عثمان ﴾

الشاعر المشهور ، له ديوان . مات فى صفر منها .

﴿ الشيخ الصالح عز الدين ﴾

عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصبيل الحرائى ، ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع

الكثير ، ثم استوطن مصر حتى توفي بها في رابع عشر رجب ، وقد جاوز التسعين ، وقد سمع منه الحافظ علم الدين البرزالي لما رحل إلى مصر في سنة أربع وثمانين ، وحكى عنه أنه شهد جنازة في بندان فتيهم نباش ، فلما كان الليل جاء إلى ذلك القبر ففتح عن الميت ، وكان الميت شاباً قد أصابته سكتة ، فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب الميت جالساً فسقط النباش ميتاً في القبر ، وخرج الشاب من قبره ، ودفن فيه النباش . وحكى له قال : كنت مرة بقلوب و بين يدي صبرة قح ، فجاء زنبور فأخفوا حدة ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى أربع مرات ، قال فاتبته فإذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك . قال : وحكى لي الشيخ عبد الكافي أنه شهد مرة جنازة فإذا عبد أسود معنا ، فلما صلى الناس عليها لم يصل ، فلما حضرنا الدفن نظر إلى وقال : أنا عمله ، ثم أتى نفسه في قبر ذلك الميت ، قال فظنرت فلم أر شيئاً .

﴿ الحافظ أبو الهيثم ﴾

أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي ترك الرئاسة والأموال ، وجاور بمكة ثلاثين سنة ، مقبلاً على العبادة والزهادة ، وقد حصل له قبول من الناس شاميهم ومصريهم وغيرهم ، توفي بالمدينة النبوية في ثاني رجب منها .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وسبعمائة ﴾

فيها قدم الشجاعى من مصر إلى الشام بنية المصادرة لأرباب الأموال من أهل الشام وفي أواخر ربيع الآخر قدم الشيخ ناصر الدين عبد الرحمن المقدسى من القاهرة ، على وكالة بيت المال ونظر الأوقاف ، ونظر الخصاص ، ومعه تقاليد وخام فتردد الناس إلى بابهِ وتكلم في الأمور وأدى الناس ، وكانت ولايته بسفارة الأمير علم الدين الشجاعى المتكلم في الديار المصرية ، توصل إليه بالشيخ ثمس الدين الأيبي وابن الوحيد الكاتب ، وكانا عندهما صورة ، وقد طلب جماعة من أعيان الماشقة في أول هذه السنة إلى الديار المصرية فطلبوا بأموال كثيرة ، فنافع بعضهم بعضاً ، وهذا مما يخفف عقوبته من ظلمهم ، وإلا فلوصروا لوجل الظالم بالقوبة ، وزلزل عنهم ما يكرهون سريراً . ولما قسم ابن المقدسى إلى دمشق كان يحكم بترية أم الصالح ، والناس يترددون إليه ويخافون شره ، وقد استجد باشورة بباب الفراديس ومسايطر باب الساعلت للشهود ، وجدد باب الجباية الشمال ورضه ، وكان متواطئاً ، وأصلح الجسر التي تحته ، وكذلك أصلح جسر باب الفراديس تحت السوق التي جدها عليه من الجانبين . وهذا من أحسن ما عمله ابن المقدسى ، وقد كان مع ذلك كثير الأذية للناس ظلوماً غشوماً ، ويشتغل على الناس أبواباً من الظلم لاجابة إليها .

وفي عاشر جمادى الأولى قدم من الديار المصرية أيضاً قاضى القضاة حمام الدين الحنفى ،

والصاحب قتي الدين توبة التكريتي ، وقاضى القضاة جمال الدين محمد بن سليمان الزواوى المالكى على قضاء المالكية بعد شغوره عن حاكم يدمشق ثلاث سنين ونصف ، فأقام شعار المنصب وحرس ونشر المنهب وكان له مؤدود وولاية .

وفى ليلة الجمعة رابع شعبان توفى الملك الصالح علاء الدين بن الملك المنصور قلاوون بالسقطارية فوجد عليه أبوه وجداً شديداً ، وقد كان عهد إليه بالأمر من بعده وخطب له على المنابر من مدة سنين ، فدفنه فى تربته وجعل ولاية العهد من بعده إلى ابنه الأشرف خليل ، من بعد أبيه ، وخطب له على المنابر من بعد ذكر أبيه يوم الجمعة ، ودقت البشائر وزين البلد سبعة أيام ، ولبس الجيش الخلع وركبوا ، وأظهر الناس سروراً لشهائنه ، مع ما فى قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعى . وفى رمضان بأشر حسبة دمشق شمس الدين بن السلموسى عوضاً عن شرف الدين ابن الشيزرى وفيه توجه الشيخ بدر الدين بن جماعة إلى خطابة القدس بعد موت خطيبه قطب الدين ، فبأشر بعده تدرى التيمرية علاء الدين أحمد بن القاضي تاج الدين بن بنت الأعز . وفى شهر رمضان كسب نصرانى وعنده مسلة ومها يشرى فى الحر فى نهار رمضان ، فأمر نائب السلطنة حسام الدين لاجين بتحريق النصرانى فبذل فى نفسه أموالاً جزيلة فلم يقبل منه ، وأحرق بسوق الخليل ، وعمل الشهاب محمود فى ذلك أبياتاً فى قصيدة مليحة ، وأما المرأة فجلت الحد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الخطيب الامام قطب الدين ﴾

أبو الزكا عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن على بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، القرشى ، الزهرى ، خطيب بيت المقدس أربعين سنة ، وكان من الصلحاء الكبار محبوباً عند الناس ، حسن الهيئة مهيباً عزيز النفس ، يفتى الناس ويذكر التفسير من حفظه فى المحراب بعد صلاة الصبح ، وقد سمع الكثير وكان من الاخيار بولد سنة ثلاث وسبعمائة ، وتوفى ليلة الثلاثاء سابع رمضان عن أربع وثمانين سنة .

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

إبراهيم بن معز بن شداد بن ماجد الجبلى ، تقي الدين أبو إسحاق ، أصله من قلعة جبلى ، ثم أقام بالقاهرة ، وكان يفظ الناس وكان الناس يفتنون بكلامه كثيراً . توفى بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم ، ودفن فى تربته بالحسبية ، وله نظم حسن ، وكان من الصلحاء المشهورين رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

يس بن عبد الله المقرئ الحجام ، شيخ الشيوخ عمى الدين النووى ، وقد حج عشرين حجة ، وكانت له أحوال وكرامات .

﴿ الخليفة غلزية خاتون ﴾

بنت الملك المنصور قلاوون ، زوجة الملك السيد .

﴿ الحكيم الرئيس ﴾

علاء الدين بن أبي الحزم بن نفيس ، شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد وكان يكتب من حفظه ، وكان اشتغاله على ابن الدخوارى ، وتوفى بعصر فى ذى القعدة .

﴿ الشيخ بدر الدين ﴾

عبد الله بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوى ، شارح الألفية التى عملها أبوه ، وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد ، وكان لطيفاً ظريفاً فاضلاً ، توفى فى يوم الأحد الثامن من المحرم ، ودفن من التند يلب الصغير . والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة ﴾

فيها كان فتح مدينة طرابلس : وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيش المنصور المصرية صعبته إلى دمشق ، فدخلها فى الثالث عشر من صفر ، ثم سار بهم وبجيش دمشق وصعبته خلق كثير من المتلوعة ، منهم القاتنى نجم الدين الخنبلى ، قاضى الخناقلة ، وخلق من المقادسة وغيرهم ، فنزل طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الأول ، وحاصرها بالجانيق حصاراً شديداً ، وضيقوا على أهلها تضيقاً عظيماً ، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقاً ، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة فتحت طرابلس فى الساعة الرابعة من النهار عنوة ، وشغل القتل والأسر جميع من فيها ، وفرق كثير من أهل الميناء وسبيت النساء والأطفال ، وأخذت القنطرة والحواصل ، وقد كان لها فى أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة إلى هذا التاريخ ، وقد كانت قبل ذلك فى أيدي المسلمين من زمان معاوية ، فقد فتحها سيفان بن نجيب لمعاوية ، فأسكنها معاوية اليهود ، ثم كان عبد الملك بن مروان جدد حمارتها وحصنها وأسكنها المسلمين ، وصارت أمنة عامرة مطمئنة ، وبها تمار الشام ومصر ، فان بها الجوز والموز والتلج والقصب ، والمياه جارية فيها تصعد إلى أماكن عالية ، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة ، ثم صارت بلياً واحداً ، ثم حوت من موضعها كاسياتى الآن . ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت البشارى وزينت البلاد وفرح الناس فرحاً شديداً والله الحمد والمنة .

ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلدة بما فيها من العمار والهدور والأسوار الحصينة التى كانت عليها ، وأن يبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن ، ففعل ذلك ، فبنى هذه البلدة التى يقال لها طرابلس ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً أسروراً مجبوراً ، فسفلها يوم النصف من جمادى الآخرة ، ولسكنه فوض الأمور والكلام فى الأموال فيها إلى علم الدين

الشجاعى ، فصادر جماعة وجمع أموالا كثيرة ، وحصل بسبب ذلك أذى الخلق ، وبئس هذا الصنيع
 فان ذلك تمجيد لعمار الظالم وهلاكه ، فلم ينن عن المنصور ما جمع له الشجاعى من الأموال شيئا ،
 فانه لم يمش بعد ذلك إلا اليسير حتى أخذه الله أخذ القرى وهى ظلمة ، كما سيأتى . ثم سافر السلطان
 فى ثاقى شبان بجيشه إلى الفياد المصرية ، فدخلها فى أواخر شعبان . وفيها فتحت قلاع كثيرة بتأحية
 حلب : كركر ، وذلك النواحي ، وكسرت طائفة من التتر هناك ، وقتل ملكهم خر بندا نائب التتر
 على ملطية .

وفىها تولى الحسية بدمشق جمال الدين يوسف بن التقي توبة التكرى ثم أخذه بعد شهر وتاج
 الدين الشيرازى . وفيها وضع منبر عند محراب الصحابة بسبب حمارة كانت فى المقصورة ، فصلى
 برهان الدين الاسكندرى نائب الخطيب بالناس هناك مدة شهر ، الجماعات والجمعات ، ابتدؤا ذلك
 من يوم الجمعة الثانى والعشرين من ذى الحجة .

وعن توفى فيها من الأعيان (الشيخة فاطمة بنت الشيخ إبراهيم الزمبى)
 زوجة النجم بن إسرائيل ، كانت من بيت الفقهاء سلطنة وإقدام وترجمة وكلام فى طريقة الحريرية
 وغيرهم ، وحضر جنازتها خلق كثير ، ودفنت عند الشيخ رسلان .

(الكلام فى ابن الصاحب)

الشيخ الملقب ، هو الشيخ الفاضل علم الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر ، كان من
 بيت علم ورياسة ، وقد درس فى بعض المدارس ، وكانت له وجهة ورياسة ، ثم ترك ذلك كله وأقبل
 على الحرفة ومحبة الحرافيش والتشبه بهم فى اللباس والطريقة ، وأكل الحشيش واستعمله ، كان من
 الفهم فى الخلاء والمجون والزوائد الزائفة الفاتحة التى لا يلحق فى كثير منها ، وقد كان له أولاد
 فضلاء ينهونه عن ذلك فلم يلتفت إليهم ، ولم يزل ذلك دأبه حتى توفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين
 من ربيع الأول . ولما دلى القضاة الأريفة كان ابن خالته تاج الدين بن بنت الأعرز مستقلا فى
 القضاء قبل ذلك ، قال له ابن الصاحب المذكور : ما مت حتى رأيته صاحب ربيع ، فقال له : تسكت
 وإلا خليتهم يفتونك السم ، فقال له : فى قلة دينك تغفل ، وفى قلة عقولهم يسموا منك ، وقال
 بدمع الحشيشة الغليظة :

فى خمار الحشيش معنى مراى • يا أهبل القول والافهم
 حرمرها عن غير عقل وقل • وحرام تحريم غير الحرام
 وله أيضاً : يا نفس ملى إلى التصايب • فاقه منه التقي يعيش
 ولا تحلى من سكر يوم • إن أعوز الحر فالحشيش

وله أيضاً: جمعت بين الحشيش والخمر • فرحت لا أعتدى من السكر

يا من يريى ليلب مدرستى • يرمج والله غاية الأجر

وقال يهجو الصاحب بهاء الدين بن الحنا .

أقمده بها وتنها • لا بد أن تتنى • تكتب على بن محمد • من ابنك يا ابن حنا

فاستدعه فضر به ثم أمر به إلى المارستان فكش فيه سنة ثم أطلق .

﴿ قمس الدين الاصبهاني ﴾

شارح الحصول : محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلطاني العلامة ، قدم دمشق بعد الحسين وسنائة ، وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله ، وسمع الحديث وشرح الحصول للرازي ، ووصف القواعد في أربعة فنون ، أصول الفقه ، وأصول الدين ، والمنطق ، والخلاف . وله معرفة جيدة في المنطق والنحو والأدب ، وقد رحل إلى مصر فدرس بمشهد الحسين والشافعي وغيرها ، ورحل إليه الطلبة ، توفي في العشرين من رجب في القاهرة عن ثنتين وسبعين سنة .

﴿ الشمس محمد بن المغيرة ﴾

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي النلساني ، الشاعر الملقب ، كانت وفاته في حياة أبيه فتألم له ووجد عليه وجدا شديدا ، وركله بأشعار كثيرة ، توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من رجب ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بالصوفية . فن رائق شعره قوله :

وإن تنالني نجوم لبدري • وهن لقد الحسن فيه فرائد

وكم يتجافى خصره وهو نازل • وكم يتحلى ثفري وهو بارد

وله ينم الحشيشة :

ما الحشيشة فضل عند آكلها • لكنه غير مصروف إلى رشده

صفراء في وجهه خضراء في فقه • حمراء في عينه سوداء في كبده

ومن شعره أيضاً : بدا وجهه من فوق ذابل خده • وقد لاح من سودا القواثب في جنح

قلبت عجيب كيف لم يذهب الدجا • وقد طلمت قمس التهار على رمح

وله من جملة أبيات .

ما أنت عندى والقضيه • يا الدين في حدسوى • هنالك حركة الهوا • وانت حركت الموى

﴿ الملك المنصور شهاب الدين ﴾

محمود بن الملك الصالح إسماعيل بن المادل ، توفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن من يومه بقرية جنده ، وكان ناظرها ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان يحب أهلها ،

وكان فيه لطف وتواضع . (الشيخ نضر الدين أبو محمد)

عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي الحنبلي ، شيخ دار الحديث النورية ومشهد ابن عروة ، وشيخ الصدرية ، كان يفتي ويؤيد الناس مع ديانة وصلاح وزهادة وعبادة ، وله سنة إحدى عشرة وستة ، وتوفي في رجب منها . (ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستة)

فيها كانت وفاة الملك المنصور قلاوون ، وكان الخليفة الحاكم المباسي ، وقائب معمر حسام الدين طرقاتي ، وقائب الشام حسام الدين لاجين ، وقضاة الشام شهاب الدين بن الخوى الشافعي ، وحسام الدين الحنفي ، ونجم الدين بن شيخ الجبل ، وجبال الدين الزواوي المالكي ، وجاء البريد يطالب فمس الدين منفر الأشقر إلى الديار المصرية ، فأكرمه السلطان وقواه وشديده وأمره باستخلاص الأموال ، وزاده مشهد الجبوش ، والكلام على الحصون إلى البيرة وكنتا وغير ذلك ، فقويت نفسه وزاد تجربته . ولكن كان يرجع إلى مروءة وسرور وينفع من ينسى إليه ، وذلك مودة في الدنيا في أيام قلاوون ، وفي جادى الآخرة جاء البريد بالكشف على ناصر الدين المقدسي وكيل بيت المال ، وناظر الخاوص ، فظهرت عليه مخازي من أكل الأوقاف وغيرها ، فرسم عليه بالمرأوة وطولب بتلك الأموال وضيق عليه ، وعمل فيه سيف الدين أبو المباس السامري قعيدة يفتي فيها لما كان أسدي إليه من الظلم والأيذاء ، مع أنه راح إليه وتتم له وتمارحاً هناك ، ثم جاء البريد يطلبه إلى الديار المصرية تغاف التواب من ذهابه ، فأصبح يوم الجمعة وهو مشنوق بالمدرسة السمرأوية ، فطلبت القضاة والشهود فشاهدوه كذلك ، ثم جهز وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر الصوفية عند أبيه ، وكان مدرساً بالرواحية وتربة أم الصالح ، مع الكالتين والنظر .

وجاء البريد بعمل مجانبق لحصار عكا فركب الأعسر إلى أراضى بعلبك لما هناك من الاخشاب العظيمة التي لا يوجد مثلها بدمشق ، وهي تصلح لذلك ، فكثرت الجنائيات والجبايات والسخر ، وكلفوا الناس تكليفاً كثيراً ، وأخذوا أخشاب الناس ، وحملت إلى دمشق بكلفة عظيمة وشدة كثيرة ، فأنه وإنا إليه راجعون .

(وفاة الملك المنصور قلاوون)

بينما الناس في هذا المم والمصادرات وأمثال ذلك إذ وردت بردية فأخبروا بوفاة الملك المنصور يوم السبت سادس ذى القعدة من هذه السنة ، بالتحميم ظاهر القاهرة ، ثم حل إلى قلعة الجبل ليلاً وجلس بعده ولده الملك الأشرف خليل بولاية المهد له ، وحلف له جميع الأمراء ، وخطب له على المنابر ، وركب في أبهة الملك ، والساكر كلهم في خدمته مشاة من قلعة الجبل إلى الميدان الأسود الذي هو سوق الخليل ، وعلى الأمراء والمقدمين الخلع ، وعلى القضاة والأعيان ، ولما جاءت الأخبار

بذلك خاف له الامراء بالشام ، وقبض على حسام الدين طرقاتى نائب آييه وأخضعته أموالا جزيلة أفق منها على الساكر .

وفىها ولى خطابة دمشق زين الدين عمر بن مكى بن المرحل عوضا عن جمال الدين بن عبد الكافى وكان ذلك بمساعدة الأعرس ، وتولى نظر الجامع الرئيس وجيه الدين بن التجنى الخبيل ، عوضا عن ناصر الدين بن المقدسى ، وتمر وقته وعمره وزاد مائة وخمسين ألفا . وفىها احترقت دار صاحب حانة ، وذلك أنه وقع فيها نار في غيبته فلم يتجاسر أحد بدخلها ، فعملت النار فيها يومين فاحترقت واحترق كل ما فيها .

وفى شوال درس بترية أم الصالح بعد ابن المقدسى القاضى لجام الدين التوتوى ، وفىها باشر الشرف حدين بن أحمد بن الشيخ أبى عمر قضاء الخطابة عوضا عن ابن عمه نجم الدين بن شيخ الجبل ، عن مرسوم الملك المنصور قبل وفاته . وحج بالناس فى هذه السنة من الشام الأمير بدر الدين بكتوت الدوباسى ، وحج قاضى القضاة شهاب الدين بن انطوى ، وقمس الدين بن السلموس ومقدم الركب الأمير عتبة ، فتوهم منه أبو نعي ، وكان بينهما عداوة ، فأغلق أبواب مكة ومنع الناس من دخولها فحرق الباب وقتل جماعة ونهب بعض الاماكن ، وجرت خطوب فظيمة ، ثم أرسلوا القاضى ابن انطوى ليصلح بين الفريقين ، ولما استقر عند أبى نعي رحل الركوب وبقي هو فى الحرم وحده وأرسل معه أبو نعي من ألحقه بهم سالما مطلقا . وجاء الخبر بموت المنصور إلى الناس وهم يرفقون وهذا شئ عجيب . وجاء كتاب يستحث الوزير ابن السلموس فى السير إلى الديار المصرية ، وبين الأسطر بخط الملك الأشرف نيا شقيقه يا وجه الخير احضر لتسلم الوزارة . فساق إلى القاهرة فوصلها يوم الثلاثاء عاشر المحرم ، فسلم الوزارة كما قال السلطان .

ومن توفى فيها من الأعيان . (السلطان الملك المنصور قلاوون)

ابن عبد الله التركى الصالحى الأتقى ، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن المادل أبى بكر بن أيوب ، بألفى دينار ، وكان من أكابر الأمراء عنده وبسده ، ولما تزوج الملك السعيد بن الظاهر بأبنته غازية خاتون ، عظم شأنه جدا عند الظاهر ، وما زال يترفع فى الدولة حتى صار أتابك سلاش بن الظاهر ، ثم رضى من الدين واستقل بالملك فى سنة أربع وعثمانين ، وفتح طرابلس سنة ثمان وعثمانين بمهزم على فتح عكا وبرز إليها فاجلته المنية فى السادس والعشرين من ذى القعدة ، ودفن بترتبه بمدرسه الهائلة التى أنشأها بين القصرين ، التى ليس بدير مصر ولا بالشام مثله . وفىها دار حديث ومارستان . وعليها أوقاف دارة كثيرة عظيمة عملت عن قريب من ستين سنة وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة ، وكان حسن الصورة مهيبا ، عليه أبهة السلطنة

ومهاية الملك ، فلم القامة حسن الحجة على الهمة شجاعا وقورا سامحه الله .

(الأمير حسام الدين طرقاتى)

قائب السلطنة المنصورية بمصر ، أخذه الأشراف فجنه فى قلعة الجبل ، ثم قتله وبقى ثمانية أيام لا يدري به ، ثم لف فى حصير وألقى على مزبلة ، وحزن عليه بعض الناس ، فكفن كآحاد القراء بعد التعميم الكثير ، والدنيا المتسمة ، والكلمة النافذة ، وقد أخذ السلطان من حواصله سبائة ألف دينار وسبعين قنطاراً بالمصرى فضة ، ومن الجواهر شيئا كثيرا ، سوى الخيل والبغال والجمال والأمتة والبسط الجياد ، والأسلحة الثمينة ، وغير ذلك من الحواصل والأماك بمصر والشام ، وترك ودين أحدهما أعمى ، وقد دخل هذا الأعمى على الأشراف فوضع المنديل على وجهه وقال شئ لله وذكر له أن لم أيلما لا يجيدون شيئا يأكلونه ، فرق له وأطلق لهم الاملاك يأكلون من ريعها ، فسيحان الله المتصرف فى خلقه بما يشاء ، يمز من يشاء وينل من يشاء .

(الشيخ الامام العلامة)

رشيد الدين عمر بن إسماعيل بن مسعود الفاروق الشافى ، مدرس الظاهرية ، توفى بها وقد جاوز التسعين ، وجد مخنوقا فى الحرم ، ودفن بالصوفية ، وقد سمع الحديث وكان منفردا فى فنون من العلوم كثيرة ، منها علم النحو والأدب وحل المترجم والكتابة والانشاء وعلم الفلك والنجوم وضرب الرمل والحساب وغير ذلك ، وله نظم حسن .

(الخطيب جمال الدين أبو محمد)

عبد الكافى بن عبد الملك بن عبد الكافى الربيع ، توفى بدار الخطابة وحضر الناس الصلاة عليه يوم السبت سبعمائة وخمسة وأولى ، وحمل إلى السفح فدفن إلى جانب الشيخ يوسف الفقاهى .

(نضر الدين أبو الظاهر إسماعيل)

ابن عز القضاة أبى الحسن على بن محمد بن عبد الواحد بن أبى العين ، الشيخ الزاهد المتكلم من متابع الدنيا ، توفى فى العشرين من رمضان ، وصلى عليه فى الجامع ، ودفن بقرية بنى الزكى بقاسيون محبة فى عجمي الدين بن عرقى ، فانه كان يكتب من كلامه كل يوم ورقتين ، ومن الحديث ورقتين وكان مع هذا يحسن الظن به ، وكان يصلى مع الأئمة كلهم بالجامع ، وقد أخبر عنه بعض العلماء أنه رأى بخطه . وفى كل شئ له آية • تدل على أنه عينه

وقد صحح على « عينه » وإتمام الصحيح الروى عن أنشد هذا الشعر

• تدل على أنه واحد •

وله شعر فنه : والله منجن فى التصون هوى • فراح فى قلبه بمنها

فقل منه التسليم عاشقها • فجاء عن وصله يملها
 وله أيضا : لما تحقق بالإمكان فوقكم • وقد بدا حكه في عالم الصور
 فيز الجع عنه وهو متخذ • فلاح فرقكم في عالم الصور
 وله : لي سادة لا أرى سوام • هم عين منلى وعين جوف
 لقدأ حطلوا بكل جزء • متى وعزوا من درك طرف
 هم نظروا في حوم قرى • وطول ذلى وفرط ضعى
 فسلوا بيحت جود • وصرف بروعض لطف
 فلا تلم إن جررت ذبيل • نغراً بهم أو ثقت عناقى
 مواهب ذى الجلال لدى ترى • قد أغرستى ونطقن شكا
 وله : فتمى إثر نسي إثر نسي • وبشرى بمدبشرى بمدبشرى
 لما بده وليس لما انتهاء • يعم مزيدها دنيا وأخرى

﴿ الحاج طيرس بن عبد الله ﴾

علاء الدين الوزير ، صهر الملك الظاهر ، كن من أكابر الأمراء ذوى المل والنفذ ، وكان ديناً
 كثير الصدقات ، له خان بمدشق أوقفه ، وله في فكك الأسرى وغير ذلك ، وأوصى عند موته
 بثلاثة ألف تصرف على الجند بالشام ومصر ، فحصل لكل جندي خمسون درهما ، وكانت وفاته
 في ذى الحجة ، ودفن بترابته بسفح المقطم .

﴿ قاضى القضاة ﴾

نجم الدين أبو العباس بن الشيخ قيس الدين بن أبي عمر المقدسى ، توفي ثلثي عشر رجب
 بسوا ، وكان فاضلاً زاهياً خطيباً مدرساً بأكثر المدارس ، وهو شيخ الحنابلة وابن شيخهم ، وتولى
 بعده القضاء الشيخ شرف الدين حسين بن عبد الله بن أبي عمر ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين وسبعمائة من الهجرة ﴾

فيها فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج من مدد متطلولة ، ولم يبق لهم فيها
 حجر واحد والله الحمد والمنة

استبليت هذه السنة والغلبة الحاكم بأمر الله أبو العباس الملبس ، وسلطان البلاد الملك الأشرف
 خليل بن المنصور قلاوون ، ونائبه بمصر وأعمالها بدر الدين يسدرا ، ووزيره ابن السلوس
 الصاحب قيس الدين ، وقائمه بالشام حسام الدين لاجين السلحدارى المنصورى ، وقضاة الشام

هم المذكورون في التي قبلها، وصاحب اليمن الملك المظفر فخر الدين يوسف بن المنصور نور الدين
عمر بن علي بن رسول، وصاحب مكة نجم الدين أبو نعيم محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسيني،
وصاحب المدينة عز الدين جلال بن شعبة الحسيني، وصاحب الروم فيكت الدين كنجسر، وهو
ابن ركن الدين قلع أرسلان السلجوقي، وصاحب حماة تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر
الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمد، وسلطان بلاد العراق وخراسان وتلك النواحي أرغون بن
أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكزخان.

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور بأموال كثيرة جداً من الذهب
والفضة، وأُنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة فدفن بها تحت القبة، ونزل في قبره بدر الدين
بيدرا، وعلم الدين الشجاعى، وفرت صدقات كثيرة حينئذ، ولما قدم الصاحب فخر الدين بن
السلجوس من الحجاز خلع عليه الوزارة، وكتب تقليده بها القاضي عيسى الدين بن عبد الظاهر
كاتب الانشايه، وركب الوزير في أبهة الوزارة إلى داره، وحكم. ولما كان يوم الجمعة قبض على
فخر الدين سنقر الأشقر وسيف الدين بن جرمك الناصرى، وأفرج عن الأمير زين الدين كتبغا
وكان قد قبض عليه مع طرقلای بورد عليه أقطاعه، وأعيد التقي توبة إلى وزارة دمشق مرة أخرى.
وفيها أثبت ابن الخوى محضراً يتضمن أن يكون تدريس الناصرية لقاضي الشافعى وانضمها من
زين الدين الفارق.

(ذكر فتح عكا وبقية السواحل)

وفيها جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا، ونودي في
دمشق النزاة في سبيل الله إلى عكا، وقد كان أهل عكا في هذا الحين عدوا على من عندهم من تجار
المسلمين قتلهم وأخذوا أموالهم، فأبرزت المناجيق إلى ناحية الجسورة، وخرجت العملة والمنطوعة
يجرون في العجل حتى التقاهم المدرسين والصالحاء، وتولى ساقها الأمير علم الدين الدويدارى،
وخرجت المساكر بين يدي نائب الشام، وخرج هوفى آخرهم، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر
وخرج الناس من كل صوب، واتصل بهم عسكر طرابلس، وركب الأشرف من الديار المصرية
بساكره قاصداً عكا، فتوافت الجيوش هناك، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر ونصبت
عليها المناجيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق
على أهلها، واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيف البخارى، قرأه الشيخ شرف الدين التزاري،
فحضر القضاة والفضلاء والأعيان. وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخبط من نائب الشام حسام الدين
لاجين، فتوهم أن السلطان يريد مسكه، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذى يقال له أبو خرس،
فركب هاربا فرقه علم الدين الدويدارى بالمسا به وجاء به إلى السلطان فطلب قلبه وخلع عليه ثم

أسسها بعد ثلاثة أيام و بنى إلى قلعة صمد واحتاط على حواصله، ورسم على أستاذ داره بدر الدين بكداش، وجرى مالا يليق وقومه هناك، إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار. وصمم السلطان على الحصار فرتب الكوسات ثلثة حمل، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ودقت الكوسات جعة واحدة عند طلوع الشمس، وطلع المسلمون على الأسوار مع طلوع الشمس، ونصبت السناجق الإسلامية فوق أسوار البلدة، فولت الفرنج عند ذلك الأدبار، وركبوا هاربين في مراكب التجار، وقتل منهم عدد لا يحصى إلا الله تعالى، وغنموا من الأمتة والرقيق والبضائع شيئاً كثيراً جداً، وأمر السلطان يهدمها ويغيرها، بحيث لا ينتفع بها بعد ذلك، فيسرقه فتحها نهار الجمعة، كما أخفنها الفرنج من المسلمين في يوم الجمعة، وصلت صور وصيدا قياهما إلى الأشرف، فاستوقف الساحل للمسلمين، وتنتظف من الكافرين، وقطع دابر التتوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وجاءت البطاقة إلى دمشق بذلك ففرح المسلمون، ودقت البشائر في سائر الحصون، وزينت البلاد ليتنزه فيها الناظر ونال الفرنجون، وأرسل السلطان إلى صور أمير أهدم أسوارها وعفا آكارها. وقد كان لها في أيدي الفرنج من ستة مئز عشرة وخمسة. وأما عكا فقد كان الملك الناصر يوسف بن أيوب أخذها من أيدي الفرنج، ثم إن الفرنج جاؤا فأحاطوا بها بجيوش كثيرة، ثم جاء صلاح الدين ليانهم عنهم مدة سبعة وثلاثين شهراً، ثم آخر ذلك استملكوها وقتلوا من كان فيها من المسلمين، كما تقدم ذلك.

ثم إن السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سار من عكا قادماً دمشق في أبهة الملك وحرمة وافرة، وفي صحبته وزيره ابن السلموس والجيوش المنصورة، وفي هذا اليوم استناب بالشام الأمير علم الدين سنجر الشجاع، وسكن بدار السعادة، وزيد في إقطاعه حرساً ولم تقطع لنهره، وإنما كانت لمصالح حواصل القلعة، وجعل له في كل يوم ثلثة على دار الطعام، وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة، وأرسله السلطان إلى صيدا لأنه كان قد بقي بها برج عصى، فتحته ودقت البشائر بسببه، ثم عاد سريعاً إلى السلطان فودعه، وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب، وبنى إلى بيروت ليفتحها فسار إليها ففتحها في أقرب وقت، وصلت عنتيلة وانطوطوس وجبيل. ولم يبق بالسواحل وجه الحمد مقل فرنج إلا بأيدي المسلمين وبأراح الله منهم البلاد والعباد، ودخل السلطان إلى القاهرة في تاسع شعبان في أبهة عظيمة جداً، وكان يوماً مشهوداً. وأخرج عن بدر الدين يسرى بعد سجن سبع سنين. ورجع علم الدين سنجر الشجاع نائب دمشق إلى دمشق في سابع عشرين الشهر المذكور، وقد نظف السواحل من الفرنج بالكلية، ولم يبق لهم بها حجر. وفي رابع رمضان أخرج عن حسام الدين لاجين من قلعة صمد ومعه جماعة

أمره ، ورد عليهم إقطاعهم ، وأحسن إليهم وأكرمهم .

وفي أوائل رمضان طلب القاضي بدر الدين ابن جماعة من القمى الشريف وهو حاكم به ، وخطيب فيه ، على البريد إلى الديار المصرية فدخلها في رابع عشره ، وأفطر ليلته عند الوزير ابن السلوس وأكرمهم جداً واحترمه ، وكانت ليلة الجمعة ، فصرح الوزير بمزل تقي الدين ابن بنت الاعز وتولية ابن جماعة بالديار المصرية قضاء القضاة ، وجاء القضاة إلى تهنئته وأصبح الشهود بخمسة ، ومع القضاة خطابة الجامع الأزهر ، وتدرّس الصلحية ، وركب في الخلة والطرح ورسم ليلية القضاة أن يستمروا بلبس الطرحات ، وذهب يخطب بالجامع الأزهر ، وانتقل إلى الصلحية ودرس بها في الجمعة الأخرى وكان درساً حافلاً ، ولما كان يوم الجمعة رسم السلطان للحاكم بأمر الله أن يخطب هو بنفسه الناس يومئذ وأن يذكر في خطبته أنه قد ولي السلطنة للأشرف خليل بن المنصور ، فلبس خلة سوداء وخطب الناس بالخطبة التي كان يخطب بها في الدولة الظاهرية ، وكانت من إنشاء الشيخ شرف الدين القمى في سنة ستين وسبعمائة ، فيكون بين الخطبتين أزيد من ثلاثين سنة ، وذلك بجامع قلعة الجبل ، ثم استمر ابن جماعة يخطب بالقلعة عند السلطان ، وكان يستتيب في الجامع الأزهر .

وأما ابن بنت الأعز فنال من الوزير إخراجاً ومصادرة وإهانة بالفة ، ولم يترك له من مناصبه شيئاً ، وكان يبدع سبعة عشر منصباً منها القضاء والخطابة ونظر الأجناس ومشيشة الشيوخ ، ونظر الخزانة وتداريس كبار ، ومصادره بنحو من أربعين ألف ، غير مراجه وأشباه كثيرة ، ولم يظهر منه استكانة ولا خضوع ، ثم عارضه عنه وولاه تدريس للقاضي ، وعملت ختمة عند قبر المنصور في ليلة الاثنين رابع ذي القعدة وحضرها القضاة والأمراء ، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت السحر ، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة ، حرض الناس على غزو بلاد العراق واستنقاذها من أيدي التتر ، وقد كان الخليفة قبل ذلك محتجباً فرأه الناس جبهة ، وركب في الأسواق بعد ذلك . وعمل أهل دمشق ختمة عظيمة بالميدان الأخضر إلى جانب القصر الأبلق ، قرئت ختمات كثيرة ثم خطب الناس بعدها الشيخ عز الدين القاروقى ، ثم ابن البرزورى ، ثم تكلم من له عادة بالكلام وجاءت البريدية بالهيو لنزو العراق ، ونودي في الناس بذلك ، وعملت سلاسل عظام بسبب الجسورة على دجلة ببغداد ، وحصلت الأجور على المقصود وإن لم يقع المقصود ، وحصل لبعض الناس أذى بسبب ذلك .

وفيها نادى نائب الشام الشجاعى أن لا تلبس امرأة عملة كبيرة ، وخرب الأبقية التي على نهر بانياس والمجادول كلها والمسالح والسقايت التي على الأنهار كلها ، وأخرّب جسر الزلاية وما عليه من الدكاكين ، ونادى أن لا يمضى أحد بعد المشاء الآخرة ، ثم أطلق لهم هذه قط ، وأخرّب الحمام

الذى كان بناء الملك السعيد ظاهر باب النصر ، ولم يكن يمشق أحسن منه ، ووسع الميدان الأخضر من ناحية الشمال مقدار سبعة ، ولم يترك بينه وبين التهر الا مقداراً يسيراً ، وعمل هو بنفسه والأمرء بمحيطاته .

وفىها حبس جمال الدين آقوش الأفرم المنصورى وأميراً آخرمه فى القلعة .
وفىها حمل الأمير علم الدين الدوبدارى إلى القلعة المصرية مقيداً . وقد نظم الشيخ شهاب الدين محمود قصيدة فى فتح عكا .

الحمد لله زالت دولة الصلب * وعز بالترك دين المصطفى العربى
هنا الذى كانت الآمال لو طلبت * رؤيته فى النوم لاستجيت من الطلب
ما بهد عكا وقد هدت قواعدها * فى البحر للترك عند البر من أرب
لم يبق من بعدها لكفر إذ خربت * فى البحر والبر ما ينجى سوى الحرب
أم الحروب فكم قد أنشأت فتناً * شاب الوليد بها هولاً ولم تشب
ياوم عكا لقد أنسيت ما سبقت * به الفتح وما قد خط فى الكتب
لم يباغى التلحق حد الشكر فىك فسا * عسى يسوم به ذو الشعر والأدب
أغضيت عباد عيسى إذ أبدتهم * لله أى رضى فى ذلك الغضب
وأشرف الهادى المصطفى البشير على * ما أسلف الأشرف السلطان من قرب
قرر عينا لهذا الفتح وابتهجت * يشره الكعبة الفراء فى الحجب
وسارنى الأرض سيراً قد صممت به * فالبر فى طرب ، والبحر فى حرب

وهى طويلة جداً ، وله ولنسيره فى فتح عكا أشعار كثيرة . ولما رجع البريد أخبر بأن السلطان لما عاد إلى مصر خلع على وزيره ابن السلوس جميع ملابسه التى كانت عليه ، ومركوبه الذى كان تحته ، فركبه ورسم له بتأنيده وسبعين ألفاً من خزانة دمشق ، ليشترى له بها قرية فرحنا من بيت المال .

وفى هذه السنة انتهت عمارة قلعة حلب بعد اغتراب الذى أصابها من هولاء وأصحابه عام ثمان وخمسين . وفىها فى شوال شرع فى عمارة قلعة دمشق وبناء القصور السلطانية والطارمة والقبعة الزرقاء ، حسب ما رسم به السلطان الأشرف خليل بن قلاوون نائبه علم الدين سنجر الشجاعى . وفىها فى رمضان أعيد إلى نيابة القلعة الأمير أرجواش وأعطى إقطاعات سنية . وفىها أرسل الشيخ الرجبى من خزانة الشيخ بونس مضيئاً عليه عصفوراً إلى القاهرة ، وفىها درس عز الدين القارونى بالمدرسة النجيبية عوضاً عن كمال الدين ابن خلكان ، وفى ذلك اليوم درس نجم الدين مكى بالرواجية

عوضاً عن ناصر الدين ابن المقسى ، وفيه درس كمال الدين الطيب بالمدرسة الخوارية الطيبة ، وفي هذا الشهر درس الشيخ جلال الدين اغليازى بالخانوية البرانية ، وجمال الدين بن الناصر بقى بالفتحية ، وبرهان الدين الاسكندري بالقوصية التى بالجامع ، والشيخ نجم الدين القمشق بالشريفية عند حارة الغرباء . وفيها أعيدت الناصرة إلى الفاروق وفيه درس الأمانة القاضى نجم الدين ابن مصرى بعد ابن الزملكاني ، وأخذت منه العادلية للصغيرة لجمال الدين ابن الزملكاني .
وعمن توفي فيها من الأعيان : (أرغون بن أيضا ملك التتار)

كان شهياً شجاعاً صفاً كالدماء ، قتل عمه السلطان أحمد بن هولاكو ، فظلم في أعين المغول فلما كان في هذه السنة مات من شراب شربه فيه سم ، فتهمت المغول اليهود به - وكان وزيره سعد الدولة ابن الصفى يهودياً - قتلوا من اليهود خلقاً كثيراً ، ونهبوا منهم أموالاً عظيمة جداً في جميع مدائن العراق ، ثم اختلفوا فيمن يقيمونه بعده ، فالت طائفة إلى كيخسرو فأجلسوه على سرير المملكة ، فبقى مدة ، قبل سنة وقيل أقل من ذلك ، ثم قتلوه وملكوا بعده بيدرا . وجاء الخبر بوفاة أرغون إلى الملك الأشرف وهو محاصر عكا ففرح بذلك كثيراً ، وكانت مدة ملك أرغون ثمان سنين ، وقد وصفه بعض مؤرخى العراق بالعدل والسياسة الجيدة .

﴿ المسند المعمر الرحلة ﴾

نحضر الدين بن النجار وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقسى الخنبل المروفي بابن النجار ، ولد في سلع أو مستهل سنة ست وسبعين وخمسة ، وسمع الكثير ورحل مع أهله ، وكان رجلاً صالحاً عابداً زاهداً ورعاً ناسكاً ، تفرد بروايات كثيرة لطول عمره ، وخرجت له مشيخات وسمع منه الخلق الكثير والجم الغفير ، وكان منصوباً لذلك حق كبير وأسنّ وضمف عن الحركة ، وله شعر حسن ، منه قوله :

تكررت السنون على حتى * بليت وصرت من سقط المتاع

وقل النفع عندي غير أئى * أعلل بالرواية والسمع

فان يك خالصاً لله جزاء * وإن يك مائلاً ظلى ضياع

وله أيضاً : إليك اعتذارى من صلاتى قاعداً * وعجزى عن سى إلى الجمعات

وتركى صلاة الفرض في كل مسجد * تجتمع فيه الناس للصلوات

فيارب لا تحقت صلاتى ونجى * من النار واصفح لى عن المفوات

توفي ضحى نهار الأربعاء ثاني ربيع الآخر من هذه السنة ، عن خمس وتسعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن عند والده الشيخ شمس الدين أحمد بن عبد الواحد بسفح قاسيون .

(الشيخ تاج الدين الفزارى)

عبد الرحمن بن مبالغ بن ضياء الدين أبو عبد الفزارى ، الامام العلامة العالم ، شيخ الشافعية فى زمانه ، حاز قصب السبق دون أقرانه ، وهو والد شيخنا العلامة برهان الدين . كان مولد الشيخ تاج الدين فى سنة ثلاثين وستائة ، وتوفى ضحى الاثنين خمس جمادى الآخرة ، بالمدرسة البادرانية وصلى عليه بمد الظهر بالاموى ، تقدم الصلاة عليه قاضى القضاة شهاب الدين بن الخوي ، ثم صلى عليه عند جامع جراح الشيخ زين الدين الفارقى ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وكان يوما شديدا الزحام . وقد كان ممن اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة ، والأخلاق الطيبة ، وفصاحة المنطق ، وحسن التصنيف ، وعلم الهمزة ، وقته النفس ، وكتابه الألفية ائتمى جمع على أبواب التنبيه وصل فيه إلى باب النصب ، دليل على قوته وعلمه وقدره ، وقوة هته وفؤده نظره ، وأصفاهه بالاجتهاد الصحيح فى غالب ما سطره ، وقد انتفع به الناس ، وهو شيخ أكبر مشايخنا هو وعي الدين النووى ، وله اختصار الموضوعات لابن الجوزى ، وهو عندى بخطه ، وقد سمع الحديث الكثير وحضر عند ابن الزبيدي صحيح البخارى ، وسمع من ابن القتيب وابن الصلاح واشتغل عليه ، وعلى ابن عبد السلام وانتفع بهما ، وخرج له الحافظ علم الدين البرزالى أحد تلاميذه مشيخة فى عشرة أجزاء عن مائة شيخ فسمها عليه الأعيان : وله شرحه فنه :

فه أيام جمع الشمل ما برحت * بها الحوادث حتى أصبحت صمرا
ومبتدا الحزن من تاريخ مسألى * عنكم ، فلم ألقى لأعينا ولا أنرا
ياراحلين قدرتم فالتجاة لكم * ونحن للمجز لا نستعجز القدر

وقد ولى الدرس بعده بالبدرانية والحلقة والفتيا بالجامع وله شيخنا برهان الدين ، فشى على طريقة والده وهديه وسمته رحمه الله . وفى ثالث شعبان توفى

(الطيب الماهر عز الدين إبراهيم بن محمد بن طرخان)

السويدي الأنصارى ، ودفن بالفخ عن تسعين سنة ، وروى شيئا من الحديث ، وفاق أهل زمانه فى صناعة الطب ، وصنف كتباً فى ذلك ، وكان يرمى بقتل الدين وترك الصلوات وأخلخل فى العقيدة ، وإنكار أمور كثيرة مما يتعلق باليوم الآخر ، والله يحكم فيه وفى أمثاله بأمره العدل الذى لا يجور ولا يظلم . وفى شره ما يدل على قلة عقله ودينه وعلم إيمانه ، واعتراضه على تحريم الخمر ، وأنه قد طال رمضان عليه فى تركها وغير ذلك .

(الشيخ الامام العلامة)

علاء الدين أبو الحسن على بن الامام العلامة كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن

خلف الانصارى الزملى كاتى ، وقد درس بعد آبيه المذكور بالأمنية ، وكانت وفاة والده هنا ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر بالأمنية ، ودفن بقباب الصوفية عند والده الأمير الكبير بدر الدين على بن عبد الله الناصرى ، ناظر الرباط بالصالحية ، من وصية أستاذه ، وهو ألقى على الشيخ شرف الفزارى مشيخة الرباط بعد ابن الشريشى جمال الدين ، وقد دفن بالتربة الكبيرة داخل الرباط المذكور .

﴿ الشيخ الامام أبو حفص عمر بن يحيى بن عمر الكرخى ﴾

صهر الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وأحد تلاميذه ، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ومات يوم الاربعاء ثانى ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن إلى جانب ابن الصلاح .

﴿ الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر ﴾

الذى كان قد برز بالملك بعد أخيه الملك السعيد ، وجعل الملك المنصور قلاوون أتابكه ، ثم استقل قلاوون بالملك ، وأرسلهم إلى السرك ثم أعدم إلى القاهرة ثم سفرم الأشرف خليل فى أول دولته إلى بلاد الاشكرى من ناحية اصطنبول ، فأت سلامش هناك وبقي أخوه نجم الدين خضر وأهلهم بترك الناحية ، وقد كان سلامش من أحسن الناس شكلاً وأبهام منظرًا ، وقد اختلفت به خلق كثير ، والوطنية الذين يحبون المردان ، وشبه به الشعراء وكان عقلاً رئيساً مهيأً وقوراً

﴿ العفيف التلستانى ﴾

أبو الربيع سليمان بن على بن عبد الله بن على بن يس المابدى الكومى ثم التلستانى الشاعر المتقن المتقن فى علوم منها النحو والأدب والفقه والأصول ، وله فى ذلك مصنفات ، وله شرح مواقف النفر وشرح أسماء الله الحسنى ، وله ديوان مشهور ، ولولده محمد ديوان آخر وقد نسب هذا الرجل إلى عظام فى الأقوال والاعتقاد فى الحلال والأنجاد والزندقة والكفر الحظ ، وشهرته تفتى عن الاطياب فى ترجمته ، توفى يوم الاربعاء خادس رجب ودفن بالصوفية ، ويذكر عنه أنه عمل أربعين خلوّة كل خلوّة أربعين يوماً متتابعة فآله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة ﴾

فيها فتحت قلعة الروم وسلمان البلاد من دقة إلى مصر إلى أقصى بلاد الشام بأكملها وسواحل بلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون ، ووزيره فمس الدين بن السلوس ، وقضاة الشام ومصر المذكورون فى التوقيف ، وأتاب مصر بدر الدين بشار وأتاب الشام علم الدين سنجر الشجاعى ، وسلمان التريدار بن أرغون بن أيضا ، والمهارة فى الطامة وفى دور السلطانية بالقلعة . وفى عشرين المحرم وقع حريق عظيم بقلعة الجبل ببعض

الخرائن أنفأ شيئا كثيراً من الدخائر والنفائس والكتب . وفي التاسع والعشرين من ربيع الأول
خطب الخليفة الحاكم وحث في خطبته على الجهاد والتغير ، وصلى بهم الجمعة وجهر بالبسملة . وفي ليلة
السبت ثالث عشر صفر جرى بهذا الجزر الأحمر الذي يبأ البرادة من عكا ، فوضع في مكانه .
وفي ربيع الأول كل بناء الطارمة وما عندها من الدور والقبعة الزرقاء ، وجاءت في غاية الحسن
والكمال والارتفاع . وفي يوم الاثنين ثاني جمادى الأولى ذكر المدرس بالظاهرة الشيخ صفى الدين
محمد بن عبد الرحيم الأرموي ، عوضاً عن علاء الدين بن بنت الاعز . وفي هذا اليوم درس بالدولية
كمال الدين بن الزكي . وفي يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة درس بالنجبية الشيخ ضياء الدين
عبد العزيز العلوسي ، بمقتضى نزول الفارق له عنها . والله أعلم بالصواب .

(فتح قلعة الروم)

وفي ربيع الأول منها توجه السلطان الأشرف بالمسار نحو الشام فقدم دمشق ومعه وزيره ابن
السلوس فاستعرض الجيوش وأتفق فيهم أموالاً جزيلة ، ثم سار بهم نحو بلاد حلب ، ثم سار إلى
قلعة الروم فافتتحها بالسيف قهراً في يوم السبت حادي عشر رجب ، وجاءت البشارة بفلك إلى
دمشق ، وزينت البلدة سبعة أيام وبارك الله لجنش المسلمين في سعيهم ، وكان يوم السبت إلباعلى أهل
يوم الأحد ، وكان الفتح بعد حصار عظيم جداً ، مدة ثلاثين يوماً ، وكانت المنجنيقات تزيد على
ثلاثين منجنيقاً ، واستشهد من الأمراء شرف الدين بن الخطير ، وقتل من أهل البلدة خلق كثير
وغمم المسلمون منها شيئاً كثيراً ، ثم عاد السلطان إلى دمشق وترك الشجاعى بقلعة الروم يمسرون
ما وهى من قلعتهما بسبب رمى المنجنيقات عليها وقت الحصار ، وكان دخوله إلى دمشق بكرة يوم
الثلاثاء تاسع عشر شعبان ، فاحتفل الناس لدخوله ودعوا له وأحبهوه ، وكان يوماً مشهوراً بسط له كما
يسط له إذا قدم من بلاد المصرة ، وإنما كان ذلك بإشارة ابن السلوس ، فهو أول من بسط له ، وقد
كسر أبوه التتر على حمص ولم يسط له ، وكذلك الملك الظاهر كسر التتر والروم على البلستين عوفى
غير موطن ولم يسط له ، وهذه بدعة شماء قد أحدثها هذا الوزير للملك ، وفيها إسراف وضياح مال
وأشر وبطر ورياء وتكليف للناس ، وأخذ أموال ووضعا في غير مواضعها ، والله سبحانه سائله
عنها ، وقد ذهب وتركها يتوارثها الملوك والناس عنه ، وقد حصل للناس بسبب ذلك ظلم عظيم ،
فليتق العبد ربه ولا يحدث في الاسلام بسبب هواه ومراده نفسه ما يكون سبب مقت الله له ،
وإعراضه عنه ، فإن الدنيا لاتدوم لأحد ، ولا يدوم أحد فيها والله سبحانه أعلم .

وكان ملك قلة الروم مع السلطان أسيراً ، وكذلك رؤس أصحابه ، فدخل بهم دمشق وهم يحملون
رؤس أصحابهم على رؤس الزمالم ، وجهر السلطان طائفة من الجيش فخرجوا كسر وانوا الجزر بسبب

مما لا تتم ففرج قديما على المسلمين ، وكان مقدم الساكرو بنداروفى بحبته سنقر الأشقر ، وافر سنقر المنصورى الذى كان نائب حلب فزله عنها السلطان وولى مكانه سيف الدين بلبان البطاحى المنصورى ، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار ، فلما أحاطوا بالجبل ولم يبق إلا دمار أهليه حلوا فى القيل إلى بندار حلا كثيرا فقتل فى قضيتهم ، ثم انصرف بالجوش عنهم وعادوا إلى السلطان ، فتلقاهم السلطان وترجل السلطان إلى الأمير بندار وهو نائبه على مصر ، ثم ابن السلوس نبه السلطان على فعل بندار فلامه وعنفه ، فرض من ذلك مرضا شديدا أشقى به على الموت حتى قيل إنه مات ، ثم حو فى فعل ختمة عظيمة بجامع دمشق حضرها القضاة والأعيان ، وأشغل الجامع نظير ليلة النصف من شعبان ، وكان ذلك ليلة المشر الأول من رمضان ، وأطلق السلطان أهل الحبوس وترك بقية الضمان عن أبواب الجهات السلطانية ، وتصدق عنه بشئ كثير ، ونزل هو عن ضمانات كثيرة كان قد حاق فيها على أربابها ، وقد امتدح الشهاب محمود الملك الأشرف خليل على فتحه قلعة الروم بقصيدة هائلة فاضلة أولها :

لك الراية الصفراء يقسمها النصر • فن كيقبادان رآها ويخسرو
إذا خفت فى الأفق هُذب بنورها • هوى الشرك واستولى الهدى وأنجلي النفر
وإن نشرت مثل الاصابيل فى الوغى • جلى النعم من لآلاء طلمتها البدر
وإن يمت زروق المدى سار تحتها • كتاب خضر دوحها البيض والسمر
كأن مشار النعم ليل وحقها • بروق وأنت البدر والفلك المحتر
وقتح أنى فى إثر فتح كأنما • سماء بدت تترى كواكبها الزهر
فكم فطمت طوعا وكرها ماقلا • مضى الدهر عنها وهى عانة بكر
بذلت لها عزما فلولها مهابة • كساعها الحيا جاءتك تسمى ولا مهر
قصصت حى من قلعة الروم لم ينح • لنفرك إذ غرتهم المنل فاعتروا
ووالوم سرا ليخفوا أذام • وفى آخر الأمر استوى السرو والجهر
صرفت إليهم همة لو صرقها • إلى البحر لاستولى على مده الجزر
وما قلعة الروم التى حزت فتحها • وإن عظمت إلا إلى غيرها جسر
طليمة ما يأتى من الفتح بعدها • كالاح قبل الشمس فى الأفق الفجر
فصبتها بالجيش كالروض بهجة • سوارمه أنهاره والفتى الزهر
وأصبت بل كالبحر والبيض موجه • وجرد الزاكي السفن والخذ القد
وأغرقت بل كالليل هوج سيوفه • أهله والتبل أجمه الزهر

ولحظات لابل كالتهار شمسه * محياك والآصال راياتك الصفر
ليوث من الاثراك آجالها القنا * لها كل يوم في ذرى غفر غفر
فلا الريح يجرى بينهم لاشتباه كما * عليهم ولا ينهل من فوقهم قطر
عيون إذا الحرب العوان تعرضت * تلطمها بالنفس لم ينلها مهر
ترى الموت معقوداً بهم دب نبالم * إذا ما رماها القوس والنظر الشزر
ففي كل سرح غصن بان مهنف * وفي كل قوس مدد ساعد بدر
إذا صدموا شم الجبال تزلزلت * وأصبح ضلالت خيلهم الوعر
ولو وردت ماء الفرات خيولهم * قليل هنا قد كان فيما مضى نهر
أداروا بها سوراً فأضحت كخاتم * لدى خنصر أو تحت منطقة خصر
وأرخوا إليها من أكف بحارهم * سحاب ردى لم يخل من قطره قطر
كان المجانيق التي قرن حولها * رواعد سخط وبلها النار والصخر
أقامت صلاة الحرب ليلاصورها * فأكثرها شفع وأكبرها وتر
ودارت بها تلك النقوب فأسرفت * وليس عليها في القى فملت حجر
فأضحت بها كالصبي يخفى غرامه * حذار أعاليه وفي قلبه جمر
وشبت بها النيران حتى تمزقت * وباحت بما أخفته وانتهك السر
فلاذوا بذيل الغو منك فلم تجب * وجاهم لو لم يشب قصدكم مكر
وما كره الملل اشتغاك عنهم * بها عند ما فروا ولكنهم سروا
فأحرزتها بالسيف قهراً وهكذا * فتوحك فيما قد مضى كله قسر
وأضحت محمد لله ثغراً عنماً * تبعد القبال والمدي وهو مقر
فيا أشرف الاملاك فزت بفزوة * تحصل منها الفتح والذكر والأجر
لبهتيك عند المعافى أن دينه * توالى له في عين دولتك النصر
وبشراك أراضيت المسيح وأحمداً * وإن غضب اليمفور من ذاك والاكفر
فمن حيث ما تختار للأرض كلها * [تطيئك] والأمصار أجمعها مصر
ودم وابق للدنيا ليحيى بك الهدى * ويزهى على ماضي المصير بك المصير
حفت منها أشياء كثيرة .

وفيهاتولى خطابة قد شق الشيخ عز الدين أحد الغاروى الواسطى بعد وفاة زين الدين بن المرحل
وخطب واستقى بالناس فلم يسقوا ، ثم خطب مرة ثانية بعد ذلك بأيلم عند مسجد القدم ، فلم يسقوا

ثم أبطل الناس من غير دعاية واستقاية فسقوا ، ثم عزل الفاروقى بعد أيام بالخطيب موفق الدين أبى المالى محمد بن محمد بن عبد المنعم بن حسن المهراتى الحموى ، كان خطيب حماة ثم نقل إلى دمشق فى هذه السنة ، وقام وخطب وتآلم الفاروقى لذلك ودخل على السلطان واعتقد أن الوزير عزله من غير علمه ، فإذا هو قد شمر لذلك واعتبر بأنه إنما عزله لضعفه ، فذكر له أنه يصلى ليلة النصف مائة ركعة بمائة قل هو الله أحد ، فلم يقبلوا واستمروا بالحموى . وهذه دناءة وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروقى ، وأصاب السلطان فى عزله .

وفى هذا اليوم قبض السلطان على الأمير سنقر الأشقر وغيره فهرب هو والأمير حسام الدين لاجين السليحدارى ، فنادت عليه المنادية بدمشق : من أحضره فله ألف دينار ، ومن أخفاه شق ، وركب السلطان ومالكيه فى طلبه ، وصلى الخطيب بالناس فى الميدان الأخضر ، وعلى الناس كآبة بسبب تفرق الكلمة ، واضطراب الجيش ، واختبئ الناس ، فلما كان سادس شوال أسكت العرب سنقر الأشقر فردوه على السلطان فأرسله مقيدا إلى مصر . وفى هذا اليوم ولى السلطان نيابة دمشق ليز الدين أيبك الحموى ، عوضا عن الشجاعى ، وقدم الشجاعى من الروم ثانى يوم عزله فنقلاه الفاروقى فقال : قد عزلنا من الخطابة ، فقال ونحن من النيابة ، فقال الفاروقى (عسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) فلما بلغ ابن السلوس نقض عليه وكان قد عين له التيمرية ترك ذلك ، وسافر السلطان عاشر شوال إلى مصر فدخلها فى أبهة الملك ، وفى يوم دخوله أقطع قرا سنقر ^{مسيح} حاكم فارس بمصر عوضا عن نيابة حلب ، وفى هذه السنة اشترى الأمير سيف الدين طغاي الأشقرى قيسارية القطن المروقة بإنشاء الملك المعظم بن العادل من بيت المال ، بمرسوم من السلطان ، وكان حظيا عنده ، ونقل سوق الحرير بين تلك المدة إليها ، وكان السلطان قد أخرج عن علم الدين الدوبدارى بعد رجوعه من قلعة الروم واستحضره إلى دمشق وخلع عليه واستصحبه معه إلى القاهرة ، وأقطع ^{مسيح} مائة فارس ، وولاه مشد الدواوين مكرها .

وفى ذى القعدة استحضر السلطان سنقر الأشقر ومقصروا فعاقبهما فاعترفا بأنهما أرادا قتله ، فسألما عن لاجين فقالا : لم يكن معنا ولا علم له بهذا ، فغنتهما وأطلقه بعد ما جعل الوزير فى حلقه ، وكان قد بقى له مدة لا بد أن ييلتها ، وقد ملك بعد ذلك كما سئد ذكره إن شاء الله تعالى .

وفى ذى الحجة عقد الشيخ برهان الدين بن الشيخ تاج الدين عقده على بنت قاضى القضاة شهاب الدين الخوارزمى بالبلاذرية ، وكان حافلا . وفيها دخل الأمير سنقر الأعسر على بنت الوزير شمس الدين بن السلوس على صدق ألف دينار ، وعجل لها خمسمائة ، وفيها قفز جماعة من التتر نحواً من ثلثمائة إلى الفيوم المصرية فأكرموا .

ومن توفي فيها من الاعيان . (الخطيب زين الدين أبو حفص)

عمر بن مكي بن عبد الصمد الشافعي المعروف بابن المرحل ، وهو والد الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، جمع الحديث وبرع في الفقه وفي علوم شتى ، منها علم الهيئة وله فيه مصنف ، تولى خطابة دمشق ودرس وأفتى ، توفي ليلة السبت الثالث والعشرين من ربيع الأول ، وصلى عليه من التند بياب الخطابة .

(الشيخ عز الدين الفاروقى)

ولى الخطابة قليلا ثم عزل ثم مات ودفن بياب الصغير عفا الله عنا وعنه .

(صاحب فتح الدين أبو عبد الله)

محمد بن محيى الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر ، كاتب الأسرار فى الدولة النصرية بعد ابن قزمان وكان ماهراً فى هذه الصناعة ، وحظى عند المنصور وكنا عند ابنه الأشرف ، وقد طلب منه ابن السلوس أن يقرأ عليه كل ما يكتبه ، قال : هذا لا يمكن فإن أسرار الملوك لا يطلع عليها غيرهم ، وابتصروا لسمك غيرى يكون معكم بهذه المثابة ، فلما بلغ ذلك الأشرف أعجبه منه وازدادت عنده منزلته ، توفي يوم السبت نصف رمضان ، وأخرجت فى تركته قصيدة قد رثا بها تاج الدين بن الأثير وكان قد شوش فاعتقد أنه يموت فصورى فبقيت بعده ، وتولى ابن الأثير بعده ورثاه تاج الدين كارتاه وتولى ابن الأثير بعده بشهر وأربعة أيام .

(يونس بن علي بن رضوان بن برقى)

الأمير عماد الدين ، كان أحد الأمراء بطليحانة فى الدولة الناصرية ، ثم حمل وبطل الجندية بالكلية فى الدولة المظفرية وهلم جرا إلى هذه السنة ، وكان الظاهر يكرمه ، توفي فى شوال ودفن عند والده بقرية الخزيميين رحمهم الله .

(جلال الدين الخلبازى)

عمر بن محمد بن عمر أبو محمد الخلبازى أحد مشايخ الحنفية الكبار ، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلاد بلخ قال لما خجنته ، واشتغل ودرس بخوارزم ، وأعاد يفتاد ، ثم قسم دمشق فدرس بالمزنية والخلاطونية البرانية ، وكان فاضلاً بارعاً منصفاً مصنفاً فى فنون كثيرة ، تولى خمس بقين من ذى الحجة منها ، وله فقتان وستون سنة ، ودفن بالصوفية .

(الملك المظفر)

قرأ أرسلا ن الأفرىقى ، صاحب ماردىن ، توفي وله ثمانون سنة وقام بعده والده شمس الدين داود وكتب بالملك السيد والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة فنتين وتسعين وسبائة ﴾

في تاريخ ظهور الدين السكازروني ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في هذه السنة فظلم ما كان في سنة أربع وخسين على حقها ، إلا أن هذه النار كان يملو عليها كثيراً ، وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف ، واستمرت ثلاثة أيام .

استهلت هذه السنة والخليفة الحاكم العباسي و سلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بمصر بدر الدين بيدرا ^(١) ، وبالشام عز الدين أيك الحوي ، وقضاة مصر والشام هم الدين كاتوا في التي قبلها ، والوزير قحس الدين بن السلوس . وفي جادى الآخرة قدم الأشرف دمشق فترزل في القصر الأبقى والميدان الأخضر ، وجيز الجيوش ونهياً لنزو بلاد سويس ، وقدم في غضون ذلك رسل صاحب بلاد سويس يطلبون الصلح ، فشفع الأمراء فيهم فسلموا يهنأ وتل حمدون . ومرعش ، وهي أكبر بلادهم وأحسنها وأحصنها ، وهي في قم المقدسة ، ثم ركب السلطان في ثاقى رجب نحو سلمية بأكثر الجيش صورة أنه يريد أن يصيب الأمير حسام الدين لاجين ، فأضافه الأمير منها بن عيسى ، فلما انقضت الضيافة أمسك له حسام الدين لاجين ، وكان عنده ، فجاء به فسمجه في قلعة دمشق وأمسك منها بن عيسى وولى مكانه محمد بن علي بن حذيفة ، ثم أرسل السلطان جمهور الجيش بين يديه إلى الديار المصرية بحجة نائبه بيدرا ، ووزيره ابن السلوس ، وتأخر هو في خاصيته ثم لحقهم .

وفي الحرم منها حكم القاضي حسام الدين الرازي الحنفي بالشرع بين العلويين والجمعيين في الدباغة التي كانوا يتنازعونها من مدة مائتي سنة ، وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس عشرين الحرم ، بدار الملل ، ولم يرافقه ابن الخوي ولا غيره ، وحكم للاعتناكيين بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار . وفيها رسم الأشرف بتخريب قلعة الشوبك فهدمت ، وكانت من أحسن القلاع وأمنها وأفضها ، وإنما خربها عن رأى عتبة النقيب ، ولم ينصح لسلطان فيها ولا للسليمان ، لأنها كانت شجى في حلق الأعراب الذين هناك . وفيها أرسل السلطان الأمير علم الدين الدويدارى إلى صاحب التسطنطينية وإلى أولاد بركة ومع الرسول تحفاً كثيرة جداً ، فلم ينفق خروجه حتى قتل السلطان ضاد إلى دمشق .

وفي طر جادى الأولى درس القاضي إمام الدين القزويني بالظاهرية البرانية . وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي الثاقى والمشرين من ذى الحجة يوم الاثنين طهر الملك الأشرف أخاه الملك الناصر محمد وابن أخيه الملك العظيم مظفر الدين موسى بن الصالح علي بن المنصور ، وعمل مهم عظيم ولعب الأشرف بالبقع وتمت لهم فرحة هائلة ، كانت كالوداع لسلطنته من الدنيا . وفي أول

(١) في شفرات القهب : بندار .

المحرم درس الشيخ فحمس الدين بن هاتم بالمصرونية ، وفي مستهل صفر درس الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني بالرواحية عوضاً عن نجم الدين بن مكي بحكم انتقاله إلى حلب وإعراضه عن المدرسة المذكورة ، ودخل الركب الشامي في آخر صفر ، وكان ممن حج في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وكان أميرهم الباسطي وتعلم في معان ربح شديدة جداً مات بسببها جماعة ، وحلت الريح جلاءً عن أماكنها ، وطارت البهائم عن الرؤس ، واشتغل كل أحد بنفسه . وفي صفر منها وقع بدمشق برد عظيم أفسد شيتنا كثيراً من الغلات بحيث يبيع القمح كل عشرة أواق بدينار ، ومات شيء كثير من الدواب ، وفيه زلزلت ناحية الكرك وسقط من تلفتينا أما كن كثيرة .

ومن توفي فيها من الأعيان (الشيخ الأرموي)

الشيخ الصالح القدوة العارف أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن يونس بن إبراهيم بن سلمان الأرموي ، المقيم بزاوية بسفح قاسيون ، كان فيه عبادة وانقطاع له أو راد وأذكار ، وكان محبباً إلى الناس ، توفي بالمحرم ودفن عند والده بالسفح .

(ابن الأعمى صاحب القامة)

الشيخ ظهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي القننام الحمصي المعروف بابن الأعمى ، ولد سنة عشرة وستائة ، وسمع الحديث وكان فاضلاً بارعاً له قصائد يمدح بها رسول الله ﷺ ، سماها الشفعية ، عدد كل قصيدة اثنتان وعشرون بيتاً . قال البرزالي : سمعته وله القامة البحرية المشهورة ، توفي في المحرم ودفن بالصوفية . (الملك الزاهر مجير الدين)

أبو سليمان داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حصص ابن ناصر الدين محمد بن الملك المعظم ، توفي ببستانه عن ثمانين سنة ، وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ودفن بترتبه بالسفح ، وكان دينياً كثير الصلاة في الجامع وله إجازة من المريد الطوسي وزيرب الشمرية وأبي روح وغيرهم . توفي في جمادى الآخرة . (الشيخ تقي الدين الواسطي)

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الحمصي الحنبلي ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق ، توفي يوم الجمعة آخر التهلر رابع عشرين جمادى الآخرة عن تسعين سنة ، وكان رجلاً صالحاً عابداً ، فخر بملأ الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد تهتق بيتداد ثم رحل إلى الشام ودرس بالصالحية مئة عشرين سنة ، وبمدرسة أبي عمر ، وولى في آخر عمره مشيخة الحديث بالظاهرية بعد سفر الفاروقى ، وكان داعية إلى منهج السلف والمصدر الأول ، وكان يعوذ المرضى ويشهد الجنائز ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان من خيار عباد الله تعالى رحمه الله . وقد درس بعده بالصالحية الشيخ فحمس الدين محمد بن عبد القوي المرادوى ، وبتدار الحديث الظاهرية

شرف الدين عمر بن خواجا إمام الجامع المعروف بالناصح .

(ابن صاحب حمة الملك الأفضل)

نور الدين علي بن الملك المنقز تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المنقز تقي الدين حمير بن شاهنشاه بن أيوب ، توفي بمدينة قوص وصلى عليه بجمعا ، وخرج به من باب الفرديس محولا إلى مدينة أبيه وترتبهم بها ، وهو والد الأميرين الكبيرين بدر الدين حسن ومحمد الدين إسماعيل الذي تملك حمة بعد مدة .

(ابن عبد الظاهر)

محيي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة السمدى ، كاتب الانشاء بالديار المصرية ، وآخر من برز في هذا الفن على أهل زمانه ، وسبق سائر أقرانه ، وهو والد الصاحب فتح الدين النديم ، وقد تقدم ذكر وفاته قبل والده ، وقد كانت له مصنفات منها سيرة الملك الظاهر ، وكان ذا مروءة ، وله للنظم الفائق والنثر الرائق . توفي يوم الثلاثاء رابع رجب وقد جاوز السبعين ، ودفن بقربه التي أنشأها بالقرافة .

(الأمير علم الدين سنجر الحلبي)

الذي كان نائب قطز على دمشق فلما جاءته بيعة الظاهر دعا لنفسه فبيع وتسمى بالملك المجاهد ثم حوصر وحرب إلى بعلبك فحوصر فأجاب إلى خدمة الظاهر فسيجته مدة وأطلقه وسجنه المنصور مدة وأطلقه الأشرف ، واحترمه وأكرمه ، بلغ الثمانين سنة ، وتوفي في هذه السنة .

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستائة)

في أولها كان مقتل الأشرف ، وذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث الحرم ، فلما كان بأرض بروج بالقرب من الاسكندرية ثاقى عشر الحرم ، حل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين اغترد عن جمهور الجيش ، فأول من صوبه نائبه بيدرا ، ونعم عليه لاجين المنصورى ، ثم اختفى إلى رمضان ، ثم ظهر يوم العيد ، وكان ممن اشترك في قتل الأشرف بدر الدين يسرى وقمس الدين قراستق المنصورى ، فلما قتل الأشرف اتفق الأمراء على تملك بيدرا ، وصحبه الملك الظاهر أو الواحد ، فلم يتم له ذلك ، فقتل في اليوم الثاقى بأمر كتبنا ، ثم اتفق زين الدين كتبنا ، وعلم الدين سنجر الشجاعى على أن يملكوا أخاه محمد الملك الناصر بن قلاوون ، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهوراً ، فأجلسوه على سرير المملكة يوم الرابع عشر من الحرم ، وكان الوزير ابن السلوس بالاسكندرية ، وكان قد خرج في محبة السلطان وتقدم هو إلى الاسكندرية فلم يشتر إلا وقد أحاط به البلاء ، وجاءه المناب من كل ناحية ، وذلك أنه كان يامل الأمراء الكبار بمعاملة

الصغار ، فأخذوه وتولى عقوبته من بينهم الشجاعى ف ضرب ضربا عظيما ، وقرر على الاموال ولم يزالوا يعاقبونه حتى كانت وفاته في عاشر صفر بعد أن احتيط على حواصله كلها . وأحضر جسد الأشرف فدفن بقرية ، وتأم الناس لقدمه وأعظموا قتله ، وقد كان شهيدا شجاعا على الهمة حسن المنظر ، كان قد عزم على غزو العراق واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار ، واستعد لذلك ونادى به في بلاده ، وقد فتح في مدة ملكه - وكانت ثلاث سنين - عكا وسائر السواحل ، ولم يترك لفرنج فيها مملعا ولا حجرا ، وفتح قلعة الروم وبهنا وغيرها .

فلما جاءت بيعة الناصر إلى دمشق خطب له بها على المنابر ، واستقر الحال على ذلك ، وجعل الأمير كتبنا أنابك ، والشجاعى مشورا كبيرا ، ثم قتل بعد أيام بقلعة الجبل ، وحمل رأسه إلى كتبنا فأمر أن يطاف به في البلد ، ففرح الناس بذلك وأعطوا الذين حملوا رأسه مالا ، ولم يبق لكتبنا منازع ، ومع هذا كان يشاور الأمراء تطييبا لقلوبهم .

وفي صفر بعد موت ابن السلوس عزل بدر الدين بن جماعة عن القضاء وأعيد تقي الدين بن بنت الاعز واستمر ابن جماعة مدرسا بمصر في كفاية ورياسة ، وتولى الوزارة بمصر صاحب تاج الدين ابن الحنا ، وفي ظهر يوم الاربعاء الحادى والعشرين من صفر رتب إمام بمحارب الصحابة ، وهو كمال الدين عبد الرحمن بن القاضى محيى الدين بن الزكى ، وصلى بعددته بعد الخطيب ، ورتب بالكتب الذى ييسب للناطليانيين إمام أيضا ، وهو ضياء الدين بن برهان الدين الاسكندرى ، وبشر نظر الجامع الشريف زين الدين حسين بن محمد بن عدنان ، وعاد سوق الحريريين إلى سوقه ، وأخلوا قيسارية القطن الذى كان نواب طنجةي أزموم بسكنائها ، وولى خطابة دمشق الشيخ العلامة شرف الدين أحمد بن جمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسى ، بعد عزل موفق الدين الحموى دعوه إلى حلة ثغاب المقدسى يوم الجمعة نصف رجب ، وقرئ تقليده وكانت ولايته بإشارة تاج الدين ابن الحنا الوزير بمصر ، وكان فصيحيا بليغا علما بارعا .

وفي أواخر رجب حلف الأمراء للأمير زين الدين كتبنا مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وصارت البيعة بذلك في سائر المدن والمعامل .

(واقعة عساف النصراني)

كان هذا الرجل من أهل السويداء قد شهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ ، وقد استجار عساف هذا بابن أحمد بن حبيب أمير آل على ، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ زين الدين الفاروق شيخ دار الحديث ، فدخلوا على الأمير عز الدين أبيك الحموى نائب السلطنة فكلما في أمره فأجابهما إلى ذلك ، وأرسل ليحضره فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس ،

فرأى الناس عساك حين قدم معه رجل من العرب فسبوه وشتموه ، فقال ذلك الرجل البدوي : هو خير منكم - . يعني النصراني - فرجعهما الناس بالحجارة ، وأصاب عساك وقت خبطة قوية فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والقارقي فضربهما بين يديه ، ورسم عليهما في العذراوية وقسم النصراني فأسلم وعقد مجلس بسببه ، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة ، فحقن دمه ، ثم استدعى بالشيخين فأرأهما وأطلقهما ، ولحق النصراني بعد ذلك يبلاد الحجاز ، فاتفق قتله قريباً من مدينة رسول الله ﷺ ، قتله ابن أخيه هنالك ، وصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في هذه الواقعة كتابه الأصارم المألول على سبب الرسول .

وفي شعبان منها ركب الملك الناصر في أبهة الملك وشق القاهرة ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان هذا أول ركوبه ، ودقت الباشائر بالشم وجاء المرسوم من جهته ، قرئ على المنبر بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطي الظلم ، وإبطال ضمان الاوقاف والأمولاك إلا برضى أصحابها . وفي اليوم الثاني والمشرين من شعبان درس بالمسروورية القاضي جمال الدين التزويني ، أخو إمام الدين ، وحضر أخوه وقاضي القضاة شهاب الدين الخوي ، والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان درسا حافلاً . قال البرزالي : وفي شعبان اشتهر أن في النبطية بمصرين تقينا عظيماً ابتلع رأساً من العز كبيراً صحيحاً . وفي أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين ، وكان مخفياً منذ قتل الأشرف فاعتزله عند السلطان قبله وخلع عليه وأكرمه ، ولم يكن قتله باختياره .

وفي شوال منها اشتهر أن مهنا بن عيسى خرج عن طاعة السلطان الناصر ، وانحاز إلى التتار . وفي يوم الاربعاء ثامن ذي القعدة درس بالفرازية الخطيب شرف الدين المتقي حوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين ابن الخوي ، توفي وترك الشامية البرانية ، وقدم على قضاء الشام القاضي بدر الدين أحمد بن جماعة يوم الخميس الرابع عشر من ذي الحجة ، ونزل المادلية وخرج نائب السلطنة والجيش بكافة لتلقيه ، وامتدحه الشعراء ، واستقبله تاج الدين الجبيري نائب الخطابة وبشر تدريس الشامية البرانية ، حوضاً عن شرف الدين المتقي ، الشيخ زين الدين الفاروقي ، وانقضت من يده الناصرية فدرس بها ابن جماعة ، وفي المادلية في العشرين من ذي الحجة ، وفي هذا الشهر أخرجوا الكلاب من دمشق إلى القلعة بأمر واليها جمال الدين أقيش ، وشدد على الناس والبوايين بذلك . وعن توفي فيها من الاعيان

الملك الأشرف خليل بن قلاوون المنصور . ويبدوا والشجاعي ، وفهمس الدين بن السلموس ،

(الشيخ الامام العلامة)

تاج الدين موسى بن محمد بن مسعود المراقبي ، المعروف بأبي الجواب الشافعي ، درس بالأهلية

وغيرها وكان من فضلاء الشافعية ، له يد في الفقه والاصول والنحو وفهم جيد ، توفي فجأة يوم السبت ،
ودفن بمقابر باب الصغير ، وقد جاوز السبعين .

﴿ الخاتون مؤنس بنت السلطان المائل أبي بكر بن أيوب ﴾

وتعرف بدار القطبية ، و بدار إقبال ، ولدت سنة ثلاث وستائة ، وروت الاجازة عن عفيفة
الفارغانية ، وعن عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج التنغية ، توفيت في ربيع الآخر بالقاهرة ،
ودفنت بباب زويلة .

﴿ صاحب الوزير نغر الدين ﴾

أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد اليناني المصري رأس الموقنين ، وأستاذ الوزراء
المشهورين ، ولد سنة ثنتي عشرة وستائة ، وروى الحديث ، توفي في آخر جمادى الآخرة في القاهرة

﴿ الملك الحافظ غياث الدين بن محمد ﴾

الملك السعيد معين الدين بن الملك الأحمدي بهرام شاه بن المعز عز الدين فروخ شاه بن شاهنشاه
ابن أيوب ، وكان فاضلاً بارعاً ، جمع الحديث وروى البخاري ، وكان يحب العلماء والفقهاء ، توفي
يوم الجمعة سادس شعبان ، ودفن عند جده لأنه ابن المقدم ، ظاهر باب الفرديس .

﴿ قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوي ﴾

أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي المباس أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر
ابن ديس بن محمد الشافعي ، أصابهم من خوى ، اشتغل وحصل علوماً كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة
منها كتاب فيه عشرون فناً ، وله نظم علوم الحديث وكفاية المتحفظ وغير ذلك ، وقد جمع الحديث
الكثير ، وكان محباً له ولأهله ، وقد درس وهو صغير بالمعادية ، ثم ولي قضاء القدس ، ثم بهسنا ، ثم
ولى قضاء حلب ، ثم عاد إلى الحلة ، ثم ولي قضاء القاهرة ، ثم قسم على قضاء الشام مع تدريس المادلية
والنزالية وغيرهما ، وكان من حسنات الزمان وأكابر العلماء الأعلام ، عفيفاً زهواً بارعاً حديث
وعلمه وعلمائه ، وقد خرج له شيخنا الحافظ المزني أربعين حديثاً متباعدة الاستناد ، وخرج له تقي
الدين ابن عتبة الأسود الاسمردي مشيخة على حروف المجمع ، اشتملت على مائتين وستة
وثلاثين شيئاً . قال البرزالي : وله نحو ثلثمائة شيخ لم يذكر في هذا المجمع ، توفي يوم الخميس الخامس
والعشرين من رمضان ، عن سبع وستين سنة ، وصلى عليه ودفن من يومه بقرية والده بسفح قاصيون
رحمه الله تعالى .

﴿ الأمير علاء الدين الأعمى ﴾

فاخر القدس وباني كثير من معالمه اليوم ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين بن عبد الله
الصالح النجدي ، كان من أكابر الامراء ، فلما أضر أظام بالقدس الشريف وولى نظر مسمر ومشموره
وكان مهيباً لا يخالف مراسيمه ، وهو الذي بنى المطهرة قريباً من مسجد النبي ﷺ ، فانتفع الناس

بها بالوضوء وغيره ، ووجد بها الناس تيسيرا ، وابتقى بالنفس ربطا كثيرة ، وآثارا حسنة ، وكان
يياشر الامور بنفسه ، وله حرمة وافرة ، توفي في شوال منها .

﴿ الوزير شمس الدين محمد بن عثمان ﴾

ابن أبي الرجال التنوخي ، المعروف بابن السلموس ، وزير الملك الأشرف ، مات تحت الضرب
الذي جاوز ألف مقرة ، في عشر صفر من هذه السنة ، ودفن بالقرافة ، وقيل إنه قتل إلى الشام
بعد ذلك . وكان ابتداء أمره تلجرا ، ثم ولي الحسبة بدمشق بسفارة تقي الدين بن توبة ، ثم كان
يعامل الملك الأشرف قبل السلطنة فظهر منه على عدل وصدق ، فلما ملك بعد أبيه المنصور استدعاه
من الحج فولاها الوزارة ، وكان يتعامل على أكبر الامراء ويسميهم بأسمائهم ، ولا يقرهم لهم ، فلما قتل
أستاذاه الأشرف تسلطوه بالضرب والاهانة وأخذ الأموال ، حتى أعدموه حياته ، وصبروه وأسكنوه
الثرى ، بعد أن كان عند نفسه قد بلغ الثريا ، ولكن حقا على الله أنه ما رفع شيئا إلا وضعه .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وسبائة ﴾

استبليت واخليفة الحاكم بأمر الله وساطان البلاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره إذ ذاك
اثنان عشرة سنة وأشهر ، ومدير المالك وأتابك المناكر الأمير زين الدين كتيبا ، وقائب الشام
الأمير عز الدين أيك الحوى ، والوزير بدمشق تقي الدين توبة التكريتي ، وشاد الدواوين قيس
الدين الأعسر ، وقاضي الشافعية ابن جماعة ، والخليفة حسام الدين الرازي ، والمالكية جلال الدين
الزاوي ، والخنازرة شرف الدين حسن ، والمحتسب شهاب الدين الحنفي ، وققيب الأشرف زين
الدين بن عدنان ، ووكيل بيت المال وقاضي الجامع تاج الدين الشيرازي ، وخطيب البلط شرف
الدين المنصوي .

فلما كان يوم عاشوراء نهض جماعة من عماليك الأشرف وخرقوا حرمة السلطان وأرادوا
الغزو عليه ، وجازوا إلى سوق السلاح فأخذوا ما فيه ، ثم احتيط عليهم ، فنهض منهم من صلب ومنهم
من شقق ، وقطع أيدي آخرين منهم وأسقطهم ، وجرت خبطة عظيمة جدا ، وكانوا قريبا من ثلثائة
أوزيريدون .

﴿ ذكر سلطنة الملك العادل كتيبا ﴾

وأصبح الأمير كتيبا في الحادي عشر من المحرم فجلس على سرير المملكة ، وخلع الملك
الناصر محمد بن المنصور ، وألزمه بيت أهله ، وأن لا يخرج منه ، وإليه الأمراء على ذلك ، وهشوه
ومد ساجدا حافلا ، وصارت البريدية بذلك إلى الأقاليم ، فبوع له وخطب له مستقلا وضربت السكة
بأجمه ، وتم الأمر وزينت البلاد ، ودقت البشائر ، وقبب بالملك العادل ، وكان عمره إذ ذاك نحو
من خمسين سنة ، فانه من سبي وقصة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين

جالوت ، وكان من النويرانية ، وم طائفة من التتر ، واستناب في مصر الأمير حسام الدين لاجين الساحدارى المنصورى ، وكان بين يديه مدير الممالك . وقد ذكر الجزرى في تاريخه عن بعض الأمراء أنه شهد هولاكو خان قد سأل منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المقدمين في عسكره الذى يملك الديار المصرية ، فغضب وحسب وقال له : أجد رجلا عليك اسمك كتبنا فقلته كتبنا توين ، وهو صهر هولاكو ، قدمه على الساهر فلم يكن هو ، فقتل في عين جالوت كما ذكرناه ، وأن اقدى ملك مصر هذا الرجل وهو من خيار الأمراء وأجودهم سيرة ومعدلة ، وقصدا في نصرة الاسلام .

وفي يوم الأربعاء استهل ربيع الأول ركب كتبنا في أبيه الملك ، وشق القاهرة ودعا له الناس وعزل صاحب تاج الدين بن الحنا عن الوزارة وولى نغر الدين بن الخليلي ، واستبقى الناس به مشق عند مسجد القدم ، وخطب بهم تاج الدين صالح الجعبرى نيابة عن مستخلفه شرف الدين المقدسى ، وكان مريضا فزل نفسه عن القضاء ، وخطب الناس بعد ذلك ، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى ، فلم يستقوا ثم استسقوا مرة أخرى يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمسكان المذكور ، وخطب بهم شرف الدين المقدسى ، وكان الجمع أكثر من أول ، فلم يستقوا . وفي رجب حكم جمال الدين ابن الشريشى نيابة عن القاضي بدر الدين بن جماعة ، وفيه درس بالمظمية القاضي شمس الدين بن العز ، انزعها من علاه الدين بن الهقق . وفيه ولى القدس والخليل الملك الأوحى ابن الملك الناصر داود بن المعظم . وفي رمضان رسم الحنا بة أن يصلوا قبل الامام الكبير وذلك أنهم كانوا يصلون بعده فلما أحدث لحراب الصحابة إمام كانوا يصلون جميعا في وقت واحد ، فحصل تشويش بسبب ذلك ، فاستقرت القاعدة على أن يصلوا قبل الامام الكبير ، في وقت صلاة مشهد على الصحن عند محرابهم في الرواق الثالث الغربى .

قلت : وقد تميزت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعائة كما سيأتى .

وفي أواخر رمضان قدم القاضي نجم الدين بن مصرى من الديار المصرية على قضاء المساكر بالشام ، وفي ظهر يوم الخميس خامس شوال على القاضي بدر الدين بن جماعة بمحراب الجامع إماما وخطيبا عوضا عن الخطيب المدرس شرف الدين المقدسى ، ثم خطب من التند وشكرت خطبته وقراءته ، وذلك مضاف إلى ما بيده من القضاء وغيره .

وفي أوائل شوال قدمت من الديار المصرية تواقيع شتى منها تدرىس التزالية لابن مصرى عوضا عن الخطيب المقدسى بوقوع بتدرىس الأئمة لمام الدين التزوينى عوضا عن نجم الدين بن مصرى ، ورسم لأخيه جلال الدين بتدرىس الظاهرية البرانية عوضا عنه . وفي شوال كتبت حمارة الحمام اقدى أنشاء عز الدين الحوى بمسجد القصب ، وهو من أحسن الحملات ، وبأشرف مشيخة

دار الحديث النورية الشيخ علاء الدين بن المطار عوضا عن شرف الدين المقدسي . وحج فيها الملك المجاهد أنس بن الملك العادل كنيها ، وتصدقوا بصداقات كثيرة في الحرمين وغيرهما ونودي بدمشق في يوم عرفة أن لا يركب أحد من أهل القمة خيلا ولا بئالا ، ومن رأى من المسلمين أحداً من أهل القمة قد خالف ذلك فله سلبه . وفي أواخر هذه السنة والتي تليها حصل بدمصر غلاء شديد هلك بسببه خلق كثير ، هلك في شهر ذي الحجة نحو من عشرين ألفا . وفيها ملك التتار قازان ابن أرغون بن أيقا بن تولى بن جنكزخان فأسلم وأظهر الاسلام على يد الأمير توزون رحه الله ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الاسلام ونثر الذهب والفضة والفلو على رؤس الناس يوم إسلامه ، وتسمى بمحدود ، وشهد الجمعة والخطبة ، وخرب كنائس كثيرة ، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد ، وظهرت السبع والمياكل مع التتار والحد لله وحده .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ الشيخ أبو الرجال المنيني ﴾

الشيخ الصالح الزاهد المأيد أبو الرجال بن مرعي من محترمين ، كانت له أحوال ومكاشفات وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية منين ، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيكرم ويضاف وكانت له زاوية ببلده ، وكان بريثا من هذه السمات الشيطانية ، وكان تلميذ الشيخ جندل ، وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين سالكا طريق السلف أيضاً ، وقد بلغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة ، وتوفي بمنين في منزله في عشر الحرم ، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته فنهض منهم من أدركا ومن الناس من لم يدرك فصلى على القبر ودفن براوئته رحه الله .

وفيها في أواخر ربيع الاول جاء الخطير بأن عساف بن أحمد بن حجي الذي كان قد أجاز ذلك النصراني الذي سب الرسول قتل قرح الناس بذلك .

﴿ الشيخ الصالح المأيد الزاهد الورع ﴾

بقية الساف جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن الحرساني بن قاضي القضاة ، وخطيب الخطباء ، عماد الدين عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد ، سمع الحديث وثاب عن أبيه في الإمامة وتدريس الفرائض ، ثم ترك المناصب والدنيا ، وأقبل على العبادة ، وقلنس فيه اعتقاد حسن صالح ، قبلون يده ويسألونه الدعاء ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالسفح عند أهل في أواخر ربيع الآخر .

﴿ الشيخ محب الدين الطبري المكي ﴾

الشافعي ، سمع الكثير وصف في فنون كثيرة ، من ذلك كتب الاحكام في مجلدات كثيرة مفيدة ، وله كتاب على ترتيب جامع المسانيد اسمه لصاحب العين ، وكان موته يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة منها ، ودفن بمكة ، وله شعر جيد فنه قصيدته في المنازل التي بين

مكة والمدينة تزيد على ثلثائة بيت ، كتبها عنه الحافظ شرف الدين الدمياطي في مسجده .

(الملك المظفر صاحب الجين)

يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، أقام في مملكة الجين بعد أبيه سبعا وأربعين سنة ، وعمر ثمانين سنة ، وكان أبوه قد ولى أزيد من مئة عشرين سنة بعد الملك أقيس ابن الكامل محمد ، وكان عمر بن رسول مقدم عساكر أقيس ، فلما مات أقيس وثب على الملك قثم له الأمر وتسمى بالملك المنصور ، واستمر أزيد من عشرين سنة ، ثم ابنه المظفر سبعا وأربعين سنة ، ثم قام بن بعده في الملك ولده الملك الأشرف محمد الدين فلم يمكث سنة حتى مات ، ثم قام أخوه المؤيد عز الدين داود بن المظفر فاستمر في الملك مئة ، وكانت وفاة الملك المظفر المذكور في رجب من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكان يحب الحديث وساعاه ، وقد جمع لنفسه أربعين حديثا .

(شرف الدين المقدسي)

الشيخ الامام الخطيب المدرس المتقي ، شرف الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي ، ولد سنة ثنتين وعشرين وستائة ، وسمع الكثير وكتب حسنا وصنف فأجاد وأفاد ، وولى القضاء نيسابا بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق ، وكان مدرسا للقرآنية ودار الحديث النورية مع الخطابة ، ودرس في وقت بالشامية البرانية وأذن في الافتاء جماعة من الفضلاء منهم الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية ، وكان يشتر بذاك ويفرح به ويقول : أنا أذنت لابن تيمية بالافتاء ، وكان يتنق فتنونا كثيرة من العلوم ، وله شعر حسن ، وصنف كتابا في أصول الفقه جمع فيه شيئا كثيرا ، وهو عندي بخطه الحسن ، توفي يوم الاحد سابع عشر رمضان وقد جاوز السبعين ، ودفن بمقابر باب كيسان عند والده رحمه الله ورحم أباه . وقد خطب بعده يوم العيد الشيخ شرف الدين الفزاري خطيب جامع جراح ثم جاء الرسوم لابن جماعة بالخطابة . ومن شعر الخطيب شرف الدين بن المقدسي :

أحجج إلى الزهر لتسعى به * وارم جمار الهمة مستغفرا

من لم يطف بالزهر في وقته * من قبل أن يخلق قد قصرا

(واقف الجوهريه الصدر نجم الدين)

أبو بكر محمد بن عياش بن أبي المكالم التيمي الجوهري ، واقف الجوهريه على الخفنية بدمشق توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر شوال ، ودفن بمدرسته وقد جاوز الثمانين ، وكانت له خدم على الملوك ، فن دوتهم .

(الشيخ الامام العالم المتقي)

الخطيب الطيب ، محمد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي

الحقن ، خطيب الزهري ومدرس الدماقية لعنيفة ، وكان طبيباً ماهراً خاذلاً ، توفي بالزهر وضل عليه بجامع الصالحية ، وكان فاضلاً له شعر حسن ، وروى شيئاً من الحديث ، توفي ليلة السبت خامس ذي القعدة عن خمس وسبعين سنة .

(الفاروقى الشيخ الامام المايد الزاهد)

الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ محي الدين إبراهيم بن هريز بن الفرج بن صابور ابن علي بن غنيمة الفاروقى الواسطى ، ولد سنة أربع عشرة وستائة وسمع الحديث ورحل فيه ، وكانت له فيه يد جيدة ، وفى التفسير والتفه والودع والبلاغة ، وكان ديناً ورعاً زاهداً ، قدم إلى دمشق فى دولة الظاهر فأعطى تدريس الجارضية وإمام مسجد ابن هشام ، ورتب له فيه شئ على الصالح ، وكان فيه إتيار له أحوال صالحة ، ومكاشفات كثيرة ، تقدم يوماً فى محراب ابن هشام ليصل بالناس فقال - قبل أن يكبر للآحرام والتنت عن يمينه - فقال : أخرج فاعتقل ، فلم يخرج أحد ، ثم كر ذلك ثانية وثالثة ، فلم يخرج أحد ، فقال : يا عتمان أخرج فاعتقل ، فخرج رجل من الصف فاعتقل ثم عاد وجاء إلى الشيخ يستنذ إليه ، وكان الرجل صالحاً فى نفسه ، ذكر أنه أصابه فيض من غير أن يرى شخصاً ، واعتقد أنه لا يارنه غسل ، فلما قال الشيخ ما قال اعتقد أنه يخاطب غيره ، فلما عينه بأمره علم أنه المراد . ثم قدم الفاروقى مرة أخرى فى أواخر أيام المنصور فقلادون غطب بجامع دمشق مدة شهر ، ثم عزل بموفق الدين الحموى ، وتقدم ذكر ذلك ، وكان قد درس بالنجبية وبادر الحديث الظاهرية ، فترك ذلك كله وسافر إلى وطنه ، فأت بكرة يوم الاربعاء مستهل ذى الحجة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً بواسط ، وصلى عليه بدمشق وغيرها رحمه الله ، وكان قد لبس خرقة للتصوف من الاسمر وردى ، وقرأ القراءات المشرفة وخاف أن يجلد ومائتى مجلداً ، وحدث بالكثير ، وسمع منه البرزالي كثيراً صحيح البخارى وجامع الترمذى ومن ابن ماجه ، ومسند الشافعى ، ومسند عبد ابن حميد ، ومسجم الطبرانى الصغير ، ومسند الهارمى وفضائل القرآن لأبي عبيد ، وثمانين جزء وغير ذلك .

(الجلال الحق)

أحمد بن عبد الله بن الحسين الهمشى ، اشتغل بالتحق على مذهب الشافعى ، وبرع فيه وأفتى وأعاد ، وكان فاضلاً فى الطب ، وقد ولى مشيخة الدهخوارية لتقدمه فى صناعة الطب على غيره ، وعاد المرضى بالمرستان النورى على قاعدة الأطباء ، وكان مدرساً لشافعية بالفرخشانية ، ومعيداً بسدة مدارس ، وكان جيد القلم مشاركاً فى فنون كثيرة سماحه الله .

(الست خاتون بنت الملك الأشرف)

نومى بن المادل زوجة ابن عمها المنصور بن الصالح إسماعيل بن المادل ، وهى التى أثبت سفها

زمن المنصور قلاوون حتى اشترى منها حرما وأخذت الزنقية من زين الدين السامري .

﴿ الصدر جمال الدين ﴾

يوسف بن علي بن مهاجر الشكري أخو الصاحب تقي الدين توبة بولي حبة دمشق في وقت ودفن بترية أخيه بالسفح ، وكانت جنازته حافلة ، وكان له عقل وافر وثروة ومروءة ، وخلف ثلاث بنين : فحسن الدين محمد ، وعلاء الدين علي ، وبدر الدين حسن .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وسبعمائة ﴾

استهل وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الملبس ، وساطن البلاد الملك المعادل زين الدين كتبغا ، وثائب بمصر الأمير حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري ، ووزيره تغر الدين بن الخليل ، وقضاة مصر والشام المذكورون في التي قبلها ، وثائب الشام عز الدين الحوي ، ووزيره تقي الدين توبة ، وشاد الدواوين الأعصر ، وخطيب البلد وقاضها ابن جماعة : وفي المحرم ولى نظر الائتام برهان الدين بن هلال عوضا عن شرف الدين بن الشيرجى .

وفي مستهل هذه السنة كان الفلاء والقضاء بمصر شديدا جدا ، وقد فاق الناس إلا القليل ، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها القتلى من الناس ، والأسمار في غاية الفلاء والقوات في غاية القلة والفلاء ، والموت محال ، فلت بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفا ، ووقع غلاء بالشام فبلغت الثرارة إلى مائتين ، وقدمت طائفة من التتر العورانية لما بلغهم سلطنة كتبغا إلى الشام لأنه منهم ، فتقام الجيش بالرحب والسعة ، ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير قراقرق المنصوري ، وجاء الخبير بأشتداد الفلاء والقضاء بمصر حتى قيل إنه يبيع الفروج بالاسكندرية بستة وثلاثين درهما ، وبالقاهرة بقسمة عشر ، والبيض كل ثلاثة بدرهم ، وأقنيت الحر والغسل والبغال والكلاب من أكل الناس لها ، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه .

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولى قضاء القضاة بمصر الشيخ العلامة تقي الدين بن دقيق العيد عوضا عن تقي الدين بن بنت الأعز ، ثم وقع الرخص بالديار المصرية وزال الضر والجوع في جمادى الآخرة والله الخلد .

وفي يوم الأربعاء تاني شهر رجب درس القاضي إمام الدين بالقيصرية عوضا عن صدر الدين ابن رزين الذي توفي . قال البرزالي : وفيها وقعت صاعقة على قبة رزيم قنلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام ، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة ، وكان قد روى شيئا من الحديث . وفيها قدمت امرأة الملك الظاهر أم سلامش من بلاد الاشكري إلى دمشق في أوائل رمضان فبعت إليها ثياب البلد بالمهدايا والتحف ودفنت لها الروائب والاعطاش ، وكان قد فنام خليل

ابن النصور لما ولي السلطنة .

قال الجزري : وفي رجب درس كمال الدين بن القلانسي عوضا عن جلال الدين التزويني .
وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان درس الشيخ الامام الملاية شيخ الاسلام تقي الدين بن
تيمية الحراني بالمدرسة الخنبيلية عوضاً عن الشيخ زين الدين بن المنجي توفى إلى رحمة الله ، ونزل
ابن تيمية عن حلقة الهماد بن المنجا لشمس الدين بن الفخر البعلبكي . وفي آخر شوال نائب القاضى
جمال الدين الزرعى الذى كان حاكما بزراع ، وهو سليمان بن عمر بن سالم الأزرعى عن ابن جماعة
بدمشق ، فشكرت سيرته . وفيها خرج السلطان كتبنا من مصر فاصدا الشام فى أواخر شوال ،
ولما جاء البريد بذلك ضربت البشائر بالقلعة ، ونزلوا بالقلعة السلطان ونائبه لاجين ووزيره ابن
الظليل . وفي يوم الأحد سادس عشر ذى القعدة ولى قضاء الحنايلة الشيخ تقي الدين سليمان بن
حمزة المقدسى عوضا عن شرف الدين مات رحمه الله ، وخلف عليه وعلى بقية الحكام وأرباب الولايات
الكبار وأكابر الامراء ، وولى نجم الدين بن أبى الطيب وكالة بيت المال عوضا عن ابن الشيرازى
وخلف عليه مع الجماعة ، ورسم على الأعسر وجماعة من أصحابه وخلق من الكتبة والولاة وصودروا
بمال كثير ، واحتيط على أموالهم وحواصلهم وعلى بنت ابن السلموس وابن عدنان وخلق ، وجرت
خبطة عظيمة ، وقسم ابنا الشيخ على الحريرى حسن وشيث من بسر لزيارة السلطان فحصل لهما منه
رغد وإسماق وعادا إلى بلادهما ، وضيقت القلندرية السلطان بسفع جبل المزة ، فأعطاه فحوا من
عشرة آلاف ، وقدم صاحب حماة إلى خدمة السلطان ولعب معه الكرة باليدان ، واشتكت الاشراف
من قبيهم زين الدين بن عدنان ، فرفع صاحب يده عنهم وجعل أمرهم إلى القاضى الشافعى ،
فلما كان يوم الجمعة الثاقى والمشرين من ذى القعدة صلى السلطان الملك العادل كتبنا بمقصورة
الخطابة ، وعن يمينه صاحب حماة ، وتحت يده الدين أمير سلاح ، وعن يساره أولاد الحريرى حسن
وأخوه ، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين ، وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموى ،
وتحت يده الدين بيسرى ، وتحت قرا سنقر وإلى جانبه الحاج بهادر ، وخلفهم أمراء كبار ، وخلع
على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلعة سنية . ولما قضيت الصلاة سلم على السلطان وزار السلطان
المصنف الثاقى . ثم أصبح يوم السبت فلبس الكرة باليدان .

وفي يوم الاثنين تافى ذى الحجة عزل الأمير عز الدين الحموى عن نيابة الشام وطالبه السلطان
عنايا كثيرا على أشياء صدرت منه ، ثم عفا عنه وأمره بالمسير معه إلى مصر واستأقب بالشام الأمير
سيف الدين غرلو المادى ، وخلع على المولى وعلى الموزول بحضر السلطان دار العدل وحضر عنده
الوزير والقضاة والأمراء ، وكان عادلا كما سمى ، ثم سافر السلطان فى ثاقى عشر ذى الحجة نحو بلاد

حلب فاجتاز على حرستا، ثم أقام بالبرية أياماً ثم عاد قنزل حمص، وجاء إليه نواب البلاد وجلس الأمير غرلو نائب دمشق بدار العدل فحكم وعدل، وكان محمود السيرة سديد الحكم رحمه الله تعالى. ومن توفي فيها من الأعيان ﴿الشيخ زين الدين بن منجي﴾

الامام العالم العلامة مفتي المسلمين، الصدر الكامل، زين الدين أبو البركات بن المنجي بن الصدر عز الدين أبي عمر عثمان بن أحمد بن المنجي بن بركات بن المتوكل التنوخي، شيخ الحنابلة وعلمهم، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وسمع الحديث وثقة، فبرع في فنون من العلم كثيرة من الأصول والفروع والربية والتفسير وغير ذلك، وانتهت إليه رئاسة المذهب، وصنف في الأصول، وشرح المقنع، وله تعليقات في التفسير، وكان قد جمع له بين حسن السمت والديانة والعلم والوجاهة وصحة الذهن والعقيدة والمنافرة وكثرة الصدقة، ولم يزل يؤاخذ على الجامع للاشتغال متبرعا حتى توفي في يوم الخميس رابع شعبان، وتوفيت معه زوجته أم محمد ست إليها بنت صدر الدين الخجندی، وصلى عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق، وحللا جميعا إلى سفح قاسيون شمالي الجامع المظفرى تحت الروضة فدفا في تربة واحدة ورحمهما الله تعالى. وهو والد القاضي القضاة علاء الدين، وكان شيخ المساهرة ثم وليها بعده ولداه شرف الدين وعلاء الدين، وكان شيخ الحنبلية فدرس بها بعده الشيخ تقي الدين بن تيمية كما ذكرنا ذلك في الحوادث.

﴿المسودي صاحب الحمام بالزة﴾

أحد كبار الأمراء، هو الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسودي، أحد الأمراء المشهورين بخدمة الملوك، توفي بيسنانه بالزة يوم السبت سابع عشرين شعبان، ودفن صباح يوم الأحد بقرنته بالزة، وحضر نائب السلطنة جنازته، وعمل عزاءه تحت النسر بجامع دمشق.

﴿الشيخ الخالدي﴾

هو الشيخ الصالح إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي، له زاوية خارج باب السلامة، كان يقصد فيها الزيارة، وكان مشتغلا على عبادة وزهادة، وكان لا يقوم لأحد، ولو كان من كان، وعندة سكون وخشوع ومعرفة بالطريق، وكان لا يخرج من منزله إلا إلى الجمعة، حتى كانت وفاته بنصف رمضان ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى.

﴿الشرف حسين المقدسي^(١)﴾

هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسين ابن الامام الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي، سمع الحديث وثقة وبرع في الفروع والفقه وفيه أدب وحسن محاضرة، مليح الشكل، تولى القضاء بعد نعيم الدين بن الشيخ خمس الدين في أواخر سنة سبع

(١) في شذرات الذهب: حسن المقدسي.

وثمانين ، ودرس بدار الحديث الأشرفية بالسفح ، توفي ليلة الخميس الثاني والعشرين من شوال ، وقد قارب الستين ، ودفن من القند ببقرة جده بالسفح ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان جنازته ، وعمل من القند عزاءه بالجامع المظفرى ، وباشتر القضاة بعده قى الدين سليمان بن حمزة ، وكذا مشيخة دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وقد ولها شرف الدين الفار الخبلى النابلسى مدة شهور ، ثم صرف عنها واستقرت بيد النقى سليمان المقسى .

(الشيخ الامام العالم الناسك)

أبو محمد بن أبى حمزة المغربي المالكي ، توفي بالديار المصرية في ذى القعدة ، وكان قوالا بالحق ، أماراً بالمرور ونهايا عن المنكر .

(صاحب محيى الدين بن النحاس)

أبو عبد الله محمد بن بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن عبد الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدى الحلبي الحنفى ، ولد سنة أربع عشرة وستائة بحلب ، واشتغل وبرع وجمع الحديث وأظم بدمشق مدة ، ودرس بها بدارس كبار ، منها الظاهرية والزنجانية ، وولى القضاء بحلب والوزارة بدمشق ، ونظر الخزانة ونظر الدواوين والأوقاف ، ولم يزل مكرما معظما مرموقا بالنضيلة والانصاف في المناظرة ، محبا لحديث وأهله على طريقة السلف ، وكان يحب الشيخ عبد القادر وطائفته ، توفي ببستانه بالمرزة عشية الاثنين سلخ ذى الحجة ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن يوم الثلاثاء مستهل سنة ست وتسعين ببقرة له بالمرزة ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة .

(قاضى القضاة)

تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضى القضاة تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن القاضى الاعز أبى القاسم خلف بن بدر اللاتى الشافى ، توفي في جمادى الأولى ودفن بالقرافة بقرتهم .

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وستائة)

استهلت والخليفة والسلطان ونائب مصر ونائب الشام والقضاة المذكورون في التى قبلها والسلطان الملك العادل كتبنا في نواحى حصص يتصيد ، ومع نائب مصر لاجين وأكابر الامراء ، ونائب الشام بدمشق وهو الامير سيف الدين غرلو العادلى . فلما كان يوم الاربعاء تانى المحرم دخل السلطان كتبنا إلى دمشق وصلى الجمعة بالمقصورة وزار قبر هود وصلى عنده ، وأخذ من الناس قصصهم بيده ، وجلس بدار العدل في يوم السبت ووقع على القصص هو ووزيره نغر الدين الخليلي . وفي هذا الشهر حضر شهاب الدين بن محيى الدين بن النحاس في مدرستى أبيه الزنجانية والظاهرية وحضر الناس عنده ، ثم حضر السلطان دار العدل يوم الثلاثاء وجاء يوم الجمعة فصلى الجمعة بالمقصورة

ثم صعد في هذا اليوم إلى مفارة الدم لزيارتها ، ودعا هناك وتصدق بجملة من المال ، وحضر الوزير الخليلي ليلة الأحد ثالث عشر المحرم إلى الجامع بعد المساء فجلس عند شباك الكسالية وقرأ القرآن بين يديه ، ورسم بأن يكل داخل الجامع بالفرش فملأوا ذلك ، واستمر ذلك نحواً من شهرين ثم عاد إلى ما كان عليه .

وفي صبيحة هذا اليوم درس القاضي قمس الدين بن الحريري بالقبازية عوضاً عن ابن النحاس باتفاق بينهم ، وحضر عنده جماعة ، ثم صلى السلطان الجمعة الأخرى بالمقصورة ومعه وزيره ابن الخليلي وهو ضعيف من مرض أصابه ، وفي سابع عشر المحرم أمر الملك الكامل بن الملك السعيد ابن الصالح إسماعيل بن العادل بطلب خانة ولبس الشربوش ، ودخل القلعة ودقت له الكوسات على يابه ، ثم خرج السلطان العادل كتباً بالمساكر من دمشق بكرة الثلاثاء ثاني عشرين المحرم ، وخرج بعده الوزير فاجتاز بدار الحديث ، وزار الأثر النبوي ، وخرج إليه الشيخ زين الدين الفارقي وشافيه بتدريس الناصرية ، وترك زين الدين تدريس الشامية البرانية فولها القاضي كمال الدين بن الشريشي ، وذكر أن الوزير أعطى الشيخ شيئاً من حطام الدنيا قبله ، وكذلك أعطى خادم الأثر وهو الممين خطاب . وخرج الاعيان والقضاة مع الوزير لتوديعه . ووقع في هذا اليوم مطر جيد استثنى الناس به وغسل آكار المساكر من الأوساخ وغيرها ، وعاد النقي توبة من توديع الوزير وقد فوض إليه نظر الخزانة وعزل عنها شهاب الدين بن النحاس ، ودرس الشيخ ناصر الدين بالناصرية الجوانية عوضاً عن القاضي بدر الدين بن جماعة في يوم الاربعاء آخر يوم من المحرم .

وفي هذا اليوم تحدث الناس فيما بينهم بوقوع تحبيط بين المساكر ، وخلف وتشويش ، فتلق باب القلعة التي على المدينة ، ودخل صاحب شهاب الدين إليها من ناحية الخلوخة ، ونهياً النائب والأمراء وركب طائفة من الجيش على باب النصر وقفاً ، فلما كان وقت العصر وصل السلطان الملك العادل كتبنا إلى القلعة في خمسة أنفس أوسنة من مماليكه ، فدخل القلعة فجاء إليه الأمراء وأحضر ابن جماعة وحسام الدين الحنفي ، وجدعوا الحلف للأمراء ثانية فخلعوا ، وخلع عليهم ، وأمر بالاحتياط على نواب الأمير حسام الدين لاجين وحواصله ، وأعلم العادل بالقلعة هذه الأيام ، وكان الخلف الذي وقع بينهم يروى خمسة يوم الاثنين التاسع والعشرين من المحرم ، وذلك أن الأمير حسام الدين لاجين كان قد واطأ جماعة من الأمراء في الباطن على العادل ، وتوكل منهم ، وأشار على العادل حين خرجوا من دمشق أن يستصحب معه الخزانة ، وذلك لتلايق يدمشق شيء من المال يتنوى به العادل إن فاتهم ورجع إلى دمشق ، ويكون قوة له هو في الطريق على ما عزم عليه من النصر ، فلما كانوا بالمكان المذكور قتل لاجين الأمير سيف الدين ييحص وبكتوت الأزرق العادليين ، وأخذ

الخزانة من بين يديه والمسكر ، وقصدوا الفيهار المصرية ، فلما سمع العادل بذلك خرج في الفيل والزم جريدة إلى دمشق فدخلها كما ذكرنا ، وتراجع إليه بعض عماليك كزين الدين غلبك وغيره ، ووزم شهاب الدين الحنفى القلعة لتدبير المملكة ، ودرس ابن الشريشى بالشامية البرانية بكرة يوم الخميس مستهل صفر ، وتقبلت أمور كثيرة في هذه الايام ، ووزم السلطان القلعة لايخرج منها ، وأطلق كنهراً من المكوس ، وكتب بذلك توقييع وقرئت على الناس ، وغلا السعر جداً فبليت الفرارة مائتين ، واشتد الحال وتفاقم الأمر ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون .

(ذكر سلطنة الملك المنصور لاجين السحدارى)

وذلك أنه لما استأق الخزانة وذهب بالجيوش إلى الفيهار المصرية دخلها في أبهة عظيمة ، وقد اتفق معه جهور الأمراء الكبار ويايعوه وملكوه عليهم . وجلس على سرير الملك يوم الجمعة طائر صفر ، ودقت بمصر البشار ، وزينت البلد ، وخطب له على المنابر ، وبالقنص والخليل ، ولقب بالملك المنصور ، وكذلك دقت له البشار بالكرك وبالسفد ، وذهبت إليه طائفة من أمراء دمشق ، وقدمت التجريدة من جهة الرحبة بحجة الأمير سيف الدين كجكن فلم يدخلوا البلد بل نزلوا بميدان الحصن ، وأظهروا مخالفة العادل وطاعة المنصور لاجين صاحب مصر ، وركب إليه الامراء طائفة بعد طائفة ، وفوجا بعد فوج ، فصف أمر العادل جداً ، فلما رأى انحلال أمره قال للامراء : هو خشداشى وأنا هو شىء واحد ، وأنا سامع له مطيع ، وأنا أجلس في أى مكان من القلعة أريد ، حتى تمكث به وتظنر وأما قول . وجاءت البريدية بالمكاتبات بالأمر بالاحتياط على القلعة وعلى العادل وبقي الناس في هرج وأقوال ذات ألوان مختلفة ، وأبواب القلعة مغلقة ، وأبواب البلد سوى باب النصر إلا الخوخة ، والعامية حول القلعة قد ازدحموا حتى سقطت طائفة منهم بالندق فأت بعضهم ، وأمسى الناس عشية السبت وقد أعلن باسم الملك المنصور لاجين ، ودقت البشار بذلك بعد العصر ودعا له المؤذنون في سحر ليلة الأحد بجامع دمشق ، وتلا قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزج من تشاء وتقل من تشاء) الآية .

وأصبح الناس يوم الأحد فاجتمع القضاة والأمراء وفيهم غرلو العادل بدار السمادة فلفوا للمنصور لاجين ، وفودى بذلك في البلد ، وأن يفتح الناس دكاكينهم ، واختفى صاحب شهاب الدين وأخوه زين الدين الحنقسي ، فعمل الزوالى ابن النشابى حبة البلد ، ثم ظهر زين الدين فباشرها على عادته . وكذلك ظهر أخوه شهاب الدين ، وسافر نائب البلد غرلو والأمير جاجان إلى الفيهار المصرية يلمان السلطان بوقوع التحليف على ما رسم به ، وجاء كتاب السلطان أنه جلس على السرير يوم الجمعة طائر صفر ، وشق القاهرة في صلاص عشرة في أبهة المملكة ، وعليه الخلع الخليفة

والأمراء بين يديه ، وأنه قد استلب بمصر الأمير سيف الدين سنقر المنصوري ، وخطب المنصور
 لأبي بن دمشق أول يوم ربيع الأول ، وحضر المنصورة القضاء وشمس الدين الاعسر وكجك ،
 واستمر وجماعة من أمراء دمشق ، وتوجه القاضي إمام الدين القزويني وحسام الدين الخفي وجمال
 الدين المالكي إلى الفيهار المصرية مطلوبين ، وقدم الأمير حسام الدين أستاذ دار السلطان وسيف
 الدين جاعان من جهة السلطان فخلعوا الأمراء ثانية ودخلوا على العادل القلمة ومعهم القاضي بدر الدين
 ابن جماعة وكجك فخلعوه أيماناً مؤكدة بعدما طال بينهم الكلام بالتركي ، وذكر وبالتركي في مبايعة
 أنه راض من السلطان أي بلد كان ، فرقع التعمين بعد الدين على قلعة صرخد ، وجاءت المراسيم
 بالوزارة لتقي الدين نوبة ، وعزل شهاب الدين الخفي ، والحسبة لأمين الدين يوسف الأرمي الرومي
 صاحب شمس الدين الأيكي ، عوضاً عن زين الدين الخفي ، ودخل الأمير سيف الدين قبيق
 المنصوري على نيابة الشام إلى دمشق بكرة السبت السادس عشر من ربيع الأول ، ونزل دار
 السعادة عوضاً عن سيف الدين غرلو العادل ، وقد خرج الجيش بكافة تلقيه ، وحضر يوم الجمعة
 إلى المنصورة فصلح بها وقرأ بعد الجمعة كتاب سلطاني حاسي بإبطال الضمانات من الأوتاف
 والأملاك بنهر رضى أصحابها ، قرأه القاضي عبي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الانشاء ، ونودي
 في البلد من له مظلة فليات يوم الثلاثاء إلى دار العدل ، وخلع على الأمراء والمقدمين وأرباب المناصب
 من القضاء والكتابة ، وخاب على ابن جماعة خلمتين واحدة للقضاء والأخرى للخطابة .

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فأخبر بولاية إمام الدين القزويني القضاء بالشام
 عوضاً عن بدر الدين بن جماعة ، وإشاه ابن جماعة على الخطابة ، وتدريس التيسرية التي كانت بيد
 إمام الدين ، وجاء كتاب السلطان بذلك وفيه احترام وإكرام له ، فدرس بالقيصرية يوم الخميس ثاني
 رجب ، ودخل إمام الدين إلى دمشق عقيب صلاة الظهر يوم الأربعاء الثامن من رجب فجلس
 بالمعادية وحكم بين الناس وامتنحه الشراء بقصائد ، منها قصيدة لبعضهم يقول في أولها :

تبدلت الأيام من بعد عسرها يسرا * فأضحت تنور الشام تفتقر بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلة السلطان ومعه القاضي جمال الدين الزاوي ، قاضي قضاء المالكية
 وعليه خلة أيضاً ، وقد شكر سيرة إمام الدين في السفر ، وذكر من حسن أخلاقه ورياضته ما هو
 حسن جميل ، ودرس بالمعادية بكرة الأربعاء منتصف رجب ، وأشهد عليه بعد المدرس بولاية أخيه
 جلال الدين نيابة الحكم ، وجلس في الديوان الصغير وعليه الخلة ، وجاء الناس بهنتونه وقرئ تقليد
 يوم الجمعة بالشباك الكمال بعد الصلاة بحضور نائب السلطنة وبقية القضاء ، قرأه شرف الدين
 النزارى . وفي شعبان وصل الخبر بأن شمس الدين الاعسر تولى بالفيهار المصرية شد الدواوين

والوزارة ، وباشر المنصيين جميعاً ، وباشر فطر الهواوين بدمشق فخر الدين بن السهرجي عوضاً عن زين الدين بن مصرى ، ثم عزل بعد قليل بشهر أو أقل بأمين الدين بن هلال ، وأعيذت الشامية البرانية إلى الشيخ زين الدين الفاروق مع الناصرية بسبب غيبة كمال الدين بن الشريشى بالقاهرة .

وفى الرابع عشر من ذى القعدة أمسك الأمير فخر الدين قراستقر المنصورى نائب الديار المصرية لاجين هو وجاعة من الامراء معه ، واحتيط على حواصلهم وأموالهم بمصر والشام ، وولى السلطان نيابة مصر للأمير سيف الدين منكو تخر الحساى ، وهؤلاء الامراء الذين مسكهم هم الذين كانوا قد أتاوه وبأمواله على العادل كتبغا ، وقدم للشيخ كمال الدين الشريشى ومعه توقيع بتدريس الناصرية عوضاً عن الشامية البرانية ، وأمسك الأمير فخر الدين منقر الأعسر وزير مصر وشاد اللداوين يوم السبت الثالث والعشرين من ذى الحجة ، واحتيط على أمواله وحواصله بمصر والشام . ونودى بمصر فى ذى الحجة أن لا يركب أحد من أهل القمة فرساً ولا ببلاً ، ومن وجد منهم راكباً ذلك أخذ منه . وفيها ملك اليمن السلطان الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر المنقسم ذكره فى التى قبلها : ومن توفى فيها من الاعيان

﴿ توفى قضاة الخناجة بمصر ﴾

عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى الخنبلى ، سمع الحديث وبرع فى المنهبة وحكم بمصر ، وكان مشكوراً فى سيرته وحكمه ، توفى فى صفر ودفن بالقطم ، وتولى بعده شرف الدين عبد النور بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر الحراتى بديار مصر .

﴿ الشيخ الامام الحافظ القدوة ﴾

عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المصرى الخنبلى ، توفى بالمدينة النبوية فى أواخر صفر ، ولد سنة خمس وعشرين وستائة ، وسمع الحديث الكثير ، وجاور بالمدينة النبوية خمسين سنة ، وحج فيها أربعين حجة متوالية ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله . ﴿ الشيخ شيث بن الشيخ على الحريرى ﴾ توفى بقرية بسر من حوران يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر وتوجه أخوه حسن والقراء من دمشق إلى هناك لتعزية أخيهم حسن الأكره فيه .

﴿ الشيخ الصالح المقرئ ﴾

جمال الدين عبد الواحد بن كثير بن ضرغام المصرى ، ثم الدمشقى ، قبيب السبع الكبير والنزالية ، كان قد قرأ على السخاوى وسمع الحديث ، توفى فى أواخر رجب وصلى عليه

بالجمع الاموى ودفن بالقرب من قبة الشيخ رسلان .

(واقف السامرية)

الصدر الكبير سيف الدين أبو الباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادى السامرى واقف السامرية التى إلى جانب الكروسة بدمشق ، وكانت داره التى يسكن بها ، ودفن بها ووقفها دار حديث وخاقانه ، وكان قد انتقل إلى دمشق وأقام بها بهذه الدار مدة ، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام ، بناها من حجارة منحوتة كلها ، وكان السامرى كثير الأموال حسن الأخلاق معظماً عند أهله ، جميل الماشرة ، له أشعار راقية ومبتكرات فائقة ، توفى يوم الاثنين ثامن عشر شعبان ، وقد كان ينفق له حفلة عند الوزير ابن الملقى ، وامتنع المتعم وخلع عليه خلمة سوداء صفية ، ثم قدم دمشق فى أيام الناصر صاحب حلب فخطب عنده أيضاً فسمى فيه أهل الدرة فصنف فيهم أربوزة فتح عليهم بسببها باباً فصادروا الملك بمشرين ألف دينار ، فغظموه جداً وتوسلوا به إلى أغراضهم ، وله قصيدة فى مدح النبى ﷺ ، وقد كتب عنه الحافظ الهيمالى شيئاً من شعره .

(واقف النفيسة التى بالرصف)

الرئيس نفيس الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلام بن على ابن صدقة الحرانى ، كان أحد شهود القيمة بدمشق ، وولى نظر الأيتام فى وقت ، وكان ذا ثروة من المال ، ولد سنة ثمان وعشرين وستائة ، وجمع الحديث ووقف داره دار حديث ، توفى يوم السبت بعد الظهر الرابع من ذى القعدة ، ودفن بسفح قاسيون بكرة يوم الأحد بعد ماضى عليه بالاموى .

(الشيخ أبو الحسن المروف بالساروب الدمشقى)

يلقب بنجم الدين ، ترجمه الحريرى فأطنب ، وذكر له كرامات وأشياء فى علم الحروف وغيرها والله أعلم بحاله .

وفىها قتل قازان الأمير نوروز الذى كان إسلامه على يديه ، كان نوروز هذا هو الذى استسلمه ودعاه للإسلام فأسلم معه أكر التتر ، فان التتر شوشوا خاطر قازان عليه واستألفوه منه وعنه ، فلم يزل به حتى قتل وقتل جميع من ينسب إليه ، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان وكان ذا عبادة وصدق فى إسلامه وأذكاره وتطوعاته ، وقصده الجيد رحمه الله وعفا عنه ، ولقد أسلم على يديه منهم خلق كثير لا يحصى إلا الله ، واتخذوا السبع والمياكل وحضروا الجمع والجماعات وقرأوا القرآن والله أعلم .

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستائة)

استسلمت والخليفة الحاكم والسلطان لاجين ونائب مصر منكوتمر ونائب دمشق قبيق . وفى عشر صفر تولى جلال الدين بن حسام الدين القضاء مكنأى بدمشق ، وطلب أبوه إلى مصر فأقام

عند السلطان وولاه قضاء قضاء مصر للحنفية عوضاً عن شمس الدين السروجي ، واستقر ولده بدمشق قاضي قضاء الحنفية ، ودرس بمدرستي أبيه الخاتونية والمقدمية ، وترك مدرسة القضاء ابن الشبلية وجاء الخبر على يدي البريد بماتية السلطان من الوقعة التي كان وقتها فدمت البشار وزيقت البلد ، فانه سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة ، فكان كما قال الشاعر :

حويت بطشاً وإحساناً ومعرفة * وليس يحمل هذا كله الفرس

وجاء على يديه تقليد وخلة لنائب السلطنة ، قرأ التقليد ولبس العتبة . وفي ربيع الأول درس بالجوزية عز الدين ابن قاضي القضاة تقي الدين سليمان وحضر عنده إمام الدين الشافعي وأخوه جلال الدين وجماعة من الفضلاء ، وبعد التدريس جلس وحكم عن أبيه بإذنه في ذلك .

وفي ربيع الاول غضب قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وترك الحكم بمصر أياماً ، ثم استرضى وعاد وشرطوا عليه أن لا يستيب ولده الحب ، وفي يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالمدرسة العظمية وخطب فيها مدرسها القاضي فحس الدين بن المزمز الحنفي ، واشهر في هذا الحين القبض على بدر الدين بيسرى واحتيط على أمواله بدير مصر ، وأرسل السلطان بغيره بحجة علم الدين الدويداري إلى تل حمدون فقتله بمحمد الله ومنه ، وجاء الخبر بذلك إلى دمشق في الثاني عشر من رمضان ، وخرت به الخليفة وأذن بها الظهر ، وكان أختها يوم الاربعاء سابع رمضان ، ثم فتمت مرعش بعدها فدمت البشار ، ثم انتقل الجيش الى قلعة حموص فأصيب جماعة من الجيش منهم الامير علم الدين سنجر طعناً أصابه زيار في فخذه ، وأصاب الامير علم الدين الدويداري حفر في رجله .

ولما كان يوم الجمعة سابع عشر شوال هل الشيخ تقي الدين بن تيمية ميعاداً في الجهاد وحرص فيه وبالغ في أجور المجاهدين ، وكان ميعاداً حافلاً جليلاً .

وفي هذا الشهر عاد الملك المسعود بن خضر بن الظاهر من بلاد الاشكرى إلى ديار مصر بعد أن مكث هناك من زمن الأشرف بن المنصور ، وتلقاه السلطان بالموكب وأكرمه وعظمه . وحج الامير خضر بن الظاهر في هذه السنة مع المصريين وكان فيهم الخليفة الحاكم بأمر الله الباسق . وفي شهر شوال جلس المدرسون بالمدرسة التي أنشأها قائب السلطنة بمصر وهي المنكوترية داخل باب القنطرة . وفيها دقت البشار لاجل أخذ قلعتي حميص ونجم من بلاد سيس .

وفيها وصلت الجريدة من بلاد مصر فأصدين بلاد سيس مدداً لأنصحابهم ، وهي نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، وفي منتصف ذي الحجة أمسك الامير عز الدين أيك الجوى الذي كان نائب الشام هو وجماعة من أهله وأنصحابه من الامراء . وفيها قلت المياه بدمشق جداً حتى بقي ثورا في

بعض الأماكن لا يصل إلى ركبة الإنسان يوماً بردي فأنه لم يبق فيه مسكة ماء ولا يصل إلى جسر حسن بن ، وغلا سحر الثلج بالبد . وأما نيل مصر فأنه كان في غاية الزيادة والكثرة ومن توفي فيهما من الأعيان . (الشيخ حسن بن الشيخ علي الحريري)
في ربيع الأول بقرية بسر ، وكان من كبار الطائفة ، وكناس إليه ميل لحسن أخلاقه وجوده معاشرته ، وله سنة إحدى وعشرين وسنة .

(الصدر الكبير شهاب الدين)

أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي الرجا بن أبي الزهر التنوخي المعروف بابن السلموس ، أخو الوزير ، قرأ الحديث وسمع الكثير ، وكان من خيار عباد الله ، كثير الصدقة والبر ، توفي بداره في جمادى الأولى ، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير ، وعمل عزاءه بسجدة بن هشام ، وقبولى في وقت نظر الجامع وشكرت سيرته ، وحصل له وجاعة عظيمة عريضة أيام وزارة أخيه ، ثم عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك حتى توفي ، وشهد جنازته خلق كثير من الناس .

(الشيخ فحم الدين الأيكي)

محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي ، المعروف بالأيكي ، أحد الفضلاء الحلالين للمشكلات ، الميسرين المضلات ، لاسيما في علم الأصول والمنطق ، وعلم الاوائل ، بشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر ، وأقام مدرس النزالية قبل ذلك ، توفي بقرية المزة يوم جمعة ، ودفن يوم السبت ومشي الناس في جنازته ، منهم قاضي القضاة إمام الدين التزويقي ، وذلك في الرابع من رمضان ودفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ شمسة وعمل عزاءه بمحافل السيمسالية ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان مغلفي نفوس كثير من العلماء وغيرهم

(الصدر ابن عتبة)

إبراهيم بن أحمد بن عتبة بن حبة الله بن عطاء البصراوي ، درس وأعاد ، وولى في وقت قضاء حلب ، ثم سافر قبل وفاته إلى مصر فجاها بتوقيع فيه قضاء قضاء حلب ، فلما اجتاز بدمشق توفي بها في رمضان من ههنا السنة ، وله سبع وثلاثون سنة . يشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص وطول الأمل

(الشهاب البار)

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة الملقب بالحنبل شهاب الدين عابر الرؤيا ، سمع الكثير وروى الحديث . وكان مجيهاً في تفسير المنامات ، وله فيه اليد الطولى بوله تصنيف فيه ليس كالذي يؤثر عنه من الترائب والمعائب ، وله سنة ثمان وعشرين وسنة ، توفي في ذي القعدة ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

تم الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية . ويليه الجزء الرابع عشر . وأوله سنة ثمان وتسعين وسنة

فهرست الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية

محمية	الموضوع	محمية	الموضوع
٢	سنة تسع وثمانين وخمسة و فيها كانت وفاة	٢١	من توفي فيها من الاعيان .
	الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وابتداء	٢٢	سنة ست وتسعين وخمسة و
	مرضه وكيفية وفاته	٢٣	وفاة السلطان علاء الدين خوارزم شاه وغيره .
٤	ذكر تركته وشيء من ترجمته	٢٤	وفاة الامير لؤلؤ
٥	ذكر أنه لم يخلف أموالاً ولا أملاً كما وسبب ذلك	٢٥	وفاة القاضي الفاضل وزير مصر وما رآى به
٦	فصل في تقسيمه بلاد مملكته بين أولاده	٢٦	سنة سبع وتسعين وخمسة و
٧	ذكر من توفي في هذه السنة	٢٧	ما وقع فيها من الحوادث
٨	سنة تسعين وخمسة و	٢٨	من توفي فيها من الاعيان
٩	ما وقع في هذه السنة من الحوادث	٢٩	ابن الجوزي وعلمه وشعره وأدبه
١٠	من توفي في هذه السنة	٣٠	التمهيد للكتاب الاصبهاني
١١	وفاة ابن الشاطبي ناظم الشاطبية	٣١	بهاء الدين قراقوش
١٢	سنة إحدى وتسعين وخمسة و	٣٢	سنة ثمان وتسعين وخمسة و
١٣	ما وقع فيها من الحوادث ومن توفي فيها	٣٣	وفاة القاضي ابن الزكي
١٤	سنة ثنتين وتسعين وخمسة و	٣٤	الخطيب الدولي
١٥	سنة ثلاث وتسعين وخمسة و	٣٥	سنة تسع وتسعين وخمسة و
١٦	رسالة القاضي الفاضل من مصر إلى الملك	٣٦	وفاة القاضي الشهرزوري
١٧	العاقل بدمشق يحث على قتال الفرنج لانهاء	٣٧	سنة مائة من الهجرة . وما وقع فيها من الحوادث
١٨	بعدة هديتهم مع صلاح الدين الأيوبي	٣٨	وفاة الحافظين ابن عساكر وعبد الفتى المقدسي
١٩	موت ملك الفرنج ومن توفي من أعيان المسلمين	٣٩	سنة إحدى ومائة وما وقع فيها من الحوادث
٢٠	سنة أربع وتسعين وخمسة و	٤٠	من توفي فيها من الاعيان
٢١	وما حصل فيها بين الفرنج والمسلمين	٤١	سنة اثنتين ومائة . وما حصل فيها من الحرب
٢٢	من توفي في هذه السنة من الاعيان	٤٢	بين الكرج والمسلمين
٢٣	سنة خمس وتسعين وخمسة و	٤٣	من توفي فيها من الاعيان
٢٤	وفاة العزيز ملك مصر وكيفية وفاته	٤٤	سنة ثلاث ومائة
٢٥	وفاة سلطان المغرب : ابن عبد المؤمن		
٢٦	ما وقع في هذه السنة من الحوادث		

مصحف	الموضوع	مصحف	الموضوع
٤٦	من توفي فيها من الأعيان	٤٦	الفرنج مدينة دمياط
٤٧	سنة أربع وستائة	٨١	وفاة الملك القاهر صاحب الموصل
٤٩	من توفي فيها من الأعيان .	٨٢	سنة ست عشرة وستائة
٥١	سنة خمس وستائة	٥٠	ظهور جنكيز خان وعمود التتار نهر جيحون
٥٢	» ست »	٨٣	تخريب سور بيت المقدس
٥٤	وفاة ابن الأثير صاحب جامع الأصول والنهاية	٨٤	وفاة ست الشام واقفة للمدرستين
٥٥	» الفخر الرازي	٨٥	» أبي البقاء صاحب كتابي الأعراب والبلاب
٥٦	سنة سبع وستائة	٥٠	» الحافظ الكبير ابن عساكر
٥٧	وفاة صاحب الموصل نور الدين	٨٦	سنة سبع عشرة وستائة .
٥٨	وفيهما توفي من الأعيان الشيخ أبي عمر		وفيهما استنفل أمر التتار وعم البلاد بهم
٦٢	سنة ثمان وستائة		وذكر حواشيهم مع خوارزم شاه وأمرأه المسلمين
٦٣	» تسع »		وما حصل من القتل والحروب
٦٤	سنة عشر وستائة	٩٣	وفاة الشيخ عبد الله البونيني الملقب بأسد الشام
٦٦	وفاة النسابة ابن الكلبي	٩٤	سنة ثمان عشرة وستائة وفيها استولت التتار
٦٧	سنة إحدى عشرة وستائة		على كثير من البلدان
٦٨	من توفي فيها من الأعيان	٩٧	سنة تسع عشرة وستائة
٥٠	سنة اثنتي عشرة وستائة	٩٩	» عشرين »
٦٩	وفاة ولي المهد ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله .	٥٠	وفاة موفق الدين بن قدامة المقدسي
٥٠	وفاة الوجيه الأعمى أبي المبارك الواسطي	١٠٣	سنة إحدى وعشرين وستائة
٧١	سنة ثلاث عشرة وستائة .		وفيهما حاربت طائفة من التتار أهل الرى
٥٠	وفاة الكندي تاج الدين زيد بن الحسن وتاريخ حياته وأعماله وأشعاره	١٠٥	سنة اثنتين وعشرين وستائة .
٧٥	سنة أربع عشرة وستائة	١٠٦	وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر
٧٦	اقتضاء الهدية بين المادل والفرنج	١٠٧	خلافة الظاهر بن الناصر
٧٧	وفاة التمام المقدسي أخو عبد الغنى	١٠٨	وفاة الملك الافضل نور الدين بن صلاح الدين الأيوبي
٥٠	... جمال الدين الحوسنى	١٠٩	وفاة الفخر ابن تيمية
٧٨	سنة خمس عشرة وستائة	١١٢	وفاة الخليفة الظاهر وخلافة ابنه المستنصر
٧٩	وفاة الملك المادل أبو بكر بن أيوب وأخذ	١١٣	خلافة المستنصر بالله الملبى

مصحف	الموضوع	مصحف	الموضوع
١١٤	وفاة الجلال المصرى قاضى القضاة	١٥٤	وفاة صاحب حصص أسد الدين شيركوه
١١٥	» المعتمد والى دمشق	١٥٥	سنة ثمان وثلاثين وستائة
١١٧	سنة أربع وعشرين وستائة	١٥٦	وفاة عبي الدين بن عربى
١٢١	وفاة ملك التتار جنكيز خان لسنه الله	١٥٧	سنة سبع وثلاثين وستائة
١٢١	» السلطان الملك المعظم عيسى بن المادل	١٥٩	» أربعين وستائة . وفيها كانت وفاة
١٢٣	سنة خمس وعشرين وستائة		الخليفة المستنصر بالله
١٢٤	» ست وعشرين وستائة	١٦٠	خلافة المستنصر بالله بن المستنصر بالله
١٢٤	من توفى فيها من الأعيان	١٦١	وفيها وقع غلاء شديد بالعراق وتوفيت الست
١٢٧	سنة سبع وعشرين وستائة		خاتون بنت عز الدين معمود
١٢٨	» ثمان » »	١٦٢	سنة إحدى وأربعين وستائة
١٢٩	وفاة ابن معطى صاحب ألفية النحر		وفيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب بمصر
١٣٢	سنة تسع وعشرين وستائة		وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق
١٣٣	من توفى فيها من الأعيان	١٦٣	من توفى فيها من الأعيان
١٣٥	سنة ثلاثين وستائة	١٦٤	سنة اثنتين وأربعين وستائة
١٣٨	وفاة الشيخ شهاب الدين السهروردى	١٦٥	وفاة الملك المنبث عمر بن الصالح أيوب .
١٣٩	» ابن الأثير مصنف أسد النجابة		والوزير نصر الدين أبو الأثر
	والكامل	١٦٦	سنة ثلاث وأربعين وستائة وهى سنة
١٤٠	سنة إحدى وثلاثين وستائة		الغوارزمية قاتم حاصروا الصالح إسماعيل
١٤١	وفاة الشيخ عبد الله الأرمى		بدمشق وأخذوه هامة ثم صالحوه . وكانت
١٤٣	سنة اثنتين وثلاثين وستائة		حروب بين الصالح أيوب صاحب مصر
١٤٤	» ثلاث وثلاثين وستائة وفاته ابن دحية		والصالح إسماعيل بدمشق
١٤٥	سنة أربع وثلاثين وستائة .	١٦٨	وفاة تقي الدين ابن الصلاح
١٤٦	سنة خمس وثلاثين وستائة وفيها كانت وفاة	١٦٩	وفاة ابن النجار الحافظ صاحب التاريخ
	الأشرف ثم أخيه		والحافظ ضياء الدين المقدسى وغيرهما .
١٤٩	» الملك الكامل وما جرى بعده	١٧١	سنة أربع وأربعين وستائة
١٥١	سنة ست وثلاثين وستائة		انتصار الصالح أيوب وجنوده على الغوارزمية
١٥٢	وفاة جمال الدين الحصرى		والصالح إسماعيل .
١٥٣	سنة سبع وثلاثين وستائة		

مصحف	الموضوع	مصحف	الموضوع
١٧٢ وفاة الملك النصور صاحب حص		١٩٣ ذكر احتراق مسجد النبى الشريف	وصفها
١٧٣ سنة خمس وأربعين وسبائة		١٩٤ وفاة الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزى	
١٧٤ سنة ست وأربعين وسبائة .		١٩٥ سنة خمس وخمسين وسبائة	
وفيها حاصر صاحب مصر مدينة حص		١٩٦ فتنة عظيمة يفتددا بين الرافضة وأهل السنة	
١٧٦ وفاة الشيخ أبى عمرو بن الحالب المالكي		١٩٨ وفاة الملك الناصر ملك دمشق	
١٧٧ سنة سبع وأربعين وسبائة .		٠٠٠ » » المرأىك التركانى ملك مصر	
وفيها كانت وفاة الملك الصالح أيوب صاحب مصر وقتل ابنه توران شاه وتولية عز الدين أيك التركانى		١٩٩ شجرة الدر أم خليل التركية	
١٧٨ سنة ثمان وأربعين وسبائة		٠٠٠ ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة	
٠٠٠ تملك الملك عز الدين التركانى بعد بنى أيوب وهذا أول دولة الأتراك		٢٠٠ سنة ست وخمسين وسبائة	
١٧٩ ذكر ملك الناصر بن الظاهر صاحب حلب		فيها أخذت التتار بغداد . وما كان منهم من الحروب والأسر والقتل والشناعات	
... لمعشق بعد وفاة الصالح إسماعيل		٢٠٤ وفاة خليفة الوقت المستنصر بالله وترجمته	
ذكر شيء من ترجمة الصالح إسماعيل		٢٠٦ قصيدة لبعض الفضلاء ذكر فيها خلفاء الدولة	
١٨٠ من توفى في هذه السنة من الاعيان		الاموية والعباسية والفاطمية	
١٨١ سنة تسع وأربعين وسبائة		٢٠٩ قصيدة المؤلف ابن كثير في ذلك	
١٨٢ » » خمسين وسبائة		٢١٢ وفاة الحافظ المنبرى . والوزير ابن الملقى	
١٨٣ وفاة الشيخ الواعظ محمد بن غانم الأصفهاني		الرافضي وغيرهما من الأعيان	
١٨٤ سنة إحدى وخمسين وسبائة		٢١٥ سنة سبع وخمسين وسبائة	
وفيها وقع الصلح بين صاحب مصر وصاحب الشام بعد حروب شديدة نشبت بينهما		٢١٦ ولاية الملك المنظر قطز .	
١٨٥ سنة اثنتين وخمسين وسبائة		٠٠٠ وفاة الشيخ الاقيني	
١٨٦ » ثلاث »		٢١٨ سنة ثمان وخمسين وسبائة	
١٨٧ » أربع »		٢١٩ صفة أخذ التتار مدينة دمشق وزوال ملكهم عنها سرىاً	
وفي هذه السنة كان ظهور النار بأرض الحجاز التي أضاعت لها أعناق الابل بمصرى وملاورد في ذلك من أهل المدينة من رسائل في		٢٢٠ انتصار المسلمين على التتار في عين جالوت	
		٢٢٢ ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس	
		٢٢٤ من توفى فيها من الاعيان	
		٢٢٥ وفاة الملك المنظر قطز	

مصحف	الموضوع	مصحف	الموضوع
٢٢٦	هلاك كتبنا نوين نائب هولاء التتري	٢٥١	فتح إفاكية على يد الملك الظاهر
٢٢٧	وفاة الشيخ محمداليونيني وترجمته	٢٥٢	الحوادث الواقعة في هذه السنة
٢٢٩	سنة تسع وخمسين وستمائة	٢٥٤	سنة سبع وستين وستمائة
٢٣١	ذكر البيعة بالخلافة للمستنصر بالله بعد وفاة	٢٥٦	ثمان » » »
	المستنصر بالله في سنة ست وخمسين وستمائة	٥٠٠	وفيها قتل صاحب مراکش
٢٣٢	تولية الخليفة المستنصر بالله السلطنة للهالك	٢٥٧	سنة تسع وستين وستمائة
	الظاهر	٢٥٩	ما وقع فيها من الحوادث والوفيات
٥٠٠	ذكر ذهاب الخليفة إلى بغداد	٢٦٢	سنة سبعين وستمائة
٢٣٣	سنة ستين وستمائة . وفيها قتل الخليفة	٢٦٢	من توفي فيها من الاعيان
	المستنصر بالله	٢٦٣	سنة إحدى وسبعين وستمائة
٥٠٠	ذكر بيعة الحاكم بأمر الله المباسي	٢٦٤	سنة اثنتين وسبعين وستمائة
٢٣٤	نبذة من تاريخ حياة المستنصر بالله	٢٦٧	وفاة ابن مالك صاحب الالفية في النحو
٢٣٧	سنة إحدى وستين وستمائة		والنصير الطوسي الفيلسوف
٥٠٠	ذكر خلافة الحاكم بأمر الله المباسي	٢٦٨	سنة ثلاث وسبعين وستمائة
٢٣٨	ذكر أخذ للظاهر الكرك وإعدام صاحبها	٢٦٩	» أربع » » »
٢٤٥	ما وقع في هذه السنة من الحوادث	٢٧١	» خمس » » »
٢٤١	مولد الشيخ تقي الدين ابن تيمية .	٥٠٠	وقبة البلستين
٢٤٢	سنة اثنتين وستين وستمائة	٢٧٤	سنة ست وسبعين وستمائة
٢٤٣	وفاة الملك الاشرف موسى بن المنصور	٥٠٠	وفاة الملك الظاهر وترجمة حياته
	إبراهيم	٢٧٦	تولية الملك السعيد بعد أبيه الظاهر
٢٤٤	سنة ثلاث وستين وستمائة	٢٧٨	وفاة الشيخ محي الدين النووي
٢٤٦	سنة أربع وستين وستمائة	٢٧٩	سنة سبع وسبعين وستمائة
٢٤٧	ما وقع فيها من الحوادث	٢٨١	من توفي فيها من الاعيان
٢٤٨	هلاك هولاء كوخان ملك التتار	٢٨٣	وفاة ابن إسرائيل الحبري . وذكر قصيدة
٥٠٠	سنة خمس وستين وستمائة		طويلة من شعره
٢٤٩	وفاة السلطان بركة خان ملك التتار .	٢٨٧	سنة ثمان وسبعين وستمائة
	وقاضي القضاة بدر الدين .	٢٨٨	ذكر خلع الملك السعيد وتولية أخيه العادل
٢٥٠	للشيخ أبو شامة صاحب الروضتين		سلاسل
٢٥١	سنة ست وستين وستمائة	٢٨٨	ذكر بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى

الموضوع	مصحفة	الموضوع	مصحفة
٣٣٤ سنة ثلاث وتسعين وستائة وفي أولها كان مقتل		٢٨٩ ذكر سلطنة سنقر الأشقر بدمشق	
الملك الأشرف خليل وتولية ابنه الناصر		٢٩٠ سنة تسع وسبعين وستائة	
٣٣٥ وقعة عساف النصراني		٢٩٣ » ثمانين »	
٢٣٦ من توفي في هذه السنة من الأعيان		٢٩٥ وقعة حمص	
٣٣٧ وفاة فاضل القضاة شهاب الدين بن الخوي		٢٩٧ هلاك أبنائهم التتار	
٣٣٨ » الوزير شمس الدين محمد بن عثمان		٠٠٠ من توفي فيها من أعيان المسلمين	
٠٠٠ سنة أربع وتسعين وستائة		٢٩٩ سنة إحدى وثمانين وستائة	
٠٠٠ ذكر سلطنة المادل كتبنا		٣٠٠ وفاة ابن خلكان	
٣٣٩ أعمال المادل كتبنا في دولته		٣٠١ سنة اثنتين وثمانين وستائة	
٣٤٠ من توفي فيها من الأعيان ومنهم الشيخ		٣٠٣ » ثلاث »	
أبو الرجال المنيني . والشيخ محب الدين		٣٠٥ » أربع »	
الطبري المكي		٣٠٧ » خمس »	
٣٤١ وفاة الملك المظفر صاحب اليمن		٣٠٩ » ست »	
٠٠٠ شرف الدين القنص		٣١١ » سبع »	
٣٤٢ الشيخ الفاروقي		٣١٣ » ثمان »	
٣٤٣ الصدر جمال الدين التكريتي		وفيها كان فتح مدينة طرابلس	
٠٠٠ سنة خمس وتسعين وستائة		٣١٦ سنة تسع وثمانين وستائة	
وفيها حصل غلاء وفناء بالبلاد المصرية		٠٠٠ وفاة الملك المنصور قلاوون وتولية ولده	
٣٤٤ ما وقع فيها من العزل والتولية والحوادث		الأشرف خليل	
٣٤٥ من توفي في هذه السنة ومنهم العالم العلامة زين		٣١٧ تاريخ حياة قلاوون	
الدين بن منجا . والمسمودي صاحب حمام المرة		٣١٩ سنة تسعين وستائة من الهجرة	
٣٤٦ سنة ست وتسعين وستائة		٣٢٠ ذكر فتح عكا وبقية السواحل	
٣٤٧ خلع السلطان كتبنا عن سلطنة مصر		٣٢٤ من توفي في هذه السنة من الأعيان	
٣٤٨ ذكر سلطنة الملك المنصور ولايين السلحداري		٣٢٥ وفاة الشيخ تاج الدين الفزاري	
٣٥٠ من توفي في هذه السنة من الأعيان . ومنهم		٣٢٦ سنة إحدى وتسعين وستائة	
فاضل قضاة الحنابلة عز الدين عمر بن عبد الله		٣٢٧ فتح قلعة الروم	
٣٥١ سنة سبع وتسعين وستائة		٣٢٨ قصيدة الشهاب محمود في مدح الملك	
٠٠٠ فتح قل حدون		الأشرف	
(ثم الفهرس)		٣٣٣ سنة اثنتين وتسعين وستائة	

البَيِّنَاتُ وَالنَّهَائِيَّةُ

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر للتورخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الرابع عشر



منطبعة النعاذ في دار محافظة بصره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستائة)

استهلت والخليفة الحاكم العباسي و السلطان البلاد المنصور لاجين وقابله بمصر مملوكه سيف الدين منكوتر، وقاضى الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والحنفى حسام الدين الرازى، والمالكي والحنبلى كما تقدم. وقاب الشام سيف الدين قبيق المنصورى، وقضاة الشام المذكورون فى التى قبلها، والوزير تقي الدين نوبة، والخطيب بدر الدين بن جماعة.

ولما كان فى أثناء المحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سويس بسبب المرض اذى أصاب بعضهم، فجاء كتب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم، وأن الجيش يخرج جميعه صحبة نائب السلطنة قبيق إلى هناك ونصب مشاقق لمن تأخر ينفى أو غيره، فخرج نائب السلطنة الامير سيف الدين قبيق ومحبته الجيوش وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ما جرت به العادة، فبرز نائب السلطنة فى أبهة عظيمة فدعت له العامة وكانوا يحبونه، واستمر الجيش سائرین قاصدين بلاد سويس، فلما وصلوا إلى حصن بلغ الأمير سيف الدين قبيق وجماعة من الامراء أن السلطان قد تقلت خاطره بسبب سعى منكوتر فيهم، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لحيته له، فاتفق جماعة منهم على الدخول إلى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم، فساقوا من حصن فيمن أطاعهم، وهم قبيق وبزلى وبكتسر السلحدار والابلى، واستمروا ذاهبين. فرجع كثير من الجيش إلى دمشق، وتخبطت الامور وتأسفت العوام على قبيق لحسن سيرته، وذلك فى ربيع الآخر من هذه السنة فاتفقوا وإياه راجعون.

ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى الناصر محمد بن قلاوون

لما كان يوم السبت التاسع عشر ربيع الآخر وصل جامع من البردية وأخبروا بقتل السلطان الملك المنصور لاجين وثأبه سيف الدين منكوتمر، وأن ذلك كان ليلة الجمعة حادي عشره، على يد الأمير سيف الدين كرجي الاشرفي ومن واقفه من الامراء، وذلك بحضور القاضي حسام الدين الحنفي وهو جالس في خدمته يتحدثان، وقبل كاتا يلعبان بالشطرنج، فلم يشعرا إلا وقد دخلوا عليهم فبادروا إلى السلطان بسرعة جبهة ليلة الجمعة فقتلوه وقتل ثأبه صبراً صبيحة يوم الجمعة وألقى على مزبلة، واتفق الامراء على إبادة ابن أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأرسلوا وراعه، وكان بالكرك وقادوا له بالقاهرة، وخطب له على المنابر قبل قدومه، وجاءت الكتب إلى نائب الشام فبعث فوجدوه قد فرّ خوفًا من غائلة لاجين، فسارت إليه البردية فلم يدركوه إلا وقد لحق بالمنزل عند رأس العين، من أعمال ماردین، وطارط الحال ولا قوة إلا بالله.

وكان الذي سمر العزم وراهم وسلق ليردم الأمير سيف الدين بلبان، وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أرجواش، والأمير سيف الدين جاعان، واحتاطوا على ما كان له اختصاص بتلك الدولة، وكان منهم جمال الدين يوسف الرومي محاسب البلد، وناصر المارستان، ثم أطلق بمددته وأعيد إلى وظائفه، واحتبط أيضاً على سيف الدين جاعان وحسام الدين لاجين وإلى البر، وأدخلا القلعة، وقتل بمصر الأمير سيف الدين طنجي، وكان قد نهب عن الناصر أربعة أيام، وكرجي الذي تولى قتل لاجين قتيلاً وألقيا على المزابل، وجعل الناس من العامة وغيرهم يتألمون صورة طنجي، وكان جميل الصورة، ثم بعد الدلال والمال والملك وارثهم هناك قبور، فدفن السلطان لاجين وعند رجلية ثأبه منكوتمر، ودفن الباقيون في مضاجعهم هناك.

وجاءت البشائر بدخول الملك الناصر إلى مصر يوم السبت رابع جمادى الأولى، وكان يوماً مشهوداً، ودقت البشائر ودخل القضاة وأكابر الدولة إلى القلعة، وبيع بمضرة علم الدين أرجواش، وخطب له على المنابر بمدح وفيرها بمضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء، وجاء الخبر بأنه قد ركب وشق القاهرة وعليه خلة الخليفة، والجيش معه مشاة، فضربت البشائر أيضاً. وجاءت مراسيمه ففرمت على السدة وفيها الرقي بإرعيا والأمر بالاحسان إليهم، فدعوا له، وقسم الأمير جمال الدين آقوش الاقرم ثأباً على دمشق، فدخلها يوم الأربعاء قبل العشرين جمادى الأولى، فقتل بدار السعادة على العادة، وفرح الناس بقدومه، وأشعلوا له الشموع، وكذلك يوم الجمعة أشعلوا له لما جاء إلى صلاة الجمعة بالقصورة. وبعد أيام أفرج عن جاعان ولاجين وإلى البر، وعادوا إلى ما كانوا عليه، واستقر الأمير حسام الدين الاستادار أتابكا لساكر المصرية، والأمير

سيف الدين سلاسل نائباً بمصر، وأخرج الأصغر في رمضان من الحبس وولى الوزارة بمصر، وأخرج قراستغر المنصوري من الحبس وأعطى نيابة الصببية، ثم لما مات صاحب حمة الملك المظفر قتل قراستغر إليها.

وكان قد وقع في أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلدة محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية قام عليه جماعة من العقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضى جلال الدين الحنفى، فلم يحضر فتودى في البلدة في العقيدة التي كان قد سألها عنها أهل حمة المسلة بالحوية، فانتصر له الأمير سيف الدين جامان، وأرسل يطلب القدين قاموا عنده فاخفى كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون. فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين المياد بالجامع على عادته، وفسر في قوله تعالى (وإنك لمل خلق عظيم) ثم اجتمع بالقاضى إمام الدين يوم السبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء ويحمنوا في الحوية وناقشوه في أماكن فيها، فأجلب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير، ثم ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الأمور، وسكنت الأحوال، وكان القاضى إمام الدين مستقده حسناً ومقصده صالحاً.

وفيها وقف علم الدين سنجر الهويدار رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث، وولى مشيخته الشيخ علاء الدين بن المطار وحضر عنده القضاة والأعيان، وعمل لهم ضيافة، وأفرج عن قراستغر. وفي يوم السبت حادى عشر شوال فتح مشهد عثان الذى جده ناصر الدين بن عبد السلام فآثر الجامع، وأضاف إليه مقصورة الخدم من شماله، وجعل له إماماً راتباً، وحاكى به مشهد على بن الحسين زين العابدين. وفي العشر الأولى من ذى الحجة عاد القاضى حسام الدين الرازى إلى قضاء الشام، وعزل عن قضاء مصر، وعزل ولده عن قضاء الشام. وفيها في ذى القعدة كثرت الأراجيف بقصد التتر بلاد الشام وبالله المستعان.

ومن توفى فيها من الأعيان. (الشيخ نظام الدين)

أحمد بن الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام المحصرى ^(١) الحنفى، مدرس التنويرية بطن الحرم، ودفن في تاسعة يوم الجمعة في مقابر الصوفية، كان فاضلاً، ثب في الحكم في وقت ودرس بالتنويرية بعد أبيه، ثم درس بعده الشيخ فحس الدين بن الصدر سليمان بن التقيب.

(المفسر الشيخ العالم الزاهد)

جمال الدين عبد الله بن محمد بن سليمان بن حسن بن الحسين البلخى، ثم المقدسى الحنفى، ولد في النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستائة بالقنس، واشتغل بالقاهرة وأقام مدة بالجامع الأزهر ودرس في بعض المدارس هناك، ثم انتقل إلى القنس فاستوطنه إلى أن مات في الحرم منها، وكان

(١) في الشفوات: ابن المحصر.

شيخنا فاضلاً في التفسير ، وله فيه مصنف حافل كبير جمع فيه خمسين مصنفاً من التفسير ، وكان الناس يقصون زيارته بالقنس الشريف ويحرمون به .

﴿ الشيخ أبو يعقوب المغربي المقيم بالقنس ﴾

كان الناس يجتمعون به وهو منقطع بالمسجد الأقصى ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول فيه : هو على طريقة ابن عربي وابن سبعين ، توفي في الحرم من هذه السنة .

﴿ التقي توبة الوزير ﴾

تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة الرعي الشكريتي ، ولد سنة عشرين وسبعمائة يوم عرفة بقرعة ، وتقل بالعلم إلى أن صار وزيراً بمشق مرات عديدة ، حتى توفي ليلة الخميس ثاني جادى الآخرة ، وصلى عليه غداة بالمجمع وسوق الخليل ، ودفن بقرية تجاه دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان ، وبشر به نذر الدواوين نذر الدين بن الشيرجى ، وأخذ أمين الدين بن الحلال نظر الخزانة .

﴿ الأمير الكبير ﴾

شمس الدين بيسرى ، كان من أكابر الأمراء المتقدمين في خدمة الملوك ، من زمن قلاوون وهلم جرا ، توفي في السجن بقلعة مصر ، وعمل له عزاء بالمجمع الأموى ، وحضره نائب السلطنة الأقرم والقضاة والأعيان .

﴿ السلطان الملك المنظر ﴾

تقي الدين محمود بن نصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حاة ، وابن ملوكها كبرا عن كابر ، توفي يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى القعدة ، ودفن ليلة الجمعة .

﴿ الملك الأواحد ﴾

نجم الدين يوسف بن الملك داود بن المظفر ناصر القدس ، توفي به ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة ودفن برامله عند باب حطة عن سبعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان من خيار أبناء الملوك ديناً وفضيلة وإحساناً إلى الضعفاء .

﴿ القاضي شهاب الدين يوسف ﴾

ابن الصالح محب الدين بن النحاس أحد رؤساء الخففة ، ومدرس الزنجانية والظاهرية ، توفي ببستانه بالمرزة ثالث عشر ذى الحجة ، ودرس بعده بالزنجانية القاضي جلال الدين بن حسام الدين .

﴿ الصاحب نصر الدين أبو القاسم ﴾

سالم بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن صبرى التنغلي ، كان أحسن حالاً من أخيه القاضي نجم الدين ، وقد سمع الحديث وأممحه ، كان صدراً مظلماً ، ولحقه نظر الدواوين ونظر الخزانة ،

ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة ، ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة ومات ، توفي يوم الجمعة ثامن وعشرين ذى الحجة ، وصلى عليه بعد الجمعة بالجامع ، ودفن بترتهم بسفح قاسيون ، وعمل حراؤه بالصاحبية .
 ﴿ ياقوت بن عبد الله ﴾

أبو الدر المستنصرى الكاتب ، لقبه جمال الدين ، وأصله رومى ، كان فاضلاً مليح الخط مشهوراً بذلك ، كتب ختماً حسناً ، وكتب الناس عليه ببغداد ، وتوفي بها في هذه السنة ، وله شعر رائع ، فنه ما أورده الهرزالي في تاريخه عنه :

تجدد الشمس شوقي كلما طلعت • إلى عبيك يا محمى ويا بصرى
 وأسهر الليل فى أنس بلاونس • إذ طيب ذكراك فى ظلماته يسرى
 وكل يوم مضى لا أراك به • فلتت محتباً ماضيه من عبرى
 ليلى نهار إذا مادرت فى خلدى • لأن ذكرك نور القلب والبصر
 ﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وسبعمائة ﴾

وفىها كانت وقعة قازان ، وذلك أن هذه السنة استهلكت والخليفة والسلطان هما المذكوران فى التى قبلها ، وقائب مصر سلاطه ، وقائب الشام آقوش الأقرم ، وسائر الحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام ، وقد خاف الناس من ذلك خوفاً شديداً ، وجعل الناس من بلاد حلب وحماة ، وبلغ كرى الخليل من حماة إلى دمشق نحو المائتين درهم ، فلما كان يوم الثلاثاء تافى الحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصداً الشام ، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق فى مطر شديد وحل كثير ، ومع هذا خرج الناس لتلقيه ، وكان قد أظم بفرقة قريبا من شهرين ، وذلك لما بلغه قدوم التتار إلى الشام ، قهياً قلقاً وجاء فدخل دمشق قتل بالطارمة ، وزينت له البلدة ، وكثرت له الأدمية وكان وقتاً شديداً ، وحالا صعباً ، وامتلاء البلدة من الجفائين التنازحين عن بلادهم ، وجلس الأعسر وزير الدولة وطالب المال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش ، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش ، وخرج معهم خلق كثير من المتطوعة ، وأخذ الناس فى الدعاء والقنوت فى الصلوات بالجامع وغيره ، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالأدعية .
 ﴿ وقعة قازان ﴾

لما وصل السلطان إلى وادى الخزندار عند وادى سلمية ، فالتقى التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول فالتقوا معهم فكسروا المسلمين وولى السلطان هارباً فأتاه وإنا إليه راجعون ، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير ، وقد فى المعركة غنى قضاء

الحنفية ، وقد صبروا وأبوا بلاء حسناً ، ولكن كان أمر الله قنراً مقدوراً ، فولى المسلمون لايلى أحد على أحد ، ثم كانت المعاقبة بعد ذلك للمتقين ، غير أنه رجعت الساكر على أعقابها للديار المصرية واجتاز كثير منهم على دمشق ، وأهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، ثم إتهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر ، وماذا يجدي الحذر إذا نزل القدر ، ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بلبك والبقاع ، وأبواب دمشق منقطة ، والقلة محصنة والنلاء شديد والحال ضيق وفرج الله قريب ، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر ، كالفاضل إمام الدين الشافعي ، وفاضل المالكية الزاوي ، وتاج الدين الشيرازي ، وعلم الدين السوافي والي البر ، وجمال الدين بن النحاس والي المدينة ، والمحسب وغيرهم من التجار والموام ، وبقي البلد شاغراً ليس فيهم حاكم سوى نائب القلة .

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبسون ببحس باب الصغير الحبس وخرجوا منه على حية ، وفتقروا في البلد ، وكاتوا قريبا من مائتي رجل ، قهروا ما قدروا عليه ، وجازوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب البراني وخرجوا منه إلى بر البلد ، فتفرقوا حيث شاؤوا لا يقدر أحد على ردهم ، وعانت الحرافشة في ظاهر البلد فكسروا أبواب البساتين وقلموا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً ، وابعوا ذلك بأرض الأتمان ، هنا وسلطان التتار قد قصد دمشق بعد الوقت ، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين بن تيمية في مشهد على واتفقوا على السير إلى قازان لتلقيه ، وأخذ الأمان منه لاهل دمشق ، فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر فاجتمعوا به عند النبك ، وكلمه الشيخ تقي الدين كلاماً قوياً شديداً فيه مصلحة عظيمة عاد نفها على المسلمين والله الحمد . ودخل المسلمون ليلتشد من جهة قازان فتزلوا بالبدرانية وغلقت أبواب البلد سوى باب توما ، وخطب الخطيب بالجامع يوم الجمعة ، ولم يذكر سلطاناً في خطبته ، وبعد الصلاة قدم الامير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل فتزلوا بيستان الظاهر عند الطرن . وحضر الفرمان بالامان وطيف به في البلد ، وقرئ يوم السبت ثامن الشهر بمقصودة الخطابة ، ونثر شيء من الذهب والفضة . وفي ثاني يوم من المناداة بالامان طلبت الخيول والصلاح والاموال الحجابة عند الناس من جهة الدولة ، وجلس ديوان الاستخلاص إذ ذاك بالمدرسة القيصرية ، وفي يوم الاثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قبجي المنصوري قتل في الميدان واقترب جيش التتر وكثر الميث في ظاهر البلد ، وقتل جماعة وغلت الاسعار بالبلد جباً ، وأرسل قبجي إلى نائب القلة ليسلمها إلى التتر فلمتغ أرجواش من ذلك أشد الامتناع ، فجمع له قبجي أعيان البلد فكلموه أيضاً فلم يجبههم إلى ذلك ، وصمم على ترك تسليمها إليهم وبها عين تطرف ، فان الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلة يقول له ذلك ، فلم يبق فيها

الإحبر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت ، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام فإن الله حفظ لهم هذا الحصن والمقل الذي جعله الله حرزا لأهل الشام التي لا تزال دار إيمان وسنة ، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم . وفي يوم دخول قبحق إلى دمشق دخل السلطان ونائبه سار إلى مصر كما جاءت البطاقة بذلك إلى القلعة ، ودقت البشائر بها فتوى جاش الناس بعض قوة ، ولكن الأمر كما يقال : كيف السبيل إلى سعاد ودونها • قلل الجبال ودونهن حنوف

الرجل حافية ومالي مركب • والكف صفر والطريق مخوف
وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق بحضور المنول بالمتصورة ودعى له على السدة بعد الصلاة وقرئ عليها مرسوم بنبأ قبحق على الشام ، وذهب إليه الأعيان فهزؤه بذلك ، فأظهر الكرامة وأنه في نسب عظيم مع التتر ، ونزل شيخ المشايخ محمود بن علي الشيباني بالمدرسة العادلية الكبيرة . وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية ومسجد الاسديّة ومسجد خاتون ودار الحديث الاشرفية بها واحترق جامع التوبة بالمعينية ، وكان هذا من جهة الكرج والارمن من النصاري الذين هم مع التتار قبحقهم الله . وسبوا من أهلها خلقا كثيرا وجما غفيرا ، وجاء أكثر الناس إلى رباط الخنابة فاحتاطت به التتار فغماه منهم شيخ الشيوخ المذكور ، وأعطى في الساكن مال له صورة ثم أقحموا عليه فسبوا منه خلقا كثيرا من بنات المشايخ وأولادهم فآثاه وإنا إليه راجعون .

ولما نكب دير الخنابة في ثاني جمادى الاولى قتلوا خلقا من الرجال وأسروا من النساء كثيرا ، ونال قاضي القضاة قتي الدين أذى كثير ، ويقال إتهم قتلوا من أهل الصالحية قريبا من أربع مائة ، وأسروا نحو من أربعة آلاف أسير ، ونهبت كتب كثيرة من الرباط النصرى والضيائية ، وخزانة ابن البرزوري ، وكانت تباع وهي مكتوب عليها الوقفية ، وقلوا بالزرة مثل ما فعلوا بالصالحية ، وكذلك بداريا وبنيها ، وقصص الناس منهم في الجامع بداريا فقتلوه قسرا وقتلوا منهم خلقا وسبوا نساءهم وأولادهم ، فآثاه وإنا إليه راجعون .

وخرج الشيخ ابن تيمية في جماعة من أصحابه يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتر وعاد بعد يومين ولم يتفق اجتماعه به ، حجه عنه الوزير سعد الدين والشيد مشير الدولة المسلماني ابن يهودي ، والتزموا له بقضاء الشغل ، وذكر أنه أن التتر لم يحصل لكثير منهم شيء إلى الآن ، ولا بد لهم من شيء ، واشتهر بالبلد أن التتر يريدون دخول دمشق فترجع الناس قلقا وخافوا خوفا شديدا ، وأرادوا الخروج منها والحرب على وجوههم ، وأين الفرار ولات حين مناص ، وقد أخذ من البلد فوق العشرة آلاف فرس ، ثم فرضت أموال كثيرة على البلد موزعة على أهل الاسواق

كل سوق يحسبه من المال، فلا قوة إلا بالله. وشرع التتر في عمل مجانيق بالجامع ليرموا بها القلعة من صحن الجامع، وغلقت أبوابه ونزل التتر في مشاهدته يحرسون أخشاب المجانيق، وينهبون ماحوله من الأسواق، وأحرق أرجوان ماحول القلعة من الابنية، كدار الحديث الأشرفية وغير ذلك، إلى حد العادلية الكبيرة، وأحرق دار السعادة لئلا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها، ولزم الناس منازلهم لئلا يسخروا في طم الخندق، وكانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل، والجامع لا يصل فيه أحد إلا اليسير، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلا بجهد جليل، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بشباب زيه ثم يعود سريعاً، ويظن أنه لا يعود إلى أهله، وأهل البلد قد أذاقهم الله لباس الجوع والتفوي بما كانوا يصنعون، فاتاهه وإنا إليه راجعون. والمصادرات والتراسيم والتعويل عملة في أكبر أهل البلد ليلاً ونهاراً، حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف، كل جامع وغيره، ثم جاء مرسوم بصيانة الجامع وتوفير أوقافه وصرف ما كان يؤخذ بخزائن السلاح وإلى الحجاز، وقرئ ذلك المرسوم بعد صلاة الجمعة بالجامع في تاسع عشر جمادى الأولى، وفي ذلك اليوم توجه السلطان قازان وترك نوابه بالشام في ستين ألف مقاتل نحو بلاد العراق، وجاء كتابه إنا قد تركنا نوابنا بالشام في ستين ألف مقاتل، وفي عزمنا العود إليها في زمن الخريف، والمخول إلى الديار المصرية وقتها، وقد أعجزتهم قلعة أن يصلوا إلى حجر منها، وخرج سيف الدين قبيق لتوديع قطوش شاه نائب قازان وسار وراعه وضربت البشائر بالقلعة فرحاً لرحيلهم، ولم تفتح القلعة، وأرسل أرجواش ثاني يوم من خروج قبيق القلعة إلى الجامع فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به، وجادوا إلى القلعة سريعاً سالمين، واستصحبوا معهم جماعة ممن كانوا يلوذون بالترقرقر إلى القلعة، منهم الشريف القسي، وهو شمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد بن أبي القاسم المرتضى العلوي، وجاءت الرسل من قبيق إلى دمشق فنادوا بها طيبراً أنفوسكم واقتحروا دكا كينكم وتبيتوا غداً لتلقى سلطان الشام سيف الدين قبيق، فخرج الناس إلى أما كنهم فأشرفوا عليها فرأوا ما بها من الفساد والعمار، وافلت رؤساء البلد من التراسيم بعد ما ذاقوا شيئاً كثيراً.

قال الشيخ علم الدين البرزالي: ذكر لي الشيخ وجيه الدين بن المنجا أنه حل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستة آلاف درهم، سوى ما تمحق من التراسيم والبراطيل وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء، وأن شيخ المشايخ حصل له نحو من ستاة ألف درهم، والاصل بن النصير الطوسي مائة ألف، والصفى السخاوي ثمانون ألفاً، وعاد سيف الدين قبيق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر خامس عشر من جمادى الأولى وسماه الأليكي وجماعة، وبين يديه السيوف مسطحة وعلى

رأسه عصاية قتل بالعصر وتودى بالبلد نائبكم قبجق قد جاء فافتحوا دكا كينكم واعملوا معاشكم ولا ينرر أحد بنفسه هذا الزمان والاسمار في غاية الغلاء والنفقة ، قد بلغت الفرارة إلى أربائة ، والقمم الرطل بنحو العشرة ، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف ، والعشرة الفتيق بنحو الأربعين ، والجبين الأوقية بدرم ، والبيض كل خمسة بدرم ، ثم فرج عنهم في أواخر الشهر ، ولما كان في أواخر الشهر نادى قبجق بالبلد أن يخرج الناس إلى قرام وأمر جماعة وانضاف إليه خلق من الأجناد ، وكثرت الأراجيف على بابه ، وعظم شأنه ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قبجق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة ، وركب قبجق بالمصائب في البلد والشلو يشية بين يديه ، وجيز نحواً من ألف فارس نحو خربة القصوص ، ومشى مشى الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسم العالية النافذة ، وصار كما قال الشاعر :

يا لك من قبرة بعمري • خلاك الجو فيبضي واصغري • وتري ماشئت أن تنقري
ثم إنه ضمن الخارات ومواضع الزنا من الحانات وغيرها ، وجعلت دار ابن جراحة خارج من باب توما خيرة وحانة أيضاً ، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم ، وهي التي دمرته وعقت آثاره وأخذ أموالاً آخر من أوقاف المدارس وغيرها ، ورجع بولاي من جهة الأغوار وقد عاث في الأرض فساداً ، ونهب البلاد وخرب ومسه طائفة من التتر كثيرة ، وقد خربوا قرى كثيرة ، وقتلوا من أهلها وسبوا خلقاً من أطفالها ، وجي لبولاي من دمشق أيضاً جباية أخرى ، وخرج طائفة من القلعة قتلوا طائفة من التتر ونهبوا ، وقتل جماعة من المسلمين في غيبت ذلك ، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر ورسم قبجق خطيب البلد وجماعة من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيستكلموا مع نائبها في المصالحة فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة ، فكلوه وبالقوا معه فلم يجب إلى ذلك وقد أجاد وأحسن وأرجل في ذلك يرض الله وجهه .

وفي ثامن رجب طلب قبجق القضاة والأعيان لغفهم على المناجحة للدولة المحمودية - يعني قازان - لغفلوا له ، وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى نجف بولاي فاجتمع به في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين ، فاستقنع كثيراً منهم من أيديهم ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد ، ثم راح إليه جماعة من أعيان دمشق ثم علاوا من عنده فسلموا عند باب شرقي وأخذ ثيابهم وحمائمهم ورجعوا في شرحاته ، ثم بحث في طلبهم فاخفى أكثرهم وتغيّبوا عنه ، وتودى بالجمع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن الساكر المصرية قادمة إلى الشام ، وفي عشية يوم السبت رحل بولاي وأصحابه من التتر وانشروا عن دمشق وقد أراح الله منهم وساروا من على عقبة دمر فساتوا في تلك النواحي فساداً ، ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم أحد ، وقد أراح الله عز وجل

شرهم من العباد والبلاذ ، ونادى قبجق في الناس قد أمنت الطرقات ولم يبق بالشام من النتر أحد ، وصلى قبجق يوم الجمعة عاشر رجب بالقصورة ، ومعه جماعة عليهم لأمة الحرب من السيوف والقسى والترا كيش فيها الشباب ، وأمنت البلاد ، وخرج الناس للفرجة في قبض السفرجل على عاتهم فصارت عليهم طائفة من النتر ، فلما رأوم وجوا إلى البلد هاربين مسرعين ، ونهب بعض الناس بعضاً ومنهم من ألقى نفسه في النهر ، وإنما كانت هذه الطائفة يجنازين ليس لهم قرار ، وتعلق قبجق من البلد ثم إنه خرج منها في جماعة من رؤسائها وأعيانها منهم عز الدين ابن القلانسي ليتلقوا الجيش المصري وذلك أن جيش مصر خرج إلى الشام في قلع رجب وجاءت البردية بذلك ، وبقي البلد ليس به أحد ، ونادى أرجواش في البلد احفظوا الاسوار وأخرجوا ما كان عندكم من الاسلحة ولا تهملوا الاسوار والابواب ، ولا يبيت أحد إلا على السور ، ومن بات في داره شق ، فاجتمع للناس على الاسوار لحفظ البلاد ، وكان الشيخ قتي الدين بن تيمية يدور كل ليلة على الاسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط .

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر فخرج الناس بذلك ، وكان يخطب قهزبان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء . وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ قتي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الحارات والحانات فكسروا آنية الخور وشققوا الظروف وأراقوا الخور ، وعزروا جماعة من أهل الحانات المنخفضة لهذه الفواحش ، فخرج الناس بذلك ، ونودي يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تزين البلد لاقوم الصاكر المصرية ، وفتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر يوم الأحد تاسع عشر رجب ، فخرج الناس بذلك وافرجوا لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر ، وقدم الجيش الشامي محبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم يوم السبت عاشر شعبان ، وثاني يوم دخل بقية الصاكر وفيهم الأمهرا ن قيس الدين قراستقر المنصوري وسيف الدين قطليك في تيجيل . وفي هذا اليوم فتح باب العريش ، وفيه درس القاضي جلال الدين القزويني بالأمنية عوضاً عن أخيه القاضي القضاة إمام الدين توفى بمصر ، وفي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول الصاكر محبة نائب مصر سيف الدين سلا ، وفي خدمته الملك المعادل كتبنا ، وسيف الدين الطراخي في تيجيل بصر ، ونزلوا في المرج ، وكان السلطان قد خرج عازماً على الحجى ، فوصل إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر .

وفي يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضي بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بمس إمام الدين ، وليس معه في هذا اليوم أمين الدين الجبجي خلة الحسبة ، وفي يوم سابع عشره لبس خلة نظر الدواوين تاج الدين الشيرازي عوضاً عن غير الدين بن الشيرجى ،

وليس أقبحا من هذا في جلب الوزير فحس الدين سنقر الأعسر، وبشر الأمير عز الدين أبيك الهويدار النجيبى ولاية البر، بمسماجل من أمراء الطبليخانة، ودرس الشيخ جمال الدين بن الزملى على بام الصالح عوضاً عن جلال الدين التزوينى يوم الأحد الحادى والعشرين من شعبان، وفى هذا اليوم ولّى قضاء الخفية فحس الدين بن الصفى الحريرى عوضاً عن حسام الدين الرومى، وقد يوم المركة فى ثابى رمضان، ورفضت السائر عن القلعة فى ثالث رمضان. وفى مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلاى بدار العدل فى الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت، وفى السبت الآخر خلع على عز الدين القلانلى خلة سنية وجعل ولده عماد الدين شاهداً فى الخزانة. وفى هذا اليوم رجع سلاى بالمساكر إلى مصر وانصرفت المساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها. وفى يوم الاثنين عاشر رمضان درس على بن الصفى بن أبى القاسم البصراوى الحنفى بالمدينة القديمة.

وفى شوال فيها عرفت جماعة من كان يلوذ بالثرو ويؤذى المسلمين، وشق منهم طائفة ومجر آخرون وكمل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة. وفى منتصف شوال درس بالدولية قاضى القضاة جمال الدين الزملى نائب الحكم عوضاً عن جمال الدين بن الباجرى، وفى يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم فى جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان، وخرج الشيخ تقى الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارة لقتال أهل تلك الناحية، بسبب فساديتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم، وما كانوا عاملوا به المساكر كلما كسروا الثرو وهرجوا حين اجتازوا ببلادهم، وثبوا عليهم ونهبهم وأخذوا أسلحتهم وخبولهم، وقتلوا كثيرا منهم، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤسائهم إلى الشيخ تقى الدين بن تيمية فاستتابهم وبين لكثير منهم الصواب وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والتزموا برد ما كانوا أخفوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال، وأقطعت أراضيهم وضياعمهم، ولم يكونوا قبل ذلك يستغلون فى طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة، ولا يدينون دين الحق، ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله. وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذى القعدة وتلقاه الناس بالشموخ إلى طريق بملبك وسط النهار. وفى يوم الأربعاء سادس عشره نودى فى البلد أن يملق الناس الأسلحة بالداكاكين، وأن يتعلم الناس الرى فعملت الاماجل فى أماكن كثيرة من البلد، وعلمت الأسلحة بالأسواق، ورسوم قاضى القضاة بعمل الاماجل فى المدارس، وأن يتعلم الفقهاء الرى ويستمدوا لقتال العدو إن حضر، وإفاه المستعان.

وفى الحادى والعشرين من ذى القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه وجعل على كل سوق مقدماً وحوله أهل سوقه، وفى الخميس رابع عشرته عرضت الأشراف مع قهيبهم نظام

الملك الحسيني بالعدد والتجمل الحسن، وكان يوماً مشهوراً. وبما كان من الحوادث في هذه السنة أن جدد إمام راتب عند رأس قبر زكريا، وهو القتيب شرف الدين أبو بكر الجوى، وحضر عنده يوم عاشوراء القاضي إمام الدين الشافعى، وحسام الدين الحنفى وجاعة، ولم تطل مدته إلا شهوراً ثم عاد الجوى إلى بلده وبطلت هذه الوظيفة إلى الآن والله الحد.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿القاضى حسام الدين أبو الفضائل﴾

الحسن بن القاضى تاج الدين أبى الفناخر أحمد بن الحسن أنوشروان الرازى الحنفى، ولى قضاء ملطية مدة عشرين سنة، ثم قدم دمشق فولبها مدة، ثم انتقل إلى مصر فولبها مدة، وولاه جلال الدين بالشام ثم صار إلى الشام فصاد إلى الحكم بها، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء تازان بوادى الخزندار عند وادى سلمية خرج معهم ففقد من الصف ولم يدر ما خبره، وقد قارب السبعين، وكان فاضلاً بارعاً رئيساً، له نظم حسن، ومولده بالقيس من بلاد الروم في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستائة. فقد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول منها، وقد قتل يومئذ عدة من مشاهير الأمراء ثم ولى بعده القضاء خمس الدين الحريرى.

﴿القاضى الامام المالى﴾

إمام الدين أبو المالى عمر بن القاضى سعد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبى حفص عمر بن أحمد بن محمد القزوينى الشافعى، قدم دمشق هو وأخوه جلال الدين قروا في مدارس، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاة بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما هزم في سنة سبع وسبعين، ونلب عنه أخوه، وكان جميل الأخلاق كثير الاحسان رئيساً، قليل الأذى، ولما أوفى قدوم التتار سافر إلى مصر، فلما وصل إليها لم يبق بها سوى أسبوع وتوفى ودفن بالقرب من قبة الشافعى عن ست وأربعين سنة، وصار النصب إلى بدر الدين بن جماعة، مضافاً إلى ما يهده من الخطابة وغيرها، ودرس أخوه بعده بالأمنية.

﴿المسند الممر الزحاة﴾

شرف الدين أحمد بن هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الحمقى، ولد سنة أربع عشرة وستائة، وسمع الحديث وروى، توفى خامس عشر جمادى الأولى عن خمس وعشرين سنة.

﴿الخطيب الامام العالم﴾

موفق الدين أبو المالى محمد بن محمد بن الفضل التهراتى القضاعى الجوى، خطيب حماد، ثم خطب بدمشق عرضاً عن الفاروقى، ودرس بالزالية ثم عزل بابن جماعة، وعاد إلى بلده، ثم قدم دمشق طم تازان فأت بها.

(الصدر محمد الدين)

محمد بن سليمان بن حاييل بن علي المقدسي المروفي بن غانم ، وكان من أعيان الناس وأكترهم مروءة ، ودرس بالمصرية ، توفي وقد جاوز الثمانين ، كان من الكتلة المشهورين المشكورين ، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم .

(الشيخ جمال الدين أبو محمد)

عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجري الشافعي ، أقام مدة بالموصل يشتغل ويصنف ، ثم قدم دمشق علم قازان فالت بها ، وكان قد أقام بها مدة كذلك ، ودرس بالقليجية والهدلية ، وتلقى الخطابة ودرس بالقرطبية نباية عن الشمس الأيكي ، وكان قليل الكلام مجموعا عن الناس ، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال ، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه ، ويمكنون على ما كان يكف عليه ، وقد حدث جمال الدين المذكور بجميع الأصول عن بعض أصحاب مصنفات ابن الأثير ، وله نظم ونثر حسن ، والله سبحانه أعلم .

(ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية)

استهلت واغليمة والسلطان ونواب البلاد والحكام بهام المذكورون في التي قبلها ، غير الشافعي والحنفى ، ولما كان ثالث المحرم جلس المستخرج لاستخلاص أجرة أربعة أشهر عن جميع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق ، فهرب أكثر الناس من البلد ، وجرت خبطة قوية وشق ذلك على الناس جدا . وفي مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم طردوا على دخول مصر ، فارتفع الناس قلقا وازدادوا واضعا على ضعفهم ، وطلشت عقولهم وألباهم ، وشرع الناس في الحرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون الثمينة ، فبلغت الحارة إلى مصر خمسمائة وبيع الجبل بألف والجار بخصمائه ، وبيعت الأمانة والنياب والمغلات بأرخص الأثمان ، وجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع وحرص للناس على القتال ، وساق لهم الآيات والاحاديث الواردة في ذلك ، ونهى عن الاسراع في الفرار ، ورغب في إضاق الاموال في القرب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن ما ينطق في أجرة الحرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيرا ، وأوجب جهاد التتر حتما في هذه الكرة ، وتابع المجالس في ذلك ، ونودي في البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة فتوقف الناس عن السير وسكن جاشهم ، وتحدث الناس بفرح السلطان من القاهرة بالما كرو دقت البشائر بخروجه ، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق كبيت ابن مصري وبيت ابن فضل الله وابن منجا وابن سويد وابن الزملكاني وابن جماعة .

وفي أول ربيع الآخر قرى الارجاق بأمر التتر ، وجاء الخبير بأنهم قد وصلوا إلى البيرة ونودي

في البلد أن تخرج العامة مع المسكر، وجاء مرسوم النائب من المرج بفتحك، فاستعرضوا في أثناء الشهر فرض فهو خمسة آلاف من العامة بالمعدة والاسلحة على قدر طاقتهم، وقتت الخطيب ابن جماعة في الصلوات كلها، واتبه أئمة المساجد، وأشاع المرجنون بأن التتر قد وصلوا إلى حلب وأن نائب حلب تتهرب إلى حماة، ونودي في البلد بتطليب قلوب الناس وإقبالهم على معاينتهم، وأن السلطان والمساكر واصله، وأبطل ديوان المستخرج وأقيموا، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به وبقيت بواق على الناس الذين قد اختلفوا صفى عما بقي، ولم يرد ما سلف، لاجرم أن عواقب هذه الاضال خسر ونكر، وأن أصحابها لا يفلحون، ثم جاءت الاخبار بأن سلطان مصر رجع عائدا إلى مصر بعد أن خرج منها فهدأ الشام، فكثر الخوف واشتد الحال، وكثرت الامطار جدًّا، وصار بالمعزقات من الاحوال والسيول ما يحول بين المرء وبين ما يريد من الاقتشار في الأرض والقهلب فيها، فانا لله وإنا إليه راجعون.

وخرج كثير من الناس خلفًا وتقالا يتحلون بأهليهم وأولادهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يملكون، وجعلوا يحمون الصغار في الوحل الشديد والمثقة حل الهواب والرتاب، وقد ضفت الدواب من قلة الملف مع كثرة الأمطار والزلزلة والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء فلا حول ولا قوة إلا بالله. واستهل جمادى الاولى والناس على خلة صعبة من الخوف، وتأخر السلطان واقترب العدو، وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في مستهل هذا الشهر وكان يوم السبت إلى نائب الشام في المرج فبينهم وقوى جأشهم وطيب قلوبهم ووعدهم النصر والغفر على الأعداء، وتلا قوله تعالى (ومن عاقب بمنزل ما عوقب به ثم بنى عليه لينصره الله إن الله لغفور غفور) وبات عند العسكرية الاحمد ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والامراء أن يركب على البريد إلى مصر يستحث السلطان على المجيء فساق وراء السلطان، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدركه إلا وقد دخل القاهرة وتنازلت الحال، ولكنه استنحهم على تجهيز المساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة، وقال لهم فيها قال: إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أبقنا له سلطانًا يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن، ولم يزل بهم حتى جردت المساكر إلى الشام، ثم قال لهم: لو قدر أنكم لستم بحكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهل وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلطانيه ومربايكم وأنتم مسؤولون عنهم، وقوى جأشهم وضمن لهم النصر هذه الكرة، فخرجوا إلى الشام، فلما تواصلت المساكر إلى الشام فرح الناس فرحًا شديدًا بعد أن كانوا قد يسوا من أنفسهم وأهليهم وأمورهم، ثم قويت الآرايف بوصول التتر، وتحقق عود السلطان إلى مصر، ونادى ابن النحاس متولى البلد في الناس من قدر على السفر فلا يقصد بدمشق، فتصايح النساء والوفدان، ودهق الناس

ذلة عظيمة وخمسة ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، وغلقت الاسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل ، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على النقاء جيش النتر فكيف به الآن وقد عزم على الحرب ؟ ويقولون : ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو ، ودخل كثير من الناس إلى البراري والقفار والمفر بأهاليهم من الكبار والصغار ، ونودي في الناس من كانت نيته الجهاد فليلحق بالجيش فقد اقرب وصول النتر ، ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل ، وسافر ابن جماعة والحريري وابن صصري وابن منجاء ، وقد سبقهم يوتهم إلى مصر ، وجاءت الاخبار بوصول النتر إلى سرقين وخرج الشيخ زين الدين الفارقي والشيخ إبراهيم الرقي وابن قوام وشرف الدين بن تيمية وابن خبارة إلى نائب السلطنة الاقرم قهوا عزمه على ملاقة العدو ، واجتمعوا معها أمير العرب لغرضه على قتال العدو فأجابهم بالسمع والطاعة ، وقويت نياتهم على ذلك ، وخرج طلب سلا من دمشق إلى ناحية المريج ، واستمدوا للحرب والقتال بنيات صادقة .

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد ، وأقام بقلمة مصر ثمانية أيام يحضهم على الجهاد والخروج إلى العدو ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وقد غلت الاسعار بدمشق جدآ ، حتى بيع خاروفان بثمانمائة درهم ، واشتد الحال ، ثم جاءت الاخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعا علمه ذلك لضعف جيشه وقلة عددهم ، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس ، وعادوا إلى منازلهم منشرفين آتين مستبشرين . ولما جاءت الأخبار بعدم وصول التتار إلى الشام في جمادى الآخرة تراجعت أغص الناس إليهم وعاد نائب السلطنة إلى دمشق ، وكان مخيا في المريج من مدة أربعة أشهر متتابعة ، وهو من أعظم الرباط ، وترجع الناس إلى أوطانهم : وكان للشيخ زين الدين الفارقي قد درس بالناصرية لنيية مدرستها كمال الدين بن الشريشي بالكرك هاربا ، ثم عاد إليها في رمضان ، وفي أواخر الشهر درس ابن الزكي بالدولية عوضا عن جمال الدين الزرعي لنييته . وفي يوم الاثنين قرئت شروط القعة على أهل القعة وأثروا بها واهتقت الكلمة على عزلم من الجهات ، وأخذوا بالصغار ، ونودي بذلك في البلد وأُزِمَ التصاري بالهائم الزرق ، واليهود بالصغر ، والسلمرة بالحرة ، فحصل بذلك خير كثير وتميزوا عن المسلمين ، وفي عشر رمضان جاء المرسوم بالمشركة بين أرجواش والأمير سيف الدين أقبجا في نيابة القلمة ، وأن يركب كل واحد منهما يوما ، ويكون الآخر بالقلمة يوما ، فامتنع أرجواش من ذلك . وفي شوال درس بالاقبالية الشيخ شهاب الدين بن المجد عوضا عن علاء الدين القنوي بحكم إقامته بالقاهرة ، وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة عزل شمس الدين بن الحريري عن قضاء الحنفية بالقاضي جلال الدين بن حسام الدين على قاعدته وقاعدته أبيه ، وذلك بائناق من

الوزير شمس الدين سنقر الأعصر ونائب السلطان الأفرم . وفيها وصلت رسل ملك التتار إلى دمشق ، فأنزلوها بالقلمة ثم ساروا إلى مصر .

ومن توفي فيها من الأعيان : (الشيخ حسن الكردي)

المقيم بالشاغور في بستان له يأكل من غلته ويطعم من ورده عليه ، وكان يزار ، فلما احتضر اغتسل وأخذ من شعره واستقبل القبلة وركع ركعت ، ثم توفي رحمه الله يوم الاثنين الرابع من جمادى الأولى ، وقد جاوز المائة سنة .

(الطواشي صفي الدين جوهر التفليس)

المحدث ، اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء . وكان حسن الخلق صالحاً لين الجانب رجلاً حامداً زكياً ، ووقف أجزائه التي ملكها على المحدثين

(الأمير عز الدين)

محمد بن أبي الهيجاء بن محمد الهيدجائي الأربلي متولى دمشق ، كان لديه فضائل كثيرة في التواريخ والشعر ورجع شيناً في ذلك ، وكان يسكن بدير سمور فعرف به ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء ، وهو أول منزل نزلناه حين قدمنا دمشق في سنة ست وسبعائة ، ختم الله لي بخير في عافية آيين ، توفي ابن أبي الهيجاء في طريق مصر وله ثمانون سنة ، وكان مشكور السيرة حسن المخاضرة .

(الأمير جمال الدين آقوش الشريفي)

والى الولاية بالبلاد القبلية ، توفي في شوال وكانت له هبة وسطة وحرمة .

(ثم دخلت سنة إحدى وسبعائة)

استهلت والحكام المذكورون في التي قبلها ، والأمير سيف الدين سلاار بالشام ، ونائب دمشق الأفرم ، وفي أولها عزل الأمير قطلي بك عن نيابة البلاد الساحلية وتولاها الأمير سيف الدين استنمر ، وعزل عن وزارة مصر شمس الدين الأعصر ، وتولى سيف الدين أقجبا المنصوري نيابة غزة ، وجعل عوضه بالقلمة الأمير سيف الدين بهادر السيجري ، وهو من الرحبة . وفي صفر رجعت رسل ملك التتار من مصر إلى دمشق فقتلناهم نائب السلطنة والجيش والمعلمة ، وفي نصف صفر ولي تدريس النورية الشيخ صدر الدين علي البصراوي الخنقي عوضاً عن الشيخ ولي الدين السرقدي وإنما كان ولها ستة أيام ودرس بها أربعة دروس بعد بني الصدر سليمان ، توفي وكان من كبار الصالحين ، يصل كل يوم مائة ركعة ، وفي يوم الأربعاء التاسع عشر ربيع الأول جلس قاضي القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة بالخانقاه الشماعية شيخ الشيوخ بها عن طلب الصوفية له بفك ، ورجعهم فيه ، وذلك بعد وفاة الشيخ يوسف بن حويه الحموي ، وفرحت الصوفية به

وجلسوا حوله ، ولم يجتمع هذه المناصب لتغيره قبله ، ولا يلفتنا أنها اجتمعت إلى أحد بعده إلى زماننا هذا : القضاء والخطابة ومشخة الشيوخ . وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قتل الفتح أحمد بن التقي بالدار المصرية ، حكم فيه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقيصه للشريعة واستهزائه بالأيات المحكمات ، ومعارضة المشتبهات ببعضها ببعض ، يذكر عنه أنه كان يحمل المحرمات من الواط والحجر وغير ذلك ، لمن كان يجتمع فيه من الفسقة من الترك وغيرهم من الجملة ، هذا وقد كان له فضيلة وله اشتغال وهيئة جميلة في الظاهر ، وبزته ولبسته جيدة ، ولما أوقف عند شباك دار الحديث الكلامية بين القصرين استنفاث بالقاضي تقي الدين بن دقيق العيد قال : ما تعرف مني ؟ قال : أعرف منك التفضيلة ، ولكن حكك إلى القاضي زين الدين ، فأمر القاضي لوالى أن يضرب عنقه ، فغضب عنقه وطيف برأسه في البلدة ونودي عليه هذا جزاء من طعن في الله ورسوله . قال البرزالي في تاريخه : وفي وسط شهر ربيع الأول ورد كتاب من بلاد حماة من جهة قاضيها يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام بيارين من عمل حلة برد كبار على صور حيوانات مختلفة شتى ، سباع وحيات وعقارب وطيور وممزمز ونساء ، ورجال في أوساطهم حوائص ، وأن ذلك ثبت بمحض عند قاضي الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة . وفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر شق الشيخ على الحوي إلى بواب الظاهرية على بابها ، وذلك أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدين السمرفندي . وفي النصف منه حضر القاضي بدر الدين بن جماعة تدريس الناصرية الجوانية عوضاً عن كمال الدين ابن الشريشي ، وذلك أنه ثبت محضر أنها لقاضي الشافعية بمشقة ، فأنزعهما من يد ابن الشريشي . وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم للصدر علاء الدين بن شرف الدين بن القلانسي على أهله من التتر بعد أسرتين وأياماً وقد حبس مدة ثم لطف الله به وتلطف حتى تخلص منهم ورجع إلى أهله ، ففرحوا به .

وفي سلاط جنادى الآخرة قدم البريد من القاهرة وأخبر ب وفاة أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله الملبس ، وأن ولده ولي الخلافة من بعده ، وهو أبو الربيع سليمان ، ولقب بالمستكني بالله ، وأنه حضر جنازته الناس كلهم مشاة ، ودفن بالقرب من الست فقيصة ، وله أربعون سنة في الخلافة ، وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين الحريري الحنفي ، ونظر الدواوين لشرف الدين بن مزهر ، واستمرت الخاتونية الجوانية بيد القاضي جلال الدين بن حسام الدين باذن نائب السلطنة . وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب للخليفة المستكني بالله وترحم على والده بجامع دمشق ، وأعيدت الناصرية إلى ابن الشريشي وعزل عنها ابن جماعة ودرس بها يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة . وفي شوال قدم إلى الشام جرار عظيم أكل الزرع والثمار وجد الأشجار حتى

صارت مثل المعصى ، ولم يهد مثل هذا ، وفى هذا الشهر عقد مجلس لليهود الخليفة وأزمو بأداء الجزية أسوة أمثالهم من اليهود ، فأحضروا كتاباً معهم يزعمون أنه من رسول الله ﷺ بوضع الجزية عنهم ، فلما وقف عليه القضاة تبينوا أنه مكذوب مقتل لما فيه من الألفاظ الركيكة ، والتواريخ المحبطة ، والاعين الفاضح ، وحاقتهم عليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وبين لهم خطأهم وكذبهم ، وأنه مزور مكذوب ، فأتوا إلى أداء الجزية ، وخافوا من أن تستعاد منهم الشئون الماضية . قلت : وقد وقعت أنا على هذا الكتاب قرأت فيه شهادة سعد بن معاذ خير ، وقد توفى سعد قبل ذلك بضع من سنتين ، وفيه : يكتب على بن طالب . وهذا لمن لا يصدر عن أمير المؤمنين على ، لأن علم النحو إنما أسند إليه من طريق أبى الأسود الدؤلى عنه ، وقد جمعت فيه جزءاً مفرداً وقد ذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماوردى ، وكتب أصحابنا فى ذلك العصر ، وقد ذكر فى الحاشى وصاحب الشامل فى كتابه وغير واحد ، وبينوا خطأه والله الحمد والمنة .

وفى هذا الشهر دار جماعة من الحسنة على الشيخ تقي الدين بن تيمية وشكوا منه أنه يقيم الحدود ويعزر ويحلق رؤس الصبيان ، وتكلم هو أيضاً فيمن يشكو منه ذلك ، وبين خطأهم ، ثم سكنت الأمور . وفى ذى القعدة ضربت البشائر بقلمة دعش أيلماً بسبب فتح أماكن من بلاد سويس عنوة ، ففتحها المسلمون والله الحمد . وفيه قدم عز الدين بن ميسر على نظر الدواوين عوضاً عن ابن مزهر . وفى يوم الثلاثاء رابع ذى الحجة حضر عبد السيد بن المهذب ديان اليهود إلى دار العدل ومعه أولاده فأسلوا كلهم ، فأكرمهم نائب السلطنة وأمر أن يركب بمخلعة وخلفه الدبائب تضرب والبوقات إلى داره ، وعمل ليلتند ختمة عظيمة حضرها القضاة والماء ، وأسلم على يديه جماعة كبيرة من اليهود ، وخرجوا يوم العيد كلهم يكبرون مع المسلمين ، وأكرمهم الناس إكراماً زائلاً . وقدمت رسل ذلك التتار فى سابع عشر ذى الحجة فترؤوا بالقلمة وسافروا إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام وبعد مسيرهم بيومين مات أرجواس ، وبعد موته بيومين قدم الجيش من بلاد سويس وقد فتحوا جانباً منها ، فخرج نائب السلطنة والجيش لتلقيهم ، وخرج الناس للفرجة على العادة ، وفرحوا بقدومهم ونصرهم .

وعن توفى قيهان الاعيان (أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله)

أبو المباس أحمد بن المسترشد بالله الهاشمى العباسى البغدادى المصرى ، بويع بالخلافة بالدولة الظاهرية فى أول سنة إحدى وستين وستائة ، هاستكل أربعين سنة فى الخلافة ، وتوفى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه وقت صلاة العصر بسوق الخليل ، وحضر جنازته الأعيان والدولة كلهم مشاة . وكان قد عهد بالخلافة إلى ولده المذكور أبى الربيع سليمان .

﴿ خلافة المستكني بالله ﴾

«أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله البعلبي»

لما عهد إليه كتب تقليد بذلك وقرئ بحضرة السلطان والهدوة يوم الأحد العشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية ، وسارت بذلك البريدية إلى جميع البلاد الإسلامية

﴿ الأمير عز الدين ﴾

وتوفى فيها .

أيك بن عبد الله النجبي الهويدار والى دمشق ، وأحد أمراء الطليخانة بها ، وكان مشكور السيرة ، ولم تطل مدته ، ودفن بقاسيون ، توفى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول .

﴿ الشيخ الامام العالم شرف الدين أبو الحسن ﴾

على بن الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ الفقيه تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد اليوناني البعلبي وكان أكبر من أخيه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه ، ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستائة فأجمعه أبوه الكثير ، واشتغل وتفق ، وكان عابداً عاملاً كثير الخشوع ، دخل عليه إنسان وهو بخرانة الكتب فجعل يضربه بصفا في رأسه ثم يسكنه فبقى متبرحاً أياماً ، ثم توفى إلى رحمة الله يوم الخميس حادى عشر رمضان ببعلبك ، ودفن بباب بطحا ، وتأسف الناس عليه لعلمه وعمله وحفظه الأحاديث وتودده إلى الناس وتواضعه وحسن سمته ومروءته فتممه الله برحمته .

﴿ الصدر ضياء الدين ﴾

أحمد بن الحسين بن شيخ السلاية ، والى القاضى قطب الدين موسى الذى تولى فيما بعد نظر الجيش بالشام وبمصر أيضاً ، توفى يوم الثلاثاء عشرين ذى القعدة ودفن بقاسيون ، وعمل عزاءه بالرواحية

﴿ الامير الكبير المرباط المجاهد ﴾

علم الدين أرجواش بن عبد الله المنصورى ، نائب القلعة بالشام ، كان ذا هبة وهمة وشهامة وقصد صالح ، قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين لما ملكت التتار الشام أيام غازان ، وعصت عليهم القلعة ومنعها الله منهم على يدى هذا الرجل ، فانه التزم أن لا يسلمها إليهم مادام بهاعين تطرف واقتدت بها بقية القلاع للشامية ، وكانت وفاته بالقلعة ليلة السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة وأخرج منها ضحوة يوم السبت فملى عليه وحضر نائب السلطنة فن دونه جنازته ، ثم حمل إلى صفح قاسيون ودفن بتربته رحمه الله .

﴿ الأبرقوي المسند المعمر المصري ﴾

هو الشيخ الجليل المسند الرحلة ، بقية السلف شهاب الدين أبوالمعالى أحمد بن إسحاق بن محمد ابن المؤيد بن على بن إسماعيل بن أبى طالب ، الأبرقوي الحمداني ثم المصري ، ولد بأبرقوه من بلاد شيراز في رجب أو شعبان سنة خمس عشرة وستمائة ، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين ، وخرجت له مشيخت ، وكان شيخا حسنا لطيفا مطبقا ، توفي بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام رحمه الله . وفيها توفي :

﴿ صاحب مكة ﴾

الشرىف أبو نعي محمد بن الأمير أبي سعد حسن بن على بن قتادة الحنسى صاحب مكة منذ أربعين سنة ، وكان حليبا وقورا ذا رأى وسياسة وعقل ومروءة . وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير الترمشى المصرى الشافعى عفا الله عنه ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وسبعائة من الهجرة ﴾

استهلت والحكام المذكورون في التى قبلها ، وفي يوم الأربعاء تانى صفر فتحت جزيرة أرواد بالقرب من أنطرسوس ، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل ، فجاءها المراكب من البدار المصرية في البحر وأردفها جيوش طرابلس ، فتحت والله الحمد نصف التهار ، وقتلوا من أهلها قريبا من ألفين ، وأسروا قريبا من خمسمائة ، وكان فتحها من تمام فتح السواحل ، وأراح الله المسلمين من شر أهلها . وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وصل البريد إلى دمشق فأخبر بوفاء قاضى القضاة ابن دقيق العيد ، ومعه كتاب من السلطان إلى قاضى القضاة ابن جماعة ، فيه تعظيم له واحترام وإكرام يستدعيه إلى قر به ليباشر وظيفة القضاء بمصر على عادته قتها لثلاث ، ولما خرج خرج معه نائب السلطنة الأفرم وأهل الحل والمقد بمواعين الناس ليودعوه ، وستأق ترجمة ابن دقيق العيد في الوفيات ، ولما وصل ابن جماعة إلى مصر أكرمه السلطان إكراما زائدا ، وخلع عليه خلمة صوف وبشفة تسوى ثلاثة آلاف درهم ، ولبشر الحكم بمصر يوم السبت رابع ربيع الأول ، ووصلت رسل التنار في أواخر ربيع الأول قاصدين بلاد مصر ، ولبشر شرف الدين الفزارى مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس ثامن ربيع الآخر عوضا عن شرف الدين التناسخ ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إمام الفارمى ، توفي بهامن سبعين سنة ، وكان فيه بر ومعروف وأخلاق حسنة ، رحمه الله .

وذكر للشيخ شرف الدين المذكور درسا مفيدا وحضر عنده جماعة من الأعيان ، وفي يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى خلع على قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى بقضاء الشام عوضا عن

ابن جماعة ، وعلى الفارقى بالخطابة ، وعلى الأمير ركن الدين بيبرس الملاوى بشد الهواوين وهتاف الناس ، وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماح الخطبة ، وقرئ تقليد ابن مصرى بعد الصلاة ثم جلس فى الشباك الكالى وقرئ تقليد مرة ثانية ، وفى جمادى الاولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن الشيخ قى الدين بن تيمية والقاضى شمس الدين بن الحريرى وجماعة من الأمراء والخواص القيين يلب السلطنة يناصحون للتتر ويكتبونهم ، ويريدون تولية قبحق على الشام وأن الشيخ كمال الدين بن الزملكافى يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفهم ، وكذلك كمال الدين بن المطار ، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مقفل ، فخص من واضعه فاذا هو فقير كان مجاوراً بالبيت الذى كان مجاور عراب الصحابة ، يقال له البفورى ، وآخر منه يقال له أحمد القنارى ، وكانا معروفين بالشر والفضول ، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب ، فتحقق نائب السلطنة ذلك فمزرا تمزرا عنيقا ، ثم وسطا بعد ذلك وقطعت يد الكاتب الذى كتب لها هذا الكتاب ، وهو التاج المناديل . وفى أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصورى إلى نياية القلعة عوضا عن أرجاش .

(عجيبية من عجائب البحر)

قال الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه : قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبية الخلقه من بحر النيل إلى أرض المنوفية ، بين بلاد منية مسعود واصطبارى والراهب ، وهذه صفتها : لونها لون الجاموس بلا شمر ، وأذناها كأذان الجمل ، وعينها وفرجها مثل الناقة ، ينفلى فرجها ذنب طوله شهر ونصف كذنب السمكة ، ورقبتها مثل غلظ التنين المحشوتين ، وفها وشفتها مثل الكربال ، ولها أربعة أنياب اثنين من فوق واثنين من أسفل ، طول كل واحد دون الشبر فى عرض أصبعين ، وفى فها ثمان وأربعون ضرساً ومن مثل يلباق الشطرنج ، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتيها إلى حافرها مثل بطن الثبيان ، أصغر جمده ، ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافر مثل أظافر الجمل ، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف ، وطولها من فها إلى ذنبها خمسة عشر قدما وفى بطنها ثلاثة كروش ، ولها أحر وزفر مثل السمك ، وطعمه كطعم الجمل ، وغلظه أربعة أصابع ما تمل فيه السيوف ، وحمل جلها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من تله على جمل بعد جمل وأحضره إلى بين يدى السلطان بالقلعة وحشوه تيناً وأقاموه بين يديه والله أعلم .

وفى شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام ، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جدا ، وقتت الخطيب فى الصلوات وقرئ البخارى ، وشرع الناس فى الجمل إلى الديار المصرية

والكرك والحصون النينة ، وتأخر مجيء الساكر المصرية عن إيلها فاشتد لذلك الخوف . وفي شهر رجب بشر نعيم الدين بن أبي الطيب نظر الخزانة عوضاً عن أمين الدين سليمان ، وفي يوم السبت ثالث شعبان بشر مشيخة الشيوخ بمداين جماعة القضاة ناصر الدين عبد السلام ، وكان جمال الدين الزرعي يسد الوظيفة إلى هذا التاريخ . وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة وعلى أبواب الأمراء بفروج السلطان بالساكر من مصر لئلا يجزئ التتار الخنودين ، وفي هذا اليوم بينه كانت وقعة غرض وذلك أنه التقى جماعة من أمراء الاسلام فيهم استندرو بهادواخي وكجكن وغرلو العادلي ، وكل منهم سيف من سيوف الدين في ألف وخمسة مائة فارس ، وكان التتار في سبعة آلاف فافتتلوا وصبر المسلمون صبرا جيداً ، فصرم الله وخنل التتر ، فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وولوا عند ذلك مديرين ، وغنم المسلمون منهم غنائم ، وعادوا سائلين لم يقدد منهم إلا القليل من أكرمه الله بالشهادة ، ووقعت البطاقة بذلك ، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان ، وكان يوم خيس النصارى

(أوائل وقعة شقحب)

وفي ثامن عشر قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين فيهم الامير ركن الدين يبرس الجاشنكير ، والامير حسام الدين لاجين المعروف بالاستادار المنصوري ، والامير سيف الدين كراي المنصوري ، ثم قدمت بدم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير صلاح وأبيك الخزندار قوت القلوب وأطيان كثير من الناس ، ولكن الناس في جمل عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي وتهتار الجيش الحلبي والحموي إلى حمص ، ثم خافوا أن يدهمهم التتر فجاءوا قتلوا المرج يوم الاحد خامس شعبان ، ووصل التتار إلى حمص وبمليك وعاتوا في تلك الاراضي فسادا ، وقتلوا الناس قلعا عظيما ، وخافوا خوفا شديداً ، واختبئ البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش ، وقال الناس لاطاعة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتار لكفرتهم ، وإتمام سيلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة . وتحدث الناس بالأراجيف فاجتمع الامراء يوم الاحد المذكور بالبدان وتحالفوا على لقاء العدو ، وشجسوا أنفسهم ، ونودى بالبدان لا يرسل أحد منه ، فسكن الناس وجلس القضاء بالجامع وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامة على القتال ، وتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى المسكر الواصل من حماة فاجتمع بهم في القطيعة فأعلمهم بما تحالف عليه الامراء والناس من لقاء العدو ، فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحلف للامراء والناس إنكم في هذه الكرة منصورون ، فيقول له الامراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى . (ومن بنى عليه لينصرته الله)

وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو ، فاتهم بظهور الاسلام وليسوا

بناه على الامام، فانهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه. فقال الشيخ تقي الدين: هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالامر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بأقامة الحق من المسلمين، ويسبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأصعاف مضاعفة، فقتلوا العلماء والناس لذلك، وكان يقول قناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فأتوني، فتشجع الناس في قتال النار وقويت قلوبهم ونياتهم والله الحمد.

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شعبان خرجت المساكر الشامية تخيمت على الجسورة من ناحية الكوفة، ومعهم القضاة، فصار الناس فيهم فريقين فريق يقولون إنما ساروا ليختاروا موضعاً لقتال فان المرج فيه مياه كثيرة فلا يستطيعون معها القتال، وقال فريق: إنما ساروا لتلك الجهة ليهربوا وليلحقوا بالسلطان. فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكوفة قويت غلظون للناس في هربهم، وقد وصلت النار إلى قارة، وقيل إنهم وصلوا إلى القطبية، فانزعج الناس لذلك شديداً ولم يبق حول القرى والخواضر أحد، وامتلأت القلعة والبلد وازدحمت المنازل والطرقات، واضطرب الناس وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة، وصحبته جماعة يشهد القتال بنفسه ومن معه، فظنوا أنه إنما خرج هاربا فحصل القوم من بعض الناس وقالوا أنت منعنا من الجفل وها أنت هارب من البلد؟ فلم يرد عليهم وبقى البلد ليس فيه حاكم، وجاس المصريون والحرافيش فيه وفي بساكن الناس يهربون ويتجهون ما قدروا عليه، ويقطعون الشمس قبل أوائه والباقياء والقمع وسائر الخضرافات، وحيل بين الناس وبين خبر الجيش، وانقطعت الطرق إلى الكوفة وظهرت الوحشة على البلد والخواضر، وليس قناس شغل غير الصعود إلى المآذن ينظرون يمينا وشمالا، وإلى ناحية الكوفة فتارة يقولون: رأينا غيره فيخافون أن تكون من النار، ويتعجبون من الجيش مع كثرتهم وجودة عندهم وعدمهم، أين ذهبوا؟ فلا يدرون ما فعل الله بهم، فانقطعت الآمال وألح الناس في الدعاء والانهال وفي الصلوات وفي كل حال، وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان، وكان الناس في خوف ورعب لا يعبر عنه، لكن كان الفرج من ذلك قريبا، ولكن أكثرهم لا يلاحظون، كما جاء في حديث أبي رزين «عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أولين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب» (١).

فلما كان آخر هذا اليوم وصل الأمير غفر الدين إلياس المرقبي أحد أمراء دمشق، فبشر الناس بخير، هو أن السلطان قد وصل وقت اجتمعت المساكر المصرية والشامية، وقد أرسلني أكشف هل طرق

(١) في سنن ابن ماجه في كتاب السنة «ضحك ربنا الخ» والأزل: شدة القنوط.

البلد أحد من التتر ، فوجد الأمر كما يجب لم يطرقها أحد منهم ، وذلك أن التتار عرجوا من دمشق إلى ناحية الساكر المصرية ، ولم يشتغلوا بالبلد ، وقد قالوا إن غلبنا فان البلد لنا ، وإن غلبنا فلا حاجة لنا به ، وتودى بالبلد في تطيب الخواطر ، وأن السلطان قد وصل ، فطمأن الناس وسكنت قلوبهم ، وأثبت الشهر ليلة الجمعة القاضى تقي الدين الحنبلى ، فان السماء كانت مغيمة فملقت التناديل وصليت التراويح واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته ، وأصبح الناس يوم الجمعة في هم شديد وخوف أكيد ، لأنهم لا يعلمون ما خبر الناس . فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير سيف الدين غرلو العادلى فاجتمع بنائب القلعة ثم عاد سرىا إلى المعسكر ، ولم يدر أحد ما أخبر به ، ووقع الناس في الاراجيف والخواطر

﴿ صفة وقعة شقحب ﴾

أصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من الخوف وضيق الأمر ، فرأوا من المآذن سوادا وغبرة من ناحية المعسكر والعدو ، فقلب على الظنون أن الوقعة في هذا اليوم ، فأتبعوا إلى الله عز وجل بالدعاء في المساجد والبلد ، وطلع النساء والصغار على الأسطحة وكشفوا رؤوسهم وضج البلد ضجة عظيمة ، ووقع في ذلك الوقت مطر عظيم غزير ، ثم سكن الناس ، فلما كان بعد الظهر قرئت بطاقة بالجامع تتضمن أن في الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصفر ، وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة . والتحرز على الأسوار فدعا الناس في المآذن والبلد ، وانقضى النهار وكان يوما مزججا هائلا ، وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسر التتر ، وخرج الناس إلى ناحية الكسوة فرجوا معهم شئ من المكاسب ، ومعهم رؤس من رؤس التتر ، وصارت كسرة التتار تقوى وتزايد قليلا قليلا حتى انضمت جملة ، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتر لا يصدقون ، فلما كان بعد الظهر قرئ كتاب السلطان إلى متولى القلعة يخبر فيه باجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشقحب والكسوة ، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين آقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الوقعة كانت من مصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد ، وأن السيف كان يعمل في رطب التريل وانهاراً وأنهم هربوا وفرروا واعتصموا بالجبال والتلال ، وأنه لم يسلم منهم إلا القليل ، فأسئ للناس وقد استقرت خواطرهم وتباشروا لهذا الفتح العظيم والنصر المبارك ، ودقت البشائر بالقلعة من أول النهار المذكور ، وتودى بعد الظهر بإخراج الجبال من القلعة لأجل نزول السلطان بها ، وشرعوا في الخروج . وفي يوم الاثنين رابع الشهر رجع الناس من الكسوة إلى دمشق فبشروا الناس بالنصر . وفيه دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد ، ففرح الناس به ودعوا له وهنؤ به يسر الله على يديه من الخير ، وذلك أنه نديه المعسكر الشامي أن يسير إلى السلطان يستجته على

السير إلى دمشق فسار إليه فغنه على المجي* إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر ، فجاء هو وإياه جميعاً فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال ، فقال له الشيخ : السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم ، وحرص السلطان على القتال وبشره بالنصر وجعل يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم في هذه المرة ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تمليفاً . وأفق الناس بالفطر مدة قتالهم وأفطر هو أيضاً ، وكان يدور على الأجناد والأمراء في كل من شئهم في يده ليعلمهم أن إظهارهم ليقنو وعلى القتال أفضل فأكل الناس ، وكان يتأول في الشاميين قوله وَاللَّهُ يَكْفِيكَ ، إنكم ، لا تقروا المدغدا ، ووالفطر أقوى لكم ، فزعم عليهم في الفطر علم الفتح كما في حديث أبي سعيد الخدري . وكان الخليفة أبو الربيع سليمان في محبة السلطان ، ولما اصطفت العساكر والتحم القتال ثبت السلطان ثباتاً عظيماً ، وأمر بجواده قيد حتى لا يهرب ، وبايع الله تعالى في ذلك الموتى ، وجرت خطوب عظيمة ، وقتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ ، منهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي أستاذ دار السلطان ، وعثمانية من الأمراء المتقدمين معه ، وصلاح الدين بن الملك السعيد الكامل بن السعيد بن الصالح إسماعيل ، وخلق من كبار الأمراء ، ثم نزل النصر على المسلمين قريب مصر يومئذ ، واستظهر المسلمون عليهم وَاللَّهُ الْحَمْدُ . فلما جاء الليل لجأ النفر إلى اقتحام النول والجبل والآكام ، فأحاط بهم المسلمون بحرسهم من الحرب ، وبرهنتهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر ، قتلوا منهم ما لا يطمع عدده إلا الله عز وجل ، وجعلوا يمحيطون بهم في الجبال فتضرب أعناقهم ، ثم اقتحم منهم جماعة الهزيمة فتجا منهم قليل ، ثم كانوا يتساقطون في الأودية والمهايك ، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة في الفرات بسبب الظلام ، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمة عظيمة شديدة ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ .

ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان وبين يديه الخليفة ، وزينت البلد ، وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد^(١) ، فنزل السلطان في القصر الأبلق والميدان ، ثم تحول إلى القلعة يوم الخميس وصلى بها الجمعة وخلع على نواب البلاد وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ، واستقرت الخواطر ، وذهب اليأس وطابت قلوب الناس ، وعزل السلطان ابن النحاس عن ولاية المدينة وجعل مكانه الأمير علاء الدين أيدهدعي أمير علم ، وعزل صارم الدين إبراهيم وإلى الخصاص عن ولاية البر وجعل مكانه الأمير حسام الدين لاجين الصغير ، ثم عاد السلطان إلى الفيوم المصرية يوم الثلاثاء ثالث شوال بعد أن صام رمضان وعيد بدمشق .

وطلب الصوفية من نائب دمشق الأقرم أن يولى عليهم مشيخة الشيوخ للشيخ صفى الدين

(١) يعني من المسلمين واليهود والنصارى .

الهندي ، فأذن له في المباشرة يوم الجمعة سادس شوال عوضاً عن ناصر الدين بن عبد السلام ، ودخل السلطان القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال ، وكان يوماً مشهوداً ، وزينت القاهرة .

وفيها جاءت زلزلة عظيمة يوم الخميس بكرة الثالث والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وكان جهورها بالديار المصرية ، تلاطمت بسببها البحار فكسرت المراكب وتهمت الدور ومات خلق كثير لا يملهم إلا الله ، وشقت الحيطان ولم ير مثلها في هذه الأعصار ، وكان منها بالشام طائفة لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها .

وفي ذى الحجة بشر الشيخ أبو الوليد بن الحلاج الأشبيلي المالكي إمام محراب المالكية بجامع دمشق بعد وفاة الشيخ شمس الدين محمد الصنهاجي .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ ابن دقيق العيد ﴾

الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ فاضل القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد التشيرى المصرى ، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بساحل مدينة ينبع من أرض الحجاز ، سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وخرج وصنف فيه إسناداً ومتناً مصنفات عديدة ، فريدة مفيدة ، وانتهت إليه رسالة العلم في زمانه ، وفاق أقرانه ورحل إليه الطلبة ودرس في أماكن كثيرة ، ثم ولي قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة ، ومشيخة دار الحديث الكاملية ، وقد اجتمع به الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فقال له تقي الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه : ما أظن بقى بخلق مثلك ، وكان قوفاً قليل الكلام غزير الفوائد كثير العلوم في ديانة وزراعة ، وله شعر رائق ، توفي يوم الجمعة حادى عشر شهر صفر ، وصلى عليه يوم الجمعة المذكور بسوق الخليل وحضر جنازته نائب السلطنة والأشراء ، ودفن بالقراة الصغرى رحمه الله .

﴿ الشيخ برهان الدين الاسكندرى ﴾

إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم ، سمع الحديث وكان ديناً فاضلاً ، وله سنة ست وثلاثين وستمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين شوال عن خمس وستين سنة . وبعد شهور بسواء كانت وفاة .

﴿ الصدر جمال الدين بن المطار ﴾

كاتب الدرج منذ أربعين سنة . أبو العباس أحمد بن أبي الفتح .

محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن قتيان الشيباني ، كان من خيار الناس وأحسنهم قية ، ودفن بقرية لهم تحت الكهف بسفح قاسيون ، وتأسف الناس عليه لاحتائه إليهم رحمه الله .

﴿ الملك المادل زين الدين كنيثا ﴾

توفي بجملة ثانيا عليها بعد صرخد يوم الجمعة يوم عيد الاضحى وقتل إلى تربته بسفح قاسيون

غربي الرباط الناصري ، يقال لها الامالية ، وهي تربة مليحة ذات شبايك وجوابة ومأذنة ، وله عليها أوقاف دارة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة وغير ذلك ، وكان من كبار الامراء المنصورية ، وقد ملك البلاد بعد مقتل الاشرف خليل بن المنصور ، ثم ائتمن الملك منه لاجين وجلس في قلعة دمشق ، ثم تحول إلى صرخد وكان بها إلى أن قتل لاجين وأخذ الملك الناصر بن قلاوون ، فاستنابه بحماة حتى كانت وفاته كما ذكرنا ، وكان من خيار الملوك وأعداهم وأكثرهم برآ ، وكان من خيار الامراء والنواب رحمه الله .

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعائة)

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها . وفي صفر تولى الشيخ كمال الدين بن الشريشي نظارة الجامع الأموي وخلع عليه وباشره مباشرة مشكورة ، وسأوى بين الناس وعزل نفسه في رجب منها . وفي شهر صفر تولى الشيخ قيس الدين الذهبي خطابة كفر بطنا وأطام بها . ولما توفي الشيخ زين الدين الفارقي في هذه السنة كان نائب السلطنة في نواحي البلقاء يكشف بعض الامور ، فلما قسم تسكدها معه في وظائف الفارقي فعين الخطابة لشرف الدين الفزاري ، وعين الشامية البرانية ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي ، وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ منه الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكاني ورسم بكتابة التواقيع بنفسه ، وباشر الشيخ شرف الدين الامامة والخطابة ، وفرح الناس به لحسن قراءته وطيب صوته وجودة سيرته ، فلما كان بكرة يوم الاثنين ثاني عشرين ربيع الأول وصل البريد من مصر بحجة الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وقد سبقه مرسوم السلطان له بجميع جهات الفارقي مضافا إلى ما بيده من التدريس ، فاجتمع بنائب السلطنة بالقصر ، وخرج من عنده إلى الجامع ففتح له باب دار الخطابة فترها وجاءه الناس يتنزه ، وحضر عنده القراء والمؤذنون ، وصلى بالناس العصر وباشر الامامة يومين فأظهر الناس التأم من صلاته وخطابته ، وسعوا فيه إلى نائب السلطنة فتمه من الخطابة وأقره على التدريس ودار الحديث ، وجاء توقيع سلطاني للشيخ شرف الدين الفزاري بالخطابة ، فغضب يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ، وخلع عليه بطرحة وفرح الناس به ، وأخذ الشيخ كمال الدين بن الزملكاني تدريس الشامية البرانية من يد ابن الوكيل ، وبشرها في مستهل جمادى الأولى واستقرت دار الحديث بيد ابن الوكيل مع معروسته الأوليتين ، وأظهما العنواوية والشامية الجوانية .

ووصل البريد في ثاني عشر جمادى الأولى بإعلاء السنجري إلى نيابة القلعة وتولية نائبها الأمير سيف الدين الجوكندراتي نيابة حمص عوضاً عن عز الدين الحموي ، توفي . وفي يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر وأضيف إليها ألفان من دمشق وساروا وأخذوا

مهم نائب حص الجوكندراتى ووصلوا إلى حماة فصحبهم نائبها الأمير سيف الدين قبيق ، وجاء إليهم استدمر نائب طرابلس ، وانضاف إليهم قراستقر نائب حلب واغضلوا كلهم عنها واقتربوا فرقتين فرقة سارت محبة قبيق إلى ناحية ملطية ، وقلة الزوم ، والفرقة الأخرى محبة قراستقر حتى دخلوا القربندات وحاصر وائل حمدون قفسلوه عنوة في ثالث ذى القعدة بعد حصار طويل ، فدفقت البشائر بدمشق لذلك ، ووقع مع صاحب سبيس على أن يكون للمسلمين من نهر جيهان إلى حلب وبلاد ماوراء النهر إلى ناحيتهم لهم ، وأن يعجلوا حمل سنتين ، ووقعت الهدنة على ذلك ، وذلك بعد أن قتل خاق من أمراء الأرامن ورؤسائهم ، وعادت العساكر إلى دمشق مؤيدين منصورين ، ثم توجهت العساكر المصرية محبة مقدمهم أمير سلاح إلى مصر .

وفى أواخر السنة كان موت قازان وتولية أخيه خربندا . وهو ملك التتار قازان واسمه محمود بن أرغون بن أبناء وذلك فى رابع عشر شوال أو حادى عشره أو ثالث عشره ، بالقرب من همدان وتقل إلى تربته بيبير بن يمكان يسمى الشام ، ويقال إنه مات مسووماً ، وقام فى الملك بعده أخوه خربندا محمد بن أرغون ، ولقبوه الملك غياث الدين ، وخطب له على منابر العراق وخراسان وتلك البلاد .

وحج فى هذه السنة الأمير سيف الدين سلاز نائب مصر وفى محبته أربعون أميراً ، وجميع أولاد الأمراء ، وحج معهم وزير مصر الأمير عز الدين البغدادى ، وتولى مكانه بالبركة ناصر الدين محمد الشينجى ، وخرج سلاز فى أبهة عظيمة جداً ، وأمير ركب المصريين الحاج إياق الحساينى ، وترك الشيخ صفى الدين مشيخة الشيوخ قولها القاضى عبد الكريم بن قاضى القضاة محيى الدين ابن الزكى ، وحضر الخاقاه يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة وحضر عنده ابن مصرى وعز الدين الغفلائسى ، والصاحب ابن ميسر ، والمحاسب وجماعة .

وفى ذى القعدة وصل من التتر مقدم كبير قد هرب منهم إلى بلاد الاسلام وهو الأمير بدر الدين جنكى بن البلبا ، وفى محبته نحو من عشرة ، فحضروا الجمعة فى الجامع ، وتوجهوا إلى مصر ، فأكرم وأعطى إمرة ألف ، وكان مقامه ببلاد آمد ، وكان يناصح السلطان ويكتبه ويظلمه على عورات التتر ، فلهدنا عظم شأنه فى الدولة الناصرية .

ومن توفى فيها من الأعيان ملك التتر قازان .

(والشيخ القدوة العابد الزاهد الورع)

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالى بن محمد بن عبد الكريم الرقى الحنبلى ، كان أصله من بلاد الشرق ، ومولده بالرقاة فى سنة سبع وأربعين وستائة ، واشتغل وحصل وممع شتائمن

الحديث ، وقدم دمشق فسكن بالمأذنة الشرقية في أسفلها بأهله إلى جانب الطمارة بالجلع ، وكان معظماً عند الخاص والعام ، فصيح العبارة كثير العبادة ، خشن الدير حسن المجالسة لطيف الكلام كثير التلاوة ، قوى التوجه من أفراد العالم عارفاً بالتفسير والحديث والفقه والأصول ، وله مصنفات وخطب ، وله شعر حسن ، توفي بمنزله ليلة الجمعة خدس عشر المحرم وصلى عليه عقيب الجمعة وقل إلى تربة الشيخ أبي عمر بالسفح ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي هذا الشهر توفي الأمير زين الدين قراجا أستاذ دار الأقرم ودفن بترته بميدان الحصا عند التهر . (والشيخ قسّم الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام)
عرف بابن الحبل ، كان من خيار الناس يتردد إلى عكا أياما حين ما كانت في أيدي الفرنج ، في فكك أسارى المسلمين ، جزاه الله خيراً وعفقه من النار وأدخله الجنة برحمته .

(الخطيب ضياء الدين)

أبو محمد عبد الرحمن بن الخطيب جمال الدين أبي الفرج عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلي خطيب ببلبك نحواً من ستين سنة ، هو والده ، ولد سنة أربع عشرة وستائة وسمع الكثير وتفرد عن القزويني ، وكان رجلاً جيداً حسن القراءة من كبار المدول ، توفي ليلة الاثنين ثالث صفر ، ودفن بباب سلطحا . (الشيخ زين الدين الفارقي)

عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فهر^(١) بن الحسن ، أبو محمد الفارقي شيخ الشافعية ، ولد سنة ثلاث وتلاثين وستائة ، وسمع الحديث الكثير ، واشتغل بدرس عدة مدارس ، وأفتى مدة طويلة ، وكانت له همة وشهامة وصرامة ، وكان يباشر الأوقاف جيداً ، وهو أفتى عمر دار الحديث بعد خرابها بيد قازان ، وقد باشرها سبعا وعشرين سنة من بعد النواوي إلى حين وفاته ، وكانت معه الشامية البرانية وخطابة الجامع الأموي تسعة أشهر ، باشر به الخطابة قبل وفاته ، وقد انتقل إلى دار الخطابة وتوفي بها يوم الجمعة بعد العصر ، وصلى عليه ضحوة السبت ، صلى عليه ابن صصري عند باب الخطابة و بسوق الخليل قاضي الخنفية قسّم الدين بن الحري ، وعند جامع الصالحية قاضي الخنابلة آق الدين سليمان ، ودفن بترته أهله شالي تربة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وباشر بعده الخطابة شرف الدين الفزاري ومشيخة دار الحديث ابن الوكيل ، والشامية البرانية ابن الزملكاني وقد تقدم ذلك .

(الأمير الكبير عز الدين أيك الحموي)

ناب بدمشق مدة ثم عزل عنها إلى صرخند ، ثم هل قبل موته بشهر إلى نيابة حصص ، وتوفي بها يوم العشرين من ربيع الآخر ، وهقل إلى تربته بالسفح غربي زاوية ابن قوام ، وإليه ينسب الحمام بمسجد القصب الذي يقال له حمام الحموي ، عمره في أيام نيابته .

(١) في الشذرات فيروز . وذكر أنها عند الدرر الكفنة .

(الوزير فتح الدين)

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صقر القرشي الخزومي ابن التيسراني ، كان شيخاً جليلاً أدبياً شاعراً مجوداً من بيت رياسة ووزارة ، ولى وزارة دمشق مدة ثم أقام بمصر موقامة ، وكان له اعتناء بعلوم الحديث وسننه ، وله مصنف في أسماء الصحابة الذين خرج لهم في الصحيحين ، وأورد شيئاً من أحاديثهم في مجلدين كبيرين موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق ، وكان له مذاكرة جيدة بحركة اللفظ والمعنى ، وقد خرج عنه الحافظ العمياطي ، وهو آخر من توفي من شيوخه ، توفي بالقاهرة في يوم الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الآخر ، وأصلهم من قيسارية الشام . وكان جده موفق الدين أبو البقاء خالد وزيراً لنور الدين الشهيد ، وكان من الكتاب الجيدين المنقذين ، له كتابة جيدة بحركة جداً ، توفي في أيام صلاح الدين سنة ثمان وخمسين ، وأبوه محمد بن نصر بن صقر ولد بمكة قبل أخذ الفرنج لمدينة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فلما أخذت بمسلمين وأربعمائة انتقل أهلهم إلى حلب وكانوا بها ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وكان له معرفة جيدة بالنجوم وعلم الهيئة وغير ذلك .

(ترجمة والده ابن كثير مؤلف هذا التاريخ)

وفيهما توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوين كثير بن ضوين درع القرشي من بني حصة ، وهم ينتسبون إلى الشرف وبأيهم نسب ، وقف على بعضها شيخنا المزى فأحببه ذلك وأتبع به ، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي ، من قرية يقال لها الشركوين غربى بصرى ، بينها وبين أدرعت ، وله بها في حدود سنة أربعين وستائة ، واشتغل بالعلم عند أخواله بنى عقبة بصرى ، قرأ البداية في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ جل الزجاجى ، وعنى بالنحو والرماية والفقه ، وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الزائق في المسح والمرأى وقليل من الهجاء ، وقرر بمدارس بصرى بمنزل النافذة شمالى البلاد حيث يزار ، وهو المبرك المشهور عند الناس والله أعلم بصحة ذلك : ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقى بصرى وتغلب للشافى ، وأخذ عن النواوى والشيخ تقي الدين الفرزى ، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرنى شيخنا العلامة ابن الزمى لكاتب ، فأقام بها نحواً من ثلثي عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجدل القرية التى منها الولاية ، فأقام بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة ، وكان يخطب جيداً ، وله مقول عند الناس ، وللكلام وقع لهيأته وفصاحته وحلاوته ، وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولديه ، وقد ولد له عدة أولاد من الولاية ومن أخرى قبلها ، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس ، ثم من الولاية عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة ، ثم أنا أصغرهم ، وصيحت

باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التنبيه وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري وحصل المنتخب في أصول الفقه ، قاله لي شيخنا ابن الزملي كافي ، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فكسك أليما ومات ، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً ورفاه بأبيات كثيرة ، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سباني بإممي ، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل ، فرحم الله من سلف وختم بخير لمن بقي ، توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة ، في قرية مجيدل القرية ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون وكنت إذ ذلك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها لا أدركه إلا كالعلم ، ثم تحولنا من بيده في سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق بحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقاً ، وبنا رفيقاً شفوفاً ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى منه مايسر ، وسهل منه مايسر والله أعلم .

وقد قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في معجمه فيما أخبرني عنه فحمس الدين محمد بن سعد المقدسي مخرجه له ، ومن خط المحدث فحمس الدين بن سعد هذا قلت ، وكذلك وقعت على خط الحافظ البرزالي مثله في السفينة الثانية من السفن الكبير : قال عمر بن كثير القرشي خطيب القرية وهي قرية من أعمال بصرى رجل فاضل له نظم جيد ويحفظ كثيراً من الفزولة همة وقوة . كتبت عنه من شعره بحضور شيخنا تاج الدين الفزاري . وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة بمجيدل القرية من عمل بصرى ، أنشدنا الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير القرشي خطيب القرية بها نفسه في منتصف شعبان من سنة سبع وثمانين وسبعمائة :

نأى النوم عن جفني فبت مسهدا * أخا كلف حلف الصباية موجدا
صمير الثريا والنجوم مدلها * فن ولبي خلت الكواكب ركدا
طربحا على فرش الصباية والاسى * فسا ضرهم لو كنتم لي عودا
تقلبن أيدي الترام بلوعة * أرى النار من تلقاها لي أبودا
ومزق صبري بمدجيران حاجز * سمير غراميات في القلب موقدا
فأمطرته دمي ليل زفيره * يقل فزادته الدموع توقدا
فبت بليل نابضي ولا أرى * على النأي من بعد الاجة صعدا
فيالك من ليل تباعد فجره * على إلى أن خلته قد تغلدا
غراما ووجدا لا يجد أقله * بأهيف معسول المرافش أغيدا
له طلعة كالبر زان جملها * بطرة شر حالك اللون أسودا

بهز من القدر الشيق متفقا * ويشهر من جفنيه سيفاً مهتدا
 وفي ورد خديه وآس عذاره * وضوء ثنياه فنتت تجمدا
 غدا كل حسن دونه متقاصرا * وأضحى له رب الجلال موحد
 اذا مارنا واحتر عند لقائه ■ سباك ، فلم تملك لسانا ولا يدا
 وتسجد إجلالا له وكرامة * وتسلم قد أسيت في الحسن أوحدا
 ورب أخى كفر تأمل حسنه * فأسلم من إجلاله وتشهدا
 وأنكر عيسى والصليب ومرميا * وأصبح بهوى بمد بنض محمدا
 أيا كية الحسن التي طاف حولها * فودى ، أما لصد عندك من فدا
 قتت بطيف من خيالك طارق * وقد كنت لأرضى بصلك سرمد
 فقد شفى شوق تجاوز حده * وحسبك من شوق تجاوز واعتدا
 سأتك إلا ما مررت بجينا * بفضلك يارب الملاحة والندا
 لل جفوى أن تفيض دموعها * ويسكن قلب مذ هجرت فما هدا
 غلغت بهجراني ولو كنت صايكا * لما صدك الراشون عني ولا العدا
 وعدتها ثلاثة وعشرون بيتا والله يغفر له ما صنع من الشر ^(١)

(ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة)

استبانت والخليفة والسلطان والحكام والمبشرون هم المذكورون في التي قبلها ، وفي يوم الأحد ثالث
 ربيع الأول حضرت الدروس والوظائف التي أنشأها الأمير بيبرس الجاشنكير المنصورى بجامع الحاكم
 إمدان جده من خرابه بالزلة التي طرأت على ديواره صرفي آخر سنة ثنتين وسبعمائة ، وجعل القضاة الاربعة
 هم المدرسين للفتاوى ، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي ، وشيخ النحو أمير الدين أبو حيان ، وشيخ
 القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفى ، وشيخ إدامة العلوم الشيخ علاه الدين القونوى . وفي جمادى
 الآخرة بإشرار الأمير ركن الدين بيبرس الحجووية مع الأمير سيف الدين بكنتم ، وصارا حاجيين
 كبيرين في دمشق . وفي رجب أحضر إلى الشيخ قتي الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً
 مقتما جداً يسمى المجاهد إبراهيم القطن ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق فتناهبه الناس من كل
 جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً وأمر بخلق رأسه ، وكان ذا شعر ، وقلم أنفاره وكانوا طوا الأجداء ،
 وحف شاربه المسبل على فقه الخائف للسنه ، واستنابه من كلام الفصح وأكل ما يغنى العقل من الحشيشة
 وما لا يجوز من المحرمات وغيرها . وبمده استحضرت الشيخ محمد الخياط الزيلامى فاستنابه أيضاً عن كل

(١) زيادة من نسخة أخرى بالاستانة

الحرمات ومخالطة أهل القعدة ، وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلم في تغيير المتاعلات ولا في غير هاتين
علم له به . وفي هذا الشهر بينه راح الشيخ قتي الدين بن تيمية إلى مسجد التاريخ وأمر أصحابه ومعهم
حجارون يقطع صخرة كانت هناك بنهر قوط تزار ويندر لها ، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك
بها ، فزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً ، [وجهنا وأمثلة حسوده وأبرزوا له العداوة ، وكذلك
بكلامه بآين عربى وأتباعه ، فغسد على ذلك وعودى ، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم ، ولا بالى ،
ولم يصلوا إليه بمكرهه ، وأكثر ما قالوا منه الخبيث مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ،
ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحسده بالجلاء كما سيأتى ، وإلى الله إيجاب الخلق وعليه
حسابهم] ^(١) . وفي رجب جلس قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى بالمدرسة العادلية الكبيرة
وعملت التخت بعد ما جددت عمارة المدرسة ، ولم يكن أحد يحكم بها بعد وفاة تازان بسبب خرابها ،
وجاء المرسوم للشيخ برهان الدين الفزاري بوكالة بيت المال فلم يقبل ، والشيخ كمال الدين بن
الزملكاني بنظر الخزانة قبل وخلع عليه بطرحة ، وحضر بها يوم الجمعة ، وهاتان الوظيفتان كانتا
مع نجم الدين بن أبى الطيب توفى إلى رحمة الله . وفي شعبان سعى جماعة في تبطيل الوقيد ليلة
النصف وأخفوا خطوط العلماء في ذلك ، وتكلموا مع نائب السلطنة فلم يتفق ذلك ، بل أشعلوا
وصليت صلاة ليلة النصف أيضاً . وفي خالص رمضان وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشى من
مصر بوكالة بيت المال ، ولبس الخلع سابع رمضان ، وحضر عند ابن مصرى بالشباك الكلى .
وفي سابع شوال عزل وزير مصر ناصر الدين بن الشيشي وقام إقطاعه ورسم عليه وعوقب إلى أن
مات في ذى القعدة ، وتولى الوزارة سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء وخلع عليه . وفي يوم الخميس
الثاني والعشرين من ذى القعدة حكم قاضى القضاة جمال الدين الزواوى بقتل الشمس محمد بن جمال
الدين بن عبد الرحمن الباجري ، وإراقة دمه وإن تاب وإن أسلم ، بعد إثبات محضر عليه يتضمن
كفر الباجري المذكور ، وكان ممن شهد فيه عليه الشيخ محمد الدين التونسى النحوى الشافى ،
فهرب الباجري إلى بلاد الشرق فكث بها مدة سنين ثم جاء بعد موت الحاكم المذكور كما سيأتى .
وفي ذى القعدة كان نائب السلطنة فى الصيد قصدهم فى الليل طائفة من الأعراب فقاتلهم
الأمراء فقتلوا من العرب نحو النصف ، وتوغل فى العرب أمير يقال له سيف الدين بها دتر احتقارا
بالعرب ، فضربه واحد منهم برمح قتله ، فكرت الأمراء عليهم فقتلوا خلقاً أيضاً ، وأخفوا
واحداً منهم زعموا أنه هو الذى قتله فصلب تحت القلعة ، ودفن الأمير المذكور بقبر الست . وفي ذى
القعدة تكلم الشيخ فحس الدين بن النقيب وجماعة من العلماء فى الفتاوى الصادرة من الشيخ

علاء الدين بن المطار شيخ دار الحديث التورية والقوصية ، وأنها مخالفة لمذهب الشافعى ، وفيها تحبيط كثير ، فتوم من ذلك وراح إلى الحنفى فحقن دمه وأبقاه على وظائفه ، ثم بلغ ذلك نائب السلطنة فأنكر على المنكرين عليه ، ورسم عليهم ثم اصطلموا ، ورسم نائب السلطنة أن لا تثار الفتن بين الفقهاء . وفى مسهل ذى الحجة ركب الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين ومعه ققيب الأشراف زين الدين بن عدنان فاستقباوا خلقا منهم وأزموم بشرائع الاسلام ورجع مؤيدا منصوراً .

ومن توفى فيها من الاعيان .

﴿ الشيخ تاج الدين بن قيس الدين بن الرافعى ﴾

شيخ الأحمدية بأمر عبيدة من مدة مدينة ، وعنه تكتب إجازات القراء ، ودفن هناك عند سلفه بالبطائح

﴿ الصدر نجم الدين بن عمر ﴾

ابن أبى القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن أبى الكتائب بن محمد بن أبى الطيب ، وكيل بيت المال وناظر الخزانة ، وقد ولى فى وقت نظر المارستان التورى وغير ذلك ، وكان مشكور السيرة رجلا جيدا ، وقد سمع الحديث وروى أيضا ، توفى ليلة الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الآخرة ، ودفن بقرية بيلاب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعائة ﴾

استهلت والخليفة المستكنى والسلطان الملك الناصر ، والمباشرون هم المذكورون فيها مضى ، وجاء الخبر أن جماعة من التتر كنوا لجيش حلب وقتلوا منهم خلقا من الأعيان وغيرهم ، وكثر النوح ببلاذ حلب بسبب ذلك . وفى مسهل المحرم حكم جلال الدين التزوينى أخو قاضى القضاة لإمام الدين نيابة عن ابن مصرى ، وفى ثانيه خرج نائب السلطنة بن بقى من الجيوش الشامية ، وقد كان تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية فى ثاقى المحرم ، فساروا إلى بلاد الجرد والرقص والتيمانة فخرج نائب السلطنة الأقرم بنفسه بمسح خروج الشيخ لتزوم ، فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقا كثيرا منهم ومن فرقهم الضالة ، ووطنوا أراضى كثيرة من صنع بلادهم ، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق فى محبة طائفة من الجيش مع ابن تيمية والجيش ، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه النزوة خير كثير ، وأبان الشيخ علما وشجاعة فى هذه النزوة ، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسدا له وغما . وفى مسهل جمادى الأولى قدم القاضى أمين الدين أبو بكر ابن القاضى وجيه الدين عبد العظيم بن الرافعى المصرى من القاهرة على نظر الدواوين بدمشق ، عوضا عن عز الدين بن مبشر .

(ذكر ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية)

« مع الأحمدية وكيف عقبت له المجالس الثلاثة »

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأتراك وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية فسالوا من نائب السلطنة بمحضرة الأئمة أن يكف الشيخ تقي الدين إمارته عنهم ، وأن يسلم لهم حالهم ، فقال لهم الشيخ : هذا ما يمكن . ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة ، قولاً وفعلًا ، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه . فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوال الشيطانية التي يتعاطونها في مساكنهم ، فقال الشيخ تلك أحوال شيطانية باطلة ، وأكثروا أحوالهم من باب الحيل والبهتان ، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولاً إلى الحمام وليفسل جسده غسلًا جيدًا ويدلكه بالخل والأشنان ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقًا ، ولو فرض أن أحداً من أهل البيع دخل النار بعد أن يقتل فان ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته ، بل حاله من أحوال الفجالة الخالفة للشريعة إذا كان صاحبها على السنة ، فما الظن بخلاف ذلك ، فابتدئ شيخ النبيع الشيخ صالح وقال : نحن أحوالنا إنما تتفق عند الترتيب تستفق عند الشرع ، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة ، وكثروا الإنكار عليهم من كل أحد ، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم ، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه . وصنف الشيخ جزءاً في طريقة الأحمدية ، وبين فيه أحوالهم ومساكنهم وتخيلاتهم ، وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب ، وأظهر الله السنة على يديه وأخذ بدعهم وقه الحمد والمنة .

وفي العشر الأوسط من هذا الشهر خلع على جلال الدين بن معبد وعز الدين خطاب ، وسيف الدين بكتمر ملوك بكتاش الحسامي بالأمرة ولبس القشايه ، وركبوا بها وسلموا لهم جبل الجرد والكسروان والبقاع . وفي يوم الخميس ثالث رجب خرج الناس للاستسقاء إلى سطح الزرة ونصبوا هناك منبراً وخرج نائب السلطنة وجميع الناس من القضاة والعلماء والفقراء ، وكان مشهداً هائلاً وخطبة عظيمة بليغة ، فاستمعوا فلم يسقروا يومهم ذلك .

(أول المجالس الثلاثة لشيخ الاسلام ابن تيمية)

وفي يوم الاثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء وفهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر وقرئت عقيدة الشيخ تقي الدين الواسطية ، وحصل بحث في أما كن منها ، وأخرت مواضع إلى المجلس الثاني ، فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر الشهر المذكور وحضر الشيخ صفي الدين الهندي ، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً ، ولكن ساقته لاطمت بجرأ ، ثم اصطلموا على أن يكون الشيخ كالدين بن الزملكاني هو الذي بمحاقته من غير مسامحة ، فتناظروا في

ذلك ، وشكر الناس من فضائل الشيخ كالدين بن الزملكاني وجوده ذهنه وحسن بحثه حيث
 قام ابن تيمية في البحث ، وتكلم معه ، ثم أفضل الحال على قبول العقيدة ، وعاد الشيخ إلى منزله
 معظما مكرما ، وبلغني أن العامة حملوا له الشمع من باب النصر إلى التصاعين على جاري عادتهم في
 أمثال هذه الأشياء ، وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في ذلك ، كان
 الباعث على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف ، والشيخ نصر المنبجي شيخ الجاشنكير وغيرهم من
 أعدائه ، وذلك أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان يتكلم في المنبجي وينسبه إلى اعتقاد ابن عربي
 وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يمسونه لتقدمه عند الدولة ، وانفرادهم بالأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر ، وطاعة الناس له وعيبتهم له وكثرة أتباعه وقيامه في الحق ، وعلمه وعمله ، ثم وقع بمشق خبط
 كثير ونشويش بسبب غيبة نائب السلطنة ، وطلب القاضي جماعة من أصحاب الشيخ وعزز بعضهم
 ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المزي الحافظ قرأ فصلا بالرد على الجهمية من كتاب أفعال العباد
 للبخاري تحت قبة المنبر بعد قراءة ميعة البخاري بسبب الاستسقاء ، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين
 وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن مصري ، وكان عدو الشيخ فسجن المزي ، فبلغ الشيخ تقي الدين
 فتألم لذلك وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه ، وراح إلى القصر فوجد القاضي هناك ، فتناولوا
 بسبب الشيخ جمال الدين المزي ، خلف ابن مصري لابد أن يميده إلى السجن وإلا عزل نفسه
 فأمر النائب بإعادته تطييبا لقلب القاضي فغيبه عنده في التوضيح أياما ثم أطلقه . ولما قسم نائب السلطنة
 ذكر له الشيخ تقي الدين ملجأ في حقه وحق أصحابه في غيبته ، فتألم النائب لذلك ونادى في البلد أن
 لا يتكلم أحد في العقائد ، ومن عاد إلى تلك حل ماله ودمه ورتبت داره وحاتوته ، فسكنت الامور .
 وقد رأيت فضلا من كلام الشيخ تقي الدين في كيفية ما وقع في هذه المجالس الثلاثة من المناظرات .
 ثم عقد المجلس الثالث في يوم سابع شعبان بالقصر واجتمع الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة
 وفي هذا اليوم عزل ابن مصري نفسه عن الحكم بسبب كلام محمه من بعض الحاضرين في المجلس
 المذكور ، وهو من الشيخ كال الدين بن الزملكاني ، ثم جاء كتاب السلطان في السادس والعشرين
 من شعبان فيه إعادة ابن مصري إلى القضاء ، وذلك بإشارة المنبجي ، وفي الكتاب إنا كنا سمعنا
 بمقد مجلس للشيخ تقي الدين بن تيمية ، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس ، وأنه على منصب السلف
 وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نسب إليه ، ثم جاء كتاب آخر في خمس رمضان يوم الاثنين وفيه
 الكشف عن ما كان وقع للشيخ تقي الدين بن تيمية في أيام جافان ، والقاضي إمام الدين التزويني
 وأن يحمل هو والقاضي ابن مصري إلى مصر ، فتوجهوا على البريد نحو مصر ، وخرج مع الشيخ
 خلق من أصحابه وبكوا وخافوا عليه من أعدائهم وأشار عليه نائب السلطنة ابن الأفرم بترك الذهاب

إلى مصر، وقال له أنا أ كاتب السلطان في ذلك وأصلح الفضلاء، فامتنع الشيخ من ذلك، وذكر له أن في توجيه مصر مصلحة كبيرة، ومصلح كثيرة، فلما توجه مصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته حتى انقشروا من باب داره إلى قرب الجسورة، فيما بين دمشق والكسوة، ومم فيا بين بك وحزير ومنفراج ومنتره ومزاحم متغال فيه. فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين غرة فصل في جامعها مجلسا عظيما، ثم دخل ماعا إلى القاهرة والقلوب معه وبه متعلقة، فدخل مصر يوم الاثنين الثاني والمشرين من رمضان، وقيل إتهما دخلاها يوم الخميس، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة وأراد أن يتكلم على عاداته فلم يتمكن من البحث والكلام، وانتحب له الشمس ابن عدنان خصما احتسابا، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكى أنه يقول إن الله فوق العرش حقيقة، وأن الله يتكلم بحرف وصوت، فسأله القاضي جوابه فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقيل له أجب ماجئنا بك لتخطب، فقال: ومن الحاكم في؟ فقيل له القاضي المالكى. فقال له الشيخ كيف تحكم في وأنت خصمى، فغضب غضبا شديدا وانزعج وأقيم مرصا عليه وحبس في برج أيام ثم قل منه ليلة العيد إلى المجلس المرفو بالجلب، هو وأخوه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن.

وأما ابن مصرى فانه جدد له توقيع بالقضاء بإشارة المنبجى شيخ الجاشنكير حاكم مصر، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذى القعدة والقلوب له مائة، والنفوس منه تافرة، وقرى. تقليد الجلب لمع وبعده قرى. كتاب فيه الخط على الشيخ تقي الدين ومخالفته في العقيدة، وأن ينادى بذلك في البلاد الشامية، وألزم أهل منعبه بمخالفته، وكذلك وقع بمصر، قام عليه جاشنكير وشيخه نصر المنبجى، وساعدهم جماعة كثيرة من الفقهاء والفقراء، ووجرت قن كثيرة متشعبة، ونود بالله من الفن، وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة، وذلك أن قاضيه كان قليل العلم مزجى البضاعة، وهو شرف الدين الحراوى، فلذلك نال أصحابهم ما نالهم، وصارت حالهم حالهم، وفي شهر رمضان جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوى يستأذن السلطان فى بيع طائفة من قتاديل الحرم النبوى لينفق ذلك بيناء مأذنة عند باب السلام الذى عند المطهرة، فرسم له بذلك، وكان فى جملة القتاديل قنديلان من ذهب زتهما ألف دينار، فباع ذلك وشرع فى بنائها وولى سراج الدين عمر قضاها مع الخطابة فشق ذلك على الرافض.

وفى يوم الخميس ثاى عشر ذى القعدة وصل البريد من مصر بنو لية القضاء لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن داود الأخرى الخنقى قضاء الحنفية عوضا [عن فحس الدين ابن الحسينى مزولا وبتولية الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين الفزارى خطابة دمشق عوضا]^(١) عن عمه (١) سقط من المصرية.

الشيخ شرف الدين توفي إلى رحمة الله ، وخلف عليها بذلك وبأشرف يوم الجمعة ثالث عشر الشهر وخطب الشيخ برهان الدين خطبة حسنة حضرها الناس والأعيان ، ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة وأثرو بقاءه على تدريس البادرية حين بلغه أنها طلبت لتؤخذ منه ، فبقي منصب الخطابة شاغراً ونائب الخطيب يصلي بالناس ويخطب ، ودخل عيد الاضحى وليس للناس خطيب ، وقد كاتب نائب السلطنة في ذلك فجاء المرسوم بإلزامه بذلك ، وفيه : لعلنا بأهليته وكفايته واستمراره على ما يبيده من تدريس البادرية ، فباشرها القيسى جمال الدين ابن الرحي ، سعى في البادرية فأخذها وباشرها في صفر من السنة الآتية بتوقيع سلطاني ، فعزل الغزاري نفسه عن الخطابة ولزم بيته ، فراسله نائب السلطنة بذلك ، فصمم على المزل وأنه لا يعود إليها أبداً ، وذكر أنه عجز عنها ، فلما تحقق نائب السلطنة ذلك أعاد إليه مدرسته وكتب له بها توقيماً بالمعشر الأول من ذى الحجة وخلف على قمس الدين بن الخطيب بنظر الخزانة عوضاً عن ابن الزملكاني . وحج بالناس الأمير شرف الدين حسن بن حيدر .
ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرحي ﴾

ابن سابق بن الشيخ يوسف القيسى ودفن بزوايتهم التي بالشرق الشمالي بدمشق غربي الوراق والمزية يوم الثلاثاء سابع المحرم . (الملك الاوحد)

ابن الملك قتي الدين شادي بن الملك الزاهر مجير الدين دلود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي ، توفي بجبل الجرد في آخر نهار الأربعاء ثاني صفر ، وله من العمر سبع وخمسون سنة فنقل إلى تربتهم بالفخ ، وكان من خيار الملوك والدولة ، مظلماً عند الملوك والأمراء ، وكان يحفظ القرآن وله معرفة بعلوم ، ولديه فضائل .

﴿ الصدر علاء الدين ﴾

علي بن معالي الانصاري الحراني الحاسب ، يعرف بابن الزوبز ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الحساب انتفع به جماعة ، توفي في آخر هذه السنة فجأة ودفن بقاسيون ، وقد أخذت الحساب عن الحاضري عن علاء الدين الطيوري عنه .

﴿ الخطيب شرف الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الغزاري ، الشيخ الامام العلامة أخو العلامة شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن ، وله ستة تلاميذ وجمع الحديث الكثير ، وانتفع على المشايخ في ذلك العصر كابن الصلاح وابن السخاوي وغيرهما ، وحقه وأفتى وناظر وبرع وساد أقرانه ، وكان أستاذنا في

العربية والفتنة والقراءات وإيراد الأحاديث النبوية ، والتردد إلى المشايخ لقراءة عليهم ، وكان فصيح العبارة حلوا المحاضرة ، لاجل مجالسته ، وقد درس بالطيبة ، وبالرباط الناصري مدة ، ثم تحول عنه إلى خطابة جامع جراح ، ثم انتقل إلى خطابة جامع دمشق بعد الفارق في سنة ثلاث ولم يزل به حتى توفي يوم الأربعاء عشية التاسع من شوال ، عن خمس وسبعين سنة ووصل إلى عليه صبيحة يوم الخميس على باب الخطابة ، ودفن عند أبيه وأخيه يباب الصغير رحمهم الله ، وولى الخطابة ابن أخيه
 ﴿ شيخنا العلامة برهان الدين الحافظ الكبير الدميطي ﴾

وهو الشيخ الامام العالم الحافظ شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدميطي ، حامل لواء هذا الفن - أعنى صناعة الحديث وعلم اللغة - في زمانه مع كبار السن والقدر ، وعلو الاسناد وكثرة الرواية ، وجودة الدراية ، وحسن التأليف وانتشار التصانيف ، وتردد الطلبة إليه من سائر الآفاق ، ومولده في آخر سنة ثلاث عشرة وستائة ، وقد كان أول سماعه في سنة ثنتين وثلاثين بالاسكندرية ، سمع الكثير على المشايخ ورحل وطاف وحصل وجمع فأوعى ، ولكن مامنع ولا يخل ، بل يذل وصنف ونشر العلم وولى المناصب بالدار المصرية ، واتفق الناس به كثيراً ، وجمع ممججاً لمشايخه الذين لديهم بالشام والحجاز والجزيرة والعراق وديار مصر يزعمون على ألف وثلاثة شيخ ، وهو مجلدان ، وله الأربون المتبينة الاسناد وغيرها وله كتاب في الصلاة الوسطى مفيد جداً ، ومصنف في صيام ستة أيام من شوال أفاد فيه وأجاد ، وجمع ما لم يسبق إليه ، وله كتاب القدر والتسبيح عقيب الصلوات ، وكتاب للتسلي في الاعتباط بثواب من يقدم من الافراط ، وغير ذلك من الفوائد الحسان ، ولم يزل في إسماع الحديث إلى أن أدرسته وفاته وهو ساجد في مجلس الاملاء غشى عليه فحمل إلى منزله فمات من ساعته يوم الاحد عشر ذي القعدة بالقاهرة ، ودفن من القند بمقابر باب النصر وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله تعالى

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكرون في التي قبلها والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجون بالجب من قلعة الجبل ، وفي يوم الأربعاء جاء البريد بتولية الخطابة للشيخ شمس الدين إمام الكلاسة وذلك في ربيع الأول ، وهنيئاً بذلك فأظهر التكره لذلك والضعف عنه ، ولم يحصل له مباشرة لتيمية نائب السلطنة في الصيد ، فلما حضر أذن له فبأشر يوم الجمعة العشرين من الشهر ، فأول صلاة صلاها الصبح يوم الجمعة ، ثم خلع عليه وخطب بها يومئذ ، وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول بأشر نيابة الحكم عن القاضي نجم الدين أحمد بن عبد المحسن بن حسن المعروف بالمشقي عوضاً عن تاج الدين بن صالح بن تاجر بن خان الجبيري ، وكان معمرًا قديماً المهجرة كثير الفضائل ، دينا

ورعاً جيد المبشرة، وكان قد ولى الحكم في سنة سبع وخمسين وستائة، فلما ولى ابن صصرى كره نيابته. وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجديد توقيع للقاضي شمس الدين الأزرقى الحنفى، فظن الناس أنه بولاية القضاء لابن الحريرى فذهبوا ليهنئوه مع البريد إلى القاهرة، واجتمع الناس لقراءة التقليد على العمادة فشرع الشيخ علم الدين البرزالى في قراءته فلما وصل إلى الاسم تبين له أنه ليس له وأنه للأزرقى، فبطل القارئ، وقام الناس مع البريدى إلى الأزرقى، وحصلت كسرة وخدة على الحريرى والحاضرين. ووصل مع البريدى أيضاً كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزملى إلى القاهرة، فتوهم من ذلك وخاف أصحابه عليه بسبب انتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية، فتلطف به نائب السلطنة، ودارى عنه حتى أعفى من الحضور إلى مصر، ولفه الحد.

وفي يوم الخميس تاسع جمادى الأولى دخل الشيخ ابن براق إلى دمشق وبصحبته مائة فقير كلهم محلقي ذقونهم، وفردى شواربهم عكس ما وردت به السنة، وعلى رؤسهم قرون لبايد. ومعهم أجراس وكماب وجواكين خشب، فقولوا بالتبليغ وحضروا الجمعة برواق الخنابلة، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا، ثم استأذنوا في الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم، فصادوا إلى دمشق فصاروا بها رمضان ثم انشعروا راجعين إلى بلاد الشرق، إذ لم يجدوا بدمشق قبولا، وقد كان شيخهم براق روميان بعض قرى دوقات من أبناء الأرمين، وقد كانت له منزلة عند قازان ومكانة، وذلك أنه سلط عليه نمرأ فزجره فهرب منه وتركه، فغظى عنده وأعطاه في يوم واحد ثلاثين ألفاً ففرقها كلها فأحبه، ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاة، ومن ترك صلاة ضربه أربعين جلدة، وكان يزعم أن طريقه الذى سلكه إنما سلكه ليخرب على نفسه، ويرى أنه زى المسخرة، وأن هذا هو الذى يليق بالدينا، والمقصود إنما هو الباطن والقلب وعمارة ذلك، ونحن إنما نحكم بالظاهر، والله أعلم بالسرائر.

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة حضر مدرس للتجيبية بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز الحجى الحلبى، عوضاً عن الشيخ ضياء الدين الطومى توفى، وحضر عنده ابن صصرى وجماعة من الفضلاء، وفي هذه السنة صليت صلاة الرغائب في النصف بجامع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين، ولما كانت ليلة النصف حضر الحالجى ركن الدين بيبرس الملائى ومنع الناس من الوصول إلى الجامع ليلتشد، وغلقت أبوابه فبات كثير من الناس في الطرقات وحصل للناس أذى كثير، وإيما أراد صيانة الجامع من القنور والفث والتخليط. وفي سابع عشر رمضان حكم القاضي تقي الدين الحنبلى بحقن دم مجد الباجرى تقي، وأثبتت عنده محضرا

بمداوة ما بينه وبين الشهود الستة الذين شهدوا عليه عند المالكي ، حين حكم بإراقة دمه ، ومن شهد بهذه المداوة ناصر الدين بن عبد السلام و زين الدين بن الشريف عدنان ، وقطب الدين بن شيخ السلاية وغيرهم . وفيها بأمر كمال الدين بن الزملاكي نظر ديوان ملك الأمراء عوضا عن شهاب الدين الحنفي ، وذلك في آخر رمضان ، وخلع عليه بطيلسان وخلمة ، وحضر بها دار العمل . وفي ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين سلاار نائب مصر القضية الثلاثة وجماعة من الفقهاء والقضاة الشافعي والمالكي والحنفي ، والفقهاء الباجي والجزري والقرأوي ، وتكلموا في إخراج الشيخ قتي الدين بن تيمية من الحبس ، فاشتراط بعض الحاضرين عليه شروطا بذلك ، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة وأرسلوا إليه ليحضر ليتكلموا معه في ذلك ، فامتنع من الحضور وصمم ، وتكررت الرسل إليه ست مرات ، فصمم على عدم الحضور ، ولم يلتفت إليهم ولم يدمع شيئا ، فطال عليهم المجلس فتفرقوا وانصرفوا غير مأجورين .

وفي يوم الأربعاء ثاقى شوال أذن نائب السلطنة الأفرم للقاضي جلال الدين القزويني أن يصلي بالناس ويخطب بجامع دمشق عوضا عن الشيخ فحمس الدين إمام الكلاسة توفي ، فصلى الظهر يومئذ وخطب الجمعة واستمر بالامانة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة ، وفي مستهل ذي القعدة حضر نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان وشكرت خطبته . وفي مستهل ذي القعدة كل بناء الجامع الذي ابتناه وحرره الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم عند الرباط الناصري بالصالحية ، ورتب فيه خطيبا يخطب يوم الجمعة وهو القاضي فحمس الدين محمد بن البرز الحنفي ، وحضر نائب السلطنة والقضاة وشكرت خطبة الخطيب به ، ومدد صاحب شهاب الدين الحنفي سباطا بمد الصلاة بالجامع المذكور وهو الذي كان الساعي في عمالته ، والمستحث عليها ، فجاء في غاية الاقن والحسن ، قبل الله منهم .

وفي ثالث ذي القعدة استناب ابن مصرى القاضي صدر الدين سايجان بن هلال بن شبل الجبيري خطيب داريا في الحكم عوضا عن جلال الدين القزويني ، بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحكم ، وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة قدم قاضي القضية صدر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ صفى الدين الحنفي البصراوي إلى دمشق من القاهرة متوليا قضاء الحنفية عوضا عن الأزرعي ، مع ما يهده من تدريس التوراة والمقنمية وخرج الناس لتلقيه وهنؤه ، وحكم بالتوراة وقرئ تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية ، من جامع بني أمية . وفي ذي الحجة ولى الأمير عز الدين بن صبرة على البلاد القبلية وإلى الولاة ، عوضا عن الأمير جمال الدين آقوش الرستمي ، بحكم ولايته شد القواوين بدمشق ، وجاء كتاب من السلطان بولاية وكتابه لرئيس

عز الدين بن حمزة القلانسي عوضا عن ابن عمه شرف الدين ، فكره ذلك .

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ تقي الدين من الحبس الذي يقال له الجب فأرسل في طلبه فجيء به قهراً على الناس فجعل يشكر الشيخ ويثني عليه وعلى علمه وديانته وشجاعته وزهده ، وقال ما رأيت مثله ، وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله ، وأنه لم يقبل من أحد شيئاً لا من النفقات السلطانية ولا من الكسوة ولا من الادارات ولا غيرها ، ولا تدنس بشئ من ذلك .

وفي هذا الشهر يوم الخميس السابع والعشرين منه طلب أخوا الشيخ تقي الدين شرف الدين وزين الدين من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلاز ، وحضر ابن غلوف المالكي وطال بينهم كلام كثير فظهر شرف الدين بالحجة على القاضي المالكي بالنقل والدليل والمعرفة ، وخطأه في مواضع ادعى فيها دعاوى باطلة ، وكان الكلام في مسألة العرش ومسألة الكلام ، وفي مسألة التزول .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين ذى الحجة وصل على البريد من مصر نصر الدين محمد بن الشيخ نغر الدين بن أنخي قاضي القضاة البصرಾಯي ، وزوج ابنته على الحسبة بدمشق عوضا عن جمال الدين يوسف المصبي وخلع عليه بطليسان وليس الخلعمة ودار بها في البلد في مستهل سنة سبع وسبعمائة ، وفي هذه السنة عمر في حرم مكة بنحو مائة ألف . وحج بالناس من الشام الأمير ركن الدين بيبرس المجنون .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ القاضي تاج الدين ﴾

صالح بن أحمد بن حامد بن علي الجمعي الشافعي نائب الحكم بدمشق ومفيد الناصرية ، كان ثقة ديناً عادلاً مرضياً زاهداً ، حكم من سنة سبع وخمسين وستائة ، له فضائل وعلوم ، وكان حسن الشكل والهيئة ، توفي في ربيع الأول عن ست وسبعين سنة ، ودفن بالسفح وقلب في الحكم بدمشق نجم الدين الدمشقي .

﴿ الشيخ ضياء الدين الطوسي ﴾

أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن علي الشافعي مدرس النجيبية شارح الحاوي ، ومختصر ابن الحاجب كان شيخاً فاضلاً بارعاً ، وأعاد في الناصرية أيضاً ، توفي يوم الأربعاء بعد ترجمته من الحام تاسع عشر من جمادى الأولى ، وصلى عليه يوم الخميس ظهر باب النصر ، وحضر نائب السلطنة وجماعة من الأمراء والأعيان ، ودفن بالصوفية ، ودرس بعده بالمدرسة بهاء الدين بن المصبي .

﴿ الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي ﴾

المروف بابن السوابلي ، والسوابل الطاسات . كان معظماً ببلاد الشرق جداً ، كان تاجراً كبيراً توفي في هذا الشهر المذكور .

﴿ الشيخ الجليل سيف الدين الرجبي ﴾

ابن سابق بن هلال بن يونس شيخ اليونسية بمقدمهم ، صلى عليه سادس رجب بالجامع ثم أعيد إلى داره التي سكنها داخل باب توما ، وتعرف بدار أمين الدولة فدفن بها ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان والقضاة والأمراء ، وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضمن العلامة جداً مخلوق الشعر ، وخلف أموالاً وأولاداً .

﴿ الأمير فارس الدين الرواسي ﴾

توفي في العشر الأخير من رمضان ، وكان قد رأى النبي ﷺ قبل وفاته بأيام وهو يقول له : أنت مغفور لك ، أو نحو هذا ، وهو من أمراء حسام الدين لاجين .

﴿ الشيخ القدوة العابد خطيب دمشق ﴾

فهم الدين محمد بن الشيخ أحمد بن عثمان الخلالطي إمام الكلاسة ، كان شيخاً حسناً بهي المنظر كثير العبادة ، عليه سكن وقرار ، بأمر إمامة الكلاسة قريباً من أربعين سنة ثم طلب إلى أن يكون خطيباً بدمشق بالجامع من غير سؤال منه ولا طلب ، فبشرها ستة أشهر ونصف أحسن مباشرة ، وكان حسن الصوت طيب النغمة عارفاً بصناعة الموسيقى ، مع ديانة وعبادة ، وقد سمع الحديث توفي فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن ثنتين وستين سنة ، وصلى عليه بالجامع وقد امتلأ بالناس ، ثم صلى عليه بسوق الخليل وحضر نائب السلطنة والأمراء والعامة ، وقد غلقت الأسواق ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، والشيخ تقي الدين بن تيمية معتقل في قلعة الجبل بمصر ، وفي أوائل الحرم أظهر السلطان الملك الناصر الغضب على الأمير ابن سلاط والجاشنكير وامتنع من الصلاة وأغلق القلعة وقصعن فيها ، ولزم الأميران بيوتهما ، واجتمع عليهما جماعة من الأمراء وحوصرت القلعة وجرت خبطة عظيمة ، وغلقت الأسواق ، ثم راسلوا السلطان فأنطدت الأمور وسكنت الشرور على دخن ، وتنازل قلوب وقوى الأميران أكثر مما كانا قبل ذلك وركب السلطان ووقع الصاع على دخن . وفي الحرم وقعت الحرب بين التتر وبين أهل كيلان ، وذلك أن ملك التتر طلب منهم أن يجالوا في بلادهم طريقاً إلى عسكره فامتنعوا من ذلك ، فأرسل ملك التتر خر بندا جيشاً كثيفاً ستين ألفاً من المقاتلة ، أربعين ألفاً مع قناوشه وعشرين ألفاً مع جويان ، فأملهم أهل كيلان حتى توسطوا بلادهم ، ثم أرسلوا عليهم خليجاً من البحر ورومهم بالنفط ففرق كثير منهم واحترق آخرون ، وقتلوا بأيديهم طائفة كثيرة ، فلم يفلت منهم إلا القليل ، وكان فيمن

قتل أمير التتر الكبير قطلوشاه ، فاشتد غضب خر بندا على أهل كيلان ، ولكنه فرح بقتل قطلوشاه فانه كان يريد قتل خر بندا فكفى أمرهم ، ثم قتل يمدى ولأى . ثم إن ملك التتر أرسل الشيخ براق الذى قدم الشام فيما تقدم إلى أهل كيلان يبلغهم عنه رسالة قتلوه وأراحوا الناس منه ، وبلادهم من أحسن البلاد أطيبها لا تستطاع ، وهم أهل سنقوا كثرهم حنابلة لا يستطيع متبعض أن يسكن بين أظهرهم .

وفى يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين ابن تيمية فى دار الأوحى من قلعة الجبل ، وطال بينهما الكلام ثم عرفا قبل الصلاة ، والشيخ تقي الدين مصمم على عدم الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين منها بن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجن إليه ، فلما خرج أقسم عليه ليأتين معه إلى دارسلار ، فاجتمع به بعض الفقهاء بدارسلار وجرت بينهم محوثة كثيرة . ثم فرقت بينهم الصلاة ، ثم اجتمعوا إلى المغرب وبات الشيخ تقي الدين عند سلار ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميع التتار ، ولم يحضر أحد من القضاة بل اجتمع من الفقهاء خلق كثير ، أكثر من كل يوم ، منهم الفقيه نجم الدين بن رفع وعلاء الدين التاجى ، وغير الدين بن بنت أبى سعد ، وعز الدين التراوى ، وقضى الدين بن عدنان وجماعة من الفقهاء وطلبوا القضاة فاعتذروا بأعذار ، بعضهم بالمرض ، وبعضهم بتغيره ، لمقرهم بما ابن تيمية منطوى عليه من العلوم والآلة ، وأن أحداً من الحاضرين لا يطيقه ، قبل عندهم نائب السلطنة ولم يكلفهم الحضور ببدان رسم السلطان بحضورهم أو بفصل المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة وجاء الأمير حسام الدين منها يريد أن يستصحب الشيخ تقي الدين معه إلى دمشق ، فأشار سلار بإقامة الشيخ بمصر عنده ليرى الناس فضله وعلمه ، وينتفع الناس به ويستغلوا عليه . وكتب الشيخ كتاباً إلى الشام يتضمن ماوقع له من الأمور . قال البرزالى : وفى شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين وكلوه فى ابن عربى وغيره إلى الدولة ، فردوا الأمر فى ذلك إلى القاضى الشافى ، فقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت عليه منها شيء ، لكنه قال لا يستغاث إلا بالله ، لا يستغاث بالنبي استغاثته بمعنى العبارة ، ولكن يتوسل به ويقتشف به إلى الله ^(١) فيمض الحاضرين قال ليس عليه فى هذا شيء ، ورأى القاضى بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب ، فحضرت رسالة إلى القاضى أن يصل معه ما تقتضيه الشريعة ، فقال القاضى قد قلت له ما يقال مثله ، ثم إن الدولة خيروه بين أشياء إما أن يسير إلى دمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختار الحبس فدخل عليه جماعة فى السفر إلى دمشق ملتزماً ما شرط ، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبراً لخواطرم ، فركب خيل

(١) المروف فى كتب ابن تيمية وترجمته لابن عبد الهادى : أنه لا يجيز هذا . فليحرر .

البريد ليلة الثامن عشر من شوال ثم أرسلوا خلفه من التدبير بدأ آخر ، فردوه وحضر عند القاضي القضاة
 ابن جماعة وعنده جماعة من الفقهاء ، قال له بعضهم : إن الدولة مارتضى إلا بالحبس ، فقال القاضي وفيه
 مصلحة له ، واستجاب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال :
 ما نبت عليه شيء ، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي فتحير ، فلما رأى الشيخ توقفهم في حبسه قال
 أنا ماضى إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة ، فقال نور الدين الزواوي : يكون في موضع يصلح لئله
 قليل له الدولة مارتضى إلا بحبس ، فأرسل إلى حبس القضاة في المكان الذي كان فيه تقي الدين
 ابن بفت الأعز حين سجن ، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه ، وكان ذلك كله بإشارة نصر المنبجي
 لوجهته في الدولة ، فانه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير الذي تسلطن فيما بعد ، وغيره من
 الدولة ، والاسطان متهور منه ، واستمر الشيخ في الحبس يستغنى ويقصده الناس وبزورونه ، وتأثبه
 الفتاوى المشككة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأعراء وأعيان الناس ، فيكتب عليها بما يحير العقول
 من الكتاب والسنة . ثم عقد لشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله ، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار
 ابن شقير ، وأكب الناس على الاجتماع به ليلا ونهاراً . وفي سادس رجب بشر الشيخ كال الدين بن
 الزملاكي أنظر ديوان المارستان عوضاً عن يوسف المصممي توفي ، وكان محبباً بدمشق مدة فأخذها
 منه نجم الدين بن البصراوي قبل هذا بسنة أشهر ، وكان المصممي موصوفاً بالامانة . وفي ليلة النصف
 من شبان أبطلت صلاة ليلة النصف لكونها بدعة وصين الجامع من التوغاه والرعاع ، وحصل بذلك
 خير كثير وثقه الحمد والمثنة .

وفي رمضان قسم الصدر نجم الدين البصراوي ومعه توقيع بنظر الخزانة عوضاً عن شمس الدين
 الخطيرى مضافاً إلى ما بيده من الحسبة ، ووقع في أواخر رمضان مطر قوى شديد ، وكان الناس لهم
 مدة لم يطرأ ، فاستبشروا بذلك ، ورخصت الأسعار ، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصل من
 كثرة المطر ، فصاروا بالجامع ، وحضر نائب السلطنة فصلي بالمقصورة ، وخرج المحمل ، وأمر الحج عثمند
 سيف الدين بلبان البدرى التتري . وفيها حج القاضي شرف الدين البارزى من حجة . وفي ذى الحجة
 وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية مبدؤه من الفرن تجارها الذي يقال له فرن الموتية ، ثم لطف
 الله وكف شرها وشررها .

قلت : وفي هذه السنة كان قدومنا من بصرى إلى دمشق بعد وفاة والده ، وكان أول ما سكنا
 يدرب سمور الذي يقال له درب ابن أبي الهيجاء بالصاغة العتيقة عند الطوريين ، ونسأل الله حسن
 العاقبة والخاتمة آمين .

وممن توفي فيها من الأعيان (الأمير ركن الدين بيبرس) المعجى الصالحى ، المعروف بلجائق ، كان رأس الجندارية فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأمره الملك الظاهر . كان من أكابر الدولة كثير الاموال ، توفي بالرملة لأنه كان فى قسم إقطاعه فى نصف جمادى الأولى ، وقفل إلى القدس فدفن به .

(الشيخ صالح الأحمدى الرطعى)

شيخ الميغبغ ، كان التتر يكرمونه لما قدموا دمشق ، ولما جاء قتلوا شاه نائب التتر نزل عنده ، وهو الذى قال الشيخ تقي الدين بن تيمية بالقصر : فمن ما ينفق حالنا إلا عند التتر ، وأما عند الشرع فلا .

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة)

استهلت والحكام هم المذكورون فى التتر قبلها ، والشيخ تقي الدين قد أخرج من الحبس ، والناس قد عكفوا عليه زيارة وتسلوا وإستغفناه وغير ذلك . وفى مستهل ربيع الأول أفرج عن الأمير نجم الدين خضر بن الملك الظاهر ، فأخرج من البرج وسكن دار الأفرم بالقاهرة ، ثم كانت وفاته فى خامس رجب من هذه السنة . وفى أواخر جمادى الأولى تولى نظر ديوان ملك الأمراء زين الدين الشريف ابن عدنان عوضا عن ابن الزملكاني ، ثم أضيف إليه نظر الجامع أيضا عوضا عن ابن الخطيرى ، وتولى نجم الدين بن العمشقي نظر الأيتام عوضا عن نجم الدين بن هلال . وفى رمضان عزل صاحب أمين الدين الزقاق عن نظر الدواوين بدمشق وسافر إلى مصر . وفيها عزل كمال الدين ابن الشريثي نفسه عن وكالة بيت المال وصمم على الاستمرار على العزل وعرض عليه المودفلم يقبل ، وحملت إليه الخلفة لما خلع على المباشرين فلم يلبسها ، واستمر ممزولا إلى يوم عاشوراء من السنة الآتية ، فجدد تقليده وخلع عليه فى الدولة الجديدة .

وفيها خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية قاصدا الحج ، وذلك فى السادس والعشرين من رمضان ، وخرج معه جماعة من الامراء لتوديعه فردم ، ولما اجتاز بالكرك عدل إليها فنصب له الجسر ، فلما توسطه كسر به فلم يكن أمامه وقفة به الفرس فلم ، وسقط من كان وراءه وكاتوا خمسين فوات منهم أربعة ونهشم أكثرهم فى الوادى الذى تحت الجسر ، وبقي نائب الكرك الأمير جمال الدين آقوش خجلا يوم أن يكون هذا يظنه السلطان عن قصد ، وكان قد عمل للسلطان ضيافة غرم عليها أربعة عشر ألفا فلم يقع الموقع لاشتغال السلطان بهم وما جرى له ولا محابه ثم خلع على النائب وأذن له فى الانصراف إلى مصر فسافر ، واشتغل السلطان بتدبير الملك تقي الدين الكرك وحدها ، وكان يحضر دار العدل ويأشرف الأمور بنفسه ، وقدمت عليه زوجته من مصر ، فذكرت له ما كاتوا فيه من ضيق الحال وقلة التعلقات .

﴿ ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير بشيخ ^(١) المنبجي عدو ابن تيمية ﴾

لما استقر الملك الناصر بالكرك وعزم على الاقامة بها كتب كتابا إلى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة ، فأثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم فخذ على قضاة الشام وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير في السلطنة في الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بعد العصر ، بدار الأمير سيف الدين صلا ، اجتمع بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم وبايعوه وخطبوه بالملك المظفر ، وركب إلى القلعة ومشوا بين يديه ، وجلس على سرير الملك بالقلعة ، ودقت البشائر وصارت البريدية بذلك إلى سائر البلدان . وفي مستهل ذي القعدة وصل الأمير عز الدين البغدادي إلى دمشق فاجتمع بنائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان بالقصر الابلق قرأ عليهم كتاب الناصر إلى أهل مصر ، وأنه قد نزل عن الملك وأعرض عنه ، فأثبتت القضاة وامتنع الخلبى من إثباته وقال : ليس أحد يترك الملك مختاراً ، ولولا أنه مضطهد ما تركه ، فمزل وأقيم غيره ، واستحلفهم السلطان الملك المظفر ، وكتبت الدلالة على القلعة ، وألقاه على محال المملكة ، ودقت البشائر وزينت البلد ، ولما قرئ كتاب الملك الناصر على الأمراء بالقصر ، وفيه : إني قد صحبت الناس عشر سنين ثم اخترت المقام بالكرك ، تباكي جماعة من الأمراء وبايعوا كاللكرهين ، وتولى مكان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الأمير سيف الدين بن علي ، ومكان ترعكي سيف الدين بنغاص ، ومكان بنغاص الأمير جمال الدين آقوش الذي كان نائب الكرك ، وخطب للمظفر يوم الجمعة على المنابر بدمشق وغيرها ، وحضر نائب السلطنة الأفرم والقضاة ، وجاءت الخلع وتقليد نائب السلطنة في تاسع عشر ذي القعدة ، رقرأ تقليد النائب كاتب السر القاضي محي الدين بن فضل الله بالقصر بحضرة الأمراء ، وعليهم الخلع كلهم . وركب المظفر بالخلعة السوداء الخليفة ، والعمامة المدورة والدولة بين يديه عليهم الخلع يوم السبت سابع ذي القعدة ، والصاحب ضياء الدين النساى حامل تقليد السلطان من جهة الخليفة في كيس أطلس أسود ، وأوله : إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ويقال إنه خلع في القاهرة قريب ألف خلعة ومائتي خلعة ، وكان يوما مشهوداً ، وفرح بنفسه أياما يسيرة ، وكنا شيخه المنبجي ، ثم أزال الله عنهما نعمته سريرا . وفيها خطب ابن جماعة بالقلعة وبأشر الشيخ علاء الدين القوتوى تدريس الشريعة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح عثمان الحلبوى ﴾

أصله من صعيد مصر ، فأقام مدة بقرية حلبون وغيرها من تلك الناحية ، ومكث مدة لا يأتى على الخبز ، واجتمع عليه جماعة من المريدين وتوفي بقرية برادة في أواخر المحرم ، ودفن بها وحضر جنازته نائب الشام والقضاة وجماعة من الأعيان .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو الحسن علي بن محمد بن كثير الحراني الخنيلي إمام مسجد عطية ، ويعرف بابن المقرئ روى الحديث وكان قتيها بمدراس الخنابلة . ولد بمرحان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، وتوفي بمشقي في الشهر الأخير من رمضان ، ودفن بسفح تاسيون ، وتوفي قبله الشيخ زين الدين الحراني بفرة ، وعمل عزائه بدمشق رحمهما الله .

﴿ السيد الشريف زين الدين ﴾

أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان الحسيني قتيب الاشراف ، كان فاضلاً بارعاً فصيحاً متكلماً ، يعرف طريقة الاعتزال وبيات الامامية ، وينظر على ذلك بمحضرة القضاة وغيرهم ، وقد باشر قبل وفاته بقليل نظار الجامع ونظار ديوان الأفرم ، توفي يوم الخميس من ذي القعدة عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بقريةهم بباب الصغير .

﴿ الشيخ الجليل ظهير الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن منعة البغدادي ، شيخ الحرم الشريف بمكة بعد عمه عفيف الدين منصور بن منعة ، وقد سمع الحديث وأقام ببغداد مدة طويلة ، ثم سار إلى مكة ، بعد وفاة عمه ، فتولى مشيخة الحرم إلى أن توفي .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة ﴾

استمرات وخليفة الوقت المستكني أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وثابته بمصر الأمير سيف الدين سلا ، وبالشام آقوش الأفرم ، وقضاة مصر والشام المذكورون في التي قبلها . وفي ليلة سابع صفر توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية من القاهرة إلى الاسكندرية بحجة أمير مقدم ، فأدخله دار السلطان وأنزله في برج منها فسيح متسع الأكثاف ، فكان الناس يدخلون عليه ويشغلون في سائر العلوم ، ثم كان بعد ذلك يحضر الجمعات ويمهل المواعيد على عادته في الجامع ، وكان دخوله إلى الاسكندرية يوم الأحد ، وبعد عشرة أيام وصل خبره إلى دمشق فحصل عليه تألم وخافوا عليه فآثروا الجاشنكير وشيخه المنبجي ، فتضادفه الرضا ، وذلك أنهم لم يمكنوا أحداً من أصحابه أن يخرج معه إلى الاسكندرية ، فضاعت له الصدور ، وذلك أنه تمكن منه عدوه نصر المنبجي . وكان سبب عداوته له أن الشيخ تقي الدين كان ينال من الجاشنكير ومن شيخه نصر المنبجي ، ويقول : زالت أيلمه وانتهت رياسته ، وقرب اقتضاء أجله ، ويتكلم فيما وفي ابن عربي وأتباعه ، فأرادوا أن يسروه إلى الاسكندرية كهيئة المنفي لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة ، فزاد ذلك الناس إلا محبة فيه وقرباً منه واتفاقاً به واشتغالا عليه ، وحنوا وكرامة له . وجاء كتاب من أخيه يقول فيه : إن الأخ الكريم قد نزل بالشر المحروس على نية الرباط ، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أمورا يكيدونه بها ويكيدون الاسلام وأهله ،

وكانت تلك كرامة في حقنا ، وظنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فأقبلت عليهم مقاصد الخبيثة وانفكمت من كل الوجوه ، وأصبحوا وأمسوا ومازالوا عند الله وعند الناس العارفين سود الوجوه ينقطعون حشرات وتندما على ماقلوا ، واقلب أهل الثغر أجمعين إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له وفي كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ماقر به أعين المؤمنين ، وبذلك شجى في حلق الأعداء وانفق أنه وجد بالاسكندرية إبليس قد باض فيها وفرخ وأصل بها فرق السبعينية والعربية فرقى الله بقدمه عليهم ثعلهم ، وشقت جموعهم شذر منذر ، وهتك أستارهم وفضحهم ، واستتاب جماعة كثيرة منهم ، وتوب رئيسا من رؤسائهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وقفيه ، ومفتى وشيخ وجماعة المجتهدين ، إلا من شذ من الأعمار الجبال ، مع القلة والنفار - محبة الشيخ وتظيمه وقبول كلامه والرجوع إلى أمره ونهيه ، فعلمت كلمة الله بها دلى أعداء الله ورسوله ، ولعنوا سرا وجهرا وباطنا وظاهرا ، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم ، وصار ذلك عند نصر المنبجى المقيم المقعد ، ونزل به من الخوف والقل ملا يعبر عنه ، وذ كر كلاما كثيرا .

والمقصود أن الشيخ تقي الدين أقام بنجر الاسكندرية ثمانية أشهر مقبلا ببرج متسع مليح نظيف له شبا كان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان يدخل عليه من شاء ، ويردد إليه الأكابر والأعيان والعقهاء ، يقرؤن عليه ويستفيدون منه ، وهو في أطيب عيش وأشرف صدر .

وفي آخر ربيع الأول عزل الشيخ كمال الدين بن الزملاى عن نظر المارستان بسبب انتباهه إلى ابن تيمية بإشارة المنبجى ، وياشره فمضى الدين عبد القادر بن الخطايرى . وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر وفى قضاء الحنابلة بمصر الشيخ الامام الحافظ سعد الدين أبو محمود مسعود بن أحمد ابن مسعود بن زين الدين الحارثى ، شيخ الحديث بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين أبى محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر الحارثى . وفي جمادى الأولى برزت المراسيم السلطانية المظفرة إلى البلاد السواحلية بإبطال الخور وتخريب الحانات وفى أهلها ، ففعل ذلك وفرح المسلمون بذلك فرحاشديدا . وفي مستهل جمادى الآخرة وصل برید بتولية قضاء الحنابلة بمصر الشيخ شهاب الدين أحمد بن شريف الدين حسن بن الحافظ جمال الدين أبى موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى ، عوضا عن التقي ساليان بن حمزة بسبب تكماله في نزول الملك الناصر عن الملك ، وأنه إنما نزل عنه مضطهدا بذلك ، ليس بمختار ، وقد صدق فيما قال . وفي عشرين جمادى الآخرة وصل البريد بولاية شد الدواوين للأمر سيف الدين بكتمر الحاجب ، عوضا عن الرسمى فلم يقبل ، وبنظر الخزانة للأمر عز الدين أحمد بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود المروفي بابن القلانسى ، فباشرها وعزل عنها البصر اوى محاسب البلد . وفي هذا شهر ياشر قاضى القضاة ابن جماعة شيخه سعيد السعداء

بالقاهرة يطلب الصوفية له ، ورضوا منه بالحضور عندهم في الجمعة مرة واحدة ، وعزل عنها الشيخ
 كريم الدين الايكي ، لأنه عزل منها الشهود ، فثاروا عليه وكتبوا في حقه محاضر بأشياء قاذحة في الدين ،
 فرسم بصرفه عنهم ، وعومل بنظير ما كان يمايل به الناس ، ومن جملة ذلك قيامه على شيخ الاسلام
 ابن تيمية واقتراؤه عليه الكذب ، مع جهله وقلة ورعه ، فسجل الله له هذا الخزي على يدي أصحابه
 وأصدقائه جزاء وفاقا .

وفي شهر رجب كثرا الخوف بدمشق وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها ، وسبب ذلك أن
 السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من الكرك قاصداً دمشق يطلب عوده إلى الملك ، وقد
 ماله جماعة من الأمراء وكتابه في الباطن وفاحشه ، وقفز إليه جماعة من أمراء المصريين ، وتحدث
 الناس بسفر نائب دمشق الأفرم إلى القاهرة ، وأن يكون مع الجمل الفغير ، فاضطرب الناس ولم تفتح
 أبواب البلد إلى ارتفاع النهار ، وتخبطت الأمور ، فاجتمع القضاة وكثير من الأمراء بالقصر وجددوا
 البيعة للملك المظفر ، وفي آخر نهار السبت غلقت أبواب البلد بمد المصر وازدحم الناس بباب النصر
 وحصل لهم تعب عظيم ، وازدحم البلد بأهل القرى وكثر الناس بالبلد ، وجاء البريد بوصول الملك
 الناصر إلى الحان ، فارتعج نائب الشام لذلك وأظهر أنه يريد قتله ومنعه من دخول البلد ، وقفز إليه
 الأميران ركن الدين بيبرس الجنون ، وبيبرس الملى ، وركب إليه الأمير سيف الدين بكنتر حاجب
 الحجاب يشير عليه بالرجوع ، ويخبره بأنه لاطاقة له بقتال المصريين ، ولحقه الأمير سيف الدين
 بها درا يشير عليه بمثل ذلك ، ثم عاد إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رجب وأخبر أن السلطان
 الملك الناصر قد عاد إلى الكرك ، فسكن الناس ورجع نائب السلطنة إلى القصر ، وتراجع بعض
 الناس إلى مساكنهم ، واستقر أحوالهم .

﴿ صفة عود الملك الناصر ﴾

« محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك وزوال دولة المظفر الجاشنكير بيبرس
 وخذلانه وخذلان شيعته نصر المنبجي الاتحادي الحلوى »

لما كان ثالث عشر شعبان جاء الخبر بقدم الملك الناصر إلى دمشق ، فساق إليه الأميران سيف
 الدين قتلوك والحاج بهادر إلى الكرك ، وحضاه على الحجى إليها ، واضطرب نائب دمشق وركب
 في جماعة من أتباعه على المحجن في سادس عشر شعبان ووجه ابن صبيح صاحب شقيق أربون ،
 وهيئت بدمشق أبهة السلطنة والاقامات اللائقة به ، والمصائب والكوسات ، وركب من الكرك في
 أبهة عظيمة ، وأرسل الأمان إلى الأفرم ، ودعاه المؤذنون في المأذنة ليلة الاثنين سابع عشر
 شعبان ، وصبح بالدعاء له والسرور بذكركه ، ونوحى في الناس بالأمان ، وأن يقتنوا دكا كينهم

و يأمنوا في أوطانهم ، و شرع الناس في الزينة ودقت البشائر ونام الناس في الاسطحة ليلة الثلاثاء لينفجروا على السلطان حين يدخل البلد ، و خرج القضاة ، والامراء والأعيان لتلقيه .

قال كاتبه ابن كثير : وكنت فيمن شاهد دخوله يوم الثلاثاء وسط النهار في أبهة عظيمة وبسط له من عند المصلى وعليه أبهة الملك وبسطت الشقاق الحري تحت أقدام فرسه ، كلما جاوز شقة طويت من ورائه ، والجند على رأسه والامراء الساجدة عن يمينه وشماله ، وبين يديه ، والناس يدعون له ويضجون بذلك ضجيجا عاليا ، وكان يوما مشهودا . قال الشيخ علم الدين البرزالي : وكان على السلطان يومئذ عمامة بيضاء ، وكأفة حمراء ، وكان احدى حمل العاشية على رأس السلطان الحاج بهادر وعليه خلعة معظمة مذهبة بفر فاخم . ولما وصل إلى القلعة نصب له الجسر ونزل إليه فأتىها الأمير سيف الدين السنجري ، وقبل الأرض بين يديه ، فأشار إليه إلى الآن لا أنزل ههنا ، وسار بفرسه إلى جهة القصر الأتلي والامراء بين يديه ، وخطب له يوم الجمعة .

وفي بكرة يوم السبت الثاني والعشرين من الشهر وصل الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق طليعا للسلطان ، وقبل الأرض بين يديه ، ففرجل له السلطان وأكرمه وأذن له في مباشرة النيابة على عادته ، وفرح الناس بطاعة الأفرم له ، ووصل إليه أيضا الأمير سيف الدين قبجي نائب حماة ، والأمير سيف الدين استمير نائب طرابلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من شبان ، وخرج للناس لتلقيهما ، وتلقاهما السلطان كالتقى الأفرم . وفي هذا اليوم رسم السلطان بتقليد قضاء الخناطة وعوده إلى تقي الدين سايبان ، وهنأه الناس وجاء إلى السلطان إلى القصر فلم عليه ومضى إلى الجوزية فحكم بها ثلاثة أشهر ، وأقيمت الجمعة الثانية بالميدان وحضر السلطان والقضاة إلى جانبه ، وأكابر الامراء والدولة ، وكثير من العامة . وفي هذا اليوم وصل إلى السلطان الأمير قرا سنقر المنصوري نائب حلب وخرج دهليز السلطان يوم الخميس رابع رمضان ومعه القضاة والقراء وقت العصر ، وأقيمت الجمعة خامس رمضان بالميدان أيضا ، ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان ، وفي صحبته ابن صغرى وصدر الدين الحنفي قاضي المساكم ، والخطيب جلال الدين ، والشيخ كمال الدين بن الزمكاني ، والموقصون وديوان الجيش وجيش الشام بكامله قد اجتمعوا عليه من سائر مدنه وأقاليمه بنوا به وأمرائه ، فلما انتهى السلطان إلى غزة دخلها في أبهة عظيمة ، وتلقاه الأمير سيف الدين بهادر هو وجماعة من أمراء المصريين ، فأخبروه أن الملك المظفر قد خلع نفسه من المملكة ، ثم تواتر قدوم الامراء من مصر إلى السلطان وأخبروه بذلك ، فطابت قلوب الشاميين واستبشروا بذلك ودقت البشائر وتأخر مجي البريد بصورة الانصاري .

وافق في يوم هذا العيد أنه خرج نائب الخطيب الشيخ تقي الدين الجزري المعروف بالقاضي في السناجق إلى المصلى على العادة ، واستناب في البلد الشيخ جرد الدين النونسي ، فلما وصلوا إلى المصلى وجدوا خطيب المصلى قد شرع في الصلاة فنصبت السناجق في محن المصلى وصلى بينهما تقي الدين القاضي ثم خطب ، وكذلك فعل ابن حسان داخل المصلى ، فقد فيه صلاتان وخطبتان يومئذ ، ولم يتفق مثل هذا فيما نعلم .

وكان دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل آخر يوم عيد الفطر من هذه السنة ، ورسم الدار أن يسافر إلى الشوبك ، واستناب بمصر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار الذي كان نائب صند ، وبالشام الأمير قراستقر المنصوري ، وذلك في العشرين من شوال ، واستوزر الصاحب تقي الدين الخليلي بمدها يومين ، وبأمر القاضي تقي الدين كاتب الممالك نظرو الجيوش بمصر بمدها يومين عبد الله بن أحمد بن علي بن المظفر الحلبي ، توفي ليلة الجمعة عاشر شوال ، وكان من صدور المصريين وأعيان الكبار ، وقد روى شيئا من الحديث ، وصرف الأمير جمال الدين آقوش الأفرم إلى نيابة صرخد وقدم إلى دمشق الأمير زين الدين كتيبتغا رأس نوبة الجندارية شد الدواوين ، وأستاذ دار الاستادارية عوضا عن سيف الدين أقبيا ، وتغيرت الدولة واقلبت قلعة عظيمة . قال الشيخ تقي الدين البرزالي : ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ تقي الدين بن تيمية من الاسكندرية معززا مكرما مبعجلا ، فوجه إليه في ثاني يوم من شوال بمده وصوله بيوم أو يومين ، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر وخرج مع الشيخ خاق من الاسكندرية يودعونه ، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه وعلقاه ومشى إليه في مجلس حفل ، فيه قضاة المصريين والشاميين ، وأصلح بينه وبينهم ، ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، والناس يترددون إليه ، والأمراء والجند وكثير من الفقهاء والقضاة منهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع منه ، فقال أما حلفت كل من أذاني .

قلت : وقد أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي بتفاصيل هذا المجلس وما وقع فيه من تعظيمه وإكرامه مما حصل له من الشكر والمدح من السلطان والحاضرين من الأمراء ، وكذلك أخبرني بذلك قاضي القضاة منصور الدين الحنفي ، ولكن أخبار ابن القلانسي أكثر تفصيلا ، وذلك أنه كان إذ ذاك قاضي المسامر ، وكلاهما كان حاضرا هذا المجلس ، ذكر لي أن السلطان لما قدم عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية نهض قائما للشيخ أول مارآه ، ومشى له إلى طرف الابواب واعتنقا هناك هنية ، ثم أخذ معه ساعة إلى طبقة فيها شبك إلى بستان فجلسا ساعة يتحدثان ، ثم جاء ويد الشيخ في يد السلطان ، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضي مصر ، وعن يساره ابن

الخليلى الوزير ، وتحت ابن مصرى ، ثم صدر الدين على الحنفى ، وجلس الشيخ تقي الدين بين يدي
السلطان على طرف طراحته ، وتكلم الوزير فى إعادة أهل القمة إلى لبس العمام البيض بالعلم ،
وأنتهم قد التزموا للدبوان بسبع مائة ألف فى كل سنة ، زيادة على الحالية ، فسكت الناس وكان
فيهم قضاة مصر والشام وكبار العلماء من أهل مصر والشام من جعلتهم ابن الزملكانى . قال ابن
القلانى : وأنا فى مجلس السلطان إلى جنب ابن الزملكانى ، فلم يتكلم أحد من العلماء ولا من
القضاة ، فقال لهم السلطان : ما تقولون ؟ يستفتيهم فى ذلك ، فلم يتكلم أحد ، فبثى الشيخ تقي الدين
على ركبتيه وتكلم مع السلطان فى ذلك بكلام غليظ ورد على الوزير ما قاله ردا عنيفا ، وجعل
يرفع صوته والسلطان يتلذذه ويسكته بترقى وتؤدة وتوقير . وبالغ الشيخ فى الكلام وقال
ملا يستطيع أحد أن يقوم بعنقه ، ولا يقرب منه ، وبالغ فى التشنيع على من يوافق فى ذلك . وقال
السلطان : حاشك أن يكون أول مجلس جلسته فى أبهة الملك تنصرف فيه أهل القمة لأجل حطام
الدنيا الفانية ، فاذا ذكر نعمة الله عليك إذ رد ملكك إليك ، وكبت عدوك ونصرك على أعدائك
فذكر أن الجاشنكير هو الذى جدد عليهم ذلك ، فقال : والذى فعله الجاشنكير كان من مراسيمك
لأنه إنما كان نائباً لك ، فأعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك ، وجرت فصول يطول ذكرها .
وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين ، ودينه وزينته وقيامه بالحق وشجاعته وصمته
الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا فى ذلك الشبك الذى جلسا
فيه ، وأن السلطان استفتى الشيخ فى قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا يتكلموا فيه ، وأخرج له
قناوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير ، وأنتهم قاموا عليك وأذكوك أنت أيضاً ، وأخذ
يحتمه بذلك على أن يقتله فى قتل بعضهم ، وإما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سموا فيه من عزله
ومبايعة الجاشنكير ، فهم الشيخ مراد السلطان فأخذ فى تعظيم القضاة والعلماء ، وينكر أن ينال
أحدا منهم بسوء ، وقال له : إذا قتلت هؤلاء لأتجد بدمهم مثلهم ، فقال له إني قد آذوك وأرادوا
قتلك مرارا ، فقال الشيخ من آذاني فهو فى حل ، ومن آذى الله ورسوله فله ينتقم منه ، وأنا لا أنتصر
لنفسى ، ومازال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح .

قال وكان قاضى المالكية ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم تقدر عليه
وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا ، ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وعاد إلى
بث العلم ونشره ، وأقبات الخلق عليه ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه ويحجبهم بالكتابة
والقول ، وجاء الفقهاء يمتدرون مما وقع منهم فى حقه فقال : قد جعلت الكل فى حل ، وبث
الشيخ كتابا إلى أهله يذكر ما هو فيه من نعم الله وخيره الكثير ، ويطلب منهم جملة من كتب

العلم التي له ويستعينوا على ذلك بجمال الدين المزي ، فانه يدري كيف يستخرج له ما يريد من الكتب التي أشار إليها ، وقال في هذا الكتاب : والحق كل ماله في علو وازدياد وانتصار ، والباطل في انقراض وسقوط واضلال ، وقد أذل الله رقب الخصوم ، وطلب أكابرهم من السلم ما يطول وصفه ، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الاسلام والسنة ، وما فيه قمع الباطل والبدعة ، وقد دخلوا تحت ذلك كله وامتنعنا من قبول ذلك منهم ، حتى يظهر إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجيبهم إلى مطالبهم حتى يصير انشروط معمولاً ، والمذكور مغعولاً ، ويظهر من عز الاسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تحجو سيئاتهم ، وذكر كلاماً طويلاً يتضمن ما جرى له مع السلطان في قمع اليهود والنصارى وذلمهم ، وتركرم على نام عليه من القلة والصغار والله سبحانه أعلم .

وفي شوال أمست السلطان جماعة من الأمراء قريبا من عشرين أميرا ، وفي سادس عشر شوال وقع بين أهل حوران من قيس وبين قتل منهم مقتلة عظيمة جدا ، قتل من الفريقين نحو من ألف نفس بالقرب من السوداء ، وهم يسمونها السويداء ، ووقعة السويداء ، وكانت الكسرة على بين فهربوا من قيس حتى دخل كثير منهم إلى دمشق في أسوأ حال وأضعفه ، وهربت قيس خوفا من الدولة ، وبقيت القرى خالية والزروع سائبة . فانا لله وإنا اليه راجعون .

وفي يوم الأربعاء سادس القعدة قدم الأمير سيف الدين قبيق المنصوري نائبا على حلب فنزل القصر ومعه جماعة من أمراء المصريين ، ثم سافر إلى حلب بمن معه من الأمراء والأجناد واجتاز الأمير سيف الدين بهادر بدمشق ذاهبا إلى طرابلس نائبا والفتوحات السواحلية عوضا عن الأمير سيف الدين استدمر ، ووصل جماعة ممن كان قد سافر مع السلطان إلى مصر في ذى القعدة منهم قاضي قضاة الحنفية صدر الدين ، وعجي الدين بن فضل الله وغيرهما ، قمت وجلست يوما إلى القاضي صدر الدين الحنفي بعد مجيئه من مصر فقال لي تعجب ابن تيمية ؟ قلت : نعم ، قال لي وهو يضحك : والله لقد أحببت شيئا مليحاً ، وذكر لي قريبا عما ذكر ابن القلانسي ، لكن سياق ابن القلانسي أتم .

(ذكر مقتل الجاشنكيرى)

كان قد فر الخليفة في جماعة من أصحابه ، فلما خرج الأمير سيف الدين قراستمر المنصوري من مصر متوجها إلى نياية الشام عوضا عن الاقرم ، فلما كان بفرزة في سابع ذى القعدة ضرب حلقة لأجل الصيد ، فوقع في وسطها الجاشنكيرى في ثلاثمائة من أصحابه فأحيط بهم وتفرق عنه أصحابه فأمسكوه ورجع معه قراستمر وسيف الدين بهادر على المعجن ، فلما كان بالخطارة تلقاهم استدمر فقتل منهم

ورجعا إلى دسكهم ، ودخل به استمر على السلطان فعاتبه ولامه ، وكان آخر العهد به قتل ودفن بالترافقة ولم ينفعه شيخه المنجي ولا أمواله ، بل قتل شرقة ودخل قراستقر دمشق يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة فنزل بالقصر ، وكان في محبته ابن مصري وابن الزمלקاني وابن القلانسي وعلاء الدين بن غانم وخاق من الامراء المصريين والشاميين ، وكان الخطيب جلال الدين القزويني قد وصل قبلهم يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر ، وخطب يوم الجمعة على عادته ، فلما كان يوم الجمعة الأخرى وهو التاسع والعشرون من الشهر خطب بجامع دمشق القاضي بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حداد الحنبلي عن إذن نائب السلطنة ، وقرأ تقليده على المنبر بعد الصلاة بمحضرة القضاة والاكابر والأعيان ، وخلع عليه عقيب ذلك خلمة منية واستمر يباشر الامامة والخطابة اثنين وأربعين يوما ، ثم أعيد الخطيب جلال الدين بمرسوم سلطاني وباشر يوم الخميس ثاني عشر المحرم من السنة الآتية .

وفي ذي الحجة درس كمال الدين بن الشيرازي بالمدرسة الشامية البرانية ، انتزعها من يد الشيخ كمال الدين بن الزمלקاني ، وذلك أن استمر ساعده على ذلك . وفيها أظهر ملك التتار بن دنا الرض في بلاده ، وأمر الخطباء أولا أن لا يذكروا في خطبتهم إلا على بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته ، ولما وصل خطيب بلاد الأناضول إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاء شديدا وبكى الناس معه ونزل ولم تمكن من إتمام الخطبة ، فأقيم من أمها عنه وصلى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة فانفذه وإنا إليه راجعون . ولم يهج فيها أحد من أهل الشام بسبب تحييط الدولة وكثرة الاختلاف «وعين توفي فيها من الاعيان»

(الخطيب ناصر الدين أبو الهدى)

أحمد بن الخطيب بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب العقبة بداره بها وقد باشر نظر الجامع الاموي وغير ذلك ، توفي يوم الاربعاء النصف من المحرم ، وصلى عليه بجامع العقبة ، ودفن عند والده بباب المنير ، وقد روى الحديث وباشر الخطابة بعد والده بدر الدين وحضر عنده نائب السلطنة والقضاة والأعيان .

(قاضي الحنابلة بمصر)

شرف الدين أبو محمد عبد الفتى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحارثي ولد بمرحان سنة خمس وأربعين وستائة ، وسمع الحديث وقدم مصر فباشر نظر الخزانة وتدرى الصالحية ثم أضيف إليه القضاء ، وكان مشكور السيرة كثير المكارم توفي ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الاول ودفن بالترافقة ، وولى بعده سعد الدين الحارثي كما تقدم .

(الشيخ نجم الدين)

أيوب بن سليمان بن مظفر المصري المعروف بمؤذن النجيب ، كان رئيس المؤذنين بجامع دمشق وقيب الخطباء ، وكان حسن الشكل رفيع الصوت ، واستمر بذلك نحو من خمسين سنة إلى أن توفي في مستهل جمادى الأولى . وفي هذا الشهر توفي .

(الأمير قحس الدين سنقر الأصغر المنصوري)

تولى الوزارة بمصر مع شد الهواوين معاً ، وياشر شد الهواوين بالشام مرات ، وله دار وبستان بدمشق مشهوران به ، وكان فيه نهضة وله هبة عالية وأموال كثيرة ، توفي بمصر .

(الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الرسي)

شاد الهواوين بدمشق ، وكان قبل ذلك وإلى الولاية بالجهة القبيلة بعد للشرقي ، وكانت له سطوة توفي يوم الأحد تاسع عشر جمادى الأولى ودفن ضحوة بالقبة التي بناها تجاه قبة الشيخ رسلان ، وكان فيه كفاية وخبرة . وياشر بدء شد الهواوين أقبحا . وفي شعبان أوفى رجب توفي .

(التاج ابن سعيد الدولة)

وكان مسلمانيا وكان صغير الدولة ، وكانت له مكانة عند الجاشنكير بسبب محبته لنصر المنبجي شيخ الجاشنكير ، وقد عرضت عليه الوزارة فلم يقبل ، ولما توفي تولى وظيفته ابن أخته كريم الدين الكبير .

(الشيخ شهاب الدين)

أحمد بن محمد بن أبي السكرم بن نصر الاصمعي رئيس المؤذنين بالجامع الأموي ، وله سنة اثنتين وستة ، وسمع الحديث وياشر وظيفة الأذان من سنة خمس وأربعين إلى أن توفي ليلة الثلاثاء خامس ذي القعدة ، وكان رجلا جيدا والله سبحانه أعلم .

(ثم دحات سنة عشر وسبعائة)

استبانت وخليفة توفيت الله في أبو الربيع ساجان الملبس ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، والشيخ تقي الدين بن تيمية مقيم بمصر مقلا مكرما ، وقائب مصر الأمير سيف الدين بكتمر أمير خزنندار ، وقضاته المذكورون في التي قبلها ، سوى الخبلي فانه سعد الدين الحارثي ، والوزير بمصر تقي الدين الخليلي ، وناظر الجيوش تقي الدين كاتب الممالك ، وقائب الشام قرا سنقر المنصوري ، وقضاته دمشق هم ، وقائب حلب قبيجق ، وقائب طرابلس الخالجي بهادر والأفقرم بصرخند .

وفي محرم منها ياشر الشيخ أمين الدين سالم بن أبي القدين وكيل بيت المال إمام مسجد هشام تدر يس الشامية الجوانية ، والشيخ صدر الدين سليمان بن موسى الكردي تدر يس المنراوية ، كلاهما

انزعها من ابن الوكيل بسبب إقامته بمصر ، وكان قد وفد إلى المظفر فأقره رواتب لانتائه إلى المنبجى ، ثم عاد بتوقيع سلطاني إلى مدرسته ، فأقام بهما شهراً أو سبعة وعشرين يوماً ، ثم استعادها منه ورجعنا إلى المدرسين الأولين : الأمين سالم ، والصدر الكردي ، ورجع الخطيب جلال الدين إلى الخطابة في سابع عشر الحرم ، وعزل عنها البدر بن الحداد ، وبأمر صاحب شمس الدين نظر الجامع والأسرى والأوقاف قاطبة يوم الاثنين ، ثم خلع عليه وأضيف إليه شرف الدين بن مصري في نظر الجامع ، وكان فاطمه مستقلا به قبلهما . وفي يوم عاشوراء قدم استد مر إلى دمشق متولياً نيابة حماة ، وسافر إليها بعد سبعة أيام .

وفي الحرم بأمر بدر الدين بن الحداد نظر المارستان عوضاً عن شمس الدين بن الخطيرى ووقت منازعة بين صدر الدين بن المرحل وبين الصدر سليمان الكردي بسبب المغنواوية ، وكتبوا إلى الوكيل محضراً يتضمن من القبط والفضائح والكفرات على ابن الوكيل ، فبادر ابن الوكيل إلى التقاضي قتي الدين سليمان الخنبلي ، فحكم بإسلامه وحقن دمه ، وحكم بإسقاط التميز برعنه والحكم بمداينته واستحقاقه إلى المناصب . وكانت هذه هفوة من الخنبلي ، ولكن خرجت عنه المدرستان المغنواوية لسليمان الكردي ، والشامية الجوانية للأمين سالم ، ولم يبق معه سوى دار الحديث الاشرفية . وفي ليلة الاثنين السابع من صفر وصل النجم محمد بن عثمان البصراوي من مصر متولياً الوزارة بالشام ، ومعه توقيع بالحسبة لاسيما نفي الدين سليمان ، فباشرا المنصبين بالجامع ، ونزلا بدرب سفون القدي يقال له درب ابن أبي الهيجاء ، ثم انتقل الوزير إلى دار الاعسر عند باب البريد ، واستمر نظر الخزانة لمر الدين أحمد بن القلانسي أخى الشيخ جلال الدين .

وفي مستهل ربيع الأول بأمر القاضي جمال الدين الزرعي قضاء القضية بمصر عوضاً عن ابن جماعة ، وكان قد أخذ منه قبل ذلك في ذى الحجة مشيخة الشيوخ ، وأعيدت إلى الكريم الايكي ، وأخذت منه الخطابة أيضاً . وجاء البريد إلى الشام بطلب القاضي شمس الدين بن الحريري لقضاء الديار المصرية ، فسافر في العشرين من ربيع الأول وخرج معه جماعة لتوديعه ، فلما قدم على السلطان أكرمه وعظمه وولاه قضاء الحنفية وتدريس الناصرية والصالحية ، وجلس الحاكم ، وعزل عن ذلك القاضي شمس الدين السروجي فكث أياها ثم مات .

وفي نصف هذا الشهر مسك من دمشق سبعة أمراء ومن القاهرة أربعة عشر أميراً . وفي ربيع الآخر أهتم السلطان بطلب الأمير سيف الدين سالار فخر هو بنفسه إليه فتابه ثم استخلص منه أمواله وحواصله في مدة شهر ، ثم قتل بعد ذلك فوجد معه من الأموال والحیوان والاملاك والأسلحة والمالک والبغال والحمر أيضاً والرابع شيتا كثيراً ، وأما الجواهر والذهب والفضة فشيء لا يحد

ولا يوصف في كثيره ، وحاصل الأمر أنه قد استأثر لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال وأموال المسلمين
تجبرى إليه ، ويقال إنه كان مع ذلك كثير البطء كريما محبيا إلى الدولة والرعية والله أعلم .

وقد باشر نيابة السلطنة بمصر من سنة ثمان وتسعين إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشرين
هذا الشهر ، ودفن بقرته ليلة الخميس بالقرافة ، سلمه الله . وفي ربيع الآخر درس القاضي شمس
الدين بن المزمع الحنفى بالظاهرية عوضاً عن شمس الدين الحريرى ، وحضر عنده خاله الصدر على قاضى
قضاة الحنفية وبقية القضاة والأعيان . وفي هذا الشهر كان الأمير سيف الدين استمر قد قدم
دمشق لبعض أشغاله ، وكان له خنوع على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فاستنجز له مرسوماً بنظر
دار الحديث وتدرى للمعذراوية ، فلم يبشر ذلك حتى سافر استمر ، فانفق أنه وقعت له بعد
يومين كاتبة بدار ابن درباس بالصالحية ، وذكر أنه وجد عنده شئ من المنكرات ، واجتمع عليه جماعة
من أهل الصالحية مع المناهضة وغيرهم ، وبلغ ذلك نائب السطة فكانت فيه ، فورد الجواب بمنزله
عن المناصب الدينية ، فخرجت عنه دار الحديث الأشرفية وبقى بدمشق وليس بيده وظيفة لذلك ، فلما
كان في آخر رمضان سافر إلى حلب فقرر له نائبها استمر شيئاً على الجامع ، ثم ولاء تدرى هناك
وأحسن إليه ، وكان الأمير استمر قد انتقل إلى نيابة حلب في جمادى الآخرة عوضاً عن
سيف الدين فيبقى توفى ، وباشر مملكة حماة بعده الأمير عماد الدين إسماعيل بن الأفضل على بن
محمود بن اتقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وانتقل جمال الدين آقوش الأقرم من صرخد إلى
نيابة طرابلس عوضاً عن الحاج بهادر . وفي يوم الخميس سادس عشر شعبان باشر الشيخ كال الدين
ابن الزملكاني مشيخة دار الحديث الأشرفية عوضاً عن ابن الوكيل ، وأخذ في التفسير والحديث
والفقه ، فذكر من ذلك دروساً حسنة ، ثم لم يستمر بها سوى خمسة عشر يوماً حتى انتزعها عنه كال الدين
ابن الشريشى فباشرها يوم الاحد ثالث شهر رمضان . وفي شعبان رسم قراستقر نائب الشام
بتوسعة المقصورة ، فأخرت مدة المؤذنين إلى الركنين المؤخرين تحت قبة القصر ، ومنعت الجنائز
من دخول الجامع أياماً ثم أخذ في دخولهم .

وفي خامس رمضان قدم نجر الدين إلياس الذى كان نائباً في قلعة الروم إلى دمشق شاد الدواوين
عوضاً عن زين الدين كتبنا المنصورى . وفي شوال باشر الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل
القنوى مشيخة الشيوخ بالديار المصرية عوضاً عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الايكي
توفى ، وكان له تحرير روعة ، وخلع على القنوى خلعة سفية ، وحضر سعيد السعداء بها . وفي يوم
الخميس ثالث ذى القعدة خلع على صاحب عز الدين القلانسى خلعة الوزراء بالشام عوضاً عن النجم
البصراوى بحكم إقطاعه إمرة عشرة وإعراضه عن الوزارة . وفي يوم الاربعاء سادس عشر ذى القعدة

عاد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى تدريس الشامية البرانية . وفي هذا اليوم ليس تقي الدين ابن صاحب شمس الدين بن السمعوس خلة النظر على الجامع الأموي ، وسك الأمير سيف الدين استعمر نائب حلب في ثاني ذى الحجة ودخل إلى مصر ، وكذلك سك نائب البيرة سيف الدين ضرغام بعده بليال .

ومن توفى فيها من الأعيان .

(قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس)

أحمد بن إبراهيم بن عبد الله السروجي الحنفي ، شارح الهداية ، كان بارعا في علوم شتى ، وولى الحكم بمصر مدة وعزل قبل موته بأيام ، توفى يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر ودفن بقرب الشافعي وله اعتراضات على الشيخ تقي الدين بن تيمية في علم الكلام ، أضحك فيها على نفسه ، وقد رد عليه الشيخ تقي الدين في مجلدات ، وأبطل حجته ، وفيها توفى سائر مقتولا كما تقدم .

(صاحب أمين الدين)

أبو بكر بن الوجيه عبد العظيم بن يوسف المعروف بـ ابن الرافعي ، والحاج بهادر نائب طرابلس مات بها (والأمر سيف الدين قبجق) نائب حلب مات بها ودفن بقرنته بمحماه ، ثاني جمادى الآخرة وكان شهيدا شجاعا ، وقد ولى نيابة دمشق في أيام لاجين ، ثم قفز إلى التتر خوفا من لاجين ، ثم جاء مع التتر . وكان على يديه فرج المسلمين كما ذكرنا عام قازان ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن مات بحلب ، ثم وليها بعده استعمر ومات أيضا في آخر السنة .

وفيها توفى . (الشيخ كريم الدين بن الحسين الأيكي)

شيخ الشيوخ بمصر ، كان له صلة بالأمراء ، وقد عزل مرة عن المشيخة بـ ابن جماعة ، توفى ليلة السبت سابع شوال بخانقاه سعيد السعداء ، وتولاها بعده الشيخ علاء الدين القوتوي كما تقدم .

(الفقيه عز الدين عبد الجليل)

النراوى الشافعي ، كان فاضلا بارعا ، وقد محب سائر نائب مصر وارتفع في الدنيا بسببه .

(ابن الرضا)

هو الامام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد شارح التنبية ، وله غير ذلك ، وكان قهبا فاضلا وإماما في علوم كثيرة ربحهم الله .

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة)

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها غير الوزير بمصر فانه عزل وتولى سيف الدين بكتمر وزيراً ، والنجم البصر اوى عزل أيضا بـ ابن الدين القلانسي ، وقد انتقل الأقرم إلى نيابة

طرابلس بإشارة ابن تيمية على السلطان بملك ، ونائب حمة الملك المؤيد عماد الدين على قاعدة أسلافه ، وقد مات نائب حلب استمر وهي شاعرة عن نائب فيها ، وأرغون الدوادار الناصري قد وصل إلى دمشق لتفسير قراستقر منها إلى حلب وإحضار سيف الدين كراى إلى نيابة دمشق ، وغالب الساكر بحلب والأغراب محدة بأطراف البلاد ، فخرج قراستقر المنصورى من دمشق في ثالث الحرم في جميع حواصله وحاشيته وأتباعه ، وخرج الجيش لتوديعه ، وسار معه أرغون لتقريبه بحلب وجاء المرسوم إلى نائب القلعة الأمير سيف الدين بهادر السنجرى أن يشكلم في أمور دمشق إلى أن يأتيه نائب ، فحضر عنده الوزير والموقمون وباشر النيابة ، وقويت شوكته وقويت شوكة الوزير إلى أن ولي ولايات عديدة منها لابن أخيه عماد الدين نظر الأسرار ، واستمر في يده وقسم نائب السلطنة سيف الدين كراى المنصورى إلى دمشق نائباً عليها . وفي يوم الخميس الحادى عشرين من المحرم خرج الناس لتلقيه وأوقدوا الشموع ، وأعيدت مقصورة الخطابة إلى مكانها رابع عشرين المحرم ، واضرج الناس ولبس النجم البصراوى خلة الامرة يوم الخميس ثالث عشر صفر على قاعدة الوزراء بالطرحة ، وركب مع المقدمين الكبار وهو أمير عشرة باقطاع بضاهى إقطاع كبار الطبلخانات .

وفي يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول جلس القضاة الاربعة بالجمع لانفاذ أمر الشهود بسبب تزوير وقع من بعضهم ، فاطلع عليه نائب السلطنة فنضب وأمر بملك ، فلم يكن منه كبير شئ ، ولم يتغير حال . وفي هذا اليوم ولي الشريف تقيب الأشراف أمين الدين جعفر بن محمد بن محي الدين عدنان نظر الدواوين عوضاً عن شهاب الدين الواسطى ، وأعيد تقي الدين بن الزكى إلى مشيخة الشيوخ . وفيه ولي ابن جماعة تدريس الناصرية بالقاهرة ، وضياء الدين النسائى تدريس الشافعى بالمعهد العام بمجامع طولون ، ونظر الاحباس أيضاً . وولى الوزارة بمصر أمين الملك أبو سعيد عوضاً عن سيف الدين بكتير الحاجب في ربيع الآخر . وفي هذا الشهر احتبط على الوزير عز الدين ابن القلانسى بدمشق ، ورسم عليه مدة شهرين ، وكان نائب السلطنة كثير الحق عليه ، ثم أفرج عنه وأعيد بدر الدين بن جماعة إلى الحكم بديار مصر في حادى عشر ربيع الآخر ، مع تدريس دار الحديث الكملية ، وجامع طولون والصالحية والناصرية ، وجعل له إقبال كثير من السلطان ، واستقر جمال الدين الزرعى على قضاء المسكر وتدريس جامع الحاكم ، ورسم له أن يجلس مع القضاة بين الحنفى والحنبل بدار العدل عند السلطان .

وفي مستهل جمادى الأولى أشهد القاضى نجم الدين الحمقى نائب ابن صصرى على نفسه بالحكم بيطلان البيع في الملك الذى اشتراه ابن القلانسى من تركة المنصورى فى الرما والنجوة والفصالية لكونه بدون من المثل ، وقضه بقية الحكم ، وأحضر ابن القلانسى إلى دار السعادة وادعى عليه بربيع

ذلك ، ورسم عليه بها ، ثم حكم القاضي القضاة تقي الدين الخنبلي بصحة هذا البيع وبنقض ما حكم به دمشق ، ثم نفذ بقية الحكم ما حكم به الخنبلي . وفي هذا الشهر قرر على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس لكل فارس خمسمائة درهم ، وضربت على الاملاك والأوقاف ، فأنام الناس من ذلك ثلثاً عظيماً وسمى إلى الخطيب جلال الدين فسمى إلى القضاة واجتمع الناس بكرة يوم الاثنين ثالث عشر الشهر واحتفلوا بالاجتماع وأخرجوا معهم المصحف الدينامي والأثر النبوي والسناجق الخليفة ووقفوا في الموكب فلما رأهم كراى تغبط عليهم وشتم القاضي والخطيب ، وضرب محمد الدين التونسي ورسم عليهم ثم أطلقهم بضمان وكفالة ، فأنام الناس من ذلك كثيراً ، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام فجاءه الأمر فجأة فزل وحبس ، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ويقال إن الشيخ تقي الدين بلغه ذلك الخبير عن أهل الشام فأخبر السلطان بذلك فيحث من فوره فسكاه شرمسكة ، وصفاه مسكاً أن تقدم الأمير سيف الدين أرغون الدوادار فتنزل في القصر ، فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى خلع على الأمير سيف الدين كراى خلمة سنية ، فلبسها وقبل التنية ، وحضر الموكب ومد السباط ، فقيد بمحضرة الامراء وحل على اليريد إلى الكرك محبة غرلو العادلي ، وبيبرس المنجون . وخرج عز الدين القلانسي من الترسيم من دار السعادة ، فعلى في الجامع الظهر ثم عاد إلى داره وقد أوقدت له الشموع ودعا له الناس ، ثم رجع إلى دار الحديث الأشرفية فجلس فيها نحو من عشرين يوماً ، حتى قدم الأمير جمال الدين نائب الكرك .

وفي هذا الشهر مسك نائب صفت الأمير سيف الدين بكنتمر أمير خزندار ، وعوض عنه بالكرك بيبرس الدوادار المنصوري ، ومسك نائب غزة ، وعوض عنه بالجاولي ، فاجتمع في حبس الكرك استمد نائب حاب ، وبكنتمر نائب مصر ، وكراى نائب دمشق ، وقطلوبك نائب صفت ، وقطلمنر نائب غزة وبنحاص . وقدم جمال الدين آقوش المنصوري الذي كان نائب الكرك على نيابة دمشق إليها في يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الآخر ، وتلقاه الناس وأشعلت له الشموع ، وفي محبته الخطيرى لتقريره في النيابة ، وقد بشر نيابة الكرك من سنة تسعين وسبعمائة إلى سنة تسع وسبعمائة وله بها آثار حسنة ، وخرج عز الدين بن القلانسي لتلقي النائب . وقرئ يوم الجمعة كتاب السلطان على السدة بمحضرة النائب والقضاة والاعيان ، وفيه الامر بالاحسان إلى الرعية وإطلاق البوابات التي كانت قد فرضت عليهم أيام كراى ، فكثرت الأدعية للسلطان وفرح الناس . وفي يوم الاثنين التاسع عشر خلع على الأمير سيف الدين بهادر صفت بنبابة صفت قبيل التنية وسار إليها يوم الثلاثاء ، وفيه لبس الصدر بدر الدين بن أبي الفوارس خلمة نظار الدواوين بدمشق ، مشركاً بشارف ابن عدنان وبعد ذلك بيومين قدم تقليد عز الدين بن القلانسي وكلة السلطان على ما كان عليه ، وأنه أعفى

عن الوزارة لكرامته لذلك .

وفي رجب باشر ابن السلوس فطر الأوقاف عوضاً عن خمس الدين عدنان . وفي شعبان ركب نائب السلطنة بنفسه إلى أبواب السجون فأطلق المحبوسين بنفسه، فضاغت له الأودية في الأسواق وغيرها . وفي هذا اليوم قدم صاحب عز الدين بن القلانسي من مصر فاجتمع بالنائب وخلع عليه ومعه كتاب يتضمن احترامه وإكرامه واستمراره على وكالة السلطان ، ونظر الخالص والانتكار لما ثبت عليه بدمشق ، وأن السلطان لم يعلم بذلك ولا وكل فيه ، وكان المساعد له على ذلك كريم الدين ناظر الخالص السلطاني ، والأمير سيف الدين أرغون الدوادار . وفي شعبان منع ابن صصري الشهود والعقاد من جهته ، وامتنع فغيرهم أيضاً وردم المالكي . وفي رمضان جاء البريد بتولية زين الدين كتبنا المنصوري حجوبة الحجاب ، والأمير بدر الدين ملتوبات القرماني شد الدواوين عوضاً عن طوغان ، وخلع عليهما معاً ، وفيها ركب بهادر السنجري نائب قلعة دمشق على البريد إلى مصر وتولاها سيف الدين بلبان البدرى ، ثم عاد السنجري في آخر النهار على نيابة البيرة ، فسار إليها وجاء الخبير بأنه قد احتبط على جماعة مرقصا المسلمين ببغداد، قتل منهم ابن العقاب وابن البدر، وخلص عبيدة وجاء سالماً . وخرج المحمل في شوال وأمير الحاج الأمير علاء الدين طيغما أخوها دراص .

وفي آخر ذي القعدة جاء الخبير بأن الأمير قرا سنقر رجع من طريق الحجاز بمسد أن وصل إلى بركة زيرا ، وأنه لحق بمهنا بن عيسى فاستجار به خائفاً على نفسه ومعه جماعة من خواصه ، ثم سار من هناك إلى التتر بعد ذلك كله ، وصحبه الأقرم والزرديكش . وفي العشرين من ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين أرغون في خمسة آلاف إلى دمشق وتوجهوا إلى ناحية حصص ، وتلك النواحي . وفي سابع ذي الحجة وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر مستمرا على وكرانه ومعه توقيع بقضاء المسكر الشامي ، وخلع عليه في يوم عرفة . وفي هذا اليوم وصلت ثلاثة آلاف عليهم سيف الدين مل من الديار المصرية فتوجهوا وراء أصحابهم إلى البلاد الشمالية . وفي آخر الشهر وصل شهاب الدين الكاشغري من القاهرة ومعه توقيع بمشيخة الشيوخ ، قتل في الخائفاء وباشرها بمحضرة القضاء والأعيان ، وانفصل ابن الزكي عنها . وفيه باشر الصدر علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير كتابة السر بمصر ، وعزل عنها شرف الدين بن فضل الله ، إلى كتابة السر بدمشق عوضاً عن أخيه محيي الدين ، واستمر محيي الدين على كتابة السر بمصر بمعلوم أيضاً والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الرئيس بدر الدين ﴾

محمد بن رئيس الأطباء أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري ، من سلالة سعد ابن معاذ السويدي ، من سويداء حوران ، سمع الحديث وبرع في الطب ، توفي في ربيع الأول

بيستانه بقرب الشبلية ، ودفن في تربة له في قبة فيها عن ستين سنة .

﴿ الشيخ شعبان بن أبي بكر بن عمر الاربلي ﴾

شيخ الحلبية بجامع بنى أمية ، كان صالحا مباركا فيه خير كثير ، كان كثير العبادة وإيجاد الراحة للفقراء ، وكانت جنازته حافلة جداً ، صلى عليه بالجامع بعد ظهر يوم السبت تاسع عشر من رجب ودفن بالصوفية وله سبع وثلاثون سنة ، وروى شيئا من الحديث وخرجت له مشيخة حضرها الأكابر رحمه الله .

﴿ الشيخ ناصر الدين يحيى بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن عبد العزيز العثاني ، خادم المصنف العثاني نحواً من ثلاثين سنة ، صلى عليه بعد الجمعة سابع رمضان ودفن بالصوفية ، وكان لئائب السلطنة الأقرم فيه اعتقاد ووصله منه افتقاد ، وبلغ خمسا وستين سنة .

﴿ الشيخ الصالح الجليل القدوة ﴾

أبو عبد الله محمد بن الشيخ القدوة إبراهيم بن الشيخ عبد الله الأموي ، توفي في العشرين من رمضان بسفح قاسيون ، وحضر الأمراء والنضاة والصدور جنازته وصلى عليه بالجامع المغفري ، ثم دفن عند والده وغلق يومئذ سوق الصالحية له ، وكانت له رجالة عند الناس وشفاعاة مقبولة ، وكان عنده فضيلة وفيه تودد ، وجمع أجزاء في أخبار جيدة ، وسمع الحديث وقارب السبعين رحمه الله .

﴿ ابن الوحيد الكاتب ﴾

هو المصدر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الزرعي المعروف بابن الوحيد ، كان موقفا بالعمرة وله معرفة بالإنشاء وبلغ النفاة في الكتابة في زمانه ، وانتفع الناس به ، وكان فاضلا مقدما ما شجاء ، توفي بالمارستان المنصوري بمصر سلاص عشر شوال .

﴿ الأمير ناصر الدين ﴾

محمد بن عماد الدين حسن بن النساطي أحد أمراء الطباغانات ، وهو حاكم البندق ، ولي ذلك بعد سيف الدين بلبلان ، توفي في العشرين الآخر من رمضان .

﴿ التيمي الداري ﴾

توفي يوم عيد الفطر ودفن بالقراة الصغرى ، وقد ولي الوزارة بمصر ، وكان خيرا كافيا ، مات مرزولا ، وقد سمع الحديث وسمع عليه بعض الطلبة .

وفي ذي القعدة جاء الخبر إلى دمشق ب وفاة الأمير الكبير استمتم وبني خاص في السجن بقلعة الكرك .

﴿ القاضي الامام العلامة الحافظ ﴾

سعد الدين مسعود الحارثي الحنبلي الحاكم بمصر ، سمع الحديث ، وجمع وخرج وصنف ، وكانت

له يد طولى في هذه الصناعة والأسانيد والمتون ، وشرح قطعة من سنن أبي داود فأجاد وأفاد ، وحسن الاسناد ، رحمه الله تعالى ، وألفه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنى عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وفي خامس الحرم توجه الأمير عز الدين ازدمر الزردكش وأميران معه إلى الأفرم ، وساروا بأجمعهم حتى لحقوا بقراسنقر وهو عند منها ، وكاتبوا السلطان وكاتوا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار ، وجاء البريد في صفر بالاحتياط على حواصل الافرم وقراسنقر والزردكش وجيع ما يتعلق بهم ، وقطع خبز منها وجعل مكانه في الامرة أخاه محمداً ، وعادت السابكة رغبة أرغون من البلاد الشمالية ، وقد حصل عند الناس من قراسنقر وأصحابه هم وغم وحزن ، وقدم سودى من مصر على نيابة حلب فاجتاز بدمشق فخرج للناس والجيش لتلقيه ، وحضر السباط وقرى المنشور بطالب جمال الدين نائب دمشق إلى مصر ، فركب من ساعته على البريد إلى مصر وتكلم في نيابته لفنية لاجين . وطلب في هذا اليوم قطب الدين موسى شيخ السلامة فآظر الجيش إلى مصر ، فركب في آخر النهار إليها فتولى بها نظر الجيش عوضا عن غير الدين الكاتب كاتب الممالك بحكم عزله ومصادرته وأخذ أمواله الكثيرة منه ، في عاشر ربيع الأول . وفي الحادى عشر منه باشر الحكم للخباينة بمصر القاضي تقي الدين أحمد بن المزمع عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى ، وهو ابن بنت الشيخ فمس الدين بن الهاد أول قضاة الخباينة ، وقدم الأمير سيف الدين تمر على نيابة طرابلس عوضا عن الأفرم بحكم هربه إلى التتر . وفي ربيع الآخر مسك بيبرس الدلائق نائب حص وبيبرس الجنون وطوغان وجماعة آخرون من الأمراء سنة في نهار واحد وسيروا إلى الكرك معقائين بها . وفيه مسك نائب مصر الأمير دكن الدين بيبرس الدوادار المنصورى ، وولى بعده أرغون الدوادار ، ومسك نائب الشام جمال الدين نائب الكرك وفمس الدين سنقر الكمالى حاجب الحجاب بمصر ، وخمس أمراء آخرون وحسبوا كلهم بقلمة الكرك ، في برج هناك . وفيه وقع حريق داخل باب السلاطية احترق فيه دور كثيرة منها دار ابن أبى الفوارس ، ودار الشريف البقائى .

﴿ نيابة تنكز على الشام ﴾

في يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر دخل الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله الملائكى الناصرى نائباً على دمشق بعد مسك نائب الكرك ومعه جماعة من ممالك السلطان منهم الجالح ارقطاى على حيز بيبرس العلاقى ، وخرج الناس لتلقيه وفرحوا به كثيراً ، ونزل بدار السعادة ووقع عند قدومه مصر فرح عظيم ، وكان ذلك اليوم يوم الرابع والعشرين من آب ، وحضر يوم الجمعة الخطبة بالمقصورة وأشملت له الشموع في طريقه ، وجاء توقيع لابن مصرى بإعادة

قضاء المسكر إليه ، وأن ينظر الأوقاف فلا يشاركه أحد في الاستقابة في البلاد الشامية على عادة من تقدمه من قضاة الشامية ، وجاء مرسوم لشمس الدين أبي طالب بن حميد بنظر الجيش عوضاً عن ابن شيخ السلاجمية بحكم إقامته بمصر ، ثم بعد أيام وصل الصدر معين الدين هبة الله بن خشيش ناظر الجيش وجعل ابن حميد بوظيفة ابن البدر ، وصافر ابن البدر على نظر جيش طرابلس ، وتولى أرغون نيابة مصر وعاد نجر الدين كاتب الممالك إلى وظيفته مع استمرار قطب الدين بن شيخ السلاجمية مباشراً معه .

وفي هذا الشهر قام الشيخ محمد بن قوام ومعه جماعة من الصالحين على ابن زهرة المغربي الذي كان يتكلم بالكلاسة وكتبا عليه محضراً يتضمن استهاتته بالمصحف ، وأنه يتكلم في أهل العلم ، فأحضر إلى دار العدل فاستلم رقعته وعززه تمزيراً بليفاً عنيفاً وطيف به في البلد باطنه وظاهره ، وهو مكشوف الرأس وجهه مغلوب وظهره مضروب ، ينادى عليه هذا جزاء من يتكلم في العلم بنير معرفة ، ثم حبس وأطلق فهرب إلى القاهرة ، ثم عاد على البريد في شعبان ورجع إلى ما كان عليه . وفيها قدم بهادر اس من نيابة صغد إلى دمشق وهناك الناس ، وفيها قدم كتاب من السلطان إلى دمشق أن لا يولي أحد بل ولا برشوة فان ذلك ينفى إلى ولاية من لا يستحق الولاية ، وإلى ولاية غير الأهل ، قرأه ابن الزملكاني على السدة وبلغه عنه ابن حبيب المؤذن ، وكان سبب ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله .

وفي رجب وشعبان حصل للناس خوف بدمشق بسبب أن التتر قد تحرروا للجمي إلى الشام ، فارتزع الناس من ذلك وخافوا ، وتحول كثير منهم إلى البلد ، وازدحوا في الأبواب ، وذلك في شهر رمضان وكثرت الأراجيف بأنهم قد وصلوا إلى الرحبة ، وكفكف جرى واشتهر بأن ذلك بأشارة قراسنفر وذو به فافقه أعلم . وفي رمضان جاء كتاب السلطان أن من قتل لا ينجي أحد عليه ، بل يقتل القتال حتى يقتل منه بحكم الشرع الشريف ، قرأه ابن الزملكاني على السدة بمحضرة نائب السلطنة ابن تنكز وسببه ابن تيمية ، هو أمر بملك والكتاب الأول قبله . وفي أول رمضان وصل التتر إلى الرحبة فحاصروها عشرين يوماً وقتلهم قائمها الأمير بدر الدين موسى الأزدكشي خمسة أيام قتالا عظيماً ، ومنعهم منها فأشار رشيد الدولة بأن ينزلوا إلى خدمة السلطان خربندبا ويهدوا له هدية ويطلبون منه العفو ، فقتل القاضي نجم الدين إسحاق وأهدوا له خمسة رؤس خيل ، وعشرة ألبايج سكر ، فقبل ذلك ورجع إلى بلاده ، وكانت بلاد حلب وحماة وحمص قد أجلوا منها وخرب أكثرها ثم رجوا إليها لما تمفقوا رجوع التتر عن الرحبة ، وطابت الأخبار وسكنت النفوس ودقت البشائر وتركت الأئمة القنوت ، وخطب الخطيب يوم العيد وذكر الناس بهذه النعمة . وكان سبب رجوع التتر قلة الملف

وغلاء الأسرار وموت كثير منهم ، وأشار على سلطانهم بالرجوع الرشيد وجوان .

وفي ثمان شوال دقت البشائر بدمشق بسبب خروج السلطان من مصر لأجل ملاقة النتر ،
 وخرج الركب في نصف شوال وأمير حماد بن لاجين الصغير ، الذي كان والي البر ، وقدمت العساكر
 المصرية أرسالا ، وكان قدوم السلطان ودخوله دمشق ثالث عشرين شوال ، واحتفل الناس لدخوله
 ونزل القلعة وزينت البلد وضربت البشائر ، ثم انتقل بعد ليلته إلى القصر وصلى الجمعة بالجامع
 بالمقصورة وخام على الخطيب ، وجلس في دار العدل يوم الاثنين ، وقدم وزيره أمين الملك يوم الثلاثاء
 عشرين الشهر ، وقدم محبة السلطان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية
 إلى دمشق يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة وكانت غيبته عنها سبع سنين ، ومعه أخواه وجماعة من
 أصحابه ، وخرج خاق كثير لتلقيه وسروا بقدومه وعافيته ورؤيته ، واستبشروا به حتى خرج خلق من
 النساء أيضا لرؤيته ، وقد كان السلطان محبة معه من مصر فخرج معه بنية الفزاة ، فلما تحقق عدم
 الفزاة وأن النتر رجوا إلى بلادهم طارق الجيش من غزة وزار القدس وأقام به أياما ، ثم سافر على مجلون
 وبلاد السواد وزرع ، ووصل دمشق في أول يوم من ذي القعدة ، فدخلها فوجد السلطان قد توجه إلى
 الحجاز الشريف في أربعين أميرا من خواصه يوم الخميس تالي ذي القعدة ، ثم إن الشيخ بعد وصوله
 إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازما لاشتغال الناس في سائر العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب
 وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المعاول والاجتهاد في الأحكام الشرعية في بعض الأحكام
 يفتي بما أدى إليه اجتهاده من مواهة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور
 في مذاهبهم ، وله اختيارات كثيرة مجلدة عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده ، واستدل على
 ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف .

فلما سار السلطان إلى الحج فرق العساكر والجيوش بالشام وترك أرغون بدمشق . وفي يوم الجمعة
 لبس الشيخ كمال الدين الزملكاني خامة ووكالة بيت المال عوضا عن ابن الشريشي ، وحضر بها
 الشباك وتكلم وزير السلطان في البلد ، وطلب أموالا كثيرة وصادر وضرب بالقوارع وأهان جماعة
 من الرؤساء منهم ابن فضل الله عجي الدين . وفيه عين شهاب الدين بن جهيل لتدريس الصلاحية
 بالقدس عوضا عن نجم الدين داود الكردي توفي ، وقد كان مدرسا بها من نحو ثلاثين سنة ، فسافر
 ابن جهيل إلى القدس بعد عيد الأضحي .

وفيه مات ملك القنجاقي المسمى طغتكاي خان ، وكان له في الملك ثلاث وعشرون سنة ، وكان
 عمره ثمانا وثلاثين سنة ، وكان شهما شجاعا على دين النتر في عبادة الاصنام والكواكب ، يعظم
 الجسمة والحكمة والاطباء ويكرم المسلمين أكثر من جميع الطوائف ، كان جيشه هائلا لا يحصى

أحد على قتاله لكثرة جيشه وقوتهم وعددهم وعديم ، ويقال إنه جرد مرة فجردته من كل عشرة من جيشه واحداً فبلغت التجريدة مائتي ألف وخمسين ألفاً ، توفي في رمضان منها . وقام في الملك من بعده ابن أخيه أربك خان ، وكان مسلماً فأظهر دين الاسلام ببلاده ، وقتل خلقاً من أمراء الكفرة وعلت الشرائع الحميدة على سائر الشرائع هناك وفه الحمد والمنة على الاسلام والسنة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الملك المنصور صاحب ماردین ﴾

وهو نجم الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفر قرارسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازي بن الملك المنصور ناصر الدين أرتق بن غازي بن المني بن تمرقاش بن غازي بن أرتق الأرتقي أصحاب ماردین من عدة سنين ، كان شيخاً حسناً مهيئاً كامل الخلقة بديناً مهيئاً إذا ركب يكون خلفه محفة خوفاً من أن يمس له القلوب فيركب فيها ، توفي في تاسع ربيع الآخر ودفن بمدرسته تحت القلعة ، وقد بلغ من العمر فوق السبعين ، ومكث في الملك قريباً من عشرين سنة ، وقام من بعده في الملك ولده العادل فكث سبعة عشر يوماً ، ثم ملك أخوه المنصور . وفيها مات

﴿ الأمير سيف الدين قطلوبك الشيباني ﴾

كان من أمراء دمشق الكبير . ﴿ الشيخ الصالح ﴾

نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد الثعلبي الدمشقي ، قارئ الحديث بالقاهرة ومستنداء ، روى عن ابن الزبيدي وابن القتيبي وجعفر المهداني وابن الشيرازي وخاق ، وقد خرج له إلامام العلامة تقي الدين السبكي مشيخة ، وكان رجلاً صالحاً توفي بكرة الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر ، وكانت جنازته حافلة .

﴿ الأمير الكبير الملك المظفر ﴾

شهاب الدين غازي بن الملك الناصر داود بن المعظم ، سمع الحديث وكان رجلاً متواضعاً توفي بمصر ثاني عشر رجب ، ودفن بالقاهرة . ﴿ فاضل القضاة ﴾

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن خازم الأزرق الحنفي ، كان فاضلاً درس وأفتى وولى قضاء الخفية بدمشق سنة ثم عزل واستمر على تدريس الشبيلية مدة ثم سافر إلى مصر فأقام بمسجد السعداء خمسة أيام ، وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشر من رجب فله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبع مائة ﴾

استهلت والحكام هم م ، والسلطان في الحجاز لم يقدم بعد ، وقد قدم الأمير سيف الدين تجليس يوم السبت مستهل الحرم من الحجاز وأخبر بإسلامه للسلطان وأنه طارقه من المدينة النبوية ، وأنه قد قارب البلاد ، فدفعت البشارة فرحاً بإسلامته ، ثم جاء البريد فأخبر بدخوله إلى الكرك ثاني

الحرم يوم الأحد ، فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم دخل دمشق وقد خرج الناس لتلقيه على المائدة ، وقد رأته مرجه من هذه الحجة على شفته ورقة قد ألصقتها عليها ، فقتل بالقصر وصلى الجمعة رابع عشر المحرم بمعهودة الخطابة ، وكذلك الجمعة التي تليها ، ولعب في الميدان بالكرة يوم السبت النصف من المحرم ، وولى نظر الهداوين للصاحب شمس الدين غبريال يوم الأحد حادى عشر المحرم وشد الهداوين لفخر الدين إيلس الاعصرى عوضا عن القرماني ، وسافر القرماني إلى نيابة الرحبة وخلع عليهما وعلى وزيره ، وخلع على ابن صصرى وعلى الفخر كاتب الماليك ، وكان مع السلطان في الحج ، وولى شرف الدين بن صصرى حجابة الدوان وباشترى غفر الدين ابن شيخ السلامية نظر الجامع ، وباشترى بهاء الدين بن عليم نظر الاوقاف ، والمنكورسى شد الاوقاف . وتوجه السلطان راجعا إلى الديار المصرية بكرة الخميس السابع والعشرين من المحرم ، وتقدمت الجيوش بين يديه ومعه . وفى أواخر صفر اجتمع على البريد في الرسالة إلى منها الشيخ صدر الدين الوكيل وموسى بن مهنا الامير علاء الدين الطنطا فاجتمعوا به في تدمر ثم عاد الطنطا وابن الوكيل إلى القاهرة .

وفى جمادى الآخرة ملك أمين الملك وجماعة من الكبار معه وصودروا بأموال كثيرة ، وأقيم عوضه بدر الدين بن الترياقى الذى كان والى انطاكية . وفى رجب كملت أربعة مناجيق واحد قلعة دمشق وثلاثة فحمل إلى السرك ، ورمى باثنين على باب الميدان وحضر نائب السلطنة تنكر والعامية وفى شعبان تكامل حفر النهر الذى عمله سودى نائب حلب بها ، وكان طوله من نهر الساجور إلى نهر قويق أربعين ألف ذراع فى عرض ذراعين وعمق ذراعين ، وغرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وعمل بالمدل ولم يظالم فيه أحدا . وفى يوم السبت ثامن شوال خرج الركب من دمشق وأميره سيف الدين بلباى التمرى ، وحج صاحب حماة فى هذه السنة وخلق من الروم والغزاة . وفى يوم السبت السادس والعشرين من ذى الحجة وصل القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية من مصر على نظر الجيوش الشامية كما كان قبل ذلك ، وراح معين الدين بن الخشيش إلى مصر فى رمضان صحبة الصاحب شمس الدين بن غبريال وبعد وصول ناظر الجيوش بيومين وصلت البشائر بمقتضى إزالة الاقطاعات لما رآه السلطان بعد نظره فى ذلك أربعة أشهر .

ومن توفى فيها من الاعيان .

(الشيخ الامام المحدث)

فخر الدين أبو عمرو وعفان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود التتوزى بمكة يوم الاحد حادى ربيع الآخر ، وقد جمع الكثير ، وأجاز له خلق يزيدون على ألف شيخ ، وقرأ الكتب الكبار وغيرها ، وقرأ صحيح البخارى أكثر من ثلاثين مرة رحمه الله :

﴿ عز الدين محمد بن المدل ﴾

شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الزهاوى ، كان يباشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك ، وكان من أخصاء أمين الملك ، فلما ملك بمصر أرسل إلى هنا وهو معتقل بالمعراوية ليحضر على البريد فرض فأتى بالمدرسة المعراوية ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة ، وله من العمر خمس وثلاثون سنة ، وكان قد سمع من ابن طبرزد الكندى ، ودفن من القدياب الصغير ، وترك من بعده ولدين ذكر بن جلال الدين محمد ، وعز الدين .

﴿ الشيخ الكبير المقرئ ﴾

شمس الدين المتصلى ، هو أبو بكر بن عمر بن السبع الجزرى المعروف بالمتصلى نائب الخطيب وكان يقرئ الناس بالقراءات السبع وغيرها من الشواذ ، وله إلمام بالنحو وفيه ورع واجتهاد ، توفي ليلة السبت حادى عشر من جمادى الآخرة ودفن من القدياب بسفح قاسيون تجاه الرباط الناصرى ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة ﴾

استهلّت والحكام هم فى التى قبلها إلا الوزير أمين الملك فكانه بدر الدين التركمانى . وفى رابع المحرم عاد صاحب شمس الدين غبريال من مصر على نظر الدواوين وتلقاه أصحابه . وفى عاشر المحرم يوم الجمعة قرئ كتاب السلطان على السدة بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء يتضمن إطلاق البوابى من سنة ثمان وتسعين وسبعمائة إلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، فتضاعفت الادعية للسلطان وكان القارىء جمال الدين بن التتلاسى ومبلغه صدر الدين بن صبح المؤذن ، ثم قرئ فى الجمعة الأخرى مرسوم آخر فيه الإفراج عن المسجونين وأن لا يؤخذ من كل واحد إلا نصف درهم ، ومرسوم آخر فيه إطلاق السحر فى المنصب وغيره عن الفلاحين ، قرأه ابن الزملكاني ومبلغه عنه أمين الدين محمد بن مؤذن النجيبى . وفى المحرم استحضر السلطان إلى بين يديه الفقيه نور الدين على البكرى ومم بقله شفع فيه الأمراء فغناه ومنعه من الكلام فى الفتوى والعلم ، وكان قد هرب لما طلب من جهة الشيخ تقي الدين بن تيمية فهرب واختفى ، وشفع فيه أيضا ، ثم لما ظفر به السلطان الآن وأراد قتله شفع فيه الأمراء فغناه ومنعه من الكلام والفتوى ، وذلك لاجترأه وتسرعه على التكفير والقتل والجمل الحامل له على هذا وغيره . وفى يوم الجمعة مستهل صفر قرأ ابن الزملكاني كتابا ساطعانيا على السدة بمحضرة نائب السلطان القاضي وفيه الأمر بإبطال ضياع القواسير وضمان التبيذ وغير ذلك ، فدعا الناس للسلطان . وفى أواخر ربيع الأول اجتمع القضاة بالجامع للنظر فى أمر الشهود ونهوى عن الجلوس فى المساجد ، وأن لا يكون أحد منهم فى مركزين ، وأن لا يتولوا

ثبتت الكتب ولا يأخذوا أجرا على أداء الشهادة وأن لا يفتابوا أحدا وأن يقتاصفوا في الميثة ثم جلسوا مرة ثانية لذلك وتواعدوا ثالثة فلم يتفق اجتماعهم ، ولم يقطع أحد من مركزه .

وفي يوم الاربعاء الخامس والعشرين منه عقد مجلس في دار ابن مصرى ليدر الدين بن بضيان وأنكر عليه شيء من القراءات فالتزم بترك الاقراء بالكلية ثم استأذن بعد أيام في الاقراء فأذن له فجلس بين الظهر والمصر بالجامع وصارت له حلقة على المادة . وفي منتصف رجب توفي نائب حلب الامير سيف الدين سودى ودفن بقرنته وولى مكانه علاء الدين الطنبغا الصالحى الحاجب بمصر ، قبل هذه النيابة . وفي ناسع شعبان خلع على الشريف شرف الدين عدنان بنقابة الاشراف بعد والده أمين الدين جعفر توفي في الشهر الماضي .

وفي خامس شوال دفن الملك شمس الدين دوياح بن ملكشاه بن رستم صاحب كيلان بقرنته المشهورة بفتح قاسيون ، وكان قد قصد الحج في هذا العام ، فلما كان بنباغب أدركته ميتته يوم السبت سادس عشر من رمضان فحمل إلى دمشق وصلى عليه ودفن في هذه التربة ، اشترت له وتمعت وجاءت حسنة وهي مشهورة عند المكارية شرق الجامع المظفرى ، وكان له في مملكة كيلان خمسة وعشرون سنة ، ومهر أربعا وخسين سنة ، وأوصى أن يخرج عنه جماعة ففعل ذلك فخرج الركب في ثالث شوال وأمره سيف الدين سنقر الابراهيمى وقاضيه محيى الدين قاضى الزيدانى . وفي يوم الخميس سابع ذى القعدة قدم القاضى بدر الدين بن الحداد من القاهرة متوليا حبة دمشق فخلع عليه عوضا عن فخر الدين ساجان البعراوى ، عزل فاسافر سرى إلى البرية ليشتري خيلا لسلطان يقدمها رشوة على المنصب المذكور ، فأتفق موته في البرية في سابع عشر الشهر المذكور ، وحمل إلى مصرى فدفن بها عند أجداده في ثامن ذى القعدة ، وكان شابا حسنا كريم الاخلاق حسن الشكل . وفي أواخره مسك نائب صفد بلبان طولوى المنصورى وسجن وتولى مكانه سيف الدين بلبساى البدرى . وفي سادس ذى الحجة تولى ولاية البر الامير علاء الدين على بن محمود بن معبد البعلبكى عوضا عن شرف الدين عيسى بن البركلى ، وفي يوم عيد الاضحى وصل الامير علاء الدين بن صبح من مصر وقد أفرج عنه فلم عليه الامراء . وفي هذا الشهر أعيد أمين الملك إلى نظر النظار بمصر وخلع على صاحب بهاء الدين النساى بنظر الخزانة عوضا عن سعد الدين حسن بن الاضاحى . وفيه وردت البريدية بأمر السلطان لجيوش الشامية إلى حلب وأن يكون مقدم المسافر كلها تنكر نائب الشام ، وقدم من مصر ستة آلاف مقاتل عليهم الامير سيف الدين بكتر الابوبكرى ، وفيهم تيجليس وبدر الدين الوزرى ، وكثلى وابن طيبرس وشاطى وابن سلاز وغيرهم ، فتقدموا إلى البلاد الحلبية بين يدي نائب الشام تنكر

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿سودي نائب حلب في رجب﴾
ودفن بترته ، وهو الذي كان السبب في إجراء نهر إليها ، غرم عليه ثلثائة ألف درهم ، وكان
مشكور السيرة حميد الطريقة رحمه الله . وفي شعبان توفي

﴿الصاحب شرف الدين﴾

يعقوب بن مزهر و كان باراً بأهله وقرابته رحمه الله .

﴿والشيخ رشيد أبو الفدا إسماعيل﴾

أبو محمد القرشي الحنفي المعروف بابن العلم ، كان من أعلام الفقهاء والمفتين ، ولديه علوم شتى
وقوائد وفرائد ، وعنده زهد واقطاع عن الناس ، وقد درس بالبلخية مدة ثم تركها لولده وسار إلى
مصر فقام بها ، وعرض عليه قضاء دمشق فلم يقبل ، وقد جاوز السبعين من العمر ، توفي سحر يوم
الأربعاء خامس رجب ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى . وفي شوال توفي ..

﴿الشيخ سليمان التركاوي﴾

الموله الذي كان يجلس على مصطبة بالمبنيين ، وكان قبل ذلك مقبلاً بطهارة باب البريد ، وكان
لا يتعاشى من النجاسات ولا يتقبها ، ولا يصلي الصلوات ولا يأتيها ، وكان بعض الناس من المبهج
له فيه عقيدة فأعده المديح الرطاع الذين هم أتباع كل فاعق من الموليين والمجانين ، ويزعمون أنه
يكاشف وأنه رجل صالح ، ودفن بباب الصغير في يوم كثير الثلج .
وفي يوم عرفة توفيت .

﴿الشيخة الصالحة العابدة الناصبة﴾

أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادي بظاهر القاهرة ، وشهدا خلق
كثير ، وكانت من العالمات الفاضلات ، تأخر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وتقوم على الأحمدية
في مواخاتهم النساء والمردان وتنتكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم ، وتفضل من ذلك ما لا تقدر
عليه الرجال ، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره ،
وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ، ويدكر عنها أنها كانت تستحضر
كثيراً من المنقذ أو أكثره ، وأنه كان يستمد لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها ،
وهي التي ختمت نساء كثيرا القرآن ، منهن أم زوجتي عائشة بنت صديق ، زوجة الشيخ جمال الدين
المزني ، وهي التي أقرأت ابنها زوجتي أمة الرحيم زينب رحمته الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين .

﴿ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة﴾

استهلت والحكام في البلاد المذكورون في التي قبلها .

(فتح ملطية)

في يوم الاثنين مستهل المحرم خرج سيف الدين تنكز في الجيوش قاصداً ملطية وخرجت الاطلاب على راياتها وأبرزوا ما عندهم من المدد وآلات الحرب ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج مع الجيش ابن صغرى لأنه قاضى الصاكر وقاضى قضاة الشامية ، فساروا حتى دخلوا حلب في الحادى عشر من الشهر ، ومنها وصلوا في السادس عشر إلى بلاد الروم إلى ملطية ، فشرعوا في محاصرتها في الحادى والعشرين من المحرم ، وقد حصنت ومنمت وغلقت أبوابها ، فلما رأوا كثرة الجيش نزل متوليها وقاضيا وطلبوا الأمان فأمنوا المسلمين ودخلوها وقتلوا من الأرمن خلقاً ومن النصارى وأمرؤا ذرية كثيرة ، وتهدى ذلك إلى بعض المسلمين وغنموا شيئاً كثيراً ، وأخذت أموال كثير من المسلمين ورجعوا عنها بعد ثلاثة أيام يوم الأربعاء رابع عشر من المحرم إلى عين قاب إلى مرج دابق ، ووزلت دمشق ودقت البشائر . وفي أول صفر رحل نائب ملطية متوجهاً إلى السلطان . وفي نصف الشهر وصل قاضيا الشريف شمس الدين ومعه خلق من المسلمين من أهلها ، وفي بكرة نهار الجمعة سادس عشر ربيع الأول دخل تنكز دمشق وفي خدمته الجيوش الشامية والمصرية ، وخرج الناس لفرجة عليهم على المادة ، وأظم المصريون قليلاً ثم ترحلوا إلى القاهرة . وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك التتر فاستناب بها رجلاً كروياً قتمدى وأساء وظلم ، وكاتب أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا من رعيته ، فلما ساروا إليها وأخفوها وصلوا ما فعلوا فيها جاءها بعد ذلك الجوبان فصرها ورد إليها خلقاً من الأرمن وغيرهم .

وفي التاسع عشر من هذا الشهر وصل إلينا الخبير بمسك بكتمر الحاجب وأيدغدى شقير وغيرهما وكان ذلك يوم الخميس مستهل هذا الشهر ، وذلك أنهم اتفقوا على السلطان فيلته الخبير فسكهم واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وظهر ليكنتمر أموال كثيرة وأمنعة وأخشاب وحواصل كثيرة وقدم مجلس من القاهرة فاجتاز بمسك إلى ناحية طرابلس ثم قدم سريعاً ومعه الأمير سيف الدين تيمر نائب طرابلس تحت الخوطة ، ومسك بدمشق الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورى فخل الاول إلى القاهرة ، وجعل مكانه في نيابة طرابلس كسناى ، وحل الثانى وحزن الناس عليه ودعوا له . وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من ربيع الآخر قدم عز الدين بن مبشر دمشق محقسياً وناظر الأوقاف وانصرف ابن الحداد عن الحسبة ، وبهاء الدين عن نظار الأوقاف . وفي ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى وقع حريق قبة مسجد الشهابى داخل باب الصغير ، احترق فيه دكاكين ودور وأموال وأمنعة . وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضى ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضاً عن قاضى القضاة الخنفي البصرى ، وحضر عنده الأعيان ، وهو

رجل له فضيلة وخلق حسن ، كان قاضياً بملطية وخطيباً بها نحواً من عشرين سنة .
وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة أعيد ابن الحداد إلى الحبسة واستمر ابن مبشر ناظر
الأوقاف . وفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة درس ابن مصرى بالإتابكية عوضاً عن الشيخ صفى
الدين الهندى . وفي يوم الأربعاء الآخر حضر ابن الزملكائى درس الظاهرية الجوانية عوضاً عن
الهندى أيضاً بحكم وفاته كما ستأتى ترجمته . وفي أواخر رجب أخرج الأمير آقوش نائب الكرك من
سجن القاهرة وأعيد إلى الامرة . وفي شعبان توجه خمسة آلاف من بلاد حلب فأغاروا على بلاد
آمد ، وفتحوا بلداناً كثيرة ، وقتلوا وسبوا وعادوا سالمين ، وخسوا ماسبوا فيبلغ سهم الجنس أربعة آلاف
رأس وكسور . وفي أواخر رمضان وصل قرا سنقر المنصورى إلى بغداد ومعه زوجته الخاتون بنت
أبنا ملك التتر ، وجاء فى خدمته خربندا واستأذنه فى الفارة على أطراف بلاد المسلمين فلم يأذن له ،
ووثب عليه رجل فدأوى من جهة صاحب مصر فلم يقدر عليه وقتل الفداوى . وفي يوم الأربعاء
سادس عشر رمضان درس بالمعدلية للمهيرة الفقيه الامام نغر الدين محمد بن على المصرى المعروف
بإبن كاتب قتلوه بك ، يتخفى نزول مدرستها كمال الدين بن الزملكائى له عنها ، وحضر عنده
القضاة والأعيان والخطيب وابن الزملكائى أيضاً . وفي هذا الشهر كملت عمارة القيسارية المعروفة
بالدهشة عند الوراقين والقبادين وسكنها التجار ، فتميزت بذلك أوقاف الجامع ، وذلك بمباشرة صاحب
شمس الدين . وفي ثامن شوال قتل أحد الروسى شهد عليه بالمظالم من ترك الواجبات واستحلال
الحرمات واستهانت وتفنيه بالكتاب والسنة ، فحكم المالكى بإراقه دمه وإن أسلم ، فاعتقل ثم قتل .
وفي هذا اليوم كان خروج الركب الشامى وأميره سيف الدين طقتمر وقاضيه قاضى ملطية . وحج فيه
قاضى حماة وحلب وماردين وعجى الدين كاتب ملك الامراء تنكر وصهره نغر الدين المصرى .
ومن توفى فيها من الأعيان :

(شرف الدين أبو عبد الله)

محمد بن المدلل عماد الدين محمد بن أبى الفضل محمد بن أبى الفتح نصر الله بن المظفر من أسعد
ابن حمزة بن أسد بن على بن محمد النخعى الممشقى ابن القلانسى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة
وباشر نظر الخاص . وقد شهد قبل ذلك فى القيمة ثم تركها ، وقد ترك أولاداً وأولاداً لاهية ، توفى ليلة
السبت ثانى عشر صفر ودفن بقاسيون .

(الشيخ صفى الدين الهندى)

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الارموى الشافعى المتكلم ، ولد بالمند سنة أربع وأربعين
وستمائة ، واشتغل على جده لأمه ، وكان فاضلاً ، وخرج من دعلق فى رجب سنة سبع وستين فحج

وجاءه بمكة أشهراً ثم دخل النجف فأعطاه ملكها المظفر أربعمائة دينار ، ثم دخل مصر فأقام بها أربع سنين ، ثم سافر إلى الروم على طريق إيطالية فأقام إحدى عشرة سنة بقونستونسيواس خسا وقيسارية سنة ، واجتمع بالقاضي سراج الدين فأكرمه ، ثم قدم إلى دمشق في سنة خمس وثمانين فأقام بها واستوطنها ودرس بالروحية والدولية والظاهرية والاتبائية وصنف في الأصول والعلوم ، وتصدى للاشتغال والافتاء ، ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية ، وكان فيه بر وصلة ، توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر من صفر ودفن بمقابر الصوفية ، ولم يكن معه وقت موته سوى الظاهرية وبها مات ، فدرس بعده فيها ابن الزمكشاني ، وأخذ ابن مصري الاتبائية .

(القاضي المسند المعمر الرحلة)

توفي الدين ساجان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الخنبلي الحاكم بدمشق وله في نصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير وقرأ بنفسه وتفق وبرز ، وولى الحكم وحدث ، وكان من خيار الناس وأحسنهم خلقاً وأكثرهم مروءة ، توفي فجأة بعد مرضه من البله وحكه بالجوزية ، فلما صار إلى منزله بالدير تغيرت حاله ومات عقيب صلاة المغرب ليلة الاثنين حادى عشر من ذى القعدة ، ودفن من القبة بقرية جده ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

﴿ الشيخ علي بن الشيخ علي الحريري ﴾

كان مقدما في طائفته ، مات أبوه وعمره سفتان ، توفي في قرية نسر في جهادى الأولى .

﴿ الحكيم الفاضل البارع ﴾

بهاء الدين عبد السيد بن المهذب إسماعيل بن يحيى العلبي الكحال المشرف بالاسلام ، ثم قرأ القرآن جميعه لأنه أسلم على بهيرة ، وأسلم على يديه خلق كثير من قومه وغيرهم ، وكان مباركا على نفسه وعليهم ، وكان قبل ذلك دين اليهود ، فهداه الله تعالى ، وتوفي يوم الاحد سادس جهادى الآخرة ودفن من يومه بسفح قاسيون ، أسلم على يدى شيخ الاسلام ابن تيمية لما بين له بطلان دينهم ومأم عليه وما بدلوه من كتابهم وحرفوه من الكلام عن مواضع رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها غير الخنبلي بدمشق فاته توفي في السنة الماضية . وفي الحرم تكلمت فرقة المثلثات السلطانية بمصر بمقتضى إزالة الاجناد ، وعرض الجيش على السلطان ، وأبطل السلطان المكس بسائر البلاد القبلية والشامية . وفيه وقت فتنة بين الخنابلة والشافعية بسبب الفتاوى ، ورافقوا إلى دمشق فحضرها بدار السعادة عند نائب السلطنة تنسكز

فأصلح بينهم ، وأفضل الحال على خير من غير محابقة ولا تشويش على أحد من الفريقين ، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم . وفي يوم الأحد سادس عشر صفر قرئ تقليد القاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزدوع الحنبلي ، بقضاء الخبالة والنظر بأوقافهم عوضاً عن تقي الدين سليمان بحكم وفاته رحمه الله ، وقاريج التقليد من سادس ذى الحجة ، وقرئ بالجامع الأموي بحضور القضاة والصاحب والاعيان ، ثم مشوا معه وعليه الخلمة إلى دار السعادة فلم على النائب وراح إلى الصالحية ، ثم نزل من القند إلى الجوزية فحكم بها على عادة من قدمه ، واستتاب بعد أيام الشيخ شرف الدين بن الحافظ . وفي يوم الاثنين سابع صفر وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر على البريد ومعه توقيع بعود الوكالة إليه ، غلغ عليه وسلم على النائب والخلمة عليه . وفي هذا الشهر ملك الوزير عز الدين بن القلانسي واعتقل بالمندراوية وصودر بخمسين ألفاً ثم أطلق له ما كان أخذ منه وأفضل من ديوان نظر الخالص . وفي ربيع الآخر وصل من مصر فضل ابن عيسى وأجرى له ولابن أخيه موسى بن مهنا إقطاعات صيدا ، وذلك بسبب دخول مهنا إلى بلاد التتر واجتماعهم بملكهم خر بنداً .

وفي يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى بإشراف ابن مصري مشيخة الشيوخ بالسيساطية بسؤال الصوفية وطلبهم له من نائب السلطنة ، فحضرها وحضر عنده الأعيان في هذا اليوم عوضاً عن الشريف شهاب الدين أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الكريم ابن محمد بن علي بن الحسن بن الحسين بن يحيى بن موسى بن جعفر الصادق ، وهو الكاشغري ، توفي عن ثلاث وستين سنة ودفن بالصوفية . وفي جمادى الآخرة بإشراف بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى الحنفى المروفي بابن علي وهو ناظر ديوان النائب بالشام نظر الدواوين عوضاً عن شمس الدين محمد ابن عبد القادر الخطيرى الحاسب الكاسب توفي ، وقد كان مباشرًا عدة من الجهات الكبار ، مثل نظر الخزنة ونظر الجمار ونظر المارستان وغير ذلك ، واستمر نظر المارستان من يومئذ بأيدي ديوان نائب السلطنة من كان ، وصارت عادة مستمرة . وفي رجب قل صاحب حصص الأمير شهاب الدين قرطاي إلى نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير سيف الدين التركستاني بحكم وفاته ، وولى الأمير سيف الدين إرقتاي نيابة حصص ، وتولى نيابة الكرك سيف الدين طقطاي الناصري عوضاً عن سيف الدين تينغا .

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب درس بالنجبية القاضي شمس الدين الدمشقي عوضاً عن بهاء الدين يوسف بن جمال الدين أحمد بن الظاهري المعجى الحلبي ، سبط الصاحب كمال الدين بن المديم ، توفي ودفن عند خاله ووالده بقرية المديم . وفي آخر شعبان وصل القاضي شمس الدين

ابن عز الدين يحيى الحراني أخو قاضي قضاة الحنابلة بمصر شرف الدين عبد النقي ، إلى دمشق متوليا نظر الأوقاف بها عوضا عن صاحب عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن مبشر ، توفي في مستهل رجب بدمشق ، وقد بشر نظر الدواوين بها بمصر ، والحسبة والإسكندرية وغير ذلك ، ولم يكن بقي معه في آخر وقت سوى نظر الأوقاف بدمشق ، وقد قارب الثمانين ودفن بقاسيون .

وفي آخر شوال خرج الركب الشامي وأميرهم سيف الدين أرغون السلحدار الناصري الساكن عند دار الطراز بدمشق ، وحج من مصر سيف الدين الدوادار وقاضي القضاة ابن جماعة ، وقد زار القدس الشريف في هذه السنة بعد وفاة والده الخطيب جمال الدين عبد الله ، وكان قد رأس وعظم شأنه . وفي ذي القعدة سار الأمير سيف الدين تنكز إلى زيارة القدس فغلب عشرين يوما ، وفيه وصل الأمير سيف الدين بكنمر الحاجب إلى دمشق من مصر وقد كان معتقلا في السجن فأطلق وأكرم وولى نيابة صفد فسار إليها بعد ما قضى أشغاله بدمشق ، وقتل القاضي حسام الدين القزويني من قضاء صفد إلى قضاء طرابلس ، وأعيدت ولاية قضاء صفد إلى قاضي دمشق فولى فيها ابن صصري شرف الدين الماوندى ، وكان متوليا طرابلس قبل ذلك ، ووصل مع بكنمر الحاجب الطواشي ظهير الدين مختار المعروف بالزعي ، متوليا الخزائن بالقلمة عوضا عن الطواشي ظهير الدين مختار البليستين توفي .

وفي هذا الشهر أعنى ذا القعدة وصلت الأخبار بموت ملك التتر خر بندا محمد بن أرغون بن أيقا ابن هولاكوفان ملك العراق وخراسان وعراق المعجم والروم وأذربيجان والبلاد الأرمينية وديار بكر . توفي في السابع والعشرين من رمضان ودفن بربته بالمدينة التي أنشأها ، التي يقال لها السلطانية وقد جاوز الثلاثين من العمر ، وكان موصوفا بالكرم ومحبا للهو والعب والعمائر ، وأظهر الرفض ، أقام سنة على السنة ثم تحول إلى الرض أقام شعائره في بلاده وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلي ، تلميذ نصير الدين الطوسي ، وأقطعه عدة بلاد ، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة ، وقد جرت في أيامه فتن كبار ومصائب عظام ، فأراح الله منه البلاد ، وأقام في الملك بعده ولده أبو سعيد وله إحدى عشرة سنة ، ومدبر الجيوش والملك له الأمير جويان ، واستمر في الوزارة على شاه التبريزي ، وأخذ أهل دولته بالمصادرة وقتل الأعيان ممن اتهمهم بقتل أبيه مسموما ، ولعب كثير من الناس به في أول دولته ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة ، فأمر بإقامة الخطبة بالتراضي عن الشيخين أولا ثم عثمان ثم على رضي الله عنهم ، ففرح الناس بذلك وسكنت بذلك الفتن والشرو والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد وجهرة وأصبهان وبناد و إربل وسواه وغير ذلك ، وكان صاحب مكة الأمير خيمه بن أبي نعي الحسني ، قد قصد ملك التتر خر بندا

لينصره على أهل مكة فساعدوه الروافض هناك وجيزوا معه جيشا كثيفا من خراسان ، فلما مات
خربند! بطل ذلك بالكوفة ، وعاد خيصة خائبا خاسئا . وفي صحبته أمير من كبار الروافض من النثر
يقال له الدلقندى ، وقد جمع لخيصة أموالا كثيرة ليقيم بها الرضى فى بلاد الحجاز ، فوقع بهما
الأمير محمد بن عيسى أخوهما ، وقد كان فى بلاد النثر أيضا ومعه جماعة من العرب ، فقررهما ومن
كان معهما ، ونهب ما كان معهما من الأموال وحضرت الرجال ، وبلغت أخبار ذلك إلى الدولة
الاسلامية فرضى عنه الملك الناصر وأهل دولته ، وغسل ذلك ذنبه عنده ، فاستدعى به السلطان إلى
حضرته فحضر سامعا مطيعا ، فأكرمه فائب الشام ، فلما وصل إلى السلطان أكرمه أيضا ، ثم إنه استفتى
الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكذلك أرسل إليه السلطان يسأله عن الأموال التى أخذت من
الدلقندى ، فأفانهم أنها تصرف فى المصالح التى يعود نفعها على المسلمين ، لأنها كانت معدة لعناد الحق
ونصرة أهل البدعة على السنة . ومن توفى فيها من الأعيان :

عز الدين المبشر . والشهاب الكاشغرى شيخ الشيوخ ، والبهاء المعجى مدرس النجبية . وفيها
قتل خطيب المرة قتل رجل جبلى ضربه بناس العام فى رأسه فى السوق فبقى أياما ومات ، وأخذ
القاتل فشق فى السوق الذى قتل فيه ، وذلك يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر ، ودفن هناك
وقد جاوز الستين . ﴿ الشرف صالح بن محمد بن عربشاه ﴾

ابن أبى بكر المهدائى ، مات فى جمادى الآخرة ودفن بمقابر النيرب ، وكان مشهورا بطيب القراءة
وحسن السيرة ، وقد جمع الحديث وروى جزءا .

﴿ ابن عرفة صاحب التذكرة الكندية ﴾

الشيخ الامام المقرئ المحدث النحوى الأديب علاء الدين على بن المظفر بن إبراهيم بن عمر
ابن زيد بن هبة الله الكندى الاسكندراني ، ثم دمشق ، سمع الحديث على أزيد من مائتى شيخ
وقرأ القراءات السبع ، وحصل دلوها جيدة ، ونظم الشعر الحسن الزائق الفائق ، وجمع كتابا فى
نحو من خمسين مجلدا ، فيه علوم جملة أكثرها أدبيات منها التذكرة الكندية ، وقها بالميساطية
وكتب حسنا وحسب جيدا ، وختم فى عدة ختم ، وولى مشيخة دار الحديث النفيسية فى مدة عشر
سنين وقرأ صحيح البخارى مرات عديدة ، وأجمع الحديث ، وكان يلوذ بشيخ الاسلام ابن تيمية ،
وتوفى ببستان عند قبة المسجد ليلة الاربعاء سابع عشر رجب ، ودفن بالمرة عن ست وسبعين سنة .

﴿ الطواشى ظهير الدين غنثار ﴾

البكندى الخزندار بالقلمة وأحد أمراء الطبائخانات بدمشق ، كان زكيا خبيرا فاضلا ، يحفظ
القرآن ويؤديه بصوت طيب ، ووقف مكتبا للايتام على باب قلمة دمشق ، ورتب لهم الكسوة

والجامكية ، وكان يمتحنهم بنفسه ويخرجهم ، وعمل تربة خارج باب الجاية ، ووقف عليها التريتين وبنى عندها مسجداً حسناً ووقف بإمام وهي من أوائل ما عمل من التربة بذلك الخط ، ودفن بها في يوم الخميس عشر شعبان رحمه الله ، وكان حسن الشكل والخلق ، عليه سكة ووقار وهيبة وله وجاعة في الدولة ساعده الله . وولى بعده الخزانة بمعية ظهر الدين مختار الزرعي .

﴿ الأمير بدر الدين ﴾

محمد بن الوزير ، كان من الأمراء المقدسين ، ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة ، وقد ناب عن السلطان بدار التمدل مرة بمصر ، وكان حنوب الميسرة ، وتكلم في الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين ، ثم نقل إلى دمشق فأت بها في مائتين وعشر شعبان ، ودفن بميدان الحصى فوق خان النجيب ، وخلف تركة عظيمة .

﴿ الشيخة الصالحة ﴾

ست الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا ، راوية صحيح البخاري وغيره ، جاوزت التسعين سنة ، وكانت من الصالحات ، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر شعبان ودفنت بقريةهم فوق جامع المظفرى بماسيون

﴿ الثامن من الدين ﴾

أبو الحسن ابن قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، استنابه أبوه في أيامه وزوجه بأبنة الحاكم بأمر الله ، ودرس بالهبارية ورأس بعد أبيه ، وكانت وفاته يوم الاثنين ثامن عشر رمضان ، وقد قارب الستين ، ودفن عند أبيه بالقرافة .

﴿ الشيخة الصالحة ﴾

ست المنعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحارانية ، والدة الشيخ تقي الدين بن تيمية عرفت فوق السبعين سنة ، ولم ترزق بنتاً قط ، توفيت يوم الأربعاء المشرين من شوال ودفنت بالصوفية وحضر جنازتها خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

﴿ الشيخ نجم الدين موسى بن علي بن محمد ﴾

الجيلي ثم الدمشقي ، الكاتب الفاضل المعروف بابن البصيص ، شيخ صناعة الكتابة في زمانه لاسيما في المزوج والمثلث ، وقد أتم يكتب الناس خمسين سنة ، وأنا من كتب عليه أنابه الله . وكان شيخاً حسناً بهي المنظر يشعر جيداً ، توفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة ودفن بمقابر الباب الصغير وله خمس وستون سنة .

﴿ الشيخ تقي الدين الموصلی ﴾

أبو بكر بن أبي الكرم شيخ القراءة عند محراب الصحابة ، وشيخ ميعاد ابن عامر مدة طويلة وقد انتفع الناس به نحو من خمسين سنة في التلخين والقراءات ، وختم خلقاً كثيراً ، وكان يقصد لذلك ويجمع تصديقات يقولها الصبيان ليالي ختمهم ، وقد سمع الحديث وكان خيراً ديناً ، توفي

ليلة الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

(الشيخ الصالح الزاهد المقرئ)

أبو عبد الله محمد بن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن يثوب الماليني ، أحد الصالحاء المشهورين بجامع دمشق ، سمع الحديث وأقرأ الناس نحواً من خمسين سنة ، وكان يفسح الأولاد في الحروف الصعبة ، وكان مبتلى في فقه يحمل طائفة تحت فقه من كثرة ما يسيل منه من الريال وغيره . وقد جاوز الثمانين بأربع سنين ، توفي بالمدسة الصارمية يوم الأحد ثاني عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير بالقرب من القندلاوى ، وحضر جنازته خلق كثير جداً نحواً من عشرة آلاف رحمه الله تعالى .

(الشيخ الصدر بن الوكيل)

هو الملامه أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام مفتي المسلمين زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد المعروف بابن المرحل و بابن الوكيل شيخ الشافعية في زمانه ، وأشهرهم في وقته بالفضيلة وكثرة الاشتغال والمطالعة والتحصيل والافتنان بالعلوم المدينة ، وقد أجاد معرفة المذهب والأصولين ، ولم يكن بالنحو بذاك القوى ، وكان يقع منه الحق الكثير ، مع أنه قرأ منه الفصل في مخشري ، وكانت له محفوظات كثيرة ، وله في شوال سنة خمس وستين وستائة ، وسمع الحديث على المشايخ ، ومن ذلك مسند أحمد على ابن علان ، والكتب الستة ، وقرأ عليه قطعة كبيرة من صحيح مسلم بدار الحديث عن الأمير الأربلي والعاصري والمزني ، وكان يتكلم على الحديث بكلام مجموع من علوم كثيرة ، من الغيب والفلسفة وعلم الكلام ، وليس ذلك بعلم ، وعلوم الأوائل ، وكان يكثر من ذلك ، وكان يقول الشعر جيداً ، وله ديوان مجموع مشتمل على أشياء لطيفة ، وكان له أصحاب يحسدونه ويحبونه ، وآخرون يحسدونه ويبغضونه ، وكانوا يتكلمون فيه بأشياء وبرمونه بالمعظام ، وقد كان مسروراً على نفسه قد ألقى جليلاب الحياء فيما يتعامله من القاذورات والفواحش ، وكان ينصب المداواة لشيخ ابن تيمية وينظره في كثير من المحافل والجالس ، وكان يستغفر لشيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة ويثني عليه ، ولكنه كان يجاحف عن مذهبه ولاحيته وهواه ، وينافح عن طاقته . وقد كان شيخ الاسلام ابن تيمية يثني عليه وعلى علومه وفضائله ويشهد له بالاسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة ، وكان يقول : كان مخلطاً على نفسه متبعاً لمراد الشيطان منه ، يميل إلى الشهوة والمحاضرة ، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممن يحسدونه ويتكلم فيه هذا أو ما هو في معناه . وقد درس بعمدة مدارس بمصر والشام ، ودرس بدمشق بالشافيتين والنراوية ودار الحديث الأشرفية وولى في وقت الخطابة أليماً يسيرة كما تقدم ، ثم قام الخلق عليه وأخرجوها منه ، ولم يرق منها ، ثم خالط كاتب السلطنة الأقرم فحرت له أمور ولا يمكن ذكرها ولا يحسن من القبايح

ثم آل به الحال على أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلب لاستموازه على قلب ثائبا ، فأقام بها ودرس ، ثم تردد في الرسالة بين السلطان ومناحبة أرغون والطنينا ، ثم استقر به المنزل بمصر ودرس فيها بمشهد الحسين إلى أن توفي بها بكرة نهار الأربعاء رابع عشر من ذى الحجة بداره قريبا من جامع الحسبك ، ودفن من يومه قريبا من الشيخ محمد بن أبي جرة بقرية القاضى فاطم الجليش بالقرافة ، ولما بلغت وفاته دمشق صلى عليه بمجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة ثالث المحرم من السنة الآتية ، ورفاه جماعة منهم ابن غاثم علاء الدين ، والقمقازى والصفدى ، لانهم كانوا من عشراته .

وفي يوم عرفة توفي (الشيخ حماد الدين إسماعيل القوعى)

وكل قبليس ، وهو الذى بنى له الباشورة على باب الصغير بالبرانية الغربية ، وكانت فيه نهضة وكفاية ، وكان من بيت الرضى ، اُتفق أنه استحضره نائب السلطنة فضر به بين يديه ، وقام النائب إليه بنسبه فجعل يضربه بالهاتيزى وجهه فرقع من بين يديه وهو قاتل فأتى في يوم عرفة ، ودفن من يومه بسفح قاسيون وله دار ظاهر باب الفرائس .

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة)

استهانت والحكام المذكورون في القى قبلها . وفي صفر شرع في عمارة الجامع الذى أنشأه ملك الامراء تنكز نائب الشام ظاهر باب النصر تجاه حكر السباق ، على نهر باناس بدمشق ، وتردد القضاة والعلماء في تهمير قبيلته ، فاستقر الحال في أمرها على ما قاله الشيخ تقي الدين بن تيمية في يوم الأحد الخامس والعشرين منه ، وشرعوا في بنائه بأمر السلطان ، ومساعدته لثائبا في ذلك . وفي صفر هذا جاء سيل عظيم بمدينة بعلبك أهلكت خلقا كثيرا من الناس ، وخرب دورا وعمارا كثيرة ، وذلك في يوم الثلاثاء سابع وعشرين صفر .

وماخص ذلك أنه قبل ذلك جاءهم زهد و برق عظيم ممها برد ومطر ، فسالت الأودية ، ثم جاءهم بعده سيل هائل خف من سور البلد من جهة الشمال شرق مقدار أربعين ذراعا ، مع أن سلك الحائط خمسة أذرع ، وحمل برجا محججا ومعه من جانبيه مدينتين ، فحمله كما هو حتى مر فخر في الأرض نحو خمسمائة ذراع سعة ثلاثين ذراعا ، وحمل السيل ذلك إلى غربى البلد ، لا يمر على شئ إلا أتلفه ، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فأتلف ما يزيد على ثلثها ، ودخل الجامع فارتفع فيه على قامة ونصف ، ثم قوى على حائطه الغربى فأخر به وأتلف جميع ما فيه الخواصل والكتب والمصاحف وأتلف شيئا كثيرا من رباغ الجامع ، وهلك تحت الهدم خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال ، فأنافه وإنا إليه راجعون . وغرق في الجامع الشيخ على بن محمد بن الشيخ على الحريرى هو وجماعة معه من الفقهاء ، ويقال كان من جملة من هلك في هذه الكائنة من أهل بعلبك مائة وأربعون يمونا

نفسا سوى الثرياء ، وجملة الدور التي خرجها والحوانيت التي أتلفها نحو من ستائة دار وحانوت ، وجملة البساتين التي جرف أشجارها عشرون بستانا ، ومن الطواحين ثمانية سوى الجامع والأمينية وأما الأماكن التي دخلها وأتلف مافيها ولم تخرب فكثير جداً .

وفي هذه السنة زاد النبل زيادة عظيمة لم يسمع بمثلا من ممد ، وغرق بلادا كثيرة ، وهلك فيها ناس كثير أيضاً ، وغرق منية السبرج فهلك للناس فيها شيء كثير ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وفي مستهل ربيع الآخر منها أغار جيش حلب على مدينة آمد فتهبوا وسبوا وعادوا سائلين . وفي يوم السبت تاسع وعشرين منه قدم قاضي المالكية إلى الشام من مصر وهو الامام السلامة غفر الدين أبو العباس أحمد بن سلامة بن أحمد بن أحمد بن سلامة الاسكندري المالكي ، على قضاء دمشق عوضا عن قاضي القضاة جمال الدين الزاوي لضعفه واشتداد مرضه ، فالتقاء القضاة والأعيان ، وقرىء تقليده بالجامع ثاني يوم وصوله ، وهو مؤرخ بثنائي عشر الشهر ، وقدم نائبه الفقيه نور الدين السخاوي درس بالجامع في جمادى الأولى ، وحضر عنده الاعيان ، وشكرت فضائله وعلومه ونزاهته وصرامته ودقائمه ، و بعد ذلك بتسعة أيام توفي الزاوي المعزول ، وقد باشر القضاء بدمشق ثلاثين سنة . وفيها أفرج عن الامير سيف الدين بهادر آص من سجن الكرك وحمل إلى القاهرة وأكرمه السلطان ، وكان سجنه بها مطووعة لاشارة نائب الشام بسبب ما كان وقع بينهما بملطية . وخرج المحمل في يوم الخميس تاسع شوال ، وأمير الحج سيف الدين كجكني المنصوري . ومن حج قاضي القضاة نجم الدين ابن صعري وابن أخيه شرف الدين وكمال الدين بن الشيرازي والقاضي جلال الدين الحنفى والشيخ شرف الدين بن تيمية وخلق . وفي سادس هذا الشهر درس بالجار وضية القاضي جلال الدين محمد بن الشيخ كمال الدين الشريفي بعد وفاة الشيخ شرف الدين بن أبي سلام ، وحضر عنده الاعيان . وفي التاسع عشر منه درس ابن الزملاكني بالندراوية عوضا عن ابن سلام ، وفيه درس الشيخ شرف الدين بن تيمية بالحنبلية عن إذن أخيه له بذلك بعد وفاة أخيهما لأمه بدر الدين قاسم بن محمد ابن خالد ، ثم سافر الشيخ شرف الدين إلى الحج ، وحضر الشيخ قتي الدين المدرس نفسه ، وحضر عنده خلق كثير من الاعيان وغيرهم حتى عاد أخوه ، وبعد عوده أيضاً وجاءت الأخبار بأنه قد أبطلت الحور والفواش كلها من بلاد السواحل وطرابلس وغيرها ، ووضعت مكوس كثيرة عن الناس هناك ، و بنيت بقرى النصيرية في كل قرية مسجد والله الحمد والمنة .

وفي بكرة نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال وصل للشيخ الامام العلامة شيخ الكتاب شهاب الدين محمود بن سليمان الحامبي على البريد من مصر إلى دمشق متولياً كتابة السربها ، عوضا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله توفي إلى رحمة الله . وفي ذى القعدة يوم الأحد درس

بالصمصامية التي جددت للمالكية وقد وقف عليها الصاحب شمس الدين غبريال درسا ، ودرس بها فقهاء ، وعين تدريسها نائب الحكم الفقيه نور الدين علي بن عبد البصير المالكي ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، ومن حضر عنده الشيخ قتي الدين بن تيمية ، وكان يعرفه من اسكندرية ، وفيه درس بالخوارية الشيخ جمال الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد الكحال ، ورتب في رياسة الطب عوضا عن أمين الدين سليمان الطبيب ، بمرسوم نائب السلطنة تنكر ، واخاراه لذلك . واتفق أنه في هذا الشهر تجتمع جماعة من التجار بماردن وانضاف إليهم خلق من الجنال من الغلابة قاصدين بلاد الشام ، حتى إذا كانوا بمرحلتين من رأس العين لحقهم ستمون فارسا من التتار فالوا عليهم بالانشاب وقتلهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى صبياتهم نحو سبعين صبيا ، قتلوا من قتل هؤلاء ؟ فقال واحد منهم : أنا بشرط أن تنقلوني بحال من التتمة ، فقتلهم كلهم عن آخرهم ، وكان جملة من قتل من التجار ستمائة ، ومن الجفلان ثلثمائة من المسلمين ، فأنافه وإنا إليه راجعون . وردوا بهم خمس صهاريج هناك حتى امتلأت بهم رحمهم الله ، ولم يسلم من الجميع سوى رجل واحد تركاني ، هرب وجاء إلى رأس العين فأخبر الناس بما رأى وشاهد من هذا الأمر الفظيع المؤلم الوجيع ، فاجتهد قسمل ديار بكر سواي في طلب أولئك التتار حتى أهلكهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى رجلين ، لا جمع الله بهم قتيلا ولا بهم مرحبا ولا أهلا ، أمين يارب العالمين .

﴿ صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة ﴾

وفي هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله ، وقارة يدعى علي بن أبي طالب فاطر السموات والارض ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وقارة يدعى أنه عبد الله صاحب البلاد ، وخرج بكفر المسلمين ، وأن النصيرية على الحق ، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال ، وعين لكل إنسان منهم مقدمة ألف ، وبلادا كثيرة ونيابات ، وجعلوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها ، وخرجوا منها يقولون لا إله إلا علي ، ولا حجاب إلا محمد ، ولا باب إلا سلمان . وسبوا الشيخين ، وصاح أهل البلد وإسلاماه ، واسلطاهه ، وأميراه ، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد ، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل ، فجمع هذا الضال تلك الأموال قسمها على أصحابه وأتباعه فحبهم الله أجمعين . وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ، ولو لم يبق مئى سوى عشرة نفر للمسكنة البلاد كلها . ونادى في تلك البلاد إن المقامعة بالمشرك لا غير ليرغب فيه ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خانات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين : قل لا إله إلا علي ، واسجد لأمك المهدي ، الذي يحى ويميت حتى يحضر دمك ، ويكتب لك فرمان ، ونهجزوا وعلموا أمرا عظيما جبلا ، فجدت إليهم العساكر

فنزحهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وجا غفيرا ، وقتل المهدي أضلهم وهو يكون يوم القيامة مقدمهم إلى عذاب السمير ، كما قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم و يتبع كل شيطان مرية ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السمير . ذلك بما قدمت يدك) الآية
وفيهما حج الأمير حسام الدين مهنا وولده سليمان في سنة آلاف ، وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف ، ولم يجتمع مهنا بأحد من المصريين ولا الشاميين ، وقد كان في المصريين قجليس وغيره والله أعلم .
ومن توفي فيها من الاعيان .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المنتزه ، كان فاضلا ، وكتب حسنا ، ونسخ التنبيه والمعدة وغير ذلك ، وكان الناس يفتقون به و يقابلون عليه ذلك و يصحون عليه ، و يجلسون إليه عند صندوق كان له في الجامع ، توفي ليلة الاثنين سادس محرم ودفن بالصوفية ، وقد صححت عليه في المعدة وغيره .
﴿ الشيخ شهاب الدين الرومي ﴾

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الراعي ، درس بالمدينة ، وأم بحراب الحنفية بمقصورتهم القريبة إذ كان محرابهم هناك ، وتولى مشيخة الخاتونية ، وكان يوم بنائب السلطان الأفرم ، وكان يقرأ حسنا بصوت ملبح ، وكانت له مكانة عنده ، وربما راح إليه الأفرم ماشيا حتى يدخل عليه زاوية التي أنشأها بالشرق الشمالي على الميدان الكبير ، ولما توفي بالمحرم ودفن بالصوفية قام ولده عماد الدين وشرف الدين بوظائفه .

﴿ الشيخ الصالح العدل ﴾

نحر الدين عثمان بن أبي الوفا بن نعمة الله الأعزازی ، كان ذا ثروة من المال كثير المروءة والتلاوة أدى الامانة في ستين ألف دينار وجواهر لا يعلم بها إلا الله عز وجل ، بعد مامات صاحبا مجردا في النزاة وهو عز الدين الجراحي نائب غزة ، أودعه إياها فأدأها إلى أهلها أتاه الله ، ولهذا مامات يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر حضر جنازته خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى ، حتى قيل إنهم لم يجتمعوا في مثلها قبل ذلك ، ودفن بباب الصغير رحه الله .

﴿ فاضل القضاة ﴾

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن يوسف الزواوي فاضل المالكية بدمشق ، من سنة سبع وثمانين وستائة ، قدم مصر من المغرب واشتغل بها وأخذ عن مشايخها منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ثم قدم دمشق فاضيا في سنة سبع وثمانين وستائة ، وكان مولده قريبا في سنة تسع وعشرين وستائة . وأقام شعار مذهب مالك وعمر الصمصامية في أيامه وجدد عمارة النورية ، وحدث

بصحيح مسلم وموطأ مالك عن يحيى بن يحيى عن مالك ، وكتاب الشفا للقاضي عياض ، وعزل قبل وفاته بعشرين يوماً عن القضاء ، وهذا من خيره حيث لم يتقاضى ، توفي بالمدرسة الصمصامية يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة ، وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر باب الصغير تجاه مسجد التاريخ ، وحضر الناس جنازته وأثنوا عليه خيراً ، وقد جاوز الثمانين كاك رحمه الله . ولم يبلغ إلى سبعة عشر من عمره على مقتضى مذهبه أيضاً .

(القاضي الصدر الرئيس)

رئيس الكتاب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن الحلبي القرشي المدني المعمرى ، ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة وسمع الحديث وخدم وأرقت منزلته حتى كتب الانشاء بمصر ، ثم نقل إلى كتابة السر بدمشق إلى أن توفي في ثامن رمضان ، ودفن بقاسيون ، وقد قارب التسعين ، وهو ممنع بحجواه وقواه ، وكانت له عقيدة حسنة في العلماء ، ولا سيما في ابن تيمية وفي الصلحاء رحمه الله . وقد رثاه الشباب محمود كاتب السر بدمشق ، وعلاء الدين بن غانم وجمال الدين بن نباتة .

✽ الفقيه الامام العالم المناظر ✽

شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن الامام كمال الدين علي بن إسحاق بن سلام القمشي الشافعي ولد سنة ثلاث وسبعمائة ، واشتغل وبرع وحصل ودرس بالجارضية والمنراوية ، وأعاد بالظاهرية وأفتى بدار العدل ، وكان واسع الصدر كثير الهمة كريم النفس مشكوراً في فهمه وخطة وحفظه وفصاحته ومناظرته ، توفي في رابع عشرين رمضان وترك أولاداً وديناً كثيراً ، فوفته عنه زوجته بنت زوزان قبيل الله منها وأحسن إليها .

(صاحب أنيس الملوك)

بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الأربلي ، ولد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، واشتغل بالأدب فحصل على جانب جيد منه وارتزق عند الملوك به . فن رقيق شعره ما أورده الشيخ علم الدين في ترجمته قوله :

ومدامة خرتبته خدمن • أهوى ودمعي يسقي بها قفرا

أعز على من ممى ومن بصرى ^(١)

وقوله في مقنية

وعززة هيفاء ناعمة الصبا • طوع العناق مريضة الأجنان

غنت وماس قوامها فكأنها لا • ورثاه تسجع فوق غصن البان

(الصدر الرئيس شرف الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم)

ابن شرف الدين عبد الرحمن بن أمين الدين سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى ، ذهب إلى الحجاز الشريف ، فلما كانوا يبردى اعتراه مرض ولم يزل به حتى مات ، توفي بمكة وهو محرم ملب ، فشهد الناس جنازته وغبطوه بهذه الموت ، وكانت وفاته يوم الجمعة آخر النهار سابع ذى الحجة ودفن ضعى يوم السبت بمقبرة بباب الحجون رحمه الله تعالى وأكرم مثواه .

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة)

الخليفة والسلطان هماه ، وكذلك النواب والقضاة سوى المالكي بمشق فانه العلامة نغر الدين ابن سلامة بعد القاضي جمال الدين الزاوى رحمه الله . ووصلت الأخبار في الحرم من بلاد الجزيرة وبلاد الشرق منجبار والموصل وماردين وتلك النواحي بغلاء عظيم وفناء شديد ، وقلة الأمطار ، وخوف التنار ، وعدم الأقوات وغلاء الأسمار ، وقلة النفقات ، وزوال النعم ، وحلول النقم ، بحيث إنهم أكلوا ما وجدوه من الجمادات والحيوانات والميتات ، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم ، فبيع الولد بخمسين درهما وأقل من ذلك ، حتى إن كثيرا كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين ، وكانت المرأة تصرح بأنها نصرانية ليشتري منها ولدا لتنتفع بثمنه ويحصل له من يطعمه فيعيش ، وتأمين عليه من الملاك ، فأن الله وإنا إليه راجعون . ووقعت أحوال صعبة يطول ذكرها ، وتنبؤ الأسباع عن وصفها ، وقد رحلت منهم فرقة قريب الأربعمائة إلى ناحية مراغة فسقط عليهم ثلج أهلكتهم عن آخرهم ، وصحبت طائفة منهم فرقة من التنار ، فلما انهبوا إلى عقبة صعدوا التنار ثم منعمون أن يصعدوها لتلا يتكفوا بهم فأنوا عن آخرهم ، فلاحول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وفي بكرة الاثنين السابع من صفر قدم القاضي كريم الدين عبد الكريم بن العلم هبة الله وكبل الخالص السامطاني بالبلاد جميعها ، قدم إلى دمشق فترل بدار السعادة وأقام بها أربعة أيام وأمر ببناء جامع القتيبيات ، الذي يقال له جامع كريم الدين ، وراح لزيارة بيت المقدس ، وتصدق بصدقات كثيرة وافرة ، وشرع ببناء جامع بعد سفره . وفي ثاني صفر جاءت ريح شديدة بيلاد طرابلس على ذوق تركيكن فأهلكت لهم كثيرا من الأمتعة ، وقتلت أميراً منهم يقال له طرالى وزوجته وابنتيه وابني ابنيه وجاريته وأحد عشر نفساً ، وقتلت جمالا كثيرة وغيرها ، وكسرت الأمتعة والأثاث وكانت ترفع البعير في الهواء مقدار عشرة أرماع ثم تلقيه مقطعا ، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد وبرد عظيم بحيث أنلف زروعا كثيرة في قرى عديدة نحو من أربعة وعشرين قرية ، حتى أنها لا تزد بدارها . وفي صفر أخرج الأمير سيف الدين طغاي الحاصل إلى نيابة صفت فأقيم بها شهرين ثم مسك ، والصاحب أمين الدين إلى نظر الأوطاف بطرابلس على معلوم واقر . قال الشيخ علم الدين

وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية وأشار عليه في ترك الافتاء في مسألة الخلف بالطلاق ، وقبل الشيخ نصيحته وأجاب إلى ما أشار به ، رعاية لظلمه وخواطر الجماعة للمفتيين ، ثم ورد البريد في مستهل جمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدين من الافتاء في مسألة الخلف بالطلاق وانفرد بذلك مجلس ، وانفصل الحال على ما رسم به السلطان ، ونودي به في البلد ، وكان قبل قدوم المرسوم قد اجتمع بالقاضي ابن مسلم الحنبلي جماعة من المفتيين الكبار ، وقالوا له أن ينصح الشيخ في ترك الافتاء في مسألة الطلاق ، فعلم الشيخ نصيحته ، وأنه إنما قصد بذلك ترك نوادر فتنه وشر . وفي عشره جاء البريد إلى صفت بمسك سيف الدين طغاي ، وتولية بدر الدين القرمانى نيابة حمص .

وفي هذا الشهر كان مقتل رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير بن علي الهمداني ، كان أصله يهوديا عطاراً ، فتقدم بالطلب وشملت السادة حتى كان عند خربندا الجزء الذي لا يتجزأ ، وعلت رتبته وكنيته ، وتولى مناصب الوزراء ، وحصل له من الأموال والأموال والسادة مالا يحمد ولا يوصف وكان قد أظهر الاسلام ، وكانت لديه فضائل جمّة ، وقد فسر القرآن وصنف كتباً كثيرة ، وكان له أولاد وثروة عظيمة ، وبلغ الثمانين من العمر ، وكانت له يد جيدة يوم الرحبة ، فانه صانع عن المسلمين وأتقن القضية في رجوع ملك التنار عن البلاد الشامية ، سنة ثلثي عشرة كما تقسم ، وكان يناصح الاسلام ، ولكن قد نزل منه خافق كثير من الناس وأتهموه على الدين وتكلموا في تفسيره هذا ، ولا شك أنه كان خطيباً مخطئاً ، وليس لديه علم نافع ، ولا عمل صالح . ولما تولى أبو سعيد المملكة عزله ، وبقي مدة خذلانهم اسبعتاه جوبان وقال له أنت سقيت السلطان خربندا سماً ؟ فقال له : أنا كنت في غاية الحفاوة والذلة ، فحضرت في أيامه وأيلم أبيه في غاية المظنة والمرتبة ، فكيف أعود إلى سفيه والحالة هذه ؟ فأحضرت الأطباء فذكروا صورة مرض خربندا وصفته ، وأن الرشيد أشار بإسباله لما عنده في بطنه من الحواصل ، فانطلق بطنه نحرّاً من سببين مجلساً ، فلبث بذلك على وجه أنه أخطأ في الطب . فقال : فأنت إذا قتلت ، قتله وولده إبراهيم واحتبط على حواصله وأمواله ، فلبث شيئاً كثيراً ، وقطعت أعضاؤه وحمل كل جزء منها إلى بلدة ، ونودي على رأسه بتبريز هذا رأس اليهودي الذي بدل كلام الله لسه الله ، ثم أحرقت جثته ، وكان القائم عليه على شاه .

وفي هذا الشهر - أعني جمادى الأولى - تولى قضاء المالكية بمصر تقي الدين الاخنائي عوضاً عن زين الدين بن مخلوف توفي عن أربع وعشرين سنة ، وله في الحكم ثلاث وثلاثون سنة . وفي يوم الخميس عشر رجب لبس صلاح الدين يوسف بن الملك الأوح خلسة الامرة بمرسوم السلطان ،

وفي آخر رجب جاء سيل عظيم يظهر حصن خرب شيئا كثيرا ، وجاء إلى البلد ليسخلها فتمه الخندق . وفي شعبان تكامل بناء الجامع الذي عمره تنكز ظلم باب النصر ، وأقيمت الجمعة فيه عاشر شعبان ، وخطب فيه الشيخ نجم الدين علي بن داود بن يحيى الخنفي المعروف بالفتجazy ، من مشاهير الفضلاء ذوى الفنون المتعدة ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان والقراء والمفتشون وكان يوماً مشهوداً . وفي يوم الجمعة اتى إليها خطيب يجامع القبيبات الذي أنشأه كريم الدين وكيل السلطان ، وحضر فيه القضاة والأعيان ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الرزين الحرفاني الأسدي الخنبلي ، وهو من الصالحين الكبار ، ذوى الزهادة والعبادة والفلسك والتوجه وطيب الصوت وحسن السميت . وفي حادى عشر رمضان خرج الشيخ شمس الدين ابن التقيب إلى حصن حاكما بها معلوماً مولى مرغوبا فيه ، وخرج الناس لتوديعه .

وفي هذا الشهر حصل سيل عظيم بسلية ومثله بالشوبك ، وخرج المحمل في شوال وأمير الركب الأمير علاء الدين بن مهدي وإلى البر ، وقاضيه زين الدين ابن قاضي الخليل الحاكم بحلب . ومن حج في هذه السنة من الأعيان : الشيخ برهان الدين الفزاري وكال الدين ابن الشريشي وولده وبدر الدين ابن المطار . وفي الحادى والعشرين من ذى الحجة انتقل الأمير نضر الدين لإمام الأعسرى من شد الفواوين بدمشق إلى طرابلس أميراً . وفي يوم الجمعة السابع عشر ذى الحجة أقيمت الجمعة في الجامع الذي أنشأه صاحب شمس الدين غدير يال ناظر الدواوين بدمشق خارج باب شرق ، إلى جانب ضراب بن الأزو وياقرب من علة القمالة ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن التدمري المعروف بالثير ياقى ، وهو من كبار الصالحين ذوى العبادة والزهادة ، وهو من أصحاب شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضره صاحب المذكور وجماعة من القضاة والأعيان .

وفي يوم الاثنين والعشرين من ذى الحجة بإشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي المحدث الحافظ بقرية أم الصالح عوضاً عن كمال الدين بن الشريشي توفى بهاريق المجازى في شوال ، وقد كان له في مشيخته ثلاث وثلاثون سنة ، وحضر عند الذهبي جماعة من القضاة . وفي يوم الثلاثاء صبيحة هذا المرس أحضر الفقيه زين الدين بن عبيدان الخنبلي من بلبلك وحوقق على منام رآه زعم أنه رآه بين النائم واليقظان ، وفيه تمليط وتخييط وكلام كثير لا يصدر عن مستقيم المزاج ، كان كتبه يجمعها ويهذه إلى بعض أصحابه ، فاستعمله في اقتاضى الشافعى وحقن دمه وعززه ، وتودى عليه في البلط ومنع من الفتوى وهدود الأثمة ، ثم أطلق . وفي يوم الأربعاء بكرة بإشر بدر الدين محمد بن بضحان مشيخة الاقراء بقرية أم الصالح عوضاً عن الشيخ محمد الدين التونسي توفى ، وحضر عنده الأعيان والفضلاء ، وقد حضرته يومئذ ، وقبل ذلك بإشر مشيخة الاقراء بالاشرفية عوضاً عنه أيضاً الشيخ

محمد بن خروف الموصلی . وفي يوم الخميس ثالث عشر من ذي الحجة بشر الشيخ الامام العلامة الحافظ الحجة شيخنا ومفيدنا أبو المجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي مشيخة دار الحديث الاشرفية عوضا عن كمال الدين بن الشريشي ، ولم يحضر عنده كبير أحد ، لما في نفوس بعض الناس من ولايته لذلك ، مع أنه لم يتولها أحد قبله أحق بها منه ، ولا أحفظ منه ، وما عليه منهم ؟ إذ لم يحضروا عنده فإنه لا يوحشه إلا حضورهم عنده ، وبعدهم عنه أنس والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

الورع الزاهد القدوة بقية السلف وقوة الخلف أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسى ، ولد سنة خمسين وسنة ببالس ، وسمع من أصحاب ابن طبرزد ، وكان شيخا جليلا يشوش الوجه حسن السمات ، مقصدا لكل أحد كثير ، الوفا عليه سيما المباداة والخير ، وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما تكام مع قازان ، فحكى عن كلام شيخ الاسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجراته عليه ، وأنه قال لترجمانه قل لقان : أنت تزعم أنك مسلم ومك ومؤذن وقاضى وإمام وشيخ على ما بلغنا فنزوتنا وبانت بلادنا على ماذا ؟ وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الاسلام ، بل عاهدوا قومنا ، وأنت عاهدت ففدت فافيت . قال وجرت له مع قازان وقطوشاه وبولاي أمور ونوب ، قام ابن تيمية فيها كاهنا لله ، وقال الحق ولم يحش إلا الله عز وجل . قال وقرب إلى الجماعة طامعا فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقبل له ألا تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامكم وكه ما نهيتهم من أكلهم الناس وطبختموه بما قلعتم من أشجار الناس ، قال ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه : اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فافصره وأيده وملكه البلاد والعباد ، وإن كان إنما قام رياء ومهمة وطلب الدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الاسلام وأهله فاخذ له وزله ودمره واقطع دابره ، قال وقازان يؤمن على دعائه ، ورفق يديه . قال فجلسنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله ، قال فلما خرجنا من عنده قال له قاضى القضاة نعيم الدين ابن مصرى وغيره : كنت أن تهلكنا وتهلك نفسك ، والله لا نصحبك من هنا ، فقال : وأنا والله لا أصحبكم . قال فانطلقنا عصية وتأخر هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه ، فقامت به الخواطين والأمرأة من أصحاب قازان فاتوه يتبركون بدعائه ، وهو سائر إلى دمشق ، وينظرون إليه ، قال والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثة مائة فارس في ركابه ، وكنت أنا من جملة من كان معه ، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فسلحهم عن آخرهم ، هذا الكلام أو نحوه ، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره ، وقد تقدم ذلك . توفي الشيخ محمد بن قوام ليلة الاثنين

الثاني والعشرين من صغر بالزاوية المعروفة بهم غربى الصالحية والناصرية والمعدلية ، وصلى عليه بها ودفن بها وحضر جنازته ودفنه خلق كثير وجم غفير ، وكان في جملة الجمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، لأنه كان يحبه كثيرا ، ولم يكن للشيخ محمد مرتب على الدولة ولا غيرهم ، ولا زوايته مرتب ولا وقف ، وقد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل ، وكان يزار ، وكان لديه علم وفضائل جمة ، وكان فهمه صحيحا ، وكانت له معرفة تامة ، وكان حسن العقيدة وطوبىته صحيحة محبا للحديث وآثار السلف ، كثير التلاوة والجمية على الله عز وجل ، وقد صنف جزءا فيه أخبار جيدة ، رحمه الله وبل تراء بوابل الرحمة آمين .

﴿ الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر المجيد ﴾

تقي الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ أحمد بن تمام بن حسان البلي ثم الصالحى الحنبلى ، أخو الشيخ محمد بن تمام ، ولد سنة خمس وثلاثين وستائة وسمع الحديث ، وصحب الفضلاء ، وكان حسن الشكل والخلق ، طيب النفس مليح المجاورة والمجالسة ، كثير المفاكة ، أقام مدة بالحجاز واجتمع بابن سبعين وبالتقى الحوراني ، وأخذ النحو عن ابن مالك وابنه بدر الدين وصحبه مدة ، وقد صحبه الشهاب محمود مدة خمسين سنة ، وكان يثنى عليه بالزهد والفراغ من الدنيا ، توفي ليلة السبت الثالث من ربيع الآخر ودفن بالسفح ، وقد أورد الشيخ علم الدين البرزالي في ترجمته قطعة من شعره :

فن ذلك قوله :

أسكن المهاد من فؤادى * لكم في خافق منه سكون
أكرر فيكم أبدأ حديثى * فيحلو والحديث له شجون
وأنظله حقيقا من دموى * فتنتره المهاجر والجفون
وأبتكر الماعى فى هواكم * وفيكم كل قافية تهون
واسئل عنكم البكاء سراً * وسر هواكم سر مصون
وأغنيق النفس لان فيه * شائل من معاطفكم تبين
فكم لى فى محبتكم غرام * وكى لى فى النرام بكم فنون ؟

﴿ غاضى القضاة زين الدين ﴾

على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف التويرى المالكي الحاكم بالفيدير المصرية ، سنة أربع وثلاثين وستائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل ، وولى الحكم بعد ابن شاش سنة خمس وثمانين ، وطالت أيامه إلى هنا العام ، وكان غزير المروءة والاحتيال والاحسان إلى الفقهاء والشهود ، ومن يقصده ، توفي ليلة الأربعاء بماء حلاى عشر جمادى الآخرة ودفن بسفح القطم بمصر ، وتولى الحكم بعده بمصر تقي الدين الاخنائى المالكي .

﴿ الشيخ إبراهيم بن أبي الملاء ﴾

المقرئ الصيت المشهور المعروف بابن شعلان ، وكان رجلاً جيداً في شهود المسارية ، ويقصد الختات لصيت صوته ، توفي يوم الجمعة وهو كهل ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن بسفح قاسيون

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد ﴾

أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر أحمد بن خلف بن إبراهيم ابن أبي عيسى بن الحاج النجيب القرطبي ، ثم الأشبيلي ، ولد بإشبيلية سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقد كان أهله بيت العلم والخطابة والقضاء بمدينة قرطبة ، فلما أخذهما الفرنج انتقلوا إلى إشبيلية وتمسكت أموالهم وكتبهم ، وصادر ابن الآخر جده القاضي بشربين ألف دينار ، ومات أبوه وجده في سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ونشأ يتيماً ثم حج وأقبل إلى الشام فاستقام بدمشق من سنة أربع وثمانين ، وسمع من ابن البخاري وغيره ، وكتب بيده نحواً من مائة مجلد ، إعانة لولده أبي عمرو وأبي عبد الله على الاشتغال ، ثم كانت وفاته بالمدسة الصلاحية يوم الجمعة وقت الأذان ثامن عشر رجب ، وصلى عليه بمصر ودفن عند القندلاوي ، بباب الصغير بدمشق ، وحضر جنازته خلق كثير .

﴿ الشيخ كمال الدين ابن الشريشي ﴾

أحمد ابن الامام العلامة جمال الدين بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن سحمان البكري الوائلي الشريشي ، كان أبوه مالِكياً كما تقدم ، واشتغل هو في منهل الشافعي فبرع وحصل علوماً كثيرة ، وكان خبيراً بالكتابة مع ذلك ، وسمع الحديث وكتب الطباقي بنفسه ، وأفتى ودرس وناظر وياشر بمدة مدارس ومناصب كبار ، أول ما ياشر مشيخة دار الحديث بقرية أم الصالح بمدة والده من سنة خمس وثمانين وستمائة إلى أن توفي ، وناب في الحكم عن ابن جماعة . ثم ترك ذلك وولى وكالة بيت المال وقضاء السكر ونظر الجامع صرات ، ودرس بالشامية البرانية ودرس بالناصرية عشرين سنة ، ثم انتزعها من يده ابن جماعة وزين الدين الفارقي ، فاستمادها منها وياشر مشيخة الرباط الناصري بقاسيون مدة ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ثمان سنين ، وكان مشكور السيرة فيها يولى من الجملات كلها ، وقد عزم في هذه السنة على الحج فخرج بأهله فأدركته منيته بالحسا في سلخ شوال من هذه السنة ، ودفن هناك رحمه الله ، وتولى بمدة الوكالة جمال الدين بن القلانسي ، ودرس بالناصرية كمال الدين بن الشيرازي ، وبادار الحديث الأشرفية الحافظ جمال الدين المزني ، وبأم الصالح الشيخ شمس الدين الذهبي ، وبالرباط الناصري ولده جمال الدين .

﴿ الشهاب المقرئ ﴾

أحمد بن أبي بكر بن أحمد البغدادي قبيب الأشراف التميمين ، كان عنده فضائل جمة نثراً

ونظماً مما يناسب الوقائع وما يحضر فيه من التهاوى والتمازى ، و يعرف الموسيقى والشحنة ، وضرب
الزمل ، ويحضر المجالس المشتملة على الهجو والمسكر والذهب والبسط ، ثم اقتطع عن ذلك كله لكثير
سنة وهو مما يقال فيه وفي أمثاله :

ذهبت عن توبته سائلاً • وجنتها توبة إفلاس

وكان مولده بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وتوفي ليلة السبت خامس ذى القعدة ودفن
بمقابر باب الصغير في قبر أعدده لنفسه عن خمس وعشرين سنة ، سألحه الله .

﴿ قاضى القضاة نضر الدين ﴾

أبو العباس أحمد بن تاج الدين أبي الخير سلامة بن زين الدين أبي العباس أحمد بن سلام
الاسكندري المالكي ، ولد سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ، وبرع في علوم كثيرة ، وولى نيابة الحكم
في الاسكندرية فعمدت سيرته وديانته وصرامته ، ثم قدم على قضاء الشام للمالكية في السنة الماضية
فباشرها أحسن مباشرة سنة ونصف ، إلى أن توفي بالصمصامية بكرة الأرباء مستهل ذى الحجة ، ودفن
إلى جانب القندلاوى بباب الصغير ، وحضر جنازته خلق كثير ، وشكروه الناس وأثنوا عليه ،
رحمه الله تعالى . ﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعمائة ﴾

استهلته والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وفي ليلة مستهل محرم هبت ريح شديدة بدمشق
سقط يسبها شئ من الجدران ، واقتلعت أشجاراً كثيرة . وفي يوم الثلاثاء سادس عشرين المحرم
خلع على جمال الدين بن القلانسي بوكالة بيت المال عوضاً عن ابن الشريشي ، وفي يوم الأربعاء
الخامس من صفر درس بالناصرية الجوانية ابن صصرى عوضاً عن ابن الشريشي أيضاً ، وحضر
عنده الناس على العادة . وفي عشرة بأشرشد الهدواوين جمال الدين أقوش الرحبي عوضاً عن فخر
الدين إياس ، وكان أقوش متولى دمشق من سنة سبع وسبعمائة ، وولى مكانه الأمير علم الدين
طوقش الساكن بالعقبة ، وفي هذا اليوم نودي بالبلد بصوم الناس لأجل الخروج إلى الاستسقاء ،
وشرع في قراءة البخارى ونهى الناس ودعوا عقيب الصلوات وبعد الخطب ، وابتهلوا إلى الله في
الاستسقاء ، فلما كان يوم السبت منتصف صفر ، وكان سابع نيسان ، خرج أهل البلد برمتهم إلى
عند مسجد القسم ، وخرج نائب السلطنة والامراء مشاة ييكون ويتضرعون ، واجتمع الناس هناك
وكان مشهداً عظيماً ، وخطب بالناس القاضى صدر الدين سليمان الجعفرى وأمن الناس على دعائه ،
فلما أصبح الناس من اليوم الثانى جاءهم النيش باذن الله ورحمته ورأفته لا بمجولهم ولا بقوتهم ، ففرح
الناس فرحاً شديداً وعم البلاد كلها والله الحمد والمنة ، وحده لا شريك له . وفي أواخر الشهر شرعوا
بإصلاح رخام الجامع وترميمه وحلى أبوابه وتحسين مافيته . وفي رابع عشر ربيع الآخر درس بالناصرية

الجوانية ابن الشيرازي بتوقيع سلطاني ، وأخذها من ابن صصري وبشرها إلى أن مات . وفي يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن شيخ السلامة غفر الدين أخو فاطم الجيش الحسبة بدمشق عوضا عن ابن الحداد ، وباشر ابن الحداد نظر الجامع بدلا عن ابن شيخ السلامة ، وخلع على كل منهما .

وفي بكرة الثلاثاء خامس جمادى الآخرة قدم من مصر إلى دمشق قاضي القضاة شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر بن الشيخ زكي الدين ظافر الحمداني المالكي ، على قضاء المالكية بالشام ، عوضا عن ابن سلامة توفي ، وكان بينهما سنة أشهر ، ولكن تقليد هذا وروح بآخر ربيع الأول ، وليس الخلمة وقرئ تقليد بالجامع . وفي هذا الشهر درس باطنونية البرانية القاضي بدر الدين بن نورية الحنفي ، وعمره خمس وعشرون سنة ، عوضا عن القاضي قيس الدين محمد قاضي ملطية توفي . وفي يوم السبت خامس رمضان وصل إلى دمشق سبيل عظيم أتلغ شينا كثيرا ، وارتفع حتى دخل من باب الفرج ، ووصل إلى المقبية ، وانزعج الناس له ، وانتقلوا من أمانتهم ، ولم تغل مدته لأن أصله كان مطرا وقع بأرض وابل السوق والحسبية . وفي هذا اليوم باشر طرقتي شد الدواوين بعد موت جمال الدين الرحبي ، وباشر ولاية المدينة صارم الدين الجوكندار ، وخلع عليهما . ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان اجتمع القضاة وأعيان الفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقرئ عليهم كتاب من السلطان يتضمن منع الشيخ نقي الدين بن تيمية من الفنيا بمسألة الطلاق ، وانفصل المجلس على تأكيد المنع من ذلك . وفي يوم الجمعة تاسع شوال خطب القاضي صدر الدين الداراني عوضا عن بدر الدين ابن ناصر الدين بن عبد السلام ، بجامع جراح ، وكان فيه خطيبا قبله فتولاه بدر الدين حسن المقراني واستمر ولده في خطابة داريا التي كانت بيد أبيه من بعده . وفي يوم السبت عاشره خرج الركب وأميرهم عز الدين أيك المنصوري أمير علم ، وحجج فيها صدر الدين قاضي القضاة الحنفي ، وبرهان الدين بن عبد الحق ، وشرف الدين بن تيمية ، ونجم الدين الحميشي وهو قاضي الركب ، ورضي الدين المنطقي ، وشمس الدين بن الزرير خطيب جامع القبيبات ، وعبد الله بن رشيق المالكي وغيرهم . وفيها حج سلطان الاسلام الملك الناصر محمد بن قلاوون ومعه جمع كثير من الأمراء ، ووكيله كريم الدين وغفر الدين كاتب الماليك ، وكاتب السر ابن الأثير ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وصاحب حماة الملك عماد الدين ، والصاحب قيس الدين غبريال ، في خدمة السلطان وكان في خدمته خلق كثير من الأعيان .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين التتار بسبب أن ملكهم أباسعيد كان قد خلق ذرعا بجويان وهجز عن مسكه ، فانتدب له جماعة من الأمراء عن أمره ، منهم أبو يحيى خال أبيه ، ودقاق وقرشي وغيرهم

من أكابر الدولة ، وأرادوا كبس جويان فهرب وجاء إلى السلطان فأتهى إليه ما كان منهم ، وفي صحبته الوزير على شاه ، ولم يزل بالسلطان حتى رضى عن جويان وأمد بمجيش كثيف ، وركب السلطان معه أيضاً والتفوا مع أولئك فكسروهم وأسروهم ، وتحكم فيهم جويان فقتل منهم إلى آخر هذه السنة نحواً من أربعين أميراً .

ومن توفى فيها من الأعيان : (الشيخ المقرئ شهاب الدين)

أبو عبد الله الحسن بن سليمان بن خزاره بن بدر الكفرى الحنفى ، ولد تقريباً في سنة سبع وثلاثين وستائة . وسمع الحديث وقرأ بنفسه كتاب الترمذى ، وقرأ القراءات وتفرد بها مدة يستغل الناس عليه ، وجمع عليه السبع أكثر من عشرين طالباً ، وكان يعرف النحو والأدب وفنوناً كثيرة ، وكانت مجالسته حسنة ، وله فوائد كثيرة ، درس بالطراخانية أكثر من أربعين سنة ، وقاب في الحكم عن الأذرى مدة ولايته ، وكان خيراً مباركا أضرب في آخر عمره ، وانقطع في بيته ، مواعظاً على التلاوة والذكر وإقراء القرآن إلى أن توفى ثالث عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

وفي هذا الشهر جاء الخلب بموت :

(الشيخ الامام تاج الدين)

عبد الرحمن بن محمد بن أبى حامد التبريزى الشافعى المعروف بالأفضلى ، بعد رجوعه من الحج ببغداد في العشر الأول من صفر ، وكان صالحاً قصباً مباركا ، وكان ينكر على رشيد الدولة ويحط عليه ، ولما قتل قال كان قتله أضعف من قتل مائة ألف نصرانى ، وكان رشيد الدولة يريد أن يترضاه فلم يقبل ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، ولما توفى دفن بتربة الشونيزى ، وكان قد قارب الستين رحمه الله .

(محيى الدين محمد بن مفضل بن فضل الله المصرى)

كاتب ملك الأمراء ، ومستوفى الأوقاف ، كان مشكور السيرة محبباً للعطاء والصالحاء ، فيه كرم وخدمة كثيرة فتناس ، توفى في رابع عشرين من جمادى الأولى ودفن بتربة ابن حلال بسفح قاسيون وله ست وأربعون سنة ، وباشر بعده في وظيفته أمين الدين بن النحاس .

(الامير الكبير غرلوين عبد الله العادلى)

كان من أكابر الدولة ومن الامراء المتقدمين الأتوف ، وقد نال بمشقة عن أستاذه الملك العادل كتباً نحواً من ثلاثة أشهر في سنة خمس وسبعين وستائة ، وأول سنة ست وتسعين ، واستمر أميراً كبيراً إلى أن توفى في سابع جمادى الأولى يوم الخميس ودفن بتربة بشالى جامع المظفرى بقاسيون ، وكان شهياً شجاعاً فاصحاً للاسلام وأهله ، مات في عشر الستين .

﴿ الامير جمال الدين أقوش ﴾

الرحبي المنصوري ، والى دمشق مدة طويلة ، كان أصله من قرى إربل ، وكان نصرانيا فسيحاً وبيع من نائب الرحبة ، ثم انتقل إلى الملك المنصور فأعتقه وأمره ، وتولى الولاية بدمشق فمحوها من إحدى عشرة سنة ثم انتقل إلى شد البدواين مدة أربعة أشهر ، وكان محبوباً إلى العامة مدة ولايته .

﴿ الخطيب صلاح الدين ﴾

يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن المعتزل الحموي ، له تصانيف وفوائد ، وكان خطيب جامع السوق الأسفل بحماة ، وسمع من ابن طبرزد ، توفي في جمادى الآخرة .

﴿ العلامة غفر الدين أبو عمرو ﴾

عثمان بن علي بن يحيى بن حبة الله بن إبراهيم بن المسلم بن علي الأنصاري الشافعي المعروف بابن بنت أبي سعد المصري ، سمع الحديث وكان من بقايا العلماء ، ونائب في الحكم بالقاهرة ، وولى مكانه في ميعاد جامع طولون الشيخ علاء الدين القنوي شيخ الشيوخ ، وفي ميعاد الجامع الأزهر شمس الدين بن علان ، كانت وفاته ليلة الأحد الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، ودفن بمصر وله من العمر سبعون سنة .

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكنجي ، له زاوية بالحنينية يزار فيها ولا يخرج منها إلا إلى الجمعة ، سمع الحديث ، توفي يوم الثلاثاء بعد العصر السادس والعشرين من جمادى الآخرة ودفن من القند بزاويته المذكورة رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح المعمر الرحلة ﴾

عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل بن عطاء بن مبارك بن علي بن أبي الجيش المقدمي الصالح الملقب ، راوى صحيح البخاري وغيره ، وقد سمع الكثير من مشايخ عدة وترجمه الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه توفي ليلة السبت رابع عشر ذي الحجة ، وصلى عليه بعد الظهر في اليوم المذكور بالجامع المظفرى ، ودفن بالساحة بالقرب من تربة الوطنين ، وله أربع وسبعون سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وسبعائة ﴾

استهل وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها ، وكان السلطان في هذه السنة في الحج ، وعاد إلى القاهرة يوم السبت ثاني عشر المحرم ، ودقت البشائر ، ورجع الصاحب شمس الدين على طريق الشام وصحبته الأمير ناصر الدين الخازندار ، وعاد صاحب حماة مع السلطان إلى القاهرة ، وأنعم عليه السلطان ولقب بالملك المؤيد ، ورسم أن يحطب له على منابرها وأعمالها ، وأن يحطب بالتمام العالي

المولوى السلطانى الملكى المؤيدى ، على ما كان عليه عمه المنصور .

وفىها عمر ابن المرجانى شهاب الدين مسجد الخيف وأتفق عليه نحواً من عشرين ألفاً . وفى الحرم استقال أمين الدين من فطر طرابلس وأقام بالقنس . وفى آخر صفر بإشر نياية الحكم المالكي القافى شمس الدين محمد بن أحد القفصى ، وكان قد قدم مع قاضى القضاة شرف الدين من مصر . وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول ضربت عنق شخص يقال له عبد الله الرومى وكان غلاماً لبض التجار ، وكان قد لزم الجلع ، ثم ادعى النبوة واستتيب فلم يرجع فضربت عنقه وكان أشقر أزرق العينين جاهلاً ، وكان قد خالطه شيطان حسن له ذلك ، واضطرب عقله فى نفس الأمر وهو فى نفسه شيطان إنسى . وفى يوم الاثنين ثمانى ربيع الآخر عقد عقد السلطان على المرأة التى قسمت من بلاد القبحاق ، وهى من بنات الملوك ، وخلع على القافى بدر الدين ابن جماعة وكاتب السر وكرّم الدين وجماعة الأمراء ، ووصلت المساكر فى هذا الشهر إلى بلاد سويس وغرق فى بحر جاهان من عساكر طرابلس نحو من ألف فارس ، وجاءت مراسيم السلطان فى هذا اليوم إلى الشام فى الاحتياط على أخبار آل مهنا وإخراجهم من بلاد الاسلام ، وذلك لفضب السلطان عليهم لعدم قدوم والدم مهنا على السلطان . وفى يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الأولى درس بالركنية الشيخ محيى الدين الاسمر الحنفى وأخذت منه الجوهريه لشمس الدين البرقى الأهرج ، وتدرّس جامع القلعة لهام الدين بن محيى الدين الطرسوسى ، الذى ولى قضاء الحنفية بمد هذا ، وأخذ من البرقى إمامة مسجد نور الدين له بحارة اليهود ، ولهام الدين بن الكيال ، وإمامة الربوة للشيخ محمد الصبيحى . وفى جمادى الآخرة اجتمعت الجيوش الاسلاميه بأرض حاب نحواً من عشرين ألفاً ، عليهم كلهم نائب حلب الطنينا وفيهم نائب طرابلس شهاب الدين قرطبة ، فدخلوا بلاد الأرمن من اسكندرونة ففتحوا النغرم ثم حمدان ثم خاضوا جاهان ففرق منهم جماعة ثم سلم الله من وصلوا إلى سويس فحاصروها وضيقوا على أهلها وأحرقوا دار الملك التى فى البلد ، وقطعوا أشجار البساتين وساقوا الأبقار والجواميس والاغنام وكنكثوا فلولوا بطرسوس ، وخرّبوا الضياع والأماكن وأحرقوا الزروع ثم رجعوا فحاصروا النهر المذكور فلم يفرق منهم أحد ، وأخرجوا بعد رجوعهم مهنا وأولاده من بلادهم وساقوا خلفه إلى غانة وحديثة ثم بلغ الجيوش موت صاحب ميس وقيام ولده من بعده ، فشوا الفارات على بلاده وتابعوها وغنموا وأسروا إلا فى المرة الرابعة فانه قتل منهم جماعة .

وفى هذه السنة كانت وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين المسلمين والفرنج فصر الله المسلمين على أعدائهم فقتلوا منهم خمسين ألفاً وأسروا خمسة آلاف ، وكان فى جملة القتلى خمسة وعشرين ملكاً

من ملوك الافرنج، وغنموا شيئا كثيرا من الأموال، يقال كان من جملة ما غنموا سبعون قطارا من الذهب والفضة، وإنما كان جيش الاسلام يمتد ألفين وخمسمائة فارس غير الرماة، ولم يقتل منهم سوى إحدى عشر قتيلًا، وهذا من غريب ما وقع وعجيب ما سمع. وفي يوم الخميس تالي عشرين رجب عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقي الدين بن تيمية بمحضرة نائب السلطنة، وحضر فيه القضاة والمفتون من المذاهب، وحضر الشيخ وعاتبوه على العود إلى الافتاء بمسألة الطلاق ثم جلس في القاعة فبقى فيها خمسة أشهر وبثمانية عشر يومًا، ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وبعد ذلك بأربعة أيام أضيف شد الأوتاف إلى الأمير علاء الدين بن مسعود إلى ما بيده من ولاية البر وعزل بدر الدين المنكورسي عن الشام.

وفي آخر شعبان مسك الأمير علاء الدين الجاولي نائب غزة وحمل إلى الاسكندرية لأنه اتهم أنه يريد الدخول إلى دار الدين، واحتيط على حواصله وأمواله، وكان له بر وإحسان وأوقف، وقد بنى بفترة جامعا حسنا مليحا. وفي هذا الشهر أراق ملك التتر أبو سعيد الخوار وأبطل الخانات، وأظهر المدل والاحسان إلى الرعايا، وذلك أنه أصابهم برد عظيم وجاءهم سيل هائل فلجؤا إلى الله عز وجل، وابتلوا إليه فسلموا فتابوا وأتابوا وعلموا الظهير عقيب ذلك. وفي العشر الأول من شوال جرى الماء بالهر الكري الذي اشتراه كريم الدين بخمسة وأربعين ألفا وأجراه في جدول إلى جامعه بالقبيبات ففاض به الناس، وحصل به أنس إلى أهل تلك الناحية، ونصبت عليه الأشجار والبساتين، وحمل حوض كبير فجماع الجميع من الغرب يشرب منه الناس والدواب، وهو حوض كبير وحمل مطهرة، وحصل بذلك فزع كثير، ورفق زائد آتاه الله. وخرج الركب في حادي عشر شوال وأميره الملك صلاح الدين بن الأيوبي، وفيه زين الدين كتبنا الحاجب، وكمال الدين الزمكاني والقاضي شمس الدين بن المزمع، وقاضي حمة شرف الدين البازري، وقطب الدين ابن شيخ السلاية وبدر الدين بن المطار، وعلاء الدين بن غانم، وتور الدين السخاوي، وهو قاضي الركب. ومن المصريين قاضي الخنفية ابن الحريري، وقاضي الخناينة ومجد الدين حرعي والشرف عيسى المالكي، وهو قاضي الركب. وفيه كلمت عمارة الحمام الذي عمره الجييا غربي دار الطعام ودخله الناس.

وفي أواخر ذي الحجة وصل إلى دمشق من عند ملك التتر الخوارجه مجد الدين إسماعيل بن محمد ابن ياقوت السلاي، وفي صحبته هدايا وتحف لصاحب مصر من ملك التتر، وأشهر أنه إنما جاء ليصلح بين المسلمين والتتر، فتلقاء الجند والدولة، ونزل بدار السعادة يوما واحداً، ثم سار إلى مصر. وفيها وقف التتس بهرقات موقفا عظيما لم يهد مثله، أو من جميع أقطار الأرض، وكان مع

الراقين محامل كثيرة منها محل قوم ما عليه من الذهب واللاكي بألف ألف دينار مصرية ، وهذا أمر عجيب .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ إبراهيم الهنتاني ﴾

وكان قد أسن وعمر ، وكان يذكر أن عمره حين أخذت التتر بفساد أربعين سنة ، وكان يحضر الجمعة هو وأصحابه تحت قبة النسر ، إلى أن توفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الآخر بزأوته التي عند سوق الخليل بدمشق ، ودفن بها وله من العمر مائة وأربع سنين ، كما قال ، والله أعلم .

الشحام المقرئ شيخ ميعاد بن طاهر ، كان شيخاً حسناً هياً مواظباً على تلاوة القرآن إلى أن توفي في ليلة توفي الهنتاني المذكور أو قبله بليلة رحمهما الله .

﴿ الشيخ فحس الدين ابن الصائغ القنوي ﴾

هو أبو عبد الله محمد بن حسين بن سباع بن أبي بكر الجندابي المصري الأصل ، ثم انتقل إلى دمشق ، وله تقريباً سنة خمس وأربعين وسبعمائة بمصر ، وسمع الحديث وكان أديباً فاضلاً بارعاً بالنظم والنثر ، وعلم العروض والبدعي والنحو والفن ، وقد اختصر صحاح الجوهري ، وشرح مقصورة ابن دريد ، وله قصيدة ثاقبة تشتمل على ألني بيت فأكثر ، ذكر فيها العلوم والصنائع ، وكان حسن الأخلاق لطيف المحاورة والمحاضرة ، وكان يسكن بين درب الحبالين والفراش عند بستان القط توفي بداره يوم الاثنين ثالث شعبان ودفن بباب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ﴾

استهات وحكام البلاد هم المذكورون في لاقى قبلها . وفي أول يوم منها فتح حمام الزيت التي في رأس درب الحجير ، جدد عمارته رجل ساوي بمد ما كان قد درس وذر من زمان الخوارزمية من نحو ثمانين سنة ، وهو حمام جيد متسع . وفي سادس المحرم وصلت هدية من ملك التتار أبي سعيد إلى السلطان صناديق ونحف ودقيق . وفي يوم عاشوراء خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية من القلعة بمرسوم السلطان وتوجه إلى داره ، وكانت مدة إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً رحمه الله . وفي رابع ربيع الآخر وصل إلى دمشق القاضي كريم الدين وكيل السلطان قنزل بدار السعادة وقدم القاضي القاضي تقي الدين من عوض الحاكم الحنبلي بمصر وهو فاطر الخزانة أيضا ، قنزل بالمادلية الكبيرة التي لشافية ، فأقام بها أياماً ، ثم توجه إلى مصر : جاء في بعض أشغال السلطان وزار القدس . وفي هذا الشهر كان السلطان قد حفر بركة قريبا من الميدان وكان في جوارها كنيسة فأمر الوالي بهدمها ، فلما همت تسلط الحرافيش وغيرهم على الكنائس بمصر يهدمون ما قنزلوا عليه ،

فانزعج السلطان لذلك وسأل القضاة ماذا يجب على من تعاملت ذلك منهم ؟ فقالوا يمز ، فأخرج جماعة من السجن ممن وجب عليه قتل قطع و صلب و حرم و عقاب ، ومها أنه إنما عاقب من تعاملت بخريب ذلك ، فسكن الناس وأمنت النصارى وظهروا بعد ما كانوا قد اختفوا أيما . وفيه ثارت الحرامية ببغداد ونهبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر ، فثار الناس وراهم وقتلوا منهم قريبا من مائة وأسروا آخرين .

قال الشيخ علم الدين البرزالي ومن خطه قلت : وفي يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى خرج القضاة والأعيان والمفتين إلى القابون ووقفوا على قبلة الجامع الذي أمر بينائه القاضي كريم الدين وكيل السلطان بالمكان المذكور ، وحرروا قبلته وأثقفوا على أن تكون مثل قبلة جامع دمشق . وفيه وقعت مراجعة من الأمير جويان أحد المقدمين الكبار بدمشق ، وبين نائب السلطنة تنكز ، فسك جويان ورفع إلى القلعة ليلتان ، ثم حول إلى القاهرة فموت في ذلك ، ثم أعطى خبزا يليق به . وذكر علم الدين أن في هذا اليوم وقع حريق عظيم في القاهرة في الدور الحسنة والأماكن المليحة المرتفعة ، وبض المساجد ، وحصل للناس مشقة عظيمة من ذلك ، وقتلوا في الصلوات ثم كشفوا عن القضية فإذا هو من قبل النصارى بسبب ما كان أحرق من كنائسهم وهدم ، قتل السلطان بعضهم وأثم النصارى أن يلبسوا الزرقاء على رؤسهم ويأبهم كلها ، وأن يحموا الأجراس في الحمامات ، وأن لا يستخفوا في شيء من الجهات ، فسكن الأمر وبطل الحريق .

وفي جمادى الآخرة خرب ملك التتار أبو سعيد البازار وزوج الخواطة وأراق الخور وعاقب في ذلك أشد العقوبة ، وفرح المسلمون بذلك ودعوا له رحمه الله وسأله . وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقيمت الجمعة بجامع القصب وخطب به الشيخ علي المناخلي . وفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة فتح الحمام الذي أنشأ تنكز نجاه جامعه ، وأكرى في كل يوم بأربعين درهما لحسنه وكثرة ضوئه وريحته . وفي يوم السبت تاسع عشر رجب خربت كنيسة القرائين التي نجاه حارة اليهود بعد إيلت كونها بمحنة وجاءت المراسم السلطانية بذلك . وفي أواخر رجب نفنت الهدايا من السلطان إلى أبي سعيد ملك التتار ، بحبة الخواجا محمد الدين السلاحي ، وفيها خمسون جملا وخيول وحمار عتاي . وفي منتصف رمضان أقيمت الجمعة بالجامع الكرعي بالقابون وشهدها يومئذ القضاة والصاحب وجماعة من الأعيان . قال الشيخ علم الدين : وقدم دمشق الشيخ قوام الدين أمير كاتب ابن الأمير العميد عمر الأكفاني القازاني ، مدرس مشهد الامام أبي حنيفة ببغداد ، في أول رمضان ، وقد حج في هذه السنة وتوجه إلى مصر وأقام بها أشهرا ثم مر بدمشق متوجها إلى بغداد فنزل بالخانوية الحنفية ، وهو ذو فنون ويبحث وأدب وقته . وخرج الراكب الشامي يوم الاثنين عاشر

شوال وأميره شمس الدين حمزة التركاني ، وقاضيه نجم الدين القهشقي . وفيها حج تسكر نائب الشام
وفي محبته جماعة من أهله ، وقدم من مصر الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب لينوب عنه إلى أن
يرجع ، فقتل بالنجبية البرانية .

ومن حج فيها الخطيب جلال الدين القزويني وعز الدين حمزة بن القلانسي ، وابن المز شمس
الدين الحنفي ، وجلال الدين بن حسام الدين الحنفي ، وبهاء الدين بن علي ، وعلم الدين البرزالي
ودرس ابن جماعة بزاية الشافعي يوم الأربعاء ثامن عشر شوال عوضا عن شهاب الدين أحمد بن
محمد الأنصاري لسوء تصرفه ، وخلف على ابن جماعة ، وحضر عنده من الأعيان والعامة ما نشأ به
جمعية الجمعة وأشملت له مجموع كثيرة وفرح الناس بزوال المزل .

قال البرزالي ومن خطه قلت : وفي يوم الأحد سادس عشر شوال ذكر المدرس الامام العلامة
نقي الدين السبكي المحدث بالمدرسة المكارية عوضا عن ابن الأنصاري أيضا ، وحضر عنده جماعة
منهم القنوي ، وروى في المدرس حديث المتبايعين بالخيار ، عن قاضي القضاة ابن جماعة وفي شوال
عزل علاء الدين بن معبد عن ولاية البرز وشهد الاوقاف ، وتولى ولاية الولاية بالبلاد القبلية بموران
عوضا عن بكتمر لسفره إلى الحجاز ، وبشر أخوه بدر الدين شد الاوقاف ، والامير علم الدين الطرقي
ولاية البرم شد الدواوين ، وتوجه ابن الأنصاري إلى حلب متوليا وكالة بيت المال عوضا عن
ناصر الدين أخي شرف الدين يعقوب ناظر حلب ، بحكم ولاية التاج المذكور نظر الكرك .

وفي يوم عيد النضر ركب الامير تيمورلش بن جوهان نائب أبي سعيد على بلاد الروم في
قيسارية في جيش كثيف من التتار والتركمان والقرمان ، ودخل بلاد سيس قتل وسبي وحرق
وخرب ، وكان قد أرسل لنائب حلب العتيقا ليجهز له جيوشا ليكونون عونا له على ذلك ، فلم يمكنه
ذلك بفير مرموم السلطان .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الصالح المقرئ ﴾

بقية السلف عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الواحد بن علي
القرشي الخزومي الدلاصي شيخ الحرم بمكة ، أتم فيه أزيد من ستين سنة ، يقرأ الناس القرآن
احتسابا ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع عشر من محرم بمكة ، وله أزيد من تسعين سنة رحمه الله .

﴿ الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الحمداني ، أبوه الصلحي المروفي بالسكاكيني ، ولد سنة خمس
وثلاثين وستة بالمصالية ، وقرأ بالروايات ، واشتغل في مقعة في النحو ، ونظم قويا وممع الحديث ،
وخرج له الفخر ابن البعلبكي جزءا عن شيوخه ، ثم دخل في التشيع قرأ على أبي صالح الحلبي شيخ

الشيمة ، ومحجب عدنان وقرأ عليه أولاده ، وطلبه أمير المدينة النبوية الأمير منصور بن حاد فأقام عنده نحواً من سبع سنين ، ثم عاد إلى دمشق وقد ضف وقفل معه ، وله سؤال في الخبر أجابه به الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكل فيه عنه غيره ، وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة فنهله تقي الدين السبكي لما قدم دمشق قاصياً ، وكان بخطه ، ولما مات لم يشهد جنازته القاضي شمس الدين ابن مسلم . توفي يوم الجمعة سادس عشر صفر ، ودفن بسفح قاسيون ، وقتل ابنه قياز على قذفه أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضى الله عنهم وقبح قاذفون .

وفي يوم الجمعة مسهل رمضان صلى بدمشق على غائبين وهم الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الأصهباني ، توفي بمكة ، وعلى جماعة توفوا بالمدينة النبوية منهم عبد الله بن أبي القاسم بن فرحون مدرس المالكية بها ، والشيخ يحيى الكردي ، والشيخ حسن المغربي السقا .

﴿الشيخ الامام العالم علاء الدين﴾

علي بن سعيد بن سالم الأنصاري ، إمام مشهور على من جامع دمشق ، كان بشوش الوجه متواضعا حسن الصوت بالقراءة ملازماً لأقراء الكتاب العزيز بالجامع ، وكان يؤم نائب السلطنة وهذه العلامة ، بهاء الدين محمد بن علي مدرس الأينية ، ومحتسب دمشق . توفي ليلة الاثنين رابع رمضان ودفن بسفح قاسيون .

﴿الامير حاجب الحجاب﴾

زين الدين كتبغا المنصوري ، حاجب دمشق ، كان من خيار الأمراء وأكثرهم برّاً فقراء ، يحب الخلق والمواعيد والمواليد ، وسماح الحديث ، ويلزم أهله ويحسن إليهم ، وكان ملازماً لشيخنا أبي العباس ابن تيمية كثيراً ، وكان يهجع ويتصدق ، توفي يوم الجمعة آخر النهار ثامن عشر شوال ، ودفن من القند بقرنته قبل القيبيات ، وشهده خلق كثير وأثنوا عليه رحمه الله .

والشيخ بهاء الدين ابن المقدسي والشيخ سعد الدين أبي زكريا يحيى المقدسي ، والد الشيخ شمس الدين محمد بن سعد المحدث المشهور . وسيف الدين الناسخ المنادي على الكتب . والشيخ أحمد الحرام المقرئ على الجنائز ، وكان يكرر على التنبيه ، ويسأل عن أشياء منها ما هو حسن ومنها ما ليس بحسن .

﴿ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة﴾

استهلت وأرباب الولايات هم المذكورون في التي قبلها ، سوى والي البر بدمشق فإنه علم الدين طرقيش ، وقد صرف ابن معبد إلى ولاية حوران لشهامته وصرامته وديانته وأمانته . وفي الحرم حصلت زلزلة عظيمة بدمشق ، وفي الله شرها ، وقدم تنكز من الحجاز ليلة الثلاثاء حادي عشر الحرم ، وكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر ، وقدم ليلاً ثلاثاً يتكلف أحد لقدمه ، وسافر نائب النية عنه قبله بيومين

لثلا يكلفه هدية ولا غيرها ، وقدم مغلطاي عبد الواحد الجحدار أحد الأمراء بمصر بخمسة سنية من السلطان لتسكن فليسها وقبل العتية على العادة ، وفي يوم الأربعاء سادس صفر درس الشيخ نجم الدين التتجازي بالظاهرية للحنيفة ، وهو خطيب جامع تنكز ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، ودرس في قوله تعالى (إن الله يأمرك أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وذلك بعد وفاة القاضي قيس الدين بن العز الحنفي ، توفي مرجعه من الحجاز ، وتولى بعده نيابة القضاء عماد الدين الطرسوسي ، وهو زوج ابنته ، وكان ينوب عنه في حال غيبته ، فاستمر بعده ، ثم ولي الحكم بعده ، مستنبيه فيها . وفيه قلم الخوارزمي حاجبا عوضاً عن كتبها ، وفي ربيع الأول قدم إلى دمشق الشيخ قوام الدين مسمود بن الشيخ برهان الدين محمد بن الشيخ شرف الدين محمد السكرماني الحنفي ، فترى بالقضاة وتردد إليه الطلبة ودخل إلى نائب السلطنة واجتمع به وهو شاب مولده سنة إحدى وسبعين وقد اجتمعت به ، وكان عنده مشاركة في الفروع والأصول ودعواه أوسع من محصوله ، وكانت لأبيه وجهه مصنفات ، ثم صار بعد مدة إلى مصر ومات بها كما سيأتي .

وفي ربيع الأول تكامل فتح إياس ومعاملتها واقتراعها من أيدي الأرمن ، وأخذ البرج الأطلس وبينه وبينها في البحر رمية ونصف ، فأخذته السلطنة بأذن الله وخربوه ، وكانت أبوابه مطلية بالحديد والرصاص ، وعرض سورة ثلاثة عشر ذراعاً بالنجار ، وغتم السلطنة فغنائم كثيرة جداً ، وحاصروا كواره قوى عليهم الحر والقياب ، فرسم السلطان بودوم ، فخرقوا ما كان معهم من المجانيق وأخذوا حديدتها وأقبلوا سائرين غائمين ، وكان معهم خلق كثير من المتطوعين . وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى كسل بسط داخل الجامع فاقسح على الناس ، ولكن حصل حرج بحمل الأمتعة على خلاف العادة ، فان الناس كانوا يعمرون وسط الرواق ويخرجون من باب البرادة ، ومن شاء استمر يمشي إلى الباب الآخر بنعليه ، ولم يكن ممنوعاً سوى المقصورة لا يمكن أحد الدخول إليها بالمداست ، بخلاف باقي الرواق ، فأمر نائب السلطنة بتكليل بسطه بإشارة فافتره ابن مراحيل . وفي جمادى الآخرة رجعت العساكر من بلاد سييس ومقدمهم أقوش نائب الكرك . وفي آخر رجب بشر القاضي محي الدين بن إسماعيل بن جبيل نيابة الحكم عن ابن مصري عوضاً عن الداراني الجعفري ، واستغنى الداراني بمخطبة جامع النقيب عنها . وفي ثالث رجب ركب نائب السلطنة إلى خدمة السلطان فأكرمه وخلف عليه ، وعاد في أول شعبان ففرح به الناس . وفي رجب كملت عمارة الحمام الذي بناه الأمير علاء الدين بن صبيح جوار داره شمال الشامية البرانية . وفي يوم الاثنين طمع شعبان عقد الأمير سيف الدين أبو بكر بن أرغون نائب السلطنة عقده على ابنة التناصر ، وختن في هذا اليوم جماعة من أولاد الأمراء بين يديه ، ومد مطاطاً عظيماً ، ونثرت

النفضة على رؤس المطهرين ، وكان يوما مشهوداً ، ورسم السلطان في هذا اليوم وضع المكس عن الماء كولات بمكة ، وعوض صاحبها عن ذلك بإقطاع في بلد الصعيد .

وفي أواخر رمضان كانت عمارة الحمام الذي بناه بهاء الدين بن عليم بزنق الماحية من قاسيون بالقرب من مكته ، وانتفع به أهل تلك الناحية ومن جاوهم . وخرج الراكب الشامي يوم الخميس ثامن شوال وأميره سيف الدين بلبلطى نائب الرحبة ، وكان سكنه داخل باب الجابية بدرب ابن صبرة ، وقاضيه قس الدين بن النقيب قاضي حصص .

وعن توفى فيها من الاعيان ﴿ القاضي قس الدين بن المز الحنفي ﴾

أبو عبد الله محمد بن الشيخ شرف الدين أبي البركات محمد بن الشيخ عز الدين أبي المز صالح بن أبي المز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن كلب بن وهيب الأذري الحنفي ، أحد مشايخ الحنفية وأئمتهم وفضلائهم في فنون من العلوم متعددة ، حكم نيابة نحواً من عشرين سنة ، وكان سديد الأحكام محمود السيرة جيد الطريقة كريم الأخلاق ، كثير البر والصلة والاحسان إلى أصحابه وغيرهم ، وخطب في جامع الأفرم مدة ، وهو أول من خطب به ، ودرس بالمظمية والبيمورية والقليجية والظاهرية ، وكان ناظر أوقافها ، وأذن للناس بالافتاء ، وكان كبيراً معظماً مهيئاً ، توفي بعد مرجه من الحج بأيام قلائل ، يوم الخميس صاخر الحرم ، وصلى عليه يومئذ بعد الظهر بجامع الأفرم ودفن عند المظمية عند آثاره ، وكانت جنازته حافلة ، وشهد له الناس بالخير وغبطوه لهذه المنة رحمه الله . ودرس بعده في الظاهرية نجم الدين الفتجazy ، وفي المظمية والقليجية والخطابة بالأفرم ابنه علاء الدين ، وباشر بعده نيابة الحكم القاضي عماد الدين الطرسوسى ، مدرس القلعة .

﴿ الشيخ الامام العالم ﴾

بقية السلف رضى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم العبرى المكي الشافعى ، إمام المقام أكثر من خمسين سنة ، سمع الحديث من شيوخ بلده والواردين إليها ولم يكن له رحلة ، وكان يقضى الناس من مدة طويلة ، ويذكر أنه اختصر شرح السنة للبقوى ، توفي يوم السبت بعد الظهر ثامن ربيع الأول بمكة ، ودفن من القند ، وكان من أئمة المشايخ .

﴿ شيخنا العلامة الزاهد الورع ﴾

بقية السلف ركن الدين أبو يحيى ذكرى بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي الشافعى ، نائب الخطابة ، ومدرس الطيبة والأُسدية ، وله حلقة للاشتغال بالجامع ، يحضر بها عنده الطلبة ، كان يشتغل في الفرائض وغيرها ، مواظباً على ذلك ، توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى عن سبعين سنة ، ودفن قريباً من شيخه تاج الدين الفزاري رحمه الله .

﴿ نصير الدين ﴾

أبو محمد عبد الله بن وجيه الدين أبي عبد الله علي بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي ابن محمد بن أبي بكر الزبي التتالي التكري أحد صدور دمشق ، قدم أبوه قبله إليها وعظم في أيام انظاره وقبله ، وكان مولده في حدود خمسين وسنة ، ولهم الأموال الكثيرة والنعمة الباذخة ، توفي يوم الخميس عشرين رجب ، ودفن بقرينهم بسفح قاسيون رحمه الله . وفي يوم الأحد حادى عشر شوال توفي .

﴿ خمس الدين محمد بن المغربي ﴾

التاجر السفار ، بائي خان الصنمين الذي على جادة الطريق للسبيل رحمه الله وتقبل منه ، وهو في أحسن الأماكن وأفضها .

﴿ الشيخ الجليل الزاهد ﴾

نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن إسماعيل القرشي المعروف بابن عنقود المصري ، كانت له وجهة وإقدام على الدولة ، توفي بكرة الجمعة ثالث عشرين شوال ، ودفن بزوايته ، وقام بعده فيها ابن أخيه

﴿ خمس الدين محمد بن الحسن ﴾

ابن الشيخ الفقيه محيي الدين أبو الهدي أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وسنة فأنجمه أبوه على المشايخ وقرأ القرآن واشتغل بالفقه وكان يفسح ويكثر التلاوة ويحضر المدارس والسبع الكبير ، توفي في صابع عشرين شوال ، ودفن عند والده بمقابر باب الفراديس

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود بن محمد العقيل المعروف بابن التلانس ، ولد سنة أربع وخمسين وسنة ، وجمع على ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة ، ورواه غير مرة ، وجمع على غيره أيضاً ، واشتغل بصناعة الكتابة والانشاء ثم انقطع وترك ذلك كله وأقبل على العبادة والزهادة ، وبقي له الأمراء بمصر زوايا وترددوا إليه ، وكان فيه بشاشة وفصاحة ، وكان قهيل السبع ، ثم انتقل إلى القدس وقدم دمشق مرة فاجتمع به الناس وأكرموه ، وحدث بها ثم عاد إلى القدس وتوفي بها ليلة الأحد ثالث ذى القعدة ، ودفن بمقابر مامل رحمه الله ، وهو خال المحتسب عز الدين بن التلانس ، وهذا خال الصاحب تقي الدين بن مراحل .

﴿ الشيخ الامام قطب الدين ﴾

محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السبيل المصري ، اختصر الروضة وصف كتاب التعجيز ودرس بالفاضلية وناب في الحكم بمصر ، وكان من أميلان الفقهاء ، توفي يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة عن سبعين سنة ، وحضر بعده تدريس الفاضلية ضياء الدين المنادي ، نائب الحكم بالقاهرة

وحضر عنده ابن جماعة ، والاعيان والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الأحد في كانون الأصم ، والحكماء المذكورون في التي قبلها ، غير أن وإلى البر بدمشق هو الأمير علاء الدين علي بن الحسن المرواني ، بإشرافه في صفر من السنة الماضية . وفي صفر من هذه السنة بإشراف ولاية المدينة الأمير شهاب الدين بن برق عوضاً عن صارم الدين الجوكنداري وفي صفر عوف القاضي كريم الدين وكيل السلطان من مرضى كان قد أصابه ، فزيت القاهرة وأشعلت الشموع وجمع الفقراء بالارستان المنصوري ليأخذوا من صدقته ، فأت بهم من الزحام في سلخ ربيع الأول ، ودرس الامام العلامة الحديث في الدين السبكي الشافعي بالمنصورية بالقاهرة عوضاً عن القاضي جمال الدين الزرعي ، بمقتضى انتقاله إلى دمشق ، وحضر عنده علاء الدين شيخ الشيوخ القنوي الشافعي عوضاً عن النجم ابن مصري ، في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ، قتل العادلية وقد قدم على القضاة ومشيخة الشيوخ وقضاة العساكر وتدريس العادلية والفرزية والالابكية . وفي يوم الأحد مسك القاضي كريم الدين بن عبد الكريم بن هبة الله بن الشديد وكيل السلطان وكان قد بلغ من المنزلة والمكانة عند السلطان ما لم يصل إليه غيره من الوزراء الكبار ، واحتيط على أمواله وحواصله ، ورسم عليه عند نائب السلطنة ، ثم رسم له أن يكون بترتبه التي بالترافة ، ثم نفى إلى الشوبك وأنهم عليه بشئ من المال ، ثم أذن له بالاقامة بالقصر الشريف برباطه . ومسك ابن أخيه كريم الدين الصغير فاطر الدواوين ، وأخذت أمواله وحبس في البرج ، وفرح العامة بذلك ودعوا للسلطان بسبب مسكهما ، ثم أخرج إلى صفت . وطلب من القنص أمين الملك عبد الله فولى الوزارة بمصر ، وخلع عليه عوداً على يده ، وفرح العامة بذلك وأشعلوا له الشموع ، وطلب صاحب بدر الدين غيريل من دمشق فركب ومعه أموال كثيرة ، ثم خول أموال كريم الدين الكبير ، وعاد إلى دمشق مكراً ، وقدم القاضي معين الدين بن الحشيشي على نظر الجيوش الشامية عوضاً عن القنص بن شيخ السامية عزل عنها ، ورسم عليه في المنراوية نحواً من عشرين يوماً ثم أذن له في الانصراف إلى منزله مصر وفاً عنها .

وفي جمادى الأولى عزل طرقتي عن شد الدواوين وتولاها الأمير بكتمر . وفي ثاني جمادى الآخرة بإشراف ابن جليل نيابة الحكم عن الزرعي ، وكان قد بإشرافها بألم نظر الانتم عوضاً عن ابن هلال . وفي شعبان أعيد الطرقتي إلى شد وسافر بكتمر إلى نيابة الاسكندرية ، وكان بها إلى أن توفي . وفي رمضان قدم جماعة من حجاج للشرق وفيهم بنت الملك أبنابن هولاًكو ، وأخت أرغون وعمه قازان وخر بندا ، فأكرمت وأزلت بالقصر الألبق ، وأجريت عليها الاطعام والنفقات

إلى أوان الحج ، وخرج الركب يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطلجا الابو بكرى ، الذى بالقصاعين وقاضى الركب شمس الدين قاضى القضاة ابن مسلم الخنبلى ، وحج معهم جمال الدين المزى ، وعماد الدين ابن الشيرجى ، وأمين الدين الزواق ، وغفر الدين البعلبكي ، وجماعة ، وفوض الكلام فى ذلك إلى شرف الدين بن مسد الدين بن نجيج . كذا أخبرنى شهاب الدين الظاهرى . ومن المصريين قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وولده عز الدين وغفر الدين كاتب الماليك ، وفهس الدين الحارثى ، وشهاب الدين الأذرى ، وعلاء الدين الفارسى .

وفى شوال باشر تقي الدين السبكي مشيخة دار الحديث الظاهرية بالقاهرة بعد زكى الدين المتادى ويقال له عبد العظيم بن الحافظ شرف الدين الدميلى ، ثم انتزعت من السبكي لفتح الدين بن سيد الناس البعمرى ، باشرها فى ذى القعدة . وفى يوم الخميس منهل ذى الحجة خلع على قطب الدين بن شيخ السلامة وأعيد إلى نظر الجيش مصاحباً لمعين الدين بن الحشيشى ، ثم بعد مدة بمدينة استقل قطب الدين بالنظر وحده وعزل ابن حشيش .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الامام المؤرخ كمال الدين القوطى ﴾

أبو الفضل عبد الرزاق أحمد بن محمد بن أحمد بن القوطى عمر بن أبى المال الشيبانى البغدادى ، المعروف بابن القوطى ، وهو جده لأمه ، ولد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ببغداد ، وأسر فى واقعة التتار ثم تخلص من الأسر ، فكان مشاركاً على الكتب بالمستنصرية ، وقد صنف تاريخاً فى خمس وخمسين مجلداً ، وآخر فى نحو عشرين ، وله مصنفات كثيرة ، وشرح حسن ، وقد سمع الحسن من محيى الدين بن الجوزى ، توفى ثالث المحرم ودفن بالشونيزية .

﴿ قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى ﴾

أبو العباس أحمد بن العدل عماد الدين بن محمد بن العدل أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين أبى المواهب بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن مصرى التخللى الربى الشافى قاضى القضاة بالشام ، ولد فى ذى القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل وكتب عن القاضى شمس الدين بن خلكان وفيات الأعيان ، وصحها عليه ، وفتحه بالشيخ تاج الدين الفزارى ، وعلى أخيه شرف الدين فى النحو ، وكان له يد فى الانشاء وحسن العبارة ، ودرس بالمادلية الصغيرة سنة ثنتين وثمانين ، وبالأمينية سنة تسعين ، وبالنزالية سنة أربع وتسعين ، وتولى قضاء العساكر فى دولة العادل كتبنا ، ثم تولى قضاء الشلم سنة ثنتين وسبعمائة ، بعد ابن جماعة حين طلب لقضاء مصر ، بعد ابن دقيق العيد . ثم أضيف إليه مشيخة الشيوخ مع تدريس المادلية والنزالية والا تايكية ، وكلها مناصب دنيوية

انسلخ منها وانسلخت منه ، ومضى عنها وتركها لغيره ، وأكبر أمنيته بمدة وفاته أنه لم يكن نولها
وهي متاع قليل من حبيب مفارق ، وقد كان رئيسا محققا وقورا كريما جيل الاخلاق ، مظلما
عند السلطان والهولة ، توفي فجأة ببستانه بالسهم ليلة الخميس سادس عشر ربيع الأول وصلى عليه
بالجامع المظفرى ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة والأمرء والأعيان ، وكانت جنازته حافلة
ودفن بقرية بهم عند الركنية . ﴿ علاء الدين على بن محمد ﴾

ابن عثمان بن أحمد بن أبى للمنى بن محمد بن نحلة الدمشقى الشافى ، ولد سنة ثمان وخمسين وسبعمائة
وقرأ الحرر ، ولزم الشيخ زين الدين القارقي ودرس بالهولمية والركنية ، وناظر بيت المال ، وأبغى
داراً حسنة إلى جانب الركنية ، ومات وتركها في ربيع الأول ، ودرس بمسجد الهولمية القاضي
جمال الدين ابن حجة ، وبالركنية القاضي ركن الدين الخراسانى .

وفي ربيع الاول قتل . ﴿ الشيخ ضياء الدين ﴾

عبد الله الزربندى النحوى ، كان قد اضطرب عقله فسافر من دمشق إلى القاهرة فأشار شيخ
الشيوخ القونوى فأودع بالمراستنان فلم يوافق ثم دخل إلى القلعة ويده سيف مسلول قتل نصرانيا ،
فحمل إلى السلطان وثلثوه جاسوساً فأمر بشنقه فشنق ، وكنت عن اشتغل عليه في النحو .

﴿ الشيخ الصالح المقرئ الفاضل ﴾

شهاب الدين أحمد بن الطبيب ابن عبيد الله الحلى المزبى الفوارسى المعروف بابن الحلبية ،
مع من خطيب مراد ابن عبد القاهم ، واشتغل وحصل وأقرأ الناس ، وكانت وفاته في ربيع الاول
عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بالسفح .

﴿ شهاب الدين أحمد بن محمد ﴾

ابن قطبية الدرعى الناجر المشهور بكثرة الاموال والبضائع والمتاجر ، قيل بلغت زكاة ماله في
سنة تازان خمسة وعشرين ألف دينار ، وتوفي في ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بقرية التى
بباب بستانه المسى بالمرغ عند ثورا ، في طريق القابون ، وهي تربة هائلة ، وكانت له أملاك .

﴿ القاضي الامام جمال الدين ﴾

أبو بكر بن عباس بن عبد الله الخابورى ، تلمذ بمليك ، وأكبر أصحاب الشيخ تاج الدين
الفرارى ، قدم من بمليك ليلتقى بالقاضى الدرعى فأتى بالمدرسة البادرانية ليلة السبت سابع جمادى
الاولى ودفن بقاسيون ، وله من العمر سبعون سنة أضفحت حلم .

﴿ الشيخ الممر المسن جمال الدين ﴾

عمر بن الياس بن الرشيد البعلبكي الشاجر ، ولد سنة ثنتين وسبعمائة وتوفي في ثمانى عشر

جمادى الأولى عن مائة وعشرين سنة ، ودفن بمطحا رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام المحدث القنوي المفيد ﴾

صفي الدين أبو التثاء محمود بن أبي بكر بن محمد الحسني بن يحيى بن الحسين الارموي ، الصوفي ، ولد سنة ست وأربعين ومائة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وكتب الكثير ، وذبل على التهاية لابن الأثير ، وكان قد قرأ التنبيه واشتغل في الفقه فحصل منها طرفاً جيداً ، ثم اضطرب عقله في سنة سبع وسبعين وغلبت عليه السوداء ، وكان يفتق منها في بعض الأحيان فينذاكر محبها ثم يمترضه المرض المذكور ، ولم يزل كذلك حتى توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة في المارستان النوري ، ودفن بباب الصغير .

﴿ الخاتون المصونة ﴾

خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل ابن العادل بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي بدارها . وتعرف بدار كافور ، كانت رئيسة محترمة ، ولم تتزوج قط ، وليس في طبقها من بنى أيوب غيرها في هذا الحين ، توفيت يوم الخميس الحادي والعشرين من شعبان ، ودفنت بتربة أم الصالح رحمها الله .

﴿ شيخنا الجليل السند الممر الرحلة ﴾

بهاء الدين أبو القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر بن نجم الدين بن أبي التثاء محمود ابن الامام تاج الأمناء أبي الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر دمشق الطبيب الممر ، ولد سنة تسع وعشرين ومائة ، سمع حضوراً وسماعاً على الكثير من المشايخ ، وقد خرج له الحافظ علم الدين البرزالي مشيخة معتمداً عليها في سنة وفاته ، وكذلك خرج له الحافظ صلاح الدين العلائي عوالى من حديثه ، وكتب له المحدث المفيد ناصر الدين بن طبر بك مشيخة في سبع مجلدات تشتمل على خمسمائة وسبعين شيخاً ، سماعاً وإجازة ، وقرئت عليه فسمعها الحافظ وغيرهم . قال البرزالي : . وقد قرأت عليه ثلاثاً وعشرين مجلداً بمنجف المكررات . ومن الأجزاء خمسمائة وخمسين جزءاً بالمكررات . قال : وكان قد اشتغل بالطب ، وكان يمالج الناس بنير أجرة ، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والحكايات والأشعار ، وله نظم ، وخدم من عدة جهات الكتابة ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وإسماع الحديث ، وتفرغ في آخر عمره في أشياء كثيرة ، وكان سهلاً في التسميع ، ووقف آخر عمره دار حديث ، وخص الحافظ البرزالي والمزى بشيء من بره ، وكانت وفاته يوم الاثنين وقت الظهر خلص وعشرين شعبان ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

﴿ الوزير ثم الأمير نجم الدين ﴾

محمد بن الشيخ نجر الدين عثمان بن أبي القاسم البصر اوى الحنفي ، درس بصرى بعد عمه القاضي صدر الدين الحنفي ، ثم ولي الحسبة بدمشق ونظر الخزانة ، ثم ولي الوزارة ، ثم سأل الإقالة

منها فموض يلمر به عشرة عنها باقطاع هائل ، وعومل في ذلك معاملة الوزراء في حرمة ولبسته ، حتى كانت وفاته يبصر يوم الخميس ثامن عشرين شعبان ، ودفن هناك ، وكان كريماً ممدحاً وهاباً نهياً كثير الصدقة والاحسان إلى الناس ، ترك أموالاً وأولاداً ثم تقاتوا بهم بعده وتفرقت أمواله ، ونكحت نسأؤه وسكنت منازلهم .

﴿ الأمير صارم الدين بن قراستقر الجوكندار ﴾

مشد الخالص ، ثم ولي بدمشق ولاية ثم عزل عنها قبل موته بستة أشهر ، توفي تاسع رمضان ودفن بترابته المشرفة المبيضة شرق مسجد التارخ كان قد أعدها لنفسه .

﴿ الشيخ أحمد الأعقف الحريري ﴾

شهاب الدين أحمد بن حامد بن سعيد التنوخي الحريري ، ولد سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، واشتغل في صباه على الشيخ تاج الدين الفزاري في التنبيه ، ثم صحب الحريرية وخدمهم ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن إسرائيل ، وسمع الحديث ، وحج غير مرة ، وكان مليح الشكل كثير التودد إلى الناس ، حسن الأخلاق ، توفي يوم الأحد ثالث عشرين رمضان بزاويته بالمرّة ، ودفن بمقبرة المرّة ، وكانت جنازته حافلة .

وفي يوم الجمعة ثامن عشرين رمضان صلى بدمشق على غائب وهو الشيخ هارون المقدسي توفي ببعلبك في العشر الأخير من رمضان ، وكان صالحاً مشهوراً عند الفقهاء . وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة توفي .

﴿ الشيخ المقرئ أبو عبد الله ﴾

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عصر الأنصاري القصري ثم السبكي بالقدس ، ودفن بما ملئ ، وكانت له جنازة حافلة حضرها كريم الدين والناس مشاء ، ولد سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وكان شيخاً مهيباً أحرار العبادة من الخفاء ، اجتمعت به وبحث معه في هذه السنة حين زرت القدس الشريف ، وهي أول زيارة زرته ، وكان مالكي المذهب ، قد قرأ الموطأ في ثمانية أشهر ، وأخذ النحو عن أبي الربيع شارح الجمل للزجاجي من طريق شريح .

﴿ شيخنا الأصيل المعمر الرحلة ﴾

شمس الدين أبو نصر بن محمد بن عماد الدين أبي الفضل محمد بن شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن جميل الشيرازي ، مولده في شوال سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وسمع الكثير وأسمع وأفاد في عليّة شيخنا المزي نعمه الله برحمته ، قرأ عليه عدة أجزاء بنفسه أمّا به الله ، وكان شيخاً حسن خيراً مباركاً متواضعاً ، يذهب إلى بطلان المصاحف ، له في ذلك يد طولى ، ولم يتدنس بشيء من الولايات ، ولا تدنس بشيء من وظائف المدارس ولا الشهادات ، إلى أن توفي

في يوم عرفة بيستانه من المزة ، وصلى عليه بمجاسها ودفن بقربتها رحمه الله .

(الشيخ الصالح العابد الناسك)

أبو بكر بن أيوب بن سعد النعري الخنيلي ، قديم الجوزية ، كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف ، وكان فاضلاً ، وقد سمع شيئا من دلائل النبوة عن الرشيدي العامري ، توفي فجأة ليلة الأحد تاسع عشر ذي الحجة بالمدرسة الجوزية ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع ، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة ، وأثنى عليه الناس خيراً رحمه الله ، وهو والد العلامة فحس الدين محمد بن قديم الجوزية صاحب المصنفات الكثيرة النافذة الكافية .

(الأمير علاء الدين بن شرف الدين)

محمود بن إسماعيل بن معبد البعلبكي أحد أمراء الطليخانات ، كان والده تاجراً يملك قنصاً ولده هذا وانصل بالدولة ، وعلت منزلته ، حتى أعطى طليخانة وباشر ولاية البريد بدمشق مع شد الأوقاف ثم صرف إلى ولاية الولاية بحوران ، فاعترضه مرض ، وكان سبط الدين عبده ، فسأل أن يقال فأجيب فأقام بيستانه بالمزة إلى أن توفي في خلس عشرين ذي الحجة ، وصلى عليه هناك ، ودفن بقبعة المزة ، وكان من خيار الأمراء وأحسنهم ، مع ديانة وخير سامحه الله . وفي هذا اليوم توفي .

(الفقيه العابد الناسك)

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعد الله بن عبد الأحد بن عبد القاهر ابن عبد الواحد بن عمر الحارثي ، المعروف بابن التجيب ، توفي في وادي بني سالم ، فحمل إلى المدينة فسل وصلى عليه في الروضة ودفن بالقبع شرقي قبر عقيل ، فنبطه الناس في هذه الموتة وهذا القبر ، رحمه الله ، وكان ممن غبطه الشيخ فحس الدين بن مسلم قاضي الخنابلة ، فأتى بصدقه ودفن عنده وذلك بعده بثلاث سنين رحمه الله . وجاء يوم حضر جنازة الشيخ شرف الدين عبد المذكور شرف الدين بن أبي العز الخنقي قبل ذلك بمجعة ، مرجعه من الحج بعد انقضائه عن مكة بمرحلتين فنبط الميت المذكور بتلك الموتة فزق مثلها بالمدينة ، وقد كان شرف الدين بن تجيب هذا قد صحب شيخنا العلامة تقي الدين بن تيمية ، وكان معه في مواطن كبار صعبة لا يستطيع الاقدام عليها إلا الأبطال الغلص الخلوص ، وسجن معه ، وكان من أكبر خدامه وخواص أصحابه ، يقال فيه الأذى وأذى بسببه مرات ، وكلاله في ازدياد محبة فيه وصبراً على أذى أعدائه ، وقد كان هذا الرجل في نفسه وعند الناس جيداً مشكور السيرة جيد العقل والفهم ، عظيم الديانة والزهد ، ولهذا كانت عاقبته هذه الموتة عقيب الحج ، وصلى عليه بروضة مسجد رسول الله ﷺ ، ودفن بالقبع بقبع الفرق بالمدينة النبوية ، ونظم له بصلح الله ، وقد كان كثير من السلف ينسب أن يموت عقيب

عمل صالح يمله ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى ، والله سبحانه أعلم .

(تم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة)

استهلت والحكام المذكورون في التي قبلها : الخليفة المستنفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك الناصر ، وقاتب مصر سيف الدين أرغون ووزير أمين الملك ، وقضاته بمصر المذكورون في التي قبلها ، وقاتبه بالشام تنكز ، وقضاة الشام الشافعي جمال الدين الذرعي ، والحنفي الصدر على البصراوي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي شمس الدين بن مسلم ، وخطيب الجامع الأموي جلال الدين القزويني ، ووكيل بيت المال جمال الدين ابن القلانسي ، وعقشب البلخ غر الدين بن شيخ السلاية ، وناظر الدواوين شمس الدين غبريال وشد الدواوين علم الدين طرقي ، وناظر الجيش قطب الدين بن شيخ السلاية ، وسمين الدين ابن الخشيش ، وكاتب السر شهاب الدين محمود ، وقيب الأشراف شرف الدين بن عدنان ، وناظر الجامع بدر الدين بن الحداد ، وناظر الخزانة عز الدين بن القلانسي ، ووالي البرعلاء الدين ابن الروائي ، ووالي دمشق شهاب الدين برقي .

وفي خامس عشر ربيع الأول بشر عز الدين بن القلانسي الحسبة عوضا عن ابن شيخ السلاية مع ناظر الخزانة ، وفي هذا الشهر حمل كريم الدين وكيل السلطان من القدس إلى الديار المصرية فاعتقل ثم أخفت منه أموال وخزائن كثيرة ، ثم فني إلى الصيد وأجرى عليه نفقات سلطانية ولبن معه من عياله ، وطلب كريم الدين الصغير وصور بأموال جملة . وفي يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر قرئ كتاب السلطان بالمقصورة من الجامع الأموي بمحضرة نائب السلطنة والقضاة ، يتضمن إطلاق مكس الفلة بالشام المحروس جميعه ، فكثرت الأدعية للسلطان ، وقدم البريد إلى نائب الشام يوم الجمعة خامس عشرين ربيع الآخر بعزل القاضي الشافعي الذرعي ، فبلغه ذلك فامتنع بنفسه من الحكم ، وأقام بالعادية بعد المنزل خمسة عشر يوما ثم انتقل منها إلى الانابكية ، واستمرت بيده مشيخة الشيوخ وتدريس الانابكية ، واستدعى نائب السلطان شيخنا الامام الزاهد برهان الدين الفزاري ، فعرض عليه القضاء فامتنع ، فألح عليه بكل ممكن فأبى وخرج من عندنا فرسل في أثره الأعيان إلى مدرسته فدخلوا عليه بكل حيلة فامتنع من قبول الولاية ، وصمم أشد التصميم ، جزاء الله خيرا عن مروءته ، فلما كان يوم الجمعة جاء البريد فأخبر بتوليته قضاء الشام ، وفي هذا اليوم خلع على تقي الدين سليمان بن مراجل بنظر الجامع عوضا عن بدر الدين ابن الحداد توفي ، وأخذ من ابن مراجل نظر المارستان الصغير لبدر الدين بن الططار ، وخسف القمري ليل الحنيس لنصف من جمادى الآخرة بعد العشاء ، فعلى الخطيب صلاة الكسوف بأربع

ق ، واقتربت ، والرافقة ، والقيامة ، ثم صلى العشاء ثم خطب بعدها ثم أصبح فصلى بالناس أصبح ثم ركب على البئر يد إلى مصر فرزق من السلطان قتولا وولاه بعد أيام القضاء ثم كر واجعا إلى الشام فدخل دمشق في خامس رجب على القضاء مع الخطابة وقد يس العادلية والفرزية ، فباشر ذلك كله ، وأخذت منه الأمانة فدرس فيها جمال الدين بن القلانسي ، مع وكالة بيت المال ، وأضيف إليه قضاء النمساكر وخوطب بقاضي القضاة جلال الدين القزويني .

وفيها قدم ملك التكرور إلى القاهرة بسبب الحاج في خامس عشر من رجب ، فنزل بالرافقة ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفا ، ومعهم ذهب كثير بحيث إنه نزل سعر الذهب درهمين في كل مثقال ، ويقال له الملك الأشرف موسى بن أبي بكر ، وهو شاب جميل الصورة ، له مملكة مقسمة مسيرة ثلاث سنين ، ويذكر أن تحت يده أربعة وعشرين ملكا ، كل ملك تحت يده خلق وعساكر ، ولما دخل قلعة الجبل ليسلم على السلطان أمر بتقريب الأرض فامتنع من ذلك ، فأكرمه السلطان ، ولم يمكن من الجلوس أيضا حتى خرج من بين يدي السلطان وأحضر له حصان أشهب يزفاري أطلس أصفر ، وهبئت له هجن وآلات كثيرة تلبق بمشله ، وأرسل هو إلى السلطان أيضا بهدايا كثيرة من جلتهما أربعون ألف دينار ، وإلى النائب بنحو عشرة آلاف دينار ، وتحف كثيرة . وفي شعبان ورمضان زاد النيل بمصر زيادة عظيمة ، لم ير مثلها من نحو مائة سنة أو أزيد منها ومكث على الأراضى نحو ثلاثة أشهر ونصف ، وغرق أقصبا كثيرة ، ولكن كان نفعه أعظم من ضرره . وفي يوم الخميس ثامن عشر شعبان استقرب القاضي جلال الدين القزويني نائبين في الحكم ، وهما يوسف بن إبراهيم بن جملة المحجبي الصالحى ، وقد ولي القضاء فيها بعد ذلك كما سيأتى ، ومحمد بن على بن إبراهيم المصري ، وحكما يومئذ ، ومن القند جاء البريد ومعه تقليد قضاء حلب للشيخ كال الدين بن الزملكاني ، فاستدعاه نائب السلطنة وطوَّضه في ذلك فامتنع ، فراجعه النائب ثم راجع السلطان فجاء البريد في ثاني عشر رمضان بأعضاء الولاية فشرع للتأهب لبلاد حلب ، وتعدى في ذلك حتى كان خروجه إليها في بكرة يوم الخميس رابع عشر شوال ، ودخل حلب يوم الثلاثاء سادس عشرين شوال فأكرم إكراما زائما ، ودرس بها وألقى علوما أكبر من تلك البلاد ، وحصل لهم الشرف بفنونه وفوائده ، وحصل لأهل الشام الأسف على دروسه الأنيقة الفاتحة ، وما أحسن ما قال الشاعر وهو شمس الدين محمد الخناط في قصيدة له مطولة أولها قوله :

أسفت لفقْدك جاني الفجاء * وتباشرت بقدموك الشهباء

وفي ثاني عشر رمضان عزل أمين الملك عن وزارة مصر وأضيفت الوزارة إلى الأمير علاء الدين منطلبي الجملى ، أستاذ دار السلطان . وفي أواخر رمضان طلب صاحب شمس الدين غبريال إلى

القاهرة فولى بها نظر الدواوين عوضاً عن كريم الدين الصغير ، وقسم كريم الدين المذكور إلى دمشق في شوال ، فقتل بدار العدل من القصاصين . وولى سيف الدين قد يدار ولاية مصر ، وهو شهر صفاك الدماء ، فأراق الخور وأحرق الحبيشة وأسك للشطار ، واستقامت به أحوال القاهرة ومصر ، وكان هذا الرجل ملازماً لابن تيمية مدة مقامه بمصر .

وفي رمضان قدم إلى مصر الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن الشحام الموصل من بلاد السلطان أربك ، وعنده فنون من علم الطب وغيره ، ومعه كتاب بالوصية به فأعطى تدريس الظاهرية البرانية نزل له عنها جمال الدين بن القلانسي ، فباشرها في مستهل ذي الحجة ، ثم درس بالجاز وضية . ثم خرج الركب في تاسع شوال وأميره كوكنجيار الحمدي ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . ومن خرج إلى الحج برهان الدين النزاري ، وشهاب الدين قرطاي الناصري نائب طرابلس ، وصاروحا وشهري وغيرهم . وفي نصف شوال زاد السلطان في عدة القضاة بدمرسته الناصرية ، كان فيها من كل مذهب ثلاثون ثلاثون ، فزادهم إلى أربعة وخمسين من كل مذهب ، وزادهم في الجوامك أيضاً . وفي الثالث والعشرين منه وجد كريم الدين الكبير وكيل السلطان قد شنتق نفسه داخل خزانة له قد أغلقها عليه من داخل : ربط حلقه في حبل وكان تحت رجله قضى فدفق القفص برجله فلت في مدينة أسوان ، وسنأتي ترجمته .

وفي سابع عشر ذي القعدة زينت دمشق بسبب عافية السلطان من مرض كان قد أشفى منه على الموت ، وفي ذي القعدة درس جمال الدين بن القلانسي بالظاهرية الجوانية عوضاً عن ابن الزملكاني ، سافر على قضاء حلب ، وحضر عنده القاضي القزويني ، وجاء كتاب صادق من بغداد إلى المولى قمس بن حسان يذكر فيه أن الأمير جويان أعطى الأمير محمد حسينه قدساً فيه خير ليشر به ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، فألح عليه وأقسم فأبى أشد الإباء ، فقال له إن لم تشربها وإلا كافتك أن تحمل ثلاثين توماً ، فقال نعم أحمل ولا أشر بها ، فكتب عليه حجة بذلك ، وخرج من عنده إلى أمير آخر يقال له بكتي ، فاستقرض منه ذلك المال ثلاثين توماً فأبى أن يقرضه إلا بربح عشرة توامين ، فاعقبا على ذلك ، فبكت بكتي إلى جويان يقول له : المال الذي طلبته من حسينه عندي فإن رحمت حملته إلى الخزانة الشريفة ، وإن رحمت تفرقه على الجيش . فأرسل جويان إلى محمد حسينه فأحضره عنده فقال له : تزن أربعين توماً ولا تشرب قدحاً من خمر ؟ قال نعم ، فأعجبه ذلك منه ووزق الحجة المكتوبة عليه ، وحظي عنده وحكمه في أموره كلها ، وولاه ولايات كتابه ، وحصل لجويان إقلاع ورجوع عن كثير مما كان يتماطله ، رحم الله حسينه .

وفي هذه السنة كانت فتنة بأصبهان قتل ببعضها ألوف من أهلها ، واستمرت الحرب بينهم

شهوراً . وفيها كان غلاء مفرط بدمشق ، بلغت الثرارة مائتين وعشرين ، وقلت الاقوات . ولولا أن الله أقام للناس من يحمل لحم الغلة من مصر لاشتد الغلاء وزاد أضعاف ذلك ، فكان مات أكثر الناس ، واستمر ذلك مدة شهور من هذه السنة ، وإلى أثناء سنة خمس وعشرين ، حتى قمت الفلوات ورخصت الأسعار والله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان : توفى في مستهل المحرم

(بدر الدين بن محمود بن أحمد الحنفي)

قاضى قلعة الروم بالحجاز الشريف ، وقد كان عبداً صالحاً ، حج مرات عديدة ، وربعاً أحرم من قلعة الروم أو حرم بيت المقدس ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب ، وعلى شرف الدين بن المز وعلى شرف الدين بن نجيح توفوا في أقل من نصف شهر كلهم بطريق الحجاز بعد فراغهم من الحج وذلك أنهم غبطوا ابن نجيح صاحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية بذاك الموت كما تقدم ، فزرقوها فأتوا عقيب عملهم الصالح بعد الحج .

(الحجة الكبيرة خوندابنت مكية)

زوجة الملك الناصر ، وقد كانت زوجة أخيه الملك الأشرف ثم هجرها الناصر وأخرجها من القلعة ، وكانت جنازتها حافلة ، ودفنت بقربتها التي أنشأها .

(الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش)

ويقال له اللباد ويعرف بالؤلؤه ، كان يقرئ الناس بالجامع نجواً من أربعين سنة ، وقد قرأت عليه شيئاً من القراءات ، وكان يعلم الصغار عقد الزاء والحروف المتقنة كالزاه ونحوها ، وكان متقللاً من الدنيا لا يفتنى شيئاً ، وليس له بيت ولا خزانة ، إنما كان يأكل في السوق وينام في الجامع ، توفى في مستهل صفر وقد جاوز السبعين ، ودفن في باب الفراديس رحمه الله . وفي هذا اليوم توفى بمصر .

(الشيخ أيوب السعدي)

وقد قارب المائة ، أدرك الشيخ أبا السعود وكانت جنازته مشهودة . ودفن بقربة شيخه بالقرافة وكتب عنه قاضى القضاة تقي الدين السبكي في حياته ، وذكر الشيخ أبو بكر الرحي أنه لم ير منسل جنازته بالقاهرة منذ سكنها رحمه الله .

(الشيخ الامام الزاهد نور الدين)

أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي ، له تصانيف ، وقرأ مسند الشافعي على وزيره بنت المنجا ، ثم إنه أقام بمصر ، وقد كان في جملة من ينكر على شيخ الاسلام ابن تيمية ، فأراد بعض الدولة قتله فهربوا اختفى عنده كما تقدم لا كان ابن تيمية مقياً بمصر ، وما مثاله لإسئال ساقية

ضعيفة كدرة لا طلت بحراً عظيماً صافياً ، أو رملة أرادت زوال جبل ، وقد أضحك العقلاء عليه ، وقد أراد السلطان قتله فشفع فيه بعض الأمراء ، ثم أنكر مرة شيئاً على الدولة فنفي من القاهرة إلى بلدة يقال لها ديروط ، فكان بها حتى توفي يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ، ودفن بالقراة ، وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة ، وكان شيخه ينكر عليه إنكاره على ابن تيمية ، ويقول له أنت لا تحسن أن تتكلم .

(الشمس محمد الباقر بن)

الذي تنسب إليه الفرقة الصالحة للباقرية ، والمشهور عنهم إنكار الصانع جل جلاله ، وقد ست أسماؤه ، وقد كان والده جمال الدين بن عبد الرحيم بن عمر الموصلي رجلاً صالحاً من علماء الشافعية ودرس في أماكن بدمشق ، ونشأ وله هذا بين الفقهاء واشتغل بعض شئ ثم أقبل على السلوك ولازم جماعة يعتقدهون ويؤرونه وبرزقونه عن هو على طريقه ، وآخرون لا يظفونه ، ثم حكم القاضي المالكي بإراقة دمه فهرب إلى الشرق ، ثم إنه أثبت عداوة بينه وبين الشهود فحكم الحنبلي بمحقن دمه فأقام بالقابون مدة سنين حتى كانت وفاته ليلة الاربعاء سادس عشر ربيع الآخر ، ودفن بالقرب من مفارة الدم بسفح قاسيون في قبة في أعلى ذيل الجبل تحت المغارة ، وله من العمر ستون سنة .

(شيخنا القاضي المعمر الفقيه)

عفى الدين أبو زكريا يحيى بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني الشافعي اشتغل على النواوي ولازم ابن المقدسي ، وولى الحكم بزرع وغيرها ، ثم قام بدمشق يشتغل في الجامع ، ودرس في الصارمية وأعاد في مدارس عدة إلى أن توفي في سلخ ربيع الآخر ودفن بقاسيون وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وسمع كثيراً وخرج له أقهبي شيئاً وسمعنا عليه الدارقطني وغيره .

(الفقيه الكبير الصدر الامام الخطيب بالجامع)

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الأمدى الحنبلي ، سمع الحديث واشتغل وحفظ الحرر في مذهب أحمد وبرع على ابن حمدان وشرحه عليه في مدة سنين وقد كان ابن حمدان يفتي عليه كثيراً وعلى ذهنه وذكائه ، ثم اشتغل بالكتابة ولزم خمسة الأمير قرا سقر بحلب ، فولاد نظر الأوقاف وخطابة حلب بمجلسها الأعظم ، ثم لما صار إلى دمشق ولاء خطابة الأموي فاستمر خطيباً فيها اثنين وأربعين يوماً ، ثم أعيد إليها جلال الدين القزويني ، ثم ولى نظر المارستان والخسبة ونظر الجامع الأموي ، وعين لقضاء الحنابلة في وقت ، ثم توفي ليلة الاربعاء سابع جمادى الآخرة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

(الكاتب المفيد قطب الدين)

أحمد بن مفضل بن فضل الله المصري ، أخو عفى الدين كاتب تنكز ، والد الصاحب علم الدين

كان خبيراً بالكتابة وقد ولى استيفاء الأوقاف بعد أخيه ، وكان أسن من أخيه ، وهو اذى على صناعة الكتابة وغيرها ، توفى ليلة الاثنين ثاني رجب وعمل عزاءه بالشميساطية ، وكان مباشر أوقافها .

﴿ الأمير الكبير ملك العرب ﴾

محمد بن عيسى بن مهنا أخو مهنا ، توفى ببلدية يوم السبت سابع رجب ، وقد جاوز الستين كان مليح الشكل حسن السيرة عالماً عارفاً رحمه الله .
وفى هذا الشهر وصل الخير إلى دمشق بموت .

﴿ الوزير الكبير علي شاه بن أبي بكر التبريزي ﴾

وزير أبي سعيد بعد قتل سعد الدين الساوي ، وكان شيخاً جليلاً فيه دين وخير ، وحمل إلى تبريز فدفن بها في الشهر الماضي رحمه الله .

﴿ الأمير سيف الدين بكتمر ﴾

والى الولاية صاحب الأوقاف في بلدان شتى : من ذلك مدرسة بالصلب ، وله درس بمدرسة أبي عمر وغير ذلك ، توفى بالاسكندرية ، وهو ثانيها خامس رمضان رحمه الله .

﴿ شرف الدين أبو عبد الله ﴾

محمد ابن الشيخ الامام العلامة زين الدين بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي الحنبل ، أخو القاضي القضاة علاء الدين ، مع الحديث ودرس وأفتى ، وصحب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان فيه دين ومودة وكرم وقضاء حقوق كثيرة ، توفى ليلة الاثنين رابع شوال ، وكان مولده في سنة خمس وسبعين وسبعمائة ، ودفن بقريةهم بالصالحية .

﴿ الشيخ حسين الكردي المولى ﴾

كان يخالط النجاسات والقاذورات ، ويمشي حافياً ، وربما تكلم بشيء من المنهيات التي تشبه علم المنبيات ، وقلنس فيه اعتقاد كما هو المعروف من أهل العمى والضلالات ، مات في شوال .

﴿ كريم الدين اذى كن وكيل السلطان ﴾

عبد الكريم بن العلم حبة الله الملقب ، حصل له من الأموال والتعظيم والمكانة الخطيرة عند السلطان ما لم يحصل لغيره في دولة الأتراك ، وقد وقف الجلعدين بمدينة دمشق أحدهما جامع القبيبات والحوض الكبير اذى تجاه باب الجامع ، واشترى له نهر ماء بخمسين ألفاً ، فانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً ، ووجدوا رقاً . والثاني الجامع اذى بالقانون . وله صدقات كثيرة تقبل الله منه وعفا عنه ، وقد مسك في آخر عمره ثم صودر ونفى إلى الشوبك ، ثم إلى القدس ، ثم للصعيد فخنق نفسه كما قيل بعمامة بمدينة أسوان ، وذلك في الثالث والعشرين من شوال ، وقد كان حسن الشكل تام القامة ،

ووجد له بعد موته ذخائر كثيرة ساعده الله .

(الشيخ الامام العالم علاء الدين)

على بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن العطار ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس النوصية بالجامع ، ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وخمسين وستائة ، وسمع الحديث واشتغل على الشيخ محي الدين النواوى ولازمه حتى كان يقال له مختصر النواوى ، وله مصنفات وفوائد وعجايب وفخاريج ، وبأشر مشيخة النورية من سنة أربع وتسعين إلى هذه السنة ، مدة ثلاثين سنة ، توفي يوم الاثنين منها مستهل ذى الحجة فولى بعده النورية علم الدين البرزالى ، وتولى النوصية شهاب الدين بن حرز الله وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وصيائة)

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون فى التى قبلها ، وأولها يوم الأربعاء . وفى خامس صفر منها قدم إلى دمشق الشيخ فحس الدين محمود الأصبهائى بعد مرجعه من الحج وزيارة القدس الشريف وهو رجل فاضل له مصنفات منها شرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح الجويد وغير ذلك ، ثم إنه شرح الحاجبية أيضاً وجمع له تفسيراً بعد صيرورته إلى مصر ، ولما قدم إلى دمشق أكرم واشتغل عليه الطلبة ، وكان حظاً عند القاضي جلال الدين القزوينى ، ثم إنه ترك الكل وصار يتردد إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية وسمع عليه من مصنفاته وردّه على أهل الكلام ، ولازمه مدة فلما مات الشيخ تقي الدين تحول إلى مصر وجمع التفسير .

وفى ربيع الأول جرد السلطان تيمورية نحو خمسة آلاف إلى اليمن لخروج عمه عليه ، ومحبينهم خلق كثير من الحجاج ، منهم الشيخ نضر الدين النوبرى . وفيها منع شهاب الدين بن مرمى البعلبكي من الكلام على الناس بمصر ، على طريقة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وعزّره القاضي المالكي بسبب الاستغاثة ، وحضر المذكورين يمدى السلطان وأثنى عليه جماعة من الأمراء ، ثم سافر إلى الشام بأهله قتل بيلاذخليل ، ثم اقترح إلى بلاد الشرق وأقام بسنجار وماردين وساملتها يتكلم ويخط الناس إلى أن مات رحمه الله كاسد كره .

وفى ربيع الآخر عاد نائب الشام من مصر وقد أكرمه السلطان والأمراء . وفى جمادى الأولى وقع بمصر مطر لم يسمع بمثله بحيث زاد النيل بسببه أربع أصابع ، وتغير أليماً . وفيه زاحت دجلة ببتداد حتى غرقت ماحول بغداد وانحصر الناس بها ستة أيام لم تفتح أبوابها ، وقبت مثل السفينة فى وسط البحر ، وغرق خلق كثير من الفلاحين وغيرهم ، وتلف الناس مالا يملئه إلا الله ، ودع أهل البلد بعضهم بعضاً ، ولجأوا إلى الله تعالى وحلوا المصاحف على رؤسهم فى شدة الشوق فى أنفسهم

حتى التضامة والأعيان ، وكان وقتاً عجيباً ، ثم لطف الله بهم ففيض الماء وتناقص ، وتراجع الناس إلى ما كانوا عليه من أمورهم الجائرة وغير الجائرة ، وذكر بعضهم أنه غرق بالجانب الغربي نحو من ستة آلاف وسثمائة بيت ، وإلى عشرة سنين لا يرجع ما غرق .

وفي أوائل جمادى الآخرة فتح السلطان خاقاه سرياقوس التي أنشأها وساق إليها خليجها وبني عندها محلة ، وحضر السلطان بها ومعه التضامة والأعيان والأمرء وغيرهم ، ولها محمد الدين الأقصرائي ، وعمل السلطان بها وليمة كبيرة ، وجمع على قاضي التضامة ابن جماعة عشرين حديثاً بقرأة وله عز الدين بمحضرة الدولة منهم أرغون النائب ، وشيخ الشيوخ القنوي وغيرهم ، وخلع على القاري عز الدين وأثنوا عليه ثناء زائداً ، وأجلس مكرماً ، وخلع أيضاً على والده ابن جماعة وعلى المالكي وشيخ الشيوخ ، وعلى محمد الدين الأقصرائي شيخ الخاقاه المذكورة وغيرهم . وفي يوم الأربعاء رابع عشر رجب درس بقبة المنصورية في الحديث للشيخ زين الدين بن الكتاني الممشقي ، بإشارة نائب الكرك وأرغون ، وحضر عنده الناس ، وكان قتها جيداً ، وأما الحديث فليس من قته ولا من شغله .

وفي أواخر رجب قدم الشيخ زين الدين بن عبد الله بن المرحل من مصر على تدريس الشامية البرانية ، وكانت بيد ابن الزملكاني فانتقل إلى قضاء حلب ، فدرس بها في خامس شعبان وحضر القاضي الشافعي وجماعة . وفي سابع رجب قدم القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة من مصر ومعه ولده ، وفي صحبتته الشيخ جمال الدين العميلطي وجماعة من الطلبة بسبب مبلغ الحديث ، قرأ بنفسه وقرأ الناس له واعتنوا بأمره ، وجمعنا معهم وقرأته شيئاً كثيراً ، فسمعهم الله بما قرؤوا وبما سمعوا ، ونفع بهم . وفي يوم الأربعاء ثاني عشر شوال درس الشيخ فحمس الدين بن الأصمباني ، بالرواحية بعد ذهاب ابن الزملكاني إلى حلب ، وحضر عنده التضامة والأعيان ، وكان فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وجرى يومئذ بحث في العلم إذا خص ، وفي الاستئناء بعد النفي ووقع انتشار ومثال الكلام في ذلك المجلس ، وتكلم الشيخ تقي الدين كلاماً أبهر الحاضرين ، وتأخر ثبوت عيد الفطر إلى قريب الظهر يوم العيد ، فلما ثبت دقت البشائر وصلى الخطيب العيد من التند بالجامع ، ولم يخرج الناس إلى المصلى ، وتغضب الناس على المؤذنين ومجنن بعضهم . وخرج الركب في عاشره وأميره صلاح الدين ابن أيك الطويل ، وفي الركب صلاح الدين بن أوحده ، والمنكوسرى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهر . وفي سابع عشره درس بالرباط للناصري بقاسيون حسام الدين القزويني الذي كان قاضي طرابلس ، فأبغضه بها جمال الدين بن الشريشي إلى تدريس المنصورية ، وكان قد جاء توقيمه بالندراوية والظاهرية فرفض في طريقه قاضي التضامة جمال الدين واثباته ابن جملة

والفخر المصري ، وعقد له ولكمال الدين ابن الشيرازي مجلسا ، ومعه توقيع بالشمسية البرانية ، فطل الامر عليهما لاشيئهما لم يظهر استحقاقهما في ذلك المجلس ، فصارت المدرستان المنراوية والشمسية لابن المرحل كما ذكرنا ، وعظم التفرقة بين بالمسروية قضايس منها لابن الشريشي إلى الرباط الناصري ، فدرس به في هذا اليوم وحضر عنده الثاني جلال الدين ، ودرس بعده ابن الشريشي بالمسروية وحضر عنده الناس أيضا . وفيه عادت التجربة اليمنية وقد قد منهم خلق كثير من الفلّان وغيرهم ، فحبس مقدمهم الكبير ركن الدين ببيرس لسوء سيرته فيهم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ إبراهيم الصباح ﴾

وهو إبراهيم بن منير البعلبكي ، كان مشهوراً بالصلاح مقياً بالمأذنة الشرقية ، توفي ليلة الأربعاء مستهل المحرم ودفن بالبالب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، حمله الناس على رؤس الأصابع ، وكان ملازماً لمجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية .

﴿ إبراهيم الموله ﴾

الذي يقال له التميني لأقامته بالتمامين خارج باب شرق ، وربما كاشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، وقد استنابه الشيخ تقي الدين بن تيمية وضربه على ترك الصلوات ومخالطة الفاذورات ، وجمع النساء والرجال حوله في الأماكن النجسة . توفي كهلا في هذا الشهر .

﴿ الشيخ عفيف الدين ﴾

محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلي ثم الحمشي ، إمام مسجد الرأس ، آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض سنن البيهقي ، سمعنا عليه شيئا منها ، توفي في صفر .

﴿ الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك ﴾

عبد الله بن موسى بن أحمد الجزري ، الذي كان مقياً ^(١) أبي بكر من جامع دمشق ، كان من الصالحين الكبار مباركا خيرا ، عليه سكنة ووقار ، وكانت له مطالعة كثيرة ، وله فهم جيد وعقل جيد ، وكان من الملازمين لمجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة ويفهمها يمجز عنها كبار النفاة . توفي يوم الاثنين سادس عشر من صفر ، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة محمودة .

﴿ الشيخ الصالح الكبير المعمر ﴾

الرجل الصالح تقي الدين ابن الصانع المقرئ المصري ، الشافعي ، آخر من بقي من مشايخ القراء وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي ، توفي في صفر ودفن بالترافة وكانت جنازته حافلة ، قارب التسعين ولم يبق له منها سوى سنة واحدة ، وقد قرأ عليه غير واحد ،

(١) بياض بالأصل ولله « بمحارب » أو « بخولة » أو نحو هذا .

وهو من طال عمره وحسن عمله (الشيخ الامام صدر الدين)

أبو زكريا يحيى بن علي بن تمام بن موسى الانصارى السبكي الشافعي ، ومع الحديث وبرع في الأصول والفقه ، ودرس بالسيفية وياشرها بعده ابن أخيه تقي الدين السبكي الذي تولى قضاء الشام فيما بعد .
(الشهاب محمود) هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة شيخ صناعة الانشاء الذي لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله في صنعة الانشاء ، وله خصائص ليست للفاضل من كثرة النظم والقصائد المطولة الحسنة البليغة ، فهو شهاب الدين أبو التنا محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الهمشقي ، ولد سنة أربع وأربعين وستائة بحلب ، ومع الحديث وعنى بالآداب والشعر وكان كثير الفضائل بارعا في علم الانشاء نظما ونثرا ، وله في ذلك كتب ومصنفات حسنة فائقة ، وقد مكث في ديوان الانشاء نحو ثمانين سنة ، ثم ولي كتابة السر بمشقي نحواً من ثمان سنين إلى أن توفي ليلة السبت ثاني عشرين شعبان في منزله قرب باب النطفانيين وهي دار القاضي الفاضل وصلى عليه بالجامع ودفن بقرية له أنشأها بالقرب من اليمورية وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

(شيخنا المسند الممر الرحلة)

عفيف الدين إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الآمدي ثم الهمشقي الحنفي شيخ دار الحديث الظاهرية ، وله في حدود الأربعين وستائة ، ومع الحديث على جماعة كثيرين ، منهم يوسف بن خليل ومجد الدين بن تيمية ، وكان شيعيا حسنابها المنظر سهل الامتع بحب الرواية ولديه فضيلة ، توفي ليلة الاثنين ثاني عشرين رمضان ، ودفن بقاسيون ، وهو والده تفر الدين ناظر الجيوش والجامع . وقبله يوم توفي الصدر معين الدين يوسف بن زغيب الرحبي أحد كبار التجار الأمناء . وفي رمضان توفي (البدر الموام)

وهو محمد بن علي البلبا الحلبي ، وكان فردا في العوم ، وطيب الأخلاق ، انتفع به جماعة من التجار في بحر اليمن كان معهم ففرق بهم المركب ، فاجأوا إلى صخرة في البحر ، وكانوا ثلاثة عشر ، ثم إنه غطس فاستخرج لهم أموالا من قرار البحر بعد أن أفلسوا وكادوا أن يهلكوا ، وكان فيه ديانة وصيانة ، وقد قرأ القرآن وحج عشر مرات ، وعاش ثمانا وثمانين سنة رحمه الله ، وكان يسمع الشيخ تقي الدين بن تيمية كثيرا . وفيه توفي .

(الشهاب أحمد بن عثمان الامشاطي)

الأديب في الأزجال والموشحات والموايا والهدو بيت والبلاليق ، وكان أستاذ أهل هذه الصناعة مات في عشر السنين . (القاضي الامام العالم الزاهد)

صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب الجعفري الشافعي المعروف بخطيب

داريا ، وله سنة فنتين وأربعين وستة ، بقرية يسرا من عمل السواد ، وقدم مع والده قراً بالصالحية القرآن على الشيخ نصر بن عبيد ، وسمع الحديث وفقه على الشيخ محي الدين النورى ، والشيخ تاج الدين الفزارى ، وتولى خطابة داريا وأعاد بالناصرية ، وتولى نيابة القضاء لابن مصرى مدة ، وكان متزهداً لا يتنعم بحمام ولا كنان ولا غيره ، ولم يغير ما اعتاده في البر ، وكان متواضعاً وهو الذى استسقى بالناس فى سنة تسع عشرة فسدوا كما ذكرنا ، وكان يذكر له نسباً إلى جعفر الطيار ، بينه وبينه عشرة آباء ، ثم ولى خطابة العقبة فترك نيابة الحكم وقال هذه تكفى إلى أن توفى ليلة الخميس ثامن ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته مشهورة رحمه الله ، وتولى بمدة الخطابة وله شهاب الدين .

﴿ أحمد بن صبيح المؤذن ﴾

الرئيس بالمروى بجوامع دمشق مع البرهان بدر الدين أبو عبد الله محمد بن صبيح بن عبد الله التنفليسى مولاهم المقرئ المؤذن ، كان من أحسن الناس صوتاً فى زمانه ، وأطيبهم نعمة ، وله سنة فنتين وخمسين وستة تقريباً ، وسمع الحديث فى سنة سبع وخمسين ، ومن سمع عليه ابن عبد الهمام وغيره من المشايخ ، وحديثه وكان رجلاً حسناً ، أبوه مولى لأمراء اسمها شامة بنت كامل الدين التنفليسى ، امرأة غفر الدين الكرخى ، وباشر مشاركة الجامع وقراءة المصحف ، وأذن عند نائب السلطنة مدة ، وتوفى فى ذى الحجة بالطواويس ، وصلى عليه بجوامع العقبة ، ودفن بمقابر باب الفراديس .

﴿ خطاب باي خان خطاب ﴾

الذى بين الكوفة وغبغب . الأمير الكبير عز الدين خطاب بن محمود بن رقتش العراقى ، كان شيخاً كبيراً له ثروة من المال كبيرة ، وأهلاً وأموالاً ، وله حمام بمحكمة السباق ، وقد عمر الخانات المشهورة به بعد موته إلى ناحية الكوفة المسمى ، مما يلى غيبغب ، وهو برج الصفر ، وقد حصل لكثير من المسافرين به رفق ، توفى ليلة سبع عشرة ربيع الآخر ودفن بقرية بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى . وفى ذى القعدة منها توفى رجل آخر اسمه :

﴿ ركن الدين خطاب بن الصاحب بكال الدين ﴾

أحمد ابن أخت ابن خطاب الرومى السيواسى ، له خاتمه بيلده بسيواس ، عليها أوقاف كثيرة وبر وصدة ، توفى وهو ذاهب إلى الحجاز الشريف بالكرك ، ودفن بالقرب من جعفر وأصحابه بمؤنة رحمه الله . وفى العشر الأخير من ذى القعدة توفى

﴿ بدر الدين أبو عبد الله ﴾

محمد بن كمال الدين أحمد بن أبى القتيح بن أبى الوحش أسد بن سلامة بن سليمان بن فتيان

الشياني المعروف بابن المطار، ولد سنة سبعين [وستائة]، وسمع الحديث الكثير، وكتب الخط المنسوب واشتغل بالتنبيه ونظم الشعر، وولى كتابة الدرج، ثم نظر الجيش ونظر الأشراف، وكانت له حظوة في أيام الأفرم، ثم حصل له تحول قليل، وكان مقرطاً منعماً له ثروة ورياسة وتواضع وحسن سيرة، ودفن بسفح قاسيون بقرينهم رحمه الله.

﴿ القاضي محيي الدين ﴾

أبو محمد بن الحسن بن محمد بن عمار بن فتوح الحارثي، قاضي الزبداني مدة طويلة، ثم ولى قضاء الكرك وبها مات في العشرين من ذي الحجة، وكان مولده سنة خمس وأربعين وستائة، وقد سمع الحديث واشتغل، وكان حسن الأخلاق متواضعاً، وهو والد الشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني مدرس الظاهرية رحمه الله.

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة ﴾

استهات والحكام المذكورون في التي قبلها، سوى كاتب سردمشق شهاب الدين محمود فانه توفي، وولى المنصب من بعده ولده الصدر شمس الدين. وفيها تحول التجار في قاش النساء المحيط من الدهشة التي اجتمع إلى دهشة سوق على. وفي يوم الأربعاء ثامن المحرم بامر مشيخة الحديث الظاهرية الشيخ شهاب الدين بن جهيل بعد وفاة المفيد إسحاق وترك تدريس الصلاحية بالقنس الشريف، واختار دمشق، وحضر عنده القضاة والأعيان. وفي أولها فتح الحمام الذي بناه الأمير سيف الدين جويان بجوار داره بالقرب من دار الجاني، وله بيان أحدهما إلى جهة مسجد الوزير، وحصل به نفع. وفي يوم الاثنين ثاني صفر قدم الصاحب غريال من مصر على البريد متولياً نظر الدواوين بدمشق على عادته، وانفصل عنها الكريم الصغير، وفرح الناس به. وفي يوم الثلاثاء حادى عشرين ربيع الأول بكرة ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيثم بسوق الخيل على كفره واستهاته واستهتاره بآيات الله، وصحبته الزنادقة كالنجم بن خلكان، والشمس محمد الباجري، وابن المعمار البغدادي، وكل فيهم انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس. قال الشيخ علم الدين البرزالي: وربما زاد هذا المذكور المضروب المتق عليهم بالكفر والتلاعب بدين الاسلام، والاستهانة بالنبوة والقرآن. قال وحضر قتله العلماء والأخبار وأعيان الدولة. قال: وكان هذا الرجل في أول أمره قد حفظ التنبيه، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن، وعنده نباهة وفهم، وكان منزلاً في المدارس والترب، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه، وكان قتله عزاً للاسلام وذلاً للزنادقة وأهل البدع.

قلت: وقد شهدت قتله، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضراً يومئذ، وقد أمله وقرعه

على ما كن يصدر منه قبل قتله ، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك .

وفي شهر ربيع الأول رسم في إخراج الكلاب من مدينة دمشق فجاءوا في الخندق من جهة باب الصغير من ناحية باب شرق ، المذكور على حمة والاثالث على حمة ، وأثم أصحاب الدكاكين بذلك ، وشددوا في أمرهم أياماً . وفي ربيع الأول ولي الشيخ علاء الدين المنفى معيد البادرانية مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف ، وسافر إليها . وفي جادى الآخرة عزل قرطاي عن ولاية طرابلس وولياها طينال وأقر قرطاي على خبز القرماني بدمشق بحكم سجن القرماني بقلعة دمشق .

قال البرزالي : وفي يوم الاثنين عند المصير سادس عشر شعبان اعتقل الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق ، حضر إليه من جهة نائب السلطنة تنكز مشدا الاوقات وابن الخطيرى أحد الحجاب بدمشق ، وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بذلك ، وأحضرا معه ما صرخوا باليركيه ، وأظهر السرور والفرح بذلك ، وقال أنا كنت منتظراً لذلك ، وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة ، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخلت له قاعة وأجرى إليها الماء ورسم له بالاقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم له ما يقوم بكفائته . قال البرزالي : وفي يوم الجمعة عشر الشهر المذكور قرئ بجمع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا ، وهذه الواقعة سببها فتيا وجئت بخطه في السفر وإعمال المطي إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبور الصالحين . قال : وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر قاضي القضاة الشافعي في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم ، وذلك بعرض مرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه ، فيما تقتضيه الشريعة في أمرهم ، وعزز جماعة منهم على دواب ونودي عليهم ثم أطلقوا ، سوى شمس الدين محمد بن قيم الجوزية فإنه حبس بالقلعة ، وسكنت القضية . قال وفي أول رمضان وصلت الأخبار إلى دمشق أنه أجريت عين ماء إلى مكة شرفها الله وانفع الناس بها انتفاعاً عظيماً ، وهذه العين تعرف قديماً بين ياذان ، أجراها جويان من بلاد بعيدة حتى دخلت إلى نفس مكة ، ووصلت إلى عند الصفا وباب إبراهيم ، واستقى الناس منها قديراً وفتحهم وضعفهم وشرابهم ، كلهم فيها سواء ، وارتقى أهل مكة بذلك رفقاَ كثيراً والله الحمد والمنة . وكانوا قد شرعوا في حفرها وتجديدها في أوائل هذه السنة إلى العشر الآخر من جادى الأولى ، واتفق أن في هذه السنة كانت الآبار التي بمكة قد يدرست وقل ماؤها ، وقل ماء زمزم أيضاً ، فلو أن الله تعالى لطف بالناس بإجراء هذه القناة لترجى عن مكة أهلها ، أو هلك كثير مما يقم بها . وأما الحجيج في أيام الموسم فحصل لهم بها رفق عظيم زائد عن الوصف ، كما شاهدنا ذلك في سنة إحدى وثلاثين عام حججنا . وجاء كتاب السلطان إلى نائبه بمكة بإخراج الزيديين من المسجد الحرام ، وأن لا يكون

لهم فيه إمام ولا مجتمع ، ففعل ذلك .

وفي يوم الثلاثاء رابع شعبان درس بالشامية الجوانية شهاب الدين أحمد بن جهيل ، وحضر عنده القاضي القزويني الشافعي وجماعة عوضاً عن الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الهر إمام مسجد ابن هشام توفي ، ثم بعد أيام جاء توقيع بولاية القاضي الشافعي فباشرها في عشرين رمضان . وفي عاشر شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين جويان ، وحج علمته القاضي شمس الدين بن مسلم قاضي قضاة الحنابلة ، و بدر الدين ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، ومعه تحف وهدايا وأمور تتعلق بالأمر سيف الدين أرغون نائب مصر ، فانه حج في هذه السنة ومعه أولاده وزوجته بنت السلطان ، وحج نضر الدين ابن شيخ السلامة ، وصدر الدين المالكي ، ونضر الدين البعلبكي وغيره .

وفي يوم الاربعاء عاشر القعدة درس بالحنبلية برهان الدين أحمد بن هلال الزرعي الحنبلي ، بدلا عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضر عنده القاضي الشافعي وجماعة من الفقهاء وشق ذلك على كثير من أصحاب الشيخ تقي الدين ، وكان ابن الخطيرى الحاجب قد دخل على الشيخ تقي الدين قبل هذا اليوم فاجتمع به وسأله عن أشياء بأمر نائب السلطنة . ثم يوم الخميس دخل القاضي جمال الدين بن جلة وناصر الدين مشد الأوقاف ، وسأله عن مضمون قوله في مسألة الزيارة ، فكتب ذلك في درج وكتب تحته قاضي الشافعية بدمشق : قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية إلى أن قال : وإنما الحز جله زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالاجماع مقطوعا [بها] ، فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الاسلام ، فان جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور ، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل ، بل يستحبها وينبئ إليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة في هذه الوجهة في الفتيا ، ولا قال إنها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها ، ولا هو جاهل قول الرسول « زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ، ولا يخفى عليه خافية ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

وفي يوم الأحد رابع القعدة فتحت المدرسة المحمية نجاة الشامية الجوانية ، ودرس بها محيي الدين الطرابلسي قاضي هكار ، وتلقب بأبي رباح ، وحضر عنده القاضي الشافعي . وفي ذى القعدة سافر القاضي جمال الدين الزرعي من الأتابكية إلى مصر ، ونزل عن تدريسها لمحبي الدين بن جهيل . وفي ثاني عشر ذى الحجة درس بالنجبية ابن قاضي الزيداني عوضاً عن الممشقي نائب الحكم مات بالمدرسة المذكورة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ابن المطهر الشيعي جلال الدين﴾

أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلبي العراقي الشيعي ، شيخ الروافض بتلك النواحي ، وله التصانيف الكثيرة ، يقال تزيد على مائة وعشرين مجلداً ، وعدتها خمسة وخمسون مصنفاً ، في الفقه والنحو والأصول والفلسفة والرفض وغير ذلك من كبار وصغاره وأشهرها بين الطلبة شرح ابن الحاجب في أصول الفقه ، وليس بذلك الفائق ، ورأيت له مجلدين في أصول الفقه على طريقة المحصول والأحكام ، فلا بأس بها قائما مشتملة على نقل كثير وتوجيه جيد ، وله كتاب منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة ، خبط فيه في المقول والمنقول ، ولم يدرك كيف يتوجه ، إذ خرج عن الاستقامة . وقد انتدب في الرد عليه الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلدات أتى فيها بما يهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة ، وهو كتاب حافل . ولد ابن المطهر الذي لم تطهر خلقة ولم يتطهر من دنس الرفض ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتوفي ليلة الجمعة عشرين محرم من هذه السنة ، وكان اشتغاله ببغداد وغيرها من البلاد ، واشتغل على نصير الطوسي ، وعلى غيره ، ولما ترفض الملك خر بسدا حظي عنده ابن المطهر وساد جداً وأقطعه بلادا كثيرة .

﴿ الشمس الكاتب ﴾

محمد بن أسد الحراني المعروف بالنجار ، كان يجلس ليكتب الناس عليه بالمدرسة القليجية ، توفي في ربيع الآخر ودفن بباب الصغير .

﴿ المرز حسن بن أحمد بن زفر ﴾

الأربلي ثم الدمشقي ، كان يعرف طرعا صالحا من النحو والحديث والتاريخ ، وكان مقبلا بدويرة حمد صوفيا بها ، وكان حسن المجالسة أثنى عليه البرزالي في نقله وحسن معرفته ، مات بالمرستان الصغير في جمادى الآخرة ودفن بباب الصغير عن ثلاث وستين سنة .

﴿ الشيخ الامام أمين الدين سالم بن أبي الفدر ﴾

عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي الشافعي مدرس الشامية الجوانية ، أخذها من ابن الوكيل قهرآ وهو إمام مسجد ابن هشام ، ومحدث الكرسي به ، كان مولده في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، اشتغل وحصل وأثنى عليه النووي وغيره ، وأعاد وأفتى ودرس ، وكان خبيرا بالحدائق ، وكان فيه مروءة وعصبية لمن يقصده ، توفي في شعبان ودفن بباب الصغير .

﴿ الشيخ حماد ﴾

وهو الشيخ الصالح العابد الزاهد حماد الحلبي القطان ، كان كثير التلاوة والصلوات ، مواظبا على الاقامة بجامع التوبة بالمقبة بالزاوية الغربية الشمالية ، يقرأ القرآن ويكثر الصيام ويتردد الناس

إلى زيارته ، مات وقد جاوز السبعين سنة على هذا التقدم ، توفي ليلة الاثنين عشرين شعبان ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

﴿ الشيخ قطب الدين اليونيني ﴾

وهو الشيخ الامام العالم بقية السلف ، قطب الدين أبو الفتح موسى ابن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي اليونيني الحنبلي ، ولد سنة أربعين وستائة بدار الفضل بدمشق ، وسمع الكثير وأحضره والده المشايخ واستجازه وبحث واختصر مرآة الزمان للسيط ، وذيل عليها ذيلًا حسنًا مرتبًا فأدفيه وأجاد بعبارة حسنة سهلة ، بانصاف وستر ، وأتى فيه بأشياء حسنة وأشياء فائقة رائعة ، وكان كثير التلاوة حسن الهيئة متفلا في ملبسه ومأكله ، توفي ليلة الخميس ثالث عشر شوال ودفن بباب سطحا عند أخيه الشيخ شرف الدين رحمهما الله . ﴿ القاضي القضاة ابن مسلم ﴾

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالحى الحنبلي ، ولد سنة ستين وستائة ، ومات أبوه . وكان من الصالحين - سنة ثمان وستين ، فنشأ يتيما فقيرا لا مال له ، ثم اشتغل وحصل وسمع الكثير وانتصب للأداة والاشتغال ، فطاز ذكره ، فلما مات التقي سليمان سنة خمس عشرة ولى قضاء الحنابلة ، فباشره أتم مباشرة ، وخرجت له مخاريج كثيرة ، فلما كانت هذه السنة خرج للمحج فرض في الطريق فورد المدينة النبوية على ساكنها رسول الله أنفضل الصلاة والسلام ، يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذى القعدة فزار قبر رسول الله ﷺ وصلى في مسجده وكان بالاشواق إلى ذلك ، وكان قد تمى ذلك لما مات ابن نجيج ، فلت في عشية ذلك اليوم يوم الثلاثاء وصلى عليه في مسجد رسول الله ﷺ بالروضة ، ودفن بالبقيع إلى جانب قبر شرف الدين ابن نجيج ، الذى كان قد غبطه بموته هناك سنة حج وهو قبل هذه الحجة شرقي قبر عقيل رحمه الله ، وولى بعده القضاة عز الدين بن التقي سليمان .

﴿ القاضي نجم الدين ﴾

أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالى الدمشقي الشافعى ، ولد سنة تسع وأربعين واشتغل على تاج الدين الفزاري وحصل وبرع وولى الاعادة ثم الحكم بالقدس ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالنجبية ، وناب في الحكم عن ابن مصرى مدة ، توفي بالنجبية المذكورة يوم الأحد ثامن عشرين ذى القعدة ، وصلى عليه المصر بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

﴿ ابن قاضي شبة ﴾

الشيخ الامام العالم شيخ الطلبة ومفيدهم كمال الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ذؤيب الاسدى

الشهبي الشافعي ، ولد بجزوران في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وقسم دمشق واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، ولازمه وانتفع به ، وأعاد بحلقته ، ونجح به ، وكذلك لازم أخاه الشيخ شرف الدين ، وأخذ عنه النحو والفقه وكلت إرادا في الفقه والنحو ، له حلقة يشتغل فيها بمجاه عراب الخنابلة ، وكان يمتكف جميع شهر رمضان ، ولم يتزوج قط ، وكان حسن الهيئة والشبهة ، حسن العيش والملبس متقللا من الدنيا ، له معلوم يقوم بكفانيته من إعادات وقهاات وتصدير بالجامع ، ولم يدرس قط ولا أفتى ، مع أنه كان ممن يصلح أن يأذن في الافتاء ، ولكنه كان يتورع عن ذلك ، وقد سمع الكثير : سمع المسند للإمام أحمد وغير ذلك ، توفي بالمدرسة المجاهدية - وبها كانت إقامته - ليلة الثلاثاء حادى عشرين ذى الحجة ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقابر باب الصغير . وفيها كانت وفاة :

﴿ الشرف يعقوب بن فارس الجبيري ﴾

التاجر بفرجة ابن عمود ، وكان يحفظ القرآن ويقيم بمسجد الفصب ، وبصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية والقاضي نجم الدين الدمشقي ، وقد حصل أموالا وأملاكا وثروة ، وهو والد صاحبنا الشيخ الفقيه المفضل المحصل الزكي بدر الدين محمد ، خال الولد عمر ابن شاء الله . وفيها توفي :

﴿ الحاج أبو بكر بن تيمراز الصيرفي ﴾

كانت له أموال كثيرة ودائرة ومكارم وبر وصدقات ، ولكنه انكسر في آخر عمره ، وكاد أن ينكشف بغيره الله بالوفاة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت بيوم الجمعة والحكام الخليفة والسلطان والنواب والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها سوى الخنبل كما تقدم ، وفي الشر من الحرم دخل مصر أرفون نائب مصر فسك في حادى عشر وحبس ، ثم أطلق أيما وبته السلطان إلى نائب حلب فاجتاز بدمشق بكرة الجمعة فأتى عشرين الحرم ، فأنزله نائب السلطنة بداره المجاورة لجامعه ، فبات بها ثم سافر إلى حلب ، وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق الجاى الدوادار إلى مصر ، ومحبة نائب حلب علاء الدين الطنبغا معز ولا عنها إلى حجويرة الحجاب بمصر . وفي يوم الجمعة التاسع عشر ربيع الأول قرى تقليد قاضى الخنابلة عز الدين محمد بن التقي سليمان بن حمزة المقدسى ، عوضا عن ابن مسلم بمقصور فاختطبة بمحضرة القضاة والأعيان ، وحكم وقرى قبل ذلك بالصليحية . وفي أواخر هذا الشهر وصل البريد بتولية ابن النقيب الحاكم بمصم قضاء القضاة بطرابلس ، ونقل اتى بها إلى حصص نائبها عن قاضى دمشق ، وهو ناصر بن محمود الزرعى .

وفي سادس عشر ربيع الآخر عاد تنكر من مصر إلى الشام ، وقد حصل له تكريم من السلطان . وفي ربيع الأول حصلت زلزلة بالشام وفي الله شرها . وفي يوم الخميس مستهل جمادى الأولى بأمر نيابة الحنبلى القاضى بهان الدين الزوعى ، وحضر عنده جماعة من القضاة . وفي يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة جاء الأمير يد بطلب القاضى القزوينى الشافى إلى مصر ، فدخلها في مستهل رجب ، فخاص عليه بقضاء قضاء مصر مع تدرىس الناصرية والصلحية ودار الحديث الكاملية ، عوضا عن بدر الدين بن جماعة لأجل كبر سنه ، وضعف نفسه ، وضرر عينيه ، فحبروا خاطره فرتب له ألف درهم وعشرة أرادب قح في الشهر ، مع تدرىس زاوية الشافى ، وأرسل ولده بدر الدين إلى دمشق خطيباً بالأموى ، وعلى تدرىس الشامية البرانية ، على قاعدة والده جلال الدين القزوينى في ذلك ، فخاص عليه في أواخر رجب ثمان عشرين وحضر عنده الأعيان .

وفي رجب كان عرس الأمير سيف الدين قوصون الساقى الناصرى ، على بنت السلطان ، وكان وقتا مشهورا ، خلع على الأمراء والأكابر . وفي صبيحة هذه الليلة عقد عقد الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير بكتر الساقى ، على بنت تنكر نائب الشام ، وكان السلطان وكيل أيها تنكرز والمعادق ابن الحريرى . وخالع عليه وأدخلت في ذى الحجة من هذه السنة في كلفة كثيرة .

وفي رجب جرت فتنة كبيرة بالإسكندرية في سابع رجب ، وذلك أن رجلا من المسلمين قد تخاصم هو ورجل من الفرنج ، على باب البحر ، فضرب أحدهما الآخر بنعل ، فرفع الأمر إلى الوالى فأمر بفتح باب البلد بعد العصر ، فقال له الناس : إن لنا أموالا وعبيدا ظاهرا بالبلد ، وقد أغلقت الباب قبل وقته . ففتحته فخرج الناس في زجة عظيمة ، فقتل منهم نحو عشرة ونهبت عمام وثياب وغير ذلك ، وكان ذلك ليلة الجمعة ، فلما أصبح الناس ذهبوا إلى دار الوالى فأجروها وثلاث دور لبعض الظلمة ، وجرت أحوال صعبة ، ونهبت أموال ، وكسرت العامة باب سجن الوالى فخرج منه من فيه ، فبلغ نائب السلطنة فاعتقد النائب أنه السجن الذى فيه الأمراء ، فأمر بوضع السيف في البلد وتخريبه ، ثم إن الأمير بلغ السلطان فأرسل الوزير طيئنا الجمالى سرىما فضرب وصادر ، وضرب القاضى ونائبه وعزلهم ، وأهان خلقا من الأكابر وصادهم بأموال كثيرة جدا ، وعزل المتولى ثم أعيد ، ثم تولى القضاء بهاء الدين علم الدين الأختافى الشافى الذى تولى دمشق فيما بعد ، وعزل قضاة الإسكندرية المالكي ونائبه ، ووضعت السلاسل في أعناقهم وأهينوا ، وضرب ابن السنى غير مرة .

وفي يوم السبت عشرين شعبان وصل إلى دمشق قاضى قضاء حلب ابن الزملكافى على البريد فأقام بدمشق أربعة أيام ثم سار إلى مصر ليتولى قضاء قضاء الشام بمحضرة السلطان ، فاتفق موته

قبل وصوله إلى القاهرة (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل إتهم كانوا في شك منه مرئياً). وفي يوم الجمعة سادس عشر من شعبان بأمر صدر الدين المالكي مشيخة الشيوخ مضافاً إلى قضاء قضاة المالكية، وحضر الناس عنده، وقرئ تقليده بفك بعد انفصال الزعمي عنها إلى مصر. وفي نصف رمضان وصل قاضي الخفعية بدمشق لقضاء القضاة عماد الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد الطرموسي، الذي كان نائباً لقاضي القضاة صدر الدين علي البصري، وخلفه بعده بالنصب، وقرئ تقليده بالجامع، وخلع عليه وأمر بالحكم، واستتاب القاضي عماد الدين ابن المز، ودرس بالتورية مع القضاء، وشكرت سيرته.

وفي رمضان قدم جماعة من الأسارى مع فجار الفرنج فأفلحوا بالمدرسة العادلية الكبيرة واستفكوا من دوان الأسرى بنحو من ستين ألفاً، وكثرت الأدعية لمن كان السبب في ذلك. وفي ثامن شوال خرج الركب الشامي إلى الحجاز وأميره سيف الدين بالبان الحمدي، وقاضيه بدر الدين محمد بن محمد قاضي حران. وفي شوال وصل تقليد قضاء الشافعية بدمشق لبدر الدين ابن قاضي القضاة ابن عز الدين بن الصائغ والخلة معه، فامتنع من ذلك أشد الامتناع، وصمم، وألح عليه الدولة فلم يقبل وكثر بكأؤه وتغير مزاجه واعتناظ، فلما أصر على ذلك راجع تنكر السلطان في ذلك، فلما كان شهر ذي القعدة اشتهر تولية علاء الدين علي بن إسماعيل القنوي قضاء الشام، فسار إليها من مصر وزار القدس ودخل دمشق يوم الاثنين سابع عشرين ذي القعدة، فاجتمع بنائب السلطنة وليس الخلة وركب مع الحجاب والدولة إلى العادلية، وقرئ تقليده بها وحكم بها على العادة، وفرح الناس به وبحسن منته وطيب لفظه وملاحه شائله وتودده، وولى بعده مشيخة الشيوخ بمصر محمد الدين الأقصري الصوفي شيخ سرياقوس.

وفي يوم السبت ثالث عشرين ذي القعدة لبس القاضي محي الدين بن فضل الله الخلة بكتابة السر عوضاً عن ابن الشهاب محمود، واستمر ولده شرف الدين في كتابة الست. وفي هذه السنة تولى قضاء حلب عوضاً عن ابن الزملكاني القاضي خير الدين البازري. وفي العشر الأول من ذي الحجة كل ترخيم الجامع الاموي أعق حائطه الشمالي وجاء تنكر حتى نظر إليه فأعجبه ذلك، وشكر ناظره ثقي الدين بن مراجل. وفي يوم الاضحى جاء سيل عظيم إلى مدينة بلبس فهرب أهلها منها وتعمطت الصلاة والاضحى فيها، ولم ير مثله من مدة سنين متطلوة، وخرب شيئاً كثيراً من حواضرها وبساتينها فأن الله وإنا إليه راجعون.

ومن توفي فيها من الأعيان (الامير أبو يحيى)

ذكر ابن أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبي حفص المنتاني الجبالي (١) المغربي، أمير بلاد المغرب.

(١) وفي شذرات الذهب «الجبالي».

ولد بتونس قبل سنة حسين وسنائة ، وقرأ الفقه والعربية ، وكان ملوك تونس تعظمه وتكرمه ، لأنه من بيت الملك والامرة والوزارة . ثم بايعه أهل تونس على الملك في سنة إحدى عشرة وسبعائة ، وكان شجاعاً مقداماً ، وهو أول من أبطل ذكر ابن التومرت من الخطبة ، مع أن جده أبا حفص المنتاقى كان من أخص أصحاب ابن التومرت . توفي في الحرم من هذه السنة بمدينة الاسكندرية رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

ضياء الدين أبو القدا إسماعيل بن رضى الدين أبى الفضل المسلم بن الحسن بن نصر الدمشقى ، المعروف بابن الجوى ، كان هو وأبوه وجدته من الكتاب المشهورين المشكورين ، وكان هو كثير التلاوة والصلاة والصيام والبر والصدقة والإحسان إلى الفقراء والأغنياء . ولد سنة خمس وثلاثين وسنائة وسمع الحديث الكثير وخرج له البرزالى مشيخة سمعناها عليه ، وكان من صدور أهل دمشق ، توفي يوم الجمعة رابع عشر صفر ، وصلى عليه ضحوة يوم السبت ، ودفن بباب الصغير ، وحج وجاور وأنعم بالقدس مدة . مات وله ثنتان وسبعون سنة رحمه الله ، وقد ذكر والده أنه حين ولد له فتح المصحف يتفامل فإذا قوله (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق) فسماه إسماعيل . ثم ولد له آخر فسماه إسحاق ، وهذا من الاتفاق الحسن رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ على المحارفى ﴾

على بن أحمد بن هوس الملالي ، أصل جده من قرية لبل البسوق ، وأنعم والده بالقدس ، وحج هو مرة وجاور بمكة سنة ثم حج ، وكان رجلاً صالحاً مشهوراً ، ويعرف بالمحارفى ، لأنه كان يحرف الازقة ويصلح الرصفان لله تعالى ، وكان يكثر التهليل والده كرجلة ، وكان عليه هبة ووقار ، ويتكلم كلاماً فيه تحذير من النار ، وعواقب الردى ، وكان ملازماً لمجالس ابن تيمية ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الاول ، ودفن بقرية الشيخ موفق الدين بالسفح ، وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله .

﴿ الملك الكامل ناصر الدين ﴾

أبو المالى محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبى الجيش ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب أحد أكابر الامراء وأبناء المملوك ، كان من محاسن البلد ذكاه وفضلة وحسن عشرة ولطافة كلام ، بحيث يسرد كثيراً من الكلام بمنزلة الأمثال من قوة ذهنه وحذاقة فهمه ، وكان رئيساً من أجواد الناس ، توفي عشية الاربعاء عشرين جمادى الاولى وصلى عليه ظهر الخميس بصحن الجامع تحت الفسر ، ثم أرادوا دفنه عند جده لأنه الملك الكامل فلم يتيسر ذلك فدفن بقرية أم الصالح ساحة الله ، وكان له سماع كثير سمعنا عليه منه ، وكان يحفظ تاريخاً جيداً ،

وقام ولده الأمير صلاح الدين مكانه في إمرة الطليخانة ، وجعل أخوه في عشرته وليسوا بالخلع السلطانية بذلك .

﴿ الشيخ الامام نجم الدين ﴾

أحمد بن محمد بن أبي الحزم القرشي الحزومي النحوي ، كان من أعيان الشافعية ، وشرح الوسيط وشرح الحاجبية في مجلدين ، ودرس وحكم بمصر ، وكان محسباً بها أيضاً ، وكان مشكوراً للسيرة فيها ، وقد تولى بعده الحكم نجم الدين بن عقيل ، والحسبة ناصر الدين بن قار السبقوقي ، توفي في رجب وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالقرافة رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح أبو القاسم ﴾

عبد الرحمن بن موسى بن خلف الحزامي ، أحد مشاهير الصالحين بمصر ، توفي بالروضة وحمل إلى شاطئ النيل ، وصلى عليه وحمل على الرأس والأصابع ، ودفن عند ابن أبي حمزة ، وقد قارب الثمانين ، وكان ممن يقصد إلى الزيارة رحمه الله .

﴿ القاضي عز الدين ﴾

عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى بن عمر بن انطضر المكارى الشافعي ، فاضى المحلة ، كان من خيار القضاة ، وله تصنيف على حديث الجامع في رمضان ، يقال إنه استنبط فيه ألف حكم . توفي في رمضان ، وقد كان حصل كتباً جيدة منها التهذيب لشيخنا المزى .

﴿ الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ﴾

شيخ الشافعية بالشام وغيرها ، انتهت إليه رئاسة المذهب قدريسا وإفناء ومناظرة ، ويقال في نسب السلكي نسبة إلى أبي دجانة سلك بن خرشة والله أعلم . وله ليلة الاثنين ثامن شوال سنة ست وستين وستائة ، وجمع الكثير واشتغل على الشيخ تاج الدين القزاري ، وفي الأصول على القاضي بهاء الدين بن الزكي ، وفي النحو على بدر الدين بن ملك وغيرهم ، وبرع وحصل وساد أقرانه من أهل مذهبه ، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوفاة في تحصيل العلم الذي أسهره ومنعه الرقاد وعبارته التي هي أشبه من كل شيء معتاد ، وخطة الذي هو أنصر من أزهير الوهاد ، وقد درس بمدة مدارس بدمشق ، وبأشر عدة جهات كبار ، كنظر الخزانة ونظر المارستان النوري وديوان الملك السعيد ، ووكالة بيت المال . وله تعاليق مفيدة واختيارات حميدة ، ومناظرات صعبة . وما علقه قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووي ، ومجلد في الرد على الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الطلاق وغير ذلك ، وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درس أحسن منها ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره ، وجودة احترازاته ، وصحة ذهنه وقوة فريسته وحسن نظمه ، وقد

درس بالشامية البرانية والمنراوية والظاهرية الجوانية والرواحية والمسروورية ، فكان يعطى كل واحدة منهم حقها بحيث كان يكاد ينسخ بكل واحد من تلك الدروس ما قبله من حسنه وفصاحته ، ولا يبخله تعداد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء ، بل كلما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدرس أنضر وأبهر وأحلى وأنصح وأنصح . ثم لما انتقل إلى قضاء حلب وما معه من المدارس المديدة عامله معاملة مثلاً ، وأوسع بالفضيلة جميع أهلها ، وصنعوا من المعلوم ما لم يسموا هم ولا آباؤهم . ثم طلب إلى الديار المصرية ليلوى الشامية دار السنة التنوية فصاحته المنية قبل وصوله إليها ، ففرض وهو سائر على البريد تسعة أيام ، ثم عقب المرض بحرق الحام قبيضه هاذم الاذات ، وحال بينه وبين سائر الشهوات والارادات ، والاعمال بالنيات . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وكان من نيته انليثته إذا رجع إلى الشام متولياً أن يؤذى شيخ الاسلام ابن تيمية فدعا عليه فلم يبلغ أمه ومراده ، فتوفي في سحر يوم الاربعاء سادس عشر شهر رمضان بمدينة بليس ، وحمل إلى القاهرة ودفن بالقرافة ليلة الخميس جوارقة الشافعي فقدمها الله برحمته .

﴿ المؤذن المشهور بالجامع الأموى ﴾

الحاج على بن فرج بن أبي الفضل الكتاني ، كان أبوه من خيار المؤذنين ، فيه صلاح ودين وله قبول عند الناس ، وكان حسن الصوت جهوري ، وفيه تودد وخم وكرم ، وحج غير مرة وسمع من أبي عمر وغيره ، توفي ليلة الأربعاء ثالث القعدة وصلى عليه غصوة ، ودفن بباب الصغير . وفي ذى القعدة توفي ﴿ الشيخ فضل ابن الشيخ الرجيعي التونسي ﴾ وأجلس أخوه يوسف مكانه بالزاوية .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ﴾

في ذى القعدة منها كانت وفاة شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن تيمية فحس الله روحه كما سنأتي ترجمة وفاته في الوفيات إن شاء الله تعالى .

استهلت هذه السنة وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها سوى نائب مصر وقاضى حلب . وفي يوم الأربعاء ثاني المحرم درس بحلقة صاحب حصص الشيخ الحافظ صلاح الدين اللاتى ، نزل له عنها شيخنا الحافظ المزى ، وحضر عنده الفقهاء والقضاة والاعيان ، وذ كر دساً حسناً مفيداً . وفي يوم الجمعة رابع المحرم حضر قاضى القضاة علاء الدين القوتوى مشيخة الشيخ بالسماطية عوضاً عن القاضي المالكي شرف الدين ، وحضر عنده الفقهاء والصوفية على العادة . وفي يوم الأحد ثامن عشر صفر درس بالمسروورية تقي الدين عبد الرحمن بن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عوضاً عن جمال الدين بن الشريثي بحكم انتقاله إلى قضاء حصص ، وحضر الناس عنده وترحموا على والده .

وفي يوم الأحد الخامس عشرين صفر وصل إلى دمشق الأمير الكبير صاحب بلاد الروم تيمورلنك
ابن جويان ، قاصدا إلى مصر ، فخرج نائب السلطنة والجيش إلى تلقيه ، وهو شاب حسن الصورة تام
الشكل مليح الوجه . ولما انتهى إلى السلطان بمصر أكرمه وأعطاه تقعة ألف ، وفرق أصحابه على
الأنهار وأكرموهم إكراما زائدا ، وكان سبب قدومه إلى مصر أن صاحب العراق الملك أبا سعيد كان
قد قتل أخاه جوجا رمشتق في شوال من السنة الماضية ، فهم والده جويان بحاربة السلطان أبي
سعيد فلم يتمكن من ذلك ، وكان جويان إذ ذاك مدير الممالك ، فخاف تيمورلنك هذا عند ذلك من
السلطان ففر هاربا بدمه إلى السلطان الناصر بمصر .

وفي ربيع الأول توجه نائب الشام سيف الدين تنكز إلى الديار المصرية لزيارة السلطان فأكرمه
واحترمه واشترى في هذه السفرة دار الفلوس التي بالقرب من البرزين والجوزية ، وهي شرقها ،
وقد كان سوق البرزين في اليوم يسمى سوق القمح ، فاشترى هذه الدار وعمرها دارا هائلة ليس بدمشق
دار أحسن منها ، ومماها دار الذهب ، وهدم حمام سويد تلقاها وجهه دار قرآن وحديث في غاية
الحسن أيضا ، ووقف عليها أما كن ورتب فيها المشايخ والطلبة كما سيأتي تفصيله في موضعه ، واجتاز
برجوعه من مصر بالقدس الشريف وزاره وأمر ببناء حمام به ، وبناء دار حديث أيضا به ، وخافاه
كما يأتي بيانه . وفي آخر ربيع الأول وصلت القننة إلى القدس التي أمر ببنائها وتجهيدها سيف
الدين تنكز قطليك ، فقام ببنائها مع ولاية تلك النواحي ، وفرح المسلمون بها : دخلت حتى إلى شط
المسجد الأقصى ، وعمل به بركة هائلة ، وهي مرتجة ما بين الصخرة والأقصى ، وكان ابتداء عملها من
شوال من السنة الماضية . وفي هذه المدة عمر سقف شرافات المسجد الحرام وإخوانه ، وعمرت بمكة
طهارة مما يلي باب بني شيبه .

قال البرزالي : وفي هذا الشهر كملت عمارة الحمام الذي يسوق باب توما ، وله بابان . وفي ربيع
الآخر قضى الترخيم الذي يحاط جامع دمشق القبلى من جهة الغرب مما يلي باب الزيادة ، فوجدوا
الحائط متجافيا تخيف من أمره ، وحضر تنكز بنفسه ومعه القضاة وأرباب الخبرة ، فاتفق رأيهم على
قضيه وإصلاحه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين ربيع الآخر وكتب نائب السلطنة
إلى السلطان يعلم بذلك ويستأذنه في عمارته ، فجاء المرسوم بالآذن بذلك ، فشرع في قضيه يوم الجمعة
خامس عشرين جمادى الأولى ، وشرعوا في عمارته يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة ، وعمل محراب
فيما بين الزيادة ومقصورة الخطابة يضاهى محراب الصحابة ، ثم جدوا ولازموا في عمارته ، وتبرع
كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس ، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مائة رجل ، حتى
كملت عمارة الجدار وأعيدت طاقاته وسقوفه في العشرين من رجب وذلك بهمة تقي الدين بن مراحل

وهذا من العجب فانه تقص الجدار وما يسامته من السقف ، وأعيد في مدة لا يتخيل إلى أحد أن عمله يفرغ فيما يقارب هذه المدة جزماً ، وساعدهم على سرعة الاعادة حجارة وجندوها في أسس الصومعة الغربية التي عند الغربية ، وقد كن في كل زاوية من هذا المبدع صومعة كما في الغربية والشرقية اتقبلتين منه فأبديت الشماليةين قديماً ولم يبق منهما من مدة ألوف من السنين سوى أس هضمة المأذنة الغربية الشمالية ، فكانت من أكبر اللون على إعادة هذا الجدار سريعاً . ومن العجب أن ناظر الجامع ابن مراحلم لم ينقص أحداً من أبواب المرتبات على الجامع شيئاً مع هذه العجزة .

وفي ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع حريق عظيم بالقرابين واتصل بالماحين ، واحترقت القيسارية والمسجد الذي هناك ، وهلك للناس شيء كثير من الفراء والجوخ والأقشة ، فأنقذه وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة عاشره بعد الصلاة صلى على القاضي فشمس الدين بن الحريرى قاضى قضاء الحنفية بمصر ، وصلى عليه صلاة الغائب بدمشق . وفي هذا اليوم قدم البريد بطلب برهان الدين بن عبد الحق الحنفى إلى مصر ليل القضاء بها بمسند ابن الحريرى ، فخرج مسافراً إليها ، ودخل مصر في خامس عشرين جمادى الأولى ، واجتمع بالسلطان فولاه القضاء وأكرمه وخلع عليه وأعطاه بقلعة بزقارى ، وحكم بالمدرسة الصالحية بمحضرة القضاء والحجاب ، ورسم له بجميع جهات ابن الحريرى . وفي يوم الاثنين فاسع جمادى الآخرة أخرج ما كان عند الشيخ تقي الدين بن تيمية من الكتب والأوراق والدواة والقلم ، ومنع من الكتب والمطامعة ، وحملت كتبه في مستهل رجب إلى خزانة الكتب بالمعادية الكبيرة . قال البرزالى : وكانت نحو ستين مجلداً ، وأربع عشرة ربعة كراريس ، فنظر القضاء والعقهاء فيها وتفرقوها بينهم ، وكان سبب ذلك أنه أجاب لما كان رد عليه التقي ابن الاخنأى المالكي في مسألة الزيارة فرد عليه الشيخ تقي الدين واستجبه وأعلمه أنه قليل البضاعة في العلم ، فطلع الاخنأى إلى السلطان وشكاه ، فرسم السلطان عند ذلك بإخراج ما عنده من ذلك وكان ما كان ، كما ذكرنا . وفي أواخره رسم لعماد الدين بن القلانسى في الفتوى ، فكان أخيه جلال الدين توقيراً لخطأه عن المباشرة ، وأن يكون مملوفاً على قضاء المساكم والوكالة ، وخلع عليهما بذلك .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرين رجب رسم للأئمة الثلاثة الحنفى والمالكي والحنبل بالصلاة في الحائط القبلى من الأموى ، فبين الحراب الجديد الذى بين الزيادة والمقصورة للامام الحنفى ، وعين محراب الصحابة المالكي وعين محراب مقصورة الخضر الذى كان يصل فيه المالكي للحنبل ، وعوض إمام محراب الصحابة بالكلاسة ، وكان قبل ذلك في حال العجزة قد بلغ محراب الحنفية من المقصورة

المروفة بهم ، ومحراب الخناينة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي وكأنا بين الأعنة ، فنقلت تلك المحارب ، وعوضوا بالمحارب المستقرة بالحائط القبلي واستقر الأمر كذلك .

وفي العشرين من شعبان مسك الأمير تترناش بن جويان الذي أتى هاربا إلى السلطان الناصر بمصر وجماعة من أصحابه ، وجسوا بقلمة مصر ، فلما كان ثاني شوال أظهر موته ، يقال إنه قتله السلطان وأرسل رأسه إلى أبي سعيد صاحب العراق ابن خربندا ملك التتار .

وفي يوم الاثنين ثاني شوال خرج الركب الشامي وأميره نغر الدين عثمان بن شمس الدين لؤلؤ الحلبي أحد أمراء دمشق ، وقاضيه قاضي قضاة الخناينة عز الدين بن التقي سليمان . ومن حج الأمير حسام الدين الشيمقدار ، والأمير قبجي والأمير حسام الدين بن النجيب وتقي الدين بن السلوس وبدر الدين بن الصائغ وابننا جهيل والفخر المصري ، والشيخ علم الدين البرزالي ، وشهاب الدين الطاهري . وقبل ذلك بيوم حكم القاضي المنفوطي الذي كان حاكما بيمليك بدمشق نيابة عن شيخه قاضي القضاة علاء الدين القونوي ، وكان مشكور السيرة ، تألم أهل بيمليك لفقده ، فحكم بدمشق عوضا عن القونوي بسبب عزمه على الحج ، ثم لما رجع الفخر من الحج عاد إلى الحكم واستمر المنفوطي يحكم أيضاً ، فصاروا ثلاث نواب : ابن جملة والفخر المصري والمنفوطي . وسافر ابن الحشيشي في ثاني عشرين شوال إلى القاهرة لينوب عن القاضي نغر الدين كاتب المالك إلى حين رجوعه من الحجاز ، فلما وصل وإلى حجابة ديوان الجيش ، واستمر هناك ، واستقل قطب الدين ابن شيخ السلامية بنظر الجيش بدمشق على عادته .

وفي شوال خلع على أمين الملك بالفيار المصرية وولى نظر الدواوين فيأشره شهرا ويومين وعزل عنه .

(ذكر وفاة شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية قنس الله روحه)

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه . وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الامام العالم تلميذ العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القنطرة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الامام العلامة الفقيه شهاب الدين أبي النحاس عبد الحليم ابن الشيخ الامام شيخ الاسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، بقلمة دمشق بإقاعة التي كان محبوسا بها ، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، وأذن لهم في الدخول عليه ، وجلس جماعة عنده قبل التسلي وقرأوا القرآن وتبركوا برويته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، ثم حضر جماعة من النساء فملن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصرنا على من ينسله ، فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة وانظروا إلى الجامع

وامتلاأ الجامع أيضا ومجئته والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب القبايين والنقارة ، وحضرت الجنائزة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع ، والجند قد احتاطوا بها يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه أولا بالقلمة ، تقدم في الصلاة عليه أولا الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلى عليه بالجامع الأمامي عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره ، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرأس والأصابع ، وخرج النمش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحيم عليه والثناء والدعاء له ، وألقى الناس على نفسه مناديلهم وعماهم وثيابهم ، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديلهم وعماهم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنائزة ، وصار النمش على الرأس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج للناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها ، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي أخرجت منه الجنائزة ، وباب الفرديس ، وباب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر بسوق الخليل وتضادف الخلق وكثر الناس ، ووضعت الجنائزة هناك وتقدم الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمه الله ، وكان دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلى عليه من أهل البساتين وأهل النوبة وأهل القرى وغيرهم ، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحيم والدعاء له ، وأنه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات يحمي حزن من خمسة عشر ألف امرأة ، غير اللائي كن على الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترجمن ويبكين عليه فيما قيل . وأما الرجال فحزروا بستين ألفا إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية السم الذي غسل به ، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القتل مائة وخمسون درهما ، وقيل إن الطائفة التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما . وحصل في الجنائزة ضجيج وبكاء كثير ، وقصرع وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا يبيتون عنده ويصبحون ، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة ، ورأاه جماعة بقصائد جيدة .

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من ابن عبد الهائم وابن أبي اليسر وابن عبدان والشيخ قمس الدين الحنبلي ، والشيخ قمس الدين بن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي ، ومجد الدين

ابن عساكر والشيخ جمال الدين البغدادي ، النجيب بن المقداد ، وابن أبي الخير ، وابن علان وابن أبي بكر اليهودي والسكال عبد الرحيم والنفر على وابن شيبان والشرف بن القواس ، وزينب بنت مكي ، وخاق كثير صمغ منهم الحديث ، وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطباقي والاثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين ، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه ، ثم اشتغل بالعلوم ، وكان ذا كثير المحفوظ فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به عارفاً بالغة ، فيقال إنه كان أعرف بقتة المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره ، وكان عالماً باختلاف العلماء ، علماً في الأصول والفروع والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم العقلية والنقلية ، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن منه ، وروا عارفاً به متقناً له ، وأما الحديث فكان حامل رايته حافظاً له مميّزاً بين صحيحه وسقيم ، عارفاً برجاله متضلماً من ذلك ، وله تصانيف كثيرة وتمايلق مفيدة في الأصول والفروع ، كل منها جملة وبيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ، وجملة كلها ولم تبيض إلى الآن . وأتقى عليه وعلى علومه وفوائده جماعة من علماء عصره ، مثل القاضي الخواري ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، والقاضي الحنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري وابن الزملاكاني وغيرهم ، ووجدت بخط ابن الزملاكاني أنه قال : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدوين ، وكتب على تصنيف له هذه الاييات :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله ظاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة أوارها أربت على العجز

وهذا الثناء عليه ، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة ، وكان بيني وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة ، وله فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاته وسيرته ومأجري بينه وبين الفقهاء والرواة وحبه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضوع ، وهذا الكتاب . ولما مات كنت غائباً عن دمشق بطريق الحجاز ، ثم بلغنا خبر موته بعد وفاته بأكثر من خمسين يوماً ولما وصلنا إلى تبوك ، وحصل التألم لفقد رحمة الله تعالى . هذا لفظه في هذا الموضوع من تاريخه . ثم ذكر الشيخ علم الدين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبي بكر بن أبي داود وعظمها ، وجنازة الامام أحمد ينفذاد وشهرتها ، وقال الامام أبو عثمان الصابوني : سمعت أبا عبد الرحمن السيوفي يقول : حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن المارطقي فلما بلغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا وقال سمعت أبا سهل بن زياد القطنان يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول : قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز ، قال ولا شك أن جنازة أحمد بن

حنبل كانت هائلة عظيمة ، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك ، وتمظيمهم له ، وأن الدولة كانت تحبه ، والشيخ نقي الدين ابن تيمية رحمه الله توفي ببغداد دمشق ، وأهلها لا يمشرون أهل بغداد حينئذ كثرة ، ولكنهم اجتمعوا لجنائزته اجتماعا لو جمعهم سلطان قاهر ، وديوان حاصر لما بلغوا هذه السكرة التي اجتمعوها في جنازته ، واندبوا إليها . هذا مع أن الرجل مات بالقلمة محبوبا من جهة السلطان ، وكثير من الفقهاء والقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة ، مما ينفر منها طليع أهل الأديان ، فضلا عن أهل الاسلام . وهذه كانت جنازته .

قال : وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكور ، فذكر ذلك مؤذن القلمة على المنسابة بها وتكلم به الحراس على الابرجة ، فأصبح الناس إلا وقد تساموا بهذا الخطب العظيم والامر الجسيم ، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلمة من كل مكان أمكنهم المجيء منه ، وحق من النوبة والمرج ، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئا ، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أبوابا للتهار على العادة ، وكان نائب السلطنة تنكز قد ذهب بتصديف بعض الأمكنة ، فغارت الدولة ماذا يصنعون ، وجاء صاحب شمس الدين غبريال نائب القلمة فعزاه فيه ، وجلس عنده ، وفتح باب القلمة لمن يدخل من الخواص والاحباب ، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصالحية ، فجلسوا عند يمينه ويثون . على مثل ليلي يقتل المرء نفسه . وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي رحمه الله ، وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته ، وعلى رأسه عملة بمذبح مفروزة وقد علاه الشيب أكثر مما طرقتاه . وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلمة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين ، فأنهينا فيها إلى آخر اقتربت الساعة (إن المتقين في جنات ونهر في مقد صدق عند مليك مقتدر) فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الطهران عبيد الله بن الحب وعبد الله الزرعي الضرر . وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما . فابتدأ من أول سورة الرحمن حتى ختما القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى .

ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى مسجد هناك ولم يدعوا عنده إلا من ساعد في غسله ، منهم شيخنا الحافظ المزي وجماعة من كبار الصالحين الأخيار ، أهل العلم والإيمان ، فأفرغ منه حتى امتلأت القلمة وضج الناس بالبكاء والثناء والثناء والترحم ، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق المهادية على المادلية الكبيرة ، ثم عطفوا على ثلث الناطقانيين ، وذلك أن سورة باب البر يد كانت قد هضمت لتصلح ، ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي ، وانحلق في يمين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها مالا يحصى عدتهم إلا الله تعالى ، فصرخ صارخ وصاح صائح هكذا

تكون جنازات أئمة السنة قباكي الناس وضجوا عند سماع هذا الصارخ ووضع الشيخ في موضع الجنازة مما يلي المقصورة ، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف ، بل مرصعين رصا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جوالجامع وبرى الأذقة والاسواق ، وذلك قبل أذان الظهر بقليل ، وجاء الناس من كل مكان ، وتوى خلق الصيام لأنهم لا يتفرغون في هذا اليوم لال ولا لشرب ، وكثر الناس كثرة لا تحصى ولا توصف ، فطافوا من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف المادة ، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لقية الخطيب بمصرفى عليه إماما ، وهو الشيخ علاء الدين الخراط ، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا ، واجتمعوا بسوق الخيل ، ومن الناس من قهجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية ، والناس في بكاء وتهليل في مخافة كل واحد بنفسه ، وفي ثناء وتأسف ، والنساء فوق الاسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين ويقنن هذا العالم .

وبالجملة كان يوما مشهودا لم يهصد مثله بمشقة إلا أن يكون في زمن بنى أمية حين كان الناس كثيرين ، وكانت دار الخلافة ، ثم دفن عند أخيه قريبا من أذان العصر على التحديد ، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة ، وهريب ذلك أنه عبارة عن أمكنة الحضور من أهل البلد وحواضره ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والحدرات ، وما علت أهدأ من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلف عن الحضور في جنازته ، وهم ثلاثة أنفس : وهم ابن جملة ، والصدر ، والقنجرى ، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فاختلفوا من الناس خوفا على أنفسهم ، بحيث إنهم علوا منى خرجوا قتلوا وأهلهم الناس ، وتردد شيعتنا الامام العلامة برهان الدين الفزارى إلى قبره في الايام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية ، وكان برهان الدين الفزارى يأتى را كبا على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله .

وعملت له ختات كثيرة ورؤيت له منلمات صالحة عجيبة ، ورئى بأشمار كثيرة وقصائد مطولة جدا . وقد أفردت له تراجم كثيرة ، وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم ، وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وكرمه ونصحه وزهادته وعبادته وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة وصفاته الكبار والصغار ، التي احتوت على غالب العلوم ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسنة وأقنى بها .

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ومن يخطى ويصيب ولكن خطوه بالنسبة إلى صوابه كسقطه في بحرلى ، وخطوه أيضا مغفور له كما في صحيح البخارى : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله

أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر « فهو مأجور . وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر .

وفي سادس عشر من ذى القعدة نقل تنكز حواصله وأمواله من دار الذهب داخل باب الفردايين إلى الدار التي أنشأها ، وتعرف بدار فلوس ، فسميت دار الذهب ، وعزل خزنداره ناصر الدين محمد ابن عيسى ، وولى مكانه مملوكه أباجى . وفي ثاقى عشر من القعدة جاء إلى مدينة عجلون سيل عظيم من أول النهار إلى وقت العصر ، فهدم من جامعها وأسواقها وديارها ودورها شيئاً كثيراً ، وغرق سبعة نفر ، وهلك للناس شيء كثير من الأموال والغلات والامتنعة والمواشى ما يقارب قيمته ألف ألف درهم والله أعلم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الأحد ثامن عشر من ذى الحجة أتم القاضي الشافى الشيخ علاء الدين التتوى جماعة الشهود بشاراً المراكز أن يرسلوا في عمامتهم المنيات ليعتبروا بذلك عن عوام الناس ، ففعلوا ذلك أياماً ثم تضرروا من ذلك فأرخص لهم في تركها ، ومنهم من استمر بها . وفي يوم الثلاثاء عشر من ذى الحجة أخرج عن الشيخ الامام العالم العلامة أبى عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية ، وكان معتقلاً بالقلعة أيضاً ، من بعد اعتقال الشيخ تقى الدين بأيام من شعبان سنة ست وعشرين إلى هذا الحين ، وجاء الخبر بأن السلطان أفرج عن الجوالى والامير فرج بن قراسنقر ، ولابن المنصورى ، وأحضروا بعد العيد بين يديه ، وتخلع عليهم . وفيه وصل الخبر بموت الأمير الكبير جويان نائب السلطان أبى سعيد على تلك البلاد ، ووفاته قرا سنقر المنصورى أيضاً كلاًهما في ذى القعدة من هذه السنة ، وجويان هذا هو الذى ساق القنائة الواصلة إلى المسجد الحرام ، وقد غرم عليها أموالاً جزيلة كثيرة ، وله تربة بالمدينة النبوية ، ومدرسة مشهورة ، وله آفاحسنة ، وكان جيد الاسلام له هبة عالية وقد دبر المملك فى أيام أبى سعيد مدة طويلة على السداد ، ثم أراد أبو سعيد مسكه فتخلص من ذلك كما ذكرنا ، ثم إن أبى سعيد قتل ابنه خواجا رمشق فى السنة الماضية ففر ابنه الآخر عمر تاش هارباً إلى سلطان مصر ، فأوداه شهراً ثم ترددت الرسل بين المملكين فى قتله فقتله صاحب مصر فبا قبل وأرسل برأسه إليه ، ثم توفى أبوه بعده بقليل ، والله أعلم بالسرائر .

وأما قراسنقر المنصورى فهو من جملة كبار أمراء مصر والشام يؤكل من جملة من قتل الاشرف خليل بن المنصور كما تقدم ، ثم ولى نيابة مصر مدة ، ثم صار إلى نيابة دمشق ثم إلى نيابة حلب ، ثم فر إلى التتر هو والاقرم والزركلشى فأوام ملك التتار خربندى وأكرمهم وأقطعهم بلاداً كثيرة ، وتزوج قراسنقر بنت هولاً كوت ثم كانت وفاته بمراغة بلخ التى كان حاكماً بها فى هذه السنة ، وله نحو تسعين سنة والله أعلم .

ومن توفي فيها من الاعيان شيخ الاسلام العلامة تقي الدين ابن تيمية كما تقدم ذكر ذلك في الحوادث وسنفرد له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى .

﴿ الشريف العالم الزاهد الحديث ﴾

عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن الملوي الحسيني المراق الاسكندري الشافعي ، سمع الكثير وحفظ الوجيز في الفقه ، والايضاح في النحو ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا وبلغ تسعين سنة وعقله وحلمه وذهنه ثابت متيقظ ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وتوفي يوم الجمعة خامس المحرم ، ودفن بالاسكندرية بين المادين رحمه الله

﴿ الشمس محمد بن عيسى التكريدي ﴾

كانت فيه شهامة وحزامة ، وكان يكون بين يدي الشيخ تقي الدين بن تيمية كالنفس لما يأمر به وينهى عنه ، ويرسله الأمراء وغيرهم في الأمور المهمة ، وله معرفة وقوم بقبليخ رسالته على أتم الوجوه توفي في الخامس من صفر بالتبنيات ودفن عند الجامع الكريبي رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

أبو بكر بن شرف بن محسن بن معن بن عمان الصالحى ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وسمع الكثير محبة الشيخ تقي الدين بن تيمية والمزى ، وكان ممن يحب الشيخ تقي الدين ، وكان معهما كالاخادام لهما ، وكان فقيراً ذا عيال يتناول من الزكاة والصدقات ما يقوم بأوده ، وأقام في آخر عمره بمحس ، وكان فصيحاً مفوهاً ، له تاليفات وقصائيف في الأصول وغيرها ، وكان له عبادة وفيه خير وصلاح ، وكان يتكلم على الناس بعد صلاة الجمعة إلى العصر من حفظه ، وقد اجتمعت به مرة محبة شيخنا المزى حين قدم من محس فكان قوى العبارة فصيحاً متوسطاً بالعلم ، له ميل إلى التصوف والكلام في الاحوال والأعمال والقلوب وغير ذلك ، وكان يكثر ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية . توفي بمحس في الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة ، وقد كان الشيخ يحض الناس على الاحسان إليه ، وكان يعطيه ويرفده .

﴿ ابن الدواليبي البغدادي ﴾

الشيخ الصالح العالم العابد الرحلة المسند المعمر عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن ابن أبي الحسين بن عبد الغفار البغدادي الأرجي الحنبلي المروفي ابن الدواليبي ، شيخ دار الحديث المستنصرية ، ولد في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وسمع الكثير ، وله إجازات عالية ، واشتغل بحفظ الخرق ، وكان فاضلاً في النحو وغيره ، وله شرح حسن ، وكان رجلاً صالحاً جاور التسمين وصار رحلة العراق ، وتوفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى ودفن بقرية الامام أحمد مقابر الشهداء

رحمه الله ، وقد أجازني فيمن أجاز من بغداد والله الحمد .

﴿ تاضي القضاة شمس الدين ابن الحريري ﴾

أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى عمر عثمان بن أبى الحسن عبد الوهاب الأنصارى الحنفى ، ولد سنة ثلاث وخمسين ، وسمع الحديث واشتغل وقرأ الهداية ، وكان قهراً جيداً ، ودرس بأماكن كثيرة بدمشق ، ثم ولى القضاء بها ، ثم خطب إلى قضاء الديار المصرية فاستمر بها مدة طويلة محفوظ الرضى ، لا يقبل من أحد هدية ولا تأخذه فى الحكم لومة لائم ، وكان يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فن ؟ وقال لبعض أصحابه : أحب الشيخ تقي الدين ؟ قال : نعم ، قال : والله لقد أحببت شيئاً مليحاً . توفى رحمه الله يوم السبت رابع جمادى الآخرة ودفن بالقرافة ، وكان قد عين لمنصبه القاضي برهان الدين بن عبد الحق فنفت وصيته بذلك ، وأرسل إليه إلى دمشق فأحضر فباشر الحكم بعده وجميع جهاته .

﴿ الشيخ الامام العالم المقرئ ﴾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام تقي الدين محمد بن جبار بن عبد الولي بن جبار المقدسى الرادوى الحنبلى ، شارح الشاطبية ، ولد سنة تسع وأربعين وستائة ، وسمع الكثير وعنى بغير القراءات فبرز فيه ، وانتفع الناس به ، وقد أقام بمصر مدة واشتغل بها على الفزارى فى أصول الفقه ، وتوفى بالقنس رابع رجب رحمه الله ، كان يمد من الصلحاء الاخيار ، سمع عن خطيب مرزا وغيره

﴿ ابن الماقرئ البغدادى ﴾

الشيخ الامام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن على بن حاد بن قائب الراسطى الماقرئ ثم البغدادى الشافعى ، مدرس المستنصرية مدة طويلة نحواً من أربعين سنة ، وبأشر نظر الأوقاف وعين لقضاء القضاة فى وقت . ولد ليلة الأحد عشر رجب سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وسمع الحديث وبرع واشتغل وأفتى من سنة سبع وخمسين إلى أن مات ، وذلك مدة إحدى وسبعين سنة ، وهذا شئ غريب جيداً ، وكان قوى النفس له وجاعة فى الدولة ، فكم كشف كربة عن الناس بسميه وقصده ، توفى ليلة الأربعاء رابع عشرين شوال ، وقد جاوز التسعين سنة ، ودفن بداره ، وكان قد وقفها على شيخ وعشرة صبيان يسمعون القرآن ويحفظونه ، ووقف عليها أملاكه كلها . قبل الله منه ورحمه ، ودرس بعده بالمستنصرية تاضي القضاة قطب الدين .

﴿ الشيخ الصالح العالم العابد التاجر البار ﴾

شمس الدين محمد بن داود بن محمد بن سابع ، السلامى البغدادى ، أحد ذوى اليسار ، وله برثام بأهل العلم ، ولا سيما أصحاب الشيخ تقي الدين ، وقد وقف كتباً كثيرة ، وحج مرات ، وتوفى ليلة الأحد رابع عشرين ذى القعدة بمدة وفاة الشيخ تقي الدين بأربعة أيام ، وصلى عليه بمدة صلاة الجمعة ودفن

بباب الصغير رحمه الله وأكرم مثواه . وفي هذه الليلة توفيت والدة مريم بنت فرج بن علي من قرية كان والده خطيبها ، وهي مجيدل القرية سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وصلى عليها بعد الجمعة ودفنت بالصوفية شرقي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة ﴾

استهلت والخليفة والحكام هم المبشرون في التقي قبلها ، غير أن قطب الدين ابن شيخ السلامة اشتغل بنظر الجيش . وفي المحرم طلب القاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق وولده شهاب الدين ، وشرف الدين بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى مصر على البريد ، فباشر القاضي الصدر الكبير محيي الدين المذكور كتابة السرية عوضاً عن علاء الدين بن الأمير لمرض اعتراه ، وأقام عنده ولده شهاب الدين ، وأقبل شرف الدين الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السر عوضاً عن ابن فضل الله . وفيه ذهب ناصر الدين مشد الأوقاف ناظراً على القدس والخليل ، فمر هنالك عمارات كثيرة للآمراء تنكز ، وفتح في الأقصى شباكين عن بين المحراب وشماله وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن الزبيق من شد الهداوين بمصر إلى شدها بدمشق . وفي الحادي والعشرين من صفر كمل ترخم الحائط القبلي من جامع دمشق وبسط الجامع جميعه ، وصلى الناس الجمعة به من الغد ، وفتح باب الزيادة ، وكان له أياماً مغلقة وذلك في مباشرة تقي الدين بن مراحل .

وفي ربيع الآخر قدم من مصر أولاد الأمير شمس الدين قراستغر إلى دمشق فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفراديس ، في دهليز المقمية ، وأعيدت عليهم أملاكهم الخلفة عن أبيهم ، وكانت تحت الحوطة ، فلما مات في تلك البلاد أفرج عنها أوأكثرها . وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جويان ولده من قلعة المدينة النبوية وهما ميثان مصبران في توأيمتها ، فصلى عليهما بالمسجد النبوي ، ثم دفنا بالقيع عن مرسوم السلطان ، وكان مراد جويان أن يدفن في مدرسته فلم يمكن من ذلك .

وفي هذا اليوم صلى بالمدينة النبوية على الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وعلى القاضي نجم الدين البالي المصري صلاة الغائب . وفي يوم الاثنين منتصف جمادى الآخرة درس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهيل بالمدرسة البادرانية عوضاً عن شيخنا برهان الدين الغزاري توفي إلى رحمة الله تعالى ، وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ شمس الدين الذهبي ، وحضرها في يوم الأربعاء سابع عشره ، ونزل عن خطابة بطناء لشيخ جمال الدين المسلاي المالكي ، فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره . وفي أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون إلى دمشق

قاصدا باب السلطان ، فلقاه نائب دمشق وأنزله بداره التي عند جامعهم ، ثم سار نحو مصر فتاب
 نحواً من أربعين يوماً ، ثم عاد واجاً إلى نياحة حلب . وفي عاشر رجب طلب الصاحب تقي الدين
 ابن عمر بن الوزير شمس الدين بن السلوس إلى مصر فولى نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب .
 وخرج الركب يوم السبت فامع شوال وأبهره سيف الدين باغلي ، وقاضيه شهاب الدين التيمري
 وفي الحاج زوجة ملك الأمراء تنكر ، وفي خدمتها الطواشي شبل الدولة وصدر الدين المالكي ،
 وصلاح الدين ابن أخي الصاحب تقي الدين توبة ، وأخوه شرف الدين ، والشيخ علي المغربي ،
 والشيخ عبد الله الضرير وجماعة .

وفي بكرة الأرياء ثالث شوال جلس القاضي ضياء الدين علي بن سليم بن ربيعة للحكم بالعادلة
 الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة القنوي ، وعوضاً عن الفخر المصري بمحكم نزوله عن ذلك
 وإعراضه عنه فامع عشر رمضان من هذه السنة . وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان
 الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من مماليك الجاولي يقال له أرصي ، فادعى أنه المهدي
 وسجع سمجات يسيرة على رأي الكهان ، فأنزل في شريعة ، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع
 المذكور . وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات
 والأسواق داخل دمشق وخارجها ، مثل سوق السلاح والريص والسوق الكبير وباب البريد ومسجد
 القصب إلى الزنجيلية ، وخارج باب الجابية إلى مسجد الفبان ، وغير ذلك من الأماكن التي كانت
 تضيق عن سلوك الناس ، وذلك بأمر تنكر ، وأمر بإصلاح القنوات ، واستراح الناس من ترتيش
 الماء عليهم بالنجاسات . ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب قتل منهم شيء
 كثير جداً ، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق ، وفرق بين القذور منهم
 واللائث لموتوا سرى ، ولا يتوالدوا ، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم فاستراح الناس من النجاسة
 من الماء والكلاب ، وتوسعت لهم الطرقات .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حضر مشيخة الشيوخ بالمساحلية قاضي القضاة شرف الدين
 المالكي بعد وفاة قاضي القضاة القنوي الشافعي ، وقرىء تقليده بالسبحة بها وحضره الأعيان وأعيد
 إلى ما كان عليه .

ومن توفي فيها من الأعيان

✽ الشيخ الامام الزاهد مفتي المسلمين ✽

نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالي الشافعي ، شارح
 التنبيه ، ولد سنة ستين وستائة ، وسمع الحديث واشتغل بالفتنة وغيره من فنون العلم ، فبرع فيها

ولازم ابن دقيق العيد وناب عنه في الحكم ، ودرس بالمغربية والطبرسية وجامع مصر ، وكان مشهورا بالفضيلة والهداية وملازمة الاشتغال . توفي ليلة الخميس رابع عشر المحرم ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله .

(الأمير سيف الدين قطوبك التشنكير الرومي)

كان من أكابر الأمراء وولي الحجوية في وقت ، وهو الذي عمر القناة بالقدس ، توفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول ودفن بترتبه شمال باب الفارديس ، وهي مشهورة حسنة ، وحضر جنازته يسوق الخليل النائب والأمراء . (محدث المين)

شرف الدين أحمد بن قتيبة زبيدة أبي الحسين بن منصور الشامي المنجعي ، روى عن المكيين وغيرهم ، وبلغت شيوخه خمسمائة أو أزيد ، وكان رحلة تلك البلاد ومفيدها الخير ، وكان فاضلا في صناعة الحديث والفقه وغير ذلك ، توفي في ربيع الأول من هذه السنة .

(نجم الدين أبو الحسن)

علي بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو محمد بن المسلم أحد رؤساء دمشق المشهورين ، له بيت كبير ونسب عريق ، ورياسة باذخة وكرم زائد ، باشر نظر الأيتام مدة ، وممع الكثير وحدث ، وكانت لديه فضائل وفوائد ، وله الثروة الكثيرة ، ولد سنة تسم وأربعين وستائة ، ومات يوم الاثنين ضحوة خامس ربيع الآخر ، وصلى عليه بعد الظهر بالأموى ، ودفن بسفح قاسيون بقرية أعدها لنفسه ، وقبران عنده ، وكتب على قبره (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) الآية ، ومعمنا عليه الموطأ وغيره .

(الأمير بكتمر الحلاجي)

صاحب الحمام المشهور خارج باب النصر في طريق مقابر الصوفية من ناحية الميدان ، كانت وفاته بالقاهرة في عشرين ربيع الآخر ، ودفن بمدرسته التي أنشأها إلى جانب داره هناك .

(الشيخ شرف الدين عيسى بن محمد بن قراجا بن سليمان)

السهر وردى الصوفي الواعظ ، له شعر ومعرفة بالألحان والأنغام ، ومن شعره قوله :

بشرارك يا سعد هذا الحى قد باتا * غلها سيطل الابل والباتا ^(١)
منازل ما وردنا طيب منزلها * حتى شربنا كؤوس الموت أحيانا
متناغراما وشوقا في المسير لها * فتننوا في نسيم القرب أحيانا

توفي في ربيع الآخر .

(١) كنا في الاصل . وليحرر .

﴿ شيخنا العالم العلامة برهان الدين الفزاري ﴾

هو الشيخ الامام العالم العلامة شيخ المذهب وعلمه ومفيدة اهل ، شيخ الاسلام مفتي الفرق بقية السلف برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العلامة تاج الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الامام المقرئ المفتي برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري المصري الشافعي ، ولد في ربيع الأول سنة ستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على أبيه وأعاد في حلقة وبرع وساد أقرانه ، وسائر أهل زمانه من أهل مذهبه في دراية المذهب وقلة وتحريه ، ثم كان في منصب أبيه في التدريس بالبدرائية ، وأشغل الطلبة بالجامع الأموي فانتفع به المسلمون ، وقد عرضت عليه المناصب الكبار فأبىها ، فن ذلك أنه يشر الخطابة بعد عمه العلامة شرف الدين مدة ثم تركها وعاد إلى البادرائية ، وعرض عليه قضاء قضاء الشام بعد ابن مصري وألح نائب الشام عليه بنفسه وأعوانه من الدولة فلم يقبل ، وصمم وامتنع أشد الامتناع ، وكان مقبلا على شأنه عارفاً بزمانه مستغفرا أوقاته في الاشتغال بالعبادة ليلا ونهارا ، كثير المطالعة وإسراع الحديث ، وقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره ، وكان يدرس بالمدرسة المذكورة ، وله تعليق كثير على التفتية ، فيه من النوائد ما ليس يوجد في غيره ، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه ، وله مصنفات في غير ذلك كبار . وبالجملة فلم أر شافعيًا من مشايخنا مثله ، وكان حسن الشكل عليه البهاء والجلالة والوقار ، حسن الأخلاق ، فيه حمة ثم يود قريبا ، وكرمه زائدا وإحسانه إلى الطلبة كثير ، وكان لا يقفني شيئا ويعرف مرتبته وجامكية مدرسته في مصالحه ، وقد درس بالبدرائية من سنة سبعين وستمائة إلى عامه هذا ، توفي بكرة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى بالمدرسة المذكورة ، وصلى عليه عقب الجمعة بالجامع وحملت جنازته على الرأس وأطراف الأنايل ، وكانت حافلة ، ودفن عند أبيه وعمه وذويه بباب الصغير رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد الورع ﴾

محمد الدين إسماعيل الحراني الحنبلي ، ولد سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقرأ التراءات وسمع الحديث في دمشق حين انتقل مع أهله إليها سنة إحدى وسبعين ، واشتغل على الشيخ فشمس الدين بن أبي عمر ، ولازمه وانتفع به ، وبرع في الفقه ومحة النقل وكثرة الصمت عمالا يئنيه يعلم يزل مواظبا على جهاته ووظائفه لا ينقطع عنها إلا من عذر شرعي ، إلى أن توفي ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى . وفي هذا الحين توفي .

﴿ صاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الله ﴾

الذي كان ناظر الدواوين بحلب ، ثم انتقل إلى نظرها بطرابلس . توفي بجملة ، وكان محبا للعلماء وأهل الخير ، وفيه كرم وإحسان ، وهو والد القاضي ناصر الدين كاتب السر بدمشق ، وقاضي السامر

الحلبية ومشيخة الشيوخ بالسماطية ، ومدرس الأسدية بحلب ، والناصرية والشامية الجوانية بدمشق .

(القاضي معين الدين)

هبة الله بن علم الدين مسعود بن أبي المال أبي عبد الله بن أبي الفضل ابن الخشيش الكاتب وناظر الجيش بمعرق بعض الأحيان ، ثم بدمشق مدة طويلة مستقلاً وشاركاً لقباب الدين ابن شيخ السلامة ، وكان خبيراً بذلك يحفظه على ذهنه ، وكانت له يد جيدة في العربية والأدب والحساب ، وله نظم جيدة ، وفيه تودد وتواضع . توفي بمعرق نصف جمادى الآخرة ودفن بقرية الفخر كاتب الماليك .

(قاضي القضاة وشيخ الشيوخ)

علاء الدين القونوي ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي ، وله مدينة قونية في سنة ثمان وستين وسثمائة تقريباً واشتغل هناك ، وقدم دمشق سنة ثلاث وتسعين ، وهو معدود من الفضلاء فازداد بها اشتغالا ، وسمع الحديث وتصدر للاشتغال بجماعتها ودرس بالاقبالية ثم سافر إلى مصر فدرس بها في عدة مدارس كبار ، وولى مشيخة الشيوخ بها و بدمشق ، ولم يزل يشتغل بها وينفع الطلبة إلى أن قدم دمشق قاضياً عليها في سنة سبع وعشرين ، وله تصانيف في الفقه وغيره ، وكان يحرز علوماً كثيرة منها النحو والتصرف والأصناف والفقه ، وله معرفة جيدة بكشاف الزختمري ، وفهم الحديث ، وفيه إنصاف كثير وأوصاف حسنة ، وتعلم لأهل العلم ، وخرجت له مشيخة سمعناها عليه ، وكان يتواضع لشيخنا المزي كثيراً ، توفي ببستانه بالسهم يوم سبت بعد العصر رابع عشر ذي القعدة ، وصلى عليه من الند ، ودفن بسفح طاسيون ساحه الله .

(الأمير حسام الدين لاجين المنصوري الحسامي)

ويُعرف بلاجين الصغير ، ولى البر بدمشق مدة ، ثم نيابة غزة ثم نيابة البيرة ، وبها مات في ذي القعدة ، ودفن هناك ، وكان ابنتي تربة لزوجه ظاهر باب شرقي فلم يتفق دفنه بها (وماتت بدمشق)

(صاحب عز الدين أبو يعلى)

حمزة بن مؤيد الدين أبي المال أسعد بن عز الدين أبي غالب المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبي المال بن أسعد بن العميد أبي يعلى بن حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي ابن القلانسي ، أحد رؤساء دمشق الكبار ، وله سنة تسع وأربعين وسثمائة ، وسمع الحديث من جماعة ، ورواه وسمعنا عليه ، وله رياسة باخنة وأصالة كثيرة وأملأك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا ولم يزل معه صناعة للوظائف إلى أن أتم بوكالة بيت السلطان ثم بالوزارة في سنة عشرة كما تقدم ثم عزل ، وقصد ودر في بعض الأحيان ، وكانت له مكاترم على الخواص والكبار ، وله إحسان إلى الفقراء والمحتاجين . ولم يزل معظماً وجبها عند الدولة من النواب والملوك والأمراء وغيرهم إلى أن توفي ببستانه

ليلة السبت سادس الحجة ، وصلى عليه من الند ودفن بترته بسفح قاسيون ، وله في الصالحية رباط حسن بمأذنة ، وفيه دار حديث وبر وصدة رحمه الله .

(ثم دخلت سنة ثلاثين وسبعمائة)

استهلت بالأربعاء والحكام بالبلاد المذكورون بالتي قبلها سوى الشافعي فإنه توفي وولى مكانه في رابع المحرم منها علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السبكي الاخواني الشافعي وقدم دمشق في الرابع والعشرين منه محبة نائب السلطنة تنكز ، وقد زار القدس وحضر معه تدريس التنكزية التي أنشأها بها . ولما قدم دمشق نزل بالمعدلية الكبيرة على العادة ، ودرس بها بالقرالية ، واستمر بنباية المنفلوطي ، ثم استقرب زين الدين بن المرحل ، وفي صفر بأشر شرف الدين محمود بن الخطيرى شد الاوتاف وافضل عنها نجم الدين بن الزبيق إلى ولاية نابلس . وفي ربيع الآخر شرع بترقيم الجانب الشرقى من الأموى نسبة الجانب الغربى ، وشاور ابن مراحيل النائب والقاضى على جمع الفصوص من سائر الجامع فى الحائط القبلى ، فرسا له بذلك . وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى إيوان الشافعية بالمدرسة الصالحية بمصر ، وكان الذى أنشأ ذلك الأمير جمال الدين نائب الكرك ، بعد أن استفتى العلماء فى ذلك . وفى ربيع الآخر تولى القضاء بحلب فمسس الدين بن النقيب عوضا عن نغر الدين بن البازرى ، توفي ، وولى فمسس الدين بن محمد البعلبكي قضاء طرابلس عوضا عن ابن النقيب . وفى آخر جمادى الأولى بشر نيابة الحكم عن الاخوانى محيى الدين بن جميل عوضا عن المنفلوطى توفى .

وفى هذا الشهر وقف الأمير الوزير علاء الدين منطلقى الناصرى مدرسة على الخنفية وفيها صوفية أيضا ، ودرس بها القاضى علاء الدين بن التركمانى ، وسكنها الفقهاء . وفى جمادى الآخرة زينت البلاد المصرية والشامية ودقت البشائر بسبب عافية السلطان من وقعة انصعدت منها يده ، وخلع على الأبراء والأطباء بمصر ، وأطلقت الحبوس . وفى جمادى الآخرة قدم على السلطان رسل من الفرنج يطلبون منه بعض البلاد للساحلية فقال لهم : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، ثم سيرهم إلى بلادهم خاسئين .

وفى يوم الأحد سادس رجب حضر الدرس الذى أنشأه القاضى نغر الدين كاتب الماليك على الخنفية بحراهم بجامع دمشق ، ودرس به الشيخ شهاب الدين ابن قاضى الحصين ، آخر قاضى القضاء برهان الدين بن عبد الحق بالديار المصرية ، وحضر عنده القضاء والأعيان ، وانصرفوا من عنده إلى عند ابن أخيه صلاح الدين بالجوهريّة ، درس بها عوضا عن حموه فمسس الدين ابن الزكى نزل له عنها . وفى آخر رجب خطب بالجامع الذى أنشأه الأمير سيف الدين المثنى الحاجب ظاهر القاهرة

بالشارع ، وخطب بالجامع الذى أنشأه قوصون بن جامع طولون والصالحية ، يوم الجمعة حادى عشر رمضان وحضر السلطان وأعيان الأمراء الخطبة ، خطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين التزوينى الشافعى ، وخطب عليه خلمة سفية ، واستقل فى خطابته بدر الدين بن شكرى .

وخرج الزكب الشامى يوم السبت حادى عشر شوال وأمير سيف الدين المرساوى صهر بلبان البيرى ، وقاضيه شهاب الدين ابن المجد عبد الله مدرس الاقبالية ، ثم تولى قضاء القضاة كما سيأتى ، وعن حج فى هذه السنة رضى الدين بن المنطيق ، والشمس الأردبلى شيخ الجاروضية وصفى الدين ابن الحريرى ، وفهمس الدين ابن خطيب بيروذ ، والشيخ محمد التير باقى وغيرهم : فلما قضوا مناسكهم رجعوا إلى مكة لطواف الوداع ، فبينما هم فى سماع الخطبة إذ سمعوا جلبة الخليل من بنى حسن وعبيدهم ، قد سطعوا على الناس فى المسجد الحرام ، فثار إلى قتالهم الأتراك فاقتتلوا فقتل أمير من الطبلخانات بمصر ، يقال له سيف الدين جندار وابنه خليل ، ومملوك له ، وأمير عشيرة يقال له البلاجى ، وجماعة من الرجال والنساء ونهبت أموال كثيرة ، ووقعت خبطة عظيمة فى المسجد ، وتهارب الناس إلى منازلهم بأبيار الزاهر ، وما كادوا يصلون إليها وما أكلت الجمعة إلا بعد جهد ، فأنقذهم وإنا إليه راجعون . واجتمعت الأمراء كلهم على الرحلة إلى مكة للاخذ بالتأثير منهم ، ثم كروا راجعين وتبعهم المبيد حتى وصلوا إلى عجم الحبيج ، وكادوا ينهبون الناس عامة جيرة ، وبصر أهل البيت فى آخر الزمان يصدون الناس عن المسجد الحرام ، وبنو الأتراك هم الذين ينصرون الاسلام وأهلهم ويكونون الأذية عنهم بأنفسهم وأموالهم ، كما قال تعالى (إن أولياؤه إلا المتقون)

وعن توفى فيها من الأعيان (علاء الدين ابن الأثير)

كاتب السرب بمصر ، على بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الاثير الحلبي الاصل ، ثم المصرى ، كانت له حرمة ووجاهة وأموال وفرة ومكانة عند السلطان ، حتى ضربه الفلج فى آخر عمره فأنزل عن الوظيفة وباترها ابن فضل الله فى حياته .

(الوزير الملم أبو القاسم)

محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل الأزدى القرطابى الأندلسى ، من بيت الرياسة والحشمة ببلاد المغرب ، قدم علينا إلى دمشق فى جمادى الأولى سنة أربع وعشرين ، وهو بمنزلة الحج ، فسمعت بقراته صحيح مسلم فى تسعة مجالس على الشيخ نجم الدين بن الصغلاوى . قراءة صحيحة ، ثم كانت وفاته فى القاهرة فى ثمانى عشرين المحرم ، وكانت له فضائل كثيرة فى الفقه والنحو والتاريخ والأصول ، وكان على الهمة شريف النفس محترماً نبلاً جماً ، بحيث إنه بولى الملوك ويعزله ، ولم يل هو مباشرة شئ ولا أهل بيته ، وإنما كان يلتقب بالوزير مجازاً .

(شيخنا الصالح العابد التاسك الخاشع)

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبي الحسن بن حسين بن غيلان البعلبكي الحنظلي ، إمام مريد السلاطين بدار البطيخ النتيقة ، سمع الحديث وأسمعه ، وكان يقرئ القرآن طرفي النهار ، وعليه ختمت القرآن في سنة أحد عشر وسبعمائة ، وكان من الصالحين الكبار ، والمباد الأخيار ، توفي يوم السبت سادس صفر وصلى عليه بالجامع ودفن بيلب الصغير ، وكانت جنازته حافلة .

وفي هذا الشهر - أعنى صفر - كانت وفاة والي القاهرة القديدار وله آثار غريبة ومشهورة .

(بها درآص الأمير الكبير)

رأس ميمنة الشام ، سيف الدين بها درآص المنصوري أكبر أمراء دمشق ، وعن طالع عمره في الحشمة والثروة ، وهو ممن اجتمعت فيه الآية السكرية (زين للناس حب الشهوات من النساء) الآية ، وقد كان محببا إلى العامة ، وله بر وصدقة وإحسان ، توفي ليلة الثلاثاء ودفن بقرية خارج باب الجابية ، وهي مشهورة أيضاً .

(الحجار ابن الشحنة)

الشيخ الكبير المسند المعمر الرحلة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن ابن علي بن بيان القبر مقرئ ثم الصالح الحجار المعروف بابن الشحنة ، سمع البخاري على الزبيدي سنة ثلاثين وسبعمائة بقاصيون ، وإنما ظهر سماعه سنة ست وسبعمائة ففرح بذلك المحدثون وأكثروا السماع عليه ، فقرأ البخاري عليه نحواً من ستين مرة وغيره ، وسمعنا عليه بدار الحديث الأشرفية في أيام الشتويات نحواً من خمسمائة جزءاً بالأجازات والسماع ، وسمعنا من الزبيدي وابن الأثير ، وله إجازة من بغداد فيها مائة وعثمانية وثلاثون شيخاً من العوالي المسنين ، وقد مكث مدة مقدم الحجار بن نحواً من خمس وعشرين سنة ، ثم كان يخطط في آخر عمره ، واستقرت عليه جامكته لما اشتغل بالسماع الحديث ، وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر ، وخام عليه وألبسه الخليفة يده ، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أمم لايحصون كثرة ، وانتفع الناس بذلك ، وكان شيخاً حسناً بهي المنظر سليم الصدر متمماً بحواسه وقواه ، فإنه عاش مائة سنة محققاً ، وزاد عليها ، لأنه سمع البخاري من الزبيدي في سنة ثلاثين وسبعمائة وأسمعه هو في سنة ثلاثين وسبعمائة في جامع صفر بجامع دمشق ، وسمعنا عليه يومئذ والله الحمد ، ويقال إنه أدرك موت العظيم عيسى بن المادل لما توفي ، والناس يسميهم يقولون مات العظيم ، وقد كانت وفاة العظيم في سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وتوفي الحجار يوم الاثنين خامس عشرين صفر من هذه السنة ، وصلى عليه بالمقابر يوم الثلاثاء ودفن بقرية له عند زاوية الدوي ، بجوار جامع الأفرم . وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

﴿ الشيخ نجم الدين بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ﴾

أبي نصر المحصل المروفي باب الشام ، اشتغل ببلده ثم سافر وأقام بمدينة سراي من مملكة إربل ، ثم قدم دمشق في سنة أربع وعشرين فدرس بالظاهرية البرانية ثم بالجارودية ، وأضيف إليه مشيخة رباط القصر ، ثم نزل عن ذلك لزوج ابنته نور الدين الأردبيلي ، توفي في ربيع الأول وكان يعرف طرفاً من الفقه والطب .

﴿ الشيخ إبراهيم الهندية ﴾

أصله كردي من بلاد المشرق ، قدم الشام ، وأقام بين القدس والخليل ، في أرض كانت مواثا فأحياها وغرسها وزرع فيها أنواعاً ، وكان يقصد الزيارة ، ويحكي الناس عنه كرامات صالحة ، وقد بلغ مائة سنة ، وتزوج في آخر عمره ورزق أولاداً صالحين ، توفي في جمادى الآخرة رحمه الله .
الست صاحبة التربة بباب الخواصين الخوذة المظلمة المحجة المحترمة :

﴿ سقيته بنت الأمير سيف الدين ﴾

كركلى التصورى ، زوجة نائب الشام تنكر ، توفيت بدار الذهب وصلى عليها بالجامع ثالث رجب ، ودفنت بالتربة التي أمرت بإنشائها بباب الخواصين ، وفيها مسجد وإلى جانبها رباط للنساء ومكتب للآيتام . وفيها صدقات وبر وصلات ، وقراء عليها ، كل ذلك أمرت به ، وكانت قد حجّت في العام الماضي رحمه الله .
﴿ قاضي قضاة طرابلس ﴾

شمس الدين محمد بن عيسى بن محمود البعلبكي المروفي باب المجد الشافعي ، اشتغل ببلده وبرع في فنون كثيرة ، وأقام بدمشق مدة يدرس بالقوصية والجامع ، ويؤم بمدرسة أم الصالح ، ثم انتقل إلى قضاء طرابلس فأقام بها أربعة أشهر ، ثم توفي في سادس رمضان وتولاه بعده ولده تقي الدين وهو أحد الفضلاء المشهورين ، ولم تطل مدته حتى عزل عنها وأخرج منها .

﴿ الشيخ الصالح ﴾

عبد الله بن أبي القاسم بن يوسف بن أبي القاسم الحوراني ، شيخ طائفتهم وإليه مرجع زواياهم بحوران ، كان عنده تفقه بعض شيء ، وزهادة ويزار ، وله أصحاب يخدمونه ، وبلغ السبعين سنة ، وخرج لتوديع بعض أهله إلى ناحية الكرك من ناحية الحجاز فأدركه الموت هناك ، فات في أول ذي القعدة .
﴿ الشيخ حسن بن علي ﴾

ابن أحمد الانصاري الضرير كان يردد عين أولاً ، ثم عمى جملته ، وكان يقرأ القرآن ويكثر التلاوة ثم أقطع إلى المنارة الشرقية ، وكان يحضر الساعات ويستمع ويتواجد ، ولكثير من الناس فيه اعتقاد على ذلك ، ولجلوخته في الجامع وكثرة تلاوته وصلاته والله يسامحه ، توفي يوم السبت في العشر

الأول من ذى الحجة بالمأذنة الشرقية ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بيلب الصغير .

﴿ عجي الدين أبو الشتاء محمود ﴾

ابن الصدر شرف الدين القلانسي ، توفي في ذى الحجة ببستانه ، ودفن بترتهم بسفح قاسيون وهو جد الصدر جلال الدين بن القلانسي ، وأخيه علاء ، وم ثلاثهم رؤساء .

﴿ الشاب الرئيس ﴾

صلاح الدين يوسف بن القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامة ، فاضل الجيش أبوه ، نشأ هذا الشاب في نعمة وحشمة وترفة وعشرة واجتماع بالأصحاب ، توفي يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة فاستراح من حشمتة وعشرته إن لم تكن وبالا عليه ، ودفن بترتهم بجنازة الناصرية بالسفح ، وتأسف عليه أبواه ومعارفه وأصحابه سامحه الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ﴾

استمرت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وقد ذكرنا ما كان من عبيد مكة إلى الحجاج ، وأنه قتل من المصريين أميران ، فلما بلغ الخبير السلطان عظم عليه ذلك ، وامتنع من الاكل على السباط فيما يقال أياما ، ثم جرد ستمائة فارس وقيل ألفا ، والاول أصح ، وأرسل إلى الشام أن يجرد مقدما آخر ، فجرد الأمير سيف الدين الجلي بفا العادلي . وخرج من دمشق يوم دخلها الركب في سادس عشرين الحرم ، وأمر أن يسير إلى إملة ليجتمع مع المصريين ، وأن يسيروا جميعا إلى الحجاز .

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور إلى مدينة حلب ، وخرج نائب حلب أرغون ومعه الامراء مشاة إليه في تهليل وتكبير وتحميد ، يتلقون هذا النهر ، ولم يكن أحد من المعالي ولا غيرهم أن ينكلم بشيء ذكر الله تعالى ، وفرح الناس بوضوئه إليهم فرحا شديدا ، وكانوا قد وسعوا في تحصينه من أما كن بعمدة احتاجوا فيها إلى قبب الجبل ، وفيها صخور ضخام وعقدوا له قناطر على الأودية ، وما وصل إلا بعد جهد جهيد ، وأمر شديد ، فله الحد وحده لاشريك له . وحين رجع نائب حلب أرغون مرض مرضا شديدا ومات رحمه الله .

وفي سابع صفر وسع تكثر الطرقات بالشام ظاهر باب الجابية ، وخرب كل ما يضيق الطرقات . وفي ثاني ربيع الاول لبس علاء الدين القلانسي خلة سفينة لباشرة نظر الدواوين ديوان ملك الأمراء ، وديوان نظر المارستان ، عوضا عن ابن العادل ، ورجع ابن العادل إلى حجابة الدواوين الكبير . وفي يوم ثاني ربيع الاول لبس عماد الدين ابن الشيرازي خلة نظر الأموي عوضا عن ابن مراجل عزل عنه لا إلى بدل عنه ، وباشر جمال الدين بن القويرة نظر الأسرى بدلا عن ابن الشيرازي . وفي يوم الخميس آخر ربيع الاول لبس القاضي شرف الدين بن عبد الله بن شرف الدين

حسن ابن الحافظ أبي موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الله القنسى خلة قضاء الحنابلة عوضاً عن عز الدين بن التقي سليمان ، توفي رحمه الله ، وركب من دارالسعادة إلى الجامع ، فقرأ تقليده تحت النسر بحضرة القضاة والأعيان ، ثم ذهب إلى الجوزية فحكم بها ، ثم إلى الصالحية وهو لباس الخلة ، واستتاب يومئذ ابن أخيه التقي عبد الله بن شهاب الدين أحمد . وفي سلخ ربيع الآخر اجتاز الأمير علاء الدين الطنطا بدمشق وهو ذاهب إلى بلاد حلب فاقباً عليها ، عوضاً عن أرغون توفي إلى رحمة الله ، وقد تلقاه النائب والجيش . وفي مستهل جمادى الأولى حضر الأمير الشريف رميته بن أبي نجي إلى مكة ، فقرأ تقليده بأمرة مكة من جهة السلطان ، بحجة التجريدة ، وخلع عليه ، وياحه الأمراء المجردون من مصر والشام داخل الكعبة ، وقد كان وصول التجاريد إلى مكة في سابع ربيع الأول ، فأقاموا بباب الملى ، وحصل لهم خير كثير من الصلاة والطلاوف ، وكانت الأسمار رخيصة معهم .

وفي يوم السبت سابع ربيع الآخر خلع على القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة بوكالة السلطان ونظر جامع طولون ونظر الناصرية ، وهنأه الناس عوضاً عن التاج ابن إسحاق عبد الوهاب ، توفي ودفن بالقرافة . وفي هذا الشهر تولى عماد الدين ابن قاضي القضاة الاختائى تدريس الصارمية وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكي الشافى ، وحضرها في رجب وحضر عنده الناس خدمة لأبيه ، وفي حادى عشر من جمادى الآخرة رجعت التجريدة من الحجاز بحجة الأمير سيف الدين الحلى بنا ، وكانت غيبتهم خمسة أشهر وأياماً وأقاموا بمكة شهراً واحداً ويوماً واحداً وحصل لهرب منهم رعب شديد ، وخوف أكيد ، وعزلوا عن مكة عطية وولوا أخاه رميته وصلوا وطاقوا واعتصموا ، ومنهم من أقام هناك ليحج . وفي ثاقى رجب خلع على ابن أبي الطيب بنظر ديوان بيت المال عوضاً عن ابن الصاين توفي .

وفي أوائل شعبان حصل بدمشق هواء شديد مزعج كسر كثيراً من الأشجار والأغصان ، وألقى بعض الحيطان والجدران ، وسكن بعد ساعة بإذن الله ، فلما كان يوم ثامسه سقط برد كبار مقدار بيض الحمام ، وكسر بعض جامات الحمام . وفي شهر شعبان هذا خطب بالمدرسة المزية على شاطيء النيل أنشأها الأمير سيف الدين طغز دمر ، أمير مجلس الناصرى ، وكان الخطيب عز الدين عبد الرحيم بن القرات الحنفى . وفي نصف رمضان قدم للشيخ تاج الدين عمر بن على بن سالم الملقى ابن الناكاتى المالكي ، نزل عند القاضي الشافى ، وسمع عليه شيئاً من مصنفاته ، وخرج إلى الحج علمئذ مع الشاميين ، وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق . وفي هذا الشهر وطى سوق الخليل وركبت فيه حصبات كثيرة ، وعمل فيه نحو من أربعة آلاف حتى سلوه وأصلحوه ، وقد كان

قبل ذلك يكون فيه مياه كثيرة ، وملقات . وفيه أصلح سوق الدقيق داخل باب الجابية إلى الثابتية وسقف عليه السقوف .

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال وأميره عز الدين أيبك ، أمير علم ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . ومن حج فيه شهاب الدين بن جهيل وأبو النسر وابن جملة والقنجر المصري والصدر المالكي وشرف الدين الكفوي الحنفي ، والبهاء ابن إمام الشهيد وجمال الدين الأعيالى فاطر الأيتام ، وشمس الدين الكردي ، ونور الدين البعلبكي ، وعبد الدين ابن أبي المجد ، وشمس الدين ابن قيم الجوزية ، وشمس الدين ابن خطيب بيرة ، وشرف الدين قاسم المجملوني ، وتاج الدين ابن الفاكهاني والشيخ عمر السلاوي ، وكتابه إسماعيل ابن كثير ، وآخر من سار المذاهب ، حتى كان الشيخ بدر الدين يقول : اجتمع في ركننا هذا أربعة مئآت فقيه وأربع مدارس وخافقه ، ودار حديث ، وقد كان معنا من المفتين ثلاثة عشر نفساً ، وكان في المصريين جماعة من الفقهاء منهم قاضي المالكية تقي الدين الأحنائي ، ونور الدين التويري ، وشمس الدين ابن الحارثي ، وعبد الدين الأنصاري ، وشيخ الشيوخ الشيخ محمد المرشدي . وفي ركب العراق الشيخ أحمد السروجي أشد وكان من المشاهير . وفي الشاميين الشيخ علي الواسطي محبة ابن المرجاني ، وأمير المصريين مغلطاي الجمالي الذي كان وزيراً في وقت ، وكان إذ ذاك مريضاً ، ومرزنا بعين تبوك وقد أصابته في هذه السنة ، وصينت من دوس الجمال والجمالين ، وصار ماؤها في غاية الحسن والصفاء والطيب ، وكانت وقفة الجمعة ومطرنا بالعواطف ، وكانت سنة مرخصة آمنة .

وفي نصف ذي الحجة رجع تنكز من ناحية قلعة جمبر ، وكان في خدمته أكثر الجيش الشامي ، وأظهر أبهة عظيمة في تلك النواحي . وفي سادس عشر ذي الحجة وصل توقيع القاضي علاء الدين بن القلانسي بجميع جهات أخيه جمال الدين بحكم وقائه مضافاً إلى جهاته ، فاجتمع له من المناصب الكبار ما لم يجتمع لغيره من الرؤساء في هذه الأعصار ، فمن ذلك : وكالة بيت المال ، وقضاء السكر وكتابة الفتى ، ووكالة ملك الأمراء ، ونظر البيلارستان ، ونظر الحرمين ، ونظر ديوان السميد ، وتدريس الأئمة والظاهرية والعمرانية وغير ذلك انتهى .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ قاضي القضاة ﴾

عز الدين أبو عبد الله بن محمد بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر القاسمي الخبلي ، ولد سنة خمس وستين وسبعمائة ، وسمع الحديث واشتغل على والده واستنابه في أيام ولانيته ، فلما ولي ابن مسلم إماماً في بيته بمحض درس الجوزية ودار الحديث الأشرفية بالجبل وبأوى إلى بيته ، فلما توفي ابن مسلم ولي قضاء الخنابة بمده نحواً من أربع سنين ، وكان فيه

تواضع وتودد وقضاء لحوائج الناس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء تاسع صفر ، وكان يوما مطيرا ، ومع هذا شهد الناس جنازته ، ودفن بترتهم رحمهم الله ، وولى بعده نائبه شرف الدين ابن الحافظ ، وقد قارب الثمانين . وفي نصف صفر توفى

﴿ الأمير سيف الدين قجليس ﴾

سيف النعمة ، وقد كان مفع على الحجار ووزيره بالقدس الشريف .
وفي منتصف صفر توفى ﴿ الأمير الكبير سيف الدين أرغون ﴾ بن عبد الله الدوبدار الناصري ، وقد عمل [على] نيابة مصر مدة طويلة ، ثم غضب عليه السلطان فأرسله إلى نيابة حلب ، فحك بها مدة ثم توفى بها في صايع عشر ربيع الأول ، ودفن بترية اشتراها بحلب ، وقد كان عنده فهم وقته ، وفيه ديانة وأتباع للشرعية ، وقد سمع البخاري على الحجار وكتبه جميعه بخطه ، وأذن له بعض العلماء في الاقضاء ، وكان يميل إلى الشيخ فقي الدين ابن تيمية وهو بمصر ، توفى ولم يكمل الحسنيين سنة ، وكان يكره اللهو رحمه الله . ولما خرج يلتقي نهر الساجور خرج في ذل ومسكنة ، وخرج معه الأمراء كذلك مشاة في تكبير وتهليل وتحميد ، ومنع المغاني ومن اللهو والغلب في ذلك رحمه الله .

﴿ القاضي ضياء الدين ﴾

أبو الحسن علي بن سليم بن ربيع بن سليمان الأزرعي الشافعي ، تنقل في ولاية الأفضية بمدارس كثيرة ، مدة ستين سنة ، وحكم بطرابلس وعجلون وزرع وغيرها ، وحكم بدمشق نيابة عن القونوي نحواً من شهر ، وكان عنده فضيلة وله نظم كثير . نظم التنبيه في نحو ست عشرة ألف بيت ، وتصحيحها في ألف وثلاثمائة بيت ، وله مدائح وموالي وأزجال وغير ذلك ، ثم كانت وفاته بالرملة يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة رحمه الله ، وله عدة أولاد منهم عبد الرزاق أحد الفضلاء ، وهو ممن جمع بين على الشريعة والطبيعة .

﴿ أبو دؤبوس عثمان بن سعيد المغربي ﴾

تملك في وقت بلاد قابس ثم نقل عليه جماعة فأنزعوها منه فقصده مصر فأقام بها وأقطع إقطاعاً ، وكان يركب مع الجند في زى المغاربة متقلداً سيفاً ، وكان حسن الهيئة يواظب على الخدمة إلى أن توفى في جمادى الأولى .

﴿ الامام العلامة ضياء الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السباطي الشافعي ، مدرس الحسامة ونائب الحكم بمصر ، وأُعد في أماكن كثيرة ، وتفق على والده ، توفى في جمادى الآخرة وتولى الحسامة بعده ناصر الدين التبريزي .

﴿ الصدر الكبير تاج الدين الكارى ﴾

المروف بابن الرهايل ، كان أكبر تجار دمشق الكارمية وبصر ، توفى فى جمادى الآخرة ، يقال إنه خلف مائة ألف دينار غير البضائع والأثاث والأموال .

﴿ الامام العلامة تفر الدين ﴾

عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان بن الماردانى التركمانى الحنفى شرح تفر الدين هذا الجامع وألقاه دروساً فى مائة كراس ، توفى فى رجب وله إحدى وسبعون سنة ، كان شجاعاً عالماً فاضلاً ، وقوراً فصيحاً حسن المفاكهة ، وله نظم حسن . وولى بعده المنصورية وله تاج الدين .

﴿ تقي الدين عمر ابن الوزير تقي الدين ﴾

محمد بن عثمان بن السلوس ، كان صغيراً لما مات أبوه تحت العقوبة ، ثم نشأ فى الخدم ثم طلبه السلطان فى آخر وقت فولاه نظراً لهواوين بمصر ، فباشره يوماً واحداً وحضر بين يدي السلطان يوم الخميس ، ثم خرج من عنده وقد اضطرب حاله فاصلى إلى منزله إلا فى حفة ، ومات بكرة يوم السبت سادس عشرين ذى القعدة ، وصلى عليه بجميع عمره وبن العاص ، ودفن عند والده بالقرافة وكانت جنازته حافلة .

﴿ جمال الدين أبو العباس ﴾

أحمد بن شرف الدين بن جمال الدين محمد بن أبي الفتح نصر الله بن أسد بن حمزة بن أسد بن على بن محمد التميمي الدمشقي ابن القلانسي ، فاضى المساكين ووكيل بيت المال ومدرس الامينية وغيرها حفظ التنبيه ثم الحرر لرافى ، وكان يستحضره ، واشتغل على الشيخ تاج الدين القزاري ، وتقدم لطالب العلم والرئاسة ، وباشر جهات كباراً ، ودرس بأماكن وتفرّد فى وقته بالرياسة والبيت والمنصب الدينية والدنيوية ، وكان فيه تواضع وحسن سمع وتودد وإحسان وبر بأهل العلم والفقراء والصالحين وهو من أذن له فى الاقواء وكتب إنشاء ذلك وأنا حاضر على البديهة فأفاد وأجاد ، وأحسن التمييز وعظم فى عيني . توفى يوم الاثنين ثامن عشرين ذى القعدة ، ودفن بقريةهم بالسفح ، وقد سمع الحديث على جماعة من المشايخ وخرج له تفر الدين البعلبكي مشيخة سمعناها عليه رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلت وحكام البلاد هم هم ، وفى أولها فتحت القيسارية التى كانت مسبك الفولاذ جوابل الصنوبر حولها تنكز قيسارية بركة . وفى يوم الاربعاء ذكر الدرس بالامينية والظاهرية علاء الدين بن القلانسي عوضاً عن أخيه جمال الدين ، وذكر ابن أخيه أمين الدين محمد بن جمال الدين المدرس فى المصرية ، تركها له عمه ، وحضر عندها جماعة من الأعيان . وفى تاسع المحرم جاء إلى حمص سيل عظيم غرق بسببه خلق كثير وجرح غفير ، وهلك قتلى أشياء كثيرة . ومن مات فيه نحو مائتين

امرأة يهجم النائب ، كن مجتمعات على عروس أو عرسين فهلكن جميعا .
 وفي صفر أمر تنكر بيباض الجدران المتأيلة لسوق الخليل إلى باب الفردائس ، وأمر بتجديد
 خان الظاهر ، فتم عليه نحواً من سبعين ألفاً . وفي هذا الشهر وصل تابوت لاجين الصغير من البيرة
 فدفن بتربته خارج باب شرق . وفي تاسع ربيع الآخر حضر الدرس بالقيافزة عماد الدين الطروسى
 الحنفى عوضاً عن الشيخ رضى الدين المنطيق ، وفى ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفى أول
 ربيع الآخر خلع على الملك الأفضل على بن الملك المؤيد صاحب حماة وولاه السلطان الملك
 الناصر مكان أبيه بحكم وفاته ، وركب بمصر بالعصائب والسبابة والفأشية أمامه . وفى نصف هذا الشهر
 سافر الشيخ فمس الدين الأصمهاق شارح المختصر ومدرس الرواحية إلى الديار المصرية على خيل
 البريد وفارق دمشق وأهلها واستوطن القاهرة .

وفى يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب بالجامع القى أنشاء الامير سيف الدين آل ملك
 واستقر فيه خطيباً نور الدين على بن شبيب الحنبلى . وفيه أرسل السلطان جماعة من الأمراء إلى
 الصعيد فأحاطوا على ستائة رجل ممن كان يقطع الطريق فأنلف بعضهم . وفى جمادى الآخرة تولى
 شد الدواوين بدمشق نور الدين ابن الخشاب عوضاً عن الطرقتى . وفى يوم الاربعاء حادى عشر
 رجب خلع على قاضى القضاة علاء الدين بن الشيخ زين الدين بن المنجا بقضاء الخناينة عوضاً
 عن شرف الدين بن الحافظ ، وقرئ تقليده بالجامع ، وحضر القضاة والأعيان . وفى اليوم الثانى
 استناب رهان الدين الزرعى . وفى رجب باشر فمس الدين موسى بن التاج إسحاق نظر الجيوش
 بمصر عوضاً عن نقر الدين كاتب المالك توفى ، وباشر النشو مكانه فى نظر الخاص ، وخلع عليه
 بطرحة ، فلما كان فى شعبان عزل هو وأخوه المسلم ناظر الدواوين وصودروا وضر بوا ضرباً عظيماً ،
 وتولى نظر الجيش المسكين بن قروينة ، ونظر الدواوين أخوه فمس الدين بن قروينة .

وفى شعبان كان عرس أنوك ، ويقال كان اسمه محمد بن السلطان الملك الناصر ، على بنت الامير سيف
 الدين بكنتر الساقى ، وكان جهازها بألف دينار ، وذبح فى هذا العرس من الاغنام والدجاج
 والاوز والخليل والبقرة نحو من عشرين ألفاً ، وحملت حوى بنحو ثمانية عشر ألف قطار ، وحمل له
 من الشمع ثلاثة آلاف قطار ، قاله الشيخ أبو بكر ، وكان هذا العرس ليلة الجمعة حادى عشر شعبان
 وفى شعبان هذا حول القاضى محى الدين بن فضل الله من كتابة السر بمصر إلى كتابة السر بالشام ،
 ونقل شرف بن فمس الدين بن الشهاب محمود إلى كتابة السر بمصر ، وأقيمت الجمعة بالشامية البرانية
 فى خامس عشر شعبان ، وحضرها القضاة والامراء ، وخطب بها الشيخ زين الدين عبد النور المنقرى
 وذلك بإشارة الامير حسام الدين اليشمقدار الحاجب بالشام ، ثم خطب عنه كمال الدين بن الزكى ، وفيه

أمر نائب السلطنة بتبييض البيوت من سوق الخليل إلى ميدان الحصاء ففعل ذلك . وفيه زادت الفترات زيادة عظيمة لم يسمع بمثلا ، واستمرت نحو من اثني عشر يوماً فأتلقت بالرجبة أموالا كثيرة ، وكسرت الجسر القى عند دير بسر ، وغلت الاسعار هناك فشرعوا في إصلاح الجسر ، ثم انكسرت مرة ثانية .

وفي يوم السبت تاسع شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين أو زان ، وقاضيه جمال الدين ابن الشريشي ، وهو قاضى حصص الآن ، وحج السلطان في هذه السنة وصحبته قاضى القضاة التزويني وعز الدين بن جماعة ، وموفق الدين الحنبلي ، وصبيحون أميراً . وفي ليلة الخميس حادى عشرين شوال رسم على صاحب عز الدين غبريال بالمدرسة النجيبية الجوانية ، وصودر وأخفت منه أموال كثيرة ، وأفرج عنه في الحرم من السنة الآتية .
ومن توفي فيها من الأعيان :

(الشيخ عبد الرحمن بن أبي محمد بن محمد)

ابن سلطان الترامنزي ، أحد المشاهير بالعبادة والزهادة وملازمة الجامع الأموي ، وكثرة التلاوة والذكر ، وله أصحاب يجلسون إليه ، وله مع هذا ثروة وأملاك ، توفي في مستهل المحرم عن خمس أوست وثمانين سنة ، ودفن بباب الصغير ، وكان قد سمع الحديث واشتغل بالمعالم ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة إلى أن مات .
(الملك المؤيد صاحب حماة)

عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كانت له فضائل كثيرة في علوم متعددة من الفقه والمهنة والطب وغير ذلك ، وله مصنفات عديدة ، منها تاريخ حافل في مجلدين كبيرين ، وله نظم الحاوي وغير ذلك ، وكان يحب العلماء ويشاركهم في فنون كثيرة ، وكان من فضلاء بني أيوب ، وولى حماة من سنة إحدى وعشرين إلى هذا الحين ، وكان الملك الناصر يكرمه ويعظمه ، وولى بعده ولده الأفضل علي ، توفي في سحر يوم الخميس ثامن عشرين المحرم ، ودفن ضحوة عند والديه بظاهر حماة .

(القاضي الامام العالم المحدث)

تاج الدين أبو القاسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي بن عوض بن ستان بن عبد الله السعدي القتيبي الشافعي ، سمع الكثير وخرج لنفسه مجعاً في ثلاث مجلدات ، وقرأ بنفسه الكثير ، وكتب الخط الجيد ، وكان متقناً عارفاً بهذا الفن ، قال إنه كتب بخطه نحواً من خمسمائة مجلد ، وقد كان شافعيًا مفتياً ، رجع هذا طلب في وقت عن القاضي الحنبلي ، وولى مشيخة الحديث بالمدرسة الصاحبية ، وتوفي

بمصر في مستهل ربيع الأول عن ثنتين وثمانين سنة ، رحمه الله .

(الشيخ رضى الدين بن سليمان)

الناطق الحنفي ، أصله من أب كرم ، من بلاد قونية ، وأقام بجماعة ثم بعثش ، ودرس بالقيصرية ، وكان فاضلاً في المنطق والجلد ، واشتغل عليه جماعة في ذلك ، وبلغ من العمر ستاً وثمانين سنة ووحج سبع مرات ، توفي ليلة الجمعة سلاسل عشرين ربيع الأول ، وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية وفي ربيع الأول توفي : (الأمير علاء الدين طيغنا)

ودفن بترته بالصالحية . وكذلك الأمير سيف الدين زولاق ، ودفن بترته أيضاً .

(القاضي القضاة شرف الدين أبو محمد)

عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى ، ولد سنة ست وأربعين ومائة ، وباشر نيابة ابن مسلم مدة ، ثم ولى القضاء في السنة الماضية ، ثم كانت وفاته فجأة في مستهل جمادى الأولى ليلة الخميس ، ودفن من اللند بتره الشيخ أبى عمر .

(الشيخ ياقوت الحبشى)

الشافئى الاسكندراني ، بلغ الثمانين ، وكان له أتباع ، وأصحاب منهم خمس الدين ابن الهبان النقيع الشافى ، وكان يعظمه ويطريه وينسب إليه مبالغات الله أعلم بصحتها وكذبها ، توفي في جمادى وكانت جنازته حافلة جداً .

(النقيب فاضل الدين)

محمد بن عبد الرحيم بن قاسم بن إسماعيل الحبشى ، نقيب المتعممين ، تلمذ أولاً للشهاب القرى ثم كان بعده في المحافل العزاء والهناء ، وكان يعرف هذا الفن جيداً ، وكان كثير الطلب من الناس ، ويطلبه الناس لذلك ، ومع هذا مات وعليه ديون كثيرة ، توفي في أواخر رجب .

(القاضي نضر الدين كاتب الماليك)

وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر ، أصله قبلى فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت له أوقاف كثيرة ، وبر وإحسان إلى أهل العلم ، وكان صدراً معظماً ، حصل له من السلطان حظ وافر ، وقد جاوزه السبعين وإليه تقسب الفخرية بالقدس الشريف ، توفي في نصف رجب واحتيط على أمواله وأملأه بعد وفاته رحمه الله .

(الأمير سيف الدين الجاى الهويدار الملكى الناصرى)

كان قصباً حنفياً فاضلاً ، كتب بخطه ربة وحصل كتباً كثيرة معتبرة ، وكان كثير الاحسان إلى أهل العلم ، توفي في سلخ رجب رحمه الله .

﴿ الطيب الماهر الخافق الفاضل ﴾

أمين الدين سليمان بن داود بن ساجان ، كان رئيس الأطباء بدمشق ومدرسهم مدة ، ثم عزل بحمال الدين بن الشهاب الكحال مدة قبل موته لأمر تمصب عليه فيه نائب السلطنة ، توفي يوم السبت سادس عشر من شوال ودفن بالقبيبات .

﴿ الشيخ الامام العالم المقرئ شيخ القراء ﴾

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ، ثم الخليلي الشافعي ، صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات وغيرها ، وله سنة أربعين وستة بقلمة جبر ، واشتغل ببغداد ، ثم قدم دمشق وأقام ببلد الخليل نحو أربعين سنة يقرئ الناس ، وشرح الشاطبية وسمع الحديث ، وكانت له إجازة من يوسف بن خليل الحافظ ، وصنف بالربعية والمروض والقراءات نظماً ونثراً ، وكان من المشايخ المشهورين بالفضائل والرياسة والخير والقدانة والهمة والصيانة ، توفي يوم الأحد خامس شهر رمضان ، ودفن ببلد الخليل تحت الزيتون ، وله ثنتان وتسعون سنة رحمه الله .

﴿ قاضي القضاة علم الدين ﴾

أبو عبد الله محمد بن القاضي شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمه الأخنائي السعدي المصري الشافعي الحاكم بدمشق وأعمالها ، كان عفيفاً زهاداً كياً سار الممارسة بحبا للفضائل ، معظماً لأهلها كثيراً لاسماع الحديث في العادلية الكبيرة ، توفي يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ودفن بسفح قاسيون عند زوجته تجاه تربة العادل كنيهاً من ناحية الجبل .

﴿ قطب الدين موسى ﴾

ابن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامة فاطم الجيوش الشامية ، كانت له ثروة وأموال كثيرة ، وله فضائل وإفضال وكرم وإحسان إلى أهل الخير ، وكان مقصداً في المهمات ، توفي يوم الثلاثاء ثاني الحجة وقد جاوز السبعين ، ودفن بترته تجاه الناصرية بقاسيون ، وهو والد الشيخ الامام العلامة عز الدين حمزة مدرس الحنبلية .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ﴾

استهلّت يوم الأربعاء والحكماء المذكورون في التي قبلها ، وليس لشافعية قاض ، وقاض الخفعية عماد الدين الطرسوسي ، وقاض المالكية شرف الدين الحمداني ، وقاض الحنابلة علاء الدين ابن المنجا ، وكاتب السر محيي الدين بن فضل الله ، وفاضل الجامع عماد الدين بن الشيرازي . وفي ثاني الحرم قدم البشير بسلامة السلطان من الحجاز وإقتراب وصوله إلى البلاد ، فدفعت البشائر وزينت البلد . وأخبر البشير بوفاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقى وولده شهاب الدين

أحمد وهما راجعان في الطريق ، بعد أن حجا قريبا من مصر : الوالد أولا ، ثم من بعده أبوه بثلاثة أيام بميون القصب ، ثم قلا إلى تربتهما بالقرافة ، ووجد ليكثر من الأموال والجواهر والآلات والتماش والأمتة والحواصل شيء كثير ، لا يكاد ينحصر ولا ينضب ، وأفرج عن الصاحب فمس الدين غيريالي في المحرم ، وطلب في صفر إلى مصر فتوجه على خيل البريد ، واحتيط على أهله بدمسيرة وأخذت منهم أموال كثيرة ليبت المال .

وفي أواخر صفر قدم الصاحب أمين الملك على نظر الدواوين بدمشق عوضا عن غيريالي ، وبعده بأربعة أيام قدم القاضي عمر الدين بن الحلي على نظر الجيش بعد وفاة قطب الدين ابن شيخ السلاية . وفي نصف ربيع الأول لبس ابن جلة خلع القضاء لثاافية بدمشق بدار السعادة ، ثم جاء إلى الجامع وهي عليه ، وذهب إلى العادلية وقرأ تقليده بها بمحضرة الأعيان ، ودرس بالعادلية والقرنالية يوم الأربعاء ثمان عشر الشهر المذكور . وفي يوم الاثنين رابع عشر ربه حضر ابن أخيه جمال الدين محمود إعادة القيمة نزل له عنها ، ثم استنابه بعد ذلك في المجلس ، وخرج إلى العادلية فحكم بها ، ثم لم يستمر بعد ذلك ، عزل عن النيابة بيومه ، واستناب بعده جمال الدين إبراهيم بن فمس الدين محمد بن يوسف الحسابي ، وله همة وعنده نزاهة وخبرة بالأحكام .

وفي ربيع الأول ولي شهاب قرطاي نيابة طرابلس وعزل عنها طبلان إلى نيابة غزة وتولى نائب غزة حمص ، وحصل لذي جاء بتمه مائة ألف درهم منهم ، وفي ربيع الآخر أعيد القاضي محي الدين بن فضل الله وولاه إلى كتابة سر مصر ، ورجع شرف الدين ابن الشهاب محمود إلى كتابة سر الشام كما كان . وفي منتصف هذا الشهر ولي نقابة الأشراف عماد الدين موسى الحسيني عوضا عن أخيه شرف الدين عدنان توفي في الشهر الماضي ودفن بترتهم عند مسجد الدنان . وفيه درس الفخر المصري بالدولية عوضا عن ابن جلة بمحكم ولايته القضاء . وفي الخامس عشر من رجب درس بالبادرائية القاضي علاء الدين علي بن شريف ويعرف بابن الوحيد ، عوضا عن ابن جهيل توفي في الشهر الماضي ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكنت إذ ذاك بالقنس أنا والشيخ فمس الدين ابن عبد الهادي وآخرون ، وفيه رسم السلطان الملك الناصر بالنع من رمي البنسق ، وأن لا تباع قسيها ولا تمل ، وذلك لافساد رمة البنسق أولاد الناس ، وأن الغالب على من تعاناه القواط والنسق وقلة الدين ، وتودي بذلك في البلاد المصرية والشامية .

قال البرزالي : وفي نصف شعبان أمر السلطان بتسليم المنجمين إلى والي القاهرة فضرروا وحبسوا لافسادهم حال النساء ، فأت منهم أربعة تحت العقوبة ، ثلاثة من المسلمين ونصراني ، وكتب إلى بذلك الشيخ أبو بكر الرجي . وفي أول رمضان وصل للبريد بتولية الأمير فخر الدين ابن

الشمس لؤلؤ ولاية البر بدمشق بعد وفاة شهاب الدين بن المرواني ، ووصل كتاب من مكة إلى دمشق في رمضان يذكر فيه أنها وقعت صواعق بيلاد الحجاز قتلت جماعة متفرقين في أماكن شتى ، وأما طر كنيعة جداً : وجاء البريد في رابع رمضان بتولية القاضي محي الدين بن جميل قضاء طرابلس فذهب إليها ، ودرس ابن المجد عبد الله بالرواحية عوضاً عن الأصبهاني بحكم إقامته بمصر . وفي آخر رمضان أفرج عن صاحب علاء الدين وأخيه شمس الدين موسى بن التاج إسحاق بعد سجنهما سنة ونصفاً .

وخرج الراكب الشامي يوم الخميس عاشر شوال وأميره بدر الدين بن مبد وقاضيه علاء الدين ابن منصور مدرس الخنفة بالقنس بمدينة تنكز ، وفي الحجاج صدر الدين المالكي ، وشهاب الدين الظهيري ، ومحي الدين ابن الأتف وآخرون . وفي يوم الأحد ثالث عشره درس بالإمابكية ابن جملة عوضاً عن ابن جميل تولى قضاء طرابلس ، وفي يوم الأحد عشرينه حكم القاضي شمس الدين محمد بن كامل التدمري ، الذي كان في خطابة الخليل بدمشق نيابة عن ابن جملة ، وفرح الناس بدينه وفضيلته .

وفي ذى القعدة مسك تنكز دوا داره ناصر الدين محمد ، وكان عنده بمكانة عظيمة جداً ، وضرب بين يديه ضرباً مبرحاً ، واستخلص منه أموالاً كثيرة ، ثم حبسه بالقلمة ثم فناه إلى القنس ، وضرب جماعة من أصحابه منهم علاء الدين بن مقلد حاجب العرب ، وقطع لسانه مرتين ، ومات وتغيرت الدولة وجاءت دولة أخرى مقدمها عنده حزة الذي كان صميره وعشيرته في هذه المدة الأخيرة ، وانزاحت النعمة عن الدوا دار ناصر الدين وذويه ومن يليه .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى القعدة ركب على الكعبة باب حديد أرسله السلطان مرصما من السبط الأحمر كأنه آبنوس ، مركب عليه صفائح من فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفاً وثلاثمائة وكسره وقلع الباب العتيق ، وهومن خشب الساج ، وعليه صفائح تسلمها بنو شعبة ، وكان زنتها ستين رطلاً فباعوها كل درهم بدرهمين . لأجل التبرك . وهذا خطأ وهو ربا . وكان ينبغي أن يبيعوها بالذهب لثلاث يحصل ربا بذلك . وترك خشب الباب العتيق داخل الكعبة ، وعليه اسم صاحب الدين في الفردتين ، واحدة عليها : اللهم يا ولي يا علي اغفر ليوسف بن عمر بن علي . ومن توفي فيها من الأعيان :

(الشيخ العالم تقي الدين محمود علي)

ابن محمود بن مقبل الحفوي أبو الثناء البغدادي محدث بغداد منذ خمسين سنة ، يقرأ لهم الحديث وقد ولي مشيخة الحديث بالمقنصرية ، وكان ضابطاً محصلاً بارعاً ، وكان يفظ ويتكلم في الأعزى

والآهنية ، وكان فرداً في زمانه وبلاذه رحمه الله ، توفي في الحرم وله قريب السبعين سنة ، وشهد جنازته خلق كثير ، ودفن بقرية الامام أحمد ، ولم يخلف درهما واحداً ، وله قصيدتان وثابهما الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتب بهما إلى الشيخ الحافظ البرزالي رحمه الله تعالى .

﴿ الشيخ الامام العالم عز القضاة ﴾

نفر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير المالكي الاسكندري ، أحد الفضلاء المشهورين ، له تفسير في ست مجلدات ، وقصائد في رسول الله ﷺ حسنة ، وله في كان وكان ، وقد جمع الكثير وروى ، توفي في جمادى الأولى عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن بالاسكندرية رحمه الله .

﴿ ابن جماعة قاضي القضاة ﴾

المعلم شيخ الاسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم ابن محمد الله ابن جماعة بن حازم بن صخر الكنتاني الحوي الأصل ، وله ليلة السبت وأربع ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستة بمحاذة وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وحصل علوماً متعددة ، وتقدم وساد أقرانه ، وياشر تدريس القيومية ، ثم ولي الحكم والخطابة بالقدس الشريف ، ثم نقل منه إلى قضاء مصر في الأيام الأشرفية ، ثم ياشر تداريس كبارها في ذلك الوقت ، ثم ولي قضاء الشام وجمع له معه الخطابة وشميخة الشيوخ وتدريس المادلية وغيرها مدة طويلة ، كل هذا مع الرياسة والريانة والصيانة والورع ، وكف الأذى ، وله التصانيف الفاتحة الثافئة ، وجمع له خطبا كان يخطب بها في طابيع صوت فيها وفي قراءته في المحراب وغيرها ، ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية بعد وفاة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فلم يزل حاكماً بها إلى أن أضر وكبر وضمفت أحواله ، فاستقال فأقبل وتولى مكانه القزويني ، وبقيت معه بعض الجهات ورتبت له الرواتب الكثيرة الدارة إلى أن توفي ليلة الاثنين بعد شفاء الآخرة حادى عشرين جمادى الأولى ، وقد أكل أربما وتسعين سنة وشهراً وأياماً ، وصلى عليه من الند قبل الظهر بالجوامع الناصرية بمصر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة هائلة رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام الفاضل مفتي المسلمين ﴾

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محيى الدين محيى بن تاج الدين بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جبيل الحامبي الأصل ثم الدمشقي الشافعي ، كان من أعيان الفقهاء ، ولد سنة سبعين وستة واشتغل بالعلم ولزم المشايخ ولازم الشيخ الصدر بن الوكيل ، ودرس بالصلاحية بالقدس ، ثم تركها ونحو إلى دمشق فياشر مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة ، ثم ولي مشيخة البادرائية فترك الظاهرية وأقام بتدريس البادرائية إلى أن مات ، ولم يأخذ معلوماً من واحدة منهما ، توفي يوم الخميس بعد العصر تاسع جمادى الآخرة وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية ، وكانت جنازته حافلة .

(تاج الدين عبد الرحمن بن أيوب)

منزل الموتى في سنة ستين وسبعمائة ، يقال إنه غسل ستين ألف ميت ، وتوفي في رجب وقد جاوز الثمانين .

(الشيخ نضر الدين أبو محمد)

عبد الله بن محمد بن عبد العظيم ابن السقطي الشافعي ، كان مباشراً شهادة الخزانة ، ونائب في الحكم عند باب النصر ودفن بالقرافة . (الامام الفاضل مجموع الفضائل)

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب البكري ، نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان لطيف المأثري فاسخاً مطبقاً يكتب في اليوم ثلاث كراريس ، وكتب البخاري ثمان مائة مرة ويقال به ويحمله ويبيع النسخة من ذلك بألف ونحوه ، وقد جمع تاريخاً في ثلاثين مجلداً ، وكان ينسخه ويبيعه أيضاً بأزيد من ألف ، وذكروا أن له كتاباً سماه منتهى الأرب في علم الأدب في ثلاثين مجلداً أيضاً ، وبالجملة كان فادراً في وقته ، توفي يوم الجمعة عشرين رمضان رحمه الله .

(الشيخ الصالح العابد الزاهد التماسك)

الكثير الحج علي بن الحسن بن أحمد الواسطي المشهور بالخير والصلاح ، وكثرة العبادة والتلاوة والحج ، يقال إنه حج أزيد من أربعين حجة ، وكانت عليه مهابة ولديه فضيلة ، توفي وهو محرم يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذي القعدة ، وقد قارب الثمانين رحمه الله .

(الأمير عز الدين إبراهيم بن عبد الرحمن)

ابن أحمد ابن القواس ، كان مباشراً الشد في بعض الجهات السلطانية ، وله دار حسنة بالعقبة الصغيرة ، فلما جاءت الوفاة أوصى أن تجعل مدرسة ، ووقف عليها أوقافاً ، وجعل تدرسها الشيخ عماد الدين الكردي الشافعي ، توفي يوم الأربعاء عشرين الحجة .

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وصبيحة)

استهل يوم الأحد وحكام البلاد المذكورون في التقي قبلها . وفي يوم الجمعة ثاني ربيع الأول أقيمت الجمعة بالخطابية البرانية ، وخطب بها شمس الدين التجار المؤذن المؤقت بالأموى ، وترك خطابة جامع القابون . وفي مستهل هذا الشهر سافر الأمير شمس الدين محمد التدمري إلى القدس حاكماً به ، وعزل عن نيابة الحكم بدمشق . وفي ثالثه قدم من مصر زين الدين عبد الرحيم ابن القاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة بخطابة القدس ، فخلع عليه من دمشق ثم سافر إليها . وفي آخر ربيع الأول بشر الأمير ناصر الدين بن بكتاش الحساكي شد الأوقاف عوضاً عن شرف الدين محمود بن الخطيرى ، سافر بأهله إلى مصر أميراً نيابة بها عن أخيه بدر الدين مسعود ، وعزل القاضي علاء الدين ابن القلانسي ، وسائر الدواوين والمباشرين القيين في بلب ملك الأشمراء تنكز وصدروا بمائتي ألف

درهم ، واستدعى من غزوة ناظرها جمال الدين يوسف صهر السنى المستوفى ، فباشر نظر ديوان النائب ونظر المارستان النورى أيضا على العادة .

وفى شهر ربيع الأول أمر تنكز باصلاح باب توما فشرع فيه فرفع يابه عشرة أذرع ، وجددت حجراته وحديده فى أسرع وقت ، وفى هذا الوقت حصل بدمشق سيل خرب بعض الجدران ثم تناقص ، وفى أوائل ربيع الآخر قدم من مصر جمال الدين آقوش نائب الكرك بجنازاً إلى طرابلس نائبها عوضاً عن قرطاً ، وفى جمادى الأولى طلب القاضى شهاب الدين ابن المجد عبد الله إلى دار السعادة فولى وكالة بيت المال عوضاً عن ابن القلانسى ، ووصل تقليده من مصر بذلك ، وهنأه الناس . وفى طلب الأمير نجم الدين ابن الزبيق من ولاية نابلس فولى شد الدواوين بدمشق ، وقد شغل منصبه شوراً بعد ابن الخشاب . وفى رمضان خطب الشيخ بدر الدين أبو اليسر ابن الصائغ بالقدس عوضاً عن زين الدين ابن جماعة لاعراضه عنها واختياره العود إلى بلده .

(قضية القاضى ابن جملة)

لما كان فى العشر الأخير من رمضان وقع بين القاضى ابن جملة وبين الشيخ الظهير شيخ ملك الأمراء - وكان هو السفير فى تولية ابن جملة القضاء - فوقع بينهما منافسة ومحاربة فى أمور كانت بينهما وبين الدوادار المتقدم ذكره ناصر الدين ، فحلف كل واحد منهما على خلاف ما حلف به الآخر عليه ، وتغاضوا من دار السعادة فى المسجد ، فلما رجع القاضى إلى منزله بالعادلية أرسل إليه الشيخ الظهير ليحكم فيه بما فيه المصاحبة ، وذلك عن مرسوم النائب ، وكأنه كان خديمة فى الباطن وأظهرا لنصرة القاضى عليه فى الظاهر ، فبدر به القاضى يادى الرأى فزره بين يديه ، ثم خرج من عنده فقتله أعوان ابن جملة فطافوا به بالبلد على حمار يوم الأربعاء سابع عشرين رمضان ، وضربوه ضرباً عنيفاً ، ونادوا عليه : هذا جزاء من يكذب ويقتات على الشرع ، فسألم الناس له لكونه فى الصيام . وفى العشر الأخير من رمضان ، ويوم سبع وعشرين ، وهو شيخ كبير صائم ، فقال : إنه ضرب يومئذ ألفين ومائة وإحدى وسبعين درة والله أعلم ، فما أمسى حتى استغنى على القاضى المذكور وداروا على المشايخ بسبب ذلك عن مرسوم النائب ، فلما كان يوم تاسع عشرين رمضان عقد نائب السلطنة بين يديه بدار السعادة مجلساً حافلاً بالقضاة وأعيان المفتين من سائر المذاهب ، وأحضر ابن جملة فاضى الشافعية والمجلس قد احتل بأهله ، ولم يأتوا لابن جملة فى المجلس ، بل قام قائماً ثم اجلس بعد ساعة جيدة فى طرف الحلقة ، إلى جانب الحفة التى فيها الشيخ الظهير ، وأدعى عليه عند بقية القضاة أنه حكم فيه لنفسه ، واعتدى عليه فى العقوبة ، وأطاع الحاضرون فى ذلك ، وانتشر الكلام وفهموا من نفس النائب الخط على ابن جملة ، والميل عنه بعد أن كان إليه ، فما انفصل المجلس حتى حكم القاضى

شرف الدين المالكي بصفته وعزله وسجنه ، فانقض المجلس على ذلك ، و رسم على ابن جلة بالمناوذة
ثم نقل إلى القلعة جزاء وفاء والحمد لله وحده ، وكان له في القضاء سنة ونصف إلا أياما ، وكان يباشر
الأحكام جيدا ، وكذا الأوقاف المتعلقة به ، وفيه نزاهة وتمييز الأوقاف بين الفقهاء والفقراء ، وفيه
صرامة وشهامة وإقدام ، لكنه أخطأ في هذه الواقعة ، وتمدى فيها قال أمره إلى هذا .

وخرج الركب يوم الاثنين عاشر شوال وأميره الجي بفا وقاضيه مجد الدين ابن حيان المصري
وفي يوم الاثنين رابع عشر بنه درس بالاقبالية الحنفية نجم الدين ابن قاضي القضاء عماد الدين
الطرسوسي الحنفي عوضا عن شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الأصماني ابن المعجمي الجبلي ،
ويعرف بابن الحنبلي ، وكان فاضلا دينيا متقشفا كثير الوسوسة في الملة جدا ، وأما المدرس مكانه وهو
نجم الدين بن الحنفي فانه ابن خمس عشرة سنة ، وهو في النبالة والفهم ، وحسن الاشتغال والشكل
والوقار ، بحيث غبط الحاضرون كلهم أباه على ذلك ، ولهذا آل أمره أن تولى قضاء القضاء في حياة
أبيه ، نزل له عنه وحدت سيرته وأحكامه .

وفي هذا الشهر أثبت محضر في حق صاحب شمس الدين غيريل المتوفى هذه السنة أنه كان
يشترى أملاكا من بيت المال ويوقفها ويتصرف فيها تصرف المالك لنفسه ، وشهد بذلك كمال الدين
الشيرازي وابن أخيه عماد الدين وعلاء الدين القلانسي وابن خاله عماد الدين القلانسي ، وعز الدين
ابن المنجا ، وثقي الدين ابن مراجل ، وكال الدين بن النورية ، وأثبت على القاضي برهان الدين
الزعرى الحنبلي ونفذه بقية القضاء ، وامتنع المحقّب عز الدين ابن القلانسي من الشهادة فرسم عليه
بالمناوذة قريبا من شهر ، ثم أفرج عنه وعزل عن الحسبة ، واستمر على نظر الخزانة .

وفي يوم الأحد ثامن عشر من ذي القعدة حملت خلة القضاء إلى الشيخ شهاب الدين ابن المجد
وكيل بيت المال بوشند ، فلبسها وركب إلى دار السعادة وقرىء تقليدته بمحضرة نائب السلطنة
والقضاة ثم رجع إلى مدرسته الاقبالية قرىء بها أيضا وحكم بين خصمين ، وكتب على أوراق
السائين ، ودرس بالعادلية والقرنالية والاناكييتين مع تدريس الاقبالية عوضا عن ابن جلة . وفي يوم
الجمعة حضر الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وفي محبته صاحب حمة الأفضل ، فتلقاها تنكز
وأكرمها ، وصليا الجمعة عند النائب ثم توجها إلى مصر ، فتلقاها أعيان الأمراء وأكرم السلطان
مهنا بن عيسى وأطلق له أموالا جزيلة كثيرة ، من الذهب والفضة والماش ، وأقطعه عدة قرى ورسم
له بالود إلى أهله ، ففرح الناس بذلك ، قالوا وكان جميع ما أنعم به عليه السلطان قيمة مائة ألف
دينار ، وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وسبعين خلة .

وفي يوم الأحد سادس الحجة حضر درس الرواحية الفخر المصري عوضا عن قاضي القضاء

ابن المجذ وحضر عنده القضاة الأربعة وأعيان الفضلاء . وفي يوم عرفة خلع على نجم الدين بن أبي الطيب بوكالة بيت المال ، عوضا عن ابن المجذ ، وعلى عماد الدين ابن الشيرازي بالحسبة عوضا عن عز الدين ابن القلانسي وخرج الثلاثة من دار السعادة بالطرحات .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الشيخ الأجل التاجر الصدوق ﴾

بدر الدين أولاد بن عبد الله عتيق النقيب شجاع الدين إدريس ، وكان رجلا حسنا يتجر في الجوخ ، مات فجأة عصر يوم الخميس خامس محرم ، وخلف أولادا وثروة ، ودفن بباب الصغير ، وله بر وصدقة ومعروف ، وصيغ بمسجد ابن هشام .

﴿ المصدر أمين الدين ﴾

محمد بن نغر الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن أبي العيش الأنصاري الممشقي باني المسجد المشهور بالربوة ، على حافة بردى ، والطهارة الحجارة إلى جانبه ، والسوق الذي هناك ، وله بجامع النهر ميمار . ولد سنة ثمان وخمسين وستائة ، وصمم البخاري وحدث به ، وكان من أكابر التجار ذوى اليسار ، توفي بكرة الجمعة سادس المحرم ودفن بترته بقاسيون رحمه الله .

﴿ الخطيب الامام العالم ﴾

عماد الدين أبو حفص عمر الخطيب ، ظهور الدين عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر ابن عبد الله بن الحسن القرشي الزهري النابلسي ، خطيب القدس ، وقاضى نابلس مدة طويلة ، ثم جمع له بين خطابة القدس وقضاها ، وله اشتغال وفيه فضيلة ، وشرح صحيح مسلم في مجلدات ، وكان سريع الحفظ سريع الكتابة ، توفي ليلة الثلاثاء عاشر المحرم ودفن بملا رحمه الله .

﴿ المصدر فحس الدين ﴾

محمد بن إسماعيل بن حماد التاجر بقيسارية الشرب ، كتب المنسوب وانتفع به الناس ، وولى التجار لأمانته وديانته ، وكانت له معرفة وطالعة في الكتب ، توفي ثامن صفر عن نحو ستين سنة . ودفن بقاسيون رحمه الله . ﴿ جمال الدين قاضى القضاة الزرعى ﴾

هو أبو الربيع سليمان ابن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر بن عثمان الأذرعى الشافعى ولد سنة خمس وأربعين وستائة بأذرع ، واشتغل بمسح فحصل ، وناب في الحكم بزرع مدة ضرف بالزرعى لذلك ، وإنما هو من بلاد المغرب ، ثم ناب بمسح ثم انتقل إلى مصر فناب في الحكم بها ، ثم استقل بولاية القضاء بها نحواً من سنة ، ولى قضاء الشام مدة مع مشيخة الشيوخ نحواً من سنة ، ثم عزل وبقى على مشيخة الشيوخ نحواً من سنة مع تدريس الاتابكية ، ثم تحول إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر ، ثم توفي بها يوم الأحد سادس صفر وقد قارب

السبعين رحمه الله، وقد خرج له البرزالي مشيخة سمعناها عليه وهو بدمشق عن اثنين وعشرين شيخا.

﴿ الشيخ الامام العالم الزاهد ﴾

زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي الحنبلي، أحد فضلاء الحنابلة، ومن صنف في الحديث والفقه والتصوف وأعمال القلوب وغير ذلك، كان فاضلا له أعمال كثيرة، وقد وقعت له كائنة في أيام الظاهر أنه أصيب في عقله أو زوال فكره، أو قد عمل على الرياضة فاحترق باطنه من الجوع، فرأى خيالات لاحقة لها فاعتقد أنها أمر خارجي، وإنما هو خيال فكري فاسد. وكانت وفاته في نصف صفر بيمليك، ودفن بباب مطحاولم بكل الستين، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب، وعلى القاضي الزرعي مما. ﴿ الأمير شهاب الدين ﴾

نائب طرابلس له أوقاف وصداقات، وبر وصلات، توفي بطرابلس يوم الجمعة ثامن عشر صفر ودفن هناك رحمه الله.

﴿ الشيخ عبد الله بن يوسف بن أبي بكر الاسمردي الموقت ﴾

كان فاضلا في صناعة الميقات وعلم الاضطراب وما جرى مجراه، بارعا في ذلك، غير أنه لا ينفخ به لسوء أخلاقه وشراستها، ثم إنه ضعف بصره فسقط من قياسارية بحسب عشية السبت عاشر ربيع الأول، ودفن بباب الصغير. ﴿ الأمير سيف الدين بلبان ﴾

طربا بن عبد الله الناصري، كان من المتقدمين بدمشق، وجرت له فصول يطول ذكرها، ثم توفي بداره عند مأذنة فيروز ليلة الأربعاء حادي عشرين ربيع الأول، ودفن بقرية اتخذها إلى جانب داره، ووقف عليها مقرئين، وبنى عندها مسجدا بأمام ومؤذن.

﴿ شمس الدين محمد بن يحيى بن محمد ابن قاضي حران ﴾

ناظر الأوقاف بدمشق، مات الليلة التي مات فيها الذي قبله، ودفن بقاسيون، وتولى مكانه عماد الدين الشيرازي.

﴿ الشيخ الامام ذو الفنون ﴾

تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن عبد الله الأنصبي الاسكندراني، المعروف بابن الناكاني، ولد سنة أربع وخمسين وستائة، وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك، وبرع وتقدم بمعرفة النحو وغيره، وله مصنفات في أشياء متفرقة، فقم دمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة في أيام الاختائ، فأنزله في دار السعادة وسمعنا عليه ومعه، وحج من دمشق علمند وسمع عليه في الطريق، ورجع إلى بلاده، توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى، وصلى عليه بدمشق حين بلنهم خبر موته. ﴿ الشيخ الصالح العابد الناسك ﴾

أمين الدين أمين بن عبد، وكان يذكر أن اسمه محمد بن محمد إلى سبع عشر نفسا كلهم اسمه

محمد ، وقد جاور بالمدينة مدة سنتين إلى أن توفي ليلة الخميس ثامن ربيع الأول ، ودفن بالبقيع وصلى عليه بمسقط صلاة الغائب . (الشيخ نجم الدين القباي الحموي)

عبد الرحمن بن الحسن بن يحيى النخعي القباي ، قرية من قرى أحمون الرمان ، أقام بمسامة في زاوية يزار ويلتمس دعاؤه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، حسن الطريقة إلى أن توفي بها آخر نهار الاثنين رابع عشر رجب ، عن ست وستين سنة ، وكانت جنازته حافلة هائلة جداً ، ودفن شمالى حماة ، وكان عنده فضيلة ، واشتغل على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وله كلام حسن يؤثر عنه رحمه الله . (الشيخ فتح الدين بن سيد الناس)

الحافظ العلامة البار ، فتح الدين بن أبي الفتح محمد بن الامام أبي عمرو محمد بن الامام الحافظ الخطيب أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الرابى اليعمرى الاندلسى الاشبيللى ثم المصرى ، ولد في العشر الأول من ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وسمع الكثير وأجاز له الرواية عنهم جماعات من المشايخ ، ودخل دمشق سنة ثمان مئتين فسمع من الكندي وغيره ، واشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه في علوم شتى من الحديث والفقه والنحو من العربية ، وعلم السير والتواريخ وغير ذلك من الفنون ، وقد جمع سيرة حسنة في مجلدتين ، وشرح قطعة حسنة من أول جامع الترمذى ، رأيت منها مجلداً بخطه الحسن ، وقد حرر وحرر وأقاد وأجاد ، ولم يسلم من بعض الانتقاد ، وله اشهر الرائق الفائق ، والنثر الموافق ، والبلاغة الناعمة ، وحسن التصريف والتصنيف ، وجودة البديهة ، وحسن الطوية ، وله العقيدة السلفية الموضوعة على الآى والأخبار والآثار والافتاء بالأثار النبوية ، ويذكر عنه سوء أدب في أشياء أخر ^(١) سألحه الله فيها ، وله مدائح في رسول الله ﷺ حسان ، وكان شيخ الحديث بالظاهرة بمصر ، وخطب بمجامع الخندق ، ولم يكن في مصر في مجموعه مثله في حفظ الأسانيد والمنون والمال والفقه والملح والأشعار والحكايات ، توفي فجأة يوم السبت حادى عشر شعبان ، وصلى عليه من اللند ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن عند ابن أبي جرة رحمه الله . (القاضي محمد الدين بن حرمي)

ابن قاسم بن يوسف العامري القافوسى الشافعى ، وكيل بيت المال ، ومدرس الشافعى وغيره ، كانت له همة ونهضة ، وعلمت سنه وهو مع ذلك يحفظ ويشغل ويشغل ، ويلقى الدروس من حفظه إلى أن توفي ثانى ذى الحجة ، وولى تدريس الشافعى بمدرسة شمس الدين ابن الفتح ، والتطبية بهاء الدين ابن عقيل ، والوكالة نجم الدين الاسردى المحتسب ، وهو كذا وكيل بيت الظاهر .

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة)

استهلت وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها ، ونظر الجامع عز الدين ابن المنجا ، والمحتسب

(١) في الشفوات « ويذكر عنه شئون أخر » .

عماد الدين الشيرازى وغيرهم . وفى مستهل المحرم يوم الخميس درس بأم الصالح الشيخ خطيب تبرود عوضاً عن قاضى القضاة شهاب الدين ابن الجعد ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفى سادس المحرم رجع مهنا بن عيسى من عند السلطان فتلناه النائب والجيش ، وعاد إلى أهل في عز وعافية . وفيه أمر السلطان بعمارة جامع القلعة وتوسيمه ، وعمارة جامع مصر العتيق . وقدم إلى دمشق القاضى جمال الدين محمد بن عماد الدين ابن الأثير كاتب سرهما عوضاً عن ابن الشهاب محمود . ووقع فى هذا الشهر والذي بعده موت كثير فى الناس بالخانوق .

وفى ربيع الأول ملك الأمير نجم الدين بن الزبيق مشد الهوادرين ، وصودرو بيعت خيوله وحواصله ، وتولاه بعده سيف الدين ترمك بكتمر الحاجب ، وهو مشد الزكاة . وفيه كملت عمارة حمام الأمير قيس الدين حمزة الذى تمكن عند تنكز بعده ناصر الدين الهوادر ، ثم وقعت الشناعة عليه بسبب ظله فى عمارة هذا الحمام فقابلته النائب على ذلك وانتصف للناس منه ، وضربه بين يديه وضربه بالبنق بيده فى وجهه ، وسائر جسده ، ثم أودعه القلعة ثم تنله إلى بحيرة طبرية ففرقه فيها ، وعزل الأمير جمال الدين نائب الكرك عن نيابة طرابلس حسب سؤاله فى ذلك ، وراح إليها لطيفال وقدم نائب الكرك إلى دمشق وقد رسم له بالاقامة فى سلخد ، فلما تلقاه نائب السلطنة والجيش نزل فى دار السعادة وأخذ سيفه بها ونقل إلى القلعة ، ثم نقل إلى صفت ثم إلى الاسكندرية ، ثم كان آخر العهد به . وفى جمادى الأولى احتبط على دار الأمير بكتمر الحاجب الحسامى بالقاهرة ، ونشبت وأخذ منهائى كثير جداً ، وكان جد أولاده نائب الكرك المذكور . وفى يوم السبت فاسع جمادى الآخرة باشر حسام الدين أبو بكر ابن الأمير عز الدين أيبك النجيبى شد الأوتاف عوضاً عن ابن بكتاش ، اعتقل ، وخلع على المتولى وهناء الناس . وفى منتصف هذا الشهر علق الستر الجديد على خزانة المصحف الثماني ، وهو من خز طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة أذرع ونصف ، غرم عليه أربعة آلاف وخمسمائة ، وعمل فى مدة سنة ونصف .

وخرج الركب الشامى يوم الخميس فاسع شوال وأميره علاء الدين المرمى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهرى . وفيه رجع جيش حلب إليها وكاتوا عشرة آلاف سوى من تبهم من التركان ، وكانوا فى بلاد أذنة وطرسوس وإياس ، وقد خربوا وقتلوا خلقاً كثيراً ، ولم يمد منهم سوى رجل واحد غرق بنهر جاهان ، ولكن كان قتل الكفار من كان عندهم من المسلمين فمحواً من ألف رجل ، يوم عيد الفطر فأنشأه وإنا إليه راجعون .

وفيه وقع حريق عظيم بمحمة فاحترق منه أسواق كثيرة ، وأمسلاك وأوتاف ، وهلك أموال لا تحصى ، وكذلك احترق أكثر مدينة إنطاكية ، فتألم المسلمون لذلك . وفى ذى الحجة خرب المسجد

الذى كان في الطريق بين باب النصر وبين باب الجابية ، عن حكم القضاة بأمر نائب السلطنة ،
وبني غريبه مسجد حسن أحسن وأرفع من الأول .

وتوفي فيها من الأعيان (الشيخ الصالح المعمر رئيس المؤذنين بمجامع دمشق)

برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الوائى ، ولد سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وسمع
الحديث ، وروى ، وكان حسن الصوت والشكل ، محبباً إلى العوام ، توفي يوم الخميس سادس صفر
ودفن بباب الصغير ، وقام من بعده في الرياسة ولده أمين الدين محمد الوائى المحدث المفيد ، وتوفي
بعده ببضع وأربعين يوماً رحمهما الله .

﴿ الكاتب المطبق المجدد الحرر ﴾

بهاء الدين محمود ابن خطيب بملك محي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السلى ،
ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة ، واعتنى بهذه الصناعة فبرع فيها ، وتقدم على أهل زمانه قاطبة في
النسخ وبقية الأقسام ، وكان حسن الشكل طيب الأخلاق ، طيب الصوت حسن التودد ، توفي في
سليخ ربيع الأول ودفن بتربة الشيخ أبى عمر رحمه الله .

﴿ علاء الدين السنجارى ﴾

واقف دار القرآن عند باب الناطفانيين شمال الأتوى بدمشق ، على بن إسماعيل بن محمود
كان أحد التجار الصدق الأخيار ، ذوى اليسار المسارعين إلى الخيرات ، توفي بالقاهرة ليلة الخميس
ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن عند قبر القاضي قيس الدين بن الحريرى .

﴿ المدلل نجم الدين التاجر ﴾

عبد الرحيم بن أبى القاسم عبد الرحمن الرجبى باقى للتربة المشهورة بالمزة ، وقد جعل لها مسجداً
ووقف عليها أوقافاً داراً ، وصداقات هناك ، وكان من أخيار أبناء جنسه ، عدل مرضى عند جميع
الحكام ، وترك أولاداً وأموراً لاجمة ، وداراً هائلة ، وبساتين بالمزة ، وكانت وفاته يوم الأربعاء سابع
عشرين جمادى الآخرة ودفن بتربته المذكورة بالمزة رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام الحافظ قطب الدين ﴾

أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم بن على بن عبد الحق بن
عبد الصمد بن عبد النور الحلبي الأصل ثم المصرى ، أحد مشاهير المحدثين بها ، والقائمين بحفظ
الحديث وروايته وتدوينه وشرحه والكلام عليه ، ولد سنة أربع وستين وستمائة بحلب ، وقرأ
القرآن بالرواية ، وسمع الحديث وقرأ الشاطبية والألفية ، وبرع في فن الحديث ، وكان حنفى المنهبة
وكتب كثيراً وصنف شرحاً لاكثر البخارى ، وجمع تاريخاً لمصر ولم يكملها ، وتكلم على السيرة

التي جميعها الحافظ عبد الغني وخرج لنفسه أربعين حديثاً متبينة الاسناد ، وكان حسن الأخلاق مطرحة كلفة طاهر اللسان كثير المطالعة والاشتغال ، إلى أن توفي يوم الأحد سلخ رجب ، ودفن من اللند مستهل شعبان عند خاله نصر المنبجي ، وخلف تسعة أولاد رحمه الله .

(القاضي الامام زين الدين أبو محمد)

عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف السبكي ، قاضي الحلة ، ووالده العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، جمع من ابن الانطاكي وابن خطيب المزة ، وحدث وتوفي تاسع شعبان ، وتبعته زوجته فاصرية بنت القاضي جمال الدين إبراهيم بن الحسين السبكي ، ودفنت بالقرافة ، وقد جمعت من ابن الصابوني شيئاً من سنن النسائي ، وكذلك ابنتها عميدة ، وقد توفيت قبلها .

(تاج الدين علي بن إبراهيم)

ابن عبد الكريم المصري ، ويعرف بكناب قطلبك ، وهو والد العلامة تقي الدين شيخ الشافعية ومدرسهم في عديمندارس ، ووالده هذا لم يزل في الخدمة والكتابة إلى أن توفي عنده بالمعادية الصغيرة ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان ، وصلى عليه من اللند بالجناح ، ودفن بباب الصغير .

(الشيخ الصالح عبد الكافي)

يعرف ببسيد ابن أبي الرجال بن حسين بن سلطان بن خليفة النيني ، ويعرف بابن أبي الازرق ، مولده في سنة أربع وأربعين وسبائة بقرية من بلاد بعلبك ، ثم أقام بقرية منين ، وكان مشهوراً بالصالح وقرئ عليه شيء من الحديث وجاوز التسعين .

(الشيخ محمد بن عبد الحق)

ابن شعبان بن علي الأنصاري ، المعروف بالسياس ، له زاوية بسفح قاسيون بالوادي الشمالي مشهورة به ، وكان قد بلغ التسعين ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكانت له معرفة بالأمور وعنده بعض مكاشفة ، وهو رجل حسن ، توفي أواخر شوال من هذه السنة .

(الأمير سلطان العرب)

حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا ، أمير العرب بالشام ، وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من ذرية الولد الذي جاء من العباسية أخت الرشيد رحمه الله أعلم .

وقد كان كبير القدر محترماً عند الملوك كلهم ، بالشام ومصر والعراق ، وكان ديناً خيراً متحيزاً للحق ، وخلف أولاداً وورقة وأموالاً كثيرة ، وقد بلغ سناً عالية ، وكان يحب الشيخ تقي الدين بن تيمية حباً زائداً ، هو وذريته وعمره به ، وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام ، يسمعون قوله ويمتثلونه ، وهو الذي نهام أن يغير بعضهم على بعض ، وعرفهم أن ذلك حرام ، وله في ذلك مصنف جليل ،

وكانت وفاة منها هذا بيلاد سلمية في ثامن عشر ذى القعدة ، ودفن هناك رحمه الله .

(الشيخ الزاهد)

فضل بن عيسى بن قنديل المجتوب الخليلي المقيم بالمسارية ، أصله من بلاد حبراحي ، كان متقلداً من الدنيا يلبس ثياباً طوالاً وعملة هائلة ، وهي بأرخص الأثمان ، وكان يعرف بتعبير الرؤيا ويقصد لذلك ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وقد عرضت عليه وظائف بمجواك كثيرة فلم يقبلها ، بل رضى بالرغيد الهني من العيش الخشن إلى أن توفي في ذى الحجة ، وله نحو تسعين سنة ، ودفن بالقرب من قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهما الله ، وكانت جنازته حافلة جداً .

(ثم دخلت سنة ست وثلثين وسبعمائة)

استهلت بيوم الجمعة والحكماء هم المذكورون في التي قبلها . وفي أول يوم منها ركب تنكز إلى قلعة جبر ومعه الجيش والمناجنيق فنبأوا شهراً وخمسة أيام وعادوا سالمين . وفي ثامن صفر فتحت الخنادق التي أنشأها سيف الدين قوصون الناصري خارج باب القرافة ، وتولى مشيختها الشيخ فحمس الدين الأصباهي المنكلم . وفي عشر صفر خرج ابن جملة من السجن بالقلعة وجاءت الأخبار بموت ملك التتار أبي سعيد بن خريندا بن أرغون بن أيقا بن هولاكو بن تولى بن جنكزخان ، في يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر بدار السلطنة بقربا باغ ، وهي منزلهم في الشتاء ، ثم قتل إلى تربته بمدينة التي أنشأها قريبا من السلطانية مدينة أبيه ، وقد كن من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها ، وقد عز أهل السنة بزمانه وذلت الرافضة ، بخلاف دولة أبيه ، ثم من بعده لم يبق للتتار قائمة ، بل اختلفوا ففترقوا شتت منفر إلى زماننا هذا ، وكان القائم من بعده بالأمر ارتكادون من ذرية أيقا ، ولم يستمر له الأمر إلا قليلا .

وفي يوم الأربعاء عشر جمادى الأولى درس بالناصرية الجوانية بدر الدين الأديلي عوضا عن كمال الدين ابن الشيرازي توفي ، وحضر عنده القضاة . وفيه درس بالظاهرية البرانية الشيخ الامام المقرئ سيف الدين أبو بكر الحريري عوضا عن بدر الدين الأديلي ، تركها لما حصلت له الناصرية الجوانية ، وبعده بيوم درس بالتجيبية كاتبه إسماعيل ابن كثير عوضاً عن الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني تركها حين تمين له تدريس الظاهرية الجوانية ، وحضر عنده القضاة والاعيان وكان درسا حافلا أثنى عليه الحاضرون وتعبجوا من جمعه وتربيته ، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل . وفي يوم الأحد رابع عشره ذكر الدرس بالظاهرية المذكورة ابن قاضي الزبداني عوضا عن علاه الدين ابن التلانسى توفي ، وحضر عنده القضاة والاعيان ، وكان يوما مطيرا .

وفي أول جمادى الآخرة وقع غلاء شديد بديل مصر واشتد ذلك إلى شهر رمضان، وتوجه خلق كثير في رجب إلى مكة نحواً من ألفين وخمسمائة، منهم عز الدين ابن جماعة، وغفر الدين التوبري وحسن السلاحي، وأبو الفتح السلاحي، وخاق. وفي رجب كملت عمارة جسر باب الفرج وعمل عليه بأسورة ورسم باستمرار فتحه إلى بعد المشاء الآخرة كبقية سائر الأبواب، وكان قبل ذلك ينلق من المغرب. وفي صاخر رجب أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه نجم الدين ابن خيلخان تجاه باب كيسان من القبلة، وخطب فيه الشيخ الامام العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية. وفي ثاني شعبان باشر كتابة السر بدمشق القاضي علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل، عوضاً عن كمال الدين ابن الأثير، عزل وراح إلى مصر. وفي يوم الأربعاء رابع رمضان ذكر المدرس بالأينية الشيخ بهاء الدين ابن إمام المشهد عوضاً عن علاء الدين بن القلانسي. وفي العشرين منه خلع على الصدر نجم الدين بن أبي العليخ بنظر الخزانة مضافاً إلى ما بيده من وكالة بيت المال، بعد وفاة ابن القلانسي بشهور.

وخرج الركب السامي يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطلودمر الخليلي. ومن حج فيه قاضي طرابلس محيي الدين بن جهيل، والفخر المصري، وابن قاضي الزيداني، وابن العز الحنفي، وابن غانم والسخاوي وابن قيم الجوزية، وناصر الدين بن البربروه الحنفي، وجاءت الأخبار بوقعة جرت بين التتار قتل فيها خلق كثير منهم، وانتصر على باشا وسلطانة الذي كان قد أقامه، وهو موسى كلون على أربا كلون وأصحابه، قتل هو ووزيره ابن رشيد الدولة، وجرت خطوب كثيرة طويلة، وضربت البشار بدمشق.

وفي ذي القعدة خلع على ناظر الجامع الشيخ عز الدين بن المنجا بسبب إكراه البطائن في الرواق الشمالي والغربي والشرقي، ولم يكن قبل ذلك له بطائن. وفي يوم الأربعاء سابع الحجة ذكر المدرس بالشيلية القاضي نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطروس الحنفي، وهو ابن سبع عشرة سنة، وحضر عنده القضاة والأعيان، وشكروا من فضله ونباهته، وفرحوا لأبيه فيه. وفيها عزل ابن النقيب عن قضاء حلب ووليها ابن خطيب جسرين، وولى الحسبة بالقاهرة ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد خطيب بيت الأبار، خلع عليه السلطان. وفي ذي القعدة رسم السلطان باعتقال الخليفة المستكني وأهله، وأن يمنوا من الاجتماع، فأل أمرهم كما كان أيام الظاهر والمنصور.

ومن توفي فيها من الأعيان. (السلطان أبو سعيد ابن خريندا)

وكان آخر من احتسب قتل التتار عليه، ثم تفرقوا من يده.

(الشيخ المعمر الرحلة)

شمس الدين علي بن محمد بن محمود بن عيسى البندنجي الصوفي، قسم علينا من بندا شيخا

كثيرا راويا لأشياء كثيرة ، فيها صحيح مسلم والترمذي وغير ذلك ، وعنده فرائد ، وله سنة أربع وأربعين وصنائة ، وكان والده محدثا فاسمه أشياء كثيرة على مشايخ عدة ، وكان موته بمسقط رابع الحرم .

﴿ قاضى قضاء بغداد ﴾

قطب الدين أبو الفضل محمد بن عمر بن الفضل النيربزي الشافى المعروف بالأحوس ، سمع شيئا من الحديث واشتغل بالفقه والأصول والمنطق والمربية والماعاني واللسان ، وكان بارعا في فنون كثيرة ودرس بالمستنصرية بعد الماتولى . وفي مدارس كبار ، وكان حسن الخلق كثير الخير على الفقراء والضعفاء ، متواضعا يكتب حسنا أيضا ، توفي في آخر الحرم ودفن بقرية له عند داره ببغداد رحمه الله .

﴿ الأمير صارم الدين ﴾

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أبي الزهر ، المعروف بالفرزال ، كانت له مطالعة وعنده شيء من التاريخ ، ويحاضر جيدا ، ولما توفي يوم الجمعة وقت الصلاة السادس والعشرين من المحرم دفن بقرية له عند حمام المديم .

﴿ الأمير علاء الدين منلطاي الخازن ﴾

فائب القلعة وصاحب التربة تجاه الجامع المظفرى من الغرب ، كان رجلا جيدا ، له أوقاف وبر وصدقات ، توفي يوم الجمعة بكرة عشر صفر ، ودفن بقرية المذكورة .

﴿ القاضى كمال الدين ﴾

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله بن الشيرازى الهمشقى ، ولد سنة سبعين ، وسمع الحديث وتفهق على الشيخ تاج الدين الفزارى ، والشيخ زين الدين الفارقى ، وحفظ مختصر المزنى ودرس في وقت بالبادرائية ، وفي وقت بالشامية البرانية ، ثم ولي تدريس الناصرية الجوانية مدة سنين إلى حين وفاته ، وكان صدرا كبيرا ، ذكر لقضاء قضاء دمشق غير مرة ، وكان حسن المباشرة والشكل ، توفي في ثالث صفر ودفن بقرية بهم بسفح قاسيون رحمه الله .

﴿ الأمير ناصر الدين ﴾

محمد بن الملك المسعود جلال الدين عبد الله بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، كان شيخا مسننا قد اعتنى بصحيح البخارى مختصرا ، وله فهم جيد ولديه فضيلة ، وكان يسكن المرة وبها توفي ليلة السبت خامس عشرين صفر ، وله أربع وسبعون سنة ، ودفن بقرية بهم بالمرة رحمه الله .

﴿ علاء الدين ﴾

علي بن شرف الدين محمد بن القلاننى قاضى المسكر ووكيل بيت المال ، وموقع الدست ، ومدرس الأئمانية والظاهرية وغير ذلك من المناصب ، ثم سلبها كلها سوى التدريس ، وبقي معزولا إلى حين أن توفي بكرة السبت خامس وعشرين صفر ، ودفن بقرية بهم .

﴿ عز الدين أحمد بن الشيخ زين الدين ﴾

محمد بن أحمد بن محمود العقيلي ، و يعرف بابن القلانسي ، محاسب دمشق وناظر الخزانة ، كان محمود المباشرة ، ثم عزل عن الحسبة واستمر بالخزانة إلى أن توفي يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى ودفن بقاسيون .

﴿ الشيخ علي بن أبي المجد بن شرف بن أحمد الحمصي ﴾

ثم دمشق مؤذن البروة خساً وأربعين سنة ، وله ديوان شعر وتعاليق وأشياء كثيرة مما ينكر أمرها ، وكان محلولا في دينه ، توفي في جمادى الأولى أيضا .

﴿ الأمير شهاب الدين بن برك ﴾

متولى دمشق ، شهد جنازته خاق كثير ، توفي ثاني شعبان ودفن بالصالحية وأثنى عليه الناس .

﴿ الأمير تغر الدين ابن الشمس لؤلؤ ﴾

متولى البر ، كان مشكورا أيضا ، توفي رابع شعبان ، وكان شيخا كبيرا ، توفي بستانه ببيت لها ودفن بربته هناك وترك ذرية كثيرة رحمه الله .

﴿ عماد الدين إسماعيل ﴾

ابن شرف الدين محمد بن الوزير فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن صغير بن القيسراني ، أحد كتاب الست ، وكان من خيار الناس ، محبا إلى القراء والصلحين ، وفيه مروءة كثيرة ، وكتب بمصر ثم صار إلى حلب كاتب سرها ، ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات ليلة الأحد ثالث عشر القعدة ، وصلى عليه من اللند بمجامع دمشق ، ودفن بالصوفية عن خمس وستين سنة ، وقد جمع شيئا من الحديث على الأبرقوهي وغيره .

وفي ذى القعدة توفي شهاب الدين ابن القديسة المحدث بطريق الحجاز الشريف . وفي ذى الحجة توفي الشمس محمد المؤذن المعروف بالنجار و يعرف بالبقى ، وكان يتكلم وينشد في المحافل ، والله سبحانه أعلم . (ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعمائة)

استهلت بيوم الجمعة واخليفة المستنفي بالله قد اعتقه السلطان الملك الناصر ، ومنعه من الاجتماع بالناس ، ونائب الشام تنكز بن عبد الله الناصري ، والقضاة والمبشرون هم المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب السر فانه علم الدين بن القطب ، ووالى البر الأمير بدر الدين بن قطلوبك ابن شفشنكير ، ووالى المدينة حمام الدين طرطاي الجوكنداري .

وفي أول يوم منها يوم الجمعة وصلت الأخبار بأن علي باشا كرجيشه ، وقيل إنه قتل ، ووصلت كتب الحجاج في الثاني والثالث من المحرم تصف مشقة كثيرة حصلت للحجاج من

موت الجلال وإلقاء الأحمال ومشى كثير من النساء والرجال ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله على كل حال .

وفي آخر المحرم قدم إلى دمشق القاضي حسام الدين حسن بن محمد النوري قاضي بغداد ، وكان والوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروان الكردي ، وشرف الدين عثمان بن حسن البلدي فأقاموا ثلاثة أيام ثم توجهوا إلى مصر فحصل لهم قبول تام من السلطان ، فاستقضى الأول على الخفية كما سيأتي ، واستوزر الثاني وأمر الثالث . وفي يوم عاشوراء أحضر خمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين بن الهيثم الفقيه الشافعي إلى مجلس الحكم الجلال ، وحضر معه شهاب الدين بن فضل الله محمد الدين الأقصري شيخ الشيوخ ، وشهاب الدين الأصمهاني ، فادعى عليه بأشياء منكورة من الحلول والاتحاد والنفوق الترمطة وغير ذلك ، فأقر ببعضها لحكم عليه بمقتضى دمه ثم توسط في أمره وأبقيت عليه جهاته ، ومنع من الكلام على الناس ، وقام في صفة جماعة من الأمراء والأعيان . وفي صفر احترق بقصر حجاج حريق عظيم أتلّف دورا ودكاكين عديدة .

وفي ربيع الأول ولد للسلطان ولد فدفعت البشارة وزينت البلديات . وفي منتصف ربيع الآخر أمر الأمير صارم الدين إبراهيم الحاجب الساكن نجاه جامع كريم الدين طبلخاناه ، وهو من كبار أصحاب الشيخ تقي الدين رحمه الله ، وله مقاصد حسنة سالحة ، وهو في نفسه رجل جيد . وفيه أفرج عن الخليفة المستنفي وأطلق من البرج في حادي عشر من ربيع الآخر وثرم بيته . وفي يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة أقيمت الجمعة في جامعين بمصر ، أحدهما أنشأه الأمير عز الدين أيمن بن عبد الله الخطيرى ، ومات بعد ذلك باثني عشر يوما رحمه الله ، والثاني أنشأته امرأة يقال لها السلت حديق دادة السلطان الناصر عند قنطرة السباع . وفي شعبان سافر القاضي شهاب الدين أحمد بن شرف بن منصور النائب في الحكم بدمشق إلى قضاء طرابلس ، وناب بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي . وفيه خلع على عز الدين بن جماعة بوكالة بيت المال بمصر ، وعلى ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار بالحسبة بالقاهرة ، مع ما بيده من نظر الأوقاف وغيره . وفيه أمر الأمير فاطم القديس بطبلخاناه ثم عاد إلى القدس .

وفي عشر رمضان قدمت من مصر مقيمتان ألفتان إلى دمشق سائرة إلى بلاد سويس ، وفيهم علاء الدين ، فاجتمع به أهل العلم وهو من أفضل الخفية ، وله مصنعات في الحديث وغيره . وخرج الركب الشامي يوم الاثنين عشر شوال وأميره بهادر قبيح ، وقاضيه محيي الدين الطرابلسي مدرس الحصية ، وفي الركب تقي الدين شيخ الشيوخ وعلاء الدين ابن الشيرازي ، ونجم الدين الطرسوسي ، وجمال الدين المرداوي ، وصاحبه خمس الدين ابن منلق ، والصدر المالكي

والشرف ابن القيسرائى ، والشيخ خالد المقيم عند دار الطعم ، وجمال الدين بن الشهاب محمود .
وفى ذى القعدة وصلت الأخبار بأن الجيش تسلموا من بلاد سيس سبع قلاع ، وحصل لهم
خير كثير والله الحمد ، وفرح المسلمون بذلك . وفيه كانت وقعة هائلة بين التتار انتصر فيها الشيخ
وذووه . وفيها فنى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذويه ، وكانوا قريبا من
مائة فنى إلى بلاد قوص ، ورتب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم ، فأنقذهم ، ولما إليه راجعون .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الشيخ علاء الدين بن غاتم ﴾
أبو الحسن على بن محمد بن سليمان بن حائل بن على المقدسى ^(١) أحد الكبار المشهورين بالفضائل
وحسن الترتيل ، وكثرة الأدب والأشعار والمروءة التامة ، مولده سنة إحدى وخمسين وستائة ،
وسمع الحديث الكثير ، وحفظ القرآن والتفنيه ، ولبشر الجهات ، وقصده الناس فى الامور المهمات
وكان كثير الاحسان إلى الخاص والعام . توفى مرجعه من الحج فى منزلة تبوك يوم الخميس ثالث عشر
الحرم ، ودفن هناك رحمه الله ، ثم تبعه أخوه شهاب الدين أحمد فى شهر رمضان ، وكان أصغر منه
سنا بسنة ، وكان فاضلا أيضا بارعا كثير الدعاة .

﴿ الشرف محمود الحربرى ﴾

المؤذن بالجامع الأموى ، بنى حماما بالنيرب ، ومات فى آخر الحرم .

﴿ الشيخ الصالح العابد ﴾

ناصر الدين بن الشيخ إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الجعبرى ثم المصرى ،
ولد سنة خمسين وستائة بقلمة جعبر ، وسمع صحيح مسلم وغيره ، وكان يتكلم على الناس ويعظمهم
ويستحضر أشياء كثيرة من التفسير وغيره ، وكان فيه صلاح وعبادة ، توفى فى الرابع والعشرين
من الحرم ، ودفن بزاويتهم عند والده خارج باب النصر .

﴿ الشيخ شهاب الدين عبد الحق الحنفى ﴾

أحمد بن على بن أحمد بن على بن يوسف بن قاضى الحنفيين ويعرف بابن عبد الحق الحنفى ،
شيخ المذهب ومدرس الحنفية وغيرها ، وكان بارعا فاضلا دينا ، توفى فى ربيع الأول .

﴿ الشيخ عماد الدين ﴾

إبراهيم بن على بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى النابلسى الحنبلى الامام العالم
العابد شيخ الحنابلة بها وقيهم من مدة طويلة ، توفى فى ربيع الاول .

﴿ الشيخ الامام العابد التلستك ﴾

عبد الدين عبد الله بن أحمد بن الحب عبد الله بن أحمد بن أبى بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن

عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكتب الطباق وانتفع الناس به ، وكانت له مجالس وعظ من الكتب والسنة في الجامع الأموي وغيره ، وله صوت طيب بالقراءة جداً ، وعليه روح وسكينة ووقار ، وكانت مواعيد مفيدة ينتفع بها الناس ، وكان شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية يحبه ويحب قراءته ، توفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن بقاسيون وشهد الناس له بخير ، رحمه الله تعالى ، وبلغ خمسا وخمسين سنة .

﴿ المحدث البارح المحصل المفيد المخرج المجيد ﴾

ناصر الدين محمد بن طربل بن عبد الله الصيرفي أبوه ، الخوارزمي الأصل ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكان سريع القراءة ، وقرأ الكتب الكبار والصغار ، وجمع وخرج شيئاً كثيراً ، وكان بارعاً في هذا الشأن ، رحل فأدركته منيته بمحمة يوم السبت ثاني ربيع الأول ، ودفن من القديس بغير طيبة رحمه الله .

﴿ شيخنا الامام العالم العابد ﴾

شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الغيف محمد بن الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي ، إمام مسجد الحنابلة بها ، ولد سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، وسمع الكثير وكان كثير العبادة حسن الصوت ، عليه البهاء والوقار وحسن الشكل والسمت ، قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعاً من القدس كثيراً من الأجزاء والقوائد ، وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف أحد مفتي الحنابلة وغيرهم ، والمشهورين بالخير والصلاح ، توفي يوم الخميس ثاني عشرين ربيع الآخر ودفن هناك رحمه الله .

﴿ الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد ﴾

إبراهيم المرشدي المقيم بمنية مرشد ، يقصده الناس للزيارة ، ويضيف الناس على حسب مراتبهم وينفق نفقات كثيرة جداً ، ولم يكن يأخذ من أحد شيئاً فيما يبيع للناس ، والله أعلم بحاله ، وأصله من قرية دهروط ، وأقام بالقاهرة مدة واشتغل بها ، ويقال إنه قرأ التفسير في الفقه ، ثم انقطع بمنية مرشد واشتهر أمره في الناس وحجج مرات ، وكان إذا دخل القاهرة يزعم عليه الناس ، ثم كانت وفاته يوم الخميس ثامن رمضان ودفن بزواتيه ، وصلى عليه بالقاهرة ودمشق وغيرها .

﴿ الأمير أسد الدين ﴾

عبد القادر بن المنيث عبد الزبير بن الملك العظيم عيسى بن العادل ، ولد سنة ثنتين وأربعين وسبعمائة ، وسمع الكثير وأجمع ، وكان يأتي كل سنة من مصر إلى دمشق ويكرم أهل الحديث ، ولم يبق من بعده من بني أيوب أعلا سنامته ، توفي بالرملة في سلخ رمضان رحمه الله .

﴿ الشيخ الصالح الفاضل ﴾

حسن بن إبراهيم بن حسن الحانكي الحكرى إمام مسجد هناك ، ومذكر الناس في كل جمعة ،

ولديه فضائل ، وفي كلامه نفع كثير إلى أن توفي في العشرين من شوال ، ولم ير الناس مثل جنازته بديار مصر رحمه الله تعالى . (ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة)

استهلّت بيوم الأربعاء والخليفة المستنفي منى ببلاد قوص ، ومعه أهله وذووه ، ومن يلوذ به ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور ، وللقائب بديار مصر ولا وزير ، وثاقبه بمدمشق تنكز ، وقضاة البلاد ونوابها ومباشروها المذكورون في التي قبلها . وفي ثالث ربيع الأول رسم السلطان بتمغير على وعحمد ابني داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى الغيوم يقيمون به . وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر عزل القاضي علم الدين بن القطب عن كتابة السر وضرب وصودر ، ونكّب بسببه القاضي غفر الدين المصري ، وعزل عن مدرسته الدولية وأخذها ابن جلة ، والعمادلية الصغيرة بأشرها ابن النقيب ، ورسم عليه بالمذراوية مائة يوم ، وأخذ شيء من ماله .

وفي ليلة الأحد ثالث عشر من ربيع الأول بعد المغرب هبت ريح شديدة بمصر وأعقبها رعد وبرق وبرد بقدر الجوز ، وهذا شيء لم يشاهدوا مثله من أعصار متطاوله تلك البلاد . وفي عاشر جمادى الأولى استهلّ النيث بمكة من أول الليل ، فلما انتصف الليل جاء سيل عظيم هائل لم ير مثله من دهر طويل ، فغرب دورا كثيرة نحواً من ثلاثين أو أكثر ، وغرق جماعة وكسر أبواب المسجد ، ودخل الكعبة وأرتفع فيها نحواً من ذراع أو أكثر ، وجرى أمر عظيم حكاها الشيخ عفيف الدين الطبري . وفي سابع عشر من جمادى الأولى عزل القاضي جلال الدين عن قضاء مصر ، وانفق وصول خبر موت قاضي الشام ابن المجاهد أن عزل بيسير ، فولاه السلطان قضاء الشام فصار إليها راجعا عوداً على بده ، ثم عزل السلطان برهان الدين بن عبد الحق قاضي الحنفية ، وعزل قاضي الخبابة ثقي الدين ، ورسم على ولده صدر الدين بأداء ديون الناس إليهم ، وكانت قريباً من ثلثمائة ألف ، فلما كان يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة بعد سفر جلال الدين بخدمة أيام طلب السلطان أعيان الفقهاء إلى بين يديه فسألهم عن من يصلح للقضاء بمصر فوقع الاختيار على القاضي عز الدين ابن جماعة ، فولاه في الساعة الزاهنة ، وولى قضاء الحنفية لحسام الدين حسن بن محمد النوري قاضي بغداد ، وخرجا من بين يديه إلى المدرسة الصلاحية ، وعليهما الخلع ، ونزل عز الدين بن جماعة عن دار الحديث الكاملية لصاحبه الشيخ عماد الدين الغمياطي ، فدرس فيها وأورد حديث « إنما الأعمال بالنيات » . بسنده ، وتكلم عليه . وعزل أكثر نواب الحكم واستمر بعضهم ، واستمر بالمرادى الذي أشار بتوليته . ولما كان يوم خامس عشر من ربيع الثاني عزل القاضي الحنابلة الإمام العالم موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقنعي عوضاً عن الموزول ، ولم يبق من القضاة سوى الاختائي المالكي .

وفي رمضان فتحت الصبابة التي أنشأها شمس الدين بن تقي الدين ابن الصباب التاجر دار قرآن ودار حديث ، وقد كانت خربة شنيعة قبل ذلك . وفي رمضان بإشرع علاء الدين علي ابن القاضي محيي الدين بن فضل الله كتابة السري بمصر بعد وفاة أبيه كما سيأتي ترجمته ، وخلع عليه وعلى أخيه بدر الدين ، ورسم لهما أن يحضرا مجلس السلطان ، وذهب أخوه شهاب الدين إلى الحج . وفي هذا الشهر سقط بالجانب الغربي من مصر بردكا لبيض وكارمان ، فأتلف شيئا كثيرا ، ذكر ذلك البرزالي ونقله من كتاب الشهاب العمياطي . وفي ثالث عشرين رمضان درس بالقبة المنصورية بمشيخة الحديث شهاب الدين المسجدي عوضا عن زين الدين الكنتاني توفي ، فأورد حديثا من مسند الشافعي بروايته عن الجاولي بسنده ، ثم صرف عنها بالحجة بالشيخ أمير الدين أبي حيان ، فساق حديثا عن شيخه ابن الزبير ودعا لسلطان وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفي ذى القعدة حضر تدريس الشامية البرانية قاضي القضاة شمس الدين ابن النقيب عوضا عن القاضي جمال الدين ابن جملة توفي ، وحضر خلق كثير من الفقهاء والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفي ثاني ذى الحجة درس بالمادلية الصغيرة تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني عوضا عن الشيخ فخر الدين بن النقيب بمحكم ولايته الشامية البرانية ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي هذا الشهر درس القاضي صدر الدين بن القاضي جلال الدين بالابابكية ، وأخوه الخطيب بدر الدين بالغزالية والمادلية نيابة عن أبيه . انتهى والله أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان :

﴿ الأمير الكبير بدر الدين محمد بن نغر الدين عيسى ابن الترككاني ﴾

باني جامع المقياس بديار مصر في أيام وزارته بها ، ثم عزل أميرا إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر إلى أن توفي بها في خامس ربيع الآخر ، وتوفي بالحسينية ، وكان مشكورا رحمه الله ، انتهى .

﴿ قاضي القضاة شهاب الدين ﴾

محمد بن المجد بن عبد الله بن الحسين بن علي الرازي الاربلي الأصل ، ثم العمشقي الشافعي ، قاضي الشامية بدمشق ، ولد سنة ثنتين وستين ، واشتغل وبرع وحصل وأفتى سنة ثلاث وتسعين ، ودرس بالاقبالية ثم الرواحية وتربة أم الصالح ، وولى وكالة بيت المال ، ثم صار قاضي قضاة الشام إلى أن توفي بمسجل حمادي الأولى بالمدرسة المادلية ، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

﴿ الشيخ الامام العالم ﴾

زين الدين محمد بن عبد الله ابن الشيخ زين الدين عمر بن مكي بن عبد الصمد بن المرحل مدرس الشامية البرانية والمنراوية بدمشق ، وكان قبل ذلك بمشهد الحسين ، وكان فاضلا بارعا قهبا

أصوليا مناظرا ، حسن الشكل طيب الأخلق ، ديننا صينا ، وطلب في وقت بدمشق عن علم الدين الأحنائي فجمعت سيرته ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع عشر رجب ، ودفن من القند عند مسجد اديان في تربة لهم هناك ، وحضر جنازته القاضي جلال الدين ، وكان قد قدم من الديار المصرية له زمان قط ، وقدم بعده القاضي برهان الدين عبد الحق خمسة أيام ، هو وأهله وأولاده أيضا ، وبأشر بعد تدريس من الله آية قاضي القضاة جمال الدين ابن جملة ، ثم كانت وفاته بعده بشهور ، وراثت يوم الخميس مع عشر ذى القعدة . وهذه ترجمته في تاريخ الشيخ علم الدين البرزالي :

« الشيخ الامام العالم قاضي القضاة »

هو ل الدين أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم بن جملة بن مسلم بن عام بن حسين بن يوسف الصالحى الشافعى المحجى والده ، بالمدرسة السروية وصلى عليه عقيب الظهر يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة ، ودفن بسفح قاسيون ، ومولده في أوائل سنة ثنتين وثمانين وسبعمائة ، وسمع من ابن البخارى وغيره ، وحدث وكان رجلا قاضيا في فنون ، اشتغل وحصل وأفتى وأعاد ودرس ، وله فضائل جمّة ومباحث وفوائد وهمة عالية وحرمة واقرة ، وفيه تودد وإحسان وقضاء للحقوق ، وولى القضاء بدمشق نيابة واستقلالا ، ودرس بمدارس كبار ، ومات وهو مدرس الشامية البرانية ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان رحمه الله .

« الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام قاضي القضاة »

شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن القاضي قيس الدين أبى الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله الجبيني الحوى ، المعروف بابن البارزى قاضي القضاة بجماعة ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة في الفنون المدينة ، ولد في خامس رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وسمع الكثير وحصل فنونا كثيرة ، وصنف كتابا جمّة كثيرة ، وكان حسن الأخلق كثير المحاضرة حسن الاعتقاد في الصالحين ، وكان معظما عند الناس ، وأذن لجماعة من البلد في الافتاء ، وعي في آخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة ، ثم نزل عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم ، وهو في ذلك لا يقطع نظره عن المنصب ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع عشر ذى القعدة بعد أن صلى المشاء والوتر ، فلم تنته فريضة ولا نافلة ، وصلى عليه من القند ودفن بقبة قبرين ، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة .

« الشيخ الامام العالم »

شهاب الدين أحمد بن البرهان شيخ الحنفية بحلب ، شارح الجامع الكبير ، وكان رجلا صالحا منقطعا عن الناس ، واتفق الناس به ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامن والعشرين من رجب ، وكانت

له معرفة بالعبودية والقراءات ، ومشاركات في علوم آخر رحه الله ، والله أعلم .

﴿ القاضي عبي الدين بن فضل الله كاتب السر ﴾

هو أبو المالى يحيى بن فضل الله بن الحلى بن دعبان بن خلف العدوى العمري ، ولد في حادى عشر شوال سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالكرك ، وسمع الحديث وأجمعه ، وكان صدرا كبيرا معظما في الدولة في حياة أخيه شرف الدين وبعده ، وكتب السر بالشام وباليار المصرية ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع رمضان بديار مصر ، ودفن من القفاة وتولى المنصب بعده ولده علاء الدين ، وهو أصغر أولاده الثلاثة المعينين لهذا المنصب .

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

زين الدين ابن الكنتاني ، شيخ الشافعية بديار مصر ، وهو أبو حفص عمر بن أبي الحزم بن عبد الرحمن بن بونس الدمشقي الأصل ، ولد بالقاهرة في حدود سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، واشتغل بمشقة ثم رحل إلى مصر واستوطنها وتولى بها بعض الأقضية بالحكر ، ثم ناب عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد فحمدت سيرته ، ودرس بمدارس كبار ، ولى مشيخة دار الحديث بالقبة المنصورية ، وكان بارعا فاضلا ، عنده فوائد كثيرة جدا ، غير أنه كان سيء الأخلاق متقبضا عن الناس ، لم يتزوج قط ، وكان حسن الشكل بهي المنظر ، يأكل الطيبات ويلبس اللين من الثياب ، وله فوائد وفرائد وزوائد على الروضة وغيرها ، وكان فيه استنار لبعض العلماء بالله يساعده ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء المنتصف من رمضان ، ودفن بالقفاة رحمه الله انتهى .

﴿ الشيخ الامام العلامة ﴾

ركن الدين بن التويم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الوسي الهاشمي الجعفري التونسي المالكي ، المعروف بابن التويم ، كان من أعيان الفضلاء وسادة الأذكياء ، ممن جمع الفنون الكثيرة والمعلوم الأخرى الدينية الشرعية الطيبة ، وكان مدرسا بالنكود مرمية ، وله وظيفة في المارستان المنصوري ، وبها توفي في بكرة السابع عشر من ذي الحجة ، وترك مالا وأثاثا ورثه بيت المال .

وهذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه القى ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي ، وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا ، وكان فراغي من الأسماء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، أحسن الله خاتمتها آمين . وإلى هنا انتهى ما كتبته من لعد خلق آدم إلى زماننا هذا والله الحمد والمنة . وما أحسن ما قل الحريري !

وإن تجد عيباً فسد الخللا • فجل من لا عيب فيه وعلا

كتبه إسماعيل بن كثير بن صنو القرشي الشافعي عفا الله تعالى عنه آمين . (١)

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعائة ﴾

استهلت وسلطان الاسلام والمسلمين بالديار المصرية وما والاها والديار الشامية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، ولا نائب له ولا وزير أيضاً بمصر ، وقضاة مصر ، أما الشافعي قاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، وأما الحنفي قاضي القضاة حسام الدين الثوري ، حسن بن محمد ، وأما المالكي فتى الدين الآخاني ، وأما الحنبلي فوق الدين بن نجما المقدسي ، وقائب الشام الأمير سيف الدين تنكز ، وقضاة جلال الدين القزويني الشافعي الموزول عن الديار المصرية ، والحنفي عماد الدين الطرسوسي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي علاء الدين بن المنجا التنوخي .

ومحدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكرية وبأشر مشيخة الحديث بها الشيخ الامام الحافظ مؤرخ الاسلام محمد بن قحس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، وقرر فيها ثلاثون محدثاً لكل منهم جراية وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز ، وقرر للشيخ ثلاثون رطل خبز ، وقرر فيها ثلاثون فتراً يقرؤون القرآن لكل عشرة شيخ ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين ، ورتب لها إمام وقارئ حديث ونواب ، ولقارئ الحديث عشرون درهماً وثمان أواق خبز ، وجاءت في غاية الحسن في شكلاتها وبنائها ، وهي تجماء دار الذهب التي أنشأها الواقف الأمير تنكز ، ووقف عليها عدة أماكن : منها سوق القشاشيين بباب الفرج ، وطوله عشرون ذراعاً شرقاً وغرباً ، سماه في كتاب الوقف ، وبندر زبدين ، وحمام بمحصى وهو الحمام القديم ، ووقف عليها حصصاً في قرايا آخر ، ولكنه قلب على ماعدا القشاشيين ، وبندر زبدين ، وحمام محصى .

وفيهما قدم القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي من الديار المصرية حاكماً على دمشق وأعمالها ، وفرح الناس به ، ودخل الناس يسلمون عليه لملحه ودياقته وأمانته ، ونزل بالمعادية الكبيرة على عادة من تقدمه ، ودرس بالفزالية والامابكية ، واستتاب ابن عمه القاضي بهاء الدين أبو البقاء ، ثم استتاب ابن عمه أبا الفتح ، وكانت ولايته الشام بعد وفاة قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني الشافعي ، على ما سيأتي بيانه في الوفيات من هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان في المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعائة

﴿ العلامة قاضي القضاة نجر الدين ﴾

عثمان بن الزين علي بن عثمان الحلبي ، ابن خطيب جسر بن الشافعي ، ولي قضاء حلب وكان

إماماً صنف شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه ، وشرح البديع لابن الساعاتي ، وله فوائد غزيرة ومصنفات جليلة ، تولى حلب بعد عزل الشيخ ابن التقيب ، ثم طلبه السلطان فأتى هو وولده الكمال وله بضع وسبعون سنة . وعين توفي فيها

(قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن)

القرطبي الشافعي ، قدم هو وأخوه أيام النورمن بلادهم إلى دمشق ، وهما فاضلان ، بعد التسمين وسنائة فدرس إمام الدين في تربة أم الصالح وأعاد جلال الدين بالبادرائية عند الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين شيخ الشافعية ، ثم تقلبت بهم الأحوال إلى أن ولي إمام الدين قضاء الشافعية بدمشق ، انتزع له من يد القاضي بدر الدين ابن جماعة ، ثم هرب سنة ثمان إلى الديار المصرية مع الناس فأتى هناك ، وأعيد ابن جماعة إلى القضاء ، وخلت خطابة البلد سنة ثلاث وسبعائة ، فولبها جلال الدين المذكور ، ثم ولي القضاء بدمشق سنة خمس وعشرين مع الخطابة ، ثم انتقل إلى الديار المصرية سنة سبع وعشرين بعد أن عجز قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بسبب الضرر في عينيه فلما كان في سنة ثمان وثلاثين تمصّب عليه السلطان الملك الناصر بسبب أمور يطول شرحها ، وفضاه إلى الشام ، واتفق موت قاضي القضاة شهاب الدين بن الحجد عبد الله كما تقدم ، فوفاة السلطان قضاء الشام عوداً على بدء ، فاستناب ولده بدر الدين على نيابة القضاء التي هو خطيب دمشق ، كانت وفاته في أواخر هذه السنة ، ودفن بالصوفية ، وكانت له يد طويلة في الممانى والبيان ، ودفن كثيراً ، وله مصنفات في الممانى مصنف مشهور [اسمه للتخلص] اختصر فيه المفتاح للسكاكي ، وكان مجموع الفضائل ، مات وكان عمره قريباً من السبعين أو جاوزها . وعين توفي فيها رابع الحجة يوم الأحد :

(الشيخ الامام العالم الحافظ)

علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البرزالي مؤرخ الشام الشافعي ، وله سنة وفاة الشيخ ابن أبي شامة سنة خمس وستين وسنائة ، وقد كتب تاريخاً ذيل به على الشيخ شهاب الدين ، من حين وفاته ومولده البرزالي إلى أن توفي في هذه السنة وهو محرم ، ففلس وكفن ولم يستر رأسه ، وحمله الناس على نعشه وهم يركبون حوله ، وكان يوماً مشهوداً ، وسمع الكثير أزيد من ألف شيخ ، وخرج له الحديث فشمس الدين ابن سعد مشيخة لم يكلها ، وقرأ شيئاً كثيراً ، وأسمع شيئاً كثيراً ، وكان له خط حسن ، وخلق حسن ، وهو مشكور وعند القضاة ومشايخه أهل العلم ، سمعت العلامة ابن تيمية يقول : نقل البرزالي قر في حجر . وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرّمونه ، وكان له أولاد ماتوا قبله ، وكتبت ابنته فاطمة البخاري في ثلاثة عشر مجلداً تصالبها ، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزني تحت القبة ، حتى صارت نستحقها أصلاً معتمداً يكتب منها الناس ، وكان شيخ حديث النورية

وفيهما وقف كتبه بدار الحديث السفية ، و بدار الحديث القومية وفي الجامع وغيره وعلى كراسي الحديث ، وكان متواضعا محبيا إلى الناس ، متوددا إليهم ، توفي عن أربع وسبعين سنة رحمه الله .

(المؤرخ شمس الدين)

محمد بن إبراهيم الجوزي ، جمع تاريخا حافلا ، كتب فيه أشياء يستفيد منها الحفاظ كالنرى والقهري والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله ، وكان شيخا قد جاوز الثمانين ، وتقل صممة وضمف خطه ، وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد وأخوه محمد الدين .

(ثم دخلت سنة أربعين وسبعائة)

استهلت هذه السنة و سلطان المسلمين الملك الناصر ، وولاته وقضاته المذكورن في التي قبلها إلا الشافعي بالشام فتوفي التزويني وتولى الملاية السبكي . وبما وقع من الحوادث العظيمة المائلة أن جماعة من رؤس النصارى اجتمعوا في كنيسهم وجمعوا من بينهم مالا جزيلا فدفعوه إلى راهبين قلعها عليها من بلاد الروم ، يسمنان صنعة النفط ، اسم أحدهما ملائي والآخر عازر ، فعلا كحطام من نفط ، وتواطفا حتى عملاء لا يظهر تأخيرهم إلا بعد أربع ساطت وأكثر من ذلك ، فوضعا في شقوق دكا كين التجار في سوق الرجال عند الفهشة في عدة دكا كين من آخر النهار ، بحيث لا يشعر أحد بهما ، وهما في زى المسلمين ، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا والنار قد عملت في تلك الدكا كين حتى قفلت في درازينيات المأذنة الشرقية المنجبة للسوق المذكور ، وأحترقت الدرازينيات ، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمرأه أمراء الأتوق و صعدوا المنارة وهي تشعل فأرا ، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق وقه الحمد والمنة ، وأما المأذنة فاتها فنجرت أحجارها واحترقت السقالات التي تمل السلالم فهدمت وأعيد بناؤها بمجارة جدد ، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم كما سيأتي للكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام والبلد محاصر بالرجال .

والمقصود أن النصارى بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجبلع من المغرب إلى القيسارية بكلمها ، وبما فيها من الأتوقاس والمدد ، فأنه وإنا إليه راجعون ، وتطابق شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس ، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة وما كان متصوفا لا وصول النار إلى مبعد المسلمين ، فحل الله بينهم وبين ما يرومون ، وجاء نائب السلطنة والأمرأه وحالوا بين الحريق والمسجد ، جزاء الله خيرا . ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من قلمهم أمر بمسك رؤس النصارى فأمسك منهم نحو من ستين رجلا ، فأخذوا بالمصادرات والضرب والمقوبات وأنواع المثلات ، ثم بعد ذلك صاحب منهم أزيد من عشرة على الجبال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد وجعلوا يتأوتون واحدا بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا لنهم الله ، انتهى

والله أعلم . (سبب مسك تنكز)

لما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجة جاء الأمير طشتمر من صفد مسرعا وركب جيش دمشق ملبسا ، ودخل نائب السلطنة من قصره مسرعا إلى دار السعادة ، وجاء الجيش فوقوا على باب النهر ، وكان أراد أن يلبس ويقابل فذلوه في ذلك ، وقالوا : المصلحة الخروج إلى السلطان سامعا مطيعا ، فخرج بلا سلاح ، فلما برز إلى ظاهر البلد التف عليه الفخرى وغيره ، وأخنوه وذهبوا به إلى ناحية الكسوة ، فلما كان عند قبة يلينا نزلوا وقيدوه وخصايه من قصره ، ثم ركب البريد وهو حفيد وساروا به إلى السلطان ، فلما وصل أمر بعيره إلى الاسكندرية ، وسألوا عن ودائمه فأقر ببعض ، ثم عوقب حتى أقر بالباقي ، ثم قتله ودفنوه بالاسكندرية ، ثم نقلوه إلى تربته بدمشق رحمه الله ، وقد جاوز الستين ، وكان عادلا مهيبا غفيف الفرج واليد ، والناس في أيامه في غاية الرخص والأمن والصيانة فرحه الله ، وبلى بالرحمة تراه .

وله أوقاف كثيرة من ذلك مرستان بصقد ، وجامع بنابلس ومجلون ، وجامع بدمشق ، ودار حديث بالقدس ودمشق ، ومدرسة وخانقاه بالقدس ، ورباط وسوق موقوف على المسجد الأقصى ، وفتح شياكا في المسجد . انتهى والله تعالى أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان : (أمير المؤمنين المستكني بالله)

أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله بن العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن علي ابن أمير المؤمنين المسترشد بالله الهاشمي العباسي ، البغدادي الأصل والمولد ، موته سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة أو في التي قبلها ، وقرأ واشتغل قليلا ، وعهد إليه أبوه بالأمر وخطب له عند وفاة والده سنة إحدى وسبعمائة ، وفرض جميع ما يتعلق به من الحل والمقد إلى السلطان الملك الناصر ، وسار إلى غزو التتر فشهد مصاف شقحب ، ودخل دمشق في شعبان سنة اثنتين وسبعمائة وهو راكب مع السلطان ، وجميع كبراء الجيش مشاة ، ولما أعرض السلطان عن الأمر وانفزل بالركب التمس الأمراء من المستكني أن يسلطن من ينهض بالملك ، فقلد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وعقد له اللواء وألبسه خلمة السلطنة ، ثم عاد الناصر إلى مصر وعثر الخليفة في فعله ، ثم غضب عليه وسيره إلى قوص فتوفي في هذه السنة في قوص في مستهل شعبان .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

استهلت يوم الأربعاء سلطان المسلمين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بمصر ثم المذكورون في التي قبلها ، وليس في دمشق نائب سلطنة ، وإنما أدى بسد الأمور الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر ، الذي جاء بالتبض على الأمير سيف الدين تنكز ،

ثم جاء المرسوم بالرجوع إلى صفد فركب من آخر النهار وتوجه إلى بلده ، وحواسل الأمير تنكز تحت الحوطة كما هي .

وفي صبيحة يوم السبت رابع المحرم من السنة المذكورة قدم من الديار المصرية خمسة أمراء الأمير سيف الدين بشتك الناصري ومعه برصيف الحاجب ، وطاشار الهدى يدار وبنمرأ بطا ، قنزل يشتك بالقصر الأباقي والميادين ، وليس معه من مماليكه إلا القليل ، وإنما جاء لتجديد البيعة إلى السلطان لما توجهوا من محالة بعض الأمراء لنائب الشام المنفصل ، والحوطة على حواصل الأمير سيف الدين تنكز المنفصل عن نيابة الشام ونجيزها للديار المصرية . وفي صبيحة يوم الاثنين سادسه دخل الأمير علاء الدين الطنبغا إلى دمشق نائباً ، وتلقاه الناس وبشتك والأمراء المصريون ، ونزلوا إلى عتبته فقبلوا التبة الشريفة ، ورجعوا معه إلى دار السعادة ، وقرئ تقليده . وفي يوم الاثنين ثالث عشره مسك من الأمراء المقدمين أميران كبيران الجنى بفا الدادلى ، وطنبغا الحجبى ، ورفعا إلى القلعة المنصورة واحتيط على حواصلهما . وفي يوم الثلاثاء حملوا بيت ملك الأمراء سيف الدين تنكز وأهله وأولاده إلى الديار المصرية . وفي يوم الأربعاء خامس عشره ركب نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه الأمير سيف الدين بشتك الناصري والحاجة رقطية وسيف الدين قطار بفا الفخرى وجماحة من الأمراء المقدمين واجتمعوا يسوق الخيل واستدعوا بملوكي الأمير سيف الدين تنكز وما جفاى وطنفاى . فأمر بتوسيطهما فوسطاً وعلقا على الخشب ونودى عليهما : هذا جزاء من نجاسر على السلطان الناصر .

وفي يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من هذا الشهر كانت وفاة الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام بقلعة اسكندرية ، قيل مخنوقاً وقيل مسموماً وهو الأصح ، وقيل غير ذلك ، وتأسف الناس عليه كثيراً ، وطال حزنهم عليه ، وفي كل وقت يتذكرون ما كان منه من الهبة والصيانة والنفرة على حریم المسلمين ومحارم الاسلام ، ومن إقامته على ذوى الحاجات وغيرهم ، ويشدد تأسفهم عليه رحمه الله . وقد أخبر القاضي أمين الدين ابن القلانسى رحمه الله شيخنا الحافظ العلامة عباد الدين ابن كثير رحمه الله أن الأمير سيف الدين تنكز مسك يوم الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء وتوفي يوم الثلاثاء وصلى عليه بالاسكندرية ودفن بجمعتها في الثالث والعشرين من المحرم بالقرب من قبر القبارى ، وكانت له جنازة جيدة .

وفي يوم الخميس سابع شهر صفر قدم الأمير سيف الدين طشنمر الذى مسك تنكز إلى دمشق قنزل بطانة برزة يحميه ومن معه ثم توجه إلى حلب المحروسة نائباً بها عوضاً عن الطنبغا المنفصل عنها وفي صبيحة يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول نودى في البلد بجنازة الشيخ الصالح العابد

الناسك القدوة الشيخ محمد بن تلمذ توفي بالصالحية ، فذهب الناس إلى جنازته إلى الجامع المظفرى ، واجتمع الناس على صلاة الظهر فضايق الجامع المذكور عن أن يسمم ، وصلى الناس في الطرقات وأرجاء الصالحية ، وكان الجمع كثيرا جدا لم يشهد الناس جنازة بعد جنازة الشيخ تقي الدين بن تيمية منها ، لكثرة من حضرها من الناس رجالا ونساء ، وفيهم القضاة والأعيان والأمراء وجوهور الناس يقاربون عشرين ألفا ، وانتظر الناس نائب السلطنة فاشتغل بكتاب ورد عليه من الديار المصرية ، فصلى عليه الشيخ بعد صلاة الظهر بالجامع المظفرى ، ودفن عند أخيه في تربة بين تربة الموفق وبين تربة الشيخ أبي عمر رحمهم الله وإياها .

وفي أول شهر جمادى الأولى توفيت الشيخة المابدة الصالحة المائلة طارئة القرآن أم طاملة عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوجة شيخنا الحافظ جمال الدين المزي عشية يوم الثلاثاء مستهل هذا الشهر وصلى عليها بالجامع صبيحة يوم الأربعاء ودفنت بمقابر الصوفية غربى قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله . كانت عديدة النظير في نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقرائها القرآن العظيم فصاحة وبلاغة وأداء صحيح ، يمجز كثير من الرجال عن تيميده ، وختمت نساء كثيرا ، وقرأ عليها من النساء خاتق وانتفعن بها وبصلاحها ودينها وزهدتها في الدنيا ، وتقالها منها ، مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أمقتها في طاعة الله صلاة وتلاوة ، وكان الشيخ محسنا إليها مطيعا ، لا يكاد يخالفها لحبه لها طيبا وشرعا فرحها الله وقدم روحها ، وتور مضجعا بالرحمة آمين .

وفي يوم الأربعاء الحادى والعشرين منه درس بمدرسة الشيخ أبي عمر بسفح قاسيون الشيخ الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى المقدسى الحنبلى ، في التدريس البكتمرى عوضا عن القاضي برهان الدين الزرعى ، وحضر عنده المقادسة وكبار الحنابلة ، ولم يتمكن أهل المدينة من الحضور لكثرة المطر والوجل يومئذ . وتكامل عمارة المنارة الشرقية في الجامع الأموى في العشر الأخير من رمضان ، واستحسن الناس بناءها وإتمامها ، وذكر بعضهم أنه لم يبن في الاسلام منارة مثلها والله الحمد . ووقع لكثير من الناس في غالب ظنونهم أنها المنارة البيضاء الشرقية التى ذكرت في حديث النواس بن سمعان في نزول عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء في شرقي دمشق ، فلعل لفظ الحديث انقلب على بعض الرواة ، وإنما كان على المنارة الشرقية بدمشق ، وهذه المنارة مشهورة بالشرقية لمقابلتها أختها الغربية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي يوم الثلاثاء سلق شهر شوال عقد مجلس في دار العدل بدار السعادة وحضرته يومئذ واجتمع القضاة والأعيان على العادة وأحضر يومئذ عثمان الدكاكى قبحه الله تعالى ، وادعى عليه بظالم من القول لم يؤثر مثلها عن الحلاج ولا عن ابن أبي الخداف السلقمانى ، وطامت عليه البينة بدعوى الآلية

لعمه الله ، وأشياء آخر من التتقيص بالأنبياء ومخالطته أرباب الريب من الباجريّة وغيرهم من الاتحادية عليهم لائن الله ، ووقع منه في المجلس من إساءة الأدب على القاضي الخنبلّي وتضمن ذلك تكفيره من المالكية أيضاً ، فادعى أن له دوافع وقواعد في بعض الشهود ، فرد إلى السجن مقيداً متولوا مقبوحاً ، أمكن الله منه بقوته وتأنيده ، ثم لما كان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى القعدة أحضر عثمان الدكاكى المذكور إلى دار السعادة وأقيم إلى بين يدى الأمراء والقضاة وسئل عن القواعد في الشهود فصجز فلم يقدر ، وعجز عن ذلك فتوجه عليه الحكم ، فقتل القاضي المالكي الحكم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم حكم بإراقه دمه وإن تاب ، فأخذ المذكور فضربت رقبته بدمشق يسوق الخليل ، ونودى عليه : هذا جزاء من يكون على منهج الاتحادية ، وكان يوماً مشهوراً بدار السعادة ، حضر خلق من الأعيان والمشايخ ، وحضر شيخنا جمال الدين المزي الحافظ ، وشيخنا الحافظ فمس الدين الذهبي ، ونكلموا وحرصوا في القضية جداً ، وشهدوا برندقة المذكور بالاستغاثة ، وكذا الشيخ زين الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وخرج القضاة الثلاثة المالكي والحنفي والخنبلّي ، وهم نفذوا حكمه في المجلس فحضروا قتل المذكور وكنت مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى القعدة أفرج عن الأميرين العقيلين بالقلمة وما طنبغا حجابا والجلبى بفا ، وكذلك أفرج عن خزاندارية تنكز الذين تأخروا بالقلمة ، وفرح الناس بذلك .
(ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون)

في صبيحة يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذى الحجة قدم إلى دمشق الأمير سيف الدين قطاربا الفخرى نخرج نائب السلطنة وعلامة الأمراء لتلقيه ، وكان قدومه على خيل البريد ، فأخبر بوفاة السلطان الملك الناصر ، كانت وفاته يوم الأربعاء آخره . وأنه صلى عليه ليلة الجمعة بعد العشاء ودفن مع أبيه الملك المنصور على ولده أنوك ، وكان قبل موته أخذ المهدي لابنه سيف الدين أبي بكر ولقبه بالملك المنصور ، فلما دفن السلطان ليلة الجمعة حضره من الأمراء قليل ، وكان قد ولى عليه الأمير علم الدين الجوالى ، ورجل آخر منسوب إلى الصلاح يقال له الشيخ عمر بن محمد بن إبراهيم الجببرى ، وشخص آخر من الجبيارية ، ودفن كما ذكرنا ، ولم يحضر ولده ولى عهده دفنه ، ولم يخرج من القلمة ليلتذ عن مشورة الأمراء لتلاي تخبط الناس ، وصلى عليه القاضي عز الدين بن جماعة إماما ، والجلولى وايدغمش وأمير آخر والقاضى بهاء الدين بن حمد بن قاضى دمشق السبكى ، وجلس الملك المنصور سيف الدنيا والدين أبو المالى أبو بكر على سرير المملكة . وفي صبيحة يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، بإمه

الجيش المصري ، وقسم الفخرى لأخذ البيعة من الشاميين ، نزل بالقصر الأبيض وباب النصارى ، فملك المنصور بن الناصر بن المنصور ، ودقت البشائر بالفتح ، وسورة دهمشق مبيحة يوم الخميس الثامن والعشرين منه ، وفرح الناس بالملك الجديد ، وتحوا على الملك ، وتأسفوا عليه رحمه الله . ﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعائة ﴾

استهلت بيوم الأحد وسلطان الاسلام بالقيار المصرية والبلاد الشامية وما ولاها الملك المنصور سيف الدين أبو بكر بن الملك السلطان الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور صاحب الدين قلاوون الصالحى ، وثاقب الشام الأمير علاء الدين طنبغا وقضاة الشام ومصرهم المذكورون فى التى قبلها ، وكذا المباشرىون سوى الولاية شهر الله المحرم ﴿ ولاية الخليفة الحاكم بأمر الله ﴾ وفى هذا اليوم بيع بالخلافة أمير المؤمنين أبو القاسم أحمد بن المستكى بالله إلى أبي الربيع سليمان العباسى ولبس السواد وجلس مع الملك المنصور على سرير المملكة ، وألبسه خلمة سوداء أيضاً ، تجلسا وعليهما السواد ، وخطب الخليفة يومئذ خطبة بليغة فصيحة مشتملة على أشياء من المواعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخطب يومئذ على جماعة من الأمراء والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان أبو القاسم هذا قد عهد إليه أبوه بالخلافة ، ولكن لم يمكنه الناصر من ذلك ، وولى أبا إسحاق إبراهيم ابن أخى أبي الربيع ، ولقبه الواقى بالله ، وخطب له بالقاهرة جمعة واحدة ففزع المنصور وقرر أبا القاسم هنا ، وأمضى العهد ولقبه المستنصر بالله كما ذكرنا .

وفى يوم الأحد ثامن المحرم مسك الأمير سيف الدين بشتك الناصرى آخر التهار ، وكان قد كتب تقليده بنبابة الشام وخام عليه بذلك وبرز قفله ثم دخل على الملك المنصور ليودعه فرحب به وأجلسه وأحضر طعاماً وأكلا ، وتأسف الملك على فراقه ، وقال : نذهب وتتركنى وحدى ، ثم قام لتوديعه وذهب بشتك من بين يديه ثمانى خطوات أو نحوها ، ثم قدم إليه ثلاثة نفر قطع أحدهم سيفه من وسطه بسكين ، ووضع الآخر يده على فقه وكنتفه الآخر ، وقيدوه وذلك كله بحضور السلطان ، ثم غيب ولم يدر أحد إلى أين صار ، ثم قالوا للمالكية : انهبوا أنتم فأنهبوا بمركب الأمير غداً ، فهو باقت عند السلطان . وأصبح السلطان وجلس على سرير المملكة وأمر بمسك جماعة من الأمراء وتسعة من الكبار ، واحتاطوا على حواصله وأمواله وأملأك ، فيقال إنه وجد عنده من الذهب ألف ألف دينار ، وسبعائة ألف دينار .

﴿ وفاة شيخنا الحافظ أبى الحاج المزى ﴾

تعرض أيلماً بيمرة مرضاً لا يشغل عن شهود الجماعة ، وحضور المدرس ، وإسماع الحديث ، فلما كان يوم الجمعة حادى عشر صفر أجمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة ، ثم دخل منزله ليتوضأ

و يذهب للصلاة فاعترضه في باطنه من نص عظيم ، ظن أنه قولنج ، وما كان للإطاعون ، فلم يقدر على حضور الصلاة ، فلما فرغنا من الصلاة أخبرت بأنه منقطع ، فذهبت إليه فدخلت عليه فإذا هو يرتعد رعدة شديدة من قوة الألم الذي هو فيه ، فسألته عن حاله فجعل يكرر الحمد لله ، ثم أخبرني بما حصل له من المرض الشديد ، وصلى الظهر بنفسه ، ودخل إلى الطهارة وتوضأ على البركة ، وهو في قوة الوجع ثم اتصل به هذا الحال إلى القد من يوم السبت ، فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك ، لكن أخبرتنا بنته زينب زوجتي أنه لما أذن الظهر تغير ذهنه قليلا ، فقالت : يا أبا أذن الظهر ، فذكر الله وقال : أريد أن أملى فتيمم وصلى ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسي حتى جعل لا يفيض بها لسانه ثم قبضت روحه بين الصلوتين ، رحمه الله يوم السبت ثاني عشر صفر ، فلم يمكن تجهيزه تلك الليلة ، فلما كان من القد يوم الأحد ثالث عشر صفر صبيحة ذلك اليوم ، غسل وكفن وصلى عليه بالجامع الأموى ، وحضر القضاة والأعيان وخلائق لا يحصون كثرة ، وخرج بمجنازته من باب النصر ، وخرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه ديوان السلطان ، والصاحب وكاتب السر وغيرهم من الأمراء ، فصلوا عليه خارج باب النصر ، أمهم عليه القاضي تقي الدين السبكي الشافى ، وهو الذى صلى عليه بالجامع الأموى ، ثم ذهب به إلى مقابر الصوفية فدفن هناك إلى جانب زوجته المرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله ، عائشة بنت إبراهيم بن صديق ، غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله أجمعين .

(كاتبة غريبة جداً)

قدم يوم الأربعاء الثلاثين من صفر أمير من الديار المصرية ومعه البيعة للملك الأشرف علاء الدين كحك بن الملك الناصر ، وذلك بعد عزل أخيه المنصور ، لما صدر عنه من الأفعال التى ذكر أنه قضاها من شرب المسكر وغشيان المنكرات ، وقضاها ما لا يليق به ، ومما شاهده الخاصكية من المردان وغيرهم ، قتالا على خلمه كبار الأمراء لما رأوا الأمر قفاهم إلى الفساد المريع فأحضروا الخليفة الحاكم بأمر الله أبى الربيع سليمان فأثبت بين يديه ما نسب إلى الملك المنصور المذكور من الأمور فحينئذ خلمه وخلمه الأمراء الكبار وغيرهم ، واستقبلوا مكانه أخاه هذا المذكور ، وسيرهه إذ ذاك إلى قوص مضيقا عليه ومعه إخوة له ثلاثة ، وقيل أكثر ، وأجلسوا الملك الأشرف هذا على السرير ، وتاب له الأمير سيف الدين قوصون الناصرى ، واستمرت الأمور على السداد وجاءت إلى الشام فبايعه الأمراء يوم الأربعاء المذكور ، وضربت البشائر عشية الختيس مستهل ربيع الأول وخطب له بدمشق يوم الجمعة بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء .

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول حضر بدار الحديث الأشرفية قاضى القضاة تقي الدين السبكي عوضا عن شيخنا الحافظ جمال الدين المزي ، ومشيخة دار الحديث النورية عوضا عن

ابنه رحمه الله . وفي شهر جمادى الأولى اشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحص الأخر قاتم في نصرة ابن السلطان الأمير أحمد الذى بالكرك ، وأنه يستخدم ذلك ويجمع الجوع بالله أعلم . وفي العشر الثانى منه وصلت الجيوش بحبة الأمير سيف الدين قتلونا الفخرى إلى الكرك في طلب ابن السلطان الأمير أحمد . وفي هذا الشهر كثرت الكلام في أسر الأمير أحمد بن الناصر الذى بالكرك ، بسبب محاصرة الجيش الذى بحبة الفخرى له ، واشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحص الأخر قاتم يجنب أولاد السلطان الذين أخرجوا من الديار المصرية إلى الصعيد ، وفي القيام بالمداخلة عن الأمير أحمد ، ليصرف عنه الجيش ، وترك حصاره وعزم بالذهاب إلى الكرك لنصرة أحمد ابن أستاذه ، وتنبأ له نائب الشام بدمشق ، ونادى في الجيش للمقتاه ومدافنته عما يريد من إقامة الفتنة وشق العصا ، واهتم الجند لذلك ، وتأهبوا واستمدوا ، ولحقهم في ذلك كلفة كثيرة ، وانزعج الناس بسبب ذلك وتخوفوا أن تكون فتنة ، وحسبوا إن وقع قتال بينهم أن تقوم المشيرات في الجبال وحوران ، وتمتطل مصالح الزراعة وغير ذلك ، ثم قسم من حلب صاحب السلطان في الرسلية إلى نائب دمشق الأمير علاء الدين الطنبغا ومعه مشافهة ، فاستمع لما فيث معه صاحب الميسرة أمان الساقى ، فذهب إلى حلب ثم رجعا في أواخر جمادى الآخرة وتوجها إلى الديار المصرية ، واشتهر أن الأمر على ما هو عليه حتى توافق على ما ذكر من رجوع أولاد الملك الناصر إلى مصر ، ما عدا المنصور ، وأن يخلى عن محاصرة الكرك .

وفي العشر الأخير من جمادى الأولى توفي مظفر الدين موسى بن مهنا ملك العرب ودفن بتدمر وفي صبيحة يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة عند طلوع الشمس توفي الخطيب بدر الدين محمد بن القاضي جلال الدين القزوينى بدار الخطابة بعد رجوعه من الديار المصرية كما قمنا ، فخطب جمعة واحدة وصلى بالناس إلى ليلة الجمعة الأخرى ثم مرض فخطب عنه أخوه تاج الدين عبد الرحيم على العادة ثلاثة جمع ، وهو مريض إلى أن توفي يومئذ ، وتأسف الناس عليه لحسن شكله وصباحة وجهه وحسن ملتقاه وتواضعه ، واجتمع الناس للصلاة عليه لظهور فتاخر تجهيزه إلى المصر فعلى عليه بالجامع قاضى القضاة تقي الدين السبكي ، وخرج به الناس إلى الصوفية ، وكانت جنازته حافلة جدا ، فدفن عند أبيه بالتربة التى أنشأها الخطيب بدر الدين هناك رحمه الله .

وفي يوم الجمعة خامس الشهر بعد الصلاة خرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين الطنبغا وجميع الجيش قاصدين البلاد الحلبية لقبض على نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر ، لأجل ما أظهر من القيام مع ابن السلطان الأمير أحمد الذى في الكرك ، وخرج الناس في يوم شديد المطر كثير الوحل ، وكان يوما مشهودا عصيبا ، أحسن الله العاقبة . وأمر القاضي تقي الدين السبكي الخطيب

المؤذنين بزيادة أذكار على الذى كان سنة فيهم الخطيب بدر الدين من التسبيح والتحميد والتهليل الكثير ثلاثا وثلاثين ، فزادهم السبكي قبل ذلك : أستغفر الله العظيم ثلاثا ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم أثبت ما في صحيح مسلم بعد صلاتي الصبح والمغرب : اللهم أجرا من النار سبعا ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا ، وكأوا قبل تلك السنوات قد زادوا بعد التأذين الآية ليلة الجمعة والتسليم على رسول الله ﷺ ، يبتدئ الرئيس منفردا ثم يعيد عليه الجماعة بطريقة حسنة ، وصار ذلك سببا لاجتماع الناس في محن الجامع لاستماع ذلك ، وكلما كان المبتدئ حسن الصوت كانت الجماعة أكثر اجتماعا ، ولكن طال بسبب ذلك الفصل ، وتأخرت الصلاة من أول وقتها . انتهى .

(كاتبة غربية جدا)

وفي ليلة الأحد عشية السبت نزل الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى بظاهر دمشق بين الجسورة وميدان الحصى بالاطلاب الذين جاءوا معه من البلاد المصرية لمحاصرة الكرك ليقبض على ابن السلطان الأمير أحمد بن الناصر ، فكنثوا على التفتة محاصرين مضيقين عليه إلى أن توجه نائب الشام إلى حلب ، ووضعت هذه الأيام المذكورة ، فادري الناس إلا وقد جاء الفخرى وجوعه ، وقد يأمروا الأمير أحمد وسموه الناصر بن الناصر ، وخلصوا بيعة أخيه الملك الأشرف علاء الدين كجك واعتلوا بصفره ، وذكروا إن أتاكم الأمير سيف الدين قوصون الناصرى قد عدى على ابني السلطان قتلها خنقا ببلاد الصعيد : جهز إليهما من تولى ذلك ، وهما الملك المنصور أبو بكر ورمضان ، فتنكر الأمير بسبب ذلك ، وقالوا هذا يريد أن يمتاح هذا البيت ليتمكن هو من أخذ المملكة ، فغموا لذلك ، وبأيعوا ابن أستاذهم وجاءوا في الذهب خلف الجيش ليكونوا عوناً للأمير سيف الدين طشتمر نائب حلب ومن معه ، وقد كتبوا إلى الأمراء يستميلونهم إلى هنا ، ولما نزلوا بظاهر دمشق خرج إليهم من بدمشق من الأكابر والقضاة والمباشرين ، مثل والى البر ووالى المدينة وابن سمندار وغيرهم ، فلما كان الصبح خرج أهالى دمشق عن بكرة أبيهم ، على عادتهم في قدوم السلاطين ، ودخول الحجاج ، بل أكثر من ذلك من بعض الوجوه ، وخرج القضاة والصاحب والأعيان والولاة وغيرهم ، ودخل الأمير سيف الدين قطلوبغا في دست نيابة السلطنة التى فوضها إليه الملك الناصر الجديد وعن يمينه الشافى ، وعن شماله الخنى على المائدة ، والجيش كله محقق به في الحديد ، والعقارات والبوخت والنشابة السلطانية والسناجق الخليفة والسلطانية تفتق ، والناس في الدعاء والثناء للفخرى ، وم في غاية الاستبشار والفرح ، وربما نال بعض جهة الناس من النائب الآخر الذى ذهب إلى حلب ، ودخلت الاطلاب بعده على ترتيبهم ، وكان يوما مشهودا ، فنزل شرقي دمشق

قريباً من خان لاجين ، و يث في هذا اليوم فرسم على القضاة والصحاب ، وأخذ من أموال الأيتام
 وغيرها خمسمائة ألف ، وعرضهم عن ذلك بقرية من بيت المال ، وكتب بذلك سجلات ، واستخدم
 جيداً ، وانضاف إليه من الأمراء الذين كانوا قد تخلفوا بدمشق جماعة منهم عمر الساقى مقدم ، وابن
 قراستقر وابن الكامل وابن المظلم وابن البلدى وغيرهم ، وبيع هؤلاء كلهم مع مباشرى دمشق
 للملك الناصر بن الناصر ، وأقام الفخرى على خان لاجين ، وخرج المتعيشون بالصنائع إلى عديم
 وضربت البشار بالقلمة صبيحة يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر ، ونودى بالبلد إن سلطانكم الملك
 الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، وثابكم سيف الدين قطلو بغا الفخرى ، وفرح كثير من
 الناس بذلك ، وانضاف إليه نائب صند وبايه نائب بلبك ، واستخدموا له رجالا وجنداً ، ورجع
 إليه الأمير سيف الدين سنجر الجقदार رأس المينة بدمشق ، وكان قد تأخر في السفر عن نائب
 دمشق علاء الدين الطنبغا ، بسبب مرض عرض له ، فلما قدم الفخرى رجع إليه وبيع الناصر
 ابن الناصر ، ثم كاتب نائب حماة تفردم الذى نائب بمصر للملك المنصور ، فأجابه إلى ذلك وقدم على
 المسكر يوم السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور ، في تجهيل عظيم وخزائن كثيرة ، وقتل هائل .
 وفي صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور كفت الشمس قبل الظهور ، وفي
 صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من جادى الآخرة ، قدم نائب غزة الأمير آق سنقر فى جيش
 غزاة وهو قريب من ألفين ، فمدوا دمشق وقت الفجر وغدوا إلى مسكر الفخرى ، فانضافوا إليهم
 ففروا بهم كثيراً ، وصار في قريب من خمسة آلاف مقاتل أو يزيدون .

استهل شهر رجب الفرد والجماعة من أكابر التجار مطلوبون بسبب أموال طلبها منهم الفخرى ،
 يقوى بها جيشه الذى ممة ، ومبلغ ذلك الذى أرادهم منهم ألف ألف درهم ، وممة مرسوم الناصر بن
 الناصر ببيع أملاك الأمير سيف الدين قوصون ، إتيابك الملك الأشرف علاء الدين كجك ، ابن
 الناصر اتى بالشام ، بسبب إياته عن مبايعة أحمد بن الناصر ، فأشار على الفخرى من أشار بأن يباع
 لتجار من أملاك الناصر ، ويحصل مال قوصون من الخصاص ، فرسم بذلك ، وأن يباع لتجار قرية
 دويه قومت بألف ألف وخمسمائة ألف ، ثم لطف الله وأفرج عنهم بعد ليلتين أو ثلاث ، وقدموا
 عن ذلك بمواصل قوصون ، واستمر الفخرى بن ممة ومن أضيف إليه من الأمراء والاجناد مقيمين
 بشقية العقاب ، واستخدم من رجال البقاع كثيرة أكثر من ألف رام ، وأميرهم يحفظ أنواء
 الطرق ، وأزف قدوم الأمير علاء الدين طنبغا بن ممة من عساكر دمشق ، وجمهور الحلبين وطائفة
 الطرابلسيين ، وتأنب هؤلاء لهم . فلما كن الحادى من الشهر اشتهر أن الطنبغا وصل إلى القسطل
 ويث طلائمه فالتقت بطلائع الفخرى ، ولم يكن بينهم قتال والله الحمد والمنة وأرسل الفخرى إلى

القضاة ونوابهم وجماعة من الفقهاء فخرجوا ورجع الشافعي من أثناء الطريق ، فلما وصلوا أمرهم بالسعي بينه وبين الطنبغا في الصلح ، وأن يوافق الفخرى في أمره ، وأن يبايع الناصر بن الناصر ، فأبى فردم إليه غير مرة ، وكل ذلك يمتنع عليهم ، فلما كان يوم الاثنين رابع عشره عند العصر جاءه يريد إلى متولى البلد عند العصر من جهة الفخرى يأمره بفتح أبواب البلد ، ففعلت الأبواب ، وذلك لأن العساكر توجهوا وتوافقوا لقتال ، فأنفذوا وإنا إليه راجعون .

وذلك أن الطنبغا لما علم أن جماعة قتلوا بذا على ثنية القلب دار الفرو من ناحية الميصرة ، وجاء بالجيش من هناك ، فاستداره الأمير سيف الدين قتلوا بذا الفخرى بجماعته إلى ناحيته ، ووقف له في طريقه ، وحال بينه وبين الوصول إلى البلد ، وانزعج الناس انزعاجا عظيما ، وغلقت القياسر والأشواق وخاف الناس بعضهم من بعض أن يكون نهب ، فركب متولى البلد الأمير ناصر الدين بن بكباشي ومعه أولاده ونوابه والرجالة ، فسار في البلد وسكن الناس ودعوا له ، فلما كان قريب المغرب فتح لهم باب الجابية ليدخل من هومن أهل البلد ، فحرت في الباب على ما قيل زحمة عظيمة ، وتسخط الجنود على الناس في هذه الليلة ، واتفق أنها ليلة الميلاد ، وبات المسلمون مهمومون بسبب العسكر واختلافهم فأصبحت أبواب البلد مغلقة في يوم الثلاثاء سوى باب الجابية ، والأمر على ما هو عليه ، فلما كان عشية هذا اليوم تقارب الجيشان واجتمع الطنبغا وأمرأؤه ، واتفق أمرأه دمشق وجهودم الذين هم معه على أن لا يقاتلوا مسلما ولا يسلموا في وجه الفخرى وأصحابه سيفا ، وكان قضاة الشام قد ذهبوا إليه مرارا للصلح ، فبأبى عليهم إلا الاستمرار على ما هو عليه ، وقويت نفسه عليه انتهى . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

﴿ محبة من عجائب الدهر ﴾

فبات الناس متقابلين في هذه الليلة وليس بين الجيشين إلا مقدار مليون أو ثلاثة ، وكانت ليلة مطيرة ، فلما أصبح الصبح إلا وقد ذهب من جماعة الطنبغا إلى الفخرى خلق كثير من أجناد الحلفاء ومن الأمراء والأعيان ، وطلعت الشمس وارتفعت قليلا فغند الطنبغا القضاة وبعض الأمراء إلى الفخرى يتهدده ويتوعده ويقوى نفسه عليه . فاساروا عنه قليلا إلى اسماقت العساكر من الميمنة والميسرة ومن القلب ، ومن كل جانب مقرين إلى الفخرى ، وذلك لما هم فيه من ضيق المشي وقلة ما بأيديهم من الأطعمة وغلظ الدواب ، وكثرة ما معهم من الكلف ، قرأوا أن هذا حال يطول عليهم ، ومقتوا أمرهم غاية المتى ، وقطايبت قلوبهم وقلوب أولئك مع أهل البلد على كراهته لقوة نفسه فيا لا يجدى عليه ولا عليهم شيئا ، فبايعوا على الحامزة عليه ، فلم يبق معه سوى حاشيته في أقل من ساعة واحدة ، فلما رأى الحال على هذه الصفة كر راجعا هاربا من حيث جاء ومحبته

الأمير سيف الدين رقطبة نائب طرابلس ، وأميران آخران ، والتقت المساكر والأمراء ، وجاءت البشارة إلى دمشق قبل الظهر ففرح الناس فرحا شديدا جدا ، الرجال والنساء والولدان ، حتى من لا توبة له ، ودقت البشار بالقلعة المنصورة ، فأرسلوا في طلب من هرب ، وجلس الفخرى هنالك بقية اليوم يحاف الأمراء على أمره الذي جاء له ، غفلوا له ، ودخل دمشق عشية يوم الخميس في أبهة عظيمة ، وحرمة وافرة ، فنزل القصر الأباقي ونزل الأمير تفردهر بالمليدان الكبير ، ونزل عماري بدار السعادة وأخرجوا الموساوي الذي كان منتقلا بالقلعة ، وجعلوه مشدا على حوطلات حواصل الطنبغا وكان قد تقضب الفخرى على جماعة من الأمراء منهم الأمير حسام الدين السقندار ، أمير حاجب بسبب أنه صاحب إعلاده الدين الطنبغا ، فلما وقع ما وقع هرب فيمن هرب ، ولكن لم يأت الفخرى ، بل دخل البلد فوسط في الأمر : لم يذهب مع ذلك ولا جاء مع هذا ، ثم إنه استدرك ما فاته فرجع من البار إلى الفخرى ، وقبل بل رسم عليه حين جاء وهو مهموم جدا ، ثم إنه أعطى مندبل الأمان ، وكان معهم كاتب السر القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، ثم أفرج عنهم ، ومنهم الأمير سيف الدين حطية وكان شديد الحق عليه ، فأطلقه من يومه وأعلمه إلى الحجورية ، وأظهر مكارم أخلاق عظيمة ، ورئاسة كبيرة ، وكان لقاضي علاء الدين بن المنجاقضي قضاة الحنابلة في هذه السكائنة سعى مشكور ، ومراجعة كبيرة للأمير علاء الدين الطنبغا ، حتى خيف عليه منه ، وخطر بنفسه معه ، فأفصح الله مقصده وسلمه منه ، وكبت عدوه وفقه الحمد والمنة .

وفي يوم السبت السادس والعشرين منه قلعه قضاء المساكر المنصورة الشيخ فخر الدين بن الصائغ عوضا عن القاضي الحنفي ، الذي كان مع النائب المنفصل ، وذلك أنهم قدوا عليه إقتهاء الطنبغا بقتال الفخرى ، وفرح بولايته أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وذلك لأنه من أخص من محبيه قديما ، وأخذ عنه فوائد كثيرة وعلموا .

وفي يوم الأربعاء سلب رجب آخر التهار قدم الأمير قاري من عند الملك الناصر بن الناصر من الكرك وأخبره بما جرى من أمرهم وأمر الطنبغا ، ففرح بذلك وأخبر قاري بقدوم السلطان ففرح الناس بذلك واستمدوا له بالآت المملكة وكثرت مطالبته أرباب الأموال والمنة بالجزية .

وفي مستهل رجب من هذه السنة ركب الفخرى في دست النيابة بالوكب المنصور ، وهو أول ركوبه فيه ، وإلى جانبه قاري وعلى قاري خلة هائلة ، وكثرداه الناس للفخرى يومئذ ، وكان يوما مشهودا . وفي هذا اليوم خرج جماعة من المتقدمين الألوف إلى الكرك بأخبار ابن السلطان بما جرى : منهم تفردهر وإقبغا عبد الواحد وهو الساقى ، وميكلى بننا وغيرهم . وفي يوم السبت ثالثه استدعى الفخرى القاضي الشافعي وألح عليه في احضار الكتب في صلة الحكم التي كانت أخذت من

عند الشيخ أتى الدين ابن تيمية رحمه الله من القلعة المنصورة في أيام جلال الدين التتار ، فأحضرها القاضي بعد جهده ودافعة ، وخاف على نفسه منه ، فقبضها منه الفخرى بالقصر وأذن له في الانصراف من عنده ، وهو متخضب عليه ، ورجعهم بمنزله لممانته إليها ، وربما قال قائل هذه فيها كلام يتعلق بمسألة الزيارة ، فقال الفخرى : كان الشيخ أعلم بالله ورسوله منكم . واستبشر الفخرى بأحضارها إليه واستدعى بأخي الشيخ زين الدين عبد الرحمن ، والشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن قيم الجوزية وكان له سعى مشكور فيها ، فهناها بأحضاره الكنب ، وبيت الكنب تلك الليلة في خزائنه لتبكر وصلى به الشيخ زين الدين أخو الشيخ صلاة المغرب بالقصر ، وأكرمه الفخرى إكراما زائدا لحبته الشيخ رحمه الله .

وفي يوم الأحد رابعه دقت البشائر بالقلعة وفي باب الميدان لقدوم بشير بالقبض على قوصون بالديار المصرية ، واجتمع الناس لذلك واستبشر كثير منهم بذلك ، وأقبل جماعة من الأمراء إلى الكرك لطاعة الناصر بن الناصر ، واجتمعوا مع الأمراء الشاميين عند الكرك ، وطلبوا منه أن يتزل إليهم فأبى وتوهم أن هذه الأمور كلها مكيدة ليقبضوه ويسلوه إلى قوصون ، وطلب منهم أن ينظر في أمره ودرهم إلى دمشق . وفي هذه الأيام وما قبلها وما بعدها أخذ الفخرى من جماعة التجار بالأسواق وغيرها زكاة أموالهم سنة ، فتحصل من ذلك زيادة على مائة ألف وسبعة آلاف ، وصودر أهل النمة بقريب من ذلك زيادة على الجزية التي أخذت منهم عن ثلاث سنين سلفا وتسيلا ، ثم تودى في البلد يوم الاثنين الحادى والعشرين من الشهر مناداة صادرة من الفخرى برفع الظلمات والطلبات وإسقاط ما تبقى من الزكاة والمصادرة ، غير أنهم احتاطوا على جماعة من المشاة المكثرين ليشتروا منهم بعض أملاك الخالص ، والبرهان بن بشارة الخنفي تحت المصادرة والمقوبة على طلب المال الذي وجده في طميرة وجدها فيما ذكر عنه والله أعلم .

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من بعد الصلاة دخل الأمراء السنة القين توجهوا نحو الكرك لطلب السلطان أن يقدم إلى دمشق فأبى عليهم في هذا الشهر ، ووعدهم وقتا آخر فرجعوا ، وخرج الفخرى لتلقيهم ، فاجتمعوا قبل جامع التقيبات الكريمي ، ودخلوا كاهم إلى دمشق في جمع كثير من الأمراء والجند ، وعليهم خدة لعدم قدوم السلطان أيده الله . وفي يوم الأحد قدم البريد خلف قمارى وغيره من الأمراء يطلبهم إلى الكرك ، واشتهر أن السلطان رأى النبي ﷺ في المنام وهو يأمره بالتزول من الكرك وقبول المملكة ، فانشرح الناس لذلك .

وتوفى الشيخ عمر بن أبي بكر بن الينى البعلبي يوم الأربعاء التاسع والعشرين ، وكان رجلا صالحا كثير التلاوة والصلاة والصدقة ، وحضور مجالس الذكر والحديث ، له همة وصولته على الفقراء

المتشبهين بالصالحين وليسوا منهم ، سمع الحديث من الشيخ نضر الدين بن البخارى وغيره وقرأت عليه عن ابن البخارى مختصر المشيخة ، ولزم مجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وانتفع به ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفى شهر رمضان المعظم أوله يوم الجمعة ، كان قد نودى فى الجيش : أن الرحيل للنتقى السلطان فى صابع الشهر ، ثم تأخر ذلك إلى بعد المشر ، ثم جاء كتاب من السلطان بتأخر ذلك إلى بعد العيد وقدم فى عاشر الشهر علاء الدين بن تقي الدين الحنفى ، ومعه ولاية من السلطان الناصر بنظر البيارستان النورى ، ومشيخة الربوة ومرتب على الجهات السلطانية ، وكان قد قدم قبله القاضى شهاب الدين بن البارزى بقضاء حمص من السلطان أبيه الله تعالى ، فرح الناس بذلك حيث تكلم السلطان فى المملكة وبشر وأمر وولى ووقع وقطع الحد . وفى يوم الأربعاء ثالث عشر مدخل الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحصى الأخضر من البلاد الحلبية إلى دمشق المحروسة ، وتلقاه الفخرى والأمراء والجيش بكامله ، ودخل فى أبهة حسنة ودعاه الناس وفرحوا بقدومه بعد شتائه فى البلاد وهربه من بين يدى الطنبا حين قصده إلى حاب كما تقدم ذكره .

وفى يوم الخميس رابع عشر خرجت الجيوش من دمشق قاصدين إلى غزة لنظرة السلطان حين يخرج من الكرك السعيد ، فخرج يومئذ مقدمان : قنودم واقبغا عبد الواحد فبرزوا إلى الكسوة ، فلما كان يوم السبت خرج الفخرى ومعه طشتمر وجهور الأمراء ، ولم يبق معه بدمشق إلا من احتيج لمقامهم لمهمات المملكة ، وخرج معه القضاة الأربعة ، وقاضى المساكم والموقعين والمصاحب وكتب الجيش وخلق كثير .

وتوفى الشيخ الصالح العابد النادك أحمد بن .. الملقب بالقصيدة ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان ، وصلى عليه بجامع شكر ، ودفن بالصوفية قريبا من قبر الشيخ جمال الدين المزى ، وتقدمها الله برحمته ، وكان فيه صلاح كثير ، ومواظبة على الصلاة فى جماعة ، وأمر بمروءة ونهى عن منكر مشكورا عند الناس بطنير ، وكان يكثر من خدمة المرضى بالمراستان وغيره ، وفيه إيثار وقناعة وتزهد كثير ، وله أحوال مشهورة رحمه الله وإياداه .

واشتهر فى أواخر الشهر المذكور أن السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد خرج من الكرك المحروس بحجة جماعة من الدرب والأتراك قاصدا إلى الديار المصرية ، ثم تفرج خروجه منها فى يوم الاثنين ثامن عشر الشهر المذكور فدخل الديار المصرية بعد أيام . هذا والجيش صامدون إليه ، فلما تحقق دخوله مصر حثوا فى السير إلى الديار المصرية ، وبيت يستنهم أيضا ، واشتهر أنه لم يجلس على سرير الملك حتى يقدم الأمراء الشاميون بحجة نائبه الأمير سيف الدين قطو ببا الفخرى ، ولهذا لم تنق

البشار بالقلاع الشامية ولا غيرها فيما باننا . وجاءت الكتب والأخبار من الديار المصرية بأن يوم الاثنين عاشر شوال كان إجلاس السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد على سرير المملكة ، صعد هو والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستنفي فوق المنبر ، وهما لابسان السواد ، والقضاة تحتهما على درج المنبر بحسب منازلهم ، فخطب الخليفة ، وخلع الأشرف كجك وولى هذا الناصر ، وكان يوما مشهودا ، وأظهر ولايته لطشتمر نيابة مصر ، والفخرى دمشق ، وأيد غش حاب فآله أعلم ، ودقت البشار بدمشق ليلة الجمعة الحادى والعشرين من الشهر المذكور ، واستمرت إلى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة ، وزينت البلديوم الأحدثا لثلاث عشرين منه ، واحتفل الناس بالزينة . وفى يوم الخميس المذكور دخل الأمير سيف الدين الملك أحد الرؤس المشهورة بمصر إلى دمشق فى طلب نيابة حماة حرسها الله تعالى ، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة ورد البريد من الديار المصرية فأخبر أن طشتمر الحص الأخرى مسك ، فتمعجب الناس من هذه الكثرة كثيرا ، فخرج من بدمشق من أعيان الأمراء أمير الحج وغيره وخيم بوطاة برزة وخرج إلى الحج أمير فأخبره بذلك وأمره عن مرسوم السلطان أن ينوب بدمشق حتى يأتى المرسوم بما يستعمل أمير الحج فأجاب إلى ذلك ، وركب فى الموكب يوم السبت السادس منه ، وأما الفخرى فانه لما تنسم هذا الخبر وتحققه وهو بالزقة فرى طائفة من مماليكه قريب من ستين أو أكثر ، فاحترق وساق سوا فاحتفينا وجاءه الطلب من ورائه من الديار المصرية فى نحو من ألف فارس ، صحبة الأميرين : الطنبغا الماردانى ، ويبلغا التحاوى ، فقاتلها وسبق واعترض له نائب غزة فى جنده فلم يقدر عليه ، فسلطوا عليه المشيرات ينهبوه فلم يقدروا عليه إلا فى شىء يسير ، وقتل منهم خلقا ، وقصد نحو صاحبه فيما يزعم الأمير سيف الدين يدغش نائب حلب راجيا منه أن ينصره وأن يواثقه على ما قام بنفسه ، فلما وصل أكرمه وأنزله ، وبات عنده ، فلما أصبح قبض عليه وقيده ورد على البريد إلى الديار المصرية ، ومعه التراسيم من الأمراء وغيرهم .

ولما كان يوم الاثنين سلق ذى القعدة خرج السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن المنصور من الديار المصرية فى طائفة من الجيش قاصداً إلى الكرك المحروس ، ومعه أموال جزيلة ، وحواصل وأشياء كثيرة ، فدخلها يوم الثلاثاء من ذى الحجة ومحبته طشتمر فى محنة عمرضا ، والفخرى مقيداً ، فاعتقلا بالكرك المحروس ، وطلب السلطان آلات من أخشاب ونحوها وحدادين وصناع ونحوها لإصلاح مهمات بالكرك ، وطلب أشياء كثيرة من دمشق ، فحملت إليه ، ولما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذى الحجة ورد الخبر بأن الأمير دكن الدين بيبرس الأحمدي النائب بصدد ركب فى مماليكه وخدمه ومن أطاعه ، وخرج منها فاراً بنفسه من القبض

عليه ، وذ كر أن نائب غزوة قصده ليقبض عليه بمرسوم السلطان ورد عليه من الكرك ، فهرب
الأحمدي بسبب ذلك ، ولما وصل الخليل إلى دمشق وليس بها نائب انزعج الأمراء قلقا ، واجتمعوا
بمدار السعادة ، وضربوا في ذلك مشورة ثم جردوا إلى ناحية بعلبك أميرا ليصدوه عن القهاب إلى
البرية . فلما أصبح الصباح من يوم الاثنين جاء الخليل بأنه في نواحي الكوة ، ولا مانع من خلاصه ،
فركبوا كلهم ونادى المنادى : من تأخر من الجند عن هذا النفير شق ، واستوتقوا في الخروج وقصدوا
ناحية الكوة وبعثوا الرسل إليه ، فذكر اعتذارا في خروجه وتخلص منهم ، وذهب يوم ذلك ، ورجعوا
وقد كانوا ملبسين في يوم حار ، وليس معهم من الأزواد ما يكتفيهم سوى يومهم ذلك ، فلما كانت ليلة
الثلاثاء ركب الأمراء في طلبه من ناحية نية العقاب ، فرجعوا في اليوم الثاني وهو في صحبتهم ، ونزل في
القصور التي بناها تتركز رحمة الله ، في طريق داريا ، فأقام بها ، وأجرى عليه مرتبا كاملا من الشخير
والنعم وما يحتاج إليه مثله ، ومعه مماليكه وخدمه ، فلما كان يوم الثلاثاء سادس المحرم ورد كتاب
من جهة السلطان قريء على الأمراء بمدار السعادة يتضمن إكرامه واحترامه والصفح عنه لتقديم خدمه
على السلطان الملك الناصر وابنه الملك المنصور . ولما كان يوم الأربعاء سابع المحرم [جاء كتاب] إلى
الأمير ركن الدين بيبرس نائب النية ابن الحاجب أنش بالقبض على الأحمدي ، فركب الجيش
ملبسين يوم الخميس وأكبوا بسوق الخليل وراسوه . وقد ركب في مماليكه بالمدد وأظهر الامتناع .
فكان جوابه أن لا أسمع ولا أطيع إلا أن هو ملك الفيل المصرية ، فأما من هو مقيم بالكرك ويصدر
عنه ما يباقل عنه من الأفاعيل التي قد سارت بها الركب ، فلا . فلما بلغ الأمراء هذا توقفوا في أمره
وسكنوا ورجعوا إلى منازلهم ، ورجع هو إلى قصره .

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة)

استهل هذه السنة المباركة وساطان المسلمين الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور
قلاوون ، وهو مقيم بالكرك ، قد حاز الحواصل السلطانية من قلعة الجبل إلى قلعة الكرك ، ونائبه
الفيل المصرية الأمير سيف الدين آقشغر السلاوي ، الذي كان قائما بغزة ، وقضلة الفيل المصرية هم
الذكورون في السنة الماضية ، سوى القاضي الحنفى . وأما دمشق فليس لها نائب إلى حينئذ غير أن
الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب كان استنابه الفخرى بدمشق نائب غيبته ، فهو الذي يسد الأمور
مع الحاجب أنش ، وتغر المهندار ، والأمير سيف الدين الملقب بمجلاوة ، وإلى البر ، والأمير ناصر
الدين ابن ركبليس متولى البلد ، هؤلاء الذين يسدون الأشغال والأمور السلطانية ، والقضاة هم الذين
ذكرتهم في السنة الماضية ، وخطيب البلد تاج الدين عبد الرحيم بن القاضي جلال الدين التزويى ،
وكاتب السر القاضي شهاب الدين بن فضل الله .

وامتثلت هذه السنة والأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى نازل بقصر تنكز بطريق داريا ، وكتب السلطان واردة في كل وقت بالاحتياط عليه والقبض ، وأن يمك ويصل إلى الكرك ، هذا والأمراء يتوانون في أمره ويسوفون المراسيم ، وقتاً بعد وقت ، وحيناً بعد حين ، ويحملهم على ذلك أن الأحمدى لا ذنب له ، وهى مسكة تطرف إلى غيره ، مع أن السلطان يلفتهم عنه أحوال انرضيهم من اللعب والاجتماع مع الاراذل والأطراف ببلد الكرك ، مع قلة الفخري وطشتم قتلا فظلياً ، وسلبه أهلها وسلبه لما على الحرمين من الثياب والخلى ، وإخراجهم في أسوأ حال من الكرك ، وتقريبه النصارى وحضورهم عنده . فحمل الأمراء هذه الصفات على أن يمتوا أحدهم يكشف أمره ، فلم يصل إليه ، ورجع هارباً خائفاً ، فلما رجع وأخبر الأمراء انزعجوا وتوشوا كثيراً ، واجتمعوا بسوق الخيل مراراً وضربوا مشورة بينهم ، فاتفقوا على أن يخلعوه ، فكتبوا إلى المصريين بذلك ، وأعلموا نائب حلب أيدهش وتواب البلاد ، وقوا متوجهين من هذا الحال كثيراً ومترددتين ، ومنهم من يصانف في الظاهر وليس معهم في الباطن ، وقالوا لاسمع له ولا طاعة حتى يرجع إلى القطار المصرية ، ويجلس على سرير المملكة وجاء كتابه إليهم يعيهم وينفهم في ذلك ، فلم يند ، وركب الأحمدى في الموكب وركبوا عن يمينه وشماله وراحوا إليه إلى القصر ، فسلموا عليه وخمموه ، وتفاقم الأمر وعظم الخطب ، وحلوا هوما عظيمة خوفاً من أن يذهب إلى القطار المصرية فلف عليه المصريون فيشتلف الشاميين ، فحمل الناس همهم فأنه هو المستول أن يحسن العاقبة . فلما كان يوم الاحد السادس والعشرين من المحرم ورد مقدم البريدية ومعه كتب المصريين بأنه لما بلغهم خبر الشاميين كن عندهم من أمر السلطان أضعاف ما حصل عند الشاميين ، فبادروا إلى ما كانوا همزوا عليه ، ولكن ترددوا خوفاً من الشاميين أن يخالفهم فيه ويتقدموا في محبة السلطان لقتلهم ، فلما اطمأنوا من جهة الشاميين صمموا على عزيمتهم فغلبوا الناصر أحمد وملكوا عليهم أخاه الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن المنصور ، جعله الله مباركا على المسلمين ، وأجلسوه على السرير يوم الثلاثاء العشرين من المحرم المذكور ، وجاء كتابه مسلماً على أمراء الشام ومقدميه ، وجاءت كتب الأمراء على الأمراء بالسلام والأخبار بذلك ففرح المسلمون وأمراء الشام والخاصة والعامة بذلك فرحاشديداً ، ودقت البشار بالفتنة المنصورة يومئذ ، ورسم تزيين البلد فزين الناس صبيحة الثلاثاء السابع والعشرين منه ، ولما كان يوم الجمعة سلخ المحرم خطب بمسقط الملك الصالح عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور .

وفي يوم الخميس سادس صفر درس بالصدرية صاحبنا الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب النورعى إمام الجوزية ، وحضر عنده الشيخ عز الدين بن النجا الذى نزل له عنها ، وجماعة من الفضلاء . وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر دخل الأمير سيف الدين تفرع من القطار

المصرية ، إلى دمشق ذاهبا إلى نيابة حلب الحرسة ، قتل بالقانون .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر صفر توفي الشيخ الامام العالم العامل الزاهد عبد الله بن أبي الوليد المقرئ المالكي ، إمام المالكية ، هو وأخوه أبو عمرو ، بالجامع الأموي بحراب الصحابة . توفي ببستان بقية السحف ، وصلى عليه بالمصلى ودفن عند أبيه ورحمهما الله بتقارب باب الصغير ، وحضر جنازته الأعيان والفقهاء والقضاة ، وكان رجلا صالحا مجتهدا على ديانتته وجلالته رحمه الله .

وفي يوم الخميس العشرين من صفر دخل الأمير أيدغمش نائب السلطنة بدمشق ودخل إليهم ناحية القانون قادمًا من حاب ، وتلقاه الجيش بكاله ، وعليه خلعة النياية ، واحتفل الناس له وأشعلوا الشموع ، وخرج أهل اللزمة من اليهود والنصارى يدعون له ومعهم الشموع ، وكان يوما مشهودًا ، وصلى يوم الجمعة بالقصورة ، من الجامع الأموي ، ومعه الأمراء والقضاة ، وقرىء تقليد هناك على السدة وعليه خلعته ، ومعه الأمير سيف الدين ملككم الرحوى ، وعليه خلعة أيضا .

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر دخل الأمير علم الدين الجاولي دمشق الحرسة ذاهبا إلى نيابة حماة الحرسة ، وتلقاه نائب السلطنة والأمراء إلى مسجد القدم ، وراح قتل بالقانون ، وخرج القضاة والأعيان إليه ، ومعهم عليه من مسند الشافعي فانه يرويه ، وله فيه عمل ، ورتبه ترقيا حسنا وأيته ، وشرحه أيضا ، وله أوقاف على الشافعية وغيرهم .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين منه عقد مجلس بعد الصلاة بالشباك الكلى من مشهد عثان بسبب القاضى نغر الدين المصرى ، وصدر الدين عبد الكريم ابن القاضى جلال الدين القزوينى ، بسبب العادلية الصغيرة ، فاتفق الحال على أن نزل صدر الدين عن تدريسها ، ونزل نغر الدين عن مائة وخمسين على الجامع . وفي يوم الأحد سلك الشهر المذكور حضر القاضى نغر الدين المصرى ودرس بالمعادلية الصغيرة وحضر الناس عنده على المادة ، وأخذ في قوله تعالى (هذه بضاعتنا ردت إلينا)

وفي آخر شهر ربيع الأول جاء المرسوم من الديار المصرية بأن يخرج تجريدة من دمشق بصحبة الأمير حسام الدين السقندار لحصار الكرك الذى تحصن فيه ابن السلطان أحمد ، واستحوذ على معانده من الأموال التى أخذها من الخزان من ديار مصر ، وبرز التنجيق من القلعة إلى قبل جامع القبيبات ، فصب هناك وخرج الناس لتفرج عليه ورى به ومن نيتهم أن يستصحبوه معهم للحصار .

وفي يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين الطنطا الماردانى من الديار المصرية على قاعدته وعادته . وفي يوم الخميس عشره دخل إلى دمشق الأميران الكبيران ركن الدين بيبرس الأحمدي من طرابلس ، وعلم الدين الجاولي من حماة مسحرا ، وحضرا الموكب وقتا مكتفين لنائب السلطنة : الأحمدي عن يمينه والجاولي عن يساره ، ونزلا ظاهر البلد ، ثم بعد أيام يسيرة توجه

الاحدى إلى الهيار المصرية على علاته وقاعدته رأس مشورة ، وتوجه الجاولى إلى غزة المحرسة قائبا عليها . وكان الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير على إمرة الطليعات بدمشق . وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت التجريدة من دمشق سحراً إلى مدينة الكرك ، والأمير شهاب الدين بن صبح وإلى الولاية بحوران ثم إلى الحانق ، وخرج الأمير سيف الدين بهادر الشمس الملقب بملاوة إلى البر بدمشق إلى ولاية الولاية بحوران . وفي يوم الجمعة ثامن عشره وقع بين النائب والقاضى الشافى بسبب كتاب ورد من الهيار المصرية فيه الوصاة بالقاضى السبكى المذكور ومعه التوقيع بالخطابة له مضافاً إلى القضاء وخلفة من الهيار المصرية ، فتعيط عليه النائب لأجل أولاد الجلال ، لأنهم عندهم عائلة كثيرة وهم قراء ، وقد نهاء عن السعى في ذلك ، فتقدم إليه يومئذ أن لا يصلى عنده في الشبك الكالى ، فنهض من هناك وصلى في التزالية .

وفي يوم الأحد العشرين منه دخل دمشق الأمير سيف الدين أريفاً زوج ابنة السلطان الملك الناصر مجتازاً ذاهباً إلى طرابلس قائماً بها ، في تجمل وأبهة ونجائب وجنائب ، وعدة وسرك كامل . وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه دخل الأمير بدر الدين ابن الخطيرى معز ولا عن نيابة غزة المحروسة فأصبح يوم الخميس فركب في الموكب وسير مع نائب السلطنة ، ونزل في داره وراح الناس للسلام عليه . وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر زينت البلد لعاقبة السلطان الملك الصالح لمرض أمهائه ، ثم شفى منه . وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قبل العصر ورد البريد من الهيار المصرية بطلب قاضى القضاة تقي الدين السبكى إليها حاكماً بها ، فذهب الناس للسلام عليه ولتوديعه ، وذلك بعد ما أرجف الناس به كثيراً ، واشتهر أنه سينتقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الايتام إلى الطنبا وإلى الفخرى ، وكتبت فتوى عليه بذلك في قعره ، وداروا بها على المفتين فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضى جلال الدين بن حسام الدين الحنفى ، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة فوسلت في الافناء عليها فامتعت ، لما فيها من التشويش على الحكم ، وفي أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويقتضيه حكم الشرع الشريف ، وكانوا له في نية عجيبة فخرج الله عنه بطلبه إلى الهيار المصرية ، فسار إليها محبة البريد ليلة الأحد ، وخرج الكبراء والأعيان لتوديعه ، وفي ختمته .

استهل جمادى الآخرة والتجريدة عمالة إلى الكرك والجيش المجردون من الحلقة قريب من ألف ويزيدون ، ولما كان يوم الثلاثاء رابعه بعد الظهر مات الأمير علاء الدين أيدغش نائب السلطنة بالشام المحروس في دار وحده في دار السعادة ، فمخلوا عليه وكشفوا أمره وأحصروا وخشوا أن يكون اعتراه سكتة ، ويقال إنه شفى فله أعلم ، فانتظروا به إلى الند احتياطاً ، فلما أصبح الناس اجتمعوا

لصلاة عليه فصل عليه خارج باب النصر حيث يصل على الجنائز، وذهبوا به إلى نحو القبلة ، ورام بعض أهل أن يدفن في تربة غير يال إلى جانب جامع القبيبات ، فلم يمكن ذلك ، فدفن قبل الجامع على حافة الطريق ، ولم ينهأ دفنه إلا إلى بعد الظهر من يومئذ ، وعملوا عنده ختمة ليلة الجمعة رحمه الله وسامحه .

واشتهر في أوائل هذا الشهر أن الحصار عمال على الكرك ، وأن أهل الكرك خرجت طائفة منهم قتل منهم خلق كثير ، وقتل من الجيش واحد في احصار ، فقتل القاضي وجماعة ومعهم شيء من الجواهر ، وتراضوا على أن يسلموا البلد ، فلما أصبح أهل الحصن تحصنوا ونصبوا المجانيق واستمدوا فلما كان بعد أيام رموا منجنيق الجيش فكسروا السهم الذي له ، وعجزوا عن قتله فخرقه برأى أمراء المتقدمين ، وجرت أمور فظيمة ، فلهذا يحسن العاقبة .

ثم وقعت في أواخر هذا الشهر بين الجيش وأهل الكرك وقعة أخرى ، وذلك أن جماعة من رجال الكرك خرجوا إلى الجيش وروموا بالشلب فخرج الجيش لهم من الخيام ورجعوا مشاة ملبسين بالسلاح قتلوا من أهل الكرك جماعة من النصاري وغيرهم ، وجرح من العسكر خلق ، وقتل واحد أو اثنين وأسر الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص ، وقتل أمير العرب ، وأسر آخرون فاعتقلوا بالكرك ، وجرت أمور منكرة ، ثم بعدها تعرض العسكر راجعين إلى بلادهم لم ينالوا مرادهم منها ، وذلك أنهم رقبهم البرد الشديد وقلة الزاد ، وحاصروا أولئك شديداً بلا قنطرة فان البلد يريد متطلوة ومجانيق ، ويشق على الجيش الاقامة هناك في كواثين ، والمنجنيق الذي حلوه معهم كسر ، فرجعوا لينأهبوا لذلك .

ولما كان في يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه قدم من الديار المصرية على البريد القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتباً على السر عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين ، ومعه كتاب بالاحتياط على حواصل أخيه شهاب الدين ، وعلى حواصل القاضي عماد الدين ابن الشيرازي المحتسب ، فاحتيط على أموالهما وأخرج من في ديارهما من الحرم ، وضربت الأخشاب على الابواب ، و رسم على المحتسب بالعنراوية ، فسأل أن يحول إلى دار الحديث الأشرفية فحول إليها . وأما القاضي شهاب الدين ، فكان قد خرج ليلتي الأمير سيف الدين فتردمر الحوى ، الذي جاء تقليده بنبأية للشام بدمشق وكان يحمل ، وجاء هذا الأمر وهو في أثناء الطريق ، فرسم برجمته ليصادر هو والمحتسب ، ولم يدر الناس ما ذنبهما .

وفي يوم الأحد ثامن شهر رجب آخر التها رجع القاضي القضاء تقي الدين السبكي إلى دمشق على القضاء ، ومعه تقليد بالخطابة أيضاً ، وذهب الناس إليه للسلام عليه ، ودخل نائب السلطنة

الأمير سيف الدين تفردمر الجوى بعد العصر الخامس عشر منه من حلب ، فنقله الأمراء إلى طريق القايون ، ودعا له الناس دماء كثيراً ، وأحبوه لبفضهم النائب الذى كان قبله ، وهو علاء الدين أيدغمش ساعه الله تعالى ، فنزل بدار السعادة وحضر الموكب صبيحة يوم الاثنين ، واجتمع طائفة من العامة وسألوه أن لا يضرهم عليهم خطيبهم فاج الدين عبد الرحيم ابن جلال الدين ، فلم يلتفت إليهم ، بل عمل على تقليد القاضي تقي الدين السبكي الخطابة ولبس الخلمة ، وأكثر العوام لما سمعوا بذلك الفوضى ، وصاروا يجتمعون حلقاتاً بعد الصلوات ويكثرون الفرحة في ذلك ، لما منع ابن الجلال ، ولكن بقي هذا لم يلبس السبكي في المحراب ، واشتهر عن العوام كلام كثير ، وتوعدها السبكي بالسفاعة عليه إن خطب ، وضاق بذلك ذرعاً ، ونهوا عن ذلك فلم ينتهوا ، وقيل لهم ولكثير منهم : الواجب عليكم السمع والطاعة لأولى الأمر ، ولو أمر عليكم عبدجشى . فلم يسمعوا ، فلما كان يوم الجمعة العشرين منه اشتهر بين العامة بأن القاضي نزل عن الخطابة لابن الجلال ، ففرح العوام بذلك وحشدوا في الجامع ، وجاء نائب السلطنة إلى المقصورة والأمراء معه ، وخطب ابن الجلال على العادة ، وفرح الناس بذلك وأكثروا من الكلام والمرج ، ولما سلم عليهم الخطيب حين صعد ردوا عليه رداً بليغاً ، وتكلموا في ذلك وأظهروا بغضة القاضي السبكي ، ونجأهوا بذلك ، وأجمعوه كلاماً كثيراً ، ولما قضيت الصلاة قرئ تقليد النبابة على السدة ، وخرج الناس فرحاً بخطيبهم ، لكونه استمر عليهم ، واجتمعوا عليه يسلمون ويدعون له .

وفي يوم الأربعاء ثالث شبان درس القاضي برهان الدين بن عبد الحق بالمدرسة المنراوية بمرسوم سلطاني بتوليته وعزل التفجاري ، وعقد لها مجلس يوم الثلاثاء بدار المدل ، فرجع جانب القاضي برهان الدين لحاجته وكونه لا وظيفة له .

وفي يوم الجمعة خامسة توفي الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد ابن الجزرى أحد المسندين المكثرين الصالحين ، مات عن خمس وتسعين سنة رحمه الله ، وصلى عليه يوم الجمعة بالجامع المظفرى ودفن بالرواحية . وفي يوم الأربعاء السابع عشر منه توفي الشيخ الامام العالم العابد اتاسك الصالح الشيخ فحمس الدين محمد بن الزبير خطيب الجامع الكرى بالقبيبات ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بالجامع المذكور ، ودفن قبلى الجامع المذكور ، إلى جانب الطريق من الشرق رحمه الله .

واشتهر في أوائل رمضان أن مولوداً ولده رأسان وأربع أيد ، وأحضر إلى بين يدي نائب السلطنة ، وذهب الناس ليعتظروا إليه في علة ظاهرياً الفراديس ، يقال لها حكي الوزير ، وكنت فيمن ذهب إليه في جماعة من الفقهاء يوم الخميس ثالث الشهر المذكور بعد العصر ، فأحضره أبوه - واسم أبيه سعادة - وهو رجل من أهل الجبل ، فنظرت إليه فإذا هما وهان مستقلان ، فكل قد اشبكت

أنفأخاها بمعضها بيمض ، وركب كل واحد منهما ودخل في الآخر والتحتت فصار جنة واحدة
وهما ميتان ، فقالوا أحدهما ذكروا الآخر أنى ، وهما ميتان حال رؤيتي إليهما . وطلوا إنه تأخر موت
أحدهما عن الآخر بيومين أو نحوهما ، وكتب بذلك محضر جماعة من الشهود .

وفي هذا اليوم احتيط على أربعة من الأمراء وهم أبناء الكامل صلاح الدين محمد ، أمير
طبلخانات ، وغياث الدين محمد أمير عشرة ، وعلاء الدين علي ، وابن أبيك الطويل طبلخانات أيضا ،
وصلاح الدين خليل بن بلبان طرنا طبلخانات أيضا . وذلك بسبب أنهم اتهموا على عمالة الملك
أحمد بن الناصر الذي في الكرك ، ومكاتبته ، والله أعلم بمحالمهم ، فقيدوا وحلوا إلى القلعة المنصورة
من باب اليسر مقابل باب دار السعادة الثلاث الطبلخانات والغياث من بابها الكبير وفرق بينهم
في الاماكن . وخرج المحمل يوم الخميس خمس عشرة وليس الخطيب ابن الجلال خلعة استقرار
الخطابة في هذا اليوم ، وركب بهامع القضاة على عادة الخطباء .

وفي هذا الشهر نصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر وطول أكتافه ثمانية عشر
ذراعا ، وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعا ، وخرج الناس للفرجة عليه ، ورمى به في يوم السبت
حجرا رزته ستين رطلا ، فبلغ إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير ، وذكر معلم المجانيق أنه ليس في
حصون الاسلام مثله ، وأنه عمله الحلاج محمد الصالحى ليكون بالكرك ، فقدر الله أنه خرج ليحاصر به
الكرك ، والله يحسن العقابة . وفي أواخره أيضا مسك أربعة أمراء ، وهم أيضا عبد الواحد الذي كان
مباشرا الاستدارية للملك الناصر الكبير ، فصور في أيام ابنه المنصور ، وأخرج إلى الشام فتاب
بمحض فسار سيرة غير مرضية ، وذهم الناس وعزل عنها وأعطى مقدمة ألف بدمشق ، وجعل رأس
المنيعة ، فلما كان في هذه الأيام اتهم بمالأة السلطان أحمد بن الناصر الذي بالكرك ، فسك وحمل
إلى القلعة ومعه الأمير سيف الدين بلو ، والأمير سيف الدين سلامش ، وكلهم بطبلخانات فرفسوا
إلى القلعة المنصورة ، والله يحسن العقابة .

وفي هذا الشهر خرج قضاء حمص عن نيابة دمشق بمرسوم سلطاني محمد لقاضي شهاب الدين
البارزى ، وذلك بعد مناقشة كثيرة وقتت بينه وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وانتصر له
بعض الدولة ، واستخرج له المرسوم المذكور . وفيه أيضا أفرد قضاء القدس الشريف أيضا باسم
القاضي حمص الدين بن سالم الذي كان يبلشرها مدة طويلة قبل ذلك نيابة ، ثم عزل عنها وبقي
مقيا ببلده غزة ، ثم أعيد إليها مستغلاها في هذا الوقت . وفي هذا الشهر رجع القاضي شهاب الدين
ابن فضل الله من الديار المصرية ومعه توقيع بالمرتب الذي كان له أولا كل شهر ألف درهم ، وأعلم
بممارته التي أنشأها بسفح قاسيون شرقي الصلحية بقرب حمام النحاس .

وفي صبيحة مستهل ذي القعدة خرج المتجنق قاصداً إلى الكرك على الجمال والمجل ، وصحبته الأمير صارم الدين إبراهيم المسبق ، أمير حلب ، كان في الدولة السكرية ، وهو المقدم عليه بمحوته ويحفظه ويتولى تسييره بطلبه وأصحابه ، وتجهز الجيش للذهاب إلى الكرك ، وتأهبوا أتم الجهاز ، وبرزت أعتالم إلى ظاهر البلد وضربت الخيام فأنه يحسن المأبة .

وفي يوم الاثنين رابعه توفي الطواشي شبل الدولة كاتور السكري ، ودفن صبيحة يوم الثلاثاء خامسة في تربته التي أنشأها قديماً بظاهر باب الجابية تجاه تربة الطواشي ظهر الدين الخازن بالقلمة ، كان قبيل مسجد البنان رحمه الله ، وكان قديماً للصاحب تقي الدين توبة التنكري ، ثم اشتراه تنكز بعد مدة طويلة من ابني أخيه صلاح الدين وشرف الدين بمبلغ جيد وعوضهما إقطاعاً بزيادة على ما كان يأبسمهما ، وذلك رغبة في أمواله التي حصلها من أبواب السلطنة ، وقد تصعب عليه أستاذاه تنكز رحمه الله في وقت وصوله وجرت عليه فصول ، ثم سلم بعد ذلك ، ونامات ترك أموالاً جزيلة وأوقافاً رحمه الله . وخرجت التجريدة يوم الأربعاء سادس والمقدم عليها الأمير بدر الدين بن الخطير ومعه مقدم آخر وهو الأمير علاء الدين بن قراستقر .

وفي يوم السبت سلب هذا الشهر توفي الشاب الحسن شهاب الدين أحمد بن فرج المؤذن بأذنة المروس ، وكان شهيراً بحسن الصوت ذا حظوة عظيمة عند أهل البلد ، وكان رحمه الله كافي النفس وزيادة في حسن الصوت الرخيم المطرب ، وليس في القراء ولا في المؤذنين قريب منه ولا من يدانيه في وقته ، وكان في آخر وقته على طريقة حسنة ، وعمل صالح ، واقتطاع عن الناس ، وإقبال على شأن نفسه فرحه الله ، وأكرم مثواه ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ ودفن عند أخيه بقبرة الصوفية . وفي يوم الخميس خامس ذي الحجة توفي الشيخ بدر الدين بن نصحان شيخ القراء السبع في البلد الشهر بملك ، وصلى عليه بالجامع بعد الظهر يومئذ ، ودفن بباب الفرايدس رحمه الله .

وفي يوم الأحد تاسعه وهو يوم عرفة حضر الأقراء بقربة أم الصالح عوضاً عن الشيخ بدر الدين ابن نصحان القاضى شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء ، وبعض القضاة ، وكان حضوره بقتة ، وكان متمرضاً ، فألقى شيطان القراءات والاعراب عند قوله تعالى (ولا يحسن الذين كفروا أنما عمل لهم خير لأنفسهم) وفي أواخر هذا الشهر غلا السعر جداً وقل الخبز وازدحم الناس على الاقراء زحمة عظيمة ، وبيع خبز الشعير المخلوط بالزيوان والبقارة ، وبلغت الثرارة بمائة وستة وعشرين درهماً ، وتخلص السعر جداً حتى بيع الخبز كل رطل بدرهم ، وفوق ذلك ييسير ، ودونه بحسب طيبه ورداءته ، فأنه وإن إليه راجعون . وكثر السؤال وجاع الديال ، وضعف كثير من الأسباب والأحوال ، ولكن لطف الله عظيم فان الناس مترقبون مثلاً

هائلا لم يسمع بمثله من مدة ستين عديدة ، وقد اقترب أوانه ، وشرع كثير من البلاد في حصاد
الشمير و بعض القمح مع كثرة القنول وبواد التوت ، فولا ذلك لكان غير ذلك ، ولكن لطف
الله بمباده ، وهو الحاكم المتصرف الفعال لما يريد لا إله إلا هو .

(ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة)

استهلت هذه السنة وساططان المسلمين الملك الناصر عماد الدنيا والدين إسماعيل ابن الملك الناصر
ناصر الدين محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصلحي ، ونائبه بالهيار المصرية الأمير
سيف الدين آقسنقر السلاوي ، وقضاته هم هم المتقدم ذكرهم في العام الماضي ، ونائبه بمشق الأمير
سيف الدين قنودر الحوي ، وقضاته هم المتقدم ذكرهم ، وكذلك صاحب الخطيب ونظر الجامع
والخزانة . ومشد الأوقاف و ولاية المدينة .

استهلت والجيش المصرية والشامية محيطة بمحصن الكرك محاصرون وبيالغون في أمره ،
والمجنق منصوب وأنواع آلات الحصار كثيرة ، وقد رسم بتجريدة من مصر والشام أيضاً تخرج
إليها . وفي يوم الخميس عاشر صفر دخلت التجريدة من الكرك إلى دمشق واستمرت التجريدة
الجديدة على الكرك أثمان من مصر وألفان من الشام ، والمجنق منقوض موضوع عند الجيش
خارج الكرك ، والأمور متوقفة على وبرد^(١) الحصار بعد رجوع الأحمدي إلى مصر .

وفي يوم السبت دنى ربيع الأول توفي السيد الشريف عماد الدين الخشاب بالكوشك في
درب السيرجي جوار المدرسة العزية ، وصلى عليه ضحى بالجامع الأموي ، ودفن بقابر باب الصغير ،
وكان رجلاً شهماً كثير العبادة والمحبة للسنّة وأهلها ، ممن واظب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله
واتنق به ، وكان من جملة أنصاره وأعوانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو اقضى بمشه
إلى صيدنا يامع بعض القسيسين فلوث يده بالمفردة وضرب الحجة التي يعظمونها هناك ، وأهاتها
غاية الاهانة لقوة إيمانه وشجاعته رحمه الله وإنا .

وفي يوم الخميس سابه اجتمع صاحب ومشد الهداوين ووكيل بيت المال ، ومشد الأوقاف
ومباشرو الجامع ومعهم المالين بالقول والمعامل ، يحفرون إلى جانب السارية عند باب مشهد على
نحت تلك الصخرة التي كانت هناك ، وذلك عن قول رجل جاهل ، زعم أن هناك ملا مدفوناً
فشاوروا نائب السلطنة فأمرهم بالحفر ، واجتمع الناس والعامّة فأمرهم فأخرجوا وأغلقت أبواب الجامع
كلها ليتمكنوا من الحفر ، ثم حفروا ثانياً وثالثاً فلم يجدوا شيئاً إلا القرباب الحصى ، واشتهر هذا الحفر
في البلد وقصده الناس للنظر إليه والتعجب من أمره ، وانفصل الحال على أن حبس هذا الزاعم لهذا
الحال ، وطم الحفير كما كن .

(١) كذا في الاصل . فليحرر .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول قدم قاضي حلب ناصر الدين بن الخشاب على البريد
جئناً إلى دمشق قتل بالمعدية الكبيرة ، وأخبر أنه صلى على المحدث البارح الفاضل المحافظ
شمس الدين محمد بن علي بن أيك السروجي المصري يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب رحمه الله
ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وكان قد اتقن طرفاً جيداً في علم الحديث ، وحفظ أسماء الرجال ،
وجمع وخرج .

وفي مستهل ربيع الآخر وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية الذي
بالقرب من جامع المظفرى ، وكانت جملة الدكاكين التي احترقت قريباً من مائة وعشرين دكاناً ،
ولم يرحق من زمان أكبر منه ولا أعظم ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وفي يوم الجمعة سادسه رسم
بأن يذكر الصلاة يوم الجمعة في سائر مواضع البلد كما يذكر في مواضع الجامع ، فضل ذلك . وفي يوم
الثلاثاء عاشره طلب من القاضي تقي الدين السبكي قاضي قضاة الشافعية أن يقرض ديوان السلطان
شيئاً من أموال الثياب التي تحت يده ، فامتنع من ذلك امتناعاً كثيراً ، فجاء شاد الدواوين وبعض
حاشية نائب السلطنة ففتحوا مخزن الأيتام وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهراً ، ودفعوها إلى
بعض العرب عما كان تأخر له في الديوان السلطاني ، ووقع أمر كثير لم يعد مثله .

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفي صاحبنا الشيخ الامام العالم العلامة الناقد البارح
في فنون العلوم شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، تغمده
الله برحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحى سل ، ثم تفاقم أمره
وأفرط به إسهال ، وتزايد ضعفه إلى أن توفي يومئذ قبل أذان العصر ، فأخبرني والده أن آخر كلامه
أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من
المتطهرين . فصل في عليه يوم الخميس بالجامع المظفرى وحضر جنازته قضاة البلد وأعيان الناس من
العلماء والأمرأه والتجار والمائة ، وكانت جنازته حافلة مليحة ، عليها ضوء ونور ، ودفن بالروضة إلى
جانب قبر سيف ابن المجد رحمه الله تعالى ، وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمائة فلم يبلغ
الأربعين ، وحصل من العلوم مالا يبلغه الشيوخ الس كبار ، وفتن في الحديث والنحو والتصريف
والفقه والتفسير والأصول والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتسايق مفيدة كثيرة ، وكان حافظاً
جيداً لأسماء الرجال ، وطرق الحديث ، عارفاً بالجرح والتعديل ، بصيراً بمال الحديث ، حسن الفهم
له ، جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقياً على طريقة السلف ، واتباع الكتاب والسنة ، مثابراً على
فضل الخيرات .

وفي يوم الثلاثاء سلخه درس بحراب الحنابلة صاحبنا الشيخ الامام العلامة شرف الدين بن

القاضي شرف الدين الحنبلي في حلقة الثلاثاء عوضاً عن القاضي تقي الدين بن الحافظ رحمه الله ، وحضر عنده القضاء والفضلاء ، وكان درساً حسناً أخذ في قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وخرج إلى مسألة تفضيل بعض الأولاد . وفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى خرجت التجريدة إلى الكرك مقسمان من الأمراء ، وهما الأمير شهاب الدين بن صبح ، والأمير سيف الدين قلاوون ، في أبهة عظيمة وتجميل وجيوش وبقارات ، وإزعاج كثيرة .

وفي صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن بن الشيخ السكاكيني على ما ظهر منه من الرغص الدال على الكفر المحض ، شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره ، وأنه رافضى جلد ، فمن ذلك تكفير الشيخين رضى الله عنهما ، وقذفه أمي المؤمنين عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد ، وإما كان مرسل إلى علي ، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبحه الله ، وقد فعل . وكان والده الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة والشيعية جيداً ، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير ، ونظم في ذلك قصيدة أجاب فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله ، وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني ما علمت حتى رجع عن مذهبه ، وصار إلى قول أهل السنة فله أعلم . وأخبرت أن ولده حسناً هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة .

وفي ليلة الاثنين خامس شهر رجب وصل بدن الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام كان إلى تربته التي إلى جانب جامعته الذي أنشأه ظاهر باب النصر بمشقة ، قتل من الاسكندرية بعد ثلاث سنين ونصف أو أكثر ، بشفاعه ابنته زوجة الناصر عند ولده السلطان الملك الصالح ، فأذن في ذلك وأرادوا أن يدفن بمدرسه بالقدس الشريف ، فلم يمكن ، فجيء به إلى تربته بمشقة وعملت له انظم وحضر القضاة والأعيان رحمه الله .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان المبارك توفي صاحبنا الأمير صلاح الدين يوسف التكريتي ابن أخي الصاحب تقي الدين بن توبة الوزير ، بمتزله بالقصاعين ، وكان شلياً من أبناء الأربسين ، ذا ذكاء وفطنة وكلام وبصيرة جيدة ، وكان كثير المحبة إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، ولأصحابه خصوصاً ، ولكل من يراه من أهل العلم عموماً ، وكان فيه إثار وإحسان وعجبة القراء والصالحين ، ودفن بقرية بهم بسفح قاسيون رحمه الله ، وفي يوم السبت الخامس عشر منه جاءت زلزلة بمشقة لم يشعر بها كثير من الناس خلفتها وقه الحمد والمنة ، ثم توارت الأخبار بأنها شملت في بلاد حلب شيئاً كثيراً من العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلعة حلب ، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهداتها وجدرانها ، وأما في القلاع حولها فكثير جداً ، وذكروا أن مدينة منبج

لم يبق منها إلا القليل ، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم الله :
وفي أواخر شهر شوال خرجت التجاريد إلى الكرك وهما أميران مقدمان الأمير علاء الدين
قراستقر ، والأمير الحاج بيدمر ، واشتهر في هذه الأيام أن أمر الكرك قد ضعف وتفاقم عليهم الأمر
وضاقت الارزاق عندهم جداً ، ونزل منها جماعات من رؤسائها وخاصكية الأمير أحمد بن الناصر
مخاضرين عليه ، فسيروا من الصبح إلى قلاوون ومحبتههم مقدمون من الحلقة إلى الديار المصرية ،
وأخبروا أن الحواصل عند أحمد قد قلت جداً فله المستول أن يحسن العاقبة .

وفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة توفي القاضي الامام العلامة برهان الدين
ابن عبد الحق شيخ الحنفية وقاضي القضاة بالديار المصرية مدة طويلة ، بعد ابن الحريري ، ثم عزل
وأقام بمدينة دمشق ودرس في أيام قتردمر بالعنزاوية لولده القاضي أمين الدين ، فذكر بها الدرس يوم
الأحد قبل وفاة والده بثلاثة أيام ، وكان موت برهان الدين رحمه الله يستانه من أراضى الارزة
بطريق الصالحة ، ودفن من القديس فتح قاسيون بمقبرة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وصلى عليه بالجامع
المظفرى ، وحضر جنازته القضاة والأعيان والأكابر رحمه الله .

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة)

استهلت هذه السنة ولسطان الديار المصرية والديار الشامية وما يتعلق بذلك الملك الصالح بن
إسماعيل بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بالديار المصرية والشامية
هم المذكورون في السنة المتقدمة ، وقائمه بمصر الحاج سيف الدين ووزيره المتقدم ذكره ، وقاظر
الخاص القاضي مكين الدين ، وقاظر الجيوش القاضي علم الدين ابن القطب ، والمحاسب المتقدم ،
وشاد الدواوين علم الدين الناصرى ، وشاد الأوقاف الأمير حسام الدين النجيبى ، ووكيل بيت
المال القاضي علاء الدين شرنوخ ، وقاظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب ، وبقية المباشرين
والنظارم المتقدم ذكرهم ، وكاتب الهندس القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر ، والقاضي أمين
الدين ابن القلاندى والقاضي شهاب الدين بن التيسرانى ، والقاضي شرف الدين بن شمس الدين بن
الشهاب محمود ، والقاضي علاء الدين شرنوخ .

شهر الحرم أوله السبت استهل والحصار واقع بقلمة الكرك ، وأما البلدة فأخذوا استنبيب فيه الأمير
سيف الدين قبله ، فقم إليها من الديار المصرية ، والتجاريد من الديار المصرية ومن دمشق محيطون
بالقلمة ، والناصر أحمد بن الناصر ممنوع من التسليم ، ومن الاجابة إلى الاثابة . ومن الدخول في طاعة
أخيه ، وقد تناقذت الأمور وطالت الحروب ، وقتل خلق كثير بسبب ذلك ، من الجيوش ومن
أهل الكرك ، وقد توجهت القضية إلى خير إن شاء الله . وقبل ذلك بأيام يسيرة هرب من قلمة

الكرك الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص الذي كان أسرف وأوائل حصار الكرك ، وجماعة من ممالك الناصر أحمد ، كان اتهمهم بقتل الشبيب أحمد ، الذي كان يمتنى به ويحبه ، واستقشر الجيوش ينزول أبي بكر من عنده وسلامته من يده ، وجيز إلى الديار المصرية معظما ، وهذا المجانيق الثلاثة مسطرة على القلعة من البلاد تضرب عليها ليلا ونهارا ، وتدمر في بناتها من داخل ، فان سورها لا يؤثر فيه شيء بالكلية ، ثم ذكر أن الحصار فتر ولكن مع الاحتياط على أن لا يدخل إلى القلعة ميرة ولا شيء مما يستعينون به على المقام فيها ، فله السؤل أن يحسن العاقبة . وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من صفر قدم البريد مسرعا من الكرك فأخبر بفتح القلعة ، وأن بابها أحرق ، وأن جماعة الأمير أحمد بن الناصر استغاثوا بالأمان ، وخرج أحمد مقيدا وسير على البريد إلى الديار المصرية ، وذلك يوم الاثنين بعد الظهر الثالث والعشرين من هذا الشهر ، وقله عاقبة الأمور وفي صبيحة يوم الجمعة رابع ربيع الأول دقت البشائر بالقلعة ، وزينت البلد عن مرسوم السلطان الملك الصالح سرورا بفتح البلد ، واجتماع الكلمة عليه ، واستمرت الزينة إلى يوم الاثنين سابعه ، فرسم برضاها بعد الظهر فتشوش كثير من العوام ، وأرجف بعض الناس بأن أحمد قد ظهر أسره وبايعه الأمراء الذين هم عنده ، وليس لذلك حقيقة ، ودخلت الاطلاب من الكرك صبيحة يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول بالطلباخات والجيوش ، واشتهر إعدام أحمد بن الناصر .

وفي يوم الجمعة حادي عشر ربيع الأول صلى بالجامع الأموي على الشيخ أمين الدين أبي حيان النحوي ، شيخ البلاد المصرية من مدة طويلة ، وكانت وفاته بحصر عن تسعين سنة وخمسة أشهر . ثم اشتهر في ربيع الآخر قتل السلطان أحمد وحز رأسه وقطع يديه ، ودفن جثته بالكرك ، وحمل رأسه إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ، وحضر بين يديه في الرابع والعشرين من هذا الشهر ، ففرح الناس بذلك ، ودخل الشيخ أحمد الزرعي على السلطان الملك الصالح فطلب منه أشياء كثيرة من تبطيل المظالم ومكوسات وإطلاق طبابخات للأمير ناصر الدين بن بكتاش ، وإطلاق أمراء محبوسين بقامة دمشق وغير ذلك ، فأجاب به إلى جميع ذلك ، وكان جملة المراسيم التي أجيب فيها بضع وثلاثين مرسوما ، فلما كان آخر شهر ربيع الآخر قدمت المراسيم التي سألتها الشيخ أحمد من الملك الصالح ، فأمنيت كلها ، أو كثير منها ، وأفرج عن صلاح الدين بن الملك الكامل ، والأمير سيف الدين بلو ، في يوم الخميس سابع هذا الشهر ، ثم روجع في كثير منها وتوقف حالها .

وفي هذا الشهر عملت منارة خارج باب الفرج وفتحت مدرسة كانت دارا قديمة لجملة مدرسة للحنفية ومسجدا ، وعملت طهارة عامة ، ومصلى للناس ، وكل ذلك منسوب إلى الأمير سيف الدين قطم الخليلي أمير حاجب كن ، وهو الذي جدد الدار المروقة به اليوم بالقصاعين .

وفي ليلة الاثنين عاشر جمادى الآخرة توفي صاحبنا المحدث تقي الدين محمد بن صدر الدين سليمان الجعبري زوج بنت الشيخ جمال الدين المزني ، والد شرف الدين عبد الله ، وجمال الدين إبراهيم وغيرهم ، وكان تقيها بالمدارس ، وشاهداً تحت الساعات وغيرها ، وعنده فضيلة جيدة في قراءة الحديث وشي من العربية ، وله نظم مستحسن ، انقطع يومين وبعض الثالث وتوفي في الليلة المذكورة في وسط الليل ، وكنت عنده وقت العشاء الآخرة ليلتذ ، وحدثني وضاحكني ، وكان خفيف الروح رحمه الله ، ثم توفي في بقية ليلته رحمه الله ، وكان أشهدني عليه بالتوبة من جميع ما يخطئ الله عز وجل ، وأنه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله ، صلى عليه ظهر يوم الاثنين ، ودفن بمقابر باب الصغير عند أبوابه رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين شهر رجب خطب القاضي عماد الدين بن العز الحنفي بجامع تنكز خارج باب النصر عن نزول الشيخ نجم الدين علي بن داود القفجاري له عن ذلك ، وأيضاً كاتب السلطنة الأمير سيف الدين قردمر وحضوره عنده في الجامع المذكور يومئذ .

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين رجب توفي القاضي الامام جلال الدين أبو المباس أحمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرومي الحنفي ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد دمشق ، وحضره القضاة والأعيان ودفن بالمدرسة التي أنشأها إلى جانب الزردكاش قريباً من الخاتونية الجوانية ، وكان قد ولي قضاء قضاة الحنفية في أيام ولاية أبيه الديار المصرية ، وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستائة ، وقدم الشام مع أبيه فأقاموا بها ، ثم لما ولي الملك المنصور لاجين ولي أباه قضاء الديار المصرية ، وولده هذا قضاء الشام ، ثم إنه عزل بعد ذلك واستمر على ثلاث مدارس من خيار مدارس الحنفية ثم حصل له صمم في آخر عمره ، وكان ممتناً بمجواسه سواء وقواء ، وكان يذاكر في العلم وغير ذلك . وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان توفي الشيخ نجم الدين علي بن داود القفجاري خطيب جامع تنكز ، ومدرس الظاهرية ، وقد نزل عنها قبل وفاته بقليل للقاضي عماد الدين بن العز الحنفي ، وصلى عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الظهر يومئذ ، وعند باب النصر وعند جامع جراح ودفن بمقبرة ابن الشيرجي عند والده ، وحضره القضاة والأعيان ، وكان أستاذاً في النحو وله علوم أخر ، لكن كان نهاية في النحو والتصريف .

وفي هذا اليوم توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الشيخ عبد الله الضرير الزرعي ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع الأموي وبباب النصر وعند مقابر الصوفية ، ودفن بها قريباً من الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، وكان كثير التلاوة حسناً ومحبها ، كثير العبادة ، يقرئ الناس من دهر أوليل ويقرأ من آخره من رمضان ، في محراب الخنابلة بالجامع الأموي رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان المعظم توفي الشيخ الامام العالم العامل العابد الزاهد ابو
عمر بن ابي الوليد المالكي امام محراب الصحابة التي للملكية ، وصلى عليه بعد الصلاة ، وحضر
جنازته خلق كثير وجم غفير ، تأسف الناس عليه وعلى صديقه النافعة الكثيرة ، فذهب
إلى جانب قبر أبيه وأخيه ، إلى جانب قبر أبي القنصلواي الذي فرياً من مسند التاريخ رحمه
الله ، وولى مكانه في المحراب ولده ، وهو طفل صغير ، فاستتيب له إلى حين سلاحيته ، جبره
الله ورحم أباه .

وفي صبيحة ليلة الثلاثاء سادس رمضان وقع تلج عظيم لم ير مثله بدمشق من مدة طويلة ، وكان
الناس محتاجين إلى ماء ، فله الحد والمئة ، وتكاثف التلج على الأسطحة ، وتراكم حتى أعمى الناس
أمره ونقلوه عن الأسطحة إلى الأزقة يحمل ، ثم نودي بالأمر بإزالته من الطرقات فانه سدها وتعلقت
مما يش كثير من الناس ، فمضى الله الضعفاء بمعلمهم في التلج ، ولحق الناس كافة كبيرة وغرامة
كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان صلى بالجامع الأموي على نائب وهو الأمير علاء
الدين الجالوي ، وقد تقدم شيء من ترجمته رحمه الله .

وفي أول شوال يوم عيد الفطر وقع فيه تلج عظيم بحيث لم يتمكن الخطيب من الوصول إلى
المصلى ، ولا خرج نائب السلطنة ، بل اجتمع الأمراء والقضاة بدار السعادة ، وحضر الخطيب
فصلى بهم العيد بها ، وكثير من الناس صلوا العيد في البيوت .

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة درس قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي
بالشامية البرانية عن الشيخ فحم الدين ابن التقي رحمه الله ، وحضر عنده القضاة والأعيان
والأمراء وخلق من الفضلاء ، وأخذ في قوله تعالى (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد
من عبادي إنك أنت الوهاب) وما بعدها . وفي ذي الحجة استغنى في قتل كلاب البلد فكتب جماعة
من أهل البلد في ذلك ، فوسم بأخراجه يوم الجمعة من البلد الخامس والعشرين منه ، لكن إلى
الخنق ظاهر باب الصغير ، وكان الأولى قتلهم بالكلية وإحراقهم لئلا تنبت الناس برجمهم على
ما أتى به الامام مالك بن أنس من جواز قتل الكلاب ببيلة معينة للصحة ، إذا رأى الامام ذلك ،
ولا يمارض ذلك انتهى عن قتل الكلاب ، ولهذا كان عثمان بن عفان يأمر في خطبته بقتل الكلاب
وذبح الحمام .

(ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعائة)

استهل هذه السنة وسلطان المسلمين بالدير المصرية والشامية والحرمين والبلاد الخلية وأعمال
ذلك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور ، وقضاة بالدير المصرية والشامية هم

المذكورون أيضا . وفي يوم الجمعة سادس عشر محرم كملت عمارة الجامع اقدس بالمرّة القنوقانية الذي جدهه وأنشأه الأمير بهاء الدين المرحاني ، الذي بنى والده مسجد الخليف بنى وهو جامع حسن متسع فيه روح وانسراح ، تقبل الله من بانيه ، وعقدت فيه الجمعة بجميع كثير وجم غفير من أهل المرّة ، ومن حضر من أهل البلد ، وكنت أنا الخطيب يدعى الشيخ عماد الدين المصنف تقدمه الله رحمة الله الحمد والمثنة . ووقع كلام ويحث في اشتراط المحلل في المسابقة ، وكان سببه أن الشيخ فحس الدين ابن قيم الجوزية صنف فيه مصنفان قبل ذلك ، ونسرفه ما ذهب إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ، ثم صار يفتي به جماعة من الترك ولا يمزوه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فاعتقد من اعتقد أنه قوله وهو مخالف للامة الأربعة ، فحصل عليه إنكار في ذلك ، وطلبه القاضي الشافعي ، وحصل كلام في ذلك ، وانفصل الحال على أن أظهر الشيخ فحس الدين بن قيم الجوزية الموافقة للجمهور .

﴿ وفاة الملك الصالح إسماعيل ﴾

في يوم الاربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة أظهر موت السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الناصر بن المنصور آخر النهار ، وكان قد عهد بالأمر إلى أخيه لأبويه الملك الكامل سيف الدين أبي الفتح شعبان ، فجلس على سرير المملكة يوم الخميس رابعة ، وكان يوما مشهودا ، ثم قدم الخبر إلى دمشق عشية الخميس ليلة الجمعة الثاني عشر منه ، وكان البريد قد أقطع عن الشام نحو عشرين يوما فاشغل بمرض السلطان ، فقدم الأمير سيف الدين معزا البيعة للملك الكامل ، فركب عليه الجيش لتلقيه ، فلما كان صبيحة الجمعة أخذت البيعة من النائب والمقدمين وبقية الأمراء والجند لسلطان الملك الكامل بدار السعادة ، ودقت البشائر وزين البلد وخطب الخطباء يومئذ للملك الكامل ، جلّه الله وجها مباركا على المسلمين .

وفي صبيحة يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الآخر درس القاضي جمال الدين حسين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي بالمدرسة الشامية البرانية ، نزل له أبوه عنها ، واستخرج له مرسوموا سلطانيا بذلك ، فحضر عنده القضاة والأعيان وجماعة من الأمراء والعقهاء ، وجلس بين أبيه والقاضي الحنفى ، وأخذ في الدرس في قوله تعالى . (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) الآية . وتكلم الشريف محمد الدين المتكلم في الدرس بكلام فيه نكارة وبشاعة ، فشنع عليه الحاضرون ، فاستتيب بندا قضاء الدرس وحكم بإسلامه ، وقد طالب إلى الديار المصرية نائب دمشق الأمير سيف الدين فنردص وهو متمرص ، فأقطع عن الجمعة بسبب المرض مرات ، والبريد ينهب إلى حلب لمجيئ نائبها الأمير سيف الدين يلينا نياحة دمشق ، وذكر أن الحاج أرقطيه قصين لنيابة حلب . وفي يوم الجمعة رابع جمادى الاولى

خرجت أقتال الأمير سيف الدين تغدر من الثائب وخيوله وحججه ومواليه وحواصله وطيلخاناته وأولاده في تجميل عظيم، وأبهة هائلة جداً، وخرجت المحافل والكحلوات والحفلات لنسائه وبناته وأهل في هيئة محيية، هذا كله وهو بدار السعادة، فلما كان من وقت السحر في يوم السبت خامس خرج الأمير سيف الدين تغدر من نفسه إلى الكسوة في محفة لمرضه مصحوباً بالسلامة، فلما طلعت الشمس من يورث قدم من حلب أستاذ دار الأمير سيف الدين يلبغا البجناوى فسلم دار السعادة، وفرح الناس بهم، وذهب الناس لفتهنة والتودد إليهم.

ولما كان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى خرج الجيش بكامله لتلقى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا فدخل في تجميل عظيم، ثم جاء فنزل عند باب السر، وقبل العتبة على المائدة ثم مشى إلى دار السعادة.

وفي عشية يوم الاثنين رابع عشره قطع نائب السلطنة بمن وجب قطعه في الحبس ثلاثة عشر رجلاً وأضاف إلى قطع اليد قطع الرجل من كل منهم، لما بلغه أنه تكرر من جنائهم، ووصلب ثلاثة بالسامير ممن وجب قتله، وفرح الناس بذلك فقمه المفسدين وأهل الشرور، والعيث والفساد.

واشتهر في الشهر الأوسط من جمادى الآخرة وفاة الأمير سيف الدين تغدر من بعد وصوله إلى الديار المصرية بألم، وكان ذلك ليلة الخميس مستهل هذا الشهر، وذكر أنه رسم على ولده وأستاذ داره، وطلب منهم مال جزيل، فآله أعلم.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره توفي القاضي علاء الدين بن العز الحنفي نائب الحكم ببستانه بالصالحية ودفن بها، وذلك بعد عود المدرسة الظاهرية إليه، وأخذه إليها من عهد القاضي عماد الدين إسماعيل، كما قدمنا، ولم يدرس فيها إلا يوماً واحداً، وهو مريض، ثم عاد إلى الصالحية فمات به مرضه إلى أن مات رحمه الله.

وخرج الركب إلى الحجاز الشريف يوم السبت حادى عشر شوال، وخرج قس كثير من البلد، ووقع مطر عظيم جداً، وفرح الناس به من جهة أن المطر كان قليلاً جداً في شهر رمضان، وهو كانون الأصم، فلما وقع هذا استبشروا به وخافوا على الحجاج ضرره، ثم تداول المطر وتتابع والله الحمد والمنة، لكن ترحل الحجاج في أحوال كثيرة وزلق كثير، والله السليم والمعين والحامى. ولما استقل الحجيج ذاهبين وقع عليهم مطر شديد بين الصدين فموقعهم أليماً بها، ثم تحاملوا إلى زرع فلم يصولوها إلا بعد جهد جهيد وأمر شديد، ورجع كثير منهم وأكرمهم، وذكروا أشياء عظيمة حصلت لهم من الشدة وقوة الأمطار وكثرة الأحوال، ومنهم من كان قد قدم إلى أرض بصرى، فحصل لهم رفق بذلك والله المستعان. وقيل إن نساء كثيرة من المخدرات مشين حفاة فيما بين زرع والصمين

وبعد ذلك ، وكان أمير الحاج سيف الدين ملك آص وقاضيه شهاب الدين بن الشجرة الحاكم بمدينة
بعلبك يومئذ والله المستعان ، انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة ﴾

استهل هذا السنة و سلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الكامل
سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وليس له بمصر نائب ، وقضاة
مصر هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين يلبغا البحناوى ، وقضاة دمشق
هم المذكورون في التي قبلها ، إلا أن قاضي القضاة عماد الدين بن إسماعيل الخنفي نزل عن القضاء
لولده قاضي القضاة نجم الدين ، واستقل بالولاية وتدرى النورية ، وبقي والده على تدرى الريحانية .
وفي يوم الجمعة السادس عشر من المحرم من هذه السنة توفي الشيخ تقي الدين الشيخ الصالح محمد
ابن الشيخ محمد بن قوام زوايتهم بالسفح ، وصلى عليه الجمعة بمجامع الأفرم ، ثم دفن بالزاوية وحضره
القضاة والأعيان وخلق كثير ، وكان بينه وبين أخيه ستة أشهر وعشرون يوماً ، وهذا أشد من ذلك .
وفتح في أول السنة القيسارية التي أنشأها الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة ظاهر
باب الفرج وضمت ضحاناً بإمرأ بنحو من سبعة آلاف كل شهر ، وداخلها قيسارية تجارة في وسطها
بركة ومسجد ، وظاهرها دكاكين وأعالها بيوت للسكن .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول عقد مجلس بمشهد عثمان فنور الخراساني ،
وكان يقرأ القرآن في جامع تنكر ، ويعلم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة ، ادعى عليه فيه
أنه تكلم في بعض الآثمة الأربعة ، وأنه تكلم في شيء من العقائد ويطلق عبارة زائدة على
ما ورد به الحديث ، وشهد عليه ببعض أشياء متعددة ، فاقضى الحال أن عزز في هذا اليوم ،
وطيف به في البلد ، ثم رد إلى السجن مستقلاً . فلما كان يوم الخميس الثاني عشر من شفع فيه
الأمير أحمد بن مهنا ملك العرب عند نائب السلطنة فاستحضره بين يديه وأطلقه إلى أهله وعياله ،
ولما كان تاريخ يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى صلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا
البحناوى الناصري بمجامع تنكر ظاهر دمشق برا باب النصر ، وصلى عنده القاضي الشافعي والمالكي
وكبار الأمراء ، ولما أقيمت الصلاة صلى وقصد بعض محاليكه عن الصلاة ومعه السلاح حراسة له ، ثم
لما انصرف من الصلاة اجتمع بالأمراء المذكورين وقشاوروا طويلاً ، ثم نهض النائب إلى دار السعادة
فلما كان آخر النهار برز بمعه ومحاليكه ووطاؤه وسلاحه وحواسله ، ونزل قبلى مسجد القدم
وخرج الجند والأمراء في آخر النهار وانزعج الناس ، واتفق طلوع القمر خافاً ، ثم خرج الجيش
ملبساً تحت الثياب وعليه التراب كسب بالشباب والخيول والجنائز ، ولا يدرى الناس ما الخبر ، وكان

سبب ذلك أن نائب السلطنة بلغه أن نائب صدق قد ركب إليه ليقبض عليه ، فانزعج لذلك وقال : لا أموت إلا على ظهر أفراسي ، لا على فراشي ، وخرج الجند والأمرأء خوفاً من أن يفوتهم الفرار ، فتركوا ينة ويسرة ، فلم يذهب من تلك المنزلة بل استمر بها يعمل النياية ويجتمع بالأمرأء جماعة وفرداء ، ويستعملهم إلى ما هو فيه من الرأي ، وهو خلع الملك الكامل شعبان لأنه يكثر من مسك الأمرأء بغير سبب ، ويفضل أفضالاً لا تليق بعثله ، وذكر وأمرأء كثيرة ، وأن يولوا أخاه أمير حاجي بن الناصر حسن شكلته وجبل فله ، ولم يزل يقتلهم في القردة والغارب حتى أجابوه إلى ذلك ، وواقوه عليه ، وسدوا له ما يدعيه ، وقادروا على ما أشار إليه ، وبأيدوه ، ثم شرع في البعث إلى نواب البلاد يستعملهم إلى ما ملأ عليه الدهشيقون وكثير من المصريين ، وشرع أيضاً في التصرف في الأمور العامة السكاية ، وأخرج بعض من كان الملك الكامل اعتقه بالقلمة المنصورة ، ورد إليه إقطاعه بعد ما بعث الملك الكامل إلى من أقلمه ^(١) منشورده ، وعزل وولى وأخذ وأعطى ، وطلب التجار يوم الأربعاء فأنشأهم عشرة ليبيع عليهم خلال الحواصل السلطانية فبدفوا أنعماتها في الحال ، ثم يذهبوا فيقتلهموها من البلاد البرانية ، وحضر عنده القضاة على العادة والأمرأء والسادة ، وهذا كله وهو تخيم بالمكان المذكور ، لا يحصره بلد ولا يحويه سور .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة خرجت نجيدة نحو عشرة طلعة لتلقى من يقدم من الديار المصرية من الأمرأء وغيرهم ، بقاء الأمر على ما كان عليه ، فلم يصدقهم النائب ، وربما عاقب بعضهم ، ثم رفقهم إلى القلمة ، وأهل دمشق ما بين مصدق باختلاف المصريين وما بين قائل السلطان الكامل قائم الصورة مستمر على ما كان عليه ، والتجاريد المصرية واصله قريبا ، ولابد من وقوع خبطة عظيمة . وتشوشت أذهان الناس وأحوالهم بسبب ذلك ، والله المستول أن يحسن العاقبة

وحاصل القضية أن العامة ما بين تصديق وتكذيب ، ونائب السلطنة وخواصه من كبار الامراء على ثقة من أنفسهم ، وأن الأمرأء على خاف شديد في الديار المصرية بين السلطان الكامل شعبان وبين أخيه أمير حاجي ، والجهود مع أخيه أمير حاجي ، ثم جاءت الأخبار إلى النائب بأن التجاريد المصرية خرجت قصد الشام ومن فيه من الجند لتوطد الأمر ، ثم إنه تراجع رؤس الأمرأء في الليل إلى مصر واجتمعوا إلى إخوانهم ممن هو على لهم على السلطان ، فاجتمعوا ودعوا إلى سلطنة أمير حاجي وضربت الطليعات وصارت باقي النفوس متجاعة على نية تأييده ، فابذوا السلطان الكامل ، وعدوا عليه مساويه ، وقتل بعض الامراء ، وفر الكامل وأقصاه فاحيط عليه . وخرج أرغون الملائق زوج ابنته واستظهر أيضا أمير حاجي فأجلسوه على السرير وقبوه بالملك المظفر ، وجاءت الأخبار إلى النائب بذلك ، فغضب بالبشائر عنده ، وبعث إلى نائب القلمة فامتنع من ضربها ، وكان قد

طلب إلى الوطاق فامتنع من الحضور، وأغلق باب القلعة، فارتزع الناس واختبأ البلد، وتقلص وجود الخير، وحصنت القلعة ودعوا للكامل بكرة وعشية على العادة، وأرجف العامة بالجيش على عادتهم في كثرة فصولهم، فحصل لبعضهم أذية . فلما كان يوم الاثنين ثامن الشهر قسم نائب حماة إلى دمشق مطعياً لنائب السلطنة في تيجل وأهبة، ثم أجريت له عادة أمثاله .

وفي هذا اليوم وقمت بطاقة بقدوم الأمير سيف الدين بينرا حاجب الحجاب بالديار المصرية لأجل البيعة للسلطان الملك المظفر، فدقت البشار بالوطاق، وأمر بتزيين البلد، فزين الناس وليسوا منشرحين، وأكثرهم يظن أن هذا مكر وخديعة، وأن التجاريد المصرية واصله قريبا . وامتنع نائب القلعة من دق البشار وباع في تحصين القلعة، وغلق بابها، فلا يفتح إلا الخوذة البرانية والجوانية، وهذا الصنيع هو الذي يشوش خواطر العامة، يقولون : لو كان ثم شيء له صحة كان نائب القلعة يطالع على هذا قبل الوطاق . فلما كان يوم الثلاثاء بعد الزوال قدم الأمير سيف الدين بينرا إلى الوطاق، وقد تلقوه وعظموه، ومعه تقليد النيابة من المظفر إلى الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة، وكتاب إلى الأمراء بالسلام . ففرحوا بذلك وبايعوه وانضمت الكلمة وقه الحد . وركب بينرا إلى القلعة فترجل ووصل سيفه ودخل إلى نائب القلعة فبايعه سريعا ودقت البشار في القلعة بعد المغرب، حين بلغه الخبر وطابت أفضى الناس ثم أصبحت القلعة في الزينة وزادت الزينة في البلد وفرح الناس، فلما كان يوم الخميس حادى عشر الشهر دخل نائب السلطنة من الوطاق إلى البلد والأطلاب بين يديه في تيجل وطبلخانات على عادة العرض، وقد خرج أهل البلد إلى الفرجة، وخرج أهل الذمة بالتوارة، وأشعلت الشموع، وكان يوماً مشهوداً .

وقد صلى في شهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانية صبي عمره ست سنين، وقد رأيته وامتنعته فلذا هو يجيد الحفظ والأداء، وهذا من أغرب ما يكون . وفي المشر الاول من هذا الشهر فرغ من بناء الحامدين الذي بناها نائب السلطنة بالقرب من الثابتية في خان للسلطان السنيق، وما حولها من الرباع والقرب وغير ذلك . وفي يوم الاحد حادى عشره اجتمع نائب السلطنة والقضاة الاربعة ووكيل بيت المال والهولة عند تل المستقين، من أجل أن نائب السلطنة قد عزم على بناء هذه البقعة جامعا بقدر جامع تنكز، فاشتورا هنالك، ثم افضل الحال على أن يعمل، واثقوا بالتوفيق . وفي يوم الخميس ثالث ذى القعدة صلى على الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن تيمية، أخو الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى . وفي يوم السبت ثاني عشره توفي الشيخ على التطناني بقلتنا، وكان قد اشتهر أمره في هذه السنين، واتبه جماعة من الفلاحين والشباب المنتمين إلى طريفة أحمد ابن الرافعي، وعظم أمره وسار ذكره، وقصده الأكابر لزيارة مرات، وكان يقيم الساعات على عادة

أمثاله ، وله أصحاب يظهرون إشارة باطلة ، وأحوالاً مفتعلة ، وهذا عما كان ينتم عليه بسببه ، فانه إن لم يكن يعلم بمجالمه فجاهل ، وإن كان يقرم على ذلك فهو مثلهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي أواخر هذا الشهر - أعنى ذى الحجة من السيد وما بعده - أهتم ملك الأمراء في بناء الجامع الذى بناه تحت القلعة وكان تل المستقين ، وهم ما كان هناك من أبنية ، وعملت السبل وأخذت أحجار كثيرة من أرجاء البلد ، وأكثر ما أخذت الأحجار من الرحبة التى للمصريين ، من تحت المأذنة التى فى رأس عقبة الكتائب ، وتيسر منها أحجار كثيرة ، والأحجار أيضاً من جبل فاسيون وحمل على الجمال وغيرها ، وكان سلخ هذه السنة - أعنى سنة سبع وأربعين وسبعائة - قد بلغت غرارة القمع إلى مائتين فما دونها ، وربما يمت بأكثر من ذلك ، فأن الله وإنا إليه راجعون .

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعائة)

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك المظفر أمير حاجى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين أرقلية ، وقضاة مصر هم الذين كانوا فى الماضى بأعيانهم ، وقائبه بالشام المحرومة سيف الدين يلبغا الناصرى ، وقضاة الشام هم المذكورون فى التى قبلها بأعيانهم ، غير أن القاضى عماد الدين الحنفى نزل لولاه قاضى القضاة نجم الدين ، فبشر فى حياة أبيه ، وحلب الجباب نغر الدين إياس .

واستهلت هذه السنة وقائب السلطنة فى حمة عالية فى عمارة الجامع الذى قد شرع فى بنائه غربى سوق الخيل ، بالمكان الذى كان يعرف بالتل المستقين .

وفى ثالث المحرم توفى قاضى القضاة شرف الدين محمد بن أبى بكر الحمدانى المالكي ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بقرية عيذان الحصا ، وتأسف الناس عليه لرأسته ودياقته وأخلاقه وإحسانه إلى كثير من الناس رحمه الله .

وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من المحرم وصل تقليد قضاء المالكية هتافى جلال الدين المسلاى الذى كان قائباً هتافى شرف الدين قبله ، وخلع عليه من آخر التهل . وفى شهر ربيع الأول أخذوا لبناء الجامع المجدد بسوق الخيل ، أعمدة كثيرة من البلد ، فظاهر البلد يملقون مافوقه من البناء ثم يأخذونه ويقومون ببله دجلة وأخذوا من درب الصيقل وأخذوا العمود الذى كان بسوق العلبين الذى فى تلك الدخلة على رأسه مثل الكرة فيها حديد يوقد ذكر الحافظ ابن عساكر أنه كان فيه طلسم لمسرى الحيران إذا داروا بالقبابة ينحل أراقها ، فلما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة قلعوه من موضعه بعد ما كان له فى هذا الموضع فخراً من أربعة آلاف سنة والله أعلم . وقد رأيت فى هذا اليوم وهو ممدود فى سوق المليين على الأخشاب

ليجروا إلى الجامع المذكور من السوق الكبير ، ويخرجوا به من باب الجابية الكبير فلا إله إلا الله .
وفي أواخر شهر ربيع الآخر ارفع بناء الجامع الذي أنشأه النائب وجفت العين التي كانت تحت
جداره حين أسوسه وفه الحد .

وفي سلخ ربيع الآخر وردت الأخبار من الديار المصرية بمسك جماعة من أعيان الأمراء
كالجهازى وآقسنقر الناصرى ، ومن لف لفهما ، فتحرك الجند بالشام ووقعت خبطة ، ثم استهل شهر
جداى الأولى والجند فى حركة شديدة ، ونائب السلطنة يستدعى الأمراء إلى دار السعادة بسبب
ما وقع بالديار المصرية ، وتماهد هؤلاء على أن لا يؤذى أحد ، وأن يكونوا بدءاً واحدة ، وفى هذا اليوم [تحول
ملك الأمراء من دار السعادة إلى القصر الأبقى واحترز نفسه ، وكذلك حاشيته . وفى يوم الأربعاء
الرابع عشر منه قدم أمير من الديار المصرية على البريد ومعه كتاب من السلطان فيه التصريح بعزل
ملك الأمراء يلبينا نائب الشام ، قرى عليه بحضرة الأمراء بالقصر الأبقى ، فنقم لذلك وساءه ،
وفيه طلبه إلى الديار المصرية على البريد ليولى نيابة الديار المصرية ، والظاهر أن ذلك خديسة له ،
فأظهر الامتناع ، وأنه لا يذهب إلى الديار المصرية أبداً ، وقال : إن كان السلطان قد استكثر على
ولاية دمشق فيولى أى البلاد شاء ، فأنا راض بها . ورد الجواب بذلك ، ولما أصبح من الغد وهو
يوم الخميس وهو خامس عشره ، ركب غنم قريبا من الجسورة فى الموضع الذى خيم فيه علم أول ، وفى
الشهر أيضا كما تقدم ، فبات ليلة الجمعة وأمر الأمراء بنصب الخيام هناك على عادتهم علم أول .

فلما كان يوم الجمعة سادس عشره بعد الصلاة ماشى الناس إلا والأمراء قد اجتمعوا تحت
القلمة وأحضروا من القلمة سنجقين سلطانين أصفرين ، وضربوا الطبول حربياً ، فاجتمعوا كلهم
تحت السنجق السلطانى ، ولم يتأخر منهم سوى النائب وذويه كابنيه وإخوته وحاشيته ، والأمير
سيف الدين قلاوون أحد مقدمى الألوف وخبره أكبر أخبار الأمراء بعد النيابة ، فبعث إليه
الأمراء أن هلم إلى السمع والطاعة للسلطان ، فامتنع من ذلك وتكررت الرسل بينهم وبينه فلم يقبل ،
فساروا إليه فى الطباخاكت والبوقات ملبسين لأمة الحرب ، فلما انتهوا إليه وجدوه قد ركب خيوله
ملبساً واستعد للهرب ، فلما واجههم هرب هو ومن معه وفروا فرار رجل واحد ، وساق الجند وراءه فلم
يكتنفوا له غباراً . وتقل السامة وتركب القبيبات ، فأنهبوا ما بقى فى معسكره من الشير والأغنام
والخيام ، حتى جاءوا يقطعون الخيام والأطناب قطعاً قطعاً فدمه له ولاصحابه من الأمتة ما يساوى
ألف ألف درهم ، وانتدب لطلبه الأمير وراه الحاجب الكبير الذى قدم من الديار المصرية قريبا
شهاب الدين بن صبح ، أحد مقدمى الألوف ، فسار على طريق الأشرقية ثم عدل إلى ناحية القريتين .
ولما كان يوم الأحد قدم الأمير نغر الدين لياس نائب صفد فيها فتلقه الأمراء والمقدمون ، ثم

جاء فقتل القصر وركب من آخر التهار في الجحافل ، ولم يترك أحدا من الجنود بدمشق إلا ركب معه
 وساق وراء يلبغا فأبهره نحو البرية ، فجعلت الأعراب يعترضونه من كل جانب ، وما زالوا يكفونه
 حتى سار نحو حماة ، ففرج نائبها وقد ضعف أمره جداً ، وكل هو ومن معه من كثرة السوق ومصاولة
 الأعداء من كل جانب ، فألقى بيده وأخذ سيفه وسبوف من معه واعتقلوا بجماعة ، وبعث بالسبوف
 إلى الديار المصرية ، وجاء الخبير إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء رابع عشر هذا الشهر ، فضربت
 البشارة بالقلمة وعلى باب أنيادين على العادة ، وأحدثت النساء بجماعة من كل جانب يفتظرون
 ما رسم به السلاطون من شأنه ، وقام إلياس بجيش دمشق على حصص ، وكذلك جيش طرابلس ، ثم
 دخلت العساكر راجعة إلى دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر ، وقدم يلبغا وهو مقيد
 على كديش هو وأبوه وحوله الأمراء الموكلون به ومن معه من الجنود ، فدخلوا به بعد عشاء الآخرة
 فاجتازوا به فم السبعة بعد ما غلقت الأسواق ، وطلعت السرج ، وغلقت الطلقات ، ثم مروا على
 الشيخ رسلان والباب الشرقي على باب الصغير ، ثم من عند مسجد الدين على المصلى ، واستمروا
 ذاهبين نحو الديار المصرية ، وتوارت البريدية من السلطان بما رسم به في أمره وأصحابه الذين خرجوا معه
 من الاحتياط على حواصلهم وأموالهم وأملأهم وغير ذلك ، وقدم البريد من الديار المصرية يوم
 الأربعاء ثالث جمادى الآخرة فأخبر بقتل يلبغا فيما بين قاقون وغبرة ، وأخبرت رؤسها إلى السلطان
 وكذلك قتل بنيرة الأمراء الثلاثة الذين خرجوا من مصر وحاكم الوزير ابن سرد ابن البغدادى ،
 والفرادار طغتمير وبيدر البدرى ، أحد المقدمين ، كل قد تقدم عليه السلطان عملاً يلبغا ، فأخرجهم
 من مصر مسلوبين جميع أموالهم وسيرهم إلى الشام ، فلما كانوا بفرقة لحقهم البريد بقتلهم حيث وجدهم
 وكذلك رسم بقتل يلبغا حيث التقاه من الطريق ، فلما أفضل البريد من فرقة التقى يلبغا في طريق
 وادى غمة تخفته ثم احتز رأسه وذهب به إلى السلطان ، وقدم أميران من الديار المصرية بالحوطة على
 حواصل يلبغا وطواشى من بيت المملكة ، فسلم مصانغا وجواهر نفيسة جداً ، ورسم يبيع أملاكه
 وما كان وقفه على الجامع الذى كان قد شرع بمارته بسوق الخيل ، وكان قد اشتهر أنه وقف عليه
 التيسارية التى كان أنشأها ظاهر باب الفرج ، والحمليين المتجاورين ظاهر باب الجابية غربى خان
 السلطان العتيق ، وخصصا قرايا أخرى كان قد استشهد على نفسه بذلك قبل ذلك فافقه أعلم . ثم
 طلب بقية أصحابه من حماة فعملوا إلى الديار المصرية وعدم خبرهم ، فلا يدري على أى صفة هلكوا .
 وفي صبيحة يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة دخل الأمير سيف الدين
 أرغون شاه دمشق المحروسة نائباً عليها ، وكان قدومه من حلب ، أفضل عنها وتوجه إليها الأمير نغر
 الدين إلياس الخلاج ، فدخلها أرغون شاه في أبهة وعليه خلة وعمامة بطرفين ، وهو قريب الشكل

من تنكز رحمة الله فنزل دار السعادة وحكم بها ، وفيه صرامة وشهامة .

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه صلى على الأمير قراستقر بالجامع الأموي وظهر باب النصر ، وحضر القضاة والأعيان والأمراء ، ودفن بقرنائه بميدان الحصا بالقرب من جامع الكريمي وعملت ليلة النصف على العادة من إشعال القناديل ولم يشمل الناس لما هم فيه من الفناء وتأخر المطر وقلة الغلة ، كل رطل إلا وقية بدرهم ، وهو متغير ، وسائر الأشياء غالية ، والزيت كل رطل بأربعة ونصف ، ومثله الشيرج والصابون والأرز والمبريس كل رطل بثلاثة ، وسائر الأطعمة على هذا النحو ، وليس شيء قريب الحال سوى اللحم بدرهمين وربع ، ونحو ذلك ، وغالب أهل حوران يردون من الأمكنة البعيدة ويحملون القمح للمؤنة والبدار من دمشق ، وبيع عندهم القمح المغربل كل مد بأربعة دراهم ، وهم في جهد شديد ، والله هو المأمول المستول . وإذا سافر أحد يشق عليه تحصيل الماء لنفسه ولفرسه ودابته ، لأن المياه التي في الهرب كلها نفقت ، وأما القدس فأشد حالاً وأبلغ في ذلك . ولما كان العشر الأخير من شعبان من هذه السنة من الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على عباده بإرسال النبي المتدارك الذي أحيا البلاد والبلاد ، وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء في الأودية والغدران ، وامتلات بركة زرع بعد أن لم يكن فيها قطرة ، وجاءت بذلك البشر إلى نائب السلطنة ، وذكر أن الماء عم البلاد كلها ، وأن الثلج على جبل بني هلال كثير ، وأما الجبال التي حول دمشق فصيلها تلوح كثير جداً ، وأطمانت القلوب وحصل فرح شديد والله الحمد والمنة ، وذلك في آخر يوم بقي من تشرين الثاني .

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رمضان توفي الشيخ عز الدين محمد الحنبلي بالصالحية وهو خطيب الجامع المظفرى ، وكان من الصالحين المشهورين رحمه الله ، وكان كثير آما يلقن الأموات بعد دفتهم ، فلقنه الله حجتة وعينه بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

﴿ مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر ﴾

وفي العشر الأخير من رمضان جاء البريد من نائب غزة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد ، وقع بينه وبين الأمراء فتحيزوا عنه إلى قبة النصر فخرج إليهم في طائفة قليلة قتل في الحال وسحب إلى مقبرة هناك ، ويقال قطع قطعاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولما كان يوم الجمعة آخر التهار ورد من أفيار المصرية أمير البيعة لأخيه السلطان الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فدفن بالبشرى في القلعة المنصورة ، وزين البلد بكياهه والله الحمد في الساعة الراحنة من أمكن من الناس ، وما أصبح صباح يوم السبت إلا زين البلد بكياهه والله الحمد على انتظام الكلمة ، واجتمع الأئمة . وفي يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الأمير نغرا الدين

إلياس نائب حاب محتاطا عليه ، فاجتمع بالنائب في دار السعادة ، ثم أدخل القلمة مضيقا عليه ، ويقال إنه قد فوض أمره إلى نائب دمشق ، فهما فعل فيه فقد أمضى له ، فأظم بالقلمة المنصورة نحواً من جمعة ، ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية ، فلم يدركها قبل به .

وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام وشيخ المحدثين فحس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي بترية أم الصالح وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير ، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله .

وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح رحم الله واقبها عوضاً عن الشيخ فحس الدين الذهبي ، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة ، وكان درساً مشهوداً والله الحمد والمنة ، وأوردت فيه حديث أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « إنما نسمة المؤمن طائر معلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه » وفي يوم الأربعاء تاسع عشر أمر نائب السلطنة بجماعة انتهبوا شيئاً من الباعة فعلقوا إحدى عشر منهم ، ومهر عشر تسميها تمزيراً وتأديباً انتهى والله أعلم .

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة)

استهلّت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الملك المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا ، ووزيره منبجك ، وقضاته عز الدين بن جماعة الشافعي وتقي الدين الاخنائي المالكي ، وعلاء الدين بن التركاكي الخنفي ، وموفق الدين المقلسي الخنبلي ، وكاتب سره القاضي علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمري ، ونائب الشام المحروس بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ، وحاجب الحجاب الأمير طيهر دمر الاسماعيلي ، والقضاة بدمشق قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، وقاضي القضاة نجم الدين الخنفي ، وقاضي القضاة جلال الدين السلاطي المالكي ، وقاضي القضاة علاء الدين بن منبج الخنبلي ، وكاتب سره القاضي ناصر الدين الحلبي الشافعي ، وهو قاضي العساكر بحلب ، ومدروس الأسدية بها أيضاً ، مع إقامته بدمشق المحروسة ، وتوارث الأخبار بوقوع البلاد في أطراف البلاد ، فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ، ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك ، وكذلك وقع بفترة أمر عظيم ، وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفاً ، وقرى البخارى في يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول في هذه السنة ، وحضر للقضاة وجماعة من الناس ، وقرأ أربعة بعد ذلك المرقون ، ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد ، وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض

في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتهيمون ويخافون وقروعه بمدينة دمشق ، حماها الله وسلمها ، مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء . وفي صبيحة يوم تاسعة اجتمع الناس بمحارب الصحابة وقرأوا متوزعين سورة نوح ثلاثة آلاف مرة وثلاثمائة وستين مرة ، عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله ﷺ أرشده إلى قراءة ذلك كذلك . وفي هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمراض الطواغين وزاد الأموات كل يوم على المائة ، فأتاه وإنا إليه راجعون ، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ، ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلد قليل ، وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجسم غفير ، ولا سيما من النساء ، فان الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير ، وشرع الخطيب في القنوت يسأر الصلوات والدعاء برفع الوياه من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وقصر وعزلة ، وكثرت الأموات في هذا الشهر جدا ، وزادوا على المائتين في كل يوم ، فأتاه وإنا إليه راجعون ، وتضاعف عدد الموتى منهم ، وتعمطت مصالح الناس ، وتأخرت الموتى عن إخراجهم ، وزاد ضيق الموتى جدا فتضرر الناس ولا سيما الصعاليك ، فانه يؤخذ على الميت شيء كثير جدا ، فرسم نائب السلطنة بإبطال ضمان النعوش والمسلين والجالين ، ونودي بإبطال ذلك في يوم الاثنين سادس عشر ربيع الآخر ، ووقف نعوش كثيرة في أرجاء البلد واتسع الناس بذلك ، ولكن كثرت الموتى فأتاه المستعان .

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله ويسألونه في رفع الوياه عنهم ، فصام أكثر الناس ونظم الناس في الجامع وأحيا الليل كما يفعلون في شهر رمضان ، فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه خرج الناس يوم الجمعة من كل فج عيسق ، واليهود والنصارى والسامرة ، والشيوخ والمجانز والصبيان ، والفقراء والأمرأ والكبراء والقتضة من بعد صلاة الصبح فما زالوا هناك يدعون الله تعالى حتى تمالى النهار جدا ، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم الخميس عشر جمادى الأولى صلى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتا جملة واحدة ، قهول الناس من ذلك وانذروا ، وكان الوياه يومئذ كثيرا بما يقارب الثلاثمائة بالبلد وحواضره فأتاه وإنا إليه راجعون . وصلى بعد صلاة على خمسة عشر ميتا بجميع دمشق ، وصلى على إحدى عشر نفسا رحمهم الله .

وفي يوم الاثنين الحادى والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد ، وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد وربما ضرت الناس وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل أما تنجيسها إلا ما كن

فكثير قد عم الابتلاء به وشق الاحتراز منه ، وقد جمعت جزءاً في الأحاديث الواردة في قتلهم ، واختلاف الأئمة في نسخ ذلك ، وقد كان عمر رضى الله عنه يأمر في خطبته بذيح الحمام وقتل الكلاب ونص مالك في رواية ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بميتها ، إذا أذن الامام في ذلك للمصلحة . وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين منه توفي زين الدين عبد الرحمن بن شيخنا الحافظ المزى ، بدار الحديث النورية وهو شيخها ، ودفن بمقابر الصوفية على والده . وفي منتصف شهر جمادى الآخرة قوى الموت وتزايد بالله المستعان ، ومات خلائق من الخاصة والعامة ممن نعرفهم وغيرهم رحمهم الله وأدخلهم جنته ، وبالله المستعان . وكان يصلى فى أكثر الأيام بالجامع على أزيد من مائة ميت فأنه وإنا إليه راجعون ، وبعض الموتى لا يؤتى بهم إلى الجامع ، وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عدد من يموت بها إلا الله عز وجل ورحمهم الله آمين .

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين منه توفي الصدر فميس الدين بن الصباب للتاجر السفارباتى المدرسة الصبائية ، التى هى دار قرآن بالقرب من الظاهرية ، وهى قبلى الدالية الكبيرة ، وكانت هذه البقعة برهة من الزمان خربة شنيعة ، فعمرها هذا الرجل وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنابلة ، ووقف هو وقهره عليها أوقافاً جيدة رحمه الله تعالى .

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب صلى بعد الجمعة بالجامع الأموى على غائب : على القاضي علاء الدين بن قاضى شوبة ، ثم صلى على إحدى وأربعين نفساً جملة واحدة ، فلم يتسع داخل الجامع لاصغرهم بل خرجوا ببعض الموتى إلى ظاهر باب السر ، وخرج الخطيب والنقيب فصلى عليهم كلهم هناك ، وكان وقتاً مشهوداً ، وعبرة عظيمة ، فأنه وإنا إليه راجعون .

وفي هذا اليوم توفي التاجر المسى يافريدون الذى بنى المدرسة التى بظاهر باب الجابية تجاه تربة بهادرأس ، حائطها من حجارة ملونة ، وجعلها داراً للقرآن العظيم ووقف عليها أوقافاً جيدة ، وكان مشهوراً مشكوراً رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم السبت ثالث رجب صلى على الشيخ على المنزبى أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية بالجامع الاقصرى بسفح قاصيون ، ودفن بالسفح رحمه الله ، وكانت له عبادة وزهادة وتقشف وورع ولم يتول فى هذه الدنيا وظيفة بالكلية ، ولم يكن له مال بل كان يأتى بشئ من الفتوح يستغنى قليلاً قليلاً ، وكان يمانى التصوف ، وترك زوجة وثلاثة أولاد رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع رجب صلى على القاضي زين الدين بن النجيج نائب القاضي الحنبلى ، بالجامع المظفرى ، ودفن بسفح قاصيون ، وكان مشكوراً فى القضاء ، لديه فضائل كثيرة ، وديانة وعبادة ، وكان من أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان قد وقع بينه وبين القاضي

الشافي مشاجرات بسبب أمور ، ثم اصطالحا فيما بعد ذلك .

وفي يوم الاثنين تاتي عشرة بعد اذان الظهر حصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غبارا شديدا اصفر الجو منه ثم اسود حتى اظلمت الدنيا ، وبقى الناس في ذلك نحواً من ربع ساعة يستجيرون الله ويستغفرون ويكفون ، مع ما هم فيه من شدة الموت الفريع ، ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام ما هم فيه من الطاعون ، فلم يزد الأمر إلا شدة ، وبالله المستعان . وبلغ المصلي عليهم في الجامع الأموي إلى نحو المائة وخمسين ، وأكثر من ذلك ، خارجاً عن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد ومن يموت من أهل النعمة ، وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير ، يقال إنه بلغ ألفاً في كثير من الأيام ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وصلى بعد الظهر من هذا اليوم بالجامع المظفرى على الشيخ إبراهيم بن الحب ، الذي كان يحدث في الجامع الأموي وجامع تنكز ، وكان مجلسه كثير الجمع لصلاحه وحسن ما كان يؤديه من المواعيد النافعة ، ودفن بسفح قاسيون ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله . وعملت المواعيد بالجامع الأموي ليلة سبع وعشرين من رجب ، يقولون ليلة المراج ، ولم يجتمع الناس فيه على المادة لكثرة من مات منهم ، ولشغل كثير من الناس بمضام وموفاهم . واتفق في هذه الليلة أنه تأخر جماعة من الناس في انخيم ظاهر البلد ، فغافوا ليدخلوا من باب النصر على عاداتهم في ذلك ، فكانه اجتمع خلق منهم بين البابين فهلك كثير منهم كنعوما يهلك الناس في هذا الحين على الجنازة ، فارتفع نائب السلطنة فخرج فوجدهم فأمر بجمعهم ، فلما أصبح الناس أمر بتسليمهم ثم عفا عنهم وضرب متولى البلد ضرباً شديداً ، وسمر قائبه في القيل ، وسمر البواب بيلب النصر ، وأمر أن لا يمشى أحد بعد عشاء الآخرة ، ثم سمح لهم في ذلك .

واسهل شهر شعبان والوفاء في الناس كثير جداً ، وربما أنتنت البلد ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وتوفي الشيخ فهدى الدين بن الصلاح مدرس القميرية الكبيرة بالطبرزين ، يوم الخميس ثالث عشر شعبان وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان صلى بعد الصلاة على جماعة كثيرة ، منهم القاضي عماد الدين ابن الشيرازي ، محاسب البلد ، وكان من أكابر رؤساء دمشق ، وولى نظر الجامع مدة ، وفي بعض الأوقات نظر الأوقاف ، وجمع له في وقت يتيهما ودفن بسفح قاسيون .

وفي الشهر الأخير من شهر شوال توفي الأمير قرايضاو يدار النائب ، بداره غربي حكر السباق ، وقد أنشأ له إلى جانبها تربة ومسجداً ، وهو الذي أنشأ السويقة المجددة عند داره ، وعمل لها بابين شرقياً وغربياً ، وضمنت بقية كثيرة بسبب جاهه ، ثم يارت وهجرت لقلة الحاجة إليها ، وحضر الأمراء والقضاة والأكابر جنازته ، ودفن بقرنته هناك ، وترك أموالاً جزيلة وحواصل كثيرة جداً ، أخذه مخدومه نائب السلطنة .

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر ذي القعدة توفي خطيب الجامع ، الخطيب تاج الدين عبد الرحيم ابن القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني ، بدار الخطابة ، مرض يومين وأصابه ما أصاب الناس من الطاعون ، وكذلك علمة أهل بيته من جواريه وأولاده ، وتبعه أخوه بمديومين صدر الدين عبدالكريم ، وصلى على الخطيب تاج الدين بمد الظهر يومئذ عند باب الخطابة ودفن بقربهم بالصوفية عند أبيه وأخويه بدر الدين محمد ، وجمال الدين عبد الله رحمهم الله .

وفي يوم الخميس تاسمه اجتمع القضاة وكثير من الفقهاء المفتين عند نائب السلطنة بسبب الخطابة ، فطلب إلى المجلس الشيخ جمال الدين بن محمود بن جلة فولاد إليها نائب السلطنة ، وانتمت من يده وظائف كان يباشرها ، ففرقت على الناس ، فولى القاضي بهاء الدين أبو البقاء تدريس الظاهرية البرانية ، وتوزع الناس بدرجة جهاته ، ولم يبق بيده سوى الخطابة ، وصلى بالناس يومئذ الظهر ، ثم خلع عليه في بكرة نهار الجمعة ، وصلى بالناس يومئذ وخطبهم على قاعدة الخطابة .

وفي يوم عرفة ، وكان يوم السبت ، توفي القاضي شهاب الدين بن فضل الله كاتب الأسرار الشريفة بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، ثم عزل عن ذلك ومات وليس يباشر شيئاً من ذلك من رياسة وسعادة وأموال جزيلة ، وأملك ومرتبات كثيرة ، وعمر داراً هائلة بسفح قاسيون بالقرب من الركنية شرقها ليس بالسفح مثلاً ، وقد انتهت إليه رياسة الانشاء ، وكان يشبه بالقاضي الفاضل في زمانه ، وله مصنفات عديدة بدارات سعيدة ، وكان حسن المذاكرة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق ، يحب العلماء والفقراء ، ولم يجاوز الحسنيين ، توفي بدارهم داخل باب الفراديس ، وصلى عليه بالجامع الأموي ، ودفن بالسفح مع أبيه وأخيه بالقرب من اليعمورية ساعده الله وغفر له .

وفي هذا اليوم توفي الشيخ عبد الله بن رشيق المغربي ، كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية ، كان أبصر بخط الشيخ منه ، إذا عذب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا ، وكان سريع الكتابة لا بأس به ، دينا عابداً كثير التلاوة حسن الصلاة ، له عيال وعليه ديون رحمه الله وغفر له آمين . ﴿ ثم دخلت سنة خمسين وسبعمائة ﴾

استهل هذه السنة سلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك من البلاد الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائب الديار المصرية ومدير ممالكه والاتباع سيف الدين يلبينا ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، وكذلك أرباب الوظائف سوى الخطيب وسوى المحتسب .

وفي هذه السنة والله الحمد تهاصر أمر الطاعون جدا ونزل ديوان الوارثين إلى العشرين وما حولها بعد أن بلغ الحسبة في أثناء سنة تسع وأربعين ، ثم قدم ولكن لم يرتفع بالكلية ، فان في يوم الأربعاء رابع شهر المحرم توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن الثقة هو وابنه وأخوه في ساعة واحدة بهذا المرض ، وصلى عليهم جميعاً ، ودفنوا في قبر واحد رحمهم الله تعالى .

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفي صاحبنا الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي ، مدرس الهادية كان رحمه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح ، وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن ، وخلق حسن ، جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر باشر تقي الدين بن رافع الحديث مشيخة دار الحديث النورية ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء والقضاة والأعيان ، انتهى والله تعالى أعلم .

✽ مسك نائب السلطنة أرغون شاه ✽

وفي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول مسك نائب السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه ، وكان قد انتقل إلى القصر الأبلق بأهله ، فاشمر بوسط الليل إلا ونائب طرابلس الأمير سيف الدين ألبى بنا المظفرى الناصرى ، ركب إليه في طائفة من الأمراء الأتوف وغيرهم ، فأحاطوا به ودخل عليه من دخل وهو مع جواريه نائم ، فخرج إليهم فقبضوا عليه وقيده ودمعوا عليه ، وأصبح الناس أكرهم لا يشمر بشئ مما وقع ، فتحدث الناس بذلك واجتمعت الأتراك إلى الأمير سيف الدين ألبى بنا المذكور ، ونزل بظاهر البلد ، واحتيط على حواصل أرغون شاه ، فبات عزيراً وأصبح ذليلاً ، وأمسى علينا نائب السلطنة فأصبح وقد أحاط به الفقر والمسكنة فسيحان من يده الأمر ملك الملك (يرثى الملك من يشاء ويترع الملك من يشاء ويمز من يشاء ويذل من يشاء) وهذا كما قال الله تعالى (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ثم لما كان ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول أصبح مذبولاً فأتيت محضر بأنه ذبح نفسه والله تعالى أعلم .

✽ كاتبة محببة غريبة جداً ✽

ثم لما كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين وسبعائة وقع اختلاف بين جيش دمشق وبين الأمير سيف الدين ألبى بنا ، نائب طرابلس ، الذى جاء فأمسك نائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى ، ليلة الخميس وقته ليلة الجمعة كما تقدم ، وأقام بالميدان

الأخضر يستخلص أمواله وحواسله ، ويجمعها عنده ، فأنكر عليه الأمراء الكبار ، وأمره أن يحمل الأموال إلى قلعة السلطان فلم يقبل منهم ، فقاموه في أمره ، وشكوا في الكتاب على يده من الأمر بمسكه وقتله ، وركبوا الملبسين تحت القلعة وأبواب الميادين ، وركب هو في أصحابه وهم في دون المائة ، وقاتل يقول هم ما بين السبعين إلى الثمانين ، والتسمين ، جعلوا يحملون على الجيش حمل المستقلين ، إنما يداؤهم مدافعة المنبرتين ، وليس معهم مرسوم يقتلهم ولا قتالهم ، فلهذا ولي أكثرهم منهزمين ، فخرج جماعة من الجيش حتى ببض الأمراء المقدمين ، وهو الأمير الكبير سيف الدين ألبى بن المادلى ، قطعت يده اليمنى ، وقد قارب التسمين ، وقتل آخرون من أجناد الحلقة والمستخدمين ، ثم انفصل الحال على أن أخذ ألبى بن المظفرى من خيول أرغون شاه المرتبطة في اصطبله ما أراد ، ثم انصرف من ناحية المزة صاعراً على عقبيه ، ومعه الأموال التي جمعها من حواصل أرغون شاه ، واستمر ذاهباً ، ولم يبقه أحد من الجيش ، ومحبهته الأمير نغر الدين إياس ، الذي كان حاجباً ، وطلب في حاب في الدام الماضي ، فذهبوا ين معها إلى طرابلس ، وكتب أمراء الشام إلى السلطان يعلونه بما وقع ، فجاء البريد بأنه ليس عند السلطان علم بما وقع بالكليّة ، وأن الكتاب الذي جاء على يديه متعل ، وجاء الأمر لآربعة آلاف من الجيش الشامى أن يسيروا وراءه ليسكوه ثم أضيف نائب صفد مقدماً على الجميع ، فخرجوا في المشر الأول من ربيع الآخر . وفي يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر خرجت المساكر في طلب سيف الدين ألبى بن المادلى في المعركة وهو أحد أمراء الألوف المتقدمين ، ولما كانت ليلة الخميس سابعه تودى بالبلاء على من يقر بها من الأجناد أن لا يتأخر أحد عن الخروج بالند ، فأصبحوا في سرعة عظيمة واستديب في البلاد نيابة عن النائب الوائب الأمير بدر الدين الخطير ، فحكم بدار السعادة على عادة النواب . وفي ليلة السبت بين العشاءين سادس عشره دخل الجيش الذين خرجوا في طلب ألبى بن المظفرى ، وهو معهم أسير ذليل حقير ، وكذلك الفخر إياس الحاجب مأسور معهم ، فأودعوا في القلعة مهانين من جسر باب النصر الذي تجاه دار السعادة ، وذلك بحضور الأمير بدر الدين الخطير نائب القبة ، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، وفيه الحمد والمئة فلما كان يوم الاثنين الثامن عشر منه خرجا من القلعة إلى سوق الخليل فوسطاً بمحضرة الجيش ، وعلقت جثتهما على الخشب ليراهما الناس ، فكنتا أياماً ثم أنزلنا فمقنا ببقار المسلمين .

وفي أوائل شهر جمادى الآخرة جاء الخليل بموت نائب حلب سيف الدين قطلبشاه ففرح كثير من الناس بموته وذلك لسوء أعماله في مدينة حماة في زمن الطاعون ، وذكر أنه كان يحنط على التركة وإن كان فيها ولد ذكر أو غيره ، ويأخذ من أموال الناس جبهة ، حتى حصل له منها شيء كثير ، ثم

نقل إلى حلب بعد فائتها الأمير سيف الدين أرقطيه الذي كان عين لنيابة دمشق بعد موت أرغون شاه ، وخرج الناس لتلقيه فإهو إلا أن برز منزلة واحدة من حلب فأت بتلك المنزلة ، فلما صار قطلبشاه إلى حلب لم يقيم بها إلا يسيراً حتى ملت ، ولم يفتنع بتلك الأموال التي جمعها لا في دينه ولا في آخره .

ولما كان يوم الخميس الحادي عشر من جمادى الآخرة دخل الأمير سيف الدين أيتمش الناصري من الديار المصرية إلى دمشق نائباً عليها ، وبين يديه الجيش على العادة ، فقبل العتبة ولبس الحياصة والسيف ، وأعطى تقليده ، ومنشوره هناك ، ثم وقف في الموكب على عادة النواب ، ورجع إلى دار السعادة وحكم ، وفرح الناس به ، وهو حسن الشكل تام الخلقة ، وكان الشام بلا نائب مستقل قريباً من شهرين ونصف . وفي يوم دخوله حبس أربعة أمراء من الطلغانات ، وهم القاضي وأولاد آل أبو بكر اعتقلهم في القلعة لما لأنهم ألبى بضا المظفرى ، على أرغون شاه نائب الشام .

وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة حكم القاضي نجم الدين بن القاضي عماد الدين الطرسوسى الخنفي ، وذلك بتوقيع سلاطاني وخلمة من الديار المصرية . وفي يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة حصل الصلح بين قاضي القضاة تقي الدين السبكي وبين الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية ، على يدى الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب ، في بستان قاضي القضاة ، وكان قد تم عليه إكثاره من الفتيان بمسألة العلاق .

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه قتل جثة الأمير سيف الدين أرغون شاه من مقابر الصوفية إلى تربته التي أنشأها تحت الطارمة ، وشرع في تكبير التربة والمسجد الذي قبلها ، وذلك أنه طاعته المنية على يد ألبى بضا المظفرى قبل إتمامها ، وحين قتلوه ذبحها ودفنوه ليلاً في مقابر الصوفية ، قريباً من قبر الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، ثم حول إلى تربته في الليلة المذكورة ، وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤذنون للفجر قبل الوقت بقریب من ساعة ، فصلى الناس في الجامع الأموى على عادتهم في ترتيب الأئمة ، ثم رأوا الوقت باقياً فأملأ الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم ، وأقيمت الصلاة ثانياً ، وهذا شيء لم يتفق مثله .

وفي يوم الخميس ثامن شهر شعبان توفي قاضي القضاة علاء الدين بن منجا الخنبل بالمسارية ، وصلى عليه الظهر بالجامع الأموى ، ثم بظاهر باب النصر ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي يوم الاثنين رضان بكرة التمار استمعى الشيخ جمال الدين المرادوى من الصالحية إلى دار السعادة ، وكان تقليد القضاة لمعهبه قد وصل إليه قبل ذلك بأيام ، فأحضرت الخلعة بين يدي النائب والقضاة الباقين ، وأريد على لبسها وقبول الولاية فامتنع ، فألحوا عليه فصمم وبالحق في الامتناع

وخرج وهو مغضب فراح إلى الصالحية فبالغ الناس في تخطيطه ، وبقي القضاء يوم ذلك في دار السعادة ، ثم ينوا إليه بعد الظهر فحضر من الصالحية فلم يزالوا به حتى قبل وليس الخلة وخرج إلى الجامع ، قرئ تقليد بعد العصر ، واجتمع معه القضاة وهناك الناس ، وفرحوا به بقيافته وميادته وفضيلته وأمانته . وبعد هذا اليوم بأيام حكم الفقيه قمح الدين محمد بن مفلح الحنبلي نيابة عن قاضي القضاة جمال الدين الرادوى المقدسى ، وابن مفلح زوج ابنته . وفي العشر الأخير من ذى القعدة حضر الفقيه الامام المحدث المفيد أمين الدين الايجي المالكي مشيخة دار الحديث بالمدرسة الناصرية الجوانية ، نزل له عنها الصدر أمين الدين ابن القلانسي ، وكيل بيت المال ، وحضر عنده الأكابر والأعيان . وفي أواخر هذه السنة تكامل بناء القربة التي تحت الطارمة المنسوبة إلى الأمير سيف الدين أرغون شاه ، الذي كان نائب السلطنة بدمشق ، وكذلك القبة منها ، وصلى فيها الناس ، وكان قبل ذلك مسجدا صغيرا فصره وكبره ، وجاء كأنه جامع تقبل الله منه انتهى .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

استهلت وسلطان الشام ومصر الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين بلبغا وأخوه سيف الدين منجك الوزير ، والمشارون جماعة من المقدمين بديار مصر ، وقضاة مصر وكاتب السرم الدين كانوا في السنة الماضية ، ونائب الشام الأمير سيف الدين أرتيش الناصري ، والقضاة هم القضاء سوى الحنبلي فانه الشيخ جمال الدين يوسف الرادوى ، وكاتب السرم ، وشيخ الشيوخ تاج الدين ، وكاتب القضاة هم المقدمون ، وأضيف إليهم شرف الدين عبد الوهاب بن القاضي علاء الدين بن شعرونخ ، والمحاسب القاضي عماد الدين بن المزفور ، وشاد الأوقاف الشريف ، وناظر الجامع نضر الدين بن النفيع ، وخطيب البلد جمال الدين محمود ابن جقة رحمه الله .

وفي يوم السبت عشر المحرم نودي بالسلك من جهة نائب السلطان عن كتاب جاءه من الديار المصرية أن لا تلبس النساء الاكامل الطوال المراض ، ولا اللورد الحريز ، ولا شيئا من اللباسات والتيلاب الثينة ، ولا الألقمة القصار ، وبلغنا أنهم بالديار المصرية شددوا في ذلك جدا ، حتى قيل إنهم غرقوا بعض النساء بسبب ذلك فله أعلم .

وجدت وأكملت في أول هذه السنة دار قرآن قبل تربة امرأة تنكر ، بمحلة باب الخواصين حولها ، وكانت قاعة صويدة مدرسة الطواشي صفى الدين عنبر ، مولى ابن حمزة ، وهو أحد الكبار الأجواد ، تقبل الله منه . وفي يوم الأحد خلس شهر جمادى الأولى فتحت المدرسة الطيبانية التي كانت دارا للأمير سيف الدين طيبان بالقرب من الشامية الجوانية ، بينها وبين أم الصالح ، اشترت

من ثلثة الذی وصی به ، وفتحت مدرسة وحول لها شباك إلى الطريق في ضمتها القبيلة منها ، وحضر
الدرس بها في هذا اليوم الشيخ عماد الدين بن شرف الدين بن عم الشيخ كمال الدين بن الزملاكنی
برصية الواقف له بذلك ، وحضر عنده قاضي القضاة السبكي والمالكي وجماعة من الأعيان ، وأخذ في
قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا محسك لها) الآية . وافترق في ليلة الأحد السادس
والعشرين من جمادى الأولى أنه لم يحضر أحد من المؤذنين على السدة في جامع دمشق وقت إقامة
الصلاة المغرب سوى مؤذن واحد ، فانتظر من يقيم معه الصلاة فلم يجي . أحد غيره مقدار درجة أو
أزيد منها ، فأظم هو الصلاة وحده ، فلما أحرم الامام بالصلاة تلاحق المؤذنون في أثناء الصلاة حتى
بلغوا دون العشرة ، وهذا أمر غريب من عدة ثلاثين مؤذن أو أكثر ، لم يحضر سوى مؤذن واحد ،
وقد أخبر خلق من المشايخ أنهم لم يروا نظير هذه الكاثنة .

وفي يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة اجتمع القضاة بشهد عثان ، وكان الفاضل الحنبلي
قد حكم في دار المعتمد الملاصقة لمدرسة الشيخ أبي عمر يلقا ، وكانت وقفا ، لتضاف إلى دار القرآن ،
ووقف عليها واقف الفقراء ، فتمنع الشافعي من ذلك ، من أجل أنه يؤول أمرها أن تكون دار حديث
ثم فتحوا باب آخر وقفا : هذه الدار لم يستهم جميعا ، وما صادف الحكم محلا ، لأن مذهب الامام
أحمد أن الوقف يباع إذا استهم بالكلية ، ولم يبق ما يفتنع به ، فحكم القاضي الحنفي بإبائها وقفا كما
كانت ، ونفذ الشافعي والمالكي ، وانفصل الحال على ذلك ، وجرت أمور طويلة ، وأشياء محيية .
وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة أصبح أبواب المدرسة المستجدة التي
يقال لها الطيبانية إلى جانب أم الصالح مقتولا مذبحا ، وقد أخفت من عنده أموال من المدرسة
المذكورة ولم يطالع على فاعل ذلك ، وكان البواب رجلا صالحا مشكورا رحمه الله .

(ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية)

وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفي صاحبنا الشيخ الامام العلامة شمس
الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، إمام الجوزية ، وابن قيمها ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر
من القيد بالجامع الأموي ، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله . ولد في سنة إحدى
وتسعين وستائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وبرع في علوم متعددة ، لا سيما علم التفسير والحديث
والأصولين ، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ثلثي عشرة وسبعمائة لازمه
إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علما جبا ، مع ما ساف له من الاشتغال ، فصار فريدا في بابيه في
فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليل ونهاراً ، وكثرة الانبها . وكان حسن القراءة والخلق ، كثير
الترويح لا يجهد أحداً ولا يؤذيه ، ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد ، وكنت من أعجب الناس له وأحب

الناس إليه ، ولا أعرف في هذا العالم أزماناً أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً ويمد ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا يتزع عن ذلك رحمه الله ، وله من التصانيف الكبار والصغرى كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، وكتب ما لا يتنبأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف ، وبالجملة كان قليل المطير في مجرعه وأموره وأحواله ، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ، ساعه الله رحمه ، وقد كان متصدياً للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره ، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه ، وكل له من الممرستون سنة رحمه الله .

وفي يوم الاثنين ثمانى عشر شهر شعبان ذكر المدرس بالصمدية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الامام العلامة فحس الدين بن قيم الجوزية عوضاً عن أبيه رحمه الله فأفاد وأجاد ، وسرد طرقاً صالحاً في فضل العلم وأهله ، انتهى والله تعالى أعلم .

ومن الدجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر ، أنه بطل الوعيد بجماع دمشق في ليلة النصف من شعبان ، فلم يزد في وقته فتدبل واحد على عادة لياليه في سائر السنة والله الحمد والمنة . وفرح أهل العلم بذلك ، وأهل الديانة ، وشكروا الله تعالى على تبطل هذه البدعة الشنعاء ، التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبدع والاستيجار بالجامع الأموي ، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلافاً لملكه ، وشيد أركانه وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النججي بيض الله وجهه ، وقد كان مقياً في هذا الحين بالديار المصرية ، وقد كنت رأيت عنده فتياً عليها خط الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وغيرها في إبطال هذه البدعة ، فأفغذ الله ذلك والله الحمد والمنة . وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة وخمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا ، ولم يمسح فيها من قبية وقاض ومفت وعالم وعابد وأمير وزاهد وقائب سلطنة وغيرهم ولم ييسر الله ذلك إلا في طعنا هذا ، والمنزول من الله إطفاء عمر هذا السلطان ، ليعلم الجبهة الذين استقر في أذهانهم إذا أبطل هذا الوعيد في عام يموت سلطان الوقت ، وكان هذا لاحقية له ولأدليل عليه إلا مجرد الوم والخيال .

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة ، فيما يتعلق بالفتهاء والمدارس ، وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية ، وكان يئمه نصف تدريس الضاحية

التي الحناطة بالصالحية ، والنصف الآخر للشيخ شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي شيخ الحناطة بدمشق ، فاستنجز مرسومًا بالنصف الآخر ، وكانت بيده ولاية متقدمة من القاضي علاء الدين ابن المنجا الحنبلي ، فعارضه في ذلك قاضي القضاة جمال الدين المرادوى الحنبلي ، وولى فيها نائبه فحس الدين بن مفلح ، ودرس بها قاضي القضاة في صدر هذا اليوم ، فسنل القضاة الثلاثة الباقون ومعهم الشيخ شرف الدين المذكور إلى نائب السلطنة ، وأنهوا إليه صورة الحال ، فرسم له بالتدريس ، فركب القضاة المذكورون وبعض الحجاب في خدمته إلى المدرسة المذكورة ، واجتمع الفضلاء والأعيان ، ودرس الشيخ شرف الدين المذكور ، وبث فضائل كثيرة ، وفرح الناس .

وفي شوال كلن في جملة من توجه إلى الحج في هذا العام نائب الديار المصرية ومدير ممالكها الأمير سيف الدين بلبغا الناصري ، ومعهم جماعة من الأمراء ، فلما استقل الناس ذاهبين نهض جماعة من الأمراء على أخيه الأمير سيف الدين منجك ، وهو وزير المملكة ، وأستاذ دار الاستادارية ، وهو باب الخواص في دولتهم ، وإليه يرسل ذوا الحاجات بالذهب والمدايا ، فأمسكوه وجاءت البريدية إلى الشام في أواخر هذا الشهر بذلك ، وبعد أيام يسيرة وصل الأمير سيف الدين شيخون ، وهو من أكابر الدولة المصرية تحت الترسيم ، فأدخل إلى قلعة دمشق ، ثم أخذ منها بعد ليلة فذهب به إلى الاسكندرية فأنقذ أعلم . وجاء البريد بالاحتياط على ديوانه وديوان منجك بالشام وأيس من سلامتهما ، وكذلك وردت الأخبار بمنك بلبغا في أثناء الطريق ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، وقدم أمير من الديار المصرية خلف الأمراء بالطاعة إلى السلطان ، وكذلك سار إلى حلب فخلف من بها من الأمراء ثم عاد إلى دمشق ثم عاد راجعاً إلى الديار المصرية ، وحصل له من الاموال شيء كثير من النواب والأمراء .

وفي يوم الخميس العشرين من ذي القعدة مسك الأميران الكبيران الشاميان المقدمان شهاب الدين أحمد بن صبح ، وملك آص ، من دار السعادة بحضرة نائب السلطنة والأمراء ورفعا إلى القلعة المنصورة ، سير بهما ماشيين من دار السعادة إلى باب القلعة من ناحية دار الحديث ، وقيدا وسجنا بها ، وجاء الخبر بأن السلطان استوزر بالديار المصرية علم الدين زينور ، وخلع عليه خلة سفية ، لم يسمع بمثلا من أعصار متقدمة ، ولبشر وخلع على الأمراء والمقدمين ، وكذلك خلع على الأمير سيف الدين طسبغا وأعيد إلى مباشرة الإدارة بالديار المصرية ، وجعل مقدما .

وفي أوائل شهر ذي الحجة اشترى أن نائب صفد شهاب الدين أحمد بن مشد الشريفاً طلب إلى الديار المصرية فامتنع من إجابة الدعاء ، وقضى العهد ، وحسن قلعتها ، وحصل فيها عدداً ومعدداً وأدخرا ثياباً كثيرة بسبب الاقامة بها والامتناع بها ، فجاءت البريدية إلى نائب دمشق بأن يركب هو

وجميع جيش دمشق إليه ، فتهجز الجيش لملك وتأهبوا ، ثم خرجت الأطلاب على راياتها ، فلما برز منها بعض بدأ لنائب السلطنة فردم وكان له خيرة عظيمة ، ثم استقر الحال على تجريد أربعة مئتين بأربعة آلاف إليه .

وفي يوم الخميس تاني عشره وقت كائنة غريبة بعني وذلك أنه اختلف الأمراء المصريون والشاميون مع صاحب اليمن الملك المجاهد ، فاقبلوا قتالا شديدا قريبا من وادي محسر ، ثم انجلت الرقعة عن أسر صاحب اليمن الملك المجاهد فحمل مقيدا إلى مصر ، كذلك جاءت بها كتب الحجاج وم أخبروا بذلك . واشتهر في أواخر ذي الحجة أن نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكامل قد خرج عنها بمالبيكة وأصحابه فرام الجيش الحلبى رده فلم يستطعوا ذلك ، وجرح منهم جراحات كثيرة ، وقتل جماعة فاقاه ، وإنا إليه راجعون ، واستمر ذاهبا وكان في أمه فها ذكر أن يتلقى سيف الدين يلينا في أثناء طريق الحجاز فيتقدمه إلى دمشق ، وإن كان نائب دمشق قد اشتغل في حصار صفد أن يهجم عليها بئنة فيأخذها ، فلما سار بمن معه وأخذته القطاع من كل جانب ونهبت حواصله وبقي فجر يده في نفر يسير من مالبيكة ، فاجتاز بحمالة لهر به ثابها فأبى عليه ، فلما اجتاز بمحص وطن نفسه على المسير إلى السلطان بنفسه ، فقدم به نائب حصن وتلقاه بعض الحجاب وبعض مقدمين الأتوق ودخل يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين الشهر ، وهو في أمة ، فقتل بدار السعادة في بعض قاعات الدويارية انتهى .

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة)

استهلّت هذه السنة وسلطان البلاد الشامية والديار المصرية والحرمين الشريفين وما يلحق بذلك من الأقاليم والبلدان ، الملك الناصر حسن بن السلطان الملك محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلينا الملقب بمحارس الطير ، وهو عوسا عن الأمير سيف الدين يلينا أروش الذى راح إلى بلاد الحجاز ، ومعه جماعة من الأمراء بقصد الحج الشريف ، فصره السلطان في غيبته وأمسك على شيخون واعتقله ، وأخذ منجبك الوزير ، وهو أستاذ دار ومقدم ألف ، واصطفى أمواله ، واعتاض عنه وولى مكانه في الوزارة التفاضى علم الدين ابن زينور ، واستخرج إلى وظيفة الدويارية الأمير سيف الدين طسبغا الناصرى ، وكان أميراً بالشام مقبلا منذ عزل إلى أن أعيد في أواخر السنة كما تقدم . وأما كاتب السر بمصر وقضاها فهم المذكورون في التلى قبلها .

واستهلّت هذه السنة ونائب صفد حصن القلعة وأعد فيها عتبا وما ينبغى لها من الأطلعات والاختار والمدد والرجال ، وقد نابذ الملكة وحارب ، وقد قصدته المساكر من كل جانب من الديار

المصرية ودمشق وطرابلس وغيرها ، والأخبار قد ضمنت عن يلبنا ومن معه ببلاد الحجاز ما يكون من أمره ، وتائب دمشق في احتراز وخوف من أن يأتي إلى بلاد الشام فيدغمها بمن معه ، والقلوب وجلة من ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها ورد الخبر أن صاحب اليمن حج في هذه السنة فرفع يده وبين صاحب مكة عجلان بسبب أنه أرا . أن يولى عليها أخاه بعينة ، فاشتكى عجلان دقت إلى أمراء المصريين وكبرهم إذ ذاك الأمير سيف الدين بزلار ومعه طائفة كثيرة ، وقد أمسكوا أخاهم يلبنا وقيدوه ، فتوى رأسه عليهم واستخف بهم ، فصرروا حتى قضى الحجاج وفرغ الناس من المناسك ، فلما كان يوم النفر الأول يوم الخميس توافقوا هم وهو قتل من القرية خنق كثير ، والأكثر من اليمنيين ، وكانت الوقعة قريبة من وادي محسر ، وبقي الحجاج خائفين أن تكون الدائرة على الأتراك فتهبهم الأعراب أموالهم ورجل قتلهم ، فرج الله ونصر الأتراك على أهل اليمن ولجأ الملك المجاهد إلى جبل فلم يصبه من الأتراك ، بل أسروه ذليلاً حقيراً ، وأخذوه مقيداً أسيراً ، وجاءت عوام الناس إلى اليمنيين فتهبوا شيئاً كثيراً ، ولم يتركوا لهم جليلاً ولا حقيراً ، ولا قليلاً ولا كثيراً ، واحتاط الأمراء على حواصل الملك وأمواله وأمنته وأثقاله ، وساروا بخيله وجماله ، وأدلو على صناديد من رحله ورجاله ، واستحضروا معهم طفلاً الذي كان حاصر المدينة النبوية في العام الماضي وقيدوه أيضاً ، وجمعوا القتل في عنقه ، واستاقوه كما يستاق الأسيروا في وثاقه مصحوباً بهم وخفته ، وأنشروا من تلك البلاد إلى ديارهم راجعين ، وقد فعلوا فلة تذكر بهم إلى حين .

ودخل الركب الشامي إلى دمشق يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من المحرم على العادة المستمرة والقاعدة المستقرة . وفي هذا اليوم قدمت البريدية من تلقاء مدينة صند بخبرة بأن الأمير شهاب الدين أحمد ابن شد الشرنجباء ، الذي كان قد تمرد بها وطني وبني حتى استحوذ عليها وقطع سبيلها وقتل الفرسان والرجالة ، وملكها أطعمة وأسلحة ، ومالها ورجاله ، فندما تحقق مسلك يلبنا أروش خضعت تلك النفوس ، وخذت فاره وسكن شراره وحار بشاره ، ووضع قراره ، وأجاب إلى التوبة والاقلاع ، ورغب إلى السلامة والخلاص ، وخشع ولات حين مناص ، وأرسل سيده إلى السلطان ، ثم توجه بنفسه على البريد إلى حضرة الملك الناصر والله المسؤول أن يحسن عليه وأن يقبل قلبه إليه . وفي يوم الأحد خالص صفر قدم من الحيار المصرية الأمير سيف الدين أرغون السكامل معاداً إلى نيابة حلب ، وفي صحبته الأمير سيف الدين طشينا الهوادار بالخير المصرية ، وهو زوج ابنة نائب الشام ، فلقاه نائب الشام وأعيان الأمراء ، ونزل طشينا الهوادار عند زوجته بدار منجى في محلة مسجد القصب التي كانت تعرف بدار حنين بن حنذر ، وقد جددت في السنة الماضية ، وتوجه في الليلة الثانية من قنومها إلى حلب . وفي يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول اجتمع

القضاة الثلاثة وطلبوا الحنبلى ليتكلموا معه فيما يتعلق بدار المتمدن التى يجوار مدرسة الشيخ أبى عمر،
الذى حكم بنقض وقفها وهدم بابها وإضافتها إلى دار القرآن المذكورة ، وجاء مرسوم السلطان يوفق
ذلك ، وكان القاضى الشافعى قد أراد منعه من ذلك ، فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لقتل
فلم يحضر القاضى الحنبلى ، قال حتى يجيء نائب السلطنة .

ولما كان يوم الخميس خلدس عشر ربيع الأول حضر القاضى حسين ولد قاضى القضاة تقي الدين
السبكى عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرفية وقرىء عليه شيء كان قد خرج له بعض المحدثين ،
وشاع في البلد أنه نزل له عنها ، وتكلموا فى ذلك كلاماً كثيراً ، وانتشر القول فى ذلك ، وذكر بعضهم
أنه نزل له عن النزالية والمالدية ، واستخلفه فى ذلك فافقه أعلم .

وفى سحر ليلة الخميس خامس شهر جمادى الآخرة وقع حريق عظيم للجوانيين فى السوق الكبير
واحترق دكاكين الفواخرة والمتاجلين ، وفرجة الفرايل ، وإلى درب القلى ، ثم إلى قريب درب
المعبد ، وصارت تلك الناحية دكا بلقما ، فافقه وإنا إليه راجعون . وجاء نائب السلطنة بعد الاذان
إلى هناك ورسم بعافى النار ، وجاء المتولى والقاضى الشافعى والحجاب ، وشرع الناس فى طفى النار ،
ولو تركوها لأحرقت شيئاً كثيراً ، ولم يقد فيما بلغتنا أحد من الناس ، ولكن هلك للناس شيء كثير
من المتاع والأثاث والأموال وغير ذلك ، واحترق للجامع من الزباع فى هذا الحريق ما يساوى مائة
ألف درهم . انتهى والله أعلم . (كاتبة غريبة جداً)

وفى يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى استسلم القاضى الحنبلى جماعة من اليهود كان قد
صدر منهم نوع استهزاء بالاسلام وأهله ، فذهبوا رجلاً منهم صفة ميت على نفس ويهلون كتليل
المسلمين أمام الميت ويقرأون (قل هو الله أحد . الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)
فسمع بهم من مجازتهم من المسلمين ، فأخذهم إلى ولى الامر نائب السلطنة فذهبهم إلى الحنبلى ،
فاقتضى الحال استسلامهم فأسلم يومئذ منهم ثلاثة وتبع أحدهم ثلاثة أطفال ، وأسلم فى اليوم الثانى
ثمانية آخرون فأخذهم المسلمون وطأوا بهم فى الأسواق يهلون ويكبرون ، وأعظام أهل الأسواق
شيئاً كثيراً وراحوا بهم إلى الجامع فصولاً ثم أخذهم إلى دار السعادة فاستلقوا لهم شيئاً ، ورجعوا
وفى ضجيج وتهليل وتقديس ، وكان يوماً مشهوداً والله الحمد والمنة . انتهى والله أعلم

(مملكة السلطان الملك الصالح)

« صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى »

فى المشر الأوسط من شهر رجب الفرد و زدت اليربندية من انذار المصرية بعزل السلطان
الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون لاختلاف لأمرائه عليه ، واجتماعهم على أخيه الملك

الصالح ، وأمه سالمة بنت ملك الاسراء تنكز الذي كان نائب الشام مدة طويلة ، وهو ابن أربعم عشرة سنة ، وجاءت الأمراء للحلف ، فدفعت البشار و زين البله على العادة ، وقيل إن الملك الناصر حسن خنق ورجعت الاسراء الذين كانوا بإسكندرية مثل شيخون ومنجك وغيرهما ، وأرسلوا إلى يلبغا فجاء به من الكرك ، وكان مسجوناً بها من مرجعه من الحج ، فلما عاد إلى الديار المصرية شفع في صاحب اليمن الملك المجاهد الذي كان مسجوناً في الكرك فأخرج وعاد إلى الديار الحجازية . وأما الأمراء الذين كانوا من ناحية السلطان حين سك معارضة أمير أخور وميكل بنسا الفخري وغيرهما ، فاحتيط عليهم وأرسلوا إلى الاسكندرية ، وخطب للملك الصالح بجامع دمشق يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب وحضر نائب السلطنة والأمراء والقضاة للدعاء له بالمقصورة على العادة . وفي أثناء العشر الأخير من رجب عزل نائب السلطنة سيف الدين أيتمش عن دمشق مطالباً إلى الديار المصرية فسار إليها يوم الخميس . وفي يوم الاثنين حادى عشر شعبان قدم الأمير سيف الدين أرغون السكالمى الذي كان نائباً على الديار الخلبية من هناك ، فدخل دمشق في هذا اليوم في أبهة عظيمة ، وخرج الأمراء والمقدمون وأرباب الوظائف لتلقيه إلى أثناء الطريق ، منهم من وصل إلى حلب وحماة وحمص ، وجرى في هذا اليوم عجائب لم تر من دهور ، واستقبل الناس به لصرامته وشهامته وحدته ، وما كان من لين الذي قبله ورخاوته ، فقل دार السعادة على العادة . وفي يوم السبت وقف في موكب هائل قبل إنه لم ير مثله من مدة طويلة ، ولما سير إلى ناحية باب الفرج اشتكى إليه ثلاث نسوة على أمير كبير يقال له الطرخاين ، فأمر بإنزائه عن فرسه فأنزل وأوقف معهن في الحكومة ، واستمر بطلان الرقيد في الجامع الأموى في هذا العام أيضاً كالذى قبله ، حسب مرسوم السلطان الناصر حسن رحمه الله ، ففرح أهل الظهير بذلك فرحاً شديداً ، وهذا شيء لم يهد مثله من نحو ثلثة سنة والله الحمد والمنة ، ونودى في البلد في هذا اليوم والذي يمدع عن النائب : من وجد جندياً سكراناً فليزله عن فرسه وليأخذ ثيابه ، ومن أحضره من الجند إلى دار السعادة فله خيزره ، ففرح الناس بذلك واحتجروا على الخالين والمصارين ، ورخصت الأعتاب وجادت الأخياز والعم بعد أن كان بلغ كل رطل أربعة ونصف ، فصار بدرهمين ونصف ، وأقل ، وأساحت المايش من هبة النائب ، وصار له صيت حسن ، وذكر جميل في الناس بالعدل وجودة القصد وصحة الفهم وقوة المعدل والادراك .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان وصل الأمير أحمد بن شاد الشرى بمخاضه الذي كان قد عصى في صفد ، وكان من أمره ما كان ، فاعتقل بالإسكندرية ثم أخرج في هذه الهولة وأعطى نيابة حماة فدخل دمشق في هذا اليوم سائراً إلى حماة ، فركب مع النائب مع الموكب وسر عن يمينه ونزل في خدمته

إلى دار السعادة ، ورحل بين يديه . وفي يوم الخميس الحادى والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين يلبغا الذى كان نائباً بالإيثار المصرية ، ثم ملك بالحجاز وأودع الكرك ، ثم أخرج في هذا اليوم وأعطى نيابة حلب ، فتلته نائب السلطنة وأنزل دار السعادة حين أضافه . ونزل وطاقة بوطاة برزة وضربت له خيمة بالميدان الأخضر . (ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة)

استهلت هذه السنة وساططان الإيثار المصرية والبلاد الشامية والحرمين الشرعيين وما يقبع ذلك الملك الصالح صلاح الدين ، صالح بن الساعاتى الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، والخليفة الذى يدعى له المعتضد بأمر الله ، ونائب الإيثار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى ، وقضاة مصر المذكورون فى التى قبلها ، والوزير القاضى ابن زنبور ، وأولو الأمر القدين يدبرون المملكة فلا تصدر الأمور إلا عن آرائهم لصغر السلطان المذكور جماعة من أعيانهم ثلاثة سيف الدين شيخون ، وطار وحر عيش ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون السكالى ، وقضاةهم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب البلاد الحلبية الأمير سيف الدين يلبغا أروش ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين بككاش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشريفة ، ووصل بعض الحجاج إلى دمشق فى تاسع الشهر - وهذا نادر - وأخبروا بموت المؤذن قسطنطين بن سعيد بعد منزلة العلاقات المدايع . وفى ليلة الاثنين سادس عشر صفر فى هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقية فاحترق به دكان التفتاحى الكبيرة المزخرفة وما حولها ، واتسع اتساعاً عظيماً ، واتصل الحريق بالباب الأصغر من النحاس ، فبادر ديوان الجناح إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل ، بمصورة الحلبية ، بمشهد على ، ثم عدوا عليه يكسرون خشباً بالفوس الحديد ، والسواعد الشداد ، وإذا هو من خشب الصنوبر الذى فى غاية ما يكون من القوة والثبات ، وتأسف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد وماله . وله فى الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة . انتهى والله أعلم . (ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق)

الذى كان هلاكه وذهابه وكسره فى هذه السنة ، وهو باب سر فى جامع دمشق لم يرباب أوسع ولا أعلى منه ، فيما يعرف من الابنية فى الدنيا ، وله دلمان من نحاس أصفر - أمير نحاس أصفر أيضاً بارزة ، من عجائب الدنيا ، ومحاسن دمشق وماله ، وقد تم بناؤها . وقد ذكرته العرب فى أشعارها والناس وهو منسوب إلى ملك يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح ، وهو الذى بناه ، وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام ، بل قبل نوح وعود أيضاً ، على ما ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخه وغيره ، وكان فوقه حصن عظيم ، وقصر منيف ، ويقال بل هو منسوب إلى اسم المارد الذى بناه سليمان عليه السلام ، وكان اسم ذلك المارد جيرون ، والأول أظهر

وفي أوائل شهر رجب الفرداشهر أن نائب حلب يلينا أروش اتفق مع نائب طرابلس بكلمش ، ونائب حلب أمير أحمد بن مشد الشريحانة على الخروج عن طاعة السلطان حتى يملك شيخون وطار ، وهما عضدا الدولة بالديار المصرية ، وبنوا إلى نائب دمشق وهو الأمير سيف الدين أرغون الكامل فآبى عليهم ذلك ، وكتب إلى الديار المصرية بما وقع من الأمر ، وانزعج الناس لذلك ، وخافوا من غائلة هذا الأمر وبالله المستعان . ولما كان يوم الاثنين ثامن الشهر جمع نائب السلطنة الأمراء عنده بالقصر الأباقي واستحلفهم ببيعة أخرى لنائب السلطنة الملك الصالح ، فحلفوا واتفقوا على السمع والطاعة والاستمرار على ذلك . وفي ليلة الأربعاء سابع عشر رجب جاءت الجبلية الذين جمعهم من البقاع لأجل حفظ ثنية العقاب من قدوم الساكر الحلبية ، ومن معهم من أهل طرابلس وحماة ، وكان هؤلاء الجبلية قريبا من أربعة آلاف ، فحصل بسببهم ضرر كثير على أهل برزة وما جاورهم من الثمار وغيرها .

وفي يوم السبت العشرين منه ركب نائب السلطنة سيف الدين أرغون ومعه الجيوش الدمشقية قاصدين ناحية الكسوة ليلا يقاتلون المسلمين ولم يبق في البلد من الجند أحد ، وأصبح الناس وليس لهم نائب ولا عسكر ، وخلت الديار منهم ، ونائب النية الأمير سيف الدين الجلي بنا الصالح ، وانتقل الناس من البساتين ومن طرف القبية وغيرها إلى المدينة ، وأكثر الأمراء قتلت حواصلهم وأهاليهم إلى القلعة المنصورة ، فأنقذوا وإنا إليه راجعون . ولما اقترب دخول الأمير يلينا بن معه انزعج الناس وانتقل أهل القرى الذين في طريقه ، وسرى ذلك إلى أطراف الصالحية والبساتين وحواضر البلد ، وغلقت أبواب البلد إلى ما على القلعة ، كباب النصر وباب الفرج ، وكذا باب الفرديس ، وخأت أكثر الحلال من أهاليهم ، وقتلوا حوائجهم وحواصلهم وأنعامهم إلى البلد على الدواب والحالين ، وبأنهم أن أطراف الجيش انتهوا ما في القرى في طريقهم من الشعير والتبن وبعض الانعام للأكل ، وربما وقع فساد غير هذا من بعض الجهة ، تخاف الناس كثيرا وتشوشت خواطرم انتهى .

(دخول يلينا أروش إلى دمشق)

ولما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب دخل الأمير سيف الدين يلينا أروش نائب حلب إلى دمشق المحروسة بن معه من الساكر الحلبية وغيرهم وفي صحبتة نائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد ، ونائب صند الأمير علاء الدين طيئنا ، ملقب بتراق ، وكان قد توجه قبله ، قيل بيوم ، ومعه نواب قلاع كثيرة من بلاد حلب وغيرها ، في عدد كثير من الأتراك والتركمان ، فوقف في سوق الخليل مكان نواب السلطان تحت القلعة ، واستعرض الجيوش الذين وفدوا معه هنالك ، فدخلوا في تجمل كثير ، مليسين ، وكان عدة

من كان معه من أسراء الطليخانات قريباً من ستين أميراً أو يزيدون أو يتقصون ، على ما استفاض
عن غير واحد من شاهد ذلك ، ثم سار قريباً من الزوال للبحيم الذي ضرب له قبل مسجد القدم
عند قبة يلبن ، عند الجلول الذي هنالك ، وكان يوماً مشهوداً هائلاً ، لما عين الناس من كثرة الجيوش
والعدد ، وعذر كثير من الناس صاحب دمشق في ذهابه بمن معه ثلثا يقابل هؤلاء . ففسأل الله أن
يجمع قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين . وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الأمير سيف الدين إياجي
يطلب منه حواصل أرغون التي عنده ، فامتنع عليه أيضاً ، وقد حصن القلعة وسترها وأرصد فيها
الرجال والزما والعدد ، وهياتها بعض المجانيق ليعد بها فرق الإبرجة ، وأمر أهل البلد أن لا يفتنحوا
الداكين ويقلعوا الأسواق ، وجعل يفتق أبواب البلد إلا باباً أو بابين منها ، واشتد حق العسكر
عليه ، وهما بأشياء كثيرة من الشر ، ثم يرمون عن الناس والله المسلم ، غير أن إقبال العسكر
وأطرافه قد عاثوا فيها جاوروه من القرايا والبساتين والكروم والزروع فإخونوا ما يأكلون وتأكل
دوابهم ، وأكثروا من ذلك فأن الله وإنا إليه راجعون . ونهيت قرايا كثيرة وغبروا بفساد وبنات ،
وعظم الخطب ، وأما التجار ومن يذكر بكثرة مال فأكثرهم تخف لا يظهر لما يخشى من المصادرة ،
فسأل الله أن يحسن عاقبتهم .

واستهل شهر شعبان وأهل البلد في خوف شديد ، وأهل القرايا والخواضر في قلة أناتهم وبقارم
ودوابهم وأبنائهم ونسائهم ، وأكثروا أبواب البلد مغلقة سوى بابي الفردائس والجاية ، وفي كل يوم
نسبح بأمر كثيرة من التهب للقرايا والخواضر ، حتى انتقل كثير من أهل الصالحة أو أكثرهم ،
وكذلك من أهل العقبة وسائر خواضر البلد ، فنزلوا عند مدارسهم وأصحابهم ، ومنهم من نزل على طاعة
العاريق بنسائهم وأولادهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقال كثير من المشايخ الذين
أدركوا زمن قازان : إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لما ترك الناس من ورائهم من الغلات والثار
التي هي عمدة قوتهم في سنتهم ، وأما أهل البلد ففي قلق شديد أيضاً لما يبلغهم عنهم من الفجور
بالنساء ، ويمسكون يدعون عقيب الصلوات عليهم يصرحون بأسمائهم ويمنون بأسماء أمرائهم وأتباعهم
ونائب القلعة الأمير سيف الدين إياجي في كل وقت يسكن جاش الناس ويقوى عزيمتهم ويشهرهم بفروج
المساكر المنصورة من الديار المصرية محبة السلطان إلى بلاد غرة حيث الجيش الممشق ، ليجيئوا
كلهم في خدمته وبين يديه ، وتدفق البشار فيفرح الناس ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات فتقلق
ويخرجون في كل يوم وساعة في تجمل عظيم ووعد وهيات حسنة ، ثم جاء السلطان أيده الله تعالى
وقد ترجل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الهين إلى داخل القلعة المنصورة ، وهو
لا لبس قباة أحمر له قيمته على فرس أصيلة مؤدية معلقة المشى على القوس لا تحيد عنه ، وهو حسن

الصورة مقبول الطلعة ، عليه بهاء المملكة والرياسة ، والنزف فوق رأسه يحمله بعض الأمراء الأكابر ، وكلما عاينه من عاينه من الناس يفتلون بالدهاء بأصوات عالية ، والنساء بالزغرطة ، وفرح الناس فرحا شديدا ، وكان يوما مشهودا ، وأمرأ حميدا ، جملة الله مباركا على المسلمين . قتل بالقلة المنصورة ، وقد قدم معه الخليفة المتتضد أبو الفتح بن أبي بكر المستكني بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وكلت راكباً إلى جانبه من ناحية اليسار ، ونزل بالمدرسة الدماغية في أواخر هذا اليوم سائر الأمراء مع نائب الشام ، ومقدمهم طار وشيخون في طلب يلبنا ومن معه من البغاة المفسدين .

وفي يوم الجمعة فاني حضر السلطان أيده الله إلى الجامع الأموي وصلى فيه الجمعة بالمشهد الذي يصلى فيه ثواب السلطان أيده الله ، فكثر الدعاء والمحبة له ذاهبا وآيبا تعيل الله منه ، وكذلك فعل الجمعة الأخرى وهي تاسع الشهر . وفي يوم السبت طشره اجتماعنا . يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله - بالخليفة المتتضد بالله أبي الفتح بن أبي بكر بن المستكني بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وسلمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدماغية ، داخل باب الفرج وقرأت عنده جزءا فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده ، وذلك عن الشيخ عز الدين بن الضيا الحوي بسامعه من ابن البخاري ، وزيفت بفت مكي عن أحمد بن الحسين عن ابن المنهب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه فذكرها ، والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام متواضع جيد الفهم حلو العبارة رحم الله سلفه .

وفي رابع عشره قدم البريد من بلاد حلب بسيوف الأمراء المسوكين من أصحاب يلبنا . وفي يوم الخميس خامس عشره نزل السلطان الملك الصالح من الطارمة إلى القصر الأبلق في أبيه المملكة ، ولم يحضر يوم الجمعة إلى الصلاة ، بل اقتصر على الصلاة بالقصر المذكور . وفي يوم الجمعة باكر التها دخل الأمير سيف الدين شيخون وطار بن معهما من الصاكر من بلاد حلب ، وقد فات تدارك يلبنا وأصحابه لخرولهم بلاد زنادر التركاني بن بقى منهم ، وهم القليل ، وقد أسر جماعة من الأمراء الذين كانوا معه ، وهم في التيود والسلاسل محبة الأميرين المذكورين ، فدخل على السلطان وهو بالقصر الأبلق فسلمنا عليه وقبلنا الأرض وهناه بالعيد ، ونزل طار بدار أيتش بالشرق الشامي ، ونزل شيخون بدار إلياس الحاجب بالقرب من الظاهرية البرانية ، ونزل بقية الجيش في أرجاء البلد ، وأما الأمير سيف الدين أرغون فأقام بحلب فاجبا عن سؤاله إلى ما ذكر ، وتوطب في تهليد بأقارب هائلة ، وليس خلة سنية ، وعظم تمظيا زائما ، ليكون هناك إلبا على يلبنا وأصحابه لشدة ما بينهما من المداوة . ثم صلى السلطان بن معه من المصريين ومن انضاف إليهم من الشاميين صلاة عيد الفطر

بالميدان الأخضر ، وخطب بهم القاضي تاج الدين المناوي المصري . قاضي السكر المصري بمرسوم السلطان وذويه ، وخلع عليه . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ قتل الأمراء السبعة من أصحاب يلبغا ﴾

وفي يوم الاثنين ثالث شوال قبل المصروع السلطان من القصر إلى الطارمة وعلى رأسه القبة والطير يحملها الأمير بدر الدين بن الخطير ، فجلس في الطارمة ووقف الجيش بين يديه تحت القلعة وأحضروا الأمراء الذين قمعوا بهم من بلاد حلب ، فجللوا بقفون الأمير منهم ثم يشاورون عليه فمنهم من يشفع فيه ومنهم من يؤمر بتوصيته ، فوسط سبعة : خمس طبلخانات ومقدما ألف ، منهم نائب مشد برناق وشنع في الباقيين فردوا إلى السجن ، وكانوا حصة آخرين وفي يوم الأربعاء خامسة مسك جماعة من أمراء دمشق سبعة وتحولت دول كثيرة ، وتأمر جماعة من الأجناد وغيرهم انتهى

﴿ خروج السلطان من دمشق متوجها إلى بلاد مصر ﴾

وفي يوم الجمعة سابع شوال ركب السلطان في جيشه من القصر الأبلق قاصداً لصلاة الجمعة بالجوامع الأموى ، فلما انتهى إلى باب النصر رجع الجيش بكامله بين يديه مشاة ، وذلك في يوم شاتٍ كثير الوحل فصلى بالمقصورة إلى جانب المصحف العتافي ، وليس معه في الصف الأول أحد ، بل بقية الأمراء خلفه صفوف ، فسمع خطبة الخطيب ، ولما فرغ من الصلاة قرأ كتاب باطلاق أعشار الأوقاف ، وخرج السلطان بمن معه من باب النصر ، فركب الجيش واستقل ذاهبا نحو الكسوة بمن معه من المساكن المنصورة ، مصحوبين بالسلامة والماقية المستمرة ، وخرج السلطان وليس بدمشق نائب سلطنة ، وبها الأمير بدر الدين بن الخطير هو الذي يتكلم في الأمور نائب غيبة ، حتى قدم إليها نائبها ويتبع لها ، وجاءت الأخبار بوصول السلطان إلى الفيوم المصرية سالما ، ودخلها في أبهة عظيمة في أواخر ذي القعدة ، وكان يوما مشهوداً ، وخلع على الأمراء كلهم وليس خلة نيابة الشام الأمير علاء الدين المراداني ، ومسك الأمير علم الدين بن زنبور وتولية الوزارة للصاحب موفق الدين . وفي صبيحة يوم السبت خلص الحجة دخل الأمير علاء الدين على الجندار من الفيوم المصرية إلى دمشق المحروسة في أبهة هائلة ، وموكب حافل مستوليا نيابة بها ، وبين يديه الأمراء على العادة ، فوقف عند ترعة بشار آص حتى استعرض عليه الجيش فاحضهم ، فدخل دار السعادة فترها على عادة التواب قبله ، جله الله وجها مباركا على المسلمين . وفي يوم السبت ثالث عشره قدم دوا دار السلطان الأمير عز الدين منطلي من الفيوم المصرية قتل القصر الأبلق ، ومن عزمه النهاب إلى البلاد الخلية ليجهز الجيوش نحو يلبغا وأصحابه انتهى والله تعالى أعلم .

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة)

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية والمملكة الحلبية وما والاها
والحرمين الشريفين الملك الصالح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون
الصلحي ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاي ، والمشار إليهم في تدبير المملكة الأمراء
سيف الدين شيخون ، وسيف الدين طار ، وسيف الدين صرغتمش الناصري ، وقضاة القضاة
وكتّاب السر هناك هم المذكورون في السنة الماضية ، ونائب حلب الأمير سيف الدين أرغون
الكامل ، لأجل مقابلة أولئك الأمراء الثلاثة يلينا وأمير أحمد وبكلمش الذين فعلوا ما ذكرنا في
رجب من السنة الماضية ، ثم لجأوا إلى بلاد البليسين في خفارة زنادر التركاني ، ثم إنه احتال عليهم
من خوفه من صاحب مصر وأسلمهم إلى قبضة نائب حلب المذكور ، وفرح المسلمون بذلك فرحا
شديداً ، وفقه الحمد والمنة ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أيتش الذي كان نائب دمشق كما
ذكرنا ، نقلت به الأحوال حتى استقرب في طرابلس حين كان السلطان بدمشق كما تقدم ،

واستهلت هذه السنة وقد توارت الأخبار بأن الأمراء الثلاثة يلينا وبكلمش وأمير أحمد قد
حصلوا في قبضة نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون ، وهم مسجونون بالقلعة بها ، ينتظر ما يرسم
به فيهم ، وقد فرح المسلمون بذلك فرحا شديداً . وفي يوم السبت مابيع عشر الحرم وصل إلى
دمشق الأمير عز الدين منطاطي الدويدار عائداً من البلاد الحلبية ، وفي محبته رأس يلينا الباقي
أمكن الله منه بموصول صاحبيه بكلمش الذي كان نائباً بطرابلس ، وأمير أحمد الذي كان نائب حماة
قطعت رؤسهما بحجاب بين يدي نائبها سيف الدين أرغون الكامل ، وسيرت إلى مصر ، ولما وصل
يلينا بعدها فعل به كفضلها جرة بعد المصر بسوق الخليل بين يدي نائب السلطنة والجيش بومته
والعامة على الأحابر يتفرجون ويفرحون بمصرعه ، ومسر المسلمون كلهم وفقه الحمد والمنة .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول أقيمت جمعة جديدة بمحلة الشافور
بمسجد هناك يقال له مسجد المزار ، وخطب فيه جمال الدين عبد الله بن الشيخ فحس الدين بن
قيم الجوزية ، ثم وقع في ذلك كلام فأنقض الخلال أن أهل المحلة ذهبوا إلى سوق الخليل يوم موكبه ،
وحملوا سناجق خليفتين من جامعهم ومصاحف واشتملوا إلى نائب السلطنة وسألوا منه أن تسير
الخطبة عندهم ، فأجابهم إلى ذلك في الساعة الرابعة ، ثم وقع نزاع في جواز ذلك ، ثم حكم القاضي
الحنبلي لهم بالاستمرار ، وجرت خطوط طويلة بعد ذلك .

وفي يوم الأحد سابع ربيع الآخر توفي الأمير الكبير سيف الدين ألجى بنا العادلي ، ودفن
بترجته التي كان أنشأها قديماً ظاهر باب الجابية ، وهي مشهورة تعرف به ، وكان له في الأمرة قريباً

من ستين سنة ، وقد كان أصابه في نوبة أرغون شاه وقضيته ضربة أصابت يده اليمنى ، واستمر مع ذلك على إمرته وتقدمت محترماً معظماً إلى أن توفي رحمة الله تعالى عليه .

﴿ ذكر أمر غريب جداً ﴾

لما ذهبت لتهنئة الأمير ناصر الدين ابن الألقوس بقبالة بملك وجئت هناك شاباً قد كرلى من حضر أن هذا هو الذى كان أنثى ثم ظهر له ذكر ، وقد كان أمره اشتهر ببلاد طرابلس ، وشاع بين الناس بدهش وقبح ذلك ، ونحدث الناس به ، فلما رأيته وعليه قمعة تركية استدعيت إلى رسالته بمحضرة من حضر ، فقالت له : كيف كان أمرك ؟ فاستحي وعلاه خجل يشبه النساء ، فقال : كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة ، وزوجتى بثلاثة أزواج لا يقدر على ، وكلمهم يطلق ثم اعترضنى حال غريب ففارت ثدياى وصغرت ، وجعل النوم يعتربنى ليلاً ونهاراً ، ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء قليل قليلاً ، ويزايد حتى برز شبه ذكر وأنثيان ، فسألته أهو كبير أم صغير ؟ فاستحي ثم ذكر أنه صغير بقدر الأصبع ، فسألته هل احلم ؟ فقال احلم مرتين منذ حصل له ذلك ، وكان له قريباً من ستة أشهر إلى حين آخرى ، وذكر أنه يحسن صنعة النساء كلها من الغزل والتطريز والزركش وغير ذلك ، فقالت له : ما كان اسمك وأنت على صفة النساء ؟ فقال : نفيسة ، فقلت : واليوم ؟ فقال عبد الله ، وذكر أنه ، لما حصل له هذا الحبل كتمه عن أهله حتى عن أبيه ، ثم عزموا على تزويجه على رابع قتل لأمه ، لأن الأمر ما صفته كيت وكيت ، فلما اطاع أهله على ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك ، وكتب بذلك محضراً واشتهر أمره ، فقدم دمشق ووقف بين يدي نائب السلطنة بدمشق ، فسأله فأخبره كما أخبرنى ، فأخذ المحاجب صيف الدين كحل بن ابن الألقوس عنده وألبسه ثياب الاجتاد ، وهو شاب حسن ، على وجهه وحنقه ومشيتة وحديثه أنوثة النساء ، فسبحان الفعال لما يشاء ، فهذا أمر لم يقع مثله في العالم إلا قليلاً جداً ، وعندى أن ذكره كان غائراً في جورة طبر فخرها ^(١) ثم لما باع ظهر قليلاً قليلاً ، حتى تكامل ظهوره فتبينوا أنه كان ذكرآ ، وذكر لى أن ذكره برز عتونا فسمى ختان القمر ، فهذا يوجد كثيراً والله أعلم .

وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رجب قدم الأمير عز الدين بقلية الدويدار من الديار الحلبية وخبر عما اتفق عليه الماسكر الحلبية من ذهابهم مع نائبهم ونواب تلك الحصون وعساكر خلف بن زلفار التركانى ، الذى كان أعلن يلبنا وذويه على خروجه على السلطان ، وقدم معه إلى دمشق وكان من أمره ما تقدم بسطه في السنة الماضية ، وأنهم نهبوا أمواله وحواصله ، وأسرأوا خلقاً من بنيته وذويه وحريمه ، وأن الجيش أخذ شيئاً كثيراً من الأغنام والأبقار والرقيق والدواب والامتنعة وغير ذلك ، وأنه لجأ إلى ابن أرطنا فاحتاط عليه واعتقله عنده ، وراسل السلطان بأمره ففرح الناس

راحة الجيش الحلبى وسلامته بعدما قاسوا شديداً وقبلاً كثيراً . وفى يوم الأربعاء ثالث عشره كان قدوم الأمراء الذين كانوا مسجونين بالإسكندرية من لدن عود السلطان إلى الديار المصرية ، ممن كان اتهم بمساعدة يلبغا أو أخيه منه ، كالأمير سيف الدين . لك أجبى ، وعلاء الدين على السيمقدار ، وساطملىس الجلالى ومن معهم .

وفى أول شهر رمضان اتفق أن جماعة من المفتين أقروا بأحد قولى العلماء ، وهما وجهان لأصحابنا الشافعية وهو جواز استعادة ما استهدم من الكنائس ، فتمصب عليهم قاضى القضاة تقي الدين السبكى فقررهم فى ذلك ومنعهم من الاقواء ، وصنف فى ذلك مصنفاً يتضمن المنع من ذلك سواء « الصنائس فى الكنائس » وفى خامس شهر رمضان قدم بالأمير أبو النادر التركمانى الذى كان مؤازراً ليلبغا فى العام الماضى دلى تلك الأفاعيل القبيحة ، وهو مضيق عليه ، فأحضر بين يدى النائب ثم أودع القلعة المنصورة فى هذا اليوم . (ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعمائة)

استهلت هذه السنة و السلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وما يتبع ذلك والحرمين الشريفين وما والاها من بلاد الحجاز وغيرها الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وهو ابن بنت تنكز نائب الشام ، وكان فى الدولة الناصرية ، وثاقبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى الناصرى ، ووزير القاضى موفق الدين ، وقضاة مصر المذكورون فى العام الماضى ، ومنهم قاضى القضاة عز الدين بن جماعة الشافى ، وقد جاور فى هذه السنة فى الحجاز الشريف ، والقاضى تاج الدين المناوى يسد المنصب عنه ، وكاتب السر القاضى علاء الدين ابن فضل الله المدوى ، ومديروا المملكة الأمراء الثلاثة سيف الدين شيخون ، وصرفهش الناصرى والأمير الكبير الدوادار عز الدين منغلطلى الناصرى . ودخلت هذه السنة والأمير سيف الدين شيخون فى الاحداث من مدة شهر أو قريب وثاقب دمشق الأمير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبلها ، ونظر الدواوين صاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وكاتب السر القاضى ناصر الدين بن الشرف يعقوب ، وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة ، وعقسه الشيخ علاء الدين الانصارى ، قريب الشيخ بهاء الدين بن إمام المشهد ، وهو مدرس الأميلية مكانه أيضاً .

وفى شهر ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين منغلطلى الذى كان مسجوناً بالإسكندرية ثم أفرج عنه ، وقد كان قبل ذلك هو الدولة ، وأمر بالسير إلى الشام ليكون عند حمزة أيتمش نائب طرابلس ، وأما منجك الذى كان وزيره بالديار المصرية وكان معتقلاً بالإسكندرية مع منغلطلى ، فانه صار إلى صفد مقبلاً بها بطلا ، كما أن منغلطلى أمر بالقيام بطرابلس بطلا إلى حين يحكم الله عز وجل

انتهى والله أعلم . ﴿ تادرة من الترائب ﴾

في يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق وهو يسب أول من ظلم آل محمد ، ويكر ذلك لا يفتر ، ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنائز الحاضرة ، على أن الناس في الصلاة ، وهو يكر ذلك ويرفع صوته به ، فلما فرغنا من الصلاة نهبت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنائز حاضر مع الناس . فجت إليه واستنطقته من الذي ظلم آل محمد ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، ثم قال جهره والناس يسمون : لمن الله أب بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ، فأعاد ذلك مرتين ، فأمر به الحاكم إلى السجن ، ثم استحضره المالكى وجهه بالسياط ، وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن ولا يصدر إلا عن شق ، وأسم هذا القمين على بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبيح الله أخراه ، ثم لما كان يوم الخميس سابع عشره عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هناك فقد رآه أن حكم نائب المالكى بقتله ، فأخذ سرياً فضرب عنقه تحت القلمة وحرقه العامة وطلفوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد نظرت هذا الجاهل بدار القاضى المالكى وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة الباطلة ، وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر أشياء في الكفر والزندقة ، قبيح الله وإيهم . وورد الكتاب بالزام أهل القعة بالشروط العمرية .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب الفرد قرئ بجامع دمشق بالمقصورة بمحضرة نائب السلطنة وأمرأه الأعراب ، وكبار الأمراء ، وأهل الحل والعقد والعمامة كتاب السلطان بالزام أهل القعة بالشروط العمرية وزادات آخر : منها أن لا يستخدموا في شيء من الهواوين السلطانية والأمراء ولا في شيء من الأشياء ، وأن لا تزيد عمالة أحدهم عن عشرة أذرع ولا يركبوا الخيل ولا البغال ولكن الجدير بالألف عرضاً ، وأن لا يدخلوا إلا بالسلامات من جرس أو بختام نحاس أصفر ، أو رصاص ، ولا تدخل نسأهم مع المسلمات الحمامات ، وليكن لمن حمامات تختص بهن ، وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق ، واليهودية من كتان أصفر ، وأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ، وأن يحكم حكم موارثهم على الأحكام الشرعية .

واحتقرت بأسورة باب الجابية في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة ، وعدم المسلمون تلك الاطبات والحواصل للناسفة من الباب الجوانى إلى الباب البرانى . وفي مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الامام العالم البارح شمس الدين - بن النقاش المصرى الشافعى - ورد دمشق بالجامع الاموى تجاه حراب الصحابة ، مباداً لودظ واجتمع عنده خلق من الأعيان والفضلاء والعمامة ، وشكروا كلامه وملاقة عبارته ، من غير تلثم ولا تخليط ولا توقف ، وطال ذلك إلى قريب المصر .

وفي صبيحة يوم الأحد ثالثه صلى بجامع دمشق بالصحن تحت الفسح على القاضى كمال الدين حسين ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكي الشافعى، ونائبه، وحضر نائب السلطنة الامير علاء الدين على، وقضاة البلد والأعيان والدولة وكثير من العامة، وكانت جنازته محسودة، وحضر والده قاضى القضاة وهو جهادى بين رجلين، فظهر عليه الحزن والسكابة، فعلى عليه إماما، وتأسف الناس عليه لسماحة أخلاقه وانجماعه على نفسه لا يتمدى شره إلى غيره، وكان يحكم جيدا نظيف المرض فى ذلك، وكان قد درس فى عدة مدارس، منها الشامية البرانية والمندراوية، وأفنى وقصر، وكانت لديه فضيلة جيدة بالنحو والفقه والفرائض وغير ذلك، ودفن بسفح قاسيون فى تربة مرفوعة لهم ربحهم الله. ﴿ عودة الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ﴾

وذلك يوم الاثنين ثالث شهر شوال اتفق جمهور الأمراء مع الامير شيخون وصرغتمش فى غيبة طاز فى الصيد على خاخ الملك الصالح صالح بن الناصر، وأمه بنت تنكز، وإعادة أخيه الملك الناصر حسن، وكان ذلك يومئذ وألزم الصالح بيته مضيقا عليه، وسلم إلى أمه خونة بنت الامير سيف الدين تنكز نائب الشام كان، وقطلبوطار، وأمسك أخوه سنم وأخو السلطان الصالح لأمه عمر بن أحمد بن بكتمر الساقى، ووقعت خبطة عظيمة بالديار المصرية، ومع هذا فلم يقل البريد إلى الشام وخبر البيعة إلا يوم الخميس الثالث عشر من هذا الشهر، قدم بسببها الامير عز الدين أيمنر الشمسى وباع النائب بعد ما خاخ عليه خلة سنية، والأمراء بدار السعادة على العادة، ودقت البشاروز بن البلد وخطب له الخطيب يوم الجمعة على المنبر بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والدولة وفى صبيحة يوم الخميس تاسع عشر شوال دخل دمشق الأمير سيف الدين طاز من الديار المصرية فى جماعة ونزل القصر الأبلق مع الامير عز الدين أيمنر فأقام أياما عديدة ثم صار إلى بلده بعد أيام. وفى صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين منه دخل الامير سيف الدين طاز من الديار المصرية فى جماعة من أصحابه مجتازا إلى نيابة حلب الحررة، فلقاه نائب السلطنة إلى قريب من جامع كريم الدين بالقبيبات، وشيعة إلى قريب من باب الفراديس، فسار ونزل بوطاة برزة فبات هناك، ثم أصبح غاديا وقد كان نظير الامير شيخون ولكن قوى عليه قيده إلى بلاد حلب، وهو محجب إلى العامة ملله من السعى المشكور فى أمور كبار كآتهم.

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة ﴾

استهل هذه السنة وسلطان الاسلام والمسلمين السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى عوليس بالديار المصرية نائب ولا وزير، وقضاةهم المذكورون فى التى قبلها، ونائب دمشق الأمير على الماردانى، والقضاة والحاجب والخطيب وكتب السرم

الذكورن في التي قبلها ، وثائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، وثائب طرابلس منجك ، وثائب حماة
استدمر الدر ، وثائب حمص الأمير شهاب الدين بن صبح ، وثائب حمص الأمير ناصر الدين
ابن الاقوس ، وثائب بعلبك الحاج كلل .

وفي يوم الاثنين تاسع صفر ملك الأمير أرغون السكالي الذي نلب بدمشق مدة ثم بعد ما
يحب ثم طلب إلى الديار المصرية حين ولها طاز ، فقبض عليه وأرسل إلى الاسكندرية معتقلا . وفي
يوم السبت من شهر صفر قدم تقليد قضاء الشافعية بدمشق وأعمالها لقاضي القضاة تاج الدين
عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، على قاعدة والده ، وذلك في حياة أبيه ، وذهبت
الناس للسلام عليه .

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر توجه قاضي القضاة تقي الدين
السبكي بعد استئلال ولده تاج الدين عبد الوهاب في قضاء القضاة ومشخة دار الحديث الاشرفية
مسافراً نحو الديار المصرية في محفة ، ومعه جماعة من أهله وذويه ، منهم سبطه القاضي بدر الدين بن
أبي الفتح وآخرون ، وقد كان الناس ودعوه قبل ذلك وعنده ضعف ، ومن الناس من يخاف عليه
وعشاء السفر مع الكبر والضعف .

ولما كان يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة صلى بعد الظهر على قاضي القضاة تقي الدين
ابن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي المصري الشافعي ، توفي بمصر ليلة الاثنين ثلثة ودفن
من صبيحة ذلك اليوم وقد أكل ثلاثا وتسعين سنة ، ودخل في الرابعة أشهر ، وولي الحكم بدمشق
نحواً من سبع عشرة سنة ، ثم نزل عن ذلك لولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، ثم رحل
في محفة إلى الديار المصرية كما ذكرنا ، ولما وصل مصر أقام دون الشهر ثم توفي كما ذكرنا ، وجاءت
النعزية ومرصوم باستقرار ولده في مدرسته بالمقوية والفقيرية ، وبشريف تطيبا لقلبه ، وذهب
الناس إلى تعزيتة على العادة ، وقد سمع قاضي القضاة السبكي الحديث في شببته بديار مصر ، ورحل إلى
الشام فقرأ بنفسه وكتب وخرج ، وله تصانيف كثيرة منقشرة كثيرة الثائلة ، وما زال في مدة
القضاء يصنف ويكتب إلى حين وفاته ، وكان كثير التلاوة ، وذكر لي أنه كان يقوم من الليل رحمه الله
وفي شهر جمادى الأولى من هذه السنة اشتهر أخذ الفرنج المندولين لمدينة طرابلس المغرب ،
وقرأت من كتاب لقاضي قضاء المالكية أن أخذهم إليها كان ليلة الجمعة مستهل ربيع الاول من
هذه السنة ، ثم بعد خمسة عشر يوما استمادها المسلمون وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا أولا من المسلمين
وقه الحمد والمنة . وأرسل الدولة إلى الشام يطلبون من أموال أوقاف الأسارى ما يستقنون به من
بق في أيديهم من المسلمين . وفي يوم الاربعاء حادى عشر رجب الفرد من هذه السنة حكم القاضي المالكي

وهو قاضى القضاة جمال الدين المسلاتى بقتل نصرانى من قرية الرأس من معاملة بعلبك ، اسمه داود بن سالم ، ثبت عليه بمجلس الحكم فى بعلبك أنه اعترف بما شهد عليه أحمد بن نور الدين على بن غازى من قرية البوق من الكلام الذى نال به من رسول الله ﷺ ، وسبه وقذفه بكلام لا يليق ذكره ، فقتل منه الله يومئذ بعد أذان العصر بسوق الخليل وحرقة الناس وشق الله صدور قوم مؤمنين بالله الحيوانة وفى صبيحة يوم الأحد رابع عشر شعبان درس القاضى بهاء الدين : البقاء السبكي بالمدرسة القيمرية نزل له عنها ابن عمه قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن تميم نقضه على الدين السبكي وحضر عنده القضاة والاعيان ، وأخذ فى قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم) لأنهم خصامه) وصلى فى هذا اليوم بعد الظهر على الشيخ انشاب الفاضل المحصل جمال الدين عبد الله بن العلامة قمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلى ، ودفن عند أبيه بمقابر باب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، وكانت لديه علوم جيدة ، وزنه حاضر خارق ، أفق ودرس وأعاد وأظفر وحج مرات عديدة رحمه الله ويل بالرحمة تراه .

وفى يوم الاثنين تاسع عشر شوال وقع حريق هائل فى سوق التطنطين بالنهار ، وذهب إليه نائب السلطنة والحجبة والقضاة حتى اجتهد الفعول والمتبرعون فى إخماده وطفئوه ، حتى سكن شره وذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جداً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد رأيت من الغد والنار كما هى عمالة والدمخان صاعد والناس يعافونه بالله الكثير الغمر والنار لا تنفد ، لكن همت الجدران وغربت المساكن وانتقل السكان انتهى والله أعلم .

(ثم دخلت سنة صيغ وخمسين وسبعمائة)

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصلحى ، ولا نائب ولا وزير بمصر ، وإنما يرجع تدبير المملكة إلى الأمير سيف الدين شيخون ، ثم الأمير سيف الدين صرغتمش ، ثم الأمير عز الدين منلقاى الدوايدار ، وقضاة مصر المذكورون فى التقيها سوى الشافى فانه من المتوفى قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، وطرابلس الأمير سيف الدين منجك ، وبغداد الأمير شهاب الدين بن صيغ ، وبحمزة أيدمر الممرى ، وبمحصى علاء الدين بن المعظم ، وببعلبك الأمير ناصر الدين الأتقوس .

وفى الشهر الأول من ربيع الأول تكامل إصلاح بلاط الجامع الأموى وغسل فصوص المقصورة والقبه ، وبسط بسطا حسنا ، وبقيض أطباق القناديل ، وأضاء حله جداً ، وكان

المستحث على ذلك الأمير علاء الدين أيدغش أحد أمراء الطليخانقات ، بمرسوم نائب السلطنة له في ذلك .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة صلى على الأمير سيف الدين براق أمير أرجو بجامع تنكز ، ودفن بتقابر الصوفية ، وكان مشكور السيرة كثير الصلاة والصدقة محباً للخير وأهله ، من أكبر أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى . وقد رسم لولديه ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر كل منهما بمشرة أرماع ، ولناصر الدين بمكان أبيه في الوظيفة باصطبل السلطان . وفي يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى خلع على الأميرين الآخرين ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر ولدى الأمير سيف الدين براق رحمه الله تعالى ، بأمرين عشرين . ووقع في هذا الشهر نزاع بين الحنابلة في مسألة المناقاة ، وكان ابن قاضي الجبل الحنبلي يحكم بالمناقاة في قرار دار الأمير سيف الدين طيمر الامبا عيسى حاجب الحجلب إلى أرض أخرى يجعلها وقفاً على ما كانت قرار داره عليه ، فضل ذلك بطريقه وفنذ القضاء الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي ، فنضب القاضي الحنبلي وهو قاضي القضاء جمال الدين المرادوى المقدسى من ذلك ، وعقد بسبب ذلك مجالس ، وتناول الكلام فيه ، وادعى كثير منهم أن مذهب الامام أحمد في المناقاة إنما هو في حال الضرورة ، وحيث لا يمكن الانتفاع بالموقوف ، فاما المناقاة لمجرد المصلحة والمنفعة الراجحة فلا ، وامتنعوا من قبول ما قرره الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ، ونقله عن الامام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنه صالح وحرب وأبي داود وغيرهم ، أنها تجوز للمصلحة الراجحة ، وصنف في ذلك مسألة مفردة وقفت عليها . يعنى الشيخ عماد الدين ابن كثير - فرأيتها في غاية الحسن والافادة ، بحيث لا يتخالف من اطاع عليها ممن ينوق طعم الفقه أنها مذهب الامام أحمد رحمه الله ، فقد احتج أحمد في ذلك في رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن عوف عن المسعودي عن القاسم بن محمد أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن يحول المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق التمارين ، ويجعل السوق في مكان المسجد الجامع العتيق ، فضل ذلك ، فهذا فيه أوضح دلالة على ما استدلل به فيها من النقل بمجرد المصلحة فانه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقاً ، على أن الاسناد فيه اقطاع بين القاسم وبين عمر وبين القاسم وابن مسعود ، ولكن قد جزم به صاحب المنهـب ، واحتج به ، وهو ظاهر واضح في ذلك ، فقد المجلس في يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر .

وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق عظيم ظاهر باب الفرج احترق فيه بسببه قيسير كثيرة لطلز وبلنغا ، وقيسرية الطواشي لبنت تنكز ، وأخر كثيرة ودور ودكاكين ، وذهب للناس شيء كثير من الأمتعة والنحاس والبضائع وغير ذلك ، مما يقاوم ألف

ألف وأكثر خارجاً عن الأموال ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وقد ذكر كثير من الناس أنه كان في هذه القياسير شر كثير من الفسق والربا والزغل وغير ذلك .

وفي السابع والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بأن الفرنج لهم الله استحوذوا على مدينة صفد : فدموا في سبعة مراكب وقتلوا طائفة من أهلها ونهبوا شيئاً كثيراً وأسروا أيضاً ، وهجموا على الناس وقت الفجر يوم الجمعة ، وقد قتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً وكسروا مركبا من مرابكهم ، وجاء الفرنج في عشية السبت قبل العصر وقدم الوالى وهو جريح منقل ، وأمر نائب السلطنة عند ذلك بتجهيز الجيش إلى تلك الناحية فصاروا تلك الليلة والله الحمد ، وقدمهم حاجب الحجاب وتجهز إليهم نائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبيح ، فسبق الجيش دمشق ، ووجد الفرنج قد برزوا بما غنموا من الأمتعة والأسارى إلى جزيرة تلقاه صيدا في البحر ، وقد أسر المسلمون منهم في المعركة شيعةً وشاباً من أبناء أشراقهم ، وهو الذى عاقبهم عن الذهاب ، فراسلهم الجيش في انضكك الاسارى من أيديهم فبادرهم عن كل رأس بمئة مائة فأخذوا من ديوان الاسارى مبلغ ثلاثين ألفاً ، ولم يبق معهم والله الحمد أحد . واستمر الصبي من الفرنج مع المسلمين ، وأسلم ودفع إليهم الشيخ الجريح ، وعطش الفرنج عطشاً شديداً ، وأرادوا أن يرووا من نهر هناك فبادرهم الجيش إليه فغنمهم أن ينالوا منه قطرة واحدة ، فرحلوا ليلة الثلاثاء منفردين بما معهم من الغنائم ، وبعثت رؤس جماعة من الفرنج بمن قتل في المعركة فنصبت على القلعة بدمشق ، وجاء الخبر في هذا الوقت بأن إنسان قد أحاط بها الفرنج ، وقد أخذوا الربيض وهم محاصرون القلعة ، وفيها نائب البلد ، وذكروا أنهم قتلوا خلقاً كثيراً من أهلها فأن الله وإنا إليه راجعون ، وذهب صاحب حلب في جيش كثيف فحوم والله المسئول أن يظفرهم بهم بحوله وقوته ، وشاع بين العامة أيضاً أن الاسكندرية محاصرة ولم يتحقق ذلك إلى الآن ، والله المستعان . وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رؤس من قتلى الفرنج على صيدا ، وهى بضع وثلاثون رأساً ، فنصبت على شراطات القلعة ففرح المسلمون بذلك والله الحمد وفي ليلة الأربعاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وقع حريق عظيم داخل باب الصغير من مطبخ السكر الذى عند السويقة الملاصقة لمسجد الشناشين ، فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبى نصر ، واتصل بالسويقة المذكورة وما هناك من الأمكنة ، فكان قريباً أو أكثر من الحريق ظاهر باب الفرج فأن الله وإنا إليه راجعون ، وحضر نائب السلطنة ، وذلك أنه كان وقت صلاة المشاء ، ولكن كان الريح قويا ، وذلك بتقدير العزيز العليم .

وتوفى الشيخ عز الدين محمد بن إسماعيل بن عمر الجوى أحد مشايخ الرواة في ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، وصلى عليه من التند بالجامع الأموى بعد الظهر ، ودفن بمقابر

باب الصغير ، وكان مولده في ثاني ربيع الأول سنة ثمانين وستائة ، فجمع الكثير وتفرد بالرواية عن جماعة في آخر عمره ، واقطع بموته سماع السنن الكبير للبيهقي ، رحمه الله .

ووقع حريق عظيم ليلة الجمعة خلدس عشر رجب بمحلة الصالحية من سفح قاسيون ، فاحترق السوق القليل من جامع الخبابة بكماله شرقا وغربا ، وجنوبا وشمالا ، فانا لله ، وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذي أنشأه سيف الدين بلبغا الناصري غربي سوق الخليل وفتح في هذا اليوم وجاء في غاية الحسن والبهاء ، وخطب الشيخ ناصر الدين بن الربوة الحنفي ، وكان قد فازعه فيه الشيخ فحس الدين الشافعي الموصل ، وأظهر ولاية من وافقه بلبغا المذكور ، ومراسم شريفة سلطانية ، ولكن قد قوى عليه ابن الربوة بسبب أنه نائب عن الشيخ قوام الدين الاتقاني الحنفي ، وهو مقيم بمصر ، ومعه ولاية من السلطان متأخرة عن ولاية الموصل ، فرسم لابن الربوة ، فلبس يومئذ الخامة السوداء من دار السعادة وجازوا بين يديه بالسناجق السود الخليفة ، والمؤذنون يكبرون على المائدة ، وخطب يومئذ خطبة حسنة أكثرها في فضائل القرآن ، وقرأ في المحراب بأول سورة طه ، وحضر كثير من الأمراء والعامة والخاصة ، وبعض القضاة ، وكان يوما مشهودا ، وكنت ممن حضر قريبا منه . والسبب أني وقعت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابلس وفيه : والمخدوم يعرف الشيخ عماد الدين بما جرى في بلاد السواحل من الحريق من بلاد طرابلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان ، أحرق الجبال كلها ومات الوحوش كلها مثل النمر والهدب والنملب والخنزير من الحريق ، ما بقي للوحوش موضع يهربون فيه ، وبقي الحريق عليه أياما وهرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار واحترق زيتون كثير ، فلما نزل المطر أطفأه بأذن الله تعالى - يعني الذي وقع في تشرين وذلك في ذي القعدة من هذه السنة - قال ومن العجب أن ورقة من شجرة وقعت في بيت من مسكنه فأحترق جميع ما فيه من الأثاث والكتيب وغير ذلك ومن حلية حرر كثير ، وغالب هذه البلاد للدرزية والرافضة . قتلته من خط كاتبه محمد بن بلبغا إلى صاحبه ، وهما عندي بقبان فيالله العجب .

وفي هذا الشهر - يعني ذي القعدة - وقع بين الشيخ إسماعيل بن العز الحنفي وبين أصحابه من الحنفية مناقشة بسبب اعتدائه على بعض الناس في محادثة ، فأقتضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كمثل المتمرد عندهم ، فلما لم يحضر فيها حكم عليه القاضي شهاب الدين الكفري نائب الحنفي بإسقاط عدالته ، ثم ظهر خبره بأنه قصد بلاد مصر ، فأرسل النائب في أثره من يرده فعنفه ، ثم أطلقه إلى منزله ، وشاع فيه قاضي القضاة الحنفي فاستحسن ذلك والله الحمد والمنة .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعائة

استأنت ... الخليفة أمير المؤمنين المنضد بالله أبو بكر بن المستنكى بالله أبي الريح

سليمان المباسي ، وسليطان الاسلام بالدير المصرية وما يتبعها وبالبلاذ الشامية وما والاها والحرمين الشريفين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى وليس له بمصر نائب ولا وزير ، وإنما ترجع الأمور إصداراً وإيراداً إلى الأميرين الكبيرين سيف الدين شيخون وصرغتمش الناصريين ، وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين أمير على المرداني ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها انتهى .

﴿ كائنة غريبة جداً ﴾

لما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة نهدت جماعة من مجاورى الجامع بدمشق من مشهد على وغيره ، واتبعهم جماعة من الفقراء والمغاربة ، وجأوا إلى أما كن متهمه بالخر وبيع الحشيش فكسروا أشياء كثيرة من أواني الحجر ، وأراقوا مافيا وأتلفوا شيئاً كثيراً من الحشيش وغيره ، ثم انتقلوا إلى حكر السلق وغيرهم فنار عليهم من البارذارية والكلابرية وغيرهم من الرعاع فتناوشوا ، وضربت عليهم ضربات بالأيدي وغيرهم ، وربما سمل بعض الفساق السيوف عليهم كما ذكر ، وقد رسم ملك الأمراء لوالى المدينة والى البر أن يكونوا عضداً لهم وعوناً على الحجارين والحشاشة ، فنصروهم عليهم ، غير أنه كثرت منهم الضحيج ونصبوا راية واجتمع عليهم خلق كثير ، ولما كان في أواخر التهار تقدم جماعة من النقباء والخزاندارية ومعهم جنازير فأخذوا جماعة من مجاورى الجامع وضربوا بالمقارع وطيف بهم في البلد فادوا عليهم : هذا جزء من يتعرض لما لا ينبغي تحت علم السلطان ، فتعجب الناس من ذلك وأنكروه حتى أنه أنكر اثنتان من العامة على المناداة فضرب بعض الجند أحدهم بدبوس قتله ، وضرب الآخر فيقال إنه مات أيضاً فأنقذه وإنا إليه راجعون .

وفي شعبان من هذه السنة حكى عن جارية من عتيقات الأمير سيف الدين تمر المهندار أنها حملت قريباً من سبعين يوماً ، ثم شرعت تلوح مافي بطها فوضعت في قرب من أربعين يوماً في أيام متتالية ومتفرقة أربع عشرة بنتاً وصبياً بعدهن قل من يعرف شكل الذكر من الأنثى .
وجاء الخبر بأن الأمير سيف الدين شيخون مدير الممالك بالدير المصرية والشامية نظف عليه مملوك من ممالك السلطان فضر به بالسيف ضربات فخرجه في أما كن في جسده ، منها ما هو في وجهه ومنها ما هو في يده ، فحمل إلى منزله صريعاً طريحاً جريحاً ، وغضب لذلك طوائف من الأمراء حتى قيل إنهم ركبوا ودعوا إلى المبارزة فلم يجي إليهم وعظم الخطب بذلك جدا وانهموا به الأمير سيف الدين صرغتمش وغيره ، وأن هذا إنما فعل عن عمالة منهم فأنقذه أعلم .

﴿ وفاة أرغون السكائي باقى اليبارسىان مجلب ﴾

كانت وفاته بالقنس الشريف فى يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من هذه السنة ، ودفن بقرية أنشأها غربى المسجد بشماله ، وقد ناب بدمشق مدة بعد حلب ، ثم جرت الكائنة التى أسلمها بلبنا قبحة الله فى أيامه ، ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالاسكندرية مدة ، ثم أفرج عنه فأقام بالقنس الشريف إلى أن كانت وفاته كما ذكرنا فى التاريخ المذكور عزره الشريف ابن زريك والله أعلم .

﴿ وفاة الأمير شيخون ﴾

ورد الخبر من الديار المصرية وفاة الأمير شيخون ليلة الجمعة السادس والعشرين من ذى القعدة ودفن من القند بقرينته ، وقد أبقي مدرسة هائلة وجعل فيها المذاهب الأربعة ودار للحديث وخطابه للصوفية ، ووقف عليها شيئاً كثيراً ، وقرر فيها معالم وقراءة دار ، وترك أموالاً جزية وحواصل كثيرة ودواوين فى سائر البلاد المصرية والشامية ، وخلف بنات وزوجة ، وورث البقية أولاد السلطان المذكور بالولاء ، ومسلك بعد وفاته أمراء كثيرون بمصر كانوا من حزبه ، من أشهرهم عز الدين بقطاى والدودار وابن قوصون وأمه أخت السلطان خاف عليها شيخون بعد قوصون انتهى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعائة ﴾

استمرت هذه السنة وساطحان الاسلام بالبلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين ومايتبع ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى ، وقد قوى جانبه وحاشيته بموت الأمير شيخون كما ذكرنا فى السادس عشر من ذى القعدة من السنة الماضية ، وصار إليه من ميراثه من زهرة الحياة شئ كثير من القناطير المقتطعة من الذهب والفضة والخليل المسومة والألغام والحراث ، وكذلك من المالك والأصاحبة والعدة والبرك والمتاجر مايشق حصره ويتمنذر إحصاؤه ها هنا ، وليس فى الديار المصرية فيما لبثنا إلى الآن نائب ولا وزير ، والقضاة هم المذكورون فى التى قبلها ، وأما دمشق فنائبها وقضاها هم المذكورون فى التى قبلها سوى الخنى فانه قاضى القضاة شرف الدين الكفرى ، عوضاً عن نجم الدين الطوسى . توفى فى شعبان من السنة الماضية ، ونائب حلب سيف الدين طاز ، وطرابلس منجك ، وحماة استدعاهمصرى ، وصفندشهاب الدين بن صبح ، وبمصر صلاح الدين خليل بن خاض برك ، وببعلبك ناصر الدين الأثوس .

وفى صبيحة يوم الاثنين رابع عشر المحرم خرجت أربعة آلاف مع أربع مقدمين إلى ناحية حلب فصرة لجيش حلب على مسك طاز إن امتنع من السلطنة كما أمر ، ولما كان يوم الحادى والعشرين من المحرم نادى المنادى من جهة نائب السلطنة أن يركب من بقى من الجند فى الحديد ويوافوه إلى سوق الخليل ، فركب معهم قاصداً ناحية قنية العقاب ليجتمع الأمير طاز من دخول البلاد ، لما تحقق

بجيشه في جيشه قاصداً إلى الهيار المصرية ، فارتفع الناس لذلك وأُخليت دار السمادة من الحواصل
 والحريم إلى القلعة ، وتحصن كثير من الأمراء بدورهم داخل البلد ، وأغلق باب النصر ، فاستوحش
 الناس من ذلك بعض الشيء ، ثم غلقت أبواب البلد كلها إلا بابي الفراديس والفروج ، وباب الجابية
 أيضاً لأجل دخول الحجاج ، ودخل المحمل صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم ولم يشعر
 به كثير من الناس لشغلهم بما هم فيه من أمر طاز ، وأمر العشير بحوران ، وجاء الخبر بمسك الأمير
 سيف الدين طيهر الحاجب الكبير بأرض حوران وسجنه بقلعة صرخد ، وجاء سيفه صحبة الأمير
 جمال الدين الحاجب ، فذهب به إلى الوطاق عند الثنية ، وقد وصل طاز بمنجونه إلى باب القטיפعة
 وتلقى شاليشه بشاليش نائب الشام ، ولم يكن منهم قتال وقته الحمد ، ثم ترأس هو والنائب في الصلح
 على أن يسلم طاز نفسه وبركب في عشرة سروج إلى السلطان وينسلخ مما هو فيه ، ويكتب فيه
 النائب وتلطفوا بأمره عند السلطان وبكل ما يقدر عليه ، فأجاب إلى ذلك وأرسل يطلب من يشهده
 على وصيته ، فأرسل إليه نائب السلطنة القاضي شهاب الدين قاضي السكر ، فذهب إليه فأوصى لولده وأم
 ولده ولوالده نفسه ، وجعل الناظر على وصيته الأمير علاء الدين أمير على المارداني نائب السلطنة ، والأمير
 صرغتمش ، ورجع النائب من الثنية عشية يوم السبت بين المشاء من الرابع والعشرين منه وتضاعفت
 الأدعية له وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ودعوا إلى الأمير طاز بسبب إجابته إلى السم
 والطاعة ، وعدم مقاتلته مع كثرة من كان معه من الجيوش ، وقوة من كان يحرضه على ذلك من أخويه
 وذويه ، وقد اجتمعت بنائب السلطنة الأمير علاء الدين أمير على المارداني فأخبرني بمخلص ما وقع منذ
 خرج إلى أن رجع ، ومضمون كلامه أن الله لطف بالمسلمين لطفاً عظيماً ، إذ لم يقع بينهم قتال ، فانه
 قال : لما وصل طاز إلى القטיפعة وقد نزلنا نحن بالقرب من خان لاجين أرسلت إليه مملوكاً من ممالك
 أقول له : إن المرسوم الشريف قد ورد بذهابك إلى الهيار المصرية في عشرة سروج فقط ، فإذا جئت
 هكذا فأهلاً وسهلاً ، وإن لم تغفل فأنت أصل الفتنة . وركبت ليلة الجمعة طول الليل في الجيش وهو
 ملبس فرجع مملوكي ومعه مملوكه مريما يقول : إنه يسأل أن يدخل يطلبه كما خرج يطلبه من مصر ، فقلت
 لاسبيل إلى ذلك إلا في عشرة سروج كما رسم السلطان ، فرجع وجاءني الأمير الذي جاء من مصر
 يطلبه فقال : إنه يطلب منك أن تدخل في ممالكه فإذا جاوز دمشق إلى السكوة نزل جيشه هناك
 وركب هو في عشرة سروج كما رسم . فقلت : لاسبيل إلى أن يدخل دمشق ويتجاوز يطلبه أصلاً ،
 وإن كان عنده خيل ورجال وعدة فنعدي أضاعف ذلك ، فقال لي الأمير : ياخوند لا يكون تنسى
 قيمته ، قلت لابقع إلا ما نسمع ، فرجع فاهو إلا أن ساق مقدار رمية سهم وجاء بعض الجواسيس
 الذين لنا عندهم قتال ياخوندها قد وصل جيش حماة وطرابلس ، ومن مهم من جيش دمشق

الذين كانوا قد خرجوا بسببه ، وقد اتفقوا م وهو . قال فحينئذ ركب في الجيش وأرسلت طليعتين أمامي وقلت تراءوا للجيش الذين جاؤا حتى يروكم فيملوا أنا قد أحطنا بهم من كل جانب . فحينئذ جاءت البرد من جهته بطلب الامان ويجهرون بالاجابة إلى أن يركب في عشرة سروج ، ويفرك طلبه بالقطيفة ، وذلك يوم الجمعة ، فلما كان الليل ركب أنا والجيش في السلاح طول الليل وخشيت أن تكون مكيدة وخديعة ، فجاهتنا الجواسيس فأخبرونا أنهم قد أوقدوا نشابهم ورماحهم وكثيراً من سلاحهم ، فتحققنا عند ذلك طاعته وإجابته ، لسكل مارسه به ، فلما أصبح يوم السبت وصى وركب في عشرة سروج وسار نحو الديار المصرية وقه الحمد والمنة .

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر دخل حاجب الحجاب الذي كان صجناً في قلعة صرخد مع البريدي الذي قدم بسببه من الديار المصرية ، وتلقاه جماعة من الأمراء والكبراء ، وتصديق بصدقات كثيرة في داره ، وفرحوا به فرحاً شديداً ، وهو والناس يقولون إنه ذهب إلى الديار المصرية معظماً مكرماً على مقدمة ألف ووظائف هناك ، فلما كان يوم الخميس السابع والعشرين منه لم ينجأ الناس إلا وقد دخل القلعة المنصورة معتقلاً بها مضيئاً عليه ، فتعجب الناس من هذه الفرحة من تلك الفرحة فما شاء الله كان .

وفي يوم الأربعاء رابع ربيع الأول عقد مجلس بسبب الحجاب بالشهد من الجامع . وفي يوم الخميس أحضر الحجاب من القلعة إلى دار الحديث ، واجتمع القضاة هناك بسبب دعاوى يطلبون منه حق بعضهم ، ثم لما كان يوم الاثنين تأسسه قدم من الديار المصرية مقدم البريدي بطلب الحجاب المذكور ، فأخرج من القلعة السلطانية وجاء إلى نائب السلطنة قبل قدمه ، ثم خرج إلى منزله وركب من يومه قاصداً إلى الديار المصرية مكرماً ، وخرج بين يديه خلق من العوام والحرافيش يدعون له ، وهذا أغرب ما أرى ، فهذا الرجل قاله شدة عظيمة بسبب سجنه بصرخد ، ثم أفرج عنه ، ثم حبس في قلعة دمشق ثم أفرج عنه ، وذلك كله في نحو شهر .

ثم جاءت الأخبار في يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى بعزل نائب السلطنة عن دمشق فلم يركب في الموكب يوم الاثنين ، ولا حضر في دار العدل ، ثم تحققت الأخبار بذلك وبذهابه إلى نيابة حلب ، وجمي نائب حلب إلى دمشق ، فتأسف كثير من الناس عليه لذيائته وجوده وحسن معاملته لأهل العلم ، ولكن حاشيته لا ينفذون أوامره ، فتولد بسبب ذلك فساد عريض وحموا كثيراً من البلاد ، فوقت الحروب بين أهلها بسبب ذلك ، وهاجت المشيرات فأن الله وإنا إليه راجعون وفي صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين خرج الأمير على المارداني من دمشق في طلبه مستعجلاً في أبهة النبابة ، قاصداً إلى حلب المحروسة ، وقد ضرب وطاقه بوطاة برزة ، فخرج الناس لتفريج

على طلبه . وفي هذا اليوم بعد خروج النائب بقليل دخل الأمير سيف الدين طيغر الحاجب من الديار المصرية عائداً إلى وظيفة الحجوبية في أبهة عظيمة ، وتلقاه الناس بالشموع ، ودعوا له ، ثم ركب من يومه إلى خدمة ملك الأمراء إلى وطأة برزة ، فقبل يده وخلع عليه الأمراء ، واصططحوا ، انتهى والله أعلم ﴿ دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق المحروسة ﴾

كان ذلك في صبيحة يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من ناحية حلب وبين يديه الأمراء والجيش على العادة ، وأوقعت الشموع وخرج الناس ومنهم من بات على الأسطحة وكان يوما هائلا .

وفي أواخر شهر رجب برز نائب السلطنة إلى الربوة وأحضر القضاة وولاة الأمور ورسم باحضار المفتين . وكنت فيمن طلب يومئذ إلى الربوة فركبت إليها . وكان نائب السلطنة عزم يومئذ على تخريب المنازل المبنية بالربوة وغلق الحمام من أجل هذه فيما ذكر أنها بنيت ليقضى فيها ، وهذا الحمام أوصاه صائرة إلى النهر الذي يشرب منه الناس ، فحقق الحال في آخر الأمر على إبقاء المساكن ورد المرتفعات المسطرة على نوره وناس ، ويترك ما هو مسلط على بردى ، فانكشف انناس عن الذهاب إلى الربوة بالكلية ، ورسم يومئذ بتضييق أحكام النساء وأن تزال الاجراس والركب عن الجبر التي للمكارية .

وفي أوائل شهر شعبان ركب نائب السلطنة يوم الجمعة بعد العصر ليقف على الحائط الزهري الذي بالحربية ، فخاف أهل الأسواق وغتوا دكا كيتم عن آخرهم ، واعتقدوا أن نائب السلطنة أمر بذلك ، فغضب من ذلك وتصل منه ، ثم إنه أمر بهم الحائط المذكور ، وأن ينقل إلى العمارة التي استجدها خارج باب النهر في دار الصناعة التي إلى جانب دار العمل ، أمر ببنائها خاناً وقلعت تلك الأحجار إليها ، انتهى والله أعلم .

﴿ عزل القضاة الثلاثة بدمشق المحروسة ﴾

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم من الديار المصرية بريدى ومعه تذكرة . ورقة . فيها السلام على القضاة المستجدين ، وأخبر بعزل القاضي الشافعى والحنفى والمالكي ، وأنه ولي قضاء الشافعية القاضي بهاء الدين أبو البقا السبكى ، وقضاء الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج الحنفى وذهب الناس إلى السلام عليهم والتهنئة لهم واحتفلوا بذلك ، وأخبروا أن القاضي المالكي سيقيم من الديار المصرية ، ولما كان يوم السبت السابع والعشرين من شعبان وصل البريد من الديار المصرية ومعه تقليدان وخامتان لقاضى الشافعى والقاضى الحنفى ، فلبسا الخلعين وجاءا من دار السعادة إلى الجامع الأموى ، وجلسا في عراب المقصورة ، وقرأ تقليد قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء

الشافعي ، الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث على السنة تجاه الحراب ، وقرأ تقليد قاضي القضاة جمال الدين بن السراج الحنفي الشيخ عماد الدين بن السراج المحدث أيضا على السنة ، ثم حكاه هناك ، ثم جاء أيضا إلى النزالية فدرس بها قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء ، وجلس الحنفي إلى جانبه عن يمينه ، وحضرت عنده فأخذ في صيام يوم الشك ، ثم جاعه إلى المدرسة النورية فدرس بها قاضي القضاة جمال الدين المذكور ، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ، وذكروا أنه أخذ في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) الآية . ثم انصرف بهاء الدين إلى المدرسة المالكية الكبيرة فدرس بها قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) الآية . وفي صبيحة يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان دخل القاضي المالكي من الديار المصرية فلبس الخلع يومئذ ودخل المقصورة من الجامع الأموي وقرأ تقليده هناك بمحاضرة القضاة والأعيان ، قرأه الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث ، وهو قاضي القضاة شرف الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن عسكر العراقي البغدادي ، قدم الشام مراراً ثم استوطن الديار المصرية بعد ما حكم بيقاد نيابة عن قطب الدين الأيوبي ، ودرس بالمستنصرية بعد أبيه ، وحكم بدمياط أيضاً ثم نقل إلى قضاء المالكية بدمشق وهو شيخ حسن كثير التودد ومسدد العبارة حسن البشر عند اللقاء ، مشكور في مباشرته عفة وزاهة وكرم ، الله يوفقه ويسدده .

﴿ مسك الأمير صرغتمش آتاك الأحرار بالديار المصرية ﴾

ورد الخبر إلينا بمسكه يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان هذا ، وأنه قبض عليه بمحضرة السلطان يوم الاثنين العشرين منه ، ثم اختلفت الرواية عن قتله غير أنه احتيط على حواصله وأمواله ، وصودر أصحابه وأتباعه ، فكان فيمن ضرب وعصرت تحت المصادرة القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار ، واشتهر أنه مات تحت العقوبة ، وقد كان مقصداً للواردين إلى الديار المصرية ، لاسيما أهل بلدة دمشق ، وقد باشر عدة وظائف ، وكان في آخر عمره قد فوض إليه نظر جميع الأوقاف ببلاد السلطان ، وتكلم في أمر الجامع الأموي وغيره ، فحصل بسبب ذلك قطع أرزاق جماعات من الكتبة وغيرهم ، ومالاً الأمير صرغتمش في أمور كثيرة خاصة وعامة ، فهلك بسببه ، وقد قارب الثمانين ، انتهى .

﴿ إعادة القضاة ﴾

وقد كان صرغتمش عزل القضاة الثلاثة بدمشق ، وهم الشافعي والحنفي والمالكي كما تقدم ، وعزل قبلهم ابن جماعة وولي ابن عقيل ، فلما مسك صرغتمش رسم السلطان بإعادة القضاة على ما كانوا عليه ، ولما ورد الخبر بذلك إلى دمشق امتنع القضاة الثلاثة من الحكم ، غير أنهم حضروا ليلة العيد لروية

الحلال بالجامع الأموى ، وذكروا مع النائب صبيحة العيد إلى المصلى على عادة القضاة ، وهم على وجل ، وقد انتقلوا من مدارس الحكم فرجع قاضى القضاة أبو البقاء الشافى إلى بستانه بالزعرورية ، ورجع قاضى القضاة ابن السراج إلى داره بالتمديد ، وأرجل قاضى القضاة شرف الدين المالكي إلى الصلحية داخل المصصامية ، وتالم كثير من الناس بسببه ، لأنه قد قدم غريمان الديار المصرية وهو فقير ومتمدين ، وقد باشر الحكم جيداً ، ثم تبين بآخرة أنه لم يعزل وأنه مستمر كما سئله ، وفرح أصحابه وأحبابه ، وكثير من الناس بذلك . فلما كان يوم الأحد رابع شوال قدم البريد ومحبته تقليد الشافى قاضى القضاة تاج الدين ابن السبكي ، وتقليد الحنفى قاضى القضاة شرف الدين الكفرى واستمر قاضى القضاة شرف الدين المالكي المراقى على قضاء المالكية ، لأن السلطان تذكر أنه كان شافيه بولاية القضاء بالشام ، وسيره بين يديه إلى دمشق ، فخدمت سيرته كما حسنت سيرته . إن شاء الله ، وفرح الناس له بذلك .

وفى ذى القعدة توفى المحدث شمس الدين محمد بن سعد الحنبلى يوم الاثنين ثلثه ، ودفن من القند بالسفح ، وقد قارب الستين ، وكتب كثيراً وخرج ، وكانت له معرفة جيدة بأسماء الأحرار ورواياتهم الشيوخ المتأخرين ، وقد كتب للحافظ البرزالى قطعة كبيرة من مشايخه ، وخرج له عن كل حديثنا أو أكثر ، وأثبت له ما سمعه عن كل منهم ، ولم يتم حتى توفى البرزالى رحمه الله .

وتوفى بهاء الدين ابن المرجانى باني جامع القوقاني ، وكان مسجداً في الأصل فيناه جامعاً . وجمل فيه خطبة ، وكانت أول من خطب فيه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة : وسمع شيئاً من الحديث . وبلغنا مقتل الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى بن مهنا أحد أمراء الاعراب الأجواد الأنجاد وقد ولي إمرة آل مهنا غير مرة كما ولها أبوه من قبله : عدا عليه بعض بني عمه فقتله عن غير قصد بقتله ، كما ذكر ، لكن لما حمل عليه السيف أراد أن يدفع عن نفسه وبنته فضر به بالسيف برأسه فقلعه فلم يش بعده إلا أليماً قلائل ومات رحمه الله انتهى .

﴿ عزل منجك عن دمشق ﴾

ولما كان يوم الأحد ثمانى ذى الحجة قدم أمير من الديار المصرية ومعه تقليد نائب دمشق ، وهو الأمير سيف الدين منجك بنبابة صند المحروسة ، فأصبح من القند - وهو يوم عرفة - وقد انتقل من دار السعادة إلى سطح المزة فاصداً إلى صند المحروسة فعمل للعيد بسطح المزة ، ثم رحل نحو صند ، وطبع كثير من المفسدين والخارجين وغيرهم وفرحوا بزواله عنهم . وفى يوم العيد قرئ كتاب السلطان بدار السعادة على الأمراء وفيه التصريح باستنابة أميره على المارداني عليهم ، وعودهم إليهم والامر بطاعته وتعظيمه واحترامه والشكر له والثناء عليه ، وقدم الأمير شهاب الدين بن صبح من

نيابة صفد وتزل بداره بظاهر البلد بالقرب من الشامية البرانية . ووصل البريد يوم السبت الحادي والعشرين من ذى الحجة بنى صاحب الحجاب طيهر الاسماعيلى إلى مدينة حماة بطلا في سرجين لا غير والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وصيعة ﴾

استهلت هذه السنة وملك الديار المصرية والشامية وما يتبع ذلك من الممالك الاسلامية الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وقضاته بمصرهم المذكورون في السنة التي قبلها ، وقابله بدمشق الامير علاء الدين أمير على المارداني ، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها غير المالكي ، فانه عزل جمال الدين السلافي بشريف الدين العراقي ، وحاجب الحجاب الأمير شهاب الدين بن صبيح ، وخطيبه البلد كانت أكثرها المذكورون . وفي صبيحة يوم الأربعاء ثالث المحرم دخل الأمير علاء الدين أمير على نائب السلطنة إلى دمشق من نيابة حلب ، ففرح الناس به وتلقوه إلى أثناء الطريق ، وحملت له العمامة الشجوع في طرقات البلد ، ولبس الأمير شهاب الدين بن صبيح خلمة الحجابة الكبيرة بدمشق عوضاً عن نيابة صفد .

ووردت كتب الحجاج يوم السبت الثالث عشر منه مؤرخة سابع عشرين ذى الحجة من الملاذكروا أن صاحب المدينة النبوية عدا عليه فداويان عند لبسه خلمة السلطان ، وقت دخول المحمل إلى المدينة الشريفة فقتله ، فعدت عليه على الحبيص الذين هم دخل المدينة قهراً وامن أموالهم وقتلوا بعضهم وخرجوا ، وكانوا قد أغلقوا أبواب المدينة دون الجيش فحرق بعضها ، ودخل الجيش السلطاني فاستنفذوا الناس من أيدي الظالمين . ودخل المحمل السلطاني إلى دمشق يوم السبت العشرين من هذا الشهر على عادته ، وبين يدي المحمل الفداويان القذان قتل صاحب المدينة ، وقد نزلت عنه أمور شنيعة بشعة من غلوه في الرأى المفرط ، ومن قوله إنه لو تمكن لآخرج الشيخين من الحجرة ، وغير ذلك من عبارات مؤذية لعدم إيمانه إن صح عنه والله أعلم .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء سادس صفر مسك الأمير شهاب الدين بن صبيح حاجب الحجاب وولده الأميران وحبسوا في القلعة المنصورة ، ثم سافر به الأمير ناصر الدين بن خاربك بعد أيام إلى الديار المصرية ، وفي رجل ابن صبيح قيد ، وذكر أنه فك من رجله في أثناء الطريق . وفي يوم الاثنين ثالث عشر صفر قدم نائب طرابلس الأمير سيف الدين عبد الله فدخل القلعة ثم سافر به الأمير علاء الدين بن أبي بكر إلى الديار المصرية محتفظاً به مضيقاً عليه ، وجاء الخبر بأن منجك سافر من صفد على البريد مطلوباً إلى السلطان ، فلما كان بينه وبين غزة يريد واحد دخل بمن معه من خدمه التي فاراً من السلطان ، وحين وصل الخبر إلى نائب غزة اجتهد في طلبه فأعجزه وقطار الأمر ، انتهى والله أعلم .

(مسك الأمير على المارداني نائب الشام)

وأصل ذلك أنه في صبيحة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رجب، ركب الجيش إلى تحت القلعة ملبسين وضربت البشائر في القلعة في ناحية الطارمة، وجاء الأمراء بالطليخات من كل جانب والقائم بأعباء الأمر الأمير سيف الدين ييدر الحاجب، ونائب السلطنة داخل دار السعادة والرسول مرددة بينه وبين الجيش، ثم خرج فحمل على سروج يسيرة محتاطا عليه إلى ناحية الديار المصرية، واستوحش من أهل الشام عند باب النصر، فنياكى الناس رحمة له وأسفة عليه، لهيافته وقلة أذيتة وأذية الرعية وإحسانه إلى العلماء والفقراء والقضاة.

ثم في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين منه احتيط على الأمراء الثلاثة، وهم الأمير سيف الدين طيفقاجي أحد مقدمي الأتوف، والأمير سيف الدين فطليخا الدوادار أحد المقدمين أيضا والأمير علاء الدين أيدغش المارداني أحد أمراء الطليخات، وكان هؤلاء ممن حضر نائب السلطنة المذكور وهم جلساؤه وساروه، والذين بسفارته أعطوا الأجناد والطليخات والتفاد، فرفموا إلى القلعة المنصورة منقلبين بهامع من بهامن الأمراء، ثم ورد الخبر بأن الأمير على رد من الطريق بعد مجاوزته غزة وأرسل إليه بتقليد نيابة صفة المحروسة، فقاتل الحال وفرح بذلك أصحابه وأحبابه، وقدم مسلم دمشق الذي خلع عليه بقبائنها بالديار المصرية في يوم الخميس السادس عشر شهر رجب بعد أن استغنى من ذلك مرارا، وبأس الأرض مرارا فلم يعفه السلطان، وهو الأمير سيف الدين استدمر أخو يلغا البخاري، الذي كان نائب الشام، وبقته اليوم زوجة السلطان، قدم مسلمه إلى دمشق يوم الخميس سلخ الشهر فقتل في دار السعادة، وراح القضاة والأعيان لسلام عليه والتودد إليه، وحملت إليه الضيقات والتفاد، انتهى والله أعلم.

﴿كثنة وقعت بقرية حوران﴾

« فأوقع الله بهم بأسا شديدا في هذا الشهر الشريف »

وذلك أنهم أشهر أهل قرية حوران وهي خاص لنائب الشام وهم حلبية يمن ويقال لهم بنو لبس وبني تاشي وهي حصينة منيعة يضوى إليها كل مفسد وقاطع وملوك ولجأ إليهم أحد شياطين روعين الشير وهو عمر المروفي بالديق، فأعدوا عددا كثيرة ونهبوا ليعظموا الشير، وفي هذا الحين بدرهم وإلى الولاية المروفي بشنكل منكل، فجاء إليهم ليردم ويهدسهم، وطلب منهم عمر الديق فأبوا عليه وراموا مقاتلته، وهم جمع كثير وجم غفير، فتأخر عنهم وكتب إلى نائب السلطنة ليمد بجيش عونا له عليهم وعلى أمتانهم، فجهز له جماعة من أمراء الطليخات والمشراوات ومائة من جند الحلقة الزمات، فلما بينهم في بلادهم تجمعوا لقتال المسكر ورموه بالحجارة والمقاييع، وحجزوا بينهم وبين البلد،

فند ذلك رمتهم الاتراك بالنبال من كل جانب ، قتلوا منهم فوق المائة ، وقروا على أعقابهم ، وأسرى منهم والى الولاية نحواً من ستين رجلاً ، وأمر بقطع رؤوس القتلى وتعليقها في أعتاق هؤلاء الأسرى ، ونهبت بيوت الفلاحين كلهم ، وسلمت إلى عماليك نائب السلطنة لم يقد منها ما يساوى ثلاثمائة درهم ، وكر راجعاً إلى بصرى وشيوخ المشيرت معه ، فأخبر ابن الأمير صلاح الدين ابن خاص ترك ، وكان من جملة أمراء الطباقات الذين قاتلهم بمسوط ما يخصه وأنه كان إذا أعبأ بعض تلك الأسرى من الجرحى أمر المشاعلى بذبحه وتعليق رأسه على بقية الأسرى ، وفعل هذا بهم غير مرة حتى أنه قطع رأس شاب منهم وعلق رأسه على أبيه ، شيخ كبير ، فأنافه وإنا إليه راجعون ، حتى قدم بهم بصرى فشكّل طائفة من أولئك المأسورين وشكّل آخرين ووسط الآخرين وحبس بعضهم في القامة ، وعلق الرؤوس على أخصاب نصيها حول قلعة بصرى ، لحصل بذلك تنكيل شديد لم يقع مثله في هذا الأوان بأهل حوران ، وهذا كله سلط عليهم بما كسبت أيديهم وما ربك بظالم للعبيد ، وكذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ، فأنافه وإنا إليه راجعون . انتهى .

﴿ دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين استعمر البجناوى ﴾

في صبيحة يوم الاثنين حادى عشر شعبان من هذه السنة كان دخول الأمير سيف الدين استعمر البجناوى نائباً على دمشق من جهة الديار المصرية ، وتلقاه الناس واحتفلوا له احتفالاً زائداً وشاهدته حين ترجل لتقبيل "منية" وبعضه الأمير سيف الدين بيدمر الذى كان حاجب الحجاب وعين لنيابة حلب المحروسة ، فاستقبل القبة وسجد عند القبة ، وقد بسط له عندها مفارش وصعدة هائلة ، ثم إنه ركب فتمضه بيدمر أيضاً وسار نحو الموكب فأركب ثم عاد إلى دار السعادة على عادة من تقدمه من النواب . وجاء تقليد الأمير سيف الدين بيدمر من آخر التهار لنيابة حلب المحروسة . وفي آخر نهار الثلاثاء بعد العصر ورد البريد البشيري وعلى يده مرسوم شريف بنقى القاضي بهاء الدين أبو البقاء وأولاده وأهل إلى طرابلس بلا وظيفة ، فشق ذلك عليه وعلى أهليه ومن يليه ، وقدم له كثير من الناس ، وسافر ليلة الجمعة وقد أذن له في الاستنابة في جهاته ، فاستناب ولده الكبير عز الدين ، واشتهر في شوال أن الأمير سيف الدين منجك الذى كان نائب السلطنة بالشام وهرب ولم يطلع له خبر ، فلما كان في هذا الوقت ذكر أنه مسك ببغداد بمران من مقاطعة ماردين في زى فقير ، وأنه احتفظ عليه وأرسل السلطان قراره ، وعجب كثير من الناس من ذلك ، ثم لم يظهر لذلك حقيقة وكان الذين رأوه ظنوا أنه هو ، فإذا هو فقير من جملة الفقراء يشبهه من بعض الوجوه . واشتهر في ذى القعدة أن الأمير عز الدين فياض بن منها ملك العرب ، خرج عن طاعة السلطان وتوجه نحو العراق فوددت المراسيم السلطانية لمن بأرض الرحبة من الماسكر الدمشقية وهم أربعة مقامين في

أربعة آلاف ، وكذلك جيش حلب وغيره بتطلبه وإحضاره إلى بين يدي السلطان ، فسعوا في ذلك بكل ما يقدرون عليه فنجحوا عن لحاقه والدخول وراءه إلى البراري ، وتنازل الحال وخلص إلى أرض المراق فضاقت النطاق وتمذر الحاق .

(ثم دخلت سنة إحدى وستين وصبيحة)

استهلت وسلطان المسلمين الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين استمدر أخو يلبغا البشناوي ، وكاتب السر القاضي أمين الدين بن القلانسي .

وفي مستهل المحرم جاء الخبر بموت الشيخ صلاح الدين العلائي بالقدس الشريف ليلة الاثنين ثالث المحرم ، وصلى عليه من القدي بالمسجد الأقصى بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقبرة نائب الرحبة ، وله من العمر ست وستون سنة ، وكان مدة مقامه بالقدس مدرسا بالمدرسة الصلاحية وشيخا بدار الحديث السكرية ثلاثين سنة ، وقد صنف وألف وجمع وخرج ، وكانت له يد طويلة بمعرفة العالي والنازل ، وتخرج الاجزاء والفوائد ، وله مشاركة قوية في الفقه والائمة والعربية والادب وفي كتاباته ضمت لكل مع صحة وضبط لما يشكك ، وله عدة مصنفات ، وبلغني أنه وقفها على الخلق السامعية بدمشق ، وقد ولي بعده التدريس بالصرخية الخطيب برهان الدين ابن جماعة والنظر بها ، وكان معه فويض منه متقدم التاريخ .

وفي يوم الخميس السادس من محرم احتيط على متولى البر ابن بهادر الشيرجي ورسم عليه بالمعزوية بسبب أنه اتهم بأخذ مطلب من نيمان البلقاء هو وكحلن الحاجب ، وقاضى حسان ، والظاهر أن هذه مرافعة من خصمه عدو لهم ، وأنه لم يكن من هذا شيء والله أعلم . ثم ظهر على رجل زور المراسيم الشريفة وأخذ بسببه مدرس الصارمية لأنه كان عنده في المدرسة المذكورة ، وضرب بين يدي ملك الأمراء ، وكذلك على الشيخ زين الدين زيد المغربي الشافعي ، وذكر عنه أنه يطلب مرسوماً لمدرسة الاكرية ، وضرب أيضاً ورسم عليه في حبس السد ، وكذلك حبس الأمير شهاب الدين الذي كان متولى البلد ، لأنه كان قد كتب له مرسوماً شريعاً بالولاية ، فلما فهم ذلك كاتب السر أطلع عليه نائب السلطنة فافتتح عليه الباب وحبسوا كلهم بالسد ، وجاءت كتب الحاجب ليلة السبت الخامس عشر من المحرم وأخبرت بالحبس والرخص والأمن وقلة الحد والمئة . ودخل المحمل بعد المغرب ليلة السبت الحادي والعشرين منه ، ثم دخل الحجيج بعده في الطين والمرض وقد لقوا من ذلك من بلاد حوران عناء وشدة ، ووقعت جمالات كثيرة وسببت نساء كثيرة ، فاقاها وإنا إليه راجعون ، وحصل للناس تعب شديد . ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين قطعت يد

الذي زور المراسيم واسمه السراج هو القنطري المصري ، وهو شاب كاتب مطبق على ما ذكره ، وحل في قصص على جل وهو مقطوع اليد : ولم يحسم يمدو الدم ينصب منها ، وأركب معه الشيخ زين الدين زيد على جل وهو منكوس وجهه إلى ناحية دبر الجل ، وهو عريان مكشوف الرأس ، وكذلك البدر الحصى على جل آخر ، وأركب الوالي شهاب الدين على جل آخر وعليه ثغيفة صغيرة ، وخف وقباء ، وطيف بهم في محل البلدة ، وتودى عليهم : هذا جزاء من يزور على السلطان ، ثم أودعوا حبس الباب الصغير وكانوا قبل هذا التعزير في حبس السد ، ومنه أخفوا وأشهروا ، فأنافه وإنا إليه راجعون انتهى (مسك منجك وصفة الظهور عليه وقد كان محتفياً بدمشق في بعض دورها قريباً من سنة)

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم جاء فاصح إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين استد امرأته فأخبره بأن منجك في دار الشرف الأعلى ، فأرسل من فورهِ إلى ذلك المنزل الذي هو فيه بعض الحجة ومن عنده من خواصه ، فأحضر إلى بين يديه محتفظاً عليه جداً ، بحيث إن بعضهم رزقه من روائه واحتضنه ، فلما واجبه نائب السلطنة أكرمه وتلقاه وأجلسه معه على مقدمته ، وتلف به وسقاء وأضافه ، وقد قيل إنه كان صائماً فأفطر عنده ، وأعطاه من ملاس وقبده وأرسله إلى السلطان في ليلته - ليلة الجمعة - مع جماعة من الخند وبعض الأمراء ، منهم حسام الدين أمير حاجب ، وقد كان أرسل نائب السلطنة ولده بسيف منجك من أوائل النهار ، وتمجب الناس من هذه القضية جداً ، وما كان يظن كثير من الناس إلا أنه قد عدم باعتبار أنه في بعض البلاد النائية ، ولم يشعر الناس أنه في وسط دمشق وأنه يمضي بينهم متنكراً ، وقد ذكر أنه كان يحضر الجمعات بجامع دمشق ويمشي بين الناس متنكراً في لبسه وهيئته ، ومع هذا لن يفنى حذر من قدر ، ولكل أجل كتاب ، وأرسل ملك الأمراء بالسيف وبملابسه التي كان يتنكب بها ، وبث هو مع جماعة من الأمراء الحجة وغيرهم وجيش كثيف إلى الديار المصرية مقيداً محتفظاً عليه ، ورجع ابن ملك الأمراء بالتلف والهدايا وانخاع والالمام لوالده ، ولحاجب الحجاب ، وليس ذلك الأمراء يوم الجمعة واحتفل الناس بالشموع وغيرها ، ثم توارت الأخبار بدخول منجك إلى السلطان وعفوه عنه وخلته الكاملة عليه وإطلاقه له الحسام وانخيل المسومة والألبسة المفتخرة ، والأموال والأمان ، وتقديم الأمراء والأكابر له من سائر صنوف التحف ، وقدوم الأمير على من صعد قاصداً إلى حماة لنيابته ، فنزل القصر الأبقى ليلة الخميس رابع صفر وتوجه ليلة الأحد صابحه .

وفي يوم الخميس الثامن عشر من صفر قدم القاضي بهاء الدين أبو البقاء من طرابلس بمرسوم شريف أن يعود إلى دمشق على وظائفه المبقاة عليه ، وقد كان ولده ولي الدين ينوب عنه فيها ، فقلقه كثير من الناس إلى أثناء الطريق فبرز إليه قاضي القضاة تاج الدين إلى حرستا ، وراح الناس إلى

تهبته إلى داره ، وفرحوا برجوعه إلى وطنه . ووقع مطر عظيم في أول هذا الشهر ، وهو أثناء شهر شباط ، وتلج عظيم ، فرويت البساتين التي كانت لما عن الماء عدة شهور ، ولا يحصل لأحد من الناس سقى إلا بكلفة عظيمة ومشقة ، ومبالغ كثير ، حتى كاد الناس يقتلون عليه بالأيدي واللبائيس وغير ذلك من البذل الكثير ، وذلك في شهور كانون الأول والثاني ، وأول شباط ، وذلك لقلة مياه الأنهار وضعفها ، وكذلك بلاد حوران أكثرهم يروون من أما كن بريدة في هذه الشهور ، ثم من الله تعالى فجرت الأودية وكثرت الأمطار والتلوج ، وفزرت الأنهار وقطع الجهد والمثنة . وتوالت الأمطار ، فكأنه حصل السيل في هذه السنة من كانون إلى شباط فكان شباط هو كانون وكانون لم يسلم فيه ميزاب واحد . ووصل في هذا الشهر الأمير سيف الدين منجك إلى القدس الشريف ليتنقى للسلطان مدرسة وخانقاه غربي المسجد الشريف ، وأحضر الفرمان الذي كتب له بما النهب إلى دمشق وشاهده الناس ووقت على نسخه وفيها تعظيم زائد ومدح وثناء له ، وشكر على مقدم خدمه لهذه الدولة ، والمفو عما مضى من زلاته ، وذكر سيرته بمباراة حسنة .

وفي أوائل شهر ربيع الآخر رسم على المعلم سنجر مملوك ابن هلال صاحب الأموال الجزيلة بمرسوم شريف قدم مع البريد وطلب منه ستائة ألف درهم ، واحتيط على العبرة التي أنشأها عند باب النطاقيين ليجعلها مدرسة ، ورسم بأن يمر مكانها مكتب للإيتام ، وأن يوقف عليهم كتابهم جارية عليهم ، وكذلك رسم بأن يجعل في كل مدرسة من مدارس الملكة الكبرى ، وهذا مقصد جيد . وسلم المعلم سنجر إلى شاد الدواوين يستخلص منه المبلغ المذكور سريريا ، فاجل يحمل مائتي ألف ، وسهرت مع أمير عشرة إلى الديار المصرية .

❦ الاحتياط على الكتبة والدواوين ❦

وفي يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر ورد من الديار المصرية أمير مرسوم بالاحتياط على الدواوين السلطان ، بسبب ما أكلوا من الأموال المرتبة للناس من الصدقات السلطانية وغير ذلك فرسم عليهم بدار العدل البرانية وألزموا بأموال جزيلة كثيرة ، بحيث احتاجوا إلى بيع أقاتهم وأقتنهم وفرشهم وأمتعتهم وغيرها ، حتى ذكر أن منهم من لم يكن له شيء يعطيه فأحضر بناته إلى الدكة ليبعين فتيباكي الناس واتحبوا راحة ورقة لا يمين ، ثم أطلق بعضهم وهم الضعفاء منهم والفقراء الذين لا شيء معهم ، وبقيت الترامة على الكبراء منهم ، كالأصاحب والمستوفيين ، ثم شددت عليهم المطالبة وضربوا ضربا مبرحا ، وألزموا الأصاحب بال كثير بحيث إنه احتاج إلى أن سأل من الأمراء والأكابر والتجار بنفسه وبأوراقه ، فأسعفوه بمبلغ كثير يقارب ما ألزم به ، بعد أن عرى ليضرب ، ولكن ترك واشهر أنه قد عين عوضه من الديار المصرية ، انتهى .

﴿ موت فياض بن مهنا ﴾

ورد الخبر بذلك يوم السبت الثامن عشر منه ، فاستبشر بذلك كثير من الناس ، وأرسل إلى السلطان بمشرين بذلك ، لأنه كان قد خرج عن الطاعة وطارق الجماعة ، فأتت مودة جاهلية بأرض الشقاق والنفاق ، وقد ذكرت عن هذا أشياء صدرت عنه من ظلم الناس ، والافتطار في شهر رمضان بلا عذر وأمره أصحابه وذويه بذلك في هذا الشهر الماضي ، فأن الله وانا إليه راجعون ، جاوز السبعين انتهى . والله أعلم .

﴿ كائنة غريبة محجية جداً وهي هذه الملع سنجر مملوك بن هلال ﴾

في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الآخر أطلق الملع الهلالي بعد أن استوفوا منه تسكيلي ستائة ألف درهم ، فبث في منزله عند باب النطاقيين سرورا بالخللاص ، ولما أصبح ذهب إلى الحمام وقد ورد البريد من جهة السلطان من الديار المصرية بالاحتياط على أمواله وحواصله ، فأقبلت الحجة وبقية النوبة والأخوان من كل مكان ، فقصصوا داره فاحتاطوا بها وعليها بما فيها ، ورسم عليه وعلى ولديه ، وأخرجت نسائه من المنزل في حالة صعبة ، وفقشوا النساء وانتزعوا عنهن الحلل والجواهر والنفاثس ، واجتمعت العامة والغوغاء ، وحضر بعض القضاة ومعه الشهود بضبط الأموال والحجج والرهون ، وأحضروا الملع ليستعملوا منه جلية ذلك ، فوجدوا من حاصل الفضة أول يوم ثلثائة ألف وسبعين ألفاً ، ثم صناديق أخرى لم تفتح ، وحواصل لم يصلوا إليها لضيق الوقت ثم أصبحوا يوم الأحد في مثل ذلك ، وقد بات الحرس على الأبواب والاسعاطة لثلاث يمدى عليها في الليل وبات هو وأولاده بالقلمة المنصورة محتفظاً عليهم ، وقد رقى له كثير من الناس لما أصابه من المصيبة العظيمة بعد التي قبلها سريعاً .

وفي أواخر هذا الشهر توفي الأمير ناصر الدين محمد بن الدوادار السكري ، كان ذا مكانة عند أستاذه ، ومنزلة عالية ، ونال من السعادة في وظيفته أقصاها ، ثم قلب الله قلب أستاذه عليه فضر به وصادته وعزله وسجنه ، ونزل قدره عند الناس ، وآل به الحال إلى أن كان يقف على أتباعه بفروسه ويشترى منهم ويحياكمهم ، ويحمل حاجته معه في سرجه ، وصار مثله بين الناس ، بعد أن كان في غاية ما يكون فيه اللويديارية من العز والجاه والمال والرفعة في الدنيا ، وحق على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلا ووضعه .

وفي صبيحة يوم الأحد سابع عشره أفرج عن الملع الهلالي وعن ولديه ، وكانوا معتقلين بالقلمة المنصورة ، وسلمت إليهم دورهم وحواصلهم ، ولكن أخذ ما كان حصل في داره ، وهو ثلاثمائة ألف وعشرون ألفاً ، وختم على حججه ليعقد قلمك مجلس ليرجع رأس ماله منها عملاً بقوله تعالى (وإن

تبتهم فليسكم رهوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وتودى عليه في البلد إنما فعل به ذلك لأنه لا يودى الزكاة ويعامل بالربا ، وحاجب السلطان ومتولى البلد ، وبقية المتعممين والمشاغلة تنادى عليه في أسواق البلد وأرجأها .

وفي اليوم الثامن والعشرين منه ورد المرسوم السلطاني الشريف بإطلاق الدواوين إلى ديارهم وأهاليهم ، وفرح الناس بسبب ذلك لخلاصهم مما كانوا فيه من العقوبة والمصادرة البليغة ، ولكن لم يستمر بهم في مباشراتهم .

وفي أواخر الشهر تكلم الشيخ شهاب الدين المقدسي الواعظ ، قدم من الديار المصرية فجاء محراب الصحابة ، واجتمع الناس إليه وحضر من قضاة القضاة الشافعي والمالكي ، فتكلم على تفسير آيات من القرآن ، وأشار إلى أشياء من إشارات الصوفية ببيانات مطلقة مربية حلو صادعة لقلوب فاعاد وأجاد ، وودع الناس بعوده إلى بلده ، ولما دعا استنهض الناس للقيام وقاموا في حال الغناء ، وقد اجتمعت به بالمجلس فرأته حسن الهيئة والكلام والتأدب ، فآله يصلحه وإيانا آمين .

وفي مستهل جمادى الآخرة ركب الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب لقصد غزو بلاد سيمس في جيش ، فآله النصر والتأييد . وفي مستهل هذا الشهر أصبح أهل القلعة وقد نزل جماعة من أمراء الأتراك من أعالي مجلسهم في عهدهم وجبال إلى الخندق وخاضوه وخرجوا من عند جسر الزلاية فاطلاق اثنتان وأمسك الثالث الذي تبقى في السجن ، وكأنه كان يسك لهم الحبلى حتى تدلوا فيها ، فاشتد نكير نائب السلطنة على نائب القلعة ، وضرب ابنه النقيب وأخاه وسجنهما ، وكاتب في هذه السكائنة إلى السلطان ، فورد المرسوم بمنزل نائب القلعة وإخراجه منها ، وطلبه لحاسبة ما قبض من الأموال السلطانية في مدة ست سنين مباشرة ، وعزل ابنه عن النقابة وابنه الآخر عن استمرائه السلطان ، فغزلوا من عزم إلى عزلم .

وفي يوم الاثنين سابع عشره جاء الأمير تاج الدين جبريل من عند الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب ، وقد فتح بلدين من بلاد سيمس ، وهما طرسوس وأذنة ، وأرسل مفتاحيهما محبة جبريل المذكور إلى السلطان أيده الله ، ثم افتتح حصونا آخر كثيرة في أسرع مدة ، وأيسر كلفة ، وخطب القاضي ناصر الدين كاتب السر خطبة بليغة حسنة ، وبلغني في كتاب أن أبواب كنيسة أذنة حملت إلى الديار المصرية في المراكب . قلت : وهذه هي أبواب الناصرية التي بالسفح ، أخفها سيمس عام قازان ، وذلك في سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، فاستغنفت والله الحمد في هذه السنة .

وفي أواخر هذا الشهر بلغنا أن الشيخ قطب الدين هرماس الذي كان شيخ السلطان طرد عن جناب غنومه ، وضرب وصودر ، وغرقت داره إلى الأساس ، ونفي إلى مصيفه ، فاجتاز بدمشق

ونزل بالمدرسة الجليلة ظاهر باب الفرج ، وزرته فيمن سلم عليه ، فاذا هو شيخ حسن عنده ما يقال ويتلفظ معرباً جيداً ، وفيه فضيلة ، وعنده تواضع وتصوف ، فاقه بحسن عقابته . ثم تحول إلى المنراوية وفي صبيحة يوم السبت سابع شهر رجب توجه الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضي الجبل الحنبلي إلى الديار المصرية مطلوباً على البريد إلى السلطان لتدريس الطائفة الحنبلية بالمدرسة التي أنشأها السلطان بالقاهرة المزينة ، وخرج لتوديعه القضاة والاعيان إلى انتهاء الطريق ، كتب الله سلامته ، انتهى والله تعالى أعلم .

(مسك نائب السلطنة استمر البحنأوى)

وفي صبيحة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب قبض على نائب السلطنة الأمير سيف الدين استمر ، أخى يلينا البحنأوى ، عن كتاب ورد من السلطان بحجة الدوادار الصغير ، وكان يومئذ راكباً بناحية ميدان ابن بابك ، فلما رجع إلى عند مقابر اليهود والنصارى احتاط عليه الحاجب الكبير ومن معه من الجيش وأزموه بالذهاب إلى ناحية طرابلس ، فذهب من على طريق الشيخ رسلان ، ولم يمكن من المسير ، إلى دار السعادة ، ورسم عليه من الجند من أوصله إلى طرابلس مقبلاً بها بطلا ، فسيحان من بيده ملكوت كل شيء ، فضل ما يشاء . وبقى البلاء نائباً بحكمه الحاجب الكبير عن مرسوم السلطان ، وعين لثيابة الأمير سيف الدين ييصر النائب بحلب .

وفي شبان وصل تقليد الأمير سيف الدين ييصر بناية دمشق ، ورسم له أن يركب في طائفة من جيش حلب ويقصد الأمير خيبر بن مهنا ليحضره إلى خدمة السلطان ، وكذلك رسم لثائب حاة وحصى أن يكونا عوناً للأمير سيف الدين ييصر في ذلك ، فلما كان يوم الجمعة رايه التقوا مع خيبر عند سلمية ، فكانت بينهم مناولشات ، فأخبرني الأمير تاج الدين الدودار - وكان مشاهد الواقعة - أن الأعراب أحاطوا بهم من كل جانب ، وذلك لكثرة العرب وكأول نحو الثمانمائة ، وكانت الترك من حاة وحصى وحلب مائة وخمسين ، فرموا الأعراب بالنشاب فقتلوا منهم طائفة كثيرة ، ولم يقتل من الترك سوى رجل واحد ، رماه بعض الترك ظاناً أنه من العرب بنأشج فقتله ، ثم حجز بينهم الليل ، وخرجت الترك من المأثرة ونهبت أموال من الترك ومن العرب ، وجرت فتنة وجردت أسراء عدة من دمشق لتدارك الحال ، وأقام نائب السلطنة هناك ينتظر ورودهم ، وقسم الأمير عمر الملقب بمصمغ بن موسى بن مهنا من الديار المصرية أميراً على الأعراب وفي حجة الأمير بدر الدين ابن جاز أميران على الأعراب ، فقتل مصمغ بالعصر الأتقي ، ونزل الأمير رمة بالتوزية على علاته ثم توجهوا إلى ناحية خيبر بن مهنا من عرب الطاعة ممن أضيف إليهم من فريدة دمشق ومن يكون معهم من جيش حاة وحصى لتحصيل الأمير خيبر ، ولم يحضره إلى الخدمة لشرقة فاقه تعالى بحسن العقابة

(دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيبرس إلى دمشق)

وذلك صبيحة يوم السبت التاسع عشر من شعبان ، أقبل بجيشه من ناحية حلب وقد بات برحلة برزة ليلة السبت ، وتلقاه الناس إلى حماة ودونها ، وجرت له وقعة مع العرب كاذرنا ، فلما كان هذا اليوم دخل في أبهة عظيمة ، وتجميل حافل ، فقبل العتبة على العادة ، ومشى إلى دار السعادة ، ثم أقبلت جنائبه في لبوس هائلة باهرة ، وعدد كثير وعدد عجيبة ، وفرح المسلمون به لشهامته وصرامته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، والله تعالى يؤيده ويسدده .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان خطبت الخنايلة بجامع القديبات وعزل عنه القاضي شهاب الدين قاضي المسكر الخنبلي ، بمرسوم نائب السلطان لأنه كان يعرف أنه كان مختصراً بالخنايلة منذ عين إلى هذا الحين .

وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قتل عثمان بن محمد المعروف بابن دباب الدقاق بالحديد على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن نواطوهم على الكذب ، أنه كان يكثر من شتم الرسول ﷺ ، ورفع إلى الحاكم المالكي وادعى عليه فأظهر التجاين ، ثم استقر أمره على أن قتل قبحة الله وأيمه ولا رحمه . وفي يوم الاثنين السادس والعشرين منه قتل محمد المدعو زبالة الذي بهتار لابن معبد على ما صدر منه من سب النبي ﷺ ودعواه أشياء كفرية ، وذكر عنه أنه كان يكثر الصلاة والصيام ، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين ، وفي حق النبي ﷺ ، فضربت عنقه أيضاً في هذا اليوم في سوق الخليل والله الحمد والمثنة .

وفي ثالث عشر شوال خرج المحمل السلطاني وأميره الأمير ناصر الدين بن قراستقر وقاضي الحبيب الشيخ فتمس الدين محمد بن سند المحدث ، أحد المفتين .

وفي أواخر شهر شوال أخذ رجل يقال له حسن ، كان خياطاً بمحلة الشاغور ، ومن شأنه أن ينتصر لفرعون لئله الله ، ويزعم أنه مات على الاسلام ويحتج بأنه في سورة بنس حين أدركه الفرق قال (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) ولا ينهم معنى قوله (ألآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ولا معنى قوله (فأخذ الله نكال الآخرة والأولى) ولا معنى قوله (فأخذناه أخذاً وبلا) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن فرعون أ كفر الكافرين كما هو مجمع عليه بين اليهود والنصارى والمسلمين .

وفي صبيحة يوم الجمعة سادس القعدة قدم البريد بطالب نائب السلطنة إلى الديار المصرية في تكريم وتظليم ، على عادة تنكر ، فتوجه النائب إلى الديار المصرية وقد استصحب معه نجفاً منية وهدياً معظماً تصلح للإبروان الشريف . في صبيحة السبت رابع عشره ، خرج وبعه القضاة والأعيان

من الحجبة والأمراء لتوديعه . وفي أوائل ذى الحجة ورد كتاب من نائب السلطنة بخطه إلى قاضي القضاة تاج الدين الشافعي يستدعيه إلى القدس الشريف ، وزيارة قبر الخليل ، ويدكر فيه ما عمل به السلاطان من الأحسان والأكرام والاحترام والاطلاق والانعام من الخليل والتحف والمال والغلات فتوجه نحوه قاضي القضاة يوم الجمعة بعد الصلاة رابيه على ستم من خيل البريد ، ومعه تحف وما يناسب من الهدايا ، وعاد عشية يوم الجمعة ثامن عشره إلى بستانه .

ووقع في هذا الشهر والذي قبله سيول كثيرة جداً في أماكن متعددة ، من ذلك ما شاهدنا آثاره في مدينة بعلبك ، أُنْثِلَ شَيْتاً كثيراً من الأشجار ، واخترق أماكن كثيرة متعددة عندهم ، وبقي آثار سيحه على أماكن كثيرة ، ومن ذلك سيل وقع بأرض جملوس أُنْثِلَ شَيْتاً كثيراً جداً ، وغرق فيه قاضي تلك الناحية ، ومعه بعض الأخيار ، كانوا وقفاً على أكمة فدھمهم أمر عظيم ، ولم يستطيعوا دفعه ولا منعه ، فهلكوا . ومن ذلك سيل وقع بناحية حمة جمال فهلك به شيء كثير من الأشجار والأغنام والأعشاب وغيرها . ومن ذلك سيل بأرض حلب هلك به خلق كثير من التركان وغيرهم ، رجلاً ونساء وأطفالاً وغناً وإبلاً . قرأته من كتاب من شاهد ذلك عياناً ، وذكر أنه سقط عليهم بردوزنت الواحدة منه فبليت زنتها سبعة أدرم وفيه ما هو أكبر من ذلك وأصغر ، انتهى .

(الأمر بالزام القلندرية بترك خلق لحام وحواجيهم وشواربهم)

« وذلك محرم بالأجاج حسب ما حكاه ابن حازم وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكراهية »

ورد كتاب من السلطان أبيه الله إلى دمشق في يوم الثلاثاء خامس عشر ذى الحجة ، بالزاهم بزي المسلمين وترك زى الأعاجم والمجوس ، فلا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزى المبتدع ، واللباس المستنقع ، ومن لا يلتزم بذلك يمزّر شرها ، ويقطع من قراره قلماً ، وكان اللائق أن يؤمر وأبترك أكل الحشيشة الخنسية ، وإقامة الحد عليهم بأكلها وسكرها ، كما أفنى بذلك بعض الفقهاء . والمقصود أنهم نودى عليهم بترك في جميع أرجاء البلد وتواحيه في صبيحة يوم الأربعاء والله الحمد والمنة .

وبلغنا في هذا الشهر وفاة الشيخ الصالح الشيخ أحمد بن موسى الزرعي بمدينة جبراص يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة ، وكان من المبشرين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام في مصالح الناس عند السلطان والهوة ، وله رجالة عند الخالص والعام ، رحمه الله . والأمير سيف الدين كحلان بن الاقوس ، الذي كان حليفاً بدمشق وأميراً ، ثم عزل عن ذلك كله ، وفاء السلطان إلى طرابلس فأت هناك .

وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر عائداً من الحجاز المصرية ، وقد تلقى من السلطان

إكراما وإحسانا زائداً فاجتاز في طريقه بالقدس الشريف فأقام به يوم عرفة والنحر ، ثم سلك على طريق غابة أرصوف بصطاد بها فأصابه وعك منه عن ذلك ، فأسرع السير فدخل دمشق من صبيحة يوم الاثنين الحادى والعشرين منه في أمة هائلة ، ورياسة طائلة ، وتزايد وخرج العامة للفرج عليه والنظر إليه في مجيئه هذا ، فسل وعلى قباء معظم ومطرز ، وبين يديه ماجرت به العادة من الخوفية والشاليشية وغيرهم ، ومن نيته الاحسان إلى الرعية والنظر في أحوال الأوقاف وإصلاحها على طريقة تنكز رحمة الله ، انتهى والله أعلم .

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وصبيحة)

استهل هذه السنة المباركة وساهلنا الاسلام بالديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك ويلتحق به الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولا نائب له بالديار المصرية ، وقضاته بها هم المذكورون في العام الماضى ، ووزيره القاضى بن اخصيب ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين بيدمر اغلوارمى ، والقضاة والخطيب وبقية الأشراف وناظر الجيش والمحتسب هم المذكورون في العام الماضى ، والوزير ابن قزوينه ، وكتب السر القاضى أمين الدين بن القلاندى ، ووكيل بيت المال القاضى صلاح الدين الصندى وهو أحد موقى الدست الأربعة . وشاد الأوقاف الأمير ناصر الدين بن فضل الله ، وحاجب الحجاب اليوسفى ، وقد توجه إلى الديار المصرية ليكون بها أمير جنهاره ومتولى البلد ناصر الدين ، وقيب النقيب ابن الشجاعى . وفي صبيحة يوم الاثنين سادس المحرم قدم الأمير على نائب حمة منها فدخل دمشق مجتازاً إلى الديار المصرية فترجل في القصر الأبقى ثم تحول إلى دار دويداره يلبثا الذى جدد فيها مساكن كثيرة بالتصاعين . وتردد الناس إليه لسلام عليه ، فأقام بها إلى صبيحة يوم الخميس تاسعه ، فسار إلى الديار المصرية . وفي يوم الأحد تاسع عشر المحرم أحضر حسن بن الخياط من محلة الشاغور إلى مجلس الحكم المالكي من السجن ، وناظر في إيمان فرعون وادعى عليه بدعوى لا تنصاره لفرعون لعنه الله ، وصدق ذلك باعترافه أولاً ثم بمنافرته في ذلك ثانياً وثالثاً ، وهو شيخ كبير جاهل على ذا نص لا يقيم دليلاً ولا يحسنه ، وإماماً قام في خيلته شبهة يخرج عليها بقوله إخباراً عن فرعون حين أدركه الفرق ، وأحبط به ورأى بأس الله ، وعابن عذابه الأليم ، فقال حين الفرق إذاً (آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فالיום نتجيك بيدك لتكون لمن خلقت آية) فاعتقد هذا العايب أن هذا الإيمان الذى صدر من فرعون والحالة هذه ينفعه ، وقد قال تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد دخلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال تعالى

(إن الذين حقت عليهم كلت ربك لا يؤمنون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم . قال قد أجيبت دعوتكما) الآية . ثم حضر في يوم آخر وهو مصمم على ضلاله ف ضرب بالسياط ، فأظهر التوبة ثم أعيده إلى السجن في زنجير ، ثم أحضر يوماً ثالثاً وهو يستهل بالتوبة فيها يظهر ، فنودي عليه في البلد ثم أطلق .

وفي ليلة الثلاثاء الرابع عشر طلع القمر خاسفاً كله ولكن كان تحت السحاب ، فلما ظهر وقت المشاء وقد أخذ في الجلاء صلى الخطيب صلاة الكسوف قبل المشاء وقرأ في الأولى بسورة العنكبوت وفي الأخرى بسورة يس ، ثم صعد المنبر فخطب ثم نزل بعد المشاء . وقدمت كتب الحاجاج يخبرون بالرخس والأمن ، واستمرت زيادة الماء من أول ذي الحجة وقبلها إلى هذا الأيام من آخر هذا الشهر والأمر على حاله ، وهذا شيء لم يهد كما أخبر به عامة الشيوخ ، وسببه أنه جاء ماء من بعض الجبال انهل في طريق التهر .

ودخل المحمل السلطاني يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من المحرم قبل الظهر ، ومسك أمير الحاج شركر المارداني الذي كان مقياً بمكة شرفها الله تعالى ، وحماها من الأوغاد ، فلما عادت للتجريدة مع الحاجاج إلى دمشق بحجة القراستقر من ساعة وصوله إلى دمشق ، قيد وسير إلى الديار المصرية على البريد ، وبلغنا أن الأمير صند أمير مكة غرر بجند السلطان الذين ساروا بحجة ابن قراستقر وكبسهم وقتل من حواشيهم وأخذ خيولهم ، وأنهم ساروا جرائد بغير شيء مساوين إلى الديار المصرية ، فآله وإنا إليه راجعون .

وفي أول شوال اشتهر فيه وتواتر خبر الفناء الذي بالديار المصرية بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عندهم ، على خلاف المعتاد ، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين ، فأما المرض فكثير جداً ، وغلت الأسعار قلقة من يتعاطى الأشغال ، وغلا السكر والامياه والفناكة جداً ، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد وحصل له تشویش أيضاً ، ثم عوفى بحمد الله .

وفي ثالث ربيع الآخر قدم من الديار المصرية ابن الحاجاج رسول صاحب العراق خطبة بنت السلطان ، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يصدقها ملكة ببلاد ، وأعطاهم مستحقاً سلطانياً ، وأطلق لهم من التحف والطلع والأموال شيئاً كثيراً ، ورسم الرسول بمشترى قرية من بيت المال لتوقف على الخاقه التي يريد أن يتخذها بدمشق قريباً من الطواويس ، وقد خرج لتلقيه نائب النية وهو حاجب الحجاب ، والهدولة والاعيان . وقرأت في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر كتاباً ورد من حلب بخط الفقيه المدلل فمس الهين العراقي من أهلها ، ذكر فيه أنه كان في حضرة نائب السلطنة في دار المدلل يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الاول وأنه أحضر رجلاً قد ولد له وقد

عاش ساعة ومات ، وأحضره معه وشاهده الحاضر ون ، وشاهده كاتب الكتاب ، فإذا هو شكل
سوى له على كل كنف رأس يوجه مستدير ، والوجهان إلى ناحية واحدة فسيحان اخلاق العليم .
وبلغنا أنه في هذا الشهر سقطت المنارة التي بنيت للمدرسة السلطانية بمصر ، وكانت مستجدة
على صفة غريبة ، وذلك أنها منارتان على أصل واحد فوق قبو الباب الذي للمدرسة المذكورة ، فلما
سقطت أهلكت خلقا كثيرا من الصانع بالمدرسة والمارة والصبيان الذين في مكتب المدرسة ، ولم
ينج من الصبيان فيها ذكر شيء سوى ستة ، وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلثمائة نفس ، وقيل أكثر
وقيل أقل ، فأنقذ الله وإنا إليه راجعون . وخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى القنطرة
لاصلاحها وإزالة ما فيها من الأشجار المؤذية والدغل يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ، وكان
ساخنة ، وخرج معه جميع الجيش من الأمراء وأصحابه ، وأجناد الخيطة برئهم لم يتأخر منهم أحد ،
وكلهم يملكون فيها بأنفسهم وقهلاتهم ، وأحضر إليهم خاق من فلاحى المروج والنوطة وغير ذلك ،
ورجع يوم السبت خامس الشهر المذكور وقد نظفوها من الغل والدغل والنش .

واقعت كائنة غريبة لبعض السؤال ، وهو أنه اجتمع جماعة منهم قبل الفجر ليأخذوا خبراً من
صدقة تربة امرأة ملك الأمراء تسكن عند باب انطاويين ، فتضاربوا فيها بينهم فعمدوا إلى رجلين منهم
يغفرون خنقا شديداً ، وأخذوا منه جراباً فيه نحو من أربعة آلاف درهم . وشيء من الذهب وذهبوا
على حية ، وأفاق هو من التشنج فلم يجدهم ، واشتكى أمره إلى متولى البند فلم يظفر بهم إلى الآن ،
وقد أخبرني الذي أخذوا منه أنهم أخذوا منه ثلاثة آلاف درهم ماملة ، وألف درهم بندقية ودينارين
ورثهما ثلاثة دنانير . كذا قال لي إن كان صادقا .

وفي صبيحة يوم السبت خامس جمادى الأولى طلب قاضي القضاة شرف الدين الحنفى الشيخ
على بن البنا ، وقد كان يتكلم في الجامع الأموى على العوام ، وهو جالس على الأرض شيء من
الوعظيات وما أشبهها من صدره ، فكانه تعرض في غضون كلامه لأبى حنيفة رحمه الله ، فأحضر
فاستتيب من ذلك ، ومنه قاضي القضاة شرف الدين الكفرى من الكلام على الناس وسجنه ،
وبلغنى أنه حكم بإسلامه وأطلقه من يومه ، وهذا المذكور ابن البنا عنده زعادة وتسف ، وهو مصرى
يسمى الحديث ويقروءه ، ويتكلم بشيء من الوعظيات والرقائق ، وضرب أمثال ، وقد مال إليه
كثير من العوام واستحلوه ، وكلامه قريب إلى مفهومهم ، وربما أضحك في كلامه ، وحاضرتة وهو
مطبوع قريب إلى الفهم ، ولكنه أشار فيها ذكر عنه في شططته إلى بعض الأشياء التي لا تنبى أن
تذكر ، والله الموفق ، ثم إنه جلس للناس في يوم الثلاثاء ثمانية فتكلم على عادته فتطلبه القاضى المذكور
فيقال إن المذكور تمت انتهى والله أعلم .

(سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد)

ابن الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى وزوال دولة عمه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

لما كثر طمعه وتزايد شرهه ، وسامت سيرته إلى رعيته ، وضيق عليهم فى معاشهم وأكسابهم ، وبنى البنائىات الجبازة لئلا لا يحتاج إلى كثير منها ، واستحوذ على كثير من أملاك بيت المال وأمواله ، واشترى منه قرايا كثيرة ومدنا أيضا ورساتيق ، وشق ذلك على الناس جدا ، ولم يتجاسر أحد من القضاة ولا الأولاة ولا العلماء ولا الصالحاء على الانكار عليه ، ولا الهجوم عليه ، ولا النصيحة له بما هو المصلحة له وللمسلمين ، انتقم الله منه فسلط عليه جنده وقلب قلوب رعيته من الخاصة والعامة عليه ، لما قطع من أرزاقهم ومعاليهم وجواميهم وأخبازهم ، وأضاف ذلك جميعه إلى خاصته ، قتلت الأمراء والاجنءاء والمقدمون والسكران والموقعون ، ومس الناس الضرر وتمدى على جواميهم وأولادهم ومن يلوذ بهم ، فعند ذلك قدر الله تعالى هلاكه على يد أحد خواصه وهو الأمير الكبير سيف الدين يلبغا الخالصى . وذلك أنه أراد السلطان مسكه فاعتد لذلك ، وركب السلطان مسكه فركب هو فى جيش ، وتلقا فى ظاهر القاهرة حيث كانوا نزولا فى الوطقات ، فهزم السلطان بعد كل حساب ، وقد قتل من الفريقين طائفة ، ولجأ السلطان إلى قلعة الجبل ، كلا ولا وزر ، ولئن ينجى حفر من قدر ، فبات الجيش بكهله محذقا بالقلعة ، فهم بالحرب فى الليل على حن كلن قد اعتدها ليهرب إلى الكرك ، فلما برز مسك واعتقل ودخل به إلى دار يلبغا الخالصى المذكور ، وكان آخر العهد به ، وذلك فى يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى من هذه السنة ، وصارت الدولة والمشورة متناهية إلى الأمير سيف الدين يلبغا الخالصى ، فاتفقت الآراء واجتمعت السكامة وانفقدت البيعة للملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجى ، وخطب الخطباء وضربت المسكة ، وسارت البريدية البيعة باسمه الشريف ، هذا وهو ابن ثنى عشرة ، وقيل أربع عشرة ، ومن الناس من قال ست عشرة ، ودرسى فى عود الأمور إلى ما كانت عليه فى أيام والده الناصر محمد بن قلاوون ، وأن ييطل جميع ما كان أخذه الملك الناصر حسن ، وأن تعاد المرتبات والجوامك التى كان قطعها ، وأمر بالحضار طار وطاشتمر القاسمى من سجن اسكندرية إلى بين يديه ليكونا آتاكبا ، وجاء الخبير إلى دمشق بحجة الأمير سيف الدين بزلار شاد الترخانة أحد أمراء الطيلخانات بمصر صبيحة يوم الأربعاء سادس عشر الشهر ، فضربت البشائر بالقلعة وطلبخانات الأمراء على أبوابهم ، وزين البلد بكهله ، وأخذت البيعة له صبيحة يومه بدار السعادة ونخل عن نائب السلطنة تشرىف هائل ، وفرح أكثر الأمراء والجنود والعامة والله الأمر ، وله الحكم . قال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمزق من تشاء

وتنزل من نشاء) الآية . ووجد على حجر بالحجرية قرئت للمؤمن فاذا مكتوب .

ما اختلف الليل والنهار ولا • دارت نجوم السماء في الفلك

إلا لنقل النعم من ملك • قد زال سلطانه إلى ملك

وملك ذى العرش دائم أبداً • ليس بفان ولا بمشترك

وروى عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنه خرج يوماً لصلاة الجمعة ، وكان سوى الخلق

حسنه ، وقد لبس حلة خضراء ، وهو شاب ممثلي شبابا ، وينظر في أعطافه ولباسه ، فأعجبه ذلك من

نفسه ، فلما بلغ إلى صرحة الدار تلقته جنية في صورة جارية من حظايا فأندشته :

أنت نعم لو كنت تتيق • غير أن لا حياة للإنسان

ليس فيما علمت فيك عي • ب يذكر غير أنك فان

فصعد المنبر الذي في جامع دمشق وخطب الناس ، وكان جهورى الصوت يسمع أهل الجامع وهو

قائم على المنبر ، فضعف صوته قليلا قليلا حتى لم يسمعه أهل المقصورة ، فلما فرغ من الصلاة حمل

إلى منزله فاستحضر تلك الجارية التي تبعت تلك الجنية على صورتها ، وقال : كيف أُنشدتيني بيتك

البيتين ؟ فقالت : ما أُنشدتك شيئا . قال : الله أكبر فبعت والله إلى نفسي . فأوصى أن يكون

الخليفة من بعده ابن عمه بن عبد العزيز رحمه الله .

وقدم نائب طرابلس المعزول هليلا والأمير سيف الدين استعمر الذي كان نائب دمشق وكانا

مقيمان بطرابلس جميعاً ، في صبيحة يوم السبت السادس والعشرين منه ، فدخلوا دارالسعادة فلم يحتفل

بهما نائب السلطنة .

وتكامل في هذا الشهر تجديد الرواق غربى باب الناطقانيين إصلاحاً بدرابزيناته وتبييضاً

لجدرانها ومحراب فيه ، وجعل له شبابيك في الدرابزينات ، ووقف فيه قراءة قرآن بعد المغرب ،

وذكروا أن شخصاً رأى مناماً قصه على نائب السلطنة فأمر بإصلاحه . وفيه نهض بناء المدرسة التي

إلى جانب هذا المكان من الشباك ، وقد كان أسسها أولاً علم الدين بن هلال ، فلما صودر أخذت

منه وجعلت مضافة إلى السلطان ، فبنوا فوق الأساسات وجعلوا لها خمسة شبابيك من شرقها ،

وبابا قبلياً ، ومحراباً وبركة وعراقية ، وجعلوا حائطها بالحجارة البيض والسود ، وكلوا عليها بالآجر ،

وجاءت في غاية الحسن ، وقد كان السلطان الناصر حسن قد رسم بأن يجعل مكتبا للآيتام فلم يتم أمرها

حتى قتل كما ذكرنا .

واشتهر في هذا الشهر أن بقرة كانت تحيي من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلبة قد ماتت

أهمهم ، وهي في ناحية كنيسة مريم في خرابة ، فتجىء إليهم فتفسطح على شقها ترضع أولئك الجراء

منها ، تكرر هذا منها مراراً ، وأخبرني المحدث المفيد النقي نور الدين أحمد بن المقصوص بمشاهدته ذلك .

وفي العشر الأوسط من جادى الآخرة نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى في البلاد أن النساء يمشين في تستر ويلبسن أزدهن إلى أسفل من سائر ثيابهن ، ولا يظهرن زينة ولا يداً ، فامتلأن ذلك والله الحمد والمنة . وقدم أمير العرب جبار بن منها في أبهة هائلة ، وتلقاه نائب السلطنة إلى أثناء الطريق ، وهو قاصد إلى الأبواب الشرقة . وفي أواخر رجب قدم الأمير سيف الدين تمر المهنندار من نيابة غزة حليج الحجاب بدمشق ، وعلى مقدمة رأس الميمنة ، وأطلق نائب السلطنة مكوسات كثيرة ، مثل مكس الحداية وانزل المرددن الحلب والطباطى ، وأبطل ما كان يؤخذ من المحتسبين زيادة على نصف درهم ، وما يؤخذ من أجرة عمدة الموتى كل ميت بثلاثة ونصف ، وجعل العدة التي في القيسارية للحاجة مسبلة لا تنحجر على أحد في تفصيل ميت ، وهذا حسن جداً ، وكذلك منع الانتحجر في بيع البلح المخص به ، وبيع مثل بقية الناس من غير طرحان فرخص على الناس في هذه السنة جداً ، حتى قيل إنه بيع الفطاط بعشرة ، وما حولها .

وفي شهر شعبان قدم الأمير جبار بن منها من الديار المصرية فترل القصر الأباقي وتلقاه نائب السلطنة وأكرم كل منهما الآخر ، ثم رحل بعد أيام قلائل ، وقدم الأمراء الذين كانوا بحبس الاسكندرية في صبيحة يوم الجمعة ما جمعه ، وفيهم الأمير شهاب الدين بن صبح وسيف الدين طيهر الحجاب ، وطيرف وقدم ألف ، وعمر شاه ، وهذا ونائب السلطنة الأمير سيف الدين يدمر أعزده الله يبطل المكوسات شيئاً بعد شيء بما فيه مضرة بالمسلمين ، وبلغني عنه أن من عزمه أن يبطل جميع ذلك إن أمكنه الله من ذلك ، آمين انتهى .

(تنبيه على واقعة غريبة وانفلاق عجيب)

نائب السلطنة الأمير سيف الدين يدمر فيما بلغنا في نفسه عتب على أتاكك أهليار المصرية الأمير سيف الدين بلبغا الحاصكى مدير الدولة بها ، وقد تومس وتوم منه أنه يسعى في صرفه عن الشام ، وفي نفس نائبنا قوة وصرامة شديدة ، فنفس منه يبهض الالام عن طاعة بلبغا ، مع استناراه على طاعة السلطان ، وأنه إن اتفق عزل من قبل بلبغا أنه لا يسمح ولا يطيع ، فعمل أعمالاً واتفق في غضون هذا الحال موت نائب القلعة المنصورة بدمشق وهو الأمير سيف الدين برناق الناصرى فأرسل نائب السلطنة من أصحابه وحاشيته من يقسم القلعة برمتها ، ودخل هو بنفسه إليها ، وطلب الأمير زين الدين زبالة الذي كان قتيها ثم نائبها وهو من أخير الناس بها وبخطاتها وحواصلها ، فدار معه فيها وأراه حصونها وبروجها ومفاتيحها وأغلاقيها ودورها وقصورها وعددها وبركتها ، وما هو معد

فيها ولما ، وتمعجب الناس من هذا الاختلاق في هذا الحال ، حيث لم يتفق ذلك لأحد من النواب قبله قط ، وفتح الباب الذي هو تجاه دار السعادة وجعل نائب السلطنة يدخل منه إلى القلعة ويخرج بخضه وحشمه وأهنته يكشف أمرها وينظر في مصالحها أيده الله .

ولما كان يوم السبت خامس عشر شعبان ركب في الموكب على المائدة واستدعى الأمير سيف الدين استدمر الذي كان نائب الشام ، وهو في منزله كالمتقل فيه ، لا يركب ولا يراه أحد ، فأحضره إليه وركب معه ، وكذلك الأمراء الذين قدموا من الديار المصرية : طبرق ، وهو أحد أمراء الأتوق ومليدر الحاجب ، كان ، وأما ابن صبيح وعمر شاه فانهما كانا قد سافرا يوم الجمعة عشية النهار ، والمقصود أنه سيرهم وجميع الأمراء بسوق الخليل ، ونزل بهم بهم كلهم إلى دار السعادة فضاءها وتصادقوا وافترقا على أن يكونوا كلهم كتفاً واحداً ، وعصبة واحدة على مخالفة من أرادهم بسوء وأنهم يد على من سواهم ممن أراد عزل أحد منهم أو قتله ، وأن من قاتلهم قاتلوه ، وأن السلطان هو ابن أستاذهم الملك المنصور بن حاجي بن الناصر بن المنصور قلاوون ، فطأوعوا كلهم لنائب السلطنة على ما أراد من ذلك ، وحلفوا له وخرجوا من عنده على هذا الحلف ، وقام نائب السلطنة على عادته في عظمة هائلة ، وأهنة كثيرة ، والمسئول من الله حسن العاقبة .

وفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر شعبان أبطل ملك الأمراء المكس الذي يؤخذ من الملح وأبطل مكس الأفراح ، وأبطل أن لا تنفى امرأة لرجال ، ولا رجل لنساء ، وهذا في غاية ما يكون من المصلحة العظيمة الشامل فنها . وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره شرع نائب السلطنة سيف الدين بيدمر في نصب مجانيق على أعلى بروج القلعة ، فنصبت أربع مجانيق من جهاتها الأربع ، وبلفنى أنه نصب آخر في أرضها عند البحيرة ، ثم نصب آخر وآخر حتى شاهد الناس ستة مجانيق على ظهور الأبرجة ، وأخرج منها القلعية وأسكنها خلقاً من الأكراد والتركمان وغيرهم من الرجال الأتقياء ، وقتل إليهم من الغلات والأطعمة والأمتعة وآلات الحرب شيئاً كثيراً ، واستعد للحصار إن حوصر فيها بما يحتاج إليه من جميع ما يرصد من القلاع ، بما يهتد الحصر . ولما شاهد أهل البساتين المجانيق قد نصبت في القلعة انزعجوا وانتقل أكثرهم من البساتين إلى البلد ، ومنهم من أودع عند أهل البلد فائساً أموالهم وأمتعتهم ، والعاقبة إلى خير إن شاء الله تعالى .

وجاءتني فتيا صورتها : ما تقول السادة العلماء في ملك اشترى غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقعه ، ثم إنّه وثب على سيده فقتله وأخذه له ومنع ورثته منه ، وقصر في المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقسم عليه ليقته ، فهل له الامتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً أم لا ؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من التخصيص والمال ؟ أفتؤنأ مأجورين .

قلت لذى جاءني بها من جهة الأمير : إن كان مراده خلاص ضمه فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنية في الذي يقصده ، ولا يسى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجعة على ذلك ، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدربة والأمراء عليه ، فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً ، ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه والله الموفق للصواب .

هذا وقد اجتمع على الأمير نائب السلطنة جميع أمراء الشام ، حتى قيل إن فيهم من نواب السلطنة سبعة عشر أميراً ، وكلهم يحضر معه الموكب المائلة ، ويتزلون معه إلى دار السعادة ، ويمد لهم الأصمطة يأكل معهم ، وجاء الخبير بأن الأمير منجك الطرجامسي المقيم ببیت المقدس قد أظهر الموافقة لنائب السلطنة ، فأرسل له جبريل ثم عاد فأخبر بالموافقة ، وأنه قد استحوذ على غزة ونابيه ، وقد جمع وحشد واستخدم طوائف ، وسلك على الجادة فلا يدع أحداً يمر إلا أن يقتل ما معه ، لا احتمال إيصال كتب من هاهنا إلى هاهنا ، ومع هذا كله ظلمة ثابتة جداً ، والأمن حاصل هناك ، فلا يضاف أحد ، وكذلك بدمشق وضواحيها ، لا يهاج أحد ولا يتهدي أحد على أحد ، ولا يذهب أحد لأحد شيئاً والله الحمد ، غير أن بعض أهل البساتين توهموا وركبوا إلى المدينة ونحوها ، وأودع بعضهم نفائس ما عندهم ، وأقاموا بها على وجل ، ذلك لما رأوا المجانيق الستة منصوبة على رؤس قلال الأبراج التي للقلعة ، ثم أحضر نائب السلطنة القضاة الأربعة والأمراء كلهم وكتبوا مکتوباً سطره بينهم كاتب السر ، أنهم راضون بالسلطان كارهون ليلينا ، وأنهم لا يريدونه ولا يوافقون على تصرفه في المملكة ، وشهد عليهم القضاة بذلك ، وأرسلوا المکتوب مع مملوك للأمير طيغيا الطويل ، فظفر يلينا بالدار المصرية ، وأرسل منجك إلى نائب السلطنة يستحثه في الحضور إليه في الجيش ليناجزوا المصريين ، فعين نائب الشام من الجيش طائفة يبرزون بين يديه ، وخرجت التجربة ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان محبة استمر الذي كان نائب الشام مدعياً للأمير منجك في أفنين ، ويذكر الناس أن نائب السلطنة بمن بقي من الجيش ينهبون على إزم ، ثم خرجت أخرى بعدها ثلاثة آلاف ، ليلة الثلاثاء الثامن من رمضان كما سيأتي .

وتوفي الشيخ الحافظ علاء الدين منغلطاي المصري بها في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ، ودفن من القديس بآريدانية ، وقد كتب الكثير وصفه وجمع ، وكانت عنده كتب كثيرة رحمه الله .

وفي شهر رمضان أحضر جماعة من التجار إلى دار العمل ظاهراً باب النصر ليلع شيء عليهم من القند والفولاذ والزجاج مما هو في حواصل يلينا ، فاستموا من ذلك خوفاً من استمادته منهم على

تقديره فضرب بعضهم ، منهم شهاب الدين ابن الصواف بين يدي الحجاب ، وشاد الهداوين ، ثم أفرج عنهم في اليوم الثاني فخرج الله بذلك .

وخرجت التجريدة ليلة الثلاثاء بعد المشاء صحيحة ثلاثة مقدمين منهم عراق ثم ابن صبيح ثم ابن طارغية ، ودخل نائب طرابلس الأمير سيف الدين تومان إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء عاشر رمضان ، فلقاه ملك الأمراء سيف الدين بيبرس إلى الأقصر ، ودخلا معا في أبهة عظيمة ، فزلا تومان في القصر الأبلق ، وبرز من معه من الجيوش إلى عند قبة يلغا ، هذا والقلمة منصوب عليها المجانيق ، وقد ملئت حرساً شديداً ، ونائب السلطنة في غاية التحفظ . ولما أصبح يوم الخميس صمم تومان تمر على ملك الأمراء في الرحيل إلى غزة ليتوافى هو وبقية من تقدمه من الجيش الشامي ، ومنجك ومن معه هناك ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فأجابته إلى ذلك وأمر بتقدم السبق بين يديه في هذا اليوم ، فخرج السبق وأغلقت القلمة بابها المسالك الذي عند دار الحديث ، فاستوحش الناس من ذلك ، والله يحسن العقوبة

(خروج ملك الأمراء بيبرس من دمشق متوجهاً إلى غزة ليلحق الساكر هناك)

صلى الجمعة بالمقصورة الثاني عشر من رمضان نائب السلطنة ، ونائب طرابلس ، ثم اجتمعوا بالخطبة في مقصورة الخطابة ، ثم راح لدار السعادة ثم خرج طلبه في تجميل هائل على ما ذكر بعد العصر ، وخرج معهم فاستعرضهم ثم عاد إلى دار السعادة فبات إلى أن صلى الصبح ، ثم ركب خلف الجيش هو ونائب طرابلس ، وخرج عامة من بقي من الجيش من الأمراء وبقية الحلقة ، وسلمهم الله ، وكذلك خرج القضاة ، وكذلك كاتب السر ووكيل بيت المال وغيرهم من كتاب الهست ، وأصبح الناس يوم السبت وليس أحد من الجند بدمشق ، سوى نائب القبية الأمير سيف الدين بن حمزة التركاني ، وقريبه وإلى البر ، ومتولى البلد الأمير بدر الدين صدقة بن أوجد ، وعقشب البلد ونواب القضاة والقلمة على حالها ، والمجانيق منصوبة كما هي . ولما كان صبح يوم الأحد رجع القضاة بكرة ثم رجع ملك الأمراء في أنشاء التهار هو وتومان تمر ، وهم كلهم في ليس وأسلحة قامة ، وكل منهما خائف من الآخر أن يسكه ، فدخل هذا دار السعادة وراح الآخر إلى القصر الأبلق ، ولما كان بعد العصر قدم منجك واستمر كن نائب السلطنة بدمشق ، وهما مغلولان قد كسرهما من كان قدم على منجك من الساكر التي جهزها بيبرس إلى منجك قوة له على المصريين ، وكان ذلك على يدي الأمير سيف الدين تمر حاجب الحجاب ، ويعرف بالمهندار ، قال لمنجك كنا في خدمة من مصر ، ونحن لا نطيعك على نصره بيبرس ، فقتلوا ثم قاتلنا فهزم منجك وذهب تمر ومنجك ومن كان معهم كان صبح وطبيبر . ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين خامس عشر لم يوجد لتومان تمر وطبتر

ولا أحد من أمراء دمشق عين ولا أثر ، قد ذهبوا كلهم إلى طاعة صاحب مصر ، ولم يبق بدمشق من أمرائها سوى ابن قراسنقر من الأمراء المتقدمين ، وسوى بيدمر ومنجك واستنمر ، والقلمة قد هيئت والمجانيق منصوبة على حالها ، والناس في خوف شديد من دخول بيدمر إلى القلمة ، فيحصل بعد ذلك عند قدوم الجيش المصرى حصار وقمع ومشقة على الناس ، والله يحسن العاقبة .

ولما كان في أثناء نهار الاثنين سادس عشره دقت البشار في القلمة وأظهر أن يلبثا الخاصكى قد فناه السلطان إلى الشام ، ثم ضربت وقت المغرب ثم بعد العشاء في صبيحة يوم الثلاثاء أيضا ، وفي كل ذلك ركب الأمراء الثلاثة منجك وبيدمر واستنمر ملبيين ، ويخرجون إلى خارج البلد ، ثم يدودون ، والله في ما يقال ما بين مصدق ومكذب ، ولكن قد شرع إلى تسير القلمة ونهى الحصار فأنه وإنا إليه راجعون .

ثم تبين أن هذه البشار لا حقيقة لها ، فاهتم في عمل سنائر القلمة وحمل الزلط والأحجار إليها ، الأغنام والحوامل ، وقد وردت الأخبار بأن الركاب الشريف السلطاني ومحبته يلبثا في جميع جيش مصر قد عدا غزوة ، فعند ذلك خرج الصباح وكاتب السر والقاضي الشافى وناظر الجيش وتقبأه ومتولى البلد وتوجروا تلقاء حماة لتلقى الأمير على الذى قد جاءه تقليد دمشق ، وبقي البلد شافرا عن حاكم فيها سوى المحقصب وبعض القضاة ، والناس كنفهم لاراعى لهم ، ومع هذا الأحوال صالحة والأمور ساكنة ، لا يمدو أحد على أحد فيها يلبثا ، وهذا وبيدمر ومنجك واستنمر في تحصين القلمة وتحصيل العدد والأقوات فيها ، والله غالب على أمره (أننا نكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) السنائر تعمل فوق الأبرجة ، وصلى الأمير بيدمر صلاة الجمعة تاسع عشر الشهر في الشباك الكمالى ، في مشهد عتيان ، وصلى عنده منجك إلى جانبه داخل موضع القضاة ، وليس هناك أحد من الحجبة ولا التقباء ، وليس في البلد أحد من المباشرين بالكليّة ، ولا من الجند إلا القليل ، وكلهم قد سافروا إلى ناحية السلطان ، والمباشرىون إلى ناحية حماة لتلقى الأمير على نائب الشام الحرّوس ، ثم عاد إلى القلمة ولم يحضر الصلاة استنمر ، لأنه قيل كان منقطعا أو قد صلى في القلمة .

وفي يوم السبت العشرين من الشهر وصل البريد من جهة السلطان من أبناء الرسول إلى نائب دمشق يستعلم طاعته أو مخالفته ، وبعث عليه فيها اعتمده من استحوذ على القلمة ويخطب فيها ، وادخار الآلات والأطعمت فيها ، وعدم المجانيق والسنائر عليها ، وكيف تصرف في الأموال السلطانية تصرف الملك والملوك ، فتوصل ملك الأمراء من ذلك ، وذكر أنه إنما أرصد في القلمة جنادتها وأنه لم يدخلها ، وأن أبوابها مفتوحة ، وهى قلمة السلطان ، وإتمامه غريم بينه وبينه الشرع

والتقضة الأربعة - بمعنى بذلك - وكتب بالجواب وأرسل محبة البريدي وهو كئسلي مملوك
بقطبه الوديارد ، وأرسل في محبته الأمير صادم الدين أحد أمراء العشرات من يوم ذلك .

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان تصبح أبواب البلدة مغلقة إلى قريب الظهر ، وليس
ثم مفتوح سوى باب النصر والفرج ، والناس في حصر شديد وانزعاج ، فأنفقوا وإنا إليه راجعون .
ولكن قد اقترب وصول السلطان والسلاكر المنصورة . وفي صبيحة الاربعة أصبح الحال كما كان
وأزيد ، ونزل الأمير سيف الدين يلبيغا الخاصكي بعية يلبيغا ، وامتد طلبه من سيف داريا إلى القبة
المدكوذة في أبهة عظيمة ، وهئية حسنة ، وتأخر الركاب الشريف بتأخره عن الصبيين بعد ، ودخل
بيدمر في هذا اليوم إلى القلعة وتحصن بها . وفي يوم الخميس الخامس والعشرين منه استمرت الأبواب
كلها مغلقة سوى باب النصر والفرج ، وضاق النطاق وانحصر الناس جدا ، وقطع المصريون نهر
بانياس والفرع الداخلى إليها وإلى دار السعادة من القنوتات ، واحتاجوا لذلك أن يقطعوا القنوتات
ليسدوا الفرع المذكور ، فانزعج أهل البلدة لذلك وملؤا مافي بيوتهم من برك المدارس ، وبيعت القربة
بدرهم ، والحق بنصف ، ثم أرسلت القنوتات وقت العصر من يومئذ والله الحمد والمنة ، فانشرح الناس
لذلك ، وأصبح الصباح يوم الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح باب النصر والفرج إلى بعد طلوع الشمس
بزمان ، فأرسل يلبيغا من جنه أربعة أمراء وهم الأمير زين الدين زباله الذى كان نائب القلعة ، والمالك
صلاح الدين ابن الكامل ، والشيخ على الذى كان نائب الرحبة من جهة بيدمر ، وأمير آخر ، فدخلوا
البلدة وكسروا أقفال أبواب البلدة ، وفتحوا الأبواب ، فلما رأى بيدمر ذلك أرسل مفتاح البلدة
إليهم انتهى . (وصول السلطان الملك المنصور إلى المصطبة غربى عتبة مسجورا)

كان ذلك في يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان في جحافل عظيمة كالجبال ، قتل
عند المصطبة المنسوبة إلى دم ابنته الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاويون ، وجاءت الأمراء
ونواب البلاد لتقبيل يده والأرض بين يديه ، كنائب حلب ، ونائب حماة ، وهو الأمير علاء الدين
المارداني ، وقد عين لنيابة دمشق ، وكتب بتقليده بذلك ، وأرسل إليه وهو بحماة . فلما كان يوم
السبت السابع والعشرين منه خلع على الأمير علاء الدين على المارداني ببقاية دمشق وعُعيد إليها عودا
على بدء ، ثم هذه الكرة الثالثة ، وقبل يد السلطان وركب عن يمينه ، وخرج أهل البلدة لتهنئته ،
هذوا القلعة محصنة بيد بيدمر ، وقد دخلها ليلة الجمعة واحتنى بها ، هو ومنجك واستند ومن معه
من الاعوان بها ، ولسان حال القدر يقول (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)
ولما كان يوم الأحد طلب قضاء القضاة وأرسلوا إلى بيدمر وذويه بالقلعة ليصالحوه على شيء ميسور
يشترطونه ، وكان ما استدكره انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك ﴾

لما كان يوم الاحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي ، والشيخ سراج الدين الهندى الخنقى ، قاضى السكر المصرى الخفنية ، إلى بيدمر ومن معه ليتكلموا معهم فى الصلح لينزلوا على ما يشترطون قبل أن يشرعوا فى الحصار والمجانيق التى قد استدعى بها من صفد و بعلبك ، وأحضر من رجال النقاين نحو من ستة آلاف درهم فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أمانا إن أغاب إلى المصالحة ، فطالب أن يكون بأهله ببيت المقدس ، وطلب أن يعطى منجك كذا بناحية بلاد سيس ليسترزق هناك ، وطلب استدعى أن يكون بشمعداراً للأمر سيف الدين يلبنا الخراسانى . فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحلاب كن ، فأخبروا السلطان والأمراء بذلك ، فأجيبوا إليه ، وخلص السلطان والأمراء على جبريل خلما ، فرجع فى خدمة القضاة ومعهم الأمير استقبنا بن الأبوبكرى ، فدخلوا القلعة وباتوا هناك كلهم ، وانتقل الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطر زين ، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل ، فدخل القضاة وسلوا القلعة بما فيها من الخواصل إلى الأمير استقبنا بن الأبوبكرى ، انتهى . ﴿ دخول السلطان الملك المنصور محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك الناصر محمد

ابن الملك المنصور قلاوون ﴾

﴿ إلى دمشق فى جيشه وجنوده وأمرائه وأهله . ﴾

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطابق الشريف ، وفى محبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة ، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم وذويهم ، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون ، فخلع على القضاة الأريية وانصرفوا راجعين مجبورين ، وأما الأمراء المذكورون فاتهم أركبوا على خيل ضعيفة ، وخلف كل واحد منهم وساق أخذ بوسطه قبل ، وفى يد كل واحد من الوساقية خنجر كبير مسلول لئلا يستغفنه منه أحد فيقتله بها ، فدخل جبهة بين الناس ليروم ذلهم التى قد لبسهم ، وقد أحرق الناس بالطريق من كل جانب ، فقام كثير من الناس ، الله أعلم بصدقتهم ، إلا أنهم قد يقربون المائة ألف أو يزيدون عليها ، فرأى الناس منظرآ فظيماً ، فدخل بهم الوساقية إلى الميدان الأخضر الذى فيه القصر ، فأجلسوا هناك وهم ستة نفر : الثلاثة النواب وجبريل وابن استدعى ، وسادس ، وظن كل منهم أن يضل بهم فاقة ، فأتاه وإنا إليه راجعون يرأسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطالاً فى فجيل عظيم ، وليس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح ، ثم دخل السلطان فى آخر ذلك كله بمد المصر بمن ، وعليه

من أنواع الملابس قباز بخاري ، والقبة والطير يحملها على رأسه الأمير سيف الدين تومان نمر ، أتى
كان نائب طرابلس ، والأمراء مشاة بين يديه ، والبسط تحت قدمي فرسه ، والبشار تضرب خلفه
فدخل القلعة المنصورة المنصورة لا البدرية . ورأى ما قد أُرصد من المجانيق والأسلحة . فاشتد
حنقه على بيدمر وأصحابه كثيرآ ، ونزل الطارمة ، وجلس على سرير المملكة ووقف الأمراء
والنواب بين يديه ، ورجع الحق إلى نصابه ، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح في أول
يوم من رمضان ، وهذا في التاسع والعشرين منه ، وقد قيل إنه سلخه والله أعلم . وشرع الناس في الزينة .
وفي صبيحة يوم الثلاثاء سلخ الشهر نقل الأمراء المغضوب عليهم الذين ضل سبيلهم فيما كانوا
أمرؤه من ضمير سوء المسلمين إلى القلعة فأنزلوا في أبراجها مهانين مفترقا بينهم ، بمد ما كانوا بها
أمنين حاكين ، أصبحوا معتقلين مهانين خائفين ، فجاروا بمد ما كانوا رؤساء ، وأصبحوا بعد عزيم
أذلاء ، ووقبت أمحاب هؤلاء ونودى عليهم في البلد ، ووعد من دل على أحد منهم بحال جزيل ،
ولاية إمرة بحسب ذلك ، ورسم في هذا اليوم على الرئيس أمين الدين ابن القلانسي كاتب السر ،
وطلب منه ألف ألف درهم ، وسلم إلى الأمير زين الدين زلفة نائب القلعة ، وقد أعيد إليها وأعطى
تقدمة ابن قراستقر ، وأمره أن يعاقبه إلى أن يزن هذا المبلغ ، وصلى السلطان وأمرأؤه بالميدان
الآخر صلاة العيد ، ضرب له خام عظيم وصلى به خطيباً تقاضى تاج الدين الساربي الشافعي ، قاض
المسكر المنصورة لشافعية ، ودخل الأمراء مع السلطان لقلعة من باب المدرسة ، ومد لهم مطاطة ثلاث
أكلوا منه ثم رجعوا إلى دورهم وقصورهم ، وحل الطير في هذا اليوم على رأس السلطان الأمير على
نائب دمشق ، وخلع عليه خلمة هائلة .

وفي هذا اليوم ملك الأمير تومان نمر الذي كان نائب طرابلس ، ثم قدم على بيدمر ، فكان
معه ثم قتل إلى المصريين واعتذر إليهم فعفروه فيما يبدو للناس ، ودخل وهو حامل الخبز على رأس
السلطان يوم الدخول ، ثم ولوه نيابة حصص ، فصفروه وحقروه ، ثم لما استمر ذاهبا إليها فكان
عند القباوين أرسلوا إليه فأمسكوه وردوه ، وطلب منه المائة ألف التي كان قبضها من بيدمر ، ثم ردوه
إلى نيابة حصص .

وفي يوم الخميس اشتهر الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية وخابكية ملكوا عليهم
حسين الناصر ثم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا ، وأن الأمر قد انفصل ورد حسين للمحل الذي كان
معتقلا فيه ، وأطاع الله شر هذه الطائفة وقه الحمد .

وفي آخر هذا اليوم ليس القاضي ناصر الدين بن يعقوب خلمة كتابة السر الشريفة ،
والمدرستين ، ومشيخة الشيوخ عوضاً عن الرئيس علاء الدين بن القلانسي ، عزل وصودر ، وراح

الناس لتنهته بالمرء إلى وظيفته كما كان .

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث شوال مسك جماعة من الامراء الشاميين منهم الحجابان صلاح الدين وحسام الدين والمهندار ابن أخى الحجاب الكبير ، عمر ، وناصر الدين ابن الملك صلاح الدين ابن الكامل ، وابن حمزة والطرخاني واثنتان أخوان وهما طييفا زفر وبلجات ، كلهم طباخانات ، وأخرجوا خير وتمر حاجب الحجاب ، وكذلك الحجويرة أيضا لقاربى أحد أمراء مصر .

وفي يوم الثلاثاء سابع شوال مسك ستة عشر أميراً من أمراء العرب بالقلمة المنصورة ، منهم عمر بن موسى بن مهنا الملقب بالصع ، الذى كان أمير العرب فى وقت ، ومعيقل بن فضل بن مهنا وآخرون ، وذكروا أن سبب ذلك أن طائفة من آل فضل عرضوا للأمير سيف الدين الأحمدي الذى استاقوه على حلب ، وأخذوا منه شيئاً من بعض الامتعة ، وكانت الحرب تقع بينهم . وفى ليلة الخميس بعد المغرب حمل تسعة عشر أميراً من الأتراك والعرب على البريد مقيدى فى الاغلال أيضا إلى الديار المصرية ، منهم بياض ومنجك واستدر وجيريل وصلاح الدين الحجاب وحسام الدين أيضا وبلجك وغيرهم ، ومعهم نحو من مائتى فارس ملبسين بالسلاح متوكلين بحفظهم ، وساروا بهم نحو الديار المصرية ، وأمروا جماعة من الباطليين منهم أولاد لاقوش وأطلق الرئيس أمين الدين بن القلانسي من المصادرة والغريم بالقلمة ، بعد ما وزن بعض ما طلب منه ، وصار إلى منزله ، وهناه الناس .

(خروج السلطان من دمشق فاصداً مصر)

ولما كان يوم الجمعة عاشر شهر شوال خرج طلب يلبغا انطاكي صبيحته فى فجل عظيم لم ير الناس فى هذه المدد مثله ، من فجايب وجنايب ومماليك وعقاة هائلة ، وكانت عامة الاطلاق قد تقدمت قبله بيوم ، وحضر السلطان إلى الجامع الأموى قبل أذان الظهر ، فصلى فى مشهد عثمان هو ومن معه من أمراء المصريين ، ونائب الشام ، وخرج من فوره من باب النصر ذاهباً نحو الكسوة والناس فى الطرقات والأسطحة على العادة ، وكانت الزينة قد بقى أكثرها فى الصاغة والخواصين وباب البريد إلى هذا اليوم ، فاستمرت نحو العشرة أيام .

وفى يوم السبت حادى عشر شوال خلع على الشيخ علاء الدين الأنصارى بإعادة الحسبة إليه وعزل عماد الدين ابن السيرجى ، وخرج المحمل يوم الخميس سادس عشر شوال على العادة ، والأمير مصطفي البيرى . وتوفى يوم الخميس ويوم الجمعة أربعة أمراء بدمشق ، وهم طشتى وفر وطيفيا الغبل ، ونوروز أحد مدعى الألف ، وتمر المهندار ، وقد كان مقدم ألف ، وحاجب الحجاب وعمل نيابة غزة فى وقت ، ثم نصب عليه المصريون فيزولوه عن الامرة ، وكان مريضاً فاستمر مريضاً إلى أن توفى يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت بقرية التى أنشأها بالصوقية ، لكنه لم يدفن فيها بل

على بابها كأنه مودع أو ندم على بنائها فوق قبور المسلمين رحمه الله .

وتوفي الأمير ناصر الدين بن لاقوش يوم الاثنين العشرين من شوال ودفن بالقبيبات ، وقد فاب بيمليك وبمحص ، ثم قطع خبره هو وأخوه كحلن ونفوا عن البلد إلى بلدان شتى ، ثم رضى عنهم الأمير بلبغا وأعاد عليهم أخبارا بطلب الخانات ، فإلى ناصر الدين بالإسيرا حتى توفي إلى رحمة الله تعالى ، وقد أثرأ فلأرا حسنة كثيرة منها عند عقبة الرمانة خان مليح قانع ، وله بيمليك جامع وحمام وخان وفير ذلك ، وله من العمر ست وخمسون سنة .

وفي يوم الأحد السادس والعشرين منه درس القاضي نور الدين محمد بن قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء الشافعي بالمدرسة الآبائية ، نزل له عنها والده بتوقيع سلاطى ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ في قوله تعالى (الحج أشهر معلومات) وفي هذا اليوم درس القاضي نجم الدين أحمد بن عثمان التنايلسى الشافعي المعروف بابن الجاني بالمدرسة المصرية استنزل له عنها القاضي أمين الدين بن القلانسى في مصادراته . وفي صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من شوال درس القاضي ولي الدين عبد الله بن القاضي بهاء الدين أبي البقاء بالمدرستين الرواحية ثم القيمرية ، نزل له عنهما والده المذكور بتوقيع سلاطى ، وحضر عنده فيهما القضاة والأعيان .

وفي صبيحة يوم الخميس سلبخ شوال شهر الشيخ أسد بن الشيخ السكردى على جبل وطيف به في حواضر البلد ونودى عليه : هذا جزاء من يخامر على السلطان ويصد نواب السلطان ، ثم أنزل من الجبل وحمل على حمار وطيف به في البلد ونودى عليه بذلك ، ثم أزم السجن وطلب منه مال جزيل وقد كان المذكور من أعوان بيدمر المتقدم ذكره وأنصاره ، وكان هو المسلم لقلمة في أيامه .

وفي صبيحة يوم الاثنين حادى عشر ذى القعدة خلع على قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح بفضاء المسكر الذى كان متوفرا من علاء الدين بن قمرنوخ ، وهنأه الناس بذلك وركب البغلة بالزراى مضافا إلى ما بيده من نيابة الحكم والتدريس . وفي يوم الاثنين ثامن عشره أعيد تدريس الركنية بالصالحية إلى قاضي القضاة شرف الدين الكفرى الحنفى ، استرجعها بمرسوم شريف سلاطى ، من يد القاضي عماد الدين بن العز ، وخام على الكفرى ، وذهب الناس إليه لتهنئة بالمدرسة المذكورة .

وفي شهر ذى الحجة اشهر وقوع فتن بين الفلاحين بناحية مجلون ، وأنهم اقتتلوا قتل من الفريقين البنى والقيس طائفة ، وأن عين حينا التى هى شرق مجلون دمرت وخربت ، وقطع أشجارها ودمرت بالكلية . وفي صبيحة يوم السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة لم تفتح أبواب دمشق إلى ما بعد طلوع الشمس ، فأنكر الناس ذلك ، وكان سببه الاحتياط على أمير يقال له كسبغا ، كان يريد

الهرب إلى بلاد الشرق ، فاحتيط عليه حتى أمسكه .

وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة قدم الأمير سيف الدين طاز من القدس قنزل بالقصر الأبقى ، وقد عي من الكمل حين كان مسجوناً بالاسكندرية ، فأطلق كما ذكرنا ، ونزل ببيت المقدس مدة ، ثم جاءه تقليد بأنه يكون طرخاناً ينزل حيث شاء من بلاد السلطان ، غير أنه لا يدخل ديار مصر ، فجاء قنزل بالقصر الأبقى ، وجاء الناس إليه على طبقتهم - فائب السلطنة فن دونه - يدهون عليه وهو لا يعبر شيئاً ، وهو على عزم أن يشتري أو يستكرى له داراً بدمشق يسكنها . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبعمائة)

استمرت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين الشرقيين وما والاها من الممالك الإسلامية السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر أمير حجاج بن الملك المنصور قلاوون ، وهو شاب دون العشرين ، ومدير الممالك بين يديه الأمير يلبناء ، وقائب الديار المصرية طشتمر ، وقضايتها المذكورون في التي قبلها ، والوزير سيف الدين قزوينة ، وهو مريض مدنف وقائب الشام بدمشق الأمير دلاء الدين المارداني ، وقضاياه المذكورون في التي قبلها ، وكذلك الخطيب ووكيل بيت المال والمحتسب علاء الدين الأنصاري ، عاد إليها في السنة المنفصلة ، وحاجب الحاجب قاري ، والقاضي بلبه السابائي وآخر من مصر أيضاً ، وكاتب السر القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب الحاملي ، وناصر الجامع القاضي تقي الدين بن مرآجل ، وأخير في قاضي القضاة تاج الدين الشافعي أنه جدد في أول هذه السنة قاضي حنفى بمدينة صفد المحروسة مع الشافعي ، فصار في كل من حماة وطرابلس وصفد قاضيان شافعي وحنفى .

وفي ثاني المحرم قدم قائب السلطنة بسد غيبة فهو من خمسة عشر يوماً ، وقد أوطأ بلاد فرير بالربع ، وأخذ من مقدمهم طائفة فأودعهم الحبس ، وكان قد اشتهر أنه قصد الشيراز المواسين ببلاد هملون ، فسألته عن ذلك حين سلمت عليه فأخبرني أنه لم يمد لحية فرير ، وأن الشيراز قد اصالحوا واعتقوا ، وأن التجريدة عندهم هناك . قال : وقد كبس الأعراب من حرم الترك فهزمهم لا ترك وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم ظهر للرب كين فاجأ الترك إلى وادي صرح فصرعهم هناك ، ثم وات الأعراب فراراً ولم يقتل من الترك أحد ، وإنما جرح منهم أمير واحد فقط ، وقتل من الأعراب فوق الخمسين نفساً .

وقدم الحاجب يوم الأحد للثاني والعشرين من المحرم ، ودخل المحمل السلطاني ليلة الاثنين بعد المشاء ، ولم يحتفل له بخولة كما جرت به العادة ، وذلك لشدة ما نال الركب في الرحلة من برز إلى هنا

من البرد الشديد ، بحيث إنه قد قيل إنه مات منهم بسبب ذلك نحو المائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولكن أخبروا برخص كثير وأمن ، وبموت نفة أخى عجلان صاحب مكة ، وقد استبشر بموته أهل تلك البلاد لبنيته على أخيه عجلان المادل فبهم انتهى والله أعلم .

(منام غريب جدا)

ورأيت - يعنى المصنف - فى ليلة الاثنين الثانى والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة الشيخ محى الدين التتواوى رحمه الله قتلته : يا سيدى الشيخ لم لا أدخلت فى شرحك المذهب شيئا من مصنفات ابن حزم ؟ قال ما معناه : إنه لا يجبه ، قتلته : أنت مذكور فيه فانه جمع بين طرفى التفضيلى فى أصوله وفروعه ، أما هو فى الفروع فظاهره جاهد بإس ، وفى الأصول تول ماأع قرمطة القرامطة وهرس المرائسة ، ورفضت بها صوتى حتى صمعت وأنا نائم ، ثم أشرت له إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هى أردأ شكلا منه ، لا ينتفع بها فى استفلال ولا رعى ، قتلته له : هذه أرض ابن حزم التى زرعها [قال : أنظر هل ترى فيها شجرا مثمرا أو شيئا ينتفع به ، قتلته] إنما تصباح الجولس عليها فى ضوء القمر . فهذا حاصل ما رأيته ، ووقع فى خلى أن ابن حزم كان حاضرا عند ما أشرت للشيخ محى الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم ، وهو ساكت لا يتكلم . وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر خلع على القاضي عماد الدين بن الشيرجى بعود الحسبة إليه بسبب ضعف علاء الدين الأنصارى عن القيام بها لشغله بالمرض المدف ، وهنأ الناس على السادة . وفى يوم السبت السادس والعشرين من صفر توفى الشيخ علاء الدين الأنصارى المذكور بالمدسة الأمينية ، وصلى عليه الظاهر بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير خلف محراب جامع جراح ، فى تربة هناك ، وقد جاوز الأربعين سنة ، ودرس فى الأمينية وفى الحسبة مرتين وترك أولادا صغارا وأموالا جزيلة سامحه الله ورحمه ، وولى المدسة بعده قاضى القضاة تاج الدين بن السبكى بمرسوم كريم شريف .

وفى العشر الأخير من صفر بلغنا وفاة قاضى قضاة المالكية الاخنائى بمصر وتولية أخيه برهان الدين ابن قاضى القضاة علم الدين الاخنائى الشافعى أبوه قاضيا مكان أخيه ، وقد كان على الحسبة بمصر مشكور السيرة فيها ، وأضيف إليه نظر الخزانة كما كان أخوه . وفى صبيحة يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول كان ابتداء حضور قاضى القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن قاضى القضاة تقي الدين بن الحسن بن عبد الكافى السبكى الشافعى تدرىس الأمينية عوضا عن الشيخ علاء الدين المحتسب ، يحكم وقته رحمه الله كما ذكرنا ، وحضر عنده خلق من العلماء والأشراء والفقهاء والعامة ، وكان درسا حافلا ، أخفى قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)

الآية وما بعدها ، فاستبطل أشياء حسنة ، وذكر ضرباً من العلوم بمباراة طلبة جارية مسولة ، أخذ ذلك من غير تعلم ولا تلجلج ولا تكلف فأجاد وأتاد ، وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم حتى قال بعض الأكابر : إنه لم يسمع درساً مثله .

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين منه توفي الصدر برهان الدين بن لؤلؤ الحوضي ، في داره بالقصاصين ولم يمرض إلا يوماً واحداً ، وصلى عليه من القند بمجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، وخرجوا به من باب النصر فخرج نائب السلطنة الأمير على فضلى عليه إماماً خارج باب النصر ، ثم ذهبوا به فدفنوه بمقابرهم بباب الصغير ، فدفن عند أبيه رحمه الله ، وكان رحمه الله فيه مروءة وقيام مع الناس ، وله وجاعة عند الدولة وقبول عند نواب السلطنة وغيرهم ، ويحب العلماء وأهل الخير ، ويأظف على جميع مواعيد الحديث والخير ، وكان له مال وثروة وسرور ، قارب الثمانين رحمه الله .

وجاء البريد من الديار المصرية فأخبر بموت الشيخ قمس الدين محمد بن النقاش المصري بها ، وكان واعظاً باهراً ، وفصيحاً ماهراً ، ونحوياً شاعراً ، له يد طويلة في فنون متعددة ، وقدره على نسج الكلام ، ودخول على الدولة وتحصيل الأموال ، وهو من أبناء الأربعين رحمه الله .

وأخبر البريد بولاية قاضي القضاة شرف الدين المالكي البغدادي ، الذي كان قاضياً بالشام المالكية ، ثم عزل بنظر الخزانة بمصر ، فانه رتب له معلوم وأقر يكفيه ويفضل عنه ، ففرح بذلك من يحبه .

وفي يوم الأحد السابع عشر من ربيع الآخر توفي الرئيس أمين الدين محمد بن الصدر جمال الدين أحمد بن الرئيس شرف الدين محمد بن القلانسي ، أحد من بقي من رؤساء البلد وكبرائها ، وقد كان بأشر مباشرات كبار كآبائه وعه علاء الدين ، ولكن طاق هذا على أسلافه فانه بأشر وكالة المال مدة ، وولى قضاء العساكر أيضاً ، ثم ولى كتابة السرمع مشيخة الشيوخ وتدريس الناصرية والشامية الجوانية ، وكان قد درس في المصرونية من قبل سنة ست وثلاثين ، ثم لما قدم السلطان في السنة الماضية عزل عن مناصبه الكبار ، وصودر بمبلغ كثير يقارب مائتي ألف ، فباع كثيراً من أملاكه وما بقي بيده من غلاته شيء ، وبقى خاملاً مدة إلى يومه هذا ، فتوفى بقتة ، وكان قد نشوش قليلاً لم يشعر به أحد ، وصلى عليه المصري بمجامع دمشق ، وخرجوا به من باب الناطفانيين إلى تربتهم التي بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثامن عشره ، خلع على القاضي جمال الدين بن قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي ، وجعل مع أبيه شريكاً في القضاء ولقب في التوقيع الوارد محبة البريد من جهة السلطان « قاضي القضاة » فلبس الخلمة بدار السعادة وجاء معه قاضي القضاة تاج الدين السبكي

إلى النورية فقام في المسجد ووضعت الرتبة قرئت وقرئ القرآن ولم يكن درساً ، وجاءت الناس להתننت بما حصل من الولاية له مع أبيه .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الجامع فتح الدين بن الشيخ زين الدين الفارقي ، إمام دار الحديث الأشرفية ، وخازن الأثر بها ، ومؤذن في الجامع ، وقد أتمت عليه تسعون سنة في خير وصيانة وتلاوة وصلاة كثيرة واجتماع عن الناس ، صلى عليه صبيحة يومئذ ، وخرج به من باب النصر إلى نحو الصالحية رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الاثنين عشر جمادى الأولى ورد البريد وهو قراباد وادار نائب الشام الصغير ومعه تقليد بقضاء قضية الخفية للشيخ جمال الدين يوسف بن قاضي القضاة شرف الدين الكفري ، بمقتضى نزول أبيه له عن ذلك ، وليس الخلة بدار السعادة وأجلس تحت المالك ، ثم جاؤا إلى المقصورة من الجامع وقرئ تقليده هناك ، قرأه فحس الدين بن السبكي نائب الحسبة ، واستجاب اثنين من أصحابهم وما فحس الدين بن منصور ، وبدر الدين بن الخراش ، ثم جاء معه إلى النورية فدرس بها ولم يحضره والده بشيء من ذلك انتهى والله أعلم .

(موت الخليفة المعتض بالله)

كان ذلك في العشر الأوسط من جمادى الأولى بالقاهرة ، وصلى عليه يوم الخميس ، أخبرني بذلك قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ، عن كتاب أخيه الشيخ بهاء الدين رحمه الله .

(خلافة التوكل على الله)

ثم بويع بعده ولده التوكل على الله على أبو عبد الله محمد بن المعتض أبي بكر أبي الفتح بن المستكن بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد رحمه الله أسلافه .

وفي جمادى الأولى توجه الرسول من الديار المصرية ومعه صانق خليفة وسلطانية وثاليد وخلع ونحف لصاحبي الموصل وسنجار من جهة صاحب مصر ليخطب له فيهما ، وولى قاضي القضاة تاج الدين الشافعي السبكي الحاكم بدمشق قاضيهما من جهته تقليدين ، حسب ما أخبرني بذلك ، وأرسل مع ما أرسل به السلطان إلى البهين ، وهذا أمر غريب لم يقع مثله فيما تقدم فيا أعلم والله أعلم . وفي جمادى الآخرة خرج نائب السلطنة إلى صرح الفسولة ومعه حبيته ونباه النقباء ، وكتاب السرودوه ، ومن عزيمهم الإقامة مدة ، قدم من الديار المصرية أمير على البريد فأسرعوا الأوبة فدخلوا في صبيحة الأحد الحادي والعشرين منه ، وأصبح نائب السلطنة فحضر الموكب على العادة ، وخلع على الأمير سيف الدين بلبا الصالح ، وجاء النص من الديار المصرية بخلة دواود عوضاً عن سيف الدين كحلان ، وخلع في هذا اليوم على الصدر فحس الدين بن مرقى بنوقيع الهست ، وجهات

آخر ، قدم بها من الديار المصرية ، فانتشر الخير في هذا اليوم بإجلاس قاضي القضاة شمس الدين الكفري الخنفي ، فوق قاضي القضاة المالكية ، لكن لم يحضر في هذا اليوم ، وذلك بعد ما قد أمر بإجلاس المالكي فوقه .

وفي ثاني رجب توفي القاضي الامام شمس الدين بن مفلح المقدسي الخنبلي ، نائب مشيخة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسي الخنبلي ، وزوج ابنته ، وله منها سبعة أولاد ذكر و إناث ، وكان بارعاً فاضلاً متفتناً في علوم كثيرة ، ولا سبيل علم الفروع ، كان غاية في نقل مذهب الامام أحمد ، وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المقنع نحواً من ثلاثين مجلداً كما أخبرني بذلك عنه قاضي القضاة جمال الدين ، وعلق على محفظة أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية مجلدين ، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات رحمه الله ، توفي عن نحو خمسين سنة ، وصلى عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثاني الشهر بالجامع المظفري ، ودفن بمقبرة الشيخ الموفق ، وكانت له جنازة حافلة حضرها القضاة كلهم ، وخلق من الأعيان رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عائكة أسوأ الأدب على النائب ومالكيه ، بسبب جامع الخطبة جدد بناحيهم ، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويجهل زاوية لأرقاصين ، فحكم القاضي الخنبلي بجهل جامعاً قد نصب فيه منبر ، وقد قسم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه ، فأنفذت أفض أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعاً ، وأعظموا ذلك ، فتكلم بعضهم بكلام سيئ ، واستنصر نائب السلطنة طائفة منهم وضربهم بالمقارع بين يديه ، ونودي عليهم في البلد ، فأراد بعض العامة إنكاراً لذلك ، وحدث مبعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف ، وتبه أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي ، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج ، واجتمع عنده خلق كثير وجم غفير ، وقرأ في السيرة النبوية من خطي ، وذلك في المشر الأول من هذا الشهر .

(عجوبة من العجائب)

وحضر شلب عجمي من بلاد تيريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلما وجامع المسانيد والكشاف والزمخشري وغير ذلك من محاضرها ، في فنون آخر ، فلما كان يوم الأربعاء سلك شهر رجب قرأ في الجامع الأموي بالحياط الشمالي منه ، عند باب الكلاسة من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب العلم منه ، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة يدي ، فأدى جيداً ، غير أنه يصحف بعضاً من الكلمات لمجم فيه ، وربما لحن أيضاً في بعض الأحيان ، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين ، فأعجب ذلك جماعة كثيرين ، وقال آخرون منهم إن سرد بقية

الكتاب على هذا المنوال لمظيم جداً ، فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهل شعبان في المكان المذكور ، وحضر قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء ، واجتمع العامة محققين ققرأ على المادة غير أنه لم يطول كأول يوم ، وسقط عليه بعض الأحاديث ، وصحف ولحن في بعض الألفاظ ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي ققرأ بمحضرتهما أيضا بعض الشيء ، وهذا العامة محتفون به متمجبون من أمره ، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه ، وفرح بكتابتني له بالسباع على الاجازة ، وقال : أنا ما خرجت من بلادى إلا إلى القصد إليك ، وأن تجيزنى ، وذكرك في بلادنا مشهور ، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كارهه القضاة والأعيان بشيء من الهوام يقارب الألف .

﴿ عزل الأمير على عن نيابة دمشق المحروسة ﴾

في يوم الأحد حادى عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير على عن نيابة دمشق ، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره ، وخاع عليه خلمة وردت مع البريد ، ورسم له بقرية دومة وأخرى في بلاد طرابلس على سبيل الراتب ، وأن يكون في أى البلاد شاء من دمشق أو القدس أو الحجاز ، فانتقل من يمه من دار السعادة وبقى أمحابه ومعاليكه ، واستقر نزوله في دار الخليل بالقصاعين التي جدها وزاد فيها دو يداره بلبغا ، وهي دار هائلة ، وراح الناس فتنأسف عليه والحزن له انتهى .

﴿ سفر قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي الشافعي ﴾

﴿ مطلوبوا إلى الديار المصرية موزولا عن قضاء دمشق ﴾

ورد البريد بطلبه من آخر نهار الأحد بعد العصر الحادى عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة، فأرسل إليه حاجب الحجاب قارى وهو نائب النيبة أن يسافر من يومه ، فاستنظروهم إلى الند فأهمل ، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكي بقضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين ، وأرسل يستتيب ابن أخنهما قاضي القضاة تاج الدين في التأهب والسير ، وجاء الناس إليه ليودعوه ويستوحشون له ، وركب من بستانه بعد العصر يوم الاثنين ثانى عشر شعبان ، متوجها على البريد إلى الديار المصرية ، وبين يديه قضاة القضاة والأعيان ، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي ، حتى ردم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها والله المسؤول في حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة ، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

﴿ أعجوبة أخرى غريبة ﴾

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كال الدين بن الشريشى شيخ الشافعية وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة فمس الدين بن الموصلى

الشافعي ، والشيخ الإمام العلامة صلاح الدين الصفدي ، وكيل بيت المال ، والشيخ الإمام العلامة
فهمس الدين الموصل الشافعي ، والشيخ الإمام العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من ذرية
الشيخ أبي إسحق الفيرزي زابادي ، من أئمة الفريين ، والخطيب الإمام العلامة صدر الدين بن المرز
الحنفى أحد البلغاء الفضلاء ، والشيخ الإمام العلامة نور الدين علي بن الصارم أحد القراء المحققين
البلغاء ، وأحضروا نيفاً وأربعين مجلداً من كتاب المنتهى في اللغة لتتبع البرمكي ، وقف الناصرية
وحضر وفد الشيخ كال الدين بن الشريشي ، وهو العلامة بدر الدين محمد ، واجتمعنا كلنا عليه ،
وأخذ كل منا مجلداً بيده من تلك المجلدات ، ثم أخذنا نساله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها ،
فينشر كلامها ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد ، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد
اللغة ولا يشذ عنه منها إلا القليل الشاذ ، وهذا من أعجب المعجائب ، وأبلغ الاعراب .

(دخول نائب السلطنة سيف الدين تشتر)

وذلك في أوائل رمضان يوم السبت ضحى والحجبة بين يديه والجيش بكامله ، فتقدم إلى سوق
الخليل فأركب فيه ثم جاء ونزل عند باب السر ، وقبل العتبة ثم مشى إلى دار السعادة والناس بين
يديه ، وكان أول شيء حكم فيه أن أمر بصلب الذي كان قتل بالأمر إلى الصالحية ، وهو ذاهب إلى
صلاة الجمعة ، ثم هرب فقبه الناس فقتل منهم آخر وجرح آخرين ثم تكاثروا عليه فسك ، ولما
صلب طافوا به على جبل إلى الصالحية فأت هناك بعد أيام ، وقاسى أمراً شديداً من العقوبات ، وقد
ظهر بعد ذلك على أنه قتل خلقاً كثيراً من الناس قببه الله .

(قدم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن قاضي القضاة تقي الدين عوضاً عن

أخيه قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب)

قدم يوم الثلاثاء قبل المصربداً بملك الأمراء فسلم عليه ، ثم مشى إلى دار الحديث فجلس هناك
ثم مشى إلى المدرسة الزكنية فقتل بها عند ابن أخيه قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح ، قاضي
المساكر ، وذهب الناس لسلام عليه وهو يكره من يلقيه بقاضي القضاة ، وعليه تواضع وتكشف ،
ويظهر عليه تأسف على مفارقة بلده ووطنه وولده وأهله ، والله المستول المأمول أن يحسن العاقبة .

وخرج الحمل السلطاني يوم الخميس ثامن عشر شوال ، وأمر الحاج الملك صلاح الدين بن الملك
الكامل بن السعيد العادل الكبير ، وقاضيه الشيخ بهاء الدين بن سبع مدرس الأمينية بيمليك
وفي هذا الشهر وقع الحكم بما ينص الجاهدين من وقف المدرسة التقوية إليهم ، وأذن القضاة
الأربعة إليهم بمحضرة ملك الأمراء في ذلك .

وفي ليلة الأحد ثالث شهر ذي القعدة توفي القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب كاتب السر ،

وشيخ الشيوخ ومدرس الناصرية الجوانية والشامية الجوانية دمشق ، ومدرس الأسدية بحلب ، وقد باشر كتابة الدر بحلب أيضاً ، وقضاء المساكين وأقضى بزمان ولاية الشيخ كمال الدين الزملي كافي قضاء حلب ، أذن له هناك في حدود سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ومولده سنة سبع وسبعمائة ، وقد قرأ التنبيه ومختصر ابن الحاجب في الأصول ، وفي العربية ، وكان عنده نباهة وممارسة للعلم ، وفيه جودة طباع وإحسان بحسب ما يقدر عليه ، وليس يتوسم منه سوء ، وفيه ديانة وعفة ، حلف لي في وقت الأيمان المفلظة أنه لم يمكن قط منه فاحشة الاواط ولا خطر له ذلك ، ولم يزن ولم يشرب مسكراً ولا أكل حشيشة ، فرحه الله وأكرم مثواه ، صلى عليه بعد الظهر يومئذ وخرج بالجنازة من باب النصر فخرج نائب السلطنة من دار السعادة فحضر الصلاة عليه هناك ، ودفن بمقبرة لهم بالصوفية وتأسفوا عليه وترحوا ، وتراحم جماعة من الفقهاء بطلب مدارسة انتهى .

(ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة)

استهات هذه السنة وسلطان الاسلام بالله المصيرية والشامية والحجازية وما يتبعهما من الاقاليم والرساتيق الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المنصور المظفرى حاجي بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ومدير الملك بين يديه ، وأتابك المساكين سيف الدين يلغا ، وقضاة مصر هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن ابن جماعة قاضى الشافعية وموفق الدين قاضى الحنابلة في الحجاز الشريف ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين قشتمر المنصورى ، وقاضى قضاء الشافعية الشيخ بهاء الدين ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكي ، وأخوه قاضى القضاة تاج الدين مقيم بمصر ، وقاضى قضاء الحنفية الشيخ جمال الدين ابن قاضى القضاة شرف الدين الكفري ، آثره والده بالمنصب وأقام على تدريس الركنية يتعبد ويبلغ ويجمع على العبادة ، وقاضى قضاء المالكية جمال الدين المسلاوى ، وقاضى قضاء الحنابلة الشيخ جمال الدين المرادوى محمود بن جملة ، وعحسب البهله الشيخ عماد الدين بن الشيرجى ، وكتب المسر جمال الدين عبد الله بن الأنثير ، قسم من الديار المصرية عوضاً عن ناصر الدين بن يعقوب ، وكان قدومه يوم سلخ السنة الماضية ، وناظر الدواوين بدر الدين حسن بن النابلس ، وناظر الخزانة القاضى تقي الدين بن راجل . ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم بعد العصر خوفاً من المطر ، وكان وقع مطر شديد قبل أيام ، فتفان منه غلات كثيرة بمحوران وغيرها ، ومشاطيخ وغير ذلك ، فأنقذها وإنا إليه راجعون .

وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين من بعد عشاء الآخرة قبل دقة القلعة دخل فارس من ناحية باب الفرج إلى ناحية باب القلعة الجوانية ، ومن ناحية الباب المذكور سلسلة ، ومن ناحية باب النصر أخرى جددتنا للتلايم راكب على باب القلعة المنصورة ، فسلك هذا القارس المذكور على

السلسلة الواحدة فقطعها ، ثم مر على الأخرى فقطعها وخرج من باب النصر ولم يعرف لأنه مقيم .
وفي حادى عشر صفر وقيل يوم قدم البريد من الديار المصرية يطلب الأمير سيف الدين زبالة أحد
أمراء الأتوف إلى الديار المصرية مكرماً ، وقد كان عزل عن نيابة القلعة بسبب ما قسم ، وجاء البريد
أيضاً ومعه التواقيع التى كانت بأيدي ناس كثير ، زيادات على الجامع ، ردت إليهم وأقروا على
ما بأيديهم من ذلك ، وكان ناظر الجامع تقي الدين بن مراجل قد سعى برفع ما زيد بعد
التذكرة التى كانت فى أيام صرغتمش ، فلم يف ذلك ، وتوجه الشيخ بهاء الدين بن السبكي قاضى
قضاء الشام الشافى من دمشق إلى الديار المصرية يوم الأحد سادس عشر صفر من هذه السنة ،
وخرج القضاة والأعيان لتوديمه ، وقد كان أخبرنا عند توديمه بأن أخاه قاضى القضاة تاج الدين قد
لبس خلمة القضاء بالديار المصرية ، وهو متوجه إلى الشام عند وصوله إلى ديار مصر ، وذكر لنا أن
أخاه كاره للشام . وأنشدنى القاضى صلاح الدين الصفدى ليلة الجمعة رابع عشره لنفسه فيما عكس
عن المنتهى فى يديه من قصيدته وهو قوله :

إذا اعتاد النفى خوض المنال • فأيسر ما يمر به الوصول

وقال دخول دمشق يكسبنا نحولاً • كأن لما دخولا فى البرايا

إذا اعتاد الغريب الخوض فيها • فأيسر ما يمر به المنال

وهذا شعر قوى ، وعكس جلى ، لفظاً ومعنى .

وفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر عملت خيمة حافلة بالمراستنان الدقاقى جوار الجامع ،
بسبب تكامل تجهيده قريب السقف مبنيًا بالابن ، حتى قناطره الأربع بالحجارة البلق ، وجعل
فى أعاليه قرىبات كبار مضيئة ، وفتح فى قبلته إيواناً حسناً زاد فى أعماقه أضعاف ما كان ، وبيضه
جميعه بالخص الحسن الملبح ، وجسدت فيه خزائن ومصالح ، وفرش ولحف جيد ، وأشياء حسنة ،
فأنابه الله وأحسن جزاءه أمين ، وحضر الخيمة جماعت من الناس من الخواص والعوام ، ولما كانت
الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهد من الممارات ، وأخبره بما كانت عليه
حاله قبل هذه المارة ، فاستجاد ذلك من صنيع الناظر .

وفى أول ربيع الآخر قدم قاضى القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على قضاء الشام
عوداً على بدء يوم الثلاثاء رابع عشره فبدأ بالسلام على نائب السلطنة بدار السعادة ، ثم ذهب إلى
دار الأمير على القضاة فسلم عليه ، ثم جاء إلى المادلية قبل الزوال ، ثم جاءه الناس من الخواص
والعام يسلمون عليه ويهنونه بالود ، وهو يتودد ويترحب بهم . ثم لما كان صبح يوم الخميس سادس
عشره لبس الخلمة بدار السعادة ثم جاء فى أبهة هائلة لابسا إلى المادلية قرى قديمة بها بحضرة

القضاة والأعيان وهنأ الناس والشراء والملاح .

وأخبر قاضي القضاة تاج الدين بموت حسين بن الملك الناصر ، ولم يكن بقي من بنيه لصلبه سواه ، ففرح بذلك كثير من الأمراء وكبار الدولة ، لما كان فيه من حدة وارثكأ أمور منكرة . وأخبر بموت القاضي فجر الدين سليمان بن القاضي عماد الدين بن الشيرجى ، وقد كان اتفق له من الأمر أنه قد حبة دمشق عوضاً عن أبيه ، نزل له عنها باختياره لكبره وضعفه ، وخلع عليه بالديار المصرية ، ولم يبق إلا أن يركب على البريد فتمرض يوماً وثانياً وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فتألم والده بسبب ذلك تألماً عظيماً ، وعزاه الناس فيه ، ووجدته صابراً محتسباً بما كآ مسترجعاً موجعاً انتهى .

(بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس النعم)

مع ولاية سعد الدين ماجد بن التاج إسحاق من الديار المصرية على نظر الدواوين قبله ، ففرح الناس بولاية هذا وقدمه ، وبمزل الأول وانصرافه عن البلد فرحاً شديداً . ومعه مرسوم شريف بوضع نصف مكس النعم ، وكان عبرته أربعة دراهم ونصف ، فصار إلى درهمين وربيع درهم ، وقد تودى بذلك في البلد يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر ، ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، والله الحمد والمنة ، وتضاعفت أديعتهم لمن كان السبب في ذلك ، وذلك أنه يكثر الجلب برخص اللحم على الناس ، يأخذ الديوان نظيره ما كان يأخذ قبل ذلك ، وقدر الله تعالى قدوم وفود وقبول بتجائر متعددة ، وأخذ منها الديوان السلطاني في الزكاة والوكالة ، وقدم مراكب كثيرة فأخذ منها في المشر أضعاف ما أطلق من المكس ، والله الحمد والمنة . ثم قرىء على الناس في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة قبل العصر .

وفي يوم الاثنين العشرين منه ضرب الفقيه قيس الدين بن الصفدى بدار السعادة بسبب خاتمه الطواويس ، فانه جاء في جماعة منهم ينظفون من كاتب السر الذى هو شيخ الشيوخ ، وقد تكلم معهم فيما يتعلق بشرط الواقف مما فيه مشقة عليهم ، فتكلم الصفدى المذكور بكلام فيه غلظ ، فبطح ليضرب فشنع فيه ، ثم تكلم فشنع فيه ، ثم بطح الثالثة فضرب ثم أمر به إلى السجن ، ثم أخرج بعد ليلتين أو ثلاثة .

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين منه درس قاضي القضاة الشافى بدارسه ، وحضر درس الناصرية الجوانية بمقتضى شرط الواقف الذى أثبتته أخوه بعد موت القاضي ناصر الدين كاتب السر ، وحضر عنده جماعة من الأعيان وبعض القضاة ، وأخذ في سورة الفتح ، قرىء عليه من تفسير والده في قوله (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) .

وفي مستهل جمادى الأولى يوم الجمعة بعد صلاة الفجر مع الامام الكبير صلى على القاضي

قطب الدين محمد بن الحسن الحاكم بمصر ، جاء إلى دمشق لتلقى أخى زوجته قاضى القضاة تاج الدين السبكي الشافى ، فمرض من مدة ثم كانت وفاته بدمشق ، فعلى عليه بالجمع كما ذكرنا ، وخارج باب الفرج ، ثم صعدوا به إلى سفح جبل قاسيون ، وقد جاوز الثمانين بسنتين ، وقد حدث وروى شيئا يسيرا رحمه الله .

وفى يوم الأحد ثلثة قدم قاضيا الحنفية والحنبلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الاذرى ، والشيخ زين الدين البارنى وآخرون معهم ، فقرأوا بالمدرسة الاقبالية وهم قضاةهم الشافى ، وهو كمال الدين المصرى مطلوبون إلى الديار المصرية ، فحضر ما ذكره عن قاضيه وما قدمه عليه من السيرة السيئة فيما يذكرون فى المواقف الشرطة بمصر ، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره .

وفى يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زباله نائب القلمة من الديار المصرية على البريد فى مجمل عظيم هائل ، وتلقاه الناس بالشموع فى أثناء الطريق ، ونزل بدار الذهب ، وراح الناس للسلام عليه وتبنيته بالمرود إلى نيابة القلمة ، على عادته ، وهذه ثالث مرة ولها لأنه مشكور السيرة فيها ، وله فيها حصى محمود فى أوقات متعددة .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين على نائب السلطنة والقاضيان الشافى والحنفى وكاتب السر وجماة من الأمراء والأعيان بالمصورة وقرئ كتاب السلطان على السنة بوضع مكس التتم إلى كل رأس بدرهين ، فتضاعفت الأدعية لولى الأمر ، ولما كان السبب فى ذلك .

(غريبة من الفرائب وعجيبه من المعجائب)

وقد كثرت المياه فى هذا الشهر وزادت الانهار زيادة كثيرة جدا ، بحيث إنه فاض الماء فى سوق الخليل من نهر بردى حتى عم جميع الممرضة للمروقة بموقف الموكب ، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكلك ، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب ، واستمر ذلك جمعا متعددة ، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك ، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت العارضة فجاءه باب الاسطبل السلطانى ، وهذا أمر لم يهد منه ولا رأيته قط فى مدة عمرى ، وقد سقطت بسبب ذلك بنائيل ودور كثيرة ، وقطلت طواحين كثيرة غمرها الماء .

وفى ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفى الصدر شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين بن منجى التنوخى بعد المشاء الآخرة ، وصلى عليه بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، ودفن بالسفح . وفى صبيحة هذا اليوم توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد القوتوى الحنفى ، خطيب جامع بلبنا ، وصلى عليه عقيب صلاة الظهر أيضا ، ودفن بالصوفية ، وقد بشر عروضا الخطابة والامامة

قاضى القضاة كمال الدين الكفرى الخنقى . وفى عصر هذا اليوم تولى القاضى علاء الدين بن القاضى شرف الدين بن القاضى شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبى ، أحد موقى الفتى بدمشق ، وصلى عليه يوم الأربعاء ودفن بالفسح .

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضى القضاة جمال الدين الكفرى الخنقى بجامع يلبغا عرضاً عن الشيخ ناصر الدين بن القونوى رحمه الله تعالى ، وحضر عنده نائب السلطنة الامير سيف الدين قشمر ، وصلى معه قاضى القضاة تاج الدين الشافى بالشباك الغربى القبلى منه ، وحضر خيلق من الامراء والاعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وخطب ابن نيابة بأداء حسن وفصاحة بليغة ، هذا مع علم أن كل مركب صمب . وفى يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة توجه الشيخ شرف الدين القاضى الحنبلى إلى الديار المصرية بطلب الامير سيف الدين يلبغا فى كتاب كتبه إليه يستدعيه ويستعنه فى القدوم عليه .

وفى يوم الثلاثاء ثمانى شهر رجب سقط اثنتان سكارى من سطح بعمارة اليهود ، أحدهما مسلم والآخر يهودى ، فأتى المسلم من ساعته وأهلمت عين اليهودى وانكسرت يده لعنه الله ، وحمل إلى نائب السلطنة فلم يجر جواباً .

ورجع الشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل بعد ما قارب غرة لما بلغه من الوفاء بالديار المصرية فباد إلى القدس الشريف ، ثم رجع إلى وطنه فأصاب السنة ، وقد وردت كتب كثيرة تخبر بشدة الوفاء والطاعون بمصر ، وأنه يضبط من أهلها فى التهاون نحو الآلاف ، وأنه مات جماعة ممن يعرفون كولدنى قاضى القضاة تاج الدين المناوى ، وكاتب الحسك ابن الفرات ، وأهل بيته أجمعين ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وجاء الخبر فى أواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر منهم أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكى المصرى بمصر ، وهو شاب لم يستكمل العشرين ، وقد درس بعدة جهات بمصر وخطب ، ففقداه والده وتأسف الناس عليه وعزوا فيه همه قاضى القضاة تاج الدين السبكى قاضى الشافى بدمشق ، وجاء الخبر بموت قاضى القضاة شهاب الدين أحمد الرباجى المالكي ، كان يحلب ولها مرتين ثم عزل فقصده مصر واستوطنها مدة ليتمكن من السعى فى العودة فأدركته منيته فى هذه السنة من الفناء وولدان له معه أيضاً . وفى يوم السبت سادس شعبان توجه نائب السلطنة فى محبة جهور الاثراء إلى ناحية تدمر لأجل الأعراب من أصحاب خيار بن مهنا ، ومن ألف عليه منهم ، وقد دمر بعضهم بل تدمر وحرقوا كثيراً من أشجارها ، ودعوا وانهبوا شيئاً كثيراً ، وخرجوا من الطاعة ، وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتلك أملاكهم والحيلولة عليهم ، فركب نائب السلطنة بمن معه كاذكرنا ،

لطرفهم عن تلك الناحية ، وفي صحبتهم الأمير حمزة ابن الخطاط ، أحد أمراء الطليخانات ، وقد كان حاجيا لخيار قبل ذلك ، فرجع عنه وألب عليه عند الأمير الكبير يلبغا الخالصكى ، ووعده إن هو أمره وكبره أن يظفروه بخياري وأن يأتيه برأسه ، ففعل معه ذلك ، فقدم إلى دمشق ومعه مرسوم بركوب الجيش معه إلى خيار وأصحابه ، فساروا كما ذكرنا ، فوصلوا إلى تدمر ، وهربت الأعراب من بين يدي نائب الشام يمينا وشمالا ، ولم يواجهوه هيبة له ، ولكنهم يتحرفون على حمزة بن الخطاط ، ثم بلغنا أنهم يذبون الجيش قتلوا منه طائفة وجرحوا آخرين وأسروا آخرين ، فأنقذهم وإنا إليه راجعون .

﴿ سألته الملك الأشرف ناصر الدين ﴾

« شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان »
 لما كان عشية السبت تاسع عشر شعبان من هذه السنة - أعني سنة أربع وستين وسبعائة - قدم أمير من الديار المصرية قتل بالناصر الأتلي ، وأخبر بزوال مملكة الملك المنصور بن المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومسلك واعتقل . وبويع لذلك الأشرف شعبان بن حسين الناصر بن المنصور قلاوون ، وله من العمر قريب العشرين ، فدقت البشار بالقلعة المنصورة ، وأصبح الناس يوم الأحد في الزينة . وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين والصاحب سعد الدين ماجد ناظر الدواوين ، أنه لما كان يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان عزل الملك المنصور وأودع منزله وأجلس الملك الأشرف ناصر الدين شعبان على سرير الملك ، وبويع لذلك ، وقد وقع رعد في هذا اليوم ومطر كثير ، وجرت المزاريب ، فصار غدراننا في الطرقات ، وذلك في خامس حزيران ، فتمجيب الناس من ذلك ، وهذا وقد وقع وباء في مصر في أول شعبان ، فتزايد وجمهوره في اليهود ، وقد وصلوا إلى الحسين في كل يوم وبالله المستعان .

وفي يوم الاثنين سابه اشتهر الخبر عن الجيش بأن الاعراب اعترضوا التجريدة القاصدين إلى الرحبة واقفوم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا ، وقد صار البريد خلف النائب والأمراء ليقدموا إلى البلاد لأجل البيعة لسلطان الجديد ، جمعه الله مباركا على المسلمين ، ثم قدم جماعة من الأمراء المتمزجين من الأعراب في أسوأ حال وذلة ، ثم جاء البريد من الديار المصرية بدم إلى المسكر القى مع نائب السلطنة على تدمر ، متوعدين بأنواع المقولات ، وقطع الاقطاعات . وفي شهر رمضان تقام الحال بسبب الطاعون فأنقذهم وإنا إليه راجعون ، وجمهوره في اليهود له قد قتل منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خبيثة ، كما أخبرني بذلك القاضي صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال ، ثم كثر ذلك فيهم في شهر رمضان جدا ، وعدة المدة من المسلمين والتمة بالثمانين . وفي يوم السبت حادى عشره صلينا بعد الظهر على الشيخ المعمر الصدر بدر الدين محمد ابن

الرفاق المعروف بابن الجوجى ، وعلى الشيخ صلاح الدين محمد بن شاكر البشبي ، تفرد فى صناعته وجمع تاريخاً مفيداً نفوذاً من عشر مجلدات ، وكان يحفظ ويذاكر ويفيد رحمه الله وسامحه ، انتهى .

(وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جلة)

« الحجبى الشافى وبشارة قاضى القضاة تاج الدين الشافى بعده »

كانت وفاته يوم الاثنين بعد الظهر قريباً من العصر ، فعلى بالناس بالحجرات صلاة المصر قاضى القضاة تاج الدين السبكى الشافى عوضاً عنه ، وصلى بالناس الصبح أيضاً ، وقرأ بآخرة المائنة من قوله (يوم يجمع الله الرسل) ثم لما طلعت الشمس وزال وقت الكراهة صلى على الخطيب جمال الدين عند باب الخطابة ، وكان الجمع فى الجامع كثيراً ، وخرج بمجنازته من باب البريد ، وخرج معه طائفة من العوام وغيرهم ، وقد حضر جنارته بالصالحية على ما ذكرهم فغير وخلق كثير ، ونال قاضى القضاة الشافى من بعض الجبهة إساءة أدب ، فأخذ منهم جماعة وأدبوا ، وحضر هو بنفسه صلاة الظهر يومئذ ، وكذا بأثر الظهر والعصر بقية الأيام ، يأتى للجامع فى محفل من الفقهاء والأعيان وغيرهم ، ذهباً وإياباً ، وخطب عنه يوم الجمعة الشيخ جمال الدين بن قاضى القضاة ، و [منع] تاج الدين من المباشرة ، حتى يأتى التشريف .

وفى يوم الاثنين بعد العصر صلى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله البلبكى ، المعروف بابن النقيب ، ودفن بالصوفية وقد قارب السبعين وجاورها ، وكان بارعاً فى القراءات والنحو والتصريف والعربية ، وله يد فى الفقه وغير ذلك ، وولى مكانه مشيخة الاقراء بأمر الصالح فمسس الدين محمد بن الهبان ، وبالتربة الأشرفية الشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن السلار ، وقدم نائب السلطنة من ناحية الرحبة وتدمر وفى محبته الجيش الذين كانوا معه بسبب محاربته إلى [أولاد] منها وذويهم من الأعراب فى يوم الأربعاء سادس شوال .

وفى ليلة الأحد عشره توفى الشيخ صلاح الدين خليل بن أليك ، وكيل بيت المال ، وموقع الدست ، وصلى عليه صبيحة الأحد بالجامع ، ودفن بالصوفية ، وقد كتب الكثير من التاريخ والفتا والأدب ، وله الأشعار الفاتحة ، والفنون المتنوعة ، وجمع وصنف وألف ، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات .

وفى يوم السبت عشره جمع القضاة والأعيان بدار السعادة وكتبوا خطوطهم بالرضى بخطابة قاضى القضاة تاج الدين السبكى بالجامع الأموى ، وكاتب نائب السلطنة فى ذلك .

وفى يوم الأحد حادى عشره استقر عزل نائب السلطنة سيف الدين قشتمر عن نيابة دمشق وأمر بالسير إلى نيابة صفد فأُتزل أهل بدار طيننا حجى من الشرق الأتلى ، وبرز هو إلى سطح

الزرة ذاهبا إلى ناحية صفد . وخرج المحمل محبة المجيع وهم جم غفير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال .

وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من شوال توفى القاضي أمين الدين أبو حيان ابن أخى قاضى القضاة تاج الدين السلاطى المالكى وزوج ابنته ونائبه فى الحكم مطلقا وفى القضاء والتدريس فى غيبته ، فاجلته النية .

ومن غريب ما وقع فى أواخر هذا الشهر أنه اشتهر بين النساء وكثير من العوام أن رجلا رأى مناما فيه أنه رأى النبي ﷺ عند شجرة توتة عند مسجد ضرار خارج باب شرقى ، فبادر النساء إلى تخليق تلك التوتة ، وأخذوا أوراقها للاستشفاء من الوباء ، ولكن لم يظهر صدق ذلك المنام ، ولا يصح عن برويه . وفى يوم الجمعة سابع شهر ذى القعدة خلاب بمجامع دمشق قاضى القضاة تاج الدين السبكى خطبة بليغة فصيحة أداها أداء حسنا ، وقد كان يحس من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم يتكلم أحد منهم بل ضجوا عند الموعظة وغيرها ، وأعجبهم الخطيب وخطبته وأداؤه وتبليغه ومهابته ، واستمر بخطب هو بنفسه .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره توفى الصاحب تقي الدين سليمان بن مراجل ناظر الجامع الأموى وغيره ، وقد بشر ناظر الجامع فى أيام تنكزه ، وعمر الجانب القربى من الحائط القبلى ، وكل رخامه كله ، وفق حرايا الحنفية فى الحائط القبلى ، وعرايا الحنابلة فيه أيضا فى غريبه ، وأثر أشياء كثيرة فيه ، وكانت له همة وينسب إلى أمانة وصرامة ومباشرة مشكورة مشهورة ، ودفن بقرية أنشأها نجاء داره بالقيبيات رحمه الله ، وقد جاوز الثمانين .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره توفى الشيخ بهاء الدين عبد الوهاب الأخرى المصرى ، إمام مسجد درب الحجر ، وصلى عليه بعد العصر بالجامع الأموى ، ودفن بقصر ابن الحلّاج عند الطيورين بزاوية لبعض القراء الخزنة هناك ، وقد كان له يد فى أصول الفقه ، وصنف فى الكلام كتابا مشتملا على أشياء مقبولة وغير مقبولة ، انتهى .

(دخول نائب السلطنة منكلى بنا)

فى يوم الخميس السابع والعشرين من ذى القعدة دخل نائب السلطنة منكلى بنا من حلب إلى دمشق نائباً عليها فى تجميل هائل ، ولكنه مستعرض فى بدته بسبب ما كان ناله من النسب فى مصابة الأعراب ، فنزل دار السادة على المائدة . وفى يوم الاثنين مستهل ذى الحجة خلع على قاضى القضاة تاج الدين السبكى الشافى الخطابة بمجامع دمشق ، واستمر على ما كان عليه بخطب بنفسه كل جمعة وفى يوم الثلاثاء ثمانية قتم القاضي فتح الدين بن الشهيد وليس الخلمة وراح الناس لتهنئته

وفي يوم الخميس حضر القاضي فتح الدين بن الشهيد كاتب السر مشيخة السيساطية، وحضر عنده القضاة والاعيان بعد الظهر، وخلع عليه لثاماً أيضاً، وحضر فيها من اللند على المدة، وخلع في هذا اليوم على وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الزهاوي وعلى الشيخ شهاب الدين الزهري بفتيا دار العدل . انتهى . (ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمائة)

استمرت هذه السنة وسلاطان الديار المصرية والشامية والحرمين وما يتبع ذلك الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن سيدي حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصلحي ، وهو في عمر عشر سنين ، ومدير الممالك بين يديه الأمير الكبير نظام الملك سيف الدين يلغا الخصاصكي ، وقضاة مصرهم المذكورون في السنة التي قبلها ، ووزيراها غفر الدين بن قروينة ، وقائب دمشق الأمير سيف الدين منكلي بغا الشمسي ، وهو مشكور السيرة ، وقضاةهم المذكورون في السنة التي قبلها ، ونظر الدواوين بها صاحب عهد الدين ماجد ، ونظر الجيش علم الدين داود ، وكاتب السر القاضي فتح الدين بن الشهيد ، ووكيل بيت المال القاضي جمال الدين بن الزهاوي .

استمرت هذه السنة وداه القضاء موجود في الناس ، إلا أنه خف وقل والله الحمد . وفي يوم السبت توجه قاضي القضاة - وكان بهاء الدين أبو البقاء - إلى الديار المصرية معلوماً بجهة الأمر يلغا وفي الكتاب إجابته له إلى مسائل ، وتوجه بعده قاضي القضاة تاج الدين الحاكم بدمشق وخطبها يوم الاثنين الرابع عشر من المحرم ، على خيل البريد ، وتوجه بعدها الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجليل الخنبلي ، معلوماً إلى الديار المصرية ، وكذلك توجه الشيخ زين الدين المنفلوطي معلوماً .

وتوفي في الشهر الأوسط من المحرم صاحبنا الشيخ فحمس الدين بن المطار الشافعي ، كان لديه فضيلة واشتغال ، وله فهم ، وعلق بخطه فوائد جيدة ، وكان إماماً بالسنن من مشهد على بن الحسين بجامع دمشق ، ومصدراً للطلاب ، وقبها بالمدارس ، وله مدرسة الحديث الوادعية ، وجاوز الحسين بسنوات ، ولم يتزوج قط . وقدم الركب الشامي إلى دمشق في اليوم الرابع والعشرين من المحرم ، ومشاركرون مشون في كل خير بهذه السنة أمناً ورخصاً والله الحمد .

وفي يوم الأحد حادي عشر صفر درس بالمدرسة الفتحية صاحبنا الشيخ عماد الدين إسماعيل بن خليفة الشافعي ، وحضر عنده جماعة من الأعيان والفضلاء ، وأخذ في قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهراً) .

وفي يوم الخميس خامس عشره نودي في البلد على أهل القمة بالزامهم بالصغار وتصغير البائم ، وأن لا يستخدموا في شيء من الأعمال ، وأن لا يركبوا الخيل ولا البغال ، ويركبون الجير بالأكف بالعرض ، وأن يكون في رقابهم رقاب تسلمهم في الحمامات أجراس ، وأن يكون أحد التملين أسود

مخالفاً لقول الأخرى ، ففرح بذلك المسلمون ودعوا للأمر بذلك .

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول قدم قاضي القضاة تاج الدين من الديار المصرية مستمراً على القضاة والخطابة ، فلقاه الناس وهنأوه بالعود والسلامة . وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي صاحب اليهني الخلمة لنظر الهواوين بدمشق ، وهنأه الناس ، ولبس بصرامة واستعمل في غالب الجهات من أبناء السبيل .

وفي يوم الاثنين حادى عشره ركب قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح على خيل البريد إلى الديار المصرية لتوليه قضاء قضاة الشافعية بدمشق ، عن رضا من خاله قاضي القضاة تاج الدين ، ونزوله عن ذلك .

وفي يوم الخميس خامس ربيع الأول احترقت الباسورة التي ظاهر باب الفرج على الجسر ، ونال حجارة الباب شيء من حريقها فالتصت ، وقد حضر طفيها نائب السلطنة والحاجب الكبير ، ونائب القلمة والولادة وغيرهم . وفي صبيحة هذا اليوم زاد التهرؤ زيادة عظيمة بسبب كثرة الأمطار وذلك في أوائل كانون الثاني ، وركب الماء سوق الخليل بكاله ، ووصل إلى ظاهر باب الفرديس ، وتلك التواشي ، وكسر جسر الخشب الذي عند جامع يلغيا ، وجاء فصدم به جسر الزلايصة فكسره أيضاً .

وفي يوم الخميس ثاني عشره صرف حاجب الحاجب قارى عن المباشرة بدار السعادة ، وأخذت القضاة من يده وأنصرف إلى داره في أقل من الناس ، واستبشر بذلك كثير من الناس ، لكثرة ما كان يفتات على الأحكام الشرعية .

وفي أواخره اشتهر موت القاضي تاج الدين المناوى بديار مصر وولاية قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء السبكي مكانه بقضاء المساكين ، ووكالة السلطان أيضاً ، ورتب له مع ذلك كفايته . ونولى في هذه الأيام الشيخ سراج الدين البلقيني إفتاء دار العدل مع الشيخ بهاء الدين أحمد بن قاضي القضاة السبكي بالشام ، وقد ولي هو أيضاً القضاة بالشام كما تقدم ، ثم عاد إلى مصر موفراً مكرماً وعاد أخوه تاج الدين إلى الشام ، وكذلك ولوا مع البلقيني إفتاء دار العدل الحنفى [شيخنا] يقال له الشيخ فحس الدين بن الصائغ ، وهو متقى حنفى أيضاً .

وفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول توفي الشيخ نور الدين محمد بن الشيخ أبي بكر قوام جزاؤهم ببغداد جبل قاصيون ، وغدا الناس إلى جنازته ، وقد كاز من العلماء الفضلاء الفقهاء بمنهـب الشافعى ، درس بالناصرية البغرافية مدة سنين بعد أبيه ، وبالرباط الدويمارى داخل باب الفرج ، وكان يحضر المدارس ، ونزل عندنا بالمدرسة النجبية ، وكان يحب السنة ويفهمها جيداً رحمه الله .

وفي مستهل جمادى الأولى ولى قاضى القضاة تاج الدين الشافى مشيخة دار الحديث بالمدرسة التى فتحت بدرب القلي ، وكانت داراً لواقفها جمال الدين عبد الله بن محمد بن عيسى التدمرى ، الذى كان أستاذاً للأدب طاز ، وجعل فيها درساً للحنابلة ، وجعل المدرس لهم الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن قيم الجوزية ، وحضر الدرس وحضر عنده بعض الحنابلة بالدرس ، ثم جرت أمور يطول بسجلها . واستحضر نائب السلطنة شهود الحنابلة بالدرس واستفرد كلا منهم وسأله كيف شهد فى أصل الكتاب - المحضر - الذى أئتمتوا عليهم ، فاضطربوا فى الشهادات فضبط ذلك عليهم ، وفيه مخالفة كبيرة لما شهدوا به فى أصل المحضر ، وشنع عليهم كثير من الناس ، ثم ظهرت ديون كثيرة لبنت طاز على جمال الدين التدمرى الواقف ، وطلب من القاضى المالكى أن يحكم بإبطال ما حكم به الحنبلى ، فتوقف فى ذلك . وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منه ، قرئ كتاب لسلطان بصرف الوكلاء من أبواب القضاة الأربعة فصرفوا .

وفى شهر جمادى الآخرة توفى الشيخ قحس الدين شيخ الحنابلة بالصالحية ويعرف بالبهرى يوم الخميس ثمانية ، صلى عليه بالجامع المظفرى بعد العصر ودفن بالسفح وقد قارب الثمانين .

وفى الرابع عشر منه عقد بدار السعادة مجلس حافل اجتمع فيه القضاة الأربعة وجماعة من المفتين ، وطلبت فحضرت معهم بسبب المدرسة التدمرية وقرابة الواقف ودعواهم أنه وقف عليهم الثالث ، فوقف الحنبلى فى أمرهم ودافعهم عن ذلك أشد الدفع .

وفى العشر الأول من رجب وجد جراد كثير منتشر ، ثم تزايد وتراكم وتضاعف وتعاظم الأمر بسببه ، وسد الأرض كثرة وعلث يميناً وشمالاً ، وأفسد شيئاً كثيراً من الكروم والمغاثى والزرعات النفيسة ، وأتلف للناس شيئاً كثيراً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان توجه القضاة ووكيل بيت المال إلى باب كيسان فوقفوا عليه وعلى هيئته ومن نية نائب السلطنة فتحه ليتفرج الناس به . وعدم للناس غلات كثيرة وأشياء من أنواع الزروع بسبب كثرة الجراد ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتى سنة ﴾

وفى يوم الاربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان ، وشرع الصنائع فى فتحه عن مرسوم السلطان الوارد من الديار المصرية ، وأمر نائب السلطنة وإذن القضاة فى ذلك ، واستهل رمضان وهم فى العمل فيه .

وفى العشر الأخير من شعبان توفى الشريف قحس الدين محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى المحدث المحصل ، المؤلف لاشياء مهمة ، وفى الحديث قرأ وجمع وكتب أسماء رجال

بمسند الامام أحمد، واختصر كتابا في أسماء الرجال مفيدا، وولى مشيخة الحديث التي وقفها في داره بهاء الدين القاسم بن عساكر، داخل باب توما، وختمت البخاريات في آخر شهر رمضان.

ورفع بين الشيخ عماد الدين بن السراج قارى البخارى عند محراب الصحابة، وبين الشيخ بدر الدين بن الشيخ جمال الدين الشريفي، ومنها ترا على رؤس الاشهاد بسبب لفظة «ينتز» بمعنى يذخر، وفي نسخة يتبر، فحكى ابن السراج عن الحافظ المزي أن الصواب «ينتز» من قول العرب عز بزه، وصدق في ذلك، فكان منازمه خطأ ابن المزي، فانتصر الآخر للحافظ المزي، فقاد منه بالقول ثم قام والله الشيخ جمال الدين المشار إليه فكشف رأسه على طريقة الصوفية، فكان ابن السراج لم يانتف إلى، وتنافسوا إلى التفاضل الشافعي فانتصر للحافظ المزي، وجرت أمور، ثم اصطالحوا غير مرة وعزم أولئك على كتب محضر على ابن السراج، ثم انطلقت تلك الشرور.

وكثر الموت في أثناء شهر رمضان وقاربت المدة مائة، وربما جاوزت المائة، وربما كانت أقل منها وهو الغالب، ومات جماعة من الأصحاب والمعارف، فأنفقوا وإنا إليه راجعون. وكثر الجراد في البساتين وعظم الخطب بسبب، وأتلف شيئا كثيرا من الفسائل والثمار والخضروات، وغلت الأسعار وقلت الثمار، وارتفعت قيم الأشياء فبيع الدبس بما فوق المائتين القنطار، والرز بأزيد من ذلك. وتكامل فتح باب كيسان وسجوه الباب القبلي، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة، وعرضه أزيد من عشرة أذرع بالتجاري لأجل عمل الباسورة جنبيه، ودخلت المارة عليه من المشاة والركبان، وجاء في غاية الحسن، وسلك الناس في حارات اليهود، وانكشف دخلهم وأمن الناس من دختهم وغشهم ومكرهم وخبثهم، وافرج الناس بهذا الباب المبارك.

واستحل شوال والجراد قد أتلف شيئا كثيرا من البلاد، ودعى الخضروات والأشجار، وأوسع أهل الشام في الفساد، وغلت الأسعار، واستمر الفناء وكثر الضجيج والبكاء، وفقدنا كثيرا من الأصحاب والأصدقاء، فلان مات. وقد تناقص الفناء في هذه المدة وقل الوقع وتناقص النخسين. وفي شهر ذي القعدة تقاصر الفناء وقه الحمد، ونزل المدد إلى العشرين فما حولها، وفي رابعه دخل بالليل والزرافة إلى مدينة دمشق من القاهرة، فأنزله في الميدان الأخضر قريبا من القصر الأتلي، وذهب الناس للنظر إليهما على العادة.

وفي يوم الجمعة تاسعه صلى على الشيخ جمال الدين عبد الصمد بن خليل البغدادي، المعروف بابن الخضرى، محدث بغداد واعظها، كان من أهل السنة والجماعة رحمه الله انتهى.

﴿تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق ولم يتفق ذلك فيها أعلم منذ فتح الشام إلى الآن﴾
اتفق ذلك في يوم الجمعة الثالث، ثم تبين أنه الرابع والعشرين من ذي القعدة من هذه السنة

بجامع القدي جدد بنامه نائب الشام سيف الدين منكل بقاء ، بدرب البلاغة قبلي مسجد - درب الحجر ، داخل باب كيسان المجدد فتدبر في هذا الحين كما تقدم ، وهو معروف عند العامة ، مسجد الشاذوري ، وإتمامه في تاريخ ابن عساكر مسجد الشاذوري ، وكان المسجد المحدث الهيئة قد تقدم عهده مدة دهر ، وهجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليلا ، فوسمه من قبله وسقوه جديدا ، وجعل له صرحا شمالية مبلطة ، وروايات على هيئة الجوامع ، والداخل بأبوابه على المائدة ، وداخل ذلك رواق كبير له جناحان شرقي وغربي ، بأعمدة وقناطر ، وقد كان قديما كنيشة فأخذت منهم قبل الحسمانة ، وعملت مسجدا ، فلم يزل كذلك إلى هذا الحين ، فلما كن كما ذكرنا وسبق إليه الماء من القنوات ، ووضع فيه منبر مستعمل كنكف ، فيومئذ ركب نائب السلطنة ودخل البلد من باب كيسان وانطفأ على حارة اليهود حتى انتهى إلى الجامع المذكور ، وقد استكشف الناس عنده من قضاة وأعيان وخامة وعامة ، وقد عين خطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفي ، مدرس الناجية وإمام الحنفية بالجامع الأموي ، فلما أذن الأذان الأول تمدد عليه الخروج من بيت الخطابة ، قيل لمرض عرض له ، وقبل لنذر ذلك من حصر أو نحوه ، فخطب الناس يومئذ قاضي القضاة جمال الدين الحنفي الكفري ، خدمة لنائب السلطنة .

واستهل شهر ذي الحجة وقد رفع الله الوباء عن دمشق وله الحمد والمنة . وأهل البلد يموتون على المادة ولا يمرض أحد بتلك العلة ، ولكن المرض المتداد ، انتهى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وصبيحة ﴾

استهل هذه السنة والسلطان الملك الأشرف ناصر الدين شعبان ، والهدوء بمصر والشام هم ، ودخل المحمل السلطاني صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين منه ، وذكر أنهم نالهم في الرجعة شدة شديدة من الفلاة وموت الجمل وهرب الجالين ، وقدم مع الركب ممن خرج من الديار المصرية قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح ، وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خاله تاج الدين يحكم فيها يحكم فيه مستقلا معه ومنفردا بعده .

وفي شهر الله المحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قريتين من وادي التيم وهم مشرا وتلبتانا ، وسبب ذلك أنهما عاصيان وأهلها مفسدان في الأرض ، والبلدان والأرض حصينان لا يصل إليهما إلا بكلفة كثير فلا يرتقي إليهما إلا فارس فارس ، غر بنا وعمر بدلما في أسفل الوادي ، بحيث يصل إليهما حكم الحاكم والطلب بسهولة ، فأخبرني الملك صلاح الدين ابن الكامل أن بلدة تلبتانا عمل فيها ألف فارس ، ونقل قضاها إلى أسفل الوادي خمسمائة حمار عدة أيام .

وفي يوم الجمعة سلاسل صفر بعد الصلاة صلى على قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن قاضي

القضاة شرف الدين أحمد بن أفضى القضاة بن الحسين المزى الحنفى ، وكانت وفاته ليلة الجمعة المذكورة بعد مرض قريب من شهر ، وقد جاوز الأربعين بثلاث من السنين ، ولى قضاء قضاء الحنفية ، وخطب بجامع بلخنا ، وأحضر مشيخة النفيسة ، ودرس بأماكن من مدارس الحنفية ، وهو أول من خطب بالجامع المستجد داخل باب كيسان بحضرة نائب السلطنة .

وفى صفر كانت وفاة الشيخ جمال الدين عمر بن القاضي عبد الحى بن إدريس الحنبلى محاسب بغداد ، وقاضى الحنابلة بها ، فتمصبت عليه الروافض حتى ضرب بين يدى الوزارة ضرباً مبرحاً ، كان سبب موته سريراً رحمه الله ، وكان من القائلين بالحق الأحرار بالمرء والناهي عن المنكر ، من أكبر المنكرين على الروافض وغيرهم من أهل البدع رحمه الله ، وبل بالرحمة تراه .

وفى يوم الأربعاء تاسع صفر حضر مشيخة النفيسة الشيخ فحش الدين بن سند ، وحضر عنده قاضى القضاة تاج الدين وجماعة من الأعيان ، وأورد حديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » أسنده عن قاضى القضاة المشار إليه .

وجاء البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة تاج الدين إلى هناك ، فسير أهله قبله على الجبال ، وخرجوا يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول جماعة من أهل بينهم لزيارة أهاليهم هناك ، فأقام هو بدم إلى أن قدم نائب السلطنة من الرحبة وركب على البريد . وفى يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة رجع قاضى القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على البريد وتلقاه الناس إلى أثناء الطريق ، واحتفلوا للسلام عليه وتهنئته بالسلامة انتهى . والله أعلم .

(قتل الرافضى الخبيث)

وفى يوم الخميس سابع عشره أول النهار وجد رجل بالجامع الأموى اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازى ، وهو يسب الشيخين ، ويصرح بلغتهم ، فرغ إلى التاضى المالكي قاضى القضاة جمال الدين الملاقى فاستتابه عن ذلك وأحضر الضراب فأول ضربة قال لا إله إلا الله على ولى الله ، ولما ضرب الثانية لمن أبابكر وعمر ، فالتهمه العامة فأوسموه ضرباً مبرحاً بحيث كاد يهلك ، فجعل القاضى يستكنهم عنه فلم يستطع ذلك ، فجعل الرافضى يسب ويلعن الصحابة ، وقال : كانوا على الضلال ، ففند ذلك حل إلى نائب السلطنة وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة ، ففند ذلك حكم عليه القاضى بإراقة دمه ، فأخذ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة قبحه الله ، وكان ممن يقرأ بعمدة أبي عمر ، ثم ظهر عليه الرضى فسجنه الحنبلى أربعين يوماً ، فلم ينفع ذلك ، وما زال يصرح فى كل موطن يأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر منهجه فى الجامع ، وكان سبب قتله قبحه الله كما قبح من كان قبله ، وقتل بقتله فى سنة خمس وخمسين .

(استنباطه ولي الدين ابن أبي البقاء السبكي)

وفي آخر هذا اليوم - أدي يوم الخميس ثامن عشره - حكم أفضى القضاة ولي الدين بن قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء بالدرسة المادلية الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة تاج الدين مع استنباطه أفضى القضاة فحسب الدين العزى ، وأفضى القضاة بدر الدين بن وهبة ، وأما قاضي القضاة بدر الدين بن أبي المنح فهو نائب أيضاً ، ولكنه بتوقيع شريف أنه يحكم مستقلاً مع قاضي القضاة تاج الدين .

وفي يوم الاثنين الثاني والشر من منه استعصر نائب السلطنة الأمير ناصر الدين بن الماوى متولى البلد وقم عليه أشياء ، وأمر بضربه فضر به بين يديه على أكتافه ضرباً ليس بمبرح ، ثم عزله واستدعى ولائير - علم الدين ساجان أحد الأمراء الشرراوات ابن الأمير صفى الدين بن أبي القاسم البعراوى ، أحد أمراء الطلبة الخانات ، كان قد ولى شد الهواوين ونظر القدس والخليل وغير ذلك من الولايات الكبيرة ، وهو ابن الشيخ غفر الدين عثمان بن الشيخ - فى الدين بن أبي القاسم التميمي الحنفى . وبأيدى - م تدرىس الأمانة التى ببصرى والحكيمه أزيد من مائة سنة ، فولاه البلد على تركه منه ، فألزمه بها وخلع عليه ، وقد كان ولها قبل ذلك فأحسن السيرة وشكر سعيه لديانته وأمانته وعفته ، وفرح الناس وفقه الحمد .

(ولاية قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء السبكي الشافى)

« قضاء القضاة بإقليم مصرية بعد عزل عز الدين بن جماعة فقه »

ورد الخبر مع البريد من إقليم مصرية بأن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة عزل نفسه عن القضاء يوم الاثنين السادس عشر من هذا الشهر ، وصمم على ذلك ، فبث الأمير الكبير يلبغا إليه الأمراء بدعوتهم فلم يقبل ، فركب إليه بنفسه ومعه القضاة والأعيان فقاطفوا به فلم يقبل وصمم على الانزال ، فقال له الأمير الكبير : فبين لنا من يصلح بعهك . قال ولا أقول لكم شيئاً غير أنه لا يتولى رجل واحد ، ثم ولوا من شئتم ، فأخبرنى قاضي القضاة تاج الدين السبكي أنه قال لا تولوا ابن عقيل ، فبين الأمير الكبير قاضي القضاة بهاء الدين أباً البقاء فقيل إنه أظهر الامتناع ، ثم قبل ولبس الخلمسة وبشر يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، قاضي القضاة الشيخ بهاء الدين بن قاضي القضاة تقي الدين السبكي قضاء المساكم الذى كان بيد أبي البقاء .

وفي يوم الاثنين سابع وجب توفى الشيخ على المراوىح خدام الشيخ أسد المراوىح البغدادى ، وكان فيه مروءة كثيرة ويأمر بالمروءة وينهى عن المنكر ، وينخل على التواب ويرسل إلى الولاة

فقبل رسالته ، وله قبول عند الناس ، وفيه بر وصدقة وإحسان إلى الخواص ، ويده مال جيد يتجره فيه
تأمل مدة طويلة ثم كانت وفاته في هذا اليوم فعلى عليه الظاهر بالجامع ، ثم حل إلى سفح قاسيون رحمه الله .
وفي صبيحة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر الذي كان
قائب الشام فقبل بداره عند مأذنة فيروز ، ودعب الناس للسلام عليه بعد ما سلم على نائب السلطنة
بدار السعادة ، وقد رسم له بابايتانيتين وتقدمة ألف ولاية الولاية من غرة إلى أقصى بلاد الشام ،
وأكرمه ملك الامراء إكراما زائدا ، وفرحت العامة بذلك فرحاشديداً بعوده إلى الولاية . وختمت
البخاريات بالجامع الأوى وذخيره في عدة أماكن من ذلك سنة مواعيد تقرأ على الشيخ عماد الدين
ابن كثير في اليوم ، أو ما بعد بعد ابن هشام بكرة قبل طلوع الشمس ، ثم نعت انفسر ، ثم بالمدرسة
النورية ، وبعد الظهر بمجمع تنكرز ، ثم بالمدرسة العزية ، ثم بالكوشك لأم الزوجة الست أمها بنت
الوزير ابن السلموس ، إلى أذان العصر ، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير على محلة القضاء
إلى قريب الغروب ، ويقرأ صحيح صحيح . لم يحارب الخناقلة داخل باب الزيارة بعد قبلة الفسوق وقبل
النورية ، والله المستول وهو المدين الميسر المذل . وقد قرئ في هذه الميمنة في عدة أماكن آخر من
دور الأمراء وذخيرهم ، ولم يهد مثل هذا في السنين الماضية ، فله الحمد والمنة .

وفي يوم الثلاثاء شربنا الأتوقا شيخ نور الدين بن أبي المصباح السركي اشو كي ،
ثم المشقى الشافعي ، كان معنا في المقرى والكتاب ، وختمت أنا وهو في سنة إحدى عشرة ، ونشأ
في صيانة وحفاف ، وقرأ على الشيخ بدر الدين بن سيجان السبع ، ولم يكمل عليه ختمته ، واشتغل
في المنهاج لنواوى قرأ كثيراً منه أو أكثره ، وكان ينقل منه ويستحضره ، وكان خفيف الروح
تحميه الناس لذلك وبرغبون في شربته لذلك رحمه الله ، وكان يستحضر المشابهة في القرآن استحضاراً
حسناً متقناً كثير الثلاثة له ، ومن الصلاة يقوم الليل ، وقرأ على صحيح البخارى بمشهد ابن هشام
عدة سنين ، ومهر فيه ، وكان صوته جهورياً فصيح الصارة ، ثم ولي مشيخة الخلية بالجامع وقرأ في
عدة كرامى بالمناط انشأه ، وكان مقبلاً عند النخاسة والعامة ، وكان يداوم على قيام الشهر الأخير
في محراب الصحابة مع عدة قراء يبيتون فيه ويحيون الليل ، ولما كان في هذه السنة أحياناً ليلة العيد
وحده بالمحراب المذكور ثم مرض خمسة أيام ، ثم مات بعد الظهر يوم الثلاثاء عاشور شوال بدار العبيد ،
وصلى عليه العصر بالجامع الأوى ، ودفن بمقابر الباب الصغير عند والده في تربة لهم ، وكانت جنازته
حافلة وتألف الناس عليه ، رحمه الله ، وبلى بالرحمة تراه ، وقد طرب خمساً وستين سنة بموتك بقنا سباعية
اسمها عشة ، وقد أقرأها شيتاً من القرآن إلى قبلك ، وختمها بالاردين النواوية جبرها ربحها
ورحم ألبها آمين .

وخرج المحمل الشامي والحجيج يوم الخميس فاقى عشرة ، وأميرهم الأمير علاء الدين على بن علم الدين الملالي ، أحد أمراء الطليخانك .

وتوفي الشيخ عبد الله المالطي يوم اتبعت رابع عشرة ، وكان مشهوراً بالمجاورة بالكلاسة في الجامع الأموى ، له أشياء كثيرة من الطرايح والآلات القترية ، ويلبس على طريقة الحربية وشكله مزيج ، ومن الناس من كان يمتدح فيه الصلاح ، وكنت ممن يكرهه طبعاً وشرعاً أيضاً .

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من ذى القعدة قدم البريد من ناحية المشرق ومعهم قاقم ماء من عين هناك من خاصيته أنه يقبضه طير يسمى السمور أصفر الريش قريب من شكل الخفاف من شأنه إذا قدم الجراد إلى البلد الذى هو فيه أنه يقبضه ويأكله أكلا سريعاً ، فلا يلبث الجراد إلا قليلاً حتى يرحل أو يؤكل على ما ذكر ، ولم أشاهد ذلك .

وفي المنتصف من ذى الحجة كمل بناء القيسارية التى كانت مملأاً بالقرب من دار الحجارة ، قبلى سوق الدهشة الذى للرجال ، وضحت وأكرت دهشة لقماش النساء ، وذلك كله بمرسوم ملك الأمراء ناظر الجامع المصور رحمه الله ، وأخبرنى الصدر عز الدين الصير فى المشارف بالجامع أنه غرم عليها من مال الجامع قريب ثلاثين ألف درهم انتهى .

(طرح مكس القطن المنزول البلدى والمجلوب)

وفي أواخر هذا الشهر جاء المرسوم الشريف بطرح مكس القطن المنزول البلدى والجلب أيضاً ، ونودى بذلك فى البلد ، فكثرت الدعوات لمن أمر بذلك ، وفرح السلطان بذلك فرحاً شديداً والله الحد والمنة .

(ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمائة)

استهانت وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك من الأقاليم الملك الأشرف بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمره عشر سنين فما فوقها ، وأتابك العساكر ومدبر ممالكه الأمير سيف الدين يلبغا الخالصى ، وقاضى قضاة الشافعية بمصر بهاء الدين أبو البقاء السبكى ، وبقية القضاة هم المذكورون فى السنة الماضية ، وقاضى دمشق الأمير سيف الدين منكل بنى ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبلها سوى الخنقى فاته الشيخ جمال الدين بن السراج شيخ الحنفية ، والخطابة بيد قاضى القضاة تاج الدين الشافعى ، وكاتب السرو شيخ الشيوخ القاضى فزع الدين بن الشهيد ، وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرعاوى . ودخل المحمل السلطانى يوم الجمعة بعد العصر قريب الثروب ، ولم يشر بذلك أكثر أهل البلد ، وذلك لنية النائب فى السرحة مما على ناحية القرات ، ليكون كلاد لتجريدة التى تعينت لتخريب الكيملات التى هى إقطاع خيار بن مهنا من زمن السلطان أويس ملك العراق انتهى .

﴿ استيلاء الفرنج لنهم الله على مدينة الاسكندرية ﴾

وفي الثمثر الأخير من شهر الله المحرم احتيط على الفرنج بمدينة دمشق وأودعوا في الحبوس في القلعة المنصورة ، واشتهر أن سبب ذلك أن مدينة الاسكندرية محاصرة بعدة شواين ، وذكر أن صاحب قبرص معهم ، وأن الجيش المصري صمدوا إلى حراسة مدينة الاسكندرية حرسها الله تعالى وصاتها وحماها ، وسيأتي تفصيل أمرها في الشهر الآتي ، فانه وضع لنا فيه ، ومكث القوم بعد الاسكندرية أيام فيا بلقنا ، بعد ذلك حاصرها أمير من التتار يقال له ماميه ، واستعان بطائفة من الفرنج ففتحوها قسراً ، وقتلوا من أهلها خلقاً وعثوا شيئاً كثيراً واستقرت عليها يماميه ملكاً عليها . وفي يوم الجمعة ساءخ هذا الشهر توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الشيخ قمس الدين بن قيم الجوزية بستانه بالمرّة ، ونقل إلى عند والده بقبائر باب الصغير ، فصلى عليه بعد صلاة العصر بجوامع جراح ، وحضر جنازته انفضاء والأعيان وخلق من التجار والعامة ، وكانت جنازته حافلة ، وقد باخ من العمر ثمانياً وأربعين سنة ، وكان بارعا فاضلا في النحو والفقه وقنون آخر على طريقة والده رحمهما الله تعالى ، وكان مدرساً بالصدريّة والتدمرية ، وله تصدير بالجامع ، وخطابة بجوامع ابن صلحان ، وترك مالا جزيلا يقارب المائة ألف درهم . انتهى .

ثم دخل شهر صفر وأوله الجمعة ، أخبرني بعض علماء السير أنه اجتمع في هذا اليوم - يوم الجمعة مستهل هذا الشهر - الكواكب السبعة سوى المريخ في برج العقرب ، ولم يتفق مثل هذا من سنين متعاقلة ، فأما المريخ فانه كان قد سبق إلى برج القوس فيه . ووردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع بمدينة الاسكندرية من الفرنج لنهم الله ، وذلك أنهم وصلوا إليها في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر الله المحرم ، فلم يجدوا بها ثاقبا ولا جيشا ، ولا حائفا للبحر ولا قسراً ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار بعد ما حرقوا أبوابا كثيرة منها ، وعاثوا في أهلها فساداً ، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال ، فالحكم لله الدلي الكبير المتمثل . وأكلوا بها يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء ، فلما كان صبيحة يوم الأربعاء قدم الشايش المصري ، فأقلت الفرنج لنهم الله عندها وقد أسروا خلقاً كثيراً يقاؤون الأثرية آلاف ، وأخذوا من الأموال ذهباً وحريراً وجواهرأ وغير ذلك مالا يحصى ولا يوصف ، وقدم السلطان والأمير الكبير بليبا ظهر يومئذ ، وقد تفرط الحال وتحولت الغنائم كلها إلى الشواين بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله والاستغاثة به وبالمسلمين ، فتقطع الأكباد ، وذرفت له الدموع وأصم الأسراع ، فأنقذه وإنا إليه راجعون ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جداً ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر فتباكى [الناس] كثيراً ، فأنقذه وإنا إليه راجعون ، وجاء المرسوم الشريف من الخوار المصرية إلى

فأبى السلطنة بمسك النصرارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربيع أموالهم لمبارة ماخرب من الاسكندرية ، ولمبارة مراكب قفزو الفرنج ، فأهاوا النصرارى وطلبوا من بيوتهم بعث وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا مايراد بهم ، فهربوا كل مهرب ، ولم تكن هذه الحركة شرعية ، ولا يجوز اعتقادها شرعا ، وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ بعد الفراغ من لعب الكرة ، فرأيت منه أنسا كثيرا ، ورأيتة كامل الرأى والفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة ، قد كرت له أن هذا لا يجوز اعتناؤه فى النصرارى ، فقال إن بعض فقهاء مصر أفتى للأمير الكبير بذلك ، فقلت له : هذا مما لا يسوغ شرعا ، ولا يجوز لأحد أن يفتى بهذا ، ومتى كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالقلة والصغار ، وأحكام الملة قائمة ، لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد - الفرد - فوق ما ينفلون من الجزية ، ومثل هذا لا يخفى على الأمير . فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ولا يمكن أن أخالفه ؟ وذ كرت له أشياء كثيرة مما ينبغى اعتناؤه فى حق أهل قبرص من الازهاب ووعيد العقاب ، وأنه يجوز ذلك وإن لم يعمل ما يتوعد به ، كما قال سليمان بن داود عليهما السلام : « ائتنى بالسكين أشقه نصفين » كما هو الحديث مبسوط فى الصحيحين ، فجلل يمجبه هذا جدا ، وذ كر أن هذا كان فى قلبه وأنى كاشفته بهذا بؤانه كتب به مطالعة إلى الهيار المصرية ، وسأيت جوابها بعد عشرة أيام ، فتجئى حتى تقف على الجواب ، وظهر منه إحسان وقبول وإكرام زائد رحمه الله . ثم اجتمعت به فى دار السعادة فى أوائل شهر ربيع الأول فبشرنى أنه قد رسم بعمل الشوائى والمراكب لنفزو الفرنج والله الحمد والمنة . ثم فى صبيحة يوم الاحد طلب النصرارى الذين اجتمعوا فى كنيستهم إلى بين يديه وهم قريب من أربعائة فغافهم كم أموالهم وألزمهم بأداء الربيع من أموالهم ، فأأفاه وإنا إليه راجعون . وقد أمروا إلى الولاية بإحضار من فى معادلتهم ، ووالى الأمير قد خرج إلى القرايا بسبب ذلك ، وجرت أمراء إلى النواحي لاستخلاص الأموال من النصرارى فى القدس وغير ذلك .

وفى أول شهر ربيع الأول كان سفر قاضى القضاة تقي الدين السبكى الشافعى إلى القاهرة . وفى يوم الأربعاء خامس ربيع الأول اجتمعت بنائب السلطنة بدار السعادة وسأته عن جواب المطالبة فبذ كرلى أنه جاء المرسوم الشريف السلطانى بعمل الشوائى والمراكب لنفزو قبرص ، وقال الفرنج والله الحمد والمنة . وأمر نائب السلطنة بتجهيز القطاعين والشارين من دمشق إلى القنابة التى بالقرب من بيروت ، وأن يشرع فى عمل الشوائى فى آخر يوم من هذا الشهر ، وهو يوم الجمعة . وفتحت دار القرآن التى وقفها الشريف التتادائى إلى جانب حمام الكسكس ، شمالى المدرسة البادرائية ، وعمل فيها وظيفة حديث وحضر واقفا يومية قاضى القضاة تاج الدين السبكى انتهى والله أعلم .

(صفة عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي)

ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب ماري به قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وكنت ممن طلب إليه ، فحضرتهم حضر ، وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة ، وخلق من المذاهب الأربعة ، وآخرون من غيرهم ، بمحضرة نائب الشام سيف الدين منكلي بنا ، وكان قد صافر هو إلى الديار المصرية إلى الابواب الشريفة ، واستعجز كتابا إلى نائب السلطنة لجمع هذا المجلس ليسأل عنه الناس ، وكان قد كتب فيه محضران متعاكسان أحدهما له والآخر عليه ، وفي الذي عليه خط القاضيين المالكي والحنبلي ، وجماعة آخرين ، وفيه عظيم وأشياء منكرة جدا يقبو السمع عن استماعه . وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب لثلاثة عليه ، وفيه خطي بأني مارأيت فيه إلا خيرا . ولما اجتمعوا أمر نائب السلطنة بأن يمتاز هؤلاء عن هؤلاء في المجالس ، فصارت كل طائفة وحدها ، وتجادوا فيما بينهم ، وتواصل عنه نائب القضاة فمضى الدين التفرى ، والنائب الآخر بدر الدين بن وهبة وغيرهما ، وصرح قاضي القضاة جمال الدين الحنبلي بأنه قد ثبت عنده ما كتب به خطه فيه ، وأجابه بعض المخاضرين منهم بدهم النفوذ ، فبادر القاضي التفرى فقال للحنبلي : أنت قد ثبتت عداوتك لقاضي القضاة تاج الدين ، فكثير القول وارفعت الأصوات وكثير الجدل والمغال ، وتكلم قاضي القضاة جمال الدين المالكي أيضاً بنحو ما قال الحنبلي ، فأجيب بمثل ذلك أيضاً ، ومال المجلس فانفصلوا على مثل ذلك ، ولما بلغت الباب أمر نائب السلطنة برجوعي إليه ، فإذا بقية الناس من الطرفين والقضاة الثلاثة جلوس ، فأشار نائب السلطنة بالصلح بينهم وبين قاضي القضاة تاج الدين . يعني وأن يرجع القاضيان عما قالوا . فأشار الشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل وأشرت أنا أيضاً بذلك فلان المالكي وامتنع الحنبلي ، فقمنا والأمر باق على ما تقدم ، ثم اجتمعنا يوم الجمعة بعد العصر عند نائب السلطنة عن طلبه ففرضوا كيف يكون جواب الكتابات مع مطالعة نائب السلطنة ، ففعل ذلك وسار للبريد بذلك إلى الديار المصرية ، ثم اجتمعنا أيضاً يوم الجمعة بعد الصلاة التاسع عشر من ربيع الآخر بدار السعادة ، وحضر القضاة الثلاثة وجماعة آخرون ، واجتهد نائب السلطنة على الصلح بين القضاة وقاضي الشافعية وهو بمصر ، فحصل خلف وكلام طويل ، ثم كان الأمر أن سكنت أنفس جماعة منهم إلى ذلك على ما سئذ كره في الشهر الآتي .

وفي مستهل ربيع الآخر كانت وفاة المسلم داود الذي كان مباشراً لنظارة الجيش ، وأضيف إليه نظر الدواوين إلى آخر وقت . فاجتمع له هاتان الوظيفتان ولم يجتمعا لأحد قبله كما في علي ، وكان من أخبر الناس بنظر الجيش وأعلمهم بأسماء رجاله ، ومواضع الاقطاعات ، وقد كان والده نائباً لنظارة

الجوش ، وكان يهوديا قرائيا ، فأسلم ولده هذا قبل وفاة نفسه بسنوات عشر أو نحوها ، وقد كان ظاهره جيدا والله أعلم بسره وسريته ، وقد تعرض قبل وفاته بشهر أو نحوها ، حتى كانت وفاته في هذا اليوم فعلى عليه الجميع الأتموى تجاه النسر بعد العصر ، ثم حمل إلى تربة له أعدها في بستانه بجوش ، وله من العمر قريب الخمسين .

وفي أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطاني بالرد على نساء التنصاري ما كان أخذ منهن مع الجباية التي كان تقدم أخذها منهن ، وإن كان الجميع ظلما ، ولكن الأخذ من النساء أخش وأبلغ في الظلم ، والله أعلم . وفي يوم الاثنين الخامس عشر منه أمر نائب السلطنة أعزه الله بكبس بستين أهل الذمة فوجد فيها من الخمر المعتصر من الخواوي والحباب فأرقت عن آخرها والله الحمد والمنة ، بحيث جرت في الأزقة والطرافات ، وقطر نهر توزا من ذلك ، وأمر بمصادرة أهل الذمة الذين وجد عندهم ذلك بمال جزيل ، وهم تحت الجباية ، وبعد أيام نودي في البلد بأن نساء أهل الذمة لا تدخل الحمامات مع المسلمات ، بل تدخل حمامات تختص بهن ، ومن دخل من أهل الذمة الرجال مع الرجال المسلمين يكون في رقاب الكفار علامات يعرفون بها من أجراس ونوائير نحو ذلك ، أمر نساء أهل الذمة بأن تلبس المرأة خفيها مخلفين في اللبس بأن يكون أحدهما أبيض والآخر أصفر أو نحو ذلك .

وما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر - أعني ربيع الآخر - حطب القضاة الثلاثة من المتقين : فمن ناحية الشافعي ثابته ، وهما القاضي ، والدين الغزي والقاضي بدر الدين بن وهبة ، والشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني ، والله نعم . الشيخ حماد الدين بن كثير والشيخ بدر الدين حسن الزهرى ، والشيخ آق الدين الفزاري . ومن الجانب الآخر قاضيا القضاة جمال الدين المالكي والحنبل ، والشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل الحنبلي . شيخ جمال الدين ابن الشريشي ، والشيخ عز الدين بن حمزة بن شيخ السلامية الحنبلي ، وعامد الدين الحناني ، فاجتمعت مع نائب السلطنة بالقاعة التي في صدر إيوان دار السعادة ، وجلس نائب السلطنة في صدر المكان ، وجلسنا حوله ، فكان أول ما قال : كنا نحن الترك وغيرنا إذا اختلفنا واختصمنا نجى بالماء فيصلحون بيننا ، فصرنا نحن إذا اختلفت العلماء واختصموا فمن يصلح بينهم ؟ وشرع في تأنيب من شنع على الشافعي بما تقدم ذكره من تلك الأقوال والأفعال التي كتبت في تلك الأوراق وغيرها ، وأن هذا يشقى الأعداء بنا ، وأشار بالصلح بين القضاة بعضهم من بعض فصمم بعضهم وامتنع ، وجررت مناقشات من بعض الحاضرين فيما بينهم ، ثم حصل بحث في مسائل ثم قال نائب السلطنة أخيراً : أما محتم قول الله تعالى (عفا الله عما سلف) فلا تلت القلوب عند

ذلك وأمر كاتب السر أن يكتب مضمون ذلك في مطالعة إلى الديار المصرية ، ثم خرجنا على ذلك انتهى والله أعلم ﴿ عودة قاضي القضاة تاج الدين السبكي إلى دمشق المحروسة ﴾

في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم من ناحية الكسوة وقد تلقاه جماعة من الأعيان إلى الصين وما فوقها ، فلما وصل إلى الكسوة كثر الناس جدا وقاربها قاضي قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج ، فلما أشرف من عقبة شحورا تلقاه خلائق لا يحصون كثرة وأشعلت الشموع حتى مع النساء ، والناس في سرور عظيم ، فلما كان قريبا من الجسورة نقلته الخلائق الخلفيين مع الجوامع والمؤذنون يكبرون ، والناس في سرور عظيم ، ولما غارب باب النصر وقع مطر عظيم والناس معه لا تسهم الطرقات ، يدعون له ويفرحون بقدومه ، فدخل دار السعادة وسلم على نائب السلطنة ، ثم دخل الجامع بعد العصر ومعه شموع كثيرة ، والارؤساء أكثر من العامة . ولما كان يوم الجمعة ثاني شهر جمادى الآخرة ركب قاضي القضاة السبكي إلى دار السعادة وقد استدعى نائب السلطنة بالقاضيين المالكي والحنبلي ، فأصلح بينهم ، وخرج من عنده ثلاثهم يناشون إلى الجامع ، فدخلوا دار الخطابة فاجتمعوا هناك ، وضيئهما للشافعي ، ثم حضرا خطبته الحافلة بالبيعة الفصيحة ، ثم خرجوا ثلاثتهم من جوار إلى دار المالكي ، فاجتمعوا هناك وضيئهم المالكي هناك ما تيسر . والله الموفق للصواب .

وفي أوائل هذا الشهر وردت المراسيم الشريفة السلطانية من الديار المصرية بأن يجمل للأمير من إقطاعه النصف خالصا له ، وفي النصف الآخر يكون لأجناده ، فحصل بهذا رفق عظيم بالجنده ، وعدل كثير لله الحمد ، وأن يتجهز الأجناد ويحرصوا على السبق والرمي بالنشاب ، وأن يكونوا مستمدين متى استنفروا وفروا ، فاستعدوا لذلك وتأهبوا لقتال الفرنج ، كما قال الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الآية . وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال على المنبر « ألا إن القوة الرمي » . وفي الحديث الآخر « ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي » .

وفي يوم الاثنين بعد الظهر عقد مجلس بدار السعادة للكشف على قاضي القضاة جمال الدين المرادوي الحنبلي بمقتضى مرسوم شريف ورد من الديار المصرية بذلك ، وذلك بسبب ما يعتصمه كثير من شهود مجلسه من بيع أوقاف لم يستوف فيها شرائط المذهب ، وإثبات إعسارات أيضا كذلك وغير ذلك انتهى .

﴿ الوقفة بين الأمراء بالديار المصرية ﴾

وفي العشرين من جمادى الآخرة ورد الخبر بأن الأمير الكبير يلينا الخاكي خرج عليه

جماعة من الأمراء مع الأمير سيف الدين طيغنا الطويل ، فبرز إليهم إلى قبة القصر فالتقوا معه هناك ، قتل جماعة وجرح آخرون ، وأفضل الحال على مسك طيغنا الطويل وهو جريح ، ومسك أرغون السمردي الهويدار ، وخاق من أمراء الأتولف والعلباخانك ، وجرت خبطة عظيمة استمر فيها الأمير الكبير يلبغا على عزه وتأييده ونصره والله الحمد والمنة . وفي ثاني رجب يوم السبت توجه الأمير سيف الدين بيدهم الذي كان نائب دمشق إلى أفيار المصرية بطلب الأمير يلبغا ليؤكد أمره في دخول البحر لقتال الفرنج وفتح قبرص إن شاء الله ، انتهى والله تعالى أعلم .

(مما يتعلق بأمر بغداد)

أخبرني الشيخ عبد الرحمن البغدادي أحد رؤساء بغداد وأصحاب التجارات ، والشيخ شهاب الدين المطار - السماري الشرب بغدادى أيضا - أن بغداد بعد أن استعادها أويس ملك العراق وخراسان من يد الطواشي مرجان ، واستحضره فأكرمه وأطلق له ، فاتفقا أن أصل الفتنة من الأمير أحمد أخو الوزير ، فأحضره السلطان إلى بين يديه وضربه بسكين في كرشه فشق ، وأسر بعض الأمراء قتله ، فاستحضر أهل السنة لذلك نصره عظيمة ، وأخذ خشبته أهل باب الأزج فأحرقوه وسكنت الأمور وتشفوا بمقتل الشيخ جمال الدين الأنباري الذي قتله الوزير الراضى فأهلكت الله يدهم سريرا انتهى .

(وفاة قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن حاتم الشافعي)

وفي الشهر الأول من شهر شعبان قدم كتب من أفيار المصرية وفاة قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة بمكة شرفها الله بنى المائس من جمادى الآخرة ودفن في الحادى عشر في باب الملى وذكروا أنه توفي وهو يقرأ القرآن ، وأخبرني صاحب الشيخ محي الدين الرحي حفظه الله تعالى أنه كان يقول كثيرا : أشتهى أن أموت وأنا موزول ، وأن تكون وفاقى بأحد الحرمين ، فأعطاه الله ما تمنى : عزل نفسه في السنة الماضية ، وهاجر إلى مكة ، ثم قدم المدينة لزيارة رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكة ، وكانت وفاته بها في الوقت المذكور ، فرحمه الله ويل بالرحمة تراه . وقد كان موته في سنة أربع وتسعين ، فتوفي عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد نال المزعزا في الدنيا ورضا هائلة ، ومناصب وتداريس كبار ، ثم عزل نفسه وتفرغ للعبادة والمجاورة بالحرمين الشريفين ، فيقال له ما قلته في بعض المراتي . فكانك قد أعلت بالموت حتى • تزودت لمن خيار الزاد .

وحضر عندي في يوم الثلاثاء تاسع شوال المبارك بشارة الملقب بميمنايل ، وأخبرني أن المطارفة بالشام باليهود على أن جعلوه بتركاء بمسحق عوضا عن البترك بافطاكية ، فذكرت له أن هذا أمر مبتمتع في دينهم ، فانه لا يمكن البتاركة إلا أربعة بالاسكندرية والقدس وبافطاكية وبرومية ، فقل بترك

رومية إلى اسطنبول وهي القسطنطينية ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذي ابتدعه في هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعترف بأنه في الحقيقة هو عن إنطاكية ، وإنما أذن له في المقام بالشام الشريف لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والشك والحنانة بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الاسكندرية ، وأحضرت لي الكتب إليه و إلى ملك اسطنبول وقرأها على من لفظه عنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضا . وقد تكلمت معه في دينهم ونصوص ما يستفاد من الطوائف الثلاثة ، وهم الملكية واليهودية ومنهم الافرنج والقطيع ، والنسطورية ، فإذا هو يفهم بعض الشيء ، ولكن حاصله أنه حمار من أكر الكفار لعنه الله .

وفي هذا الشهر بلغنا استعادة السلطان أويس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد من يد الطوائف مرجان الذي كان نائبه عليهما ، وامتنع من طاعة أويس ، فجاء إلي في جفافل كثيرة فرب مرجان ودخل أويس إلى بغداد دخولا هائلا ، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم السبت السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيبرس من الديار المصرية على البريد أمير مصر ، قدم ألف ، وعلى نيابة بليغا في جميع دواوينه بدمشق وغيرها ، وعلى إمارة البحر وعلى المراكب ، فلما قسم أمره بجميع انتشاره والتجارين والحدادين وتجهيزهم لبيروت لقطع الأخشاب ، فسيروا يوم الأربعاء في رمضان وهو عزم على إلحاقهم إلى هناك ، وبالله التوفيق . ثم أتبعوا بأخريين من نجارين وحدادين وعتالين وغير ذلك ، وجعلوا كل من وجدوه من كبار الحجير ينزلونه ويركبوا إلى ناحية البقاع ، وسخروا لهم من الصنائع وغيرهم ، وجرت خبطة عظيمة بين عوامهم وأتباعهم ، لم يسافروا شيئا من أجورهم ، فكان من اللائق أن يسلفوه حتى يتكفروا إلى ولادهم .

وخطاب برهان الدين المقدسي الحنفي يجاليع يلبغا عن تقي الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكنتري ، بمرسوم شريف ومرسوم نائب صفد استمر أخى يلبغا ، وشق ذلك عليه وعلى جده وجماعتهم ، وذلك يوم الجمعة الرابع من رمضان ، هذا وحضر عنده خلق كثير .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه قرئ تقليد قاضي القضاة شرف الدين بن قاضي الجبل لقضاء الحنابلة ، عرضا عن قاضي القضاة جمال الدين المرداوى ، عزله هو والمالكى معه أيضا ، بسبب أمور تقدم نسبتها لها وقرئ التقليد بحراب الحنابلة ، وحضر عنده الشافعي والحنفي ، وكان المالكى معتكفا بالقاعة من المنارة الغربية ، فلم يخرج إليهم لأنه معزول أيضا برأى قاضي حجة ، وقد وقست شرور وتخطيط الصلحية وغيرها .

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثلاثين من شهر رمضان خلع على قاضي القضاة سري الدين إسماعيل المالكي ، قدم من حلة على قضاء المالكية ، عوصاً عن قاضي القضاة جمال الدين السلاقي ، عزل عن المنصب ، وقرى . تقليده بقصورة المالكية من الجامع ، وحضر عنده القضاة والاعيان .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع شوال قدم الأمير خيار بن مهنا إلى دمشق ساهماً مطيعاً ، بعد أن جرت بينه وبين الجيوش حروب متطاولة ، كل ذلك ليطلب البساط ، فأبى خوافاً من المسك والجبس أو القتل ، فبعد ذلك كله قدم هذا اليوم قاصداً الديار المصرية ليصطحب مع الأمير الكبير يلغا ، فنقلاه الحجابة والمهندرية والخلق ، وخرج الناس لفرجة ، فنزل القصر الأبقى ، وقدم معه نائب حمة عمر شاه فنزل معه ، وخرج معه ثاني يوم إلى الديار المصرية . وأقرأني القاضي ولي الدين عبد الله وكيل بيت المال كتاب والده قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية ، أن الأمير الكبير جدد درسا بمجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وجعل لكل فقيه منهم في الشهر أربعين درهماً ، وأردب قبح ، وذكر فيه أن جماعة من غير الحنفية انتقلوا إلى مذهب أبي حنيفة ليتزلفوا في هذا الدرس .

(درس التفسير بالجامع الأموي)

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبعائة حضر الشيخ العلامة الشيخ عماد الدين بن كثير درس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكلي بفارحمه الله تعالى من أوقاف الجامع الذي جدها في حال نظره عليه أثابه الله ، وجعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسة عشر طالباً لكل طالب في الشهر عشرة دراهم ، وللمعيد عشرون وللكاتب الغيبة عشرون ، وللمدرس ثمانون ، وتصدق حين دعوته لحضور الدرس ، فحضر واجتمع القضاة والاعيان ، وأخذ في أول تفسير الفاتحة ، وكان يوماً مشهوداً والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والمنة انتهى . (١) قضاة الحنابلة الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضي الجبل المقدسي ، وقاظر الدواوين محمد الدين بن التاج إسحق ، وكتيب السرف فتح الدين بن الشهيد ، وهو شيخ الشيوخ أيضاً ، وقاظر الجيوش الشامية يرهان الدين بن الحلي ، ووكيل بيت المال القاضي ولي الدين بن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء . انتهى .

(سفر نائب السلطنة إلى الديار المصرية)

لما كانت ليلة الحادي والعشرين قسم طشتنر دويدار يلغا على البريد ، فنزل بدار السعادة ، ثم (١) كذا بنسخ الاسنادة وفي المصرية يياض نصف صفحة من الأصل . وهذا يدل على أن هذا الكلام من تأليف تلميذ ابن كثير وسقط كلام فيه أول السنة .

ركب هو ونائب السلطنة بعد المشاء الأخيرة في المشاعل ، والحجبة بين أيديهما والمخلاتق يدعون
لنبيهم ، واستمروا كذلك ذاهبين إلى الديار المصرية ، فأكرمه بلبغا وأنعم عليه وسأله أن يكون
بيلاد حلب ، فأجاب به إلى ذلك وعاد قنزل بدار منجر الاسماعيلى ، وارتحل منها إلى حلب ، وقد
اجتمعت به هناك وتأسف الناس عليه ، وناب في النبية الأمير سيف الدين زباله ، إلى أن قسم
النائب المزمز السيفي قشتمر عبد الفتخ على ما سياتى . وتوفى القاضى شمس الدين بن منصور الخنقى
الذى كان نائب الحكم رحمه الله يوم السبت السادس والعشرين من المحرم ، ودفن بالبالب الصغير ،
وقد قارب الثمانين .

وفي هذا اليوم أو الذى بعده توفى القاضى شهاب الدين أحمد ابن الوزوازة ناظر الأوقاف
بالصالحية . وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث صفر نودى في البلد أن لا يتخلف أحد من أجناد الحلقة عن
السفر إلى بيروت ، فاجتمع الناس لذلك فبادر الناس والجيش ملبسين إلى سطح المزة ، وخرج
ملك الأمراء أمير على كان نائب للشام من داره داخل باب الجابية في جماعته ملبسين في هيئة
حسنة وتجميل هائل ، وولاه الأمير ناصر الدين محمد وطلبه معه ، وقد جاء نائب النبية والحجبة إلى
بين يديه إلى وطاقيه وشارروه في الأمر ، قتل : ليس لى هاهنا أمر ، ولكن إذا حضر الحرب
والقتال فى هناك أمر ، وخرج خلق من الناس متبرعين ، وخطب قاضى القضاة تاج الدين الشافعى
بالناس يوم الجمعة على العادة ، وحررض الناس على الجهاد ، وقد ألبس جماعة من غلمانة اللأمة واخذوا
وهو على عزم السير مع الناس إلى بيروت والله الحمد والمنة . ولما كان من آخر النهار رجع الناس إلى
منازلهم وقد ورد الخبر بأن المراكب التى رؤيت في البحر إنما هي مراكب تجار لا مراكب قتال ،
فطابت قلوب الناس ، ولكن ظهر منهم استمداد عظيم والله الحمد .

وفي ليلة الأحد خامس صفر قدم بالأمر سيف الدين شرشى الذى كان إلى آخر وقت نائب
حلب محتاطا عليه بعد المشاء الآخرة إلى دار السمادة بدمشق ، فسير معزولا عن حلب إلى
طرابلس بطلا ، وبعث في مرجين محبة الأمير علاء الدين بن صبح .

وبلقنا وفاة الشيخ جمال الدين بن فبانة حامل لواء شعراء زمانه بديار مصر بمصرستان الملك
المنصور قلاوون ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر من هذه السنة رحمه الله تعالى . وفي ليلة ثامن هرب
أهل حبس السد من سجنهم وخرج أكثرهم فأرسل الولاية صبيحة يومئذ في أثرهم فلك كثير من
هرب فضر يوم أشد الضرب ، وردوهم إلى شر المنقلب .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره نودى بالبلاد أن لا يعامل الفرنج البنادقة والحبو بقوالكيتلان
واجتمعت في آخر هذا اليوم بالأمر زين الدين زباله نائب النبية النازل بدار الذهب فأخبرنى أن

البريدى أخبره أن صاحب قبرص رأى في النجوم أن قبرص مأخوذة ، فجهز مركبين من الأسرى
الذين عنده من المسلمين إلى يلبغا ، ونادى في بلاده أن من كتب مسلماً صغيراً أو كبيراً قتل ، وكان
من عزمه أن لا يبقى أحداً من الأسارى إلا أرسله .

وفي آخر نهار الأربعاء خلع عليه ثوبه من الديار المصرية فاضى القضاة جمال الدين المسلاحي
المالكي الذي كان قاضى المالكية فمروا في أواخر رمضان من العام الماضي ، فخرج ثم قصد الديار المصرية
فدخلها لعله يستغيث فلم يصادفه قبول ، فادعى عليه بعض الحجاب وحصل له ما يسوه ، ثم خرج
إلى الشام فجاء قنزل في القرية الكاملية شمال الجامع ، ثم انتقل إلى منزل ابنه متمرصاً ، والطلاقات
والدعاوى والمصالحات عنه كثيرة جداً ، فأحسن الله عاقبته .

وفي يوم الأحد بعد العصر دخل الأمير سيف الدين طيغابا العلويل من القدس الشريف إلى
دمشق فنزل بالقصر الأتاني ، ورحل بعد يومين أو ثلاثة إلى نيابة حماة حرسها الله بتقليد من الديار
المصرية ، وجاءت الأخبار بتولية الأمير سيف الدين منكلى بفا نيابة حلب عوضاً عن نيابة دمشق
وأنه حصل له من التشرىف والتكريم والتشريف بديار مصر شئ كثير ومال جزيل وخبول وأقشة
ونحف يشق حصرها ، وأنه قد استقر بدمشق الأمير سيف الدين أفتشر عبه الغنى ، الذى كان
حاجب الحجاب بمصر ، وعوض عنه في الحجوية الأمير علاء الدين طيغابا أستاذ دار يلبغا وخام
على الثلاثة في يوم واحد .

وفي يوم الأحد حادى عشر ربيع الأول اشتهر في البلاد قضية الفرنج أيضاً بمدينة الاسكندرية
وقدم بريدى من الديار المصرية بذلك ، واحتيط على من كان بدمشق من الفرنج وسجنوا بالقلعة
وأخذت حواصلهم ، وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى يومئذ أن أصل ذلك أن سبعة مراكب
من التجار من البنادقة من الفرنج قدموا إلى الاسكندرية فباعوا بها واشتروا ، وبلغ الخبر إلى الأمير
الكبير يلبغا أن مركباً من هذه السبعة إلى صاحب قبرص ، فأرسل إلى الفرنج يقول لهم : أن
يدلوهوا هذه المركب فانتصوا من ذلك وبادروا إلى مراكبهم ، فأرسل في آثارهم ستة شوانى مشحونة
بالمقاتلة ، فالتقواهم والفرنج في البحر قتل من الفريقين خلق ولكن من الفرنج أكثر وهربوا فارين
بما معهم من البضائع ^(١) فجاء الأمير على الذى كان نائب دمشق أيضاً في جيش مبارك ومعه ولده
ومعاليكه في تجمل هاتل ، فرجع الأمير على واستمر نائب السلطنة حتى وقف على بيروت ونظر في
أمرها ، وعاد سريعاً . وقد بلغنى أن الفرنج جلاؤا طرابلس غزاة وأخذوا مركباً للمسلمين من المينا
وحرقوه ، والناس ينظرون ولا يستطيعون دفعهم ولا منهم ، وأن الفرنج كروا راجمين ، وقد أسروا

(١) كذا بالأصول التركية وبالمصرية يياض حول ثلاث صفحات بالأصل .

ثلاثة من المسلمين ، فأنه وإنا إليه راجعون . انتهى والله أعلم .

﴿ مقتل يليق الأمير الكبير ﴾

جاء الخبر بقتله إلينا بدمشق في ليلة الاثنين السابع عشر من ربيع الآخر مع أسيرين جاء على البريد من الديار المصرية ، فأخبرنا بقتله في يوم الأربعاء ثاني عشر هذا الشهر : تملاً عليه مما ليكه حتى قتلوه يومئذ ، وتغيرت الدولة وسلك من أمراء الأتوف والطلبخانات جماعة كثيرة ، واختبطلت الأمور جداً ، وجرت أحوال صعبة ، وقام بأعباء القضية الأمير سيف الدين طيتمر النظامي وقوى جانب السلطان ورشد ، وفرح أكثر الأمراء بمصر بما وقع ، وقدم نائب السلطنة إلى دمشق من بيروت فأمر بدق البشار ، وزينت البلاد ففعل ذلك ، وأطلقت الفرنج الذين كانوا بالقلعة المنصورة فلم يبق منهم ذلك على الناس .

وهذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده ، وصلواته على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ، وجعل الليل والنهار آيتين من آياته ولعلم بهما العباد عدد السنين والحساب ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد النبي المصطفى ، والمحبيب المجنبي الذي كان ميلاده آية من آيات ربه ، تنسكت به الأضنام ، وأندك له إبان كسرى ، وغار به ماء ساوة ، وكانت رسالته نوراً للعالمين ، وإظهاراً للدين الحق ، وسحقاً للآيات الباطلة التي نسخت بدينه ، كما كانت هجرته مبدأً لتاريخ المسلمين ، وإبطالاً للعمل بالتواريخ السالفة في الأمم الماضية .
(أما بعد) فيقول العبد الفقير ، الذليل الحقير ، خدام العلم وعلماء الملة الخفيفة المرضية المصحح بالمطبعة الآتي ذكرها : لقد تم بحمد الله تعالى طبع الجزء الرابع عشر من كتاب « البداية والنهاية » له العلامة ابن كثير ، وبه تم القسم الأول من كتابه وهو المسمى « البداية » ، إذ أذن المصنف رحمه الله جل كتابه قسمين الأول في الكلام على الخلفاء والكائنات من بدء الخلق إلى الهجرة النبوية ، ورتب ما بعد ذلك على السنين الهجرية إلى قبيل وفاته ، وسمى هذا القسم « البداية » والقسم الثاني في الكلام على الفتن والملاحم في آخر الزمان وسماه « النهاية » وسيكون أول الجزء الخامس عشر . وذلك بالمطبعة السعيدة العامرة « مطبعة السعادة » لصاحبها ومديرها الحاج محمد إسماعيل ، أقر الله عينه بنجده العزيز إسماعيل وبقية أولاده وأقباؤه لهم وحفظهم عليه ، وتممه وإياهم بالصحة والرفاهية ، وأعانه على عمل الخير وطبع مثل هذا الكتاب من المهمات التي يحتاجها كل مسلم ومتعلم وعالم . كان الفراغ من طبع هذا الجزء في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة من سنة ١٣٥٨ هجرية ، وكان يوم خروج الحمل المصري إلى البلاد الحجازية على ما كتبها المصطفى آمم الصلاة وأزكى التحية . اهـ المصحح

عبد الرحمن بن سعد عطية

فهرست

الجزء الرابع عشر من البداية والنهاية

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢	سنة ثمان وتسعين وستائة	١٧	سنة إحدى وسبعائة . وما حصل فيها من الحوادث والعزل عن المناصب والتولية
٣	مقتل المنصور لاجين	١٨	قدوم البريد إلى الشام يحمل خبر وفاة أمير المؤمنين الخليفة العباسي بمصر
٤	من توفي في هذه السنة من الأعيان والقضاة	١٩	ذكر وفاة الحاكم بأمر الله العباسي وقليل من ترجمته
٦	سنة تسع وتسعين وستائة	٢٠	خلافة ولده المستكفي بالله . ذكر من توفي في هذه السنة من المشاهير
٨	وقعة قازان التتري ودخولهم دمشق	٢١	سنة اثنتين وسبعائة من الهجرة . وفيها كان فتح جزيرة أروان
٩	انطلبة لقازان على منير دمشق يوم الجمعة	٢٢	عجبية من عجائب البحر - إشاعة الأخبار
١٠	وصدور المرسوم بقبالة قبجق على الشام	٢٣	القوية بعزم التتار على دخول الشام
١١	خروج السلامة ابن تيمية إلى ملك التتر	٢٤	أوائل وقعة شقحب بين المسلمين والتتار
١٢	قازان للمفاوضة معه في الصلح وحجبه عن مقابلته	٢٥	خروج الساكر الشامية إلى جهة العدو
١٣	مصادرات قازان لأهل الشام	٢٦	وقعة شقحب
١٤	خروج التتار من الشام	٢٧	هزيمة التتار والتجاوزهم إلى الجبال والتلول
١٥	عود الخطبة في دمشق باسم صاحب مصر	٢٨	ودخول سلطان مصر إلى دمشق
١٦	شنق طائفة من الذين كانوا يلوذون بالتتر ويؤذون المسلمين	٢٩	من توفي في هذه السنة من القضاة والأعيان
١٧	من توفي في هذه السنة من القضاة والأعيان	٣٠	ومنهم قاضي القضاة ابن دقيق العيد
١٨	سنة سبعمائة من الهجرة النبوية وفيها عاد التتر إلى الشام قائماً	٣١	سنة ثلاث وسبعائة من الهجرة
١٩	خروج الشيخ ابن تيمية إلى مصر لحث من بها من الحكام والجنود على الخروج	٣٢	موت قازان ملك التتر وتولية أخيه خربندا
٢٠	لجهاد العدو ودفع التتار عن الشام	٣٣	من توفي في هذه السنة من الأعيان
٢١	عوده إلى دمشق ووصول الأخبار إليها	٣٤	ترجمة والده الشيخ ابن كثير مؤلف هذا الكتاب
٢٢	بعدم وصول التتار إلى الشام واطمئنان الناس لذلك	٣٥	سنة أربع وسبعائة من الهجرة وما فيها من

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
	الاسكندرية و إحصاءه معزاً مكرماً . وما		الحوادث والوفيات
	حصل من السلطات إلى ابن تيمية من	٣٥	سنة خمس وسبعائة من الهجرة
	الاعظام والاحترام وثناء القضاة على ابن	٣٦	ذكر ماجرى للشيخ تقي الدين ابن تيمية
	تيمية		مع الأحمدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة
٥٥	مسك جماعة من الأمراء والقضاة والأعيان	٥٥	أول المجالس الثلاثة لشيخ الاسلام ابن
٥٥	ذكر مقتل الجاشنكير		تيمية
٥٦	من توفى في هذه السنة من الأمراء والقضاة	٣٧	المجلس الثاني والثالث واعتقاله تحت التحقيق
	والأعيان	٣٩	من توفى في هذه السنة من القضاة والأعيان
٥٧	سنة عشر وسبعائة	٤٥	سنة ست وسبعائة من الهجرة
٥٨	ماحصل من الحوادث في هذه السنة ومسك	٤٣	من توفى فيها من الأعيان والقضاة
	سبعة أمراء من دمشق وأربعة عشر أميراً		ومتهم خطيب الكلاسة الشيخ الخلالى
	من القاهرة	٤٤	سنة سبع وسبعائة من الهجرة
٦٥	من توفى فيها من الأعيان والقضاة	٤٥	اجتماع قاضي القضاة ابن جماعة بـشيخ
٥٥	سنة إحدى عشرة وسبعائة		الاسلام ابن تيمية في قلعة الجبل وتصميم ابن
٦١	ماحصل من الحوادث فيها ومنها قتل الأقرم		تيمية على بقاءه في الحبس
	إلى نيابة طرابلس	٤٦	قدوم العلامة ابن كثير بأهله من بصرى
٦٢	مسك نائب صغد		إلى دمشق بعد وفاة والده
٦٣	من توفى فيها من القضاة والأعيان	٤٧	سنة ثمان وسبعائة من الهجرة . وفيها خرج
	والمشاهير		الشيخ ابن تيمية من السجن
٦٥	سنة اثنتي عشرة وسبعائة وما حصل فيها	٤٧	ذكر سلطنة الملك المنصور دكن الدين بيبرس
	من الحوادث	٤٩	سنة تسع وسبعائة من الهجرة
٥٥	نيابة الأمير تنكز على الشام		الذهاب للشيخ ابن تيمية إلى قصر اسكندرية
٦٦	حصول الخوف الشديد لأهل دمشق لما		وحبسه هناك
	بلغهم تحريك التتار نحوهم	٥٥	عزل الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني عن
٦٧	خروج السلطان من مصر إلى دمشق لملاقاة		نظر المارستان بسبب اتهامه إلى ابن تيمية
	التتار	٥١	صفة عود الملك الناصر محمد ابن المنصور
٦٨	من توفى فيها من الأعيان ومنهم صاحب		فلادون إلى الملك
	ماردين	٥٣	دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل
٥٥	سنة ثلاث عشرة وسبعائة		يوم عيد الفطر وطلبه الشيخ ابن تيمية من

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٦٩	ملك الوزير أمين الملك وجماعة من الكبار معه . وذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان	٨٩	من توفي فيها من الأعيان ومنهم العارف المأبد الصالح عمر بن قوام وترجمته بتوسع وفاة الشاعر المجيد تقي الدين أحمد بن تمام
٧٠	سنة أربع عشرة وسبعمائة وما حصل فيها من الحوادث ومن توفي فيها من الأعيان	٩٠	قاضي القضاة زين الدين ابن مخلوف التويري
٧٢	سنة خمس عشرة وسبعمائة	٩١	وفاة كمال الدين ابن الشريشي
٧٣	فتح ملطية	٩٢	سنة تسع عشرة وسبعمائة
٧٤	ملك بكتمر الحاجب وأيدغدى شقير وغيرهما	٩٣	ذكر وقعة كبيرة بين التتار وأهل الشام من توفي فيها من الأعيان
٧٥	من توفي في هذه السنة من الأعيان ومنهم صفى الدين الهندي	٩٤	سنة عشرين وسبعمائة
٧٦	سنة ست عشرة وسبعمائة	٩٥	وفاتها عمر ابن المرجاني مسجد الخليف
٧٧	ما حصل فيها من الحوادث	٩٦	ذكر وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين المسلمين والفرنجة
٧٨	خروج الركب الشامي إلى الحجاز	٩٧	ملك الأمير علاء الدين الجالوي وحمله إلى الاسكندرية
٧٩	وصول الخبر إلى دمشق بموت ملك التتار خربندا	٩٨	سنة إحدى وعشرين وسبعمائة . وفيها خرج الشيخ تقي الدين من حبس القلعة بعد إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يوما
٨٠	من توفي فيها من الأعيان ومنهم ابن عرفة صاحب التذكرة الكندية . والشيخ تقي الدين الموصل ، والشيخ الصدر ابن الوكيل وترجمته بتوسع	٩٩	من توفي فيها من الأعيان
٨١	سنة سبع عشرة وسبعمائة . وما حصل فيها من الحوادث مجيء سيل عظيم إلى بعلبك أهلك خلقا كثيرا من الناس وقدمه رعد وبرق شديدا	١٠٠	سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة
٨٢	إغارة جيش حلب على مدينة آمد	١٠١	فتح إيلس ومعاملتها وإقراعا من الأرمن
٨٣	صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة	١٠٢	من توفي فيها من الأعيان والمشاهير
٨٤	من توفي فيها من الأعيان	١٠٣	سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة
٨٥	سنة ثمان عشرة وسبعمائة	١٠٤	وما حصل فيها من الحوادث
٨٦	ما حصل فيها من الحوادث من الزل والتولية	١٠٥	من توفي فيها من القضاة والمشاهير ، منهم الامام المؤرخ كمال الدين الفوطي . وقاضي القضاة نجم الدين بن مصري
٨٧		١٠٦	وفاة الشيخ الجليل المسند المعمر الرحلة بهاء الدين أبي القاسم الوزير ثم الأمير نجم

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٠٩	وفاة الشيخ أبي نصر بن محمد بن بندار	١٣٣	ما جرى في هذه السنين من الحوادث والوفائع
١١٠	وفاة أبي عبد الله الخزازي المعروف بابن النجيب	١٣٥	ذكر وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية ووصف جنازته وتاريخ حياته بجملة
١١١	سنة أربع وعشرين وسبعمائة	١٤٠	بعض أعمال النائب الكبير الأمير تنكز
١١١	مباشرة عز الدين ابن القلانسي الحسبة	١٤١	من توفي في هذه السنة من المشايخ والقضاة والأعيان
١١٢	ما حصل فيها من الحوادث	١٤٣	سنة تسع وعشرين وسبعمائة
١١٤	من توفي فيها من القضاة والأعيان والمشاهير	٠٠٠	وفي يوم الجمعة آخر ربيع الآخر صلى على
١١٧	سنة خمس وعشرين وسبعمائة . وفيها جرد السلطان بجريدة إلى اليمن بسبب خروج عمه عليه	١٤٤	تقي الدين ابن تيمية بالمدينة المنورة صلاة النائب
١١٩	من توفي فيها من الأعيان والمشايخ والقضاة	١٤٤	من توفي فيها من الأعيان والأمرء والقضاة
١٢٢	سنة ست وعشرين وسبعمائة	١٤٦	وفاة العلامة الشيخ الفزاري
١٢٣	اعتقال شيخ الاسلام ابن تيمية بقلعة دمشق عند العصر من يوم الاثنين سادس عشر شعبان	١٤٨	سنة ثلاثين وسبعمائة
١٢٤	ابتداء تدريس العلامة ابن جهيل بالشامية الجوانية	٠٠٠	ما وقع فيها من الحوادث والأعمال الدولية
١٢٥	من توفي في هذه السنة من القضاة والأعيان	١٤٩	من توفي فيها من الأعيان والمشاهير
١٢٧	سنة سبع وعشرين وسبعمائة	١٥٢	سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة
١٢٨	وقوع فتنة كبيرة بالاسكندرية بين المسلمين والفرنج	٠٠٠	أعمال الأمير تنكز بالشام
١٢٩	من توفي في هذه السنة من الأعيان	١٥٣	ما وقع فيها من الحوادث والأعمال الدولية
١٣٠	وفاة الملك الكامل ناصر الدين	١٥٤	من توفي فيها من القضاة والأعيان والأمرء
١٣١	وفاة الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني	١٥٦	سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة
١٣٢	سنة ثمان وعشرين وسبعمائة	١٥٧	ما وقع فيها من الحوادث
	وفي ذى القعدة منها كانت وفاة شيخ الاسلام ابن تيمية	١٥٨	من توفي فيها من الأعيان والقضاة
		١٦٠	سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة
		١٦١	ما حصل من الأعمال في هذه السنة
		١٦٢	من توفي فيها من الأعيان والقضاة
		١٦٤	سنة أربع وثلاثين وسبعمائة
		١٦٥	قضية القاضي ابن جملة
		١٦٦	خروج المحمل الشامي إلى الحجاز وما وقع في هذه السنة من الأعمال والحوادث

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٦٧	من توفي في هذه السنة من الأعيان	١٩١	سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة
١٦٩	سنة خمس وثلاثين وسبعمائة		وفاة الشيخ الحافظ أبي الحجاج المزي
١٧٠	مسك الأمير مشد الدواوين والاحتياط	١٩٢	كائنة غربية جداً
	على دار بكتمر الحجاب . وخروج الحمل	١٩٣	ذكر بعض ما وقع في هذه السنة من
	الشامي		الحوادث
١٧١	من توفي من الأعيان في هذه السنة	١٩٤	كائنة غربية
١٧٣	سنة ست وثلاثين وسبعمائة	١٩٦	عجيبة من عجائب الدهر
١٧٤	خروج الحمل الشامي . ذكر من توفي فيها	١٩٧	ذكر حوادث وقعت في هذه السنة
	من الأعيان	٢٠١	سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة
١٧٦	سنة سبع وثلاثين وسبعمائة	٢٠٢	ما وقع في هذه السنة من الأعمال الدولية
١٧٧	ما جرى فيها من الأعمال وما وقع من		الحوادث ومن توفي فيها
	الحوادث	٢٠٩	سنة أربع وأربعين وسبعمائة
١٧٨	من توفي فيها من الأعيان		ما حصل فيها من الأعمال والحوادث
١٨٠	سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة	٣١٥	سنة ست وأربعين وسبعمائة
٠٠٠	ما وقع فيها من الحوادث	٢١٦	وفاة الملك الصالح إسماعيل
١٨١	من توفي فيها من الأعيان والقضاة والمشاهير		تدريس تقي الدين السبكي بالشامية البرانية
١٨٤	سنة تسع وثلاثين وسبعمائة	٢١٧	ما حصل في هذه السنة من الحوادث
	وإلى هنا آخر ما كتبه الصلابة ابن كثير	٢١٨	سنة سبع وأربعين وسبعمائة
	ويبتدىء ما كتبه أحد تلامذته على لسانه	٢١٩	ذكر ما وقع من الاضطراب بمشقة بسبب
	رحمهما الله .		الخلاف بين قائمها وسلطان مصر . وغير
٠٠٠	من توفي في هذه السنة من الأعيان		ذلك من الحوادث
١٨٥	وفاة قاضي القضاة جلال الدين القزويني	٢٢١	سنة ثمان وأربعين وسبعمائة
١٨٦	سنة أربعين وسبعمائة		ما حصل فيها من الحوادث
١٨٧	مسك الأمير تنكز وسبب ذلك	٢٢٤	مقتل الظفر ملك مصر وتولية الناصر حسن
٠٠٠	وفاة أمير المؤمنين المستكني بالله		ابن الناصر مكانه
٠٠٠	سنة إحدى وأربعين وسبعمائة	٢٢٥	سنة تسع وأربعين وسبعمائة
١٨٨	وفاة الأمير تنكز	٢٢٦	اجتماع أهل دمشق بعد صومهم ثلاثة أيام
١٨٩	ما وقع فيها من الحوادث		للدعاء والتضرع إلى الله في رفع الوباء الشديد
١٩٠	ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون		القي وقع ٣٣

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٢٧	ما وقع في هذا السنة من الأعمال والحوادث	٢٥٣	ما وقع فيها من الأعمال الدولية والحوادث
٢٢٩	سنة خمسين وسبعائة	٢٥٦	سنة ثمان وخمسين وسبعائة
٢٣٠	مسك نائب السلطنة أرغون شاه	٢٥٧	كائنة غربية جداً
	كائنة عجيبة غربية جداً	٢٥٨	وفاة أرغون الكمالى
٢٣١	بقية ما وقع من الحوادث	٥٠٠	وفاة الأمير شينخون
٢٣٣	سنة إحدى وخمسين وسبعائة	٥٠٠	سنة تسع وخمسين وسبعائة
٢٣٤	ترجمة الشيخ قمس الدين ابن قيم الجوزية	٢٦١	دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق
٢٣٥	باقى ما وقع من الحوادث في هذه السنة	٥٠٠	عزل القضاة الثلاثة بدمشق المحروسة
٢٣٧	سنة اثنتين وخمسين وسبعائة	٢٦٢	مسك الأمير صرغتمش إقبالك الامراء
٢٣٩	كائنة غربية		بمصر
٥٠٠	ملكه السلطان الصالح صلاح الدين	٥٠٠	إعادة القضاة المعزولين إلى مناصبهم
٢٤٠	ما وقع من الحوادث في هذه السنة	٢٦٣	عزل منجك عن دمشق وسفره إلى صفد
٢٤١	سنة ثلاث وخمسين وسبعائة		قائبا بها
٥٠٠	ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق	٢٦٤	سنة ستين وسبعائة
٢٤٢	بيان مدة هذا الباب وزيادتها على أربعة	٢٦٥	مسك الأمير على المازدائى نائب الشام
	آلاف سنة	٥٠٠	كائنة وقعت بقرية حوران
٢٤٣	دخول يلبغا أروش إلى دمشق	٢٦٦	دخول نائب السلطنة الامير سيف الدين
٢٤٤	ذكر حوادث واضطرابات وقعت بدمشق		استدمر دمشق
٢٤٦	قتل الأمراء السبعة من أصحاب يلبغا	٢٦٧	سنة إحدى وستين وسبعائة
٥٠٠	خروج السلطان من دمشق متوجها إلى	٢٦٨	مسك منجك وصفة الظهور عليه
	الديار المصرية	٢٦٩	الاحتياط على الكتبة والدواوين
٢٤٧	سنة أربع وخمسين وسبعائة	٢٧٠	موت فياض بن مهنا
٢٤٨	ذكر أمر غريب جداً	٥٠٠	كائنة غربية جداً
٢٤٩	سنة خمس وخمسين وسبعائة	٢٧٢	مسك نائب السلطنة استدمر
٢٥٠	فادرة من الترائب	٢٧٣	دخول نائب السلطنة الامير سيف الدين
٢٥١	عودة الملك الناصر حسن إلى الملك		ييدمر إلى دمشق
٥٠٠	سنة ست وخمسين وسبعائة	٢٧٤	الامر بإلزام القلندية بترك خلق لحام
٢٥٢	أعمال الملكة والتواب في هذه السنة	٢٧٥	سنة اثنتين وستين وسبعائة
٢٥٣	سنة سبع وخمسين وسبعائة	٢٧٨	سلطنة الملك للنصور صلاح الدين محمد

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٨٠	تنبه على واقعة غريبة واغراق عجيب	٣٠٠	غريقتن القرائب وعجيبه من العجائب
٢٨٢	وفاة الحافظ علاء الدين منغلطاي المصري	٣٠٢	سلطنة الملك الاشرف ناصر الدين شعبان ابن حسن
٢٨٣	خروج ملك الأمراء ييسمر من دمشق إلى غزة	٣٠٣	وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة
٢٨٥	وصول السلطان الملك المنصور إلى المصطبة غربي عقبة سجورا	٣٠٤	دخول نائب السلطنة منكلي بنا إلى دمشق نائباً عليها
٢٨٦	سبب خروج ييسمر من القلعة وصفة ذلك	٣٠٥	سنة خمس وستين وسبعمائة
٣٠٠	دخول الملك المنصور إلى دمشق في جيشه وجنوده	٣٠٦	ذكر ما وقع فيها من انتشار الجراد بالشام والوباء الشديد بالديار المصرية
٢٨٧	مسك الأمير تومان تمر نائب طرابلس كان	٣٠٧	ذكر بعض الاعمال الدولية وموت بعض القضاة
٢٨٨	خروج السلطان من دمشق قاصداً مصر	٣٠٨	فتح باب كيسان بمدخله نحواً من مائتي سنة
٢٩٠	سنة ثلاث وستين وسبعمائة	٣٠٩	ذكر شدة إفساد الجراد بالشام وتفاقم أمر الوباء بمصر
٢٩١	منام غريب جداً	٣١٠	تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق
٣٠٠	وفاة قاضي قضاة المالكية الاخنائي بمصر	٣١١	سنة ست وستين وسبعمائة
٢٩٢	ذكر بعض من توفي من الأمراء في هذه السنة	٣١٢	قتل الرافضي الخليلي الذي كان يسب الشيخين
٢٩٣	موت الخليفة المعتض بالله وخلافة المنوكل على الله	٣١٣	استنابة ولي الدين ابن أبي البقاء السبكي
٢٩٤	أعجوبة من العجائب	٣١٤	ولاية قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء السبكي قضاة القضاة بالديار المصرية
٢٩٥	عزل الأمير على عن نيابة دمشق المحروسة	٣١٥	ذكر بعض أعمال دولية وبعض الوفيات
٣٠٠	سفر قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي مطلوباً إلى الديار المصرية	٣١٦	طرح مكس القطن المغزول الخ
٣٠٠	أعجوبة أخرى غريبة	٣١٧	سنة سبع وستين وسبعمائة
٢٩٦	دخول نائب السلطنة سيف الدين قشتمر إلى دمشق	٣١٨	استيلاء الفرنج على مدينة الاسكندرية
٣٠٠	قدوم قاضي القضاة بهاء الدين ابن السبكي عوضاً عن أخيه تاج الدين	٣١٩	خروجهم منها بالقتال والأسرى
٢٩٧	سنة أربع وستين وسبعمائة	٣٢٠	صفحة عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي وما حصل فيه من المناقشات
٢٩٨	بشارة عظيمة بوضع الشعر من مكس القطن		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣١٧	بين حزبه ونوابه والفرق الآخر إعادة المجلس ثانياً وتوقيع الصلح بينهم بإشارة نائب السلطنة رحمه الله .	٣١٨	عودة قاضي القضاة تاج الدين السبكي إلى دمشق
٣١٩	الوقعة بين الأمراء بمصر مما يتعلق بأمر بغداد	٣٢٠	أخبار متنوعة
٣٢١	مجيء الأمير خبار بن مهنا إلى دمشق قاصداً الديار المصرية معهما مطيعاً إلى خليفة	٣٢٢	كثير من الأعمال الدولية من تنقلات وغيرها و وفاة بعض القضاة
٣٢٣	اشتهار قضية الفرنج بمدينة الاسكندرية والاحتياط على الفرنج الذين بالشام من أجل ذلك وسجنهم بالقلعة والاحتياط على حواصلهم .	٣٢٤	مقتل الأمير الكبير بلبغا الخراساني (تم الفهرس والحمد لله)
٣٢٥	مقتل الأمير الكبير بلبغا الخراساني (تم الفهرس والحمد لله)	٣٢٦	مقتل الأمير الكبير بلبغا الخراساني (تم الفهرس والحمد لله)



